الفتوحات المكية

التي فتح الله بها على الشيخ الإمام العامل الراسخ الكامل
خاتم الأولياء الوارثين برزخ البرازخ محيي الحق
والدين أبي عبد الله محمّد بن علي المعروف بابن عربي
الحاتمي الطائي قدّس الله روحه و نوّر ضريحه آمين

المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الحادي و أربعمائة في معرفة منا زلة الميت و الحي ليس له إلى رؤيتي من سبيل»

قد استوى الميت و الحي في كونهم ما عندهم شيء
مني فلا نور و لا ظلمة فيهم و لا ظل و لا في
رؤيتهم إلى معدومة فنشرهم في كونها طي
و فهمهم إن كان معناهم عنه إذا حققته عي

قال الله عز و جل لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ و قال عز و جل لموسى ع لَنْ تَرانِي و كل مرئي لا يرى الرائي إذا رآه منه إلا قدر منزلته و رتبته فما رآه و ما رأى إلا نفسه و لو لا ذلك ما تفاضلت الرؤية في الرائين إذ لو كان هو المرئي ما اختلفوا لكن لما كان هو مجلى رؤيتهم أنفسهم لذلك وصفوه بأنه يتجلى و أنه يرى و لكن شغل الرائي برؤيته نفسه في مجلى الحق حجبه عن رؤية الحق فلذلك لو لم تبد للرائي صورته أو صورة كون من الأكوان ربما كان يراه فما حجبنا عنه إلا أنفسنا فلو زلنا عنا ما رأيناه لأنه ما كان يبقى ثم بزوالنا من يراه و إن نحن لم نزل فما نرى إلا أنفسنا فيه و صورنا و قدرنا و منزلتنا فعلى كل حال ما رأيناه و قد نتوسع فنقول قد رأيناه و نصدق كما أنه لو قلنا رأينا الإنسان صدقنا في أن تقول رأينا من مضى من الناس و من بقي و من في زماننا من كونهم إنسانا لا من حيث شخصية كل إنسان و لما كان العالم أجمعه و آحاده على صورة حق و رأينا الحق فقد رأينا و صدقنا و إن نظرنا إلى عين التمييز في عين عين لم نصدق و أما قوله ص في حديث الدجال و دعواه إنه إله فعهد إلينا رسول الله ص أن أحدنا لا يرى ربه حتى يموت لأن الغطاء لا ينكشف عن البصر إلا بالموت و البصر من العبد هوية الحق فعينك غطاء على بصر الحق فبصر الحق أدرك الحق و رآه لا أنت فإن الله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ و لا ألطف من هوية تكون عين بصر العبد و بصر العبد لا يدرك الله و ليس في القوة أن يفصل بين البصرين و الخبير علم الذوق فهو العليم خبرة إنه بصر العبد في بصر العبد و كذا هو الأمر في نفسه و إن كان حيا فقد استوى الميت و الحي في كون الحق تعالى بصرهما و ما عندهما شيء فإن الله لا يحل في شيء و لا يحل فيه شيء إذ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

فكل سمع و بصر هوية الحق و قد
فانظر إذا أبصرت من تبصره وتر العدد
و كن به معترفا في كل غي و رشد

«الباب الثاني و أربعمائة في معرفة منا زلة من غالبني غلبته و من غالبته غلبني فالجنوح إلى السلم أولى»

من غالب الحق ما ينفك ذا نصب و لا يزال مع الأنفاس في تعب

فاجنح إلى السلم لا تجنح إلى الحرب وإن تحارب فخيل الله في الطلب

أني نصحتك فاسمع ما أفوه به إن الهلاكين مقرونان بالحرب

فاحذر فديتك أفلاكا تدور بما لا ترتضيه وخف مصارع النوب

لو جاءك الملأ العلوي مبتليا بالحرب سلم له وجد في الهرب

و انزع إليه و قل يا منتهى أملي أ لست تعلم أن العز في الحجب

قال الله عز وجل وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللهاعلم أنه قد تقرر عند أصحاب الأفكار أن لله صفات و أسماء لها مراتب و للعبد التخلق و التحلي بها على حد مخصوص و نعت منصوص عليه و حال معين إذا تعدى ذلك العبد كان للحق منازعا و استحق الإقصاء و الطرد عن القرب السعادي كما ورد فيقوله تعالى الكبرياء ردائي و العظمة إزاري من نازعني واحدا منهما قصمتهو للعبد صفات و أسماء تليق به و قد داخله الحق في الاتصاف بها مما تحيله العقول و لكن وردت به الشرائع و وجب الايمان بها فلا يقال كيف مع إطلاقها عليه قربة و إيمانا من لم يقل بها و أنكرها فقد كفر و مرق من الإسلام و من تأولها كان على قدم الغرور فلا نعلم نسبتها إلى الله إلا بإعلام الله وكذلك كل اسم تحلينا به من أسمائه أيضا مجهول النسبة إليه عندنا إلا أن يعلمنا الله فنعلم ذلك بإعلامه فالكل على السواء ما لنا و ما له فلما عين ما عين له و تحلينا به سمي ذلك مغالبة منا للحق و لما عين ما عين لنا و اتصف به سمي ذلك بغالبة من الحق و موضع الجنوح إلى السلم من هذا الأمر هو أن ترد الكل إليه فما أعطانا من ذلك و لو أعطانا الكل قبلناه على جهة الإنعامو اعلم أن سبب المنازعة و المغالبة أمران الاستخلاف الذي هو الإمامة و الخلق على الصورة فلا بد للخليفة أن يظهر بكل صورة يظهر بها من استخلفه فلا بد من إحاطة الخليفة بجميع الأسماء و الصفات الإلهية التي يطلبها العالم الذي ولاة عليه الحق سبحانه و لما اقتضى الأمر ذلك أنزل أمرا منه إليه سماه شرعا بين فيه مصارف هذه الأسماء و الصفات الإلهية التي لا بد للخليفة من الظهور بها و عهد إليه بها فكل نائب في العالم فله الظهور بجميع الأسماء و من النواب من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها و قام بالعدل في الرعايا و استند إلى الحق في ذلك كملوك زماننا اليوم مع الخليفة فمنهم السمع و الطاعة فيما يوافق أغراضهم و ما لا يوافق فهم فيه كما هم في أصل توليتهم ابتداء و منهم من لا يعمل بمكارم الأخلاق و لا يمشي بالعدل في رعيته فذلك هو المنازع لحدود مكارم الأخلاق و المغالب لجناب الحق في مغالبته رسل الله كفرعون صاحب موسى ع و أمثاله و الحق له الاقتدار التام لكن من نعوته الإمهال و الحلم و التراخي بالمؤاخذة لا الإهمال فإذا أخذ لم يفلت و زمان عمر الحياة الدنيا زمان الصلح و استدراك الفائت و الجبر بمن قام بمصالح الأمور المرضية عند الله تعالى المسماة خيرا الموافقة لما نزلت بها الشرائع غير أن هذا الإمام لم يتصف بها من حيث ما شرعت و لا من حيث ما أوصى الحق بها و لكن اتصف بها لكونها مكارم أخلاق عرفية عرف الحق قدرها و أثنى على من اتصف بها كما قال ص

في تاريخ ميلاده عن كسرى و هو من جملة النواب الملوك قال ولدت في زمان الملك العادل فسماه ملكا و وصفه بالعدل و إن كان فيه على غير شرع منزل فهو صفة مرعية عند الله و سماهم ملوكا و إن كان الحق ما استخلفهم بالخطاب الإلهي على الكشف لكنهم نوابه من وراء الحجاب فإذا ظهروا بصفات ما ينبغي للملك أن يظهر بها و لم يوافق بها المصارف الإلهية التي شرعها الحق بالسنة الرسل نعت ذلك بالمنازع و المغالب فهما ظهر كانت الغلبة له و مهما ظهر عليه كانت الغلبة للحق فكان الحرب سجالا له و عليه و صورة السلم موافقة الحق في المصارف من غير اتباع و هذا كله فيمن قام في الملك بنفسه و أما ولاة الحق من الرسل فليس إلا العدل المحض و لا تتصور منازعة من أولئك صلوات الله عليهم و أما الأئمة الذين استنابهم الله و استخلفهم بتقديم الرسل إياهم على القيام بما شرع في عباده من الأحكام فهم على قسمين قسم يعدلون بصورة حق و لا يتعدون ما شرع لهم و القسم الآخر قائلون بما شرع لهم غير أنهم لم يرجعوا ما دعوا إليه في المصارف التي دعاهم الحق إليها و جاروا عن الحق في ذلك و علموا أنهم جائرون قاسطون فهم من حيث الصورة الظاهرة مغالبون و منازعون فيمهلهم الله لعلهم يرجعون ففي زمان ذلك الإمهال تظهر الغلبة لهم على الحق المشروع الذي يرضى من استخلفهم و في وقت تكون الغلبة للحق عليهم بإقامة منازع في مقابلته يدعو ﴿إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ و إذا ظهر هذا فقد أوجب الحق على عباده القتال معه و القيام في حقه و نصرته و الأخذ على يد الجائر و لا يزال الأمر على ما قلناه حتى يأتي أمر الله و تنفذ الكلمة الحق و يتوحد الأمر و تعم الرحمة و يرجع الأمر كله إليه كما كان أول مرة و يرتفع بعض النسب و يبقى بعضها بحسب المحل و الدار و النشأة التي تصير فيها و إليها فإن للزمان حكما و للمكان حكما و للحال حكما و الله يقضي الحق ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ فتزول المغالبة و المنازعة و يبقى الصلح و السلم في دار السلام إلى أبد لا ينقضي أمده بأزل لا يعينه أبده ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

إن الخليفة من كانت إمامته ❊ من صورة الحق و الأسماء تعضده
ليس الخليفة من قامت أدلته ❊ من الهوى و هوى الأهواء يقصده
له التقدم بالمعنى و ليس له ❊ توقيع حق و لا شرع يؤيده
فيدعي الحق و الأسياف تعضده ❊ و هو الكذوب و نجم الحق يرصده

«الباب الثالث و أربعمائة في معرفة منازلة لا حجة لي على عبيدي ما قلت لأحد منهم لم عملت إلا قال لي أنت عملت»

و قال الحق و لكن السابقة أسبق بلا شك فلا تبديل

إذا كنت حقا فالمقال مقالتي ❊ و إن لم أكن فالقول قول المنازع
لي الحجة البيضاء في كل موطن ❊ به فهي تبدو في قريب و شاسع
و لما دعاني للحديث مسامرا ❊ تجافت جنوبي رغبة عن مضاجعي

فقال لنا أهلا بأكرم سامر　　يعيد عن الأكفاء للكل جامع

فقلت له لولاك ما كنت جامعا　　لحق و خلق ثم فاضت مدامعي

فقال أ تبكي قلت دمع مسرة　　لما ملئت مما تقول مسامعي

قال الله عز و جل وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ اعلم أن الكريم هو الذي يترك ماله و يؤدي ما أوجبه على نفسه من الحقوق كرما منه قبل أن يسألها ثم إنه يمنع وقتا و يطالب وقتا لتظهر بذلك منزلة الشافع عنده في مثل هذا و كرمه بالسائل فيما سأله فيه بإجابته و عبيد الله عبد إن عبد ليس للشيطان عليه سلطان و هو عبد الاختصاص و هو الذي لا ينطق إلا بالله و لا يسمع إلا بالله فالحجة لله لا له قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فإنها حجة الله و من عبيد الاختصاص من ينطق عن الله و يسمع من الله فهذا أيضا من أهل الحجة البالغة لأنه لا ينطق عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحى فهو تعالى السائل و المجيب و أما عبد العموم فهو الذي قال عنهم لرسول الله ص وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فما خص عبيدا من عبيد و أضافهم إليه و قوله يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا فأضافهم إليه مع كونهم مسرفين على الإطلاق في الإسراف و نهاهم أن يقنطوا من رحمة الله و هذا و أمثاله أطمع إبليس في رحمة الله من عين المنة و لو قنط من رحمة الله لزاد إلى عصيانه عصيانا و أخبر الله عنه في إسرافه أنه يعدنا الفقر و يأمرنا بالفحشاء ليجعل فضله تعالى في مقابلة ما وعد به الشيطان من الفقر الذي هو به مأمور في قوله تعالى وَعِدْهُمْ فهو مصدق لله فيما أخبر به عنه ممتثل أمر الله بشبهة في أمره في قوله وَعِدْهُمْ و جعل مغفرته في مقابلة الفحشاء و الأمر بالفحشاء من الفحشاء فدخل تحت وعد الحق بالمغفرة فزاده طمعا و إن كانت دار النار مسكنه لأنه من أهلها و إن حارت عليه أو زار من اتبعه ممن هو من أهل النار فما حمل إلا ما هو منقطع بالغ إلى أجل و فضل الله لا انقطاع له لأنه خارج عن الجزاء الوفاق و رحمة الله لا تخص محلا من محل و لا دارا من دار بل وسعت كل شيء فدار الرحمة هي دار الوجود و هؤلاء العبيد المذكورون ذكرهم الله بالإضافة إليه و الإضافة إليه تشريف فجمع في الإضافة بين العبيد الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ الذين نهاهم سبحانه أن يقنطوا من رحمة الله و بشرهم أنه يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً و لم يعين وقتا فقد تكون المغفرة سابقة لبعض العبيد لاحقة لبعض العبيد و بين العبيد الذين ليس للشيطان عليهم سلطان

فما ثم إلا عبده و هو ربه　　و ما ثم إلا راحم و رحيم

أراد بالرحيم هنا المرحوم اسم مفعول مثل قتيل و جريح و طريد و لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ الله و هي أعيان العالم و إنما التبديل لله لا لهم ما نَنْسَخْ من آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها و في قراءة أو ننساها فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ و هي ما بشرنا به من عموم مغفرته من بَعْدِ ما جاءَتْهُ فمن هنا و إن كانت شرطا ففيها رائحة الاستفهام و قال في الجواب فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ و لم يقل فإن الله يعاقب من بدل نعمة الله فهو كما قال شَدِيدُ الْعِقابِ في حال العقوبة فما ثم من يقدر يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ من بَعْدِ ما جاءَتْهُ فيبدل نعمة الله بما هو خير منها بحسب حاجة الوقت فإن الحكم له أو مثلها و النسخ تبديل لا بدائم أنه القائل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا فمن لم يظن بالله خيرا فقد

عصى أمره و جهل ربه و أشقى من إبليس فلا يكون و قد أخبر الله تعالى عنه أنه يتبرأ من الكافر و وصفه بالخوف لله رب العالمين و قد ذكر تعالى أنه إِنَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ الْعُلَماءُ و أتم هذه الآية بقوله إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ أي يمتنع أن يؤثر فيه أمر يحول بينه و بين عموم مغفرته على عباده غَفُورٌ ببنية مبالغة في الغفران بعمومها فهي رجاء مطلق للعصاة على طبقاتهم و قوله فيمن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ من بَعْدِ ما جاءَتْهُ أنه شَدِيدُ الْعِقابِ أي يسرع تعالى إلى من هذه صفته بالعقاب و هو أن يعقبه فيما بدله أن التبديل لله عز و جل ليس له فيعرفه أنه بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فإن الله ما قرن بهذا العقاب ألما و متى لم يقرن الألم بعذاب أو عقاب فله محمل في عين الأمر المؤلم فإنه لا يخاف إلا من الألم و لا يرغب إلا في الالتذاذ خاصة هذا يقتضيه الطبع الذي وجد عليه من يقبل الألم و اللذة و قد أعطى الله لعبيدة في القرآن من الاحتجاج ما لا يحصى كثرة كل ذلك تعليم من الله فلو كان الشقاء يستأصل الشقي ما بسط الله لعباده من الرحمة ما بسط و لا ذكر من الحجج ما ذكره و هو قوله وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً و لا يعظم الفضل الإلهي إلا في المسرفين و المجرمين و أما في المحسنين ف ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ من سَبِيلٍ فإن الفضل الإلهي جاءهم ابتداء و به كانوا محسنين و ما بقي الفضل الإلهي إلا في غير المحسنين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَيَهْدِي من يَشاءُ . إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

«الباب الرابع و أربعمائة في معرفة منازلة من شق على رعيته سعى في هلاك ملكه و من رفق بهم بقي ملكا كل سيد قتل عبدا من عبيده فإنما قتل سيادة من سياداته إلا أنا فانظره»

حكم الإضافة يبقيه و يبقينا و تلك حكمته سبحانه فينا
لو لا العبيد لما كانت سيادة من ساد العباد و لا كانوا موالينا
قد قال في خلدي ما كان معتقدي عند النداء كما كنا يكونونا
ما يعدم الحق موجودا لزلته و كيف يعدم من فيه يوالينا
بكونه كان خلاقا و ليس له في نفسه أثر و لا يبارينا

قال الله تعالى الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ لم يقل رب نفسه لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه فهذه وصية إلهية لعباده لما خلقهم على صورته و أعطى من أعطى منهم الإمامة الكبرى و الدنيا و ما بينهما و ذلك قوله ص كلكم راع و مسئول عن رعيته فأعلى الرعاء الإمامة الكبرى و أدناها إمامة الإنسان على جوارحه و ما بينهما ممن له الإمامة على أهله و ولده و تلامذته و مماليكه فما من إنسان إلا و هو مخلوق على الصورة و لهذا أعمت الإمامة جميع الأناسي و الحكم في الكل واحد من حيث ما هو إمام و الملك يتسع و يضيق كما قررنا فالإمام مراقب أحوال مماليكه مع الأنفاس و هذا هو الإمام الذي عرف قدر ما ولاه الله عليه و قدمه كل ذلك ليعلم أن الله رقيب عليه و هو الذي استخلفه ثم نبهه على أمر لو عقل عن الله و ذلك أن السيد إذا نقصه عين أو حال ممن ساد عليه فإنه قد نقص من سيادته بقدر ذلك و عزل بقدر ذلك كمن أعتق شقصا له

في عبد فقد عتق من العبد ما عتق و لم يسر العتق في العبد كله إلا أن يعتق كله كذلك الإمام إن غفل بلهوه و شأنه و شارك رعيته فيما هم عليه من فنون اللذات و نيل الشهوات و لم ينظر من أحوال ما هو مأمور بالنظر في أحوالهمن رعاياه فقد عزل نفسه بفعله و رمت به المرتبة و بقي عليه السؤال من الله و الوبال و الخيبة و فقد الرئاسة و السيادة و حرمه الله خيرها و ندم حيث لم ينفعه الندم فإنه لو لم يسأل عن ذلك و ترك و شأنه لكان بعض شيء إلا الحق فإنه لا ينقص عنه من ملكه شيء فإن عبده إذا مات من الحياة الدنيا انتقل إليه في البرزخ فبقي حكم السيادة لله عليه بخلاف الإنسان إذا مات عبده ماتت سيادته التي كان بها سيدا عليه فهذا الفرق بيننا و بين الحق في الربوبية قال ص إن الله يحب الرفق في الأمر كلهفالعالم من علم الرفق و الرفيق و المرفوق فما من إنسان إلا و هو رفيق مرفوق به فهو مملوك من وجه مالك من وجه و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضا سخريا و الله رَفِيعُ الدَّرَجاتِ فنحن له كما هو لنا و كما نحن لنا فنحن لنا و له و هو لنا لا له و ليس في هذا الباب أشكل من إضافة العلم الإلهي إلى المعلومات و لا القدرة إلى المقدورات و لا الإرادة إلى المرادات لحدوث التعلق أعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم و القادر و المريد فإن المعلومات و المقدورات و المرادات لا نهاية لها فهو يحيط علما بأنها لا تتناهى و لما كان الأمر على ما أشرنا إليه و عثر على ذلك من عثر عليه من المتكلمين قال بالاسترسال و عبر آخر بحدوث التعلق و قال الله في هذا المقام حَتّٰى نَعْلَمَ و أنكر بعض العلماء من القدماء تعلق العلم الإلهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك و كونه غير داخل في الوجود فيعلم التفصيل من حيث ما هو تفصيل في أمر ما لا في كذا على التعيين و اضطربت العقول فيه لاضطراب أفكارها و رفع الإشكال في هذه المسألة عندنا أهل الكشف و الوجود و الإلقاء الإلهي أن العلم نسبة بين العالم و المعلومات و ما ثم إلا ذات الحق و هي عين وجوده و ليس لوجوده مفتتح و لا منتهى فيكون له طرف و المعلومات متعلق وجوده فتعلق ما لا يتناهى وجودا بما لا يتناهى معلوما و مقدورا و مرادا فتفطن فإنه أمر دقيق فإن الحق عين وجوده لا يتصف بالدخول في الوجود فيتناهى فإنه كل ما دخل في الوجود فهو متناه و البارئ هو عين الوجود ما هو داخل في الوجود لأن وجوده عين ماهيته و ما سوى الحق فمنه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله في الوجود و منه ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهي فتحقق ما نبهتك عليه فإنك ما تجده في غير هذا الموضع و على هذا تأخذ المقدورات و المرادات وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و أربعمائة في معرفة منازلة من جعل قلبه بيتي و أخلاه من غيري أحد ما يدري أحد ما أعطيه فلا تشبهوه بالبيت المعمور فإنه بيت ملائكتي لا بيتي و لهذا لم أسكن فيه خليلي إبراهيم ع»

القلب بيتك لا بيتي فاعمره ۝ فلست أذكر شيئا أنت تذكره

ذكري لنفسي حجاب إن ذكرك لي ۝ هو السرور الذي بالحسن تغمره

إذا ذكرتك كان الذكر منك لنا ۝ فلست تذكر أمرا نحن نذكره

إن الخليل بظهر البيت مسكنه ۝ من أجل قلب له ما زلت تعمره

فلو يحل به لكنت تابعه و ليس يسكنه فلست تعمره

فالحمد لله حمدا لا يفوه به إلا الذي هو في قلبي يصوره

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن رحمة الله وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و من رحمته إن خلق الله بها قلب عبده و جعله أوسع من رحمته فإن قلب المؤمن وسع الحق كما ورد أن الله يقول ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمنفرحمته مع اتساعها يستحيل أن تتعلق به أو تسعه فإنها و إن كانت منه فلا تعود عليه و ما أحال تعالى عليه أن يسعه قلب عبده و ذلك أنه الذي يفقه عن الله و يعقل عنه و قد أمره بالعلم به و ما أمره إلا بما يمكن أن يقوم به فيكون الحق معلوما معقولا للعبد في قلبه و لا يتصف بأنه تعالى مرحوم فهذا يدلك على إن الرحمة لا تناله من خلقه كما يناله التقوى أعني تقوى القلوب كما قال وَلٰكِنْ يَنالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ و قال فَإِنَّها يعني شعائر الله و هي ضرب من العلم به من تَقْوَى الْقُلُوبِ و قال تعالى فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِها و ما جعلها عقلا إلا ليعقل عنه العبد بها ما يخاطبه به و مما خاطبه به إن رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و أن قلبه وسعه جل جلاله إلا أن ثم سرا أشير إليه و لا أبسطه و هو أن الله أخبر أنه أحب أن يعرف و مقتضى الحب معروف فخلقالخلق و تعرف إليهم فعرفوه فما عرفوه بنظرهم و إنما عرفوه بتعريفه إياهم فهذي إشارة لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ و المحبة علم ذوق و ما فينا إلا محب و من أحب عرف مقتضى الحب فمن هنا تعرف عموم الرحمة و الحديث الآخر غضب الله الكائن من إغضاب العبد ثمقال عنه التراجمةع في باب الشفاعة إذا سألوهم الخلق فيها يوم القيامة فيقولون إن الله قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله فزال الغضب بالانتقامو أخبرص أن الصدقة تطفئ غضب الربو هو الموفق عبده لما تصدق به فهو المطفئ غضبه بما وفق إليه عبده و هذا كثير لكن هذا القدر عند عباد الله منه فإنا لا نزيد عليه لأنا ما عرفناه إلا بتعريفه و هذا من جملة تعريفه لا من نظر المخلوق فلما اتخذ الله قلب عبده بيتا لأنه جعله محل العلم به العرفاني لا النظري حماه و غار عليه أن يكون محلا لغيره و العبد جامع فلا بد أن يظهر الحق تعالى لهذا العبد في صور شتى أي في صورة كل شيء لأنه محل للعلم بكل شيء و ليس محل العلم بالأشياء إلا القلب و الحق يغار على قلب عبده أن يكون فيه غير ربه فاطلعه أنه صورة كل شيء و عين كل شيء فوسع كل شيء قلب العبد لأن كل شيء حق فما وسعه إلا الحق فمن علم الحق من حقيته فقد علم كل شيء و ليس من علم شيئا علم الحق و على الحقيقة فما علم العبد ذلك الشيء الذي يزعم أنه علمه لأنه لو علمه علم أنه الحق فلما لم يعلم أنه الحق قلنا فيه إنه لم يعلمه و إنما قال قلب المؤمن لا غير المؤمن لكون المعرفة بالله لا تكون إلا بتعريفه لا بحكم النظر الفكري و لا يقبل تعريفه به تعالى إلا المؤمن فإن غير المؤمن لا يقبل ذلك جملة واحدة فإنه الناظر على أحد ثلاثة أمور إما أن يحيل ذلك الذي ورد به التعريف على الحق فينقسم هنا المحيلون على أقسام فمنهم من يطعن في الرسل و يجعلهم تحت سلطان الخيال و هذه الطائفة من الأخسرين الذين أضلهم الله و أعماهم عن طريق الهدى بل في طريق الهدى لو علموا فهؤلاء قد جمعوا بين الجهل و بين المروق من الدين فلا حظ لهم في السعادة و قسم آخر منهم قالوا إن الرسل هم أعلم الناس بالله فتنزلوا في الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ما هو الأمر عليه فإنه محال

فهؤلاء كذبوا الله و رسوله فيما نسب الله إلى نفسه و إلى رسله بحسن عبارة كما يقول الإنسان إذا أراد أن يتأدب مع شخص آخر إذا حدثه بحديث يرى السامع في نظره أنه ليس كما قال المخبر فلا يقول له كذبت و إنما يقول له يصدق سيدي و لكن ما هو الأمر على هذا و إنما الأمر الذي ذكره سيدي على صورة كذا و كذا فهو يكذبه و يجهله بحسن عبارة هكذا فعل هؤلاء المتأولين و قسم آخر لا يقول بأنه نزل في العبارة إلى أفهام الناس و إنما يقول ليس المراد بهذا الخطاب إلا كذا و كذا ما المراد منه ما تفهمه العامة و هذا موجود في اللسان الذي جاء به هذا الرسول فهؤلاء أشبه حالا ممن تقدم إلا أنهم متحكمون في ذلك على الله بقولهم هذا هو المفهوم من اللسان و كذلك الذي يعتقده عامة ذلك اللسان هو أيضا المفهوم من ذلك فما يمنع أن يكون المجموع فأخطئوا في الحكم على الله بما لم يحكم به على نفسه فهؤلاء ما عبدوا إلا الإله الذي ربطت عليه عقولهم و قيدته و حصرته و قسم آخر قال نؤمن بهذا اللفظ كما جاء من غير أن نعقل له معنى حتى نكون في هذا الايمان به في حكم من لم يسمع به و نبقى على ما أعطانا دليل العقل من إحالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهذا القسم متحكم أيضا بحسن عبارة و إنه رد على الله بحسن عبارة فإنهم جعلوا نفوسهم حكم نفوس لم تسمع ذلك الخطاب و قسم آخر قالوا نؤمن بهذا اللفظ على حد علم الله فيه و علم رسوله ص فهؤلاء قد قالوا إن الله خاطبنا عبثا لأنه خاطبنا بما لا نفهم و الله يقول وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ و قد جاء بهذا فقد أبان كما قال الله لكن أبى هؤلاء أن يكون ذلك بيانا و هؤلاء كلهم مسلمون و أما الأمر الثالث فهم الذين كشف الله عن أعين بصائرهم غطاء الجهل فأشهدهم آيات أنفسهم و آيات الآفاق فتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ لا غيره فآمنوا به بل علموه بكل وجه و في كل صورة و إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فلا يرى العارف شيئا إلا فيه فهو ظرف إحاطة لكل شيء و كيف لا يكون و قد نبه على ذلك باسمه الدهر فدخل فيه كل ما سوى الله فمن رأى شيئا فما رآه إلا فيه و لذلك قال الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله لأنه ما رآه حتى دخل فيه فبالضرورة يرى الحق قبل الشيء بعينه لأنه يرى صدور ذلك الشيء منه فالحق بيت الموجودات كلها لأنه الوجود و قلب العبد بيت الحق لأنه وسعه و لكن قلب المؤمن لا غير

فمن كان بيت الحق فالحق بيته فعين وجود الحق عين الكوائن

و ما حاز المؤمن هذه السعة إلا بكونه على صورة العالم و على صورة الحق و كل جزء من العالم ما هو على صورة الحق فمن هنا وصفه الحق بالسعة قال أبو يزيد البسطامي في سعة قلب العارف لو أن العرش يعني ملك الله و ما حواه من جزئيات العالم و أعيانه مائة ألف ألف مرة لا يريد الحصر و إنما يريد ما لا يتناهى و لا يبلغه المدى فعبر عنه بما دخل في الوجود و يدخل أبدا في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به و ذلك لأن قلبا وسع القديم كيف يحس بالمحدث موجودا و هذا من أبي يزيد توسع على قدر مجلسه لإفهام الحاضرين و أما التحقيق في ذلك أن يقول إن العارف لما وسع الحق قلبه وسع قلبه كل شيء إذ لا يكون شيء إلا عن الحق فلا تتكون صورة شيء إلا في قلبه يعني في قلب ذلك العبد الذي وسع الحق

من صورة صورة و سورة فهو الهيولى لكل صورة

أقامك الحق فيه سورة و أنت ما بين ذا و هذا

و ينظر إلى قول أبي يزيد ما قال الجنيد أن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر إلا أن قول الجنيد هنا أتم من قول أبي يزيد فإن المحدث إذا قرنته بالقديم كان الأثر للقديم لا للمحدث فتبين لك بهذه المقارنة ما هو الأمر عليه و هو ما قلناه فإنه لا يمكن أن يجهل الأثر و إنما كان قبل هذه المقارنة ينسب إلى المحدث فلما قرنه بالقديم رأى الأثر من القديم و رأى المحدث عين الأثر فقال ما قال و لا نشك بعد أن تقرر هذا أن الخليل إبراهيم ع بهذه المثابة هو و الرسول صلوات الله عليهم قد وسع قلبه الحق فجعله تعالى مسندا ظهره إلى البيت المعمور و ما دخله لأنه لو دخله لوسع البيت المعمور الحق لأنه قد وسع من وسعه و هي إشارة لا حقيقة فإن جسم إبراهيم ع محصور بجيرون بلا شك فما نريد إلا الصورة التي هو عليها في البرزخ الذي انتقل إليه بالموت و أما قوله و أخلاه من غيري هو قوله ع فيمن يقرأ القرآن من شغله ذكري يعني القرآن يقرأه العبد عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين قال تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ و هو القرآن و قال فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ يعني أهل القرآن لأنه قال ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ فهو الجامع لكل شيء فمن اعتقد غير أوجب عليه أن يخلي قلبه للحق و الناس يتفاضلون في الدرجات فإن الله قد فضل العالم بعضه على بعض و أفضل المفاضلة فضل العلم بالله أ لا تراه قد أعطاه تعالى أعني للإنسان بمنزلة الاسم الآخر الذي لله و أعطى نفسه تعالى الاسم الأول في رتبة العلم به و جعل الملك محاطا به بين الأول و الآخر فمن كان له علم بالمراتب علم ما للملك من الله و ما له من الإنسان و لهذا كان الملك و هو الروح الأمين يأتي بالوحي من الاسم الأول الذي لله إلى العبد الكامل الرسول النازل في منزل الاسم الإلهي الآخر و هو قوله تعالى شَهِدَ اللهُ فبدأ بنفسه في الشهادة بتوحيده ثم ذكر الملائكة ثم ذكر بعد الملائكة أولي العلم و هم الأناسي فلِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ و الملك ما بينهما و هكذا كان أمر الوجود فالأولية للحق ثم أوجد الملك ثم أوجد الإنسان و أعطاه الخلافة و لم يعطها الملك لأن الوسط له و كل وسط فهو محاط به فافهم فصورة فضل الملك على الإنسان بما أتاه به من عند الله و ليس ذلك بدليل قاطع على الفضيلية في العقل و في اللسان كما إن خلق السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّاسِ لأن الناس في رتبة الانفعال عن حركة الأفلاك و قبول التكوين الذي في العناصر فما ثم إلا وجوه خاصة و ما ثم وجه محيط فمن وجه يفضل و من وجه يكون مفضولا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و أربعمائة في معرفة منازلة ما ظهر مني شيء لشيء و لا ينبغي أن يظهر»

و سوانا ما ثم أين الظهور لو ظهرنا للشيء كان سوانا

و لهذا أنا الإله الغيور أنت عين الوجود ما ثم غير

أنا باق و أنت فإن تبور لا تقل يا عبيد إنك أني

و لهذا لك الفناء و النشور كل وقت فأنت خلق جديد

يقول الحق ما ثم شيء أظهر إليه لأني عين كل شيء فما أظهر إلا لمن ليست له شيئية الوجود فلا تراني إلا الممكنات في شيئية ثبوتها فما ظهرت إليها لأنها لم تزل معدومة و أنا لم أزل موجودا فوجودي عين ظهوري و لا ينبغي أن يكون الأمر إلا هكذا و لما كانت إلا حكم فيما ظهر لأسمائي و في نفس الأمر لأعيان الممكنات و الوجود عيني لا غيري و فصلت الأحكام الإمكانية الصور في العين الواحدة كما يقول أهل النظر في تفصيل الأنواع في الجنس و تفصيل الأشخاص في النوع كذلك تفصيل الصور الإمكانية في العين و ترى الأسماء أنا مسماها أعني الأسماء الحسنى فيجعل الأثر لها و في الحقيقة ما الأثر إلا لأعيان الممكنات و لهذا ينطلق على صور أسماء الممكنات و من أسماء الممكنات أسماء الله فلها نسبتان نسبة إلى الله تعالى و نسبة إلى صور الممكنات فالحق ليس بظاهر لأعيان صور الممكنات من حيث ما هي صور لها لا من حيث إنها ظهرت في عين الوجود الحق و الشيء إذا كان في الشيء بمثل هذه الكينونة من القرب لا يمكن أن يراه فلا يمكن أن يظهر له كما نراه في الهواء ما منعنا من رؤيته إلا القرب المفرط فلا يمكن أن نراه و لا يمكن أن يظهر لنا عادة فلو تباعد عنا لرأيناه و من المحال بعد الصور عن العين التي توجد فيها لأنها لو فارقتها انعدمت كما هو الأمر في نفسه فإن الصور في هذه العين تنعدم و هي في لبس من خلق جديد فالممكنات من حيث إن لها الأسماء الإلهية وهابة هذه الصور الظاهرة بعضها لبعض في عين الوجود فما أظهرت هذه الأعيان الممكنات صورة إلا بالأسماء الإلهية من قائل و قادر و خالق و رازق و محي و مميت و معز و مذل و أما الغني و العزة فهي للذات و هو الغني العزيز فغناها لها بكونها تعطي هذه الصور و لا تقبل العطاء لما تعطيه حقيقة ذاتها و أما العزة لها فإن هذه الصور لا تعطيها و لا تؤثر فيها علما بما تستفيده في حال وجودها بعضها من بعض فإن الأعيان هي المعطية لهذه الصور تلك العلوم التي استفادتها بالأسماء الإلهية و هذا معنى قوله تعالى حَتَّى نَعْلَمَ و هو العالم بلا شك فالحق عالم و الأعيان عالمة و مستفيدة و العلم أنما هو عين الصور و استفادتها من الأسماء الإلهية التي أعطتها أعيان الممكنات العلوم و من هنا تعلم حكم الكثرة و الوحدة و المؤثر و المؤثر فيه و الأثر و نسبة العالم من الله و نسبة تنوع الصور الظاهرة و ما ظهر و من ظهر و ما بطن و من بطن و حقيقة الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ و إنها نعوت لمن لِلّٰهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ فتحقق ما ذكرناه في هذا الباب فإنه نافع جدا يحوي على أمر عظيم لا يقدر قدره إلا الله فمن عرف هذا الباب عرف نفسه هل هو الصورة أو هو عين واهب الصورة أو هو عين العين الثابتة الممكنة التي لها العدم من ذاتها و من عرف نفسه عرف ربه ضرورة فما يعرف الحق إلا الحق فلا تقدم و لا تأخر لأن الممكن في حال عدمه ليس بمتأخر عن الأزل المنسوب إلى وجود الحق لأن الأزل كما هو واجب لوجود الحق هو واجب لعدم الممكن و ثبوته و تعيينه عند الحق و لولا ما هو متعين عند الحق مميز عن ممكن آخر لما خصصه بالخطاب في قول كُنْ و من عرف هذا الباب عرف من يقول كن و لمن يقال كن و من يتكون عن قول كن و من يقبل حكم الكاف و النون وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و أربعمائة في معرفة منازلة في أسرع من الطرفة تختلس مني إن نظرت إلى غيري لا لضعفي و لكن لضعفك»

يلعب الدهر كيف شاء بناسه □ التفات المصلي عين اختلاسه

و أناس الزمان عين أناسه	و هو الدهر و المشيئة منه

و قلوب الرجال عين لباسه	كل شيء له لباس مسمى

بوجودي كالظي عند كناسه	و أنا صورة له ثم يخفى

يتعالى عنها بأصل أساسه	لحدود قامت بصورة كوني

دخلت على شيخنا أبي محمد عبد الله الشكاز بأغرناطة من بلاد الأندلس وكان من أهل باغة و هو من أكبر من لقيته في طريق الله فقال لي يا أخي الرجال أربعة وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ و رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ وأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا يريد على أرجلهم لا يركبون وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ فأراد بالرجال الأربعة حصر المراتب لأنه ما ثم إلا رسول و نبي و ولي و مؤمن و ما عدا هؤلاء الأربعة فلا اعتبار لهم من حيث أعيانهم لأن الشيء لا يعتبر إلا من حيث منزلته لا من حيث عينه الإنسانية فالإنسانية واحدة العين في كل إنسان و إنما يتفاضل الناس بالمنازل لا بالعين حتى في الصورة من جميل و أجمل و غير جميل و لهذا ما جاء رضي الله عنه في ذكر الرجال بأكثر من أربعة فما أراد بالأربعة إلا ما ذكرناه و ما أراد بالرجال في هذه الآيات الذكران خاصة و إنما أراد هذا الصنف الإنساني ذكرا كان أو أنثى و لما قلت له في قوله يَأْتُوكَ رِجالًا المراد به من أتى ماشيا على رجله قال رضي الله عنه الرجل لا يكون محمولا و الراكب محمول فعلمت ما أراد فإنه قد علم إن رسول الله ص ما أسرى به إلا محمولا على البراق فسلمت إليه ما قال و ما أعلمته رضي الله عنه إن البقاء على الأصل هو المطلوب لله من الخلق و لهذا ذكره تعالى بقوله وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً يعني موجودا يقول له ينبغي لك أن تكون و أنت في وجودك من الحال معي كما كنت و أنت في حال عدمك من قبولك لاوامري و عدم اعتراضك بأمره بالوقوف عند حدوده و مراسمه فيتكلم حيث رسم له أن يتكلم و يتكلم بما أمره به أن يتكلم فيكون سبحانه هو المتكلم بذلك على لسان عبده و كذلك في جميع حركاته و سكناته و أحواله الظاهرة و الباطنة لا يقول في وجوده إنه موجود بل يرى نفسه على صورته في حال عدمه هذا مراد الحق منه بالخطاب فهو محمول بالأصالة غير مستقل فإن المحدث لا يستقل بالوجود من غير المرجح فلا بد أن يكون محمولا و لهذا ما أسرى برسول قط إلا على براق إذا كان إسراء جسميا محسوسا و إذا كان بالإسراء الخيالي الذي يعبر عنه بالرؤيا فقد يرى نفسه محمولا على مركب و قد لا يرى نفسه محمولا على مركب لكن يعلم أنه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها إذ قد علمنا أن جسمه في فراشه و في بيته نائم فاعلم ذلك و أما ما ذهب إليه الشيخ من الاستقلال و عدم الركوب فذلك هو الذي يحذر منه فإنه الاختلاس الذي ذكرنا فإن العبد هنا اختلسته نفسه بالاستقلال و هو في نفسه غير مستقل فأخذه ذلك الاختلاس من يد الحق فتخيل أنه غير محمول فلم يعرف نفسه و من لم يعرف نفسه جهل ربه فكان الغير هنا الذي نظر إليه عين نفسه و ذلك لضعفه في العلم بالأصل الذي هو عليه و لا شك أن مرتبة الرسل ع قد جمعت جميع مراتب الرجال من نبوة و ولاية و إيمان و هم المحمولون فمن ورثهم و كان محمولا يعلم ذلك من نفسه و إنما قلنا يعلم ذلك من نفسه

لأن الأمر في نفسه أنه محمول و لا بد و لكن من لا علم له بذلك يتخيل أنه غير محمول فلهذا قيدنا و في قوله يَأْتُوكَ رِجالًا فالذي دعاهم قال لهم قولوا وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قال لهم اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ و اصبر و أو كل معنى محمول بلا شك فإنه غير مستقل بالأمر إذ لو استقل به لما طلب العون و المعين و قوله رضي الله عنه رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فهم في تجارتهم في ذكر الله لأن التجارة على الحد المرسوم الإلهي من ذكر الله كما قالت عائشة عن رسول الله ص أنه كان يذكر الله على كل أحيانه مع كونه يمازح العجوز و الصغير وكل ذلك عند العالم ذكر الله لأنه ما من شيء إلا و هو يذكر بالله فمن رأى شيئا لا يذكر الله عند رؤيته فما رآه فإن الله ما وضعه في الوجود إلا مذكرا فلم تلههم التجارة و لا البيع عن ذكر الله و كذلك رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ في أخذ الميثاق الذي أخذ الله عليهم فوفوا به و قيل فيهم صدقوا لأنهم غالبوا فيه و في الوفاء به الدعاوي المركوزة في النفوس التي أخرجت بعض من أخذ عليه الميثاق أو أكثره عن الوفاء بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فليس الرجل إلا من صدق مع الله في الوفاء بما أخذ عليه كما صدق النبي فيما أخذ الله عليه في ميثاق النبيين و المرسلين و قوله وَعَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ و هم أعظم الرجال في المنزلة فإن لهم الاستشراف على المنازل فما أشار بالأعراف هنا هذا الشيخ إلى من تساوت حسناته و سيئاته و إنما أخذه من حيث منزلة الاستشراف فإن الأعراف هنا هو السور الذي بين الجنة و النار باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ و هو الذي يلي الجنة وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ و هو الذي يلي النار فجعل النار من قبله أي يقابله و المقابل ضد فلم يجعل السور محلا للعذاب و جعله محلا للرحمة بقوله باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ فانظر ما أعجب تنبيه الله عباده بحقائق الأمور على ما هي عليه وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فأهل الأعراف في محل رحمة الله و ذلك هو الذي أطمعهم في الجنة و إن كانوا بعد ما دخلوها ثم ذكر أن لهم المعرفة بمقام الخلق فقال يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيماهُمْ أي بما جعلنا فيهم من العلامة و قوله وَنادَوْا أَصْحابَ الْجَنَّةِ . . . لَمْ يَدْخُلُوها فإنهم في مقام الكشف للأشياء فلو دخلوا الجنة استتر عنهم بدخولهم فيها و سترتهم لأنها جنة عن كشف ما هم له كاشفون و قولهم سَلامٌ عَلَيْكُمْ تحية إقبال عليهم لمعرفتهم بهم و تحية لانصرافهم عنهما إلى جناتهم يقول الله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا و يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك و معلوم أن الاستعانة شرك في العمل فإن كان العمل له فأين العبد و إن كان للعبد فقد أشرك نفسه فاختلسه هذا القدر من توحيد الأفعال فمن علم أن العبد محل لظهور العمل فلا بد منه و لا بد من القبول إن قيل إنه تعالى أوجد العبد و العمل فلو لم يكن العبد قابلا لإيجاد القادر إياه لما وجد دليلنا المحال فلا بد من قبول الممكن فلا بد من الاشتراك في الإيجاد إن كان في إيجاد العبد فلا بد منه و إن كان في إيجاد العمل التكليفي فلا بد من العبد فعلى كل حال لا بد منك و منه إلا أنك منعوت بالضعف فقال تعالى اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ لكون الممكن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الترجيح على كل حال ثم جعل من بعد ضعف قوة للتكليف إلا أنه لا يستقل فأمر بطلب المعونة فلو لا أن للمكلف نسبة و أثرا في العمل ما صح التكليف و لا صح طلب المعونة من ذي القوة المتين فإن شئت سميت أنت ذلك القدر من الاشتراك كسبا و إن شئت سميته خلقا بعد أن عرفت المعنى و أما أهل الله أرباب الكشف فكما قلنا إن ذلك كله أحكام أعيان الممكنات في العين الوجودية الظاهرة في الصور عن آثار الأسماء الإلهية الحسنى من حيث إن الممكن متصف بها فهي للحق

أسماء و هي للممكن نعوت و صفات في حال عدم الممكن لأن وجود عينه من حيث الحقيقة قد بينا أنه لا يتصور فما استفاد الممكن إلا ظهور أحكامه بوجود الصور التي تتبعها أسماء الممكنات فكما أن أسماء الله الحسنى للممكن على طريق النعتية كذلك الأسماء الكونية التي تنطلق على الصور الكائنة في عين الوجود هي أسماء للعين الوجودية قال تعالى قُلْ سَمُّوهُمْ في معرض الدلالة فإذا سموهم قالوا هذا حجر هذا شجر هذا كوكب و الكل اسم عبد ثم أبان الحق تعالى ذلك كله ليعقل عنه فقال تعالى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ فقلتم عن العين من أجل الصورة إنها حجر أو شجر أو كوكب أو أي اسم كان من المعبودين الذين ما لهم اسم الله فما قال أحد من خلق الله أنا الله إلا الله المرقوم في القراطيس إذا نطق يقول أنا الله فتعلم عند ذلك ما معنى قوله أنا الله و إنه حق أعني هذا القول في ذلك اللسان المصطلح عليه و يقوله أيضا العبد الكامل الذي الحق لسانه و سمعه و بصره و قواه و جوارحه كأبي يزيد و أمثاله و ما عدا هذين فلا يقول أنا الله و إنما يقول الاسم الخاص الذي له في ذلك اللسان له فاعلم ذلك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و أربعمائة في معرفة منازلة يوم السبت حل عنك مئزر الجد الذي شددته فقد فرغ العالم مني و فرغت منه»

فرغنا من الأجناس فالخلق خلقنا و قد بقيت أشخاصها تتكون
مدى الجود و الأنفاس فالأمر دائم إلى غير غايات له تتعين
هو الغاية القصوى فليست نهاية سواه فهذا حقه المتيقن
أنا البدء لا عود تراه لأنه هو الواسع المختار بي فتبينوا
أنا أول بالقصد فالكون كوننا و آخر موجود أنا يتيقن
كلوا طيبات الرزق من كل جانب فمن أجلنا بانوا و لله كونوا

قال الله تعالى إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ فنقول من باب الإشارة لا من باب التفسير يتجاوزون بالراحة حدها و بها سمي السبت سبتا فإن الله خلق العالم في ستة أيام بدأ به يوم الأحد و فرغ منه يوم الجمعة و ما مسه من لغوب و لم يعي بخلقه الخلق فلما كان يوم السابع من الأسبوع و فرغ من العالم كان يشبه المستريح الذي مسه اللغوب فاستلقى و وضع إحدى رجليه على الأخرى و قال أنا الملك كذا ورد في الأخبار النبوية فسمي يوم السبت يريد يوم الراحة و هو يوم الأبد ففيه تتكون أشخاص كل نوع دنيا و آخرة فما هي إلا سبعة أيام لكل يوم وال ولاة الله فانتهى الأمر إلى يوم السبت فولى الله أمره واليا له الإمساك و الثبوت فله إمساك الصور في الهباء فنهار هذا اليوم الذي هو يوم الأبد لأهل الجنان و ليله لأهل النار فلا مساء لنهاره و لا صبح لليله و ما رأينا أحدا اعتبر هذا اليوم إلا السبتي محمد بن هارون الرشيد أمير المؤمنين و ذلك أني كنت يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بمكة قد دخلت الطواف فرأيت رجلا حسن الهيئة له هيبة و وقار و هو يطوف بالبيت أمامي فصرفت نظري إليه عسى أعرفه فما عرفته في المجاورين و لم أر عليه علامة قادم من سفر لما كان عليه من الغضاضة و النضارة فرأيته يمر بين الرجلين المتلاصقين

في الطواف و يعبر بينهما و لا يفصل بينهما و لا يشعران به فجعلت أتبع بأقدامي مواضع وطئت أقدامه ما يرفع قدما إلا وضعت قدمي في موضع قدمه و ذهني إليه و بصري معه لئلا يفوتني فكنت أمر بالرجلين المتلاصقين اللذين يمر هو بينهما فأجوزهما في أثره كما يجوزهما و لا أفصل بينهما فتعجبت من ذلك فلما أكمل أسبوعه و أراد الخروج مسكته و سلمت عليه فرد علي السلام و تبسم لي و أنا لا أصرف نظري عنه مخافة أن يفوتني فإني ما شككت فيه أنه روح تجسد و علمت أن البصر يقيده فقلت له إني أعلم أنك روح متجسد فقال لي صدقت فقلت له فمن أنت يرحمك الله فقال أنا السبتي بن هارون الرشيد فقلت له أريد أن أسألك عن حال كنت عليه في أيام حياتك في الدنيا قال قل قلت بلغني أنك ما سميت السبتي إلا لكونك كنت تحترف كل سبت بقدر ما تأكله في بقية الأسبوع فقال الذي بلغك صحيح كذلك كان الأمر فقلت له فلم خصصت يوم السبت دون غيره من الأيام أيام الأسبوع فقال نعم ما سألت ثم قال لي بلغني أن الله ابتدأ خلق العالم يوم الأحد و فرغ منه يوم الجمعة فلما كان يوم السبت استلقى و وضع إحدى رجليه على الأخرى و قال أنا الملك هذا بلغني في الأخبار و أنا في الحياة الدنيا فقلت و الله لأعملن على هذا فتفرغت لعبادة الله من يوم الأحد إلى آخر الستة الأيام لا أشتغل بشيء إلا بعبادته تعالى و أقول إنه تعالى كما اعتنى بنا في هذه الأيام الستة فإني أتفرغ إلى عبادته فيها و لا أمزجها بشغل نفسي فإذا كان يوم السبت أتفرغ لنفسي و أتحصل لها ما يقوتها في باقي الأسبوع كما روينا من إلقاء إحدى رجليه على الأخرى و قوله أنا الملك الحديث و فتح الله لي في ذلك فقلت له من كان قطب الزمان في وقتك فقال أنا و لا فخر قلت له كذلك وقع لي التعريف قال صدقك من عرفك ثم قال لي عن أمرك يريد المفارقة قلت له ذلك إليك فسلم على سلام محب و انصرف و كان بعض أصحابي و الجماعة في انتظاري لكونهم كانوا يشتغلون علي بإحياء علوم الدين للغزالي رحمه الله فأما فرغت من ركعتي الطواف و جئت إليهم قال لي بعضهم و هو نبيل بن خزر بن خزرون السبتي رأيناك تكلم رجلا غريبا حسن الوجه و سيما لا نعرفه في المجاورين من كان و متى جاء فسكت و لم أخبرهم بشيء من شأنه إلا بعض إخواني فإني أخبرتهم بقصته فتعجبوا لذلكو اعلم أيدنا الله و إياك أن الفراغ الإلهي إنما كان من الأجناس في الستة الأيام و أما أشخاص الأنواع فلا فبقي الفراغ بالأزمان لا عن الأشخاص و هو قوله تعالى سَنَفْرُغُ لَكُمْ من الشئون الذي قال فيها كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ في هذه الدنيا فيفرغ لنا منا و تنتقل الشئون إلى البرزخ و الدار الآخرة فلا يزال الأمر من فراغ إلى فراغ إلى أن يصل أوان عموم الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فلا يقع بعد ذلك فراغ يحده حال و لا يميزه بل وجود مستمر و وجود ثابت مستقر إلى غير نهاية في الدارين دار الجنة و دار النار هكذا هو الأمر في نفسه ففراغه من العالم هذا القدر الذي ذكرته آنفا و فراغ العالم منه من حيث الدلالة عليه لا غير و أما الوهب من العلم به فلا يزال دائما لكن من غير طلب في الآخرة مقالي لكن التجلي دائم و القبول دائم فالعلم متجدد الظهور لي على الدوام وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و أربعمائة في معرفة منازلة أسمائي حجاب عليك فإن رفعتها وصلت إلى»

و أعياننا أكواننا فنقول حجابك أسماء لنا و نعوت

لنا الدولة الغراء ليست لغيرنا و لا غير إلا ربنا فنصول

على من فحقق ما تقول و إنما يقول بهذا ظالم و جهول

فكل مقال فيه غير مقيد فكل مقالاتي إليه تئول

فلا ترفع الأستار بيني و بينه فذاك وجود ما إليه سبيل

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الإنسان و إن كان في نفس الأمر عبدا و يجد في نفسه ما هو عليه من العجز و الضعف و الافتقار إلى أدنى الأشياء و التألم من قرصة البرغوث و يعرف هذا كله من نفسه ذوقا و مع هذا فإنه يظهر بالرياستو التقدم و كلما تمكن من التأثير في غيره فإنه يؤثر و يجد في نفسه طلب ذلك كله و حبه و ذلك لأنه خلقه الله على صورته و له تعالى العزة و الكبرياء و العظمة فسرت هذه الأحكام في العبد فإنها أحكام تتبع الصورة التي خلق عليها الإنسان و تستلزمها فرجال الله هم الذين لم يصرفهم خلقهم على الصورة عن الفقر و الذلة و العبودية و إذا وجدوا هذا الأمر الذي اقتضاه خلقهم على الصورة و لا بد ظهروا به في المواطن التي عين الحق لهم أن يظهروا بذلك فيها كما فعل الحق الذي له هذه الصفة ذاتية نفسية فلا يظهر بها إلا في مواطن مخصوصة و يظهر بالنزول و التحبب إلى عباده حتى كأنه فقير إليهم في ذلك و يقيم نفسه مقامهم و إذا كان الحق بهذه الصفة أن ينزل إليكم في صوركم فأنتم أحق بهذا النعت أن لا تبرحوا فيه و لا تنظروا إلى ما تجدونه فيكم من قوة الصورة فذلك له لا لكم كما إن لكم ما نزل إليكم فيه لا له و لو لا إن أسماءه الحسنى قامت بكم و اتصفتم بها ما تمكن لكم ذلك فردوا أسماءه على صورته لا عليكم و خذوا منه ما نزل لكم فيه فإن ذلك نعتكم و أسماؤكم فإنكم إذا فعلتم ذلك وصلتم إليه أي كنتم من أهل القربة فإن المقرب لا يبقى له القرب و الجلوس مع الحق و التحدث معه تعالى اسما إلهيا من الأسماء المؤثرة في العالم و لا من أسماء التنزيه و إنما يدخل عليه بالذلة لشهود عزه و بالفقر لشهود غناه و بالتهيؤ لنفوذ قدرته فينخلع من كل الأسماء التي تعطيه أحكام الصورة التي خلق عليها هذا مذهب سادات أهل الطريق حتى قالوا في ذلك إن صادقين لا يصطحبان إنما يصطحب صادق و صديق و لهذا ما بعث رسول الله ص بعثا قط و لو كان اثنين إلا قدم أحدهما و جعل الآخر تبعا و إن لم يكن كذلك فسد الأمر و النظام و هو متبع في ذلك حكم الأصل فإنه لو كان مع الله إله آخر لفسد الأمر و النظام كما قال لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا فمن أراد صحبة الحق فليصحبه بحقيقته و جبلته من ذله و افتقاره و من أراد صحبة الخلق فليصحبه بما شرع له ربه لا بنفسه و لا بصورة ربه بل كما قلنا بما شرع له فيعطي كل ذي حق حقه فيكون عبدا في صورة حق أو حقا في صورة عبد كيفما كان لا حرج عليه و لما كان هذا كله مذهب أهل الله كشف الله لنا من زيادة العلم التي امتن الله بها علينا مع مشاركتنا إياهم فيما ذهبوا إليه إن الله أطلعنا على أن جميع ما يتسمى به العبد و يحق له النعت به و إطلاق الاسم عليه لا فرق بينه و بين ما ينعت به من الأسماء الإلهية فالكل أسماء إلهية فهو في كل ما يظهر به مما ذكروه مما تقتضيه العبودية عندهم و الصورة ليس له و إنما ذلك لله و ما له من نفسه سوى عينه و عينه ما استفادت صفة الوجود إلا منه تعالى فما سماه باسم إلا و هو له تعالى فإذا خرج العبد من جميع أسمائه كلها

التي تقتضيها جبلته و الصورة التي خلق عليها حتى لا يبقى منه سوى عينه بلا صفة و لا اسم سوى عينه حينئذ يكون عند الله من المقربين و وافقنا على هذا القول شيخنا أبو يزيد البسطامي حيث قال و أنا الآن لا صفة لي يعني لما أقامه الله في هذا المقام فصفات العبد كلها معارة من عند الله فهي لله حقيقة و نعتنا بها فقبلناها أدبا على علم أنها له لا لنا إذ من حقيقتنا عدم الاعتراض إنما هو التسليم الذاتي المحض لا التسليم الذي هو صفة له فإن ذلك له فإذا كان العبد ما عنده من ذاته سوى عينه بالضرورة يكون الحق جميع صفاته و يقول له أنت عبدي حقا فما سمع سامع في نفس الأمر إلا بالحق و لا أبصر إلا به و لا علم إلا به و لا حي و لا قدر و لا تحرك و لا سكن و لا أراد و لا قهر و لا أعطى و لا منع و لا ظهر عليه و عنه أمر ما هو عينه إلا و هو الحق لا العبد فما للعبد سوى عينه سواء علم ذلك أو جهله و ما فاز العلماء إلا بعلمهم بهذا القدر في حق كل ما سوى الله لا أنهم صاروا كذا بعد أن لم يكونوا فـ لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ و في مثل هذا فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب العاشر و أربعمائة في معرفة منازلة وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ فاعتزوا بي تسعدوا»

هذا هو الحق الذي لا يرام … و ليس وراء الله مرمى لرام
يحرم في هذا المقام المقام … هذا مقام الحق لا تعتدوا
هذا وجود ما لديه انصرام … إذا وصلتم إخوتي فارجعوا
ثم سوى عين الورى و الإمام … رجوعكم منه إليكم فما
فليس عز غير عز الإمام … كونوا أعزاء به تسعدوا
و لم يروا أحوالهم في دوام … لما رأوا أعراضهم لم تقم
لذاك سموا في اللسان الأنام … قالوا أنام الحق عن كوننا

قال الله تعالى يا أَهْلَ يَثْرِبَ لاٰ مُقٰامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا و قال تعالى وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ و قال ص ليس وراء الله مرمى و قال وَ اللّٰهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ و ما ثم إلا الله و نحن و هو من ورائنا محيط فليس وراء الله مرمى إلا العدم المحض الذي ما فيه حق و لا خلق فهو تعالى المحيط بنا فالوراء منا له من كل وجهة فلا نراه أبدا من هذه الآية لأن وجوهنا إنما هي مقبلة مصروفة إلى نقطة المحيط لأنا منها خرجنا فلم يتمكن لنا أن نستقبل بوجوهنا إلا هي فهي قبلتنا و هي إمامنا و من كان هذا نعته و الأمر كرى فبالضرورة يكون الوراء منا للمحيط بنا فإذا نظرنا إلى قوله وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ فإنما يريد بظهورنا لا بوجوهنا فإن مشينا إلى المحيط القهقري فهو من ورائنا محيط لأنه الوجود فلو لم يكن من ورائنا لكان انتهاؤنا إلى العدم و لو وقعنا في العدم ما ظهر لنا عين فمن المحال وقوعنا في العدم لأن الله و هو الوجود المحض من ورائنا محيط بنا إليه ننتهي فيحول وجوده و إحاطته بيننا و بين العدم فليس بين قوله وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهىٰ و بين قوله وَ اللّٰهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ تقابل لا يمكن معه الجمع بينهما

بل الجمع بينهما معلوم فالعالم بين النقطة و المحيط فالنقطة الأول و المحيط الآخر فالحفظ الإلهي يصحبنا حيثما كنا فيصرفنا منه إليه و الأمر دائرة ما لها طرف يشهد فيوقف عنده فلهذا قيل للمحمدي الذي له مثل هذا الكشف لا مُقامَ لَكُمْ لكون الأمر دوريا فارجعوا فلا يزال العالم سابحا في فلك الوجود دائما إلى غير نهاية إذ لا نهاية هناك و لا يزال وجه العالم أبدا إلى الاسم الأول الذي أوجده ناظرا و لا يزال ظهر العالم إلى الاسم الآخر المحيط الذي ينتهي إليه بورائه ناظرا فإن العالم يرى من خلفه كما يرى من أمامه و لكن يختلف إدراكه باختلاف الحال عليه و لو لا الاختلاف ما تميز عين و لا كان فرقان

إن الوجود رحى علي تدور 	و أنا لها قطب فلست أبور

لو زلت ما دارت و لا كانت رحى 	فالفقر نعت الكون فهو فقير

يا جاهلا بالأمر و هو مشاهد 	اعلم بأنك بالأمور خبير

الجمع يحجب فرقه عن عينه 	و هو الدليل عليه فهو بصير

قيل لطائفة ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فقيل لهم حق لأن الله من وَرائِهِمْ مُحِيطٌ و هو النور فلو لم يضرب بالسور بينه و بينهم لوجدوا النور الذي التمسوه حين قيل لهم فَالْتَمِسُوا نُوراً فإن الحياة الدنيا محل اكتساب الأنوار بالتكاليف و أنها دار عمل مشروع فهي دار ارتقاء و اكتساب فلما أقبلوا على الآخرة صارت الدنيا وراءهم فقيل لهم ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً أي لا يكون لأحد نور إلا من حياته الدنيا فحال سور المنع بينهم و بين الحياة الدنيا فالسور دائرة بين النقطة و المحيط فأهل الجنان بين السور و المحيط فالنور من ورائهم و باطن السور إليهم الذي فيه الرحمة و وجه السور الذي هو ظاهره ينظر إلى نقطة المحيط و أهل النار بين النقطة و ظاهر السور وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ إلى الأجل المسمى فهو حائل بين الدارين لا بين الصفتين فإن السور في نفسه رحمة و عينه عين الفصل بين الدارين لأن العذاب من قبله ما هو فيه و الرحمة فيه فلو كان فيه العذاب لتسرمد العذاب على أهل النار كما تتسرمد الرحمة على أهل الجنة فالسور لا يرتفع و كونه رحمة لا يرتفع و لا بد أن يظهر ما في الباطن على الظاهر فلا بد من شمول الرحمة لمن هو قبل ظاهر السور و لهذا قيل لهم فَالْتَمِسُوا نُوراً فلو قيل لهم التمسوا رحمة لوجدوها من حينهم بوجود السور فإذا أراد أهل الجنة أن يتنعموا برؤية أهل النار يصعدون على ذلك السور فينغمسون في الرحمة فيطلعون على أهل النار فيجدون من لذة النجاة منها ما لا يجدونه من نعيم الجنة لأن الأمن الوارد على الخائف أعظم لذة عنده من الأمن المستصحب له و ينظرن أهل النار إليهم بعد شمول الرحمة فيجدون من اللذة بما هم في النار و يحمدون الله تعالى حيث لم يكونوا في الجنة و ذلك لما يقتضيه مزاجهم في تلك الحالة فلو دخلوا الجنة بذلك المزاج لأدركهم الألم لتضرروا فإذا عقلت فليس النعيم إلا الملائم و ليس العذاب إلا غير الملائم كان ما كان فكن حيث كنت إذا لم يصبك إلا ما يلائمك فأنت في نعيم و إذا لم يصبك إلا ما لا يلائم مزاجك فأنت في عذاب حببت المواطن إلى أهلها و أهل النار الذين هم أهلها هي موطنهم و منها خلقوا و إليها رجعوا و أهل الجنة الذين هم أهلها منها خلقوا و إليها رجعوا فلذة الموطن

ذاتية لأهل الموطن غير أنهم محجوبون بأمر عارض عرض لهم من أعمالهم من إفراط و تفريط فتغير عليهم الحال فحجبهم عن لذة الموطن ما قام بهم من الأمراض التي أدخلوها على أنفسهم حتى إنهم لو لم يعملوا ما يوجب لهم وجود الآلام و الأسقام و حشروا من قبورهم على مزاج وطنهم و خيروا بين الجنة و النار لاختاروا النار كما يختار السمك الماء و يفر من الهواء الذي به حياة أهل البر فيموت أهل البر بما يحيا به أهل الماء و يموت أهل الماء بما يحيا به أهل البر فاعلم ذلك و أنت فلا يصح لك البقاء مع الحق على الدوام فإنه لا بد أن يقال ردوهم إلى قصورهم و لم يقل ردوهم إلى بيوتهم و لا إلى أزواجهم فما جاء بلفظ القصور إلا للمعنى المعقول منه فإذا ردوهم إلى قصورهم و أشرفوا على ملكهم فمن المحال أن يظهروا فيه عبيدا و إنما يظهرون فيه ملوكا فيعظمهم أهلهم و تقوم العزة عليهم في نفوسهم فتقول لهم الحقيقة ليكن عزكم الذي اقتضاه لكم الموطن بالله لا بنفوسكم فيعتزون في ملكهم بعز الله فتكون العزة لله بالأصالة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ خلعة إلهية لا بالأصالة فيسعدون بهذا العلم عند الله و يجدونه في التجلي المستأنف مع أن العلماء بالله لا يزالون في تجل دائم لما علموا أن الحق عين كل صورة و مع هذا فلهم التجلي العام في الكثيب فإن ذلك يعطي ذوقا آخر خلاف هذا الذوق الذي يجدونه دائما وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر الثامن و العشرون بانتهاء الباب العاشر و أربعمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الأحد عشر و أربعمائة في معرفة منازلة فيسبق عليه الكتاب فيدخل النار من حضرة كاد لا يدخل النار»

فخافوا الكتاب و لا تخافوني فإني و إياكم على السواء في مثل هذا قال تعالى مٰا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمٰا أَنَا بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ لحكم الكتاب على الجميع و عليهم أَ فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذٰابِ فما أصعب الأمر عند العاقل الخبير

إذ له الحكم في الوجود و فينا إن خوف الكتاب شر ذنوبي
و رأيناه فيه حقا يقينا و قرأناه في الكتاب صريحا
حادث منه حل بالعالمينا لا يخاف الإله إلا لكون

قال رسول الله ص في الصحيح عنه إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يبقى بينه و بين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار و كذلك قال في أهل الجنة ثم قال و إنما الأعمال بالخواتيم و هي على حكم السوابق فلا يقضي الله قضاء إلا بما سبق الكتاب به أن يقضي فعلمه في الأشياء عين قوله في تكوينه فما يبدل القول لديه فلا حكم لخالق و لا مخلوق إلا بما سبق به الكتاب الإلهي و لذا قال وَمٰا أَنَا بِظَلاّٰمٍ لِلْعَبِيدِ فما نجري عليهم إلا ما سبق به العلم و لا أحكم فيهم إلا بما سبق به فهذا موقف السواء الذي يوقف فيه العبد

ففي خلقه أحرى فمن يتحكم إذا كان علم الحق في الحق يحكم

فكل إلى سبق الكتاب مسلم و ليس بمختار إذا كان هكذا

له سور فينا و آي و أنجم فما الخوف إلا من كتاب تقدمت

رءوف رحيم بالعباد و أرحم فلو كان مختارا أمناه أنه

يكون لها السبق الكريم المقدم و أخبر في البشرى برحمته التي

يزول محمد الله عنه و عنهم على غضب أبداه فعل عبيده

فما مثله إياي فأفشوا و اكتموا و ليس كتابي غير ذاتي فافهموا

بَلِ الْإِنْسانُ عَلى‏ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ فانظر أيها الولي الحميم إلى ما يحوك في صدرك لا تنظر إلى العوارض فإنك بحسب ما يحوك فإن حاك الايمان فأنت مؤمن و إن حاك صرف ما وجب به الايمان إلى ما لا يقتضيه ظاهر الحكم فأنت بحسب ذلك و به يختم لك و لا تنظر إلى ما يبدو للناس منك و لا تعول إلا على ما يحوك فإنه لا يحوك في صدرك إلا ما سبق في الكتاب أن يختم به لك إلا إن الناس في غفلة عما نبهتهم عليه و لا راد لأمره و لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ و ذلك الذي يحوك في صدرك هو عين تجلى الأمر الذي لك و قسمك من الوجود الحق قال بعضهم في باب الورع ما رأيت شيئا أسهل علي من الورع كل ما حاك له شيء في نفسي تركته يؤيدهقول النبي ص دع ما يريبك إلى ما لا يريبكوقال استفت قلبك و إن أفتاك المفتونو اعلم أن الله تعالى ما كتب إلا ما علم و لا علم إلا ما شهد من صور المعلومات على ما هي عليه في أنفسها ما يتغير منها و ما لا يتغير فيشهدها كلها في حال عدمها على تنوعات تغييراتها إلى ما لا يتناهى فلا يوجدها إلا كما هي عليه في نفسها فمن هنا تعلم علم الله بالأشياء معدومها و موجودها و واجبها و ممكنها و محالها فما ثم على ما قررناه كتاب يسبق إلا بإضافة الكتاب إلى ما يظهر به ذلك الشيء في الوجود على ما شهده الحق في حال عدمه فهو سبق الكتاب على الحقيقة و الكتاب سبق وجود ذلك الشيء و يعلم ذوق ذلك من علم الكوائن قبل تكوينها فهي له مشهودة في حال عدمها و لا وجود لها فمن كان له ذلك علم معنى سبق الكتاب فلا يخف سبق الكتاب عليه و إنما يخاف نفسه فإنه ما سبق الكتاب عليه و لا العلم إلا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التي ظهر في وجوده عليها فلم نفسك لا تعترض على الكتاب و من هنا إن عقلت وصف الحق نفسه بأن له الحجة البالغة لو نوزع فإنه من المحال أن يتعلق العلم إلا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو أحتج أحد على الله بأن يقول له علمك سبق في بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني يقول له الحق هل علمتك إلا بما أنت عليه فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه و لذلك قال حتى نعلم فارجع إلى نفسك و أنصف في كلامك فإذا رجع العبد على نفسه و نظر في الأمر كما ذكرناه علم أنه محجوج و أن الحجة لله تعالى عليه أ ما سمعته تعالى يقول وَ ما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَ ما ظَلَمْناهُمْ و قال وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ كما قال وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ يعني أنفسهم فإنهم ما ظهروا لنا حتى علمناهم و هم معدومون إلا بما ظهروا به في الوجود من الأحوال و العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم فافهمه و هذه مسألة عظيمة دقيقة ما في علمي أن أحدا نبه عليها إلا إن كان و ما وصل إلينا و ما من أحد إذا تحققها يمكن له

إنكارها و فرق يا أخي بين كون الشيء موجودا فيتقدم العلم وجوده و بين كونه على هذه الصور في حال عدمه الأزلي له فهو مساوق للعلم الإلهي به و متقدم عليه بالرتبة لأنه لذاته أعطاه العلم به فاعلم ما ذكرناه فإنه ينفعك و يقويك في باب التسليم و التفويض للقضاء و القدر الذي قصاه حالك و لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذه المسألة لكانت كافية لكل صاحب نظر سديد و عقل سليم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني عشر و أربعمائة في معرفة منازلة من كان لي لم يذل و لا يخزي أبدا»

فيوم التنادي لا نذل و لا نخزى إذا كانت أعمالي إلى خالقي تعزى
فنعطي على قدر الإله إذا نجزي و آتي سليما و هو كوني محققا
و ذلك علم يورث العالم العزا و نحظى بعلم واحد فيه كثرة
به نشر الرحمن من صوره بزا ففي جنة الفردوس سوق معين
يشاء و لا كون يؤزهم أزا فمن شاء يجلي الحق في أي صورة
و لم يعرف اللات المسماة و العزى فطوبى لعبد قام لله وحده

قال الله عز و جل وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّٰا لِيَعْبُدُونِ فابتدأ بلام العلة و ختم بياء الإضافة و قال فيما أوحى به إلى موسى ع يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقتك من أجليوقال لنا على لسان رسوله ص الصوم ليو قال الصوم لا مثل له فإنه لهو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و أذل الأذلاء من كان له عز و جل لأن ذلك الذليل على قدر من ذلتحت عزه و لا عز أعظم من عز الحق فلا ذل أذل ممن هو لله و من ذل لله فإنه لا يذل لغير الله أصلا إلا أن يذل لعين الصفة حيث يراها في مخلوق أو غير مخلوق فيتخيل من لا علم له بما شهده هذا الذليل أنه ذل تحت سلطان هذا العزيز و إنما ذل تحت سلطان العزة و هي لله فما ذل إلا للحق المنعوت بهذا النعت و ينبغي له أن يذل فلها يذل كل ذليل في العالم فمنهم العالم بذلك في حال ذله و منهم من لا يعلم و أما الخزي فلا يخزي إذا كان لله فإن الخزي لا يكون من الله لمن هو له و إنما يكون لمن هو لغير الله في شهوده و لذلك قالت خديجة و ورقة بن نوفل لرسول الله ص كلا و الله لا يخزيك الله أبدا لما ذكر له ابتداء نزول الناموس عليه فالخزي الذي يقوم بالعبد إنما هو ما جناه على نفسه بجهله و تعديه رسوم سيده و حدوده فالذل صفة شريفة إذا كانت الذلة لله و الخزي صفة ذميمة بكل وجه إذا قامت بالنفس فجميع مذام الأخلاق و سفسافها صفات مخزية عند الله و في العرف و جميع مكارم الأخلاق صفات شريفة في حق و خلق أ لا ترى إلىيقول رسول الله ص إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاقفإنه نقص منها المسمى سفسافا فعين لها مصارف فعادت مكارم أخلاق فهي إذا اتصف بها العبد في المواطن المعينة لها لم يلحقه خزي و لا كان ذا صفة مخزية فما ثم إلا خلق كريم مهما زال حكم الغرض النفسي المخالف للأمر الإلهي و الحد الزماني النبوي و أما الكائنون لله فهم على مراتب منهم من هو لله بالله و منهم من هو لله بنفسه و منهم من هو لله لا بالله و لا

بنفسه لكن بغيره من حيث ما هو مجبور لذلك الغير فمن هو لله بالله فلا يذل و لا يخزي فإن الله لا يوصف بالذلة كما قال الله لأبي يزيد في بعض منازلاته تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار و من هو لله بنفسه فيذل ذل شرف لكنه لا يخزي و من كان لله لا بالله و لا بنفسه فهو بحيث يقبل الجبر فإن أجبر في الله فمنزلته منزلة من هو لله بالله في حق شخص و بنفسه في حق شخص و إن أجبر في أمر نفسي و هو بنفسه في تلك الحالة لا لله فهو في الخزي الدائم و الذل اللازم و انحصرت أقسام هذه المنازلة وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث عشر و أربعمائة في معرفة منازلة من سألني فما خرج من قضائي و من لم يسألني فما خرج من قضائي»

كل شيء بقضاء و قدر 	و الذي ليس بشيء بقضا

فالذي يفهم ما أسرده 	حاز علم السر فيه ومضى

واحدا في عصره منفردا 	قد أنار القلب منه فاضا

فإذا عاينت من نوره 	إنما عاينت برقا ومضا

ما رأينا لمقام ناله 	في وجود الكون منه عوضا

قلت لما قيل لي إن له 	في الذي يهواه منه غرضا

فالذي أخر عن تحصيله 	لم يكن إلا لأمر عرضا

اعلم أن الله تعالى عرف أن نسبة القضاء إلى القاضي لا تصح حتى يقضي صلاحية و وجودا و لا يصح له هذا الاسم حتى يقضي و لا يعين القضاء إلا حال المقضي عليه فالقضاء أمر معقول لا وجود له إلا بالمقضي به و المقضي به بعينه حال المقضي عليه و بهذه الجملة يثبت اسم القاضي فلو ارتفعت هذه الجملة من الذهن ارتفع اسم القاضي و لو ارتفعت من الوجود ارتفع أيضا حقيقة فإن أطلق أطلق مجاز أو حقيقة المجاز أو التجوز أن ينسب الوقوع إلى ما ليس بواقع المثال في ذلك ادعى شخص على شخص دينا و أنكر المدعي عليه فعينت الدعوى إقامة البينة و هو المقضي به على صاحب الدعوى و عين الإنكار المقضي به على المنكر و هو اليمين إذا لم تقم البينة و حدث اسم القاضي حقيقة للحاكم باليمين على المدعي عليه إذا أنكر و طلب إقامة البينة من المدعي فالقضاء مجمل و المقضي به تفصيل ذلك المجمل و هو القدر لأن القدر توقيت فمن سأل فحاله أوجب عليه السؤال و السؤال طلب وقوع الإجابة فإنه قال أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ و الإجابة أثر في المجيب اقتضاه السؤال فمن سأل أثر و من أجاب تأثر فالحق آمر اقتضى له ذلك حال المأمور و الخلق داع اقتضاه حال المدعو لأن الداعي يرجو الإجابة لما تقرر عنده من حال المدعو و الآمر يرجو الامتثال من المأمور لما علمه من حال المأمور فحال المأمور جعل للآمر أن يكون منه الأمر و حال المدعو جعل للداعي أن يكون منه الدعاء و كل واحد فحاله اقتضى أن يكون آمر أو داعيا فالدعاء و الأمر نتيجة بين مقدمتين هما حال الداعي و المدعو و الآمر و المأمور فزالت الوحدة و بان الاشتراك فالتوحيد الحق إنما هو لمن أعطى العلم للعالم و الحكم للحاكم و

القضاء للقاضي و ليس إلا عين الممكن و هو الخلق في حال عدمه و وجوده كما قررناه في الباب قبل هذا و الأحوال نسب عدمية و هي الموجبة لوجود الأحكام من الحكام في المحكوم به و عليه فالممكن مرجح في حال عدمه و وجوده فالترجيح أثر المرجح فيه و حال الترجيح أوجب للممكن أن يسأل و أن لا يسأل بحسب ما تقتضيه حاله لأنا ما عينا حالا من حال فبالحال يسأل فيؤثر الإجابة في المرجح و المرجح أعطى الحال في ترجيحه الذي أوجب السؤال المؤثر في المرجح الإجابة فلا يجيب المرجح إلا عن سؤال و لا سؤال إلا عن حال و لا حال إلا عن ترجيح و لا ترجيح إلا من مرجح و لا مرجح إلا من قابل للترجيح و هو الممكن و الممكن أصل ظهور هذه الأحكام كلها فهو المعطي جميع الأسماء و الأحكام و قبول المحكوم عليه بذلك و المسمى فما ظهر أمر إلا نتيجة عن مقدمتين فللحق التوحيد في وجود العين و له الإيجاد بالاشتراك منه و من القابل فله من عينه وجوب الوجود لنفسه فهو واحد و له الإيجاد من حيث نفسه و قبول الممكن فليس بواحد في الإيجاد و لو صح توحيد الإيجاد لوجد المحال كما وجد الممكن و إيجاد المحال محال فإذا قلت على ما قد تقرر من وجود حق و خلق فقل بوجود مؤثر و مؤثر فيه مؤثر فيمن أثر فيه وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ أي إلى هذا الحكم لا إلى العين (تنبيه) ثم لتعلم أن الله تعالى قد أمرنا بالرضا قبل القضاء مطلقا فعلمنا أنه يريد الإجمال فإنه إذا فصله حال المقضي عليه بالمقضي به انقسم إلى ما يجوز الرضاء به و إلى ما لا يجوز فلما أطلق الرضاء به علمنا أنه أراد الإجمال و القدر توقيت الحكم فكل شيء بقضاء و قدر أي بحكم مؤقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الايمان بالقدر خيره و شره حلوه و مره و من حيث التعيين يجب الايمان به لا الرضاء ببعضه و إنما قلنا يجب الايمان به أنه شر كما يجب الايمان بالخير أنه خير فنقول إنه يجب على الايمان بالشر إنه شر و إنه ليس إلى الله من كونه شرا لا من كونه عين وجود إن كان الشر أمرا وجوديا فمن حيث وجوده أي وجود عينه هو إلى الله و من كونه شرا ليس إلى الله قال ص في دعائه ربه و الشر ليس إليك فالمؤمن ينفي عن الحق ما نفاه عنه فإن قلت فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها قلنا ألهمها فعلمت أن الفجور فجور و أن التقوى تقوى لكي تسلك طريق التقوى و تجانب طريق الفجور فإن قلت فقوله كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ قلنا ليس ذلك في السيئة المحكوم بها في الشرع و ذلك هو الشر و إنما هو فيما يسوءك و الذي يسوءك إنما هو مخالفة غرضك و هو قولهم إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ فقال لهم الله قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ما يسوءكم و ما يحسن عندكم و قد تقرر قبل هذا أن القابل له الأثر في التعيين ما هو للمعطي فهو تعالى معطي الخير و القابل يفصله إلى ما يحكم به عليه من خير و شر فخيريته إبقاؤه على الأصل فله حكم الأصل و لهذا قال و الخير كله بيديك و ما حكم به من الشر فمن القابل و هو قوله و الشر ليس إليك فإن قلت فهذا المخلوق على قبول الشر هو ممكن فلأي شيء لم يخلقه على قبول الخير فالكل منه قلنا قد قدمنا و بينا أن العلم تابع للمعلوم و ما وجد الممكن إلا على الحال الذي كان عليه في حال عدمه من ثبوت و تغيير كان ما كان و الحق ما علم إلا ما هو المعلوم عليه في حال عدمه الذي إذا ظهر في الوجود كان بتلك الحال فما طرأ على المعلوم شيء لم يتصف به في حال عدمه فما للعلم فيه أثر و ما قلنا بالقدر إنه توقيت إلا لأنه من المقدار وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع عشر و أربعمائة في معرفة منازلة ما ترى إلا بحجاب»

من رأى الحق جهارا علنا إنما أبصره خلف حجاب

و هو لا يعرفه و هو به إن هذا لهو الأمر العجاب

كل راء لا يرى غير الذي هو فيه من نعيم و عذاب

صورة الرائي تجلت عنده و هي عين الرائي بل عين الحجاب

ورد في الصحيح تجلى الحق في الصور و تحوله فيها و هو مرادنا بالحجاب ثبت عقلا و شرعا و كشفا و الكشف يعطي ما يعطي الشرع سواء و إن الحق لا يقبل التغيير فأما بالعقل فالأدلة في ذلك معروفة ليس هذا الكتاب موضعها فإنه مبني على الشرع و على ما يعطيه الكشف و الشهود فإن العقول تقصر عن إدراك الأمر على ما يشهد به الشرع في حقه و أما الشرع فقوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلو تغير في ذاته لم يصدق هذا الحكم و هو صدق فاستحال أن يتغير في ذاته و الحق يقول إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و قال كنت سمعه و بصره فالصور التي تقع عليها الأبصار و الصور التي تدركها العقول و الصور التي تمثلها القوة المتخيلة كلها حجب يرى الحق من ورائها و ينسب ما يكون من هذه الصور من الأعمال إلى الله تعالى كما قال وَ اللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ فلم يزل الحق غيبا فيما ظهر من الصور في الوجود و أعيان الممكنات في شيئية ثبوتها على تنوعات أحوالها مشهودة للحق غيبا أيضا و أعيان هذه الصور الظاهرة في الوجود الذي هو عين الحق أحكام أعيان الممكنات من حيث ما هي عليه في ثبوتها من الأحوال و التنوع و التغيير و التبديل تظهر في هذه الصور المشهودة في عين الوجود الحق و ما تغير الحق عما هو عليه في نفسه كما إن الهباء ما تغير عن كونه هباء مع قبوله لجميع الصور فهي معان في جوهره و المعاني المنسوبة إلى تلك الصور و الأعراض و الصفات من باب قيام المعنى بالمعنى فلا تزال الحجب مسدلة و هي أعيان هذه الصور فلا يرى إلا من وراء حجاب كما لا يكلم إلا من وراء حجاب فإذا رآه الرائي كفاحا فما يراه إلا حتى يكون الحق بصره فيكون هو الرائي نفسه ببصره في صورة عبده فأعطته الصورة المكافحة إذ كانت الحاملة للبصر و لجميع القوي فتشهده في الصورة عينا من الاسم الظاهر إذ هو بصرك و كفاحا و تشهده من الاسم الباطن علما إذ هو بصر آلتك التي أدركت بها ما أدركت و إنما قلنا كفاحا لما ورد في الخبر النبوي الذي خرجه الترمذي و غيره في سياق هذه اللفظة عينها ثم إن صاحب الرؤيا إذا رأى ربه تعالى كفاحا في منامه في أي صورة يراه فيقول رأيت ربي في صورة كذا و كذا و يصدق و يصدق مع قوله تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فنفى عنه المماثلة في قبوله التجلي في الصور كلها التي لا نهاية لها لنفسه فإن كل من سواه تعالى ممن له التجلي في الصور لا يتجلى في شيء منها لنفسه و إنما يتجلى فيها بمشيئة خالقه و تكوينه فيقول للصورة التي يتجلى فيها من هذه صفته كن فتكون الصورة فيظهر بها من له هذا القبول من المخلوقين كالأرواح و المتروحنين من الأناسي كقضيب البان و شبهه يقول الله تعالى فِي أَيِّ صُورَةٍ مٰا شٰاءَ رَكَّبَكَ فسواه و عدله على مزاج يقبل كل صورة إذا شاء الحق و جعل التركيب لله لا له و في نسبة الصور لله يقال في أي صورة شاء ظهر

من غير جعل جاعل فلا يلتبس عليك الأمر في ذلك و لما لم يكن له تعالى ظهور إلى خلقه إلا في صورة و صوره مختلفة في كل تجل لا تتكرر صورة فإنه سبحانه لا يتجلى في صورة مرتين و لا في صورة واحدة لشخصين و لما كان الأمر كذلك لم ينضبط للعقل و لا للعين ما هو الأمر عليه و لا يمكن للعقل تقييده بصورة ما من تلك الصور فإنه ينتقض له ذلك التقييد في التجلي الآخر بالصورة الأخرى و هو الله في ذلك كله لا يشك و لا يرتاب إلا إذا تجلى له في غير معتقده فإنه يتعوذ منه كما ورد في صحيح الأخبار فيعلم إن ثم في نفس الأمر عينا تقبل الظهور في هذه الصور المختلفة لا يعرف لها ماهية أصلا و لا كيفية و إذا حكم و لا بد بكيفية فيقول الكيفية ظهورها فيما شاء من الصور فتكون الصور مشاءة و كل مشاء معدوم بلا شك فما ظهر لك إلا حادث في عين قديم فما رأيت إلا حادثا مثلك لأنك ما رأيت إلا صورة يقيدها نظرك ببصر هو الحق في عين هو الحق أعني في العين التي ظهرت في تلك الصورة فهو مدرك عينا في الآخرة و النوم و علما و شرعا و غير مدرك علما و لا نشك إيمانا و كشفا لا عقلا إن بهويته أدرك المدرك جميع ما يدرك سواء أدرك جميع ما يدرك أو بعضه على أي حالة يكون استعداد المدرك اسم مفعول فالبصر من المدرك اسم فاعل هوية الحق لا بد من ذلك و هكذا جميع ما ينسب إلى هذه الآلات من القوي ما هي سوى هوية الحق إذ يستحيل خلاف ذلك فالآلات و محلها أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود الحق و هو لها كالروح للصورة التي لا يمسك عليها ذلك النظام إلا هو و لا تدرك تلك الصورة شيئا إلا به حسا و خيالا و الكل بحمد الله خيال في نفس الأمر لأنه لا ثبات لها دائما على حال واحدة و الناس نيام و كل ما يراه النائم قد عرف ما يرى و في أيحضرة يرى فإذا ما توا انتبهوا من هذا النوم في النوم فما برحوا نائمين فما برحوا في رؤيا فما برحوا في أنفسهم من هذا التنوع و ما برح ما يدركونه في أعينهم من التنوع فلم يزل الأمر كذلك و لا يزال الأمر في الحياة الدنيا و في الآخرة هكذا كما أوردناه و ذكرناه وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس عشر و أربعمائة في معرفة منازلة من دعاني فقد أدى حق عبوديته و من أنصف نفسه فقد أنصفني»

إذا ما دعوت الله من غير أمره فلست له عبد أو ما أنصف العبد
و أصبحت عبدا للحظوظ و ما لنا وفاء و لا عهد و قد ثبت العهد
و لو لا قيام العبد في عهد ربه لما صح أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و لا وعد
وليس سوى التكليف قربا مخصصا بعينه أمر و يشبه عقد
و قامت حقوق الحق من كل جانب علينا و لو لا القرب ما عرف البعد
فمن أنصف الأكوان أنصف ربه و كان له في ذات خالقه الخلد
و صح له مجد تليد و طارف و كان له بين الملائكة الحمد
إلا إنما العبد الذي لم يزل به يموت و يحيا و الوقوف له حد

تقوم به فاجهد فقد ينفع الجهد   و ما كلف الرحمن نفسا سوى الذي

و من قام للرحمن كان له الجد   فمن قام بالرحمن كان له الجد

و آفاقه فاحمد بما حمد الحمد   و خصص بالآيات في عين نفسه

قال الله تعالى ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ و قال إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ فوصفهم بأنهم لا يخرجون عن العبودية و أن الذلة حقيقتهم و هو قوله داخِرِينَ فمن لم يرد أن يكون عبدا لي كما هو في نفس الأمر فإنه سيكون عبد الطبيعة التي هي جهنم و يذل تحت سلطانها كما هو ليس هو في نفس الأمر فترك العلم و اتصف بالجهل فلو علم لكان عبدا لي و ما دعا غيري كما هو في نفس الأمر عبد لي أحب أم كره و جهل أو علم و إذا كان عبدا لي بدعائه إياي و لم يتكبر في نفسه أن يكون عبد إلى عند نفسه أعطيته التصريف في الطبيعة فكان سيدا لها و عليها و مصرفا لها و متصرفا فيها و كانت أمته فانظر ما فاته من العز و السلطان من استكبر عن عبادتي و لم يدعني في السراء و كشف الضر تعبدته الأسباب فكان من الجاهلين و مما يؤيد أن الحق عين قوى العبد فالتصريف له لأن العبد لا تصرفه إلا قواه و لا يصرفه إلا الحق فقواه عين الحق دليلنا ما قالته الرسل سلام الله عليهم في ذلكفأخبر محمد ص عن الله أنه قال كنت سمعه و بصره و يدهيعني العبد إذا تقرب إليه بالنوافل حتى يحبه و ذكر قواه التي تصرفه و نزل في القرآن تصديق هذا القول و هو قوله وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ و العمل ليس لجسم الإنسان بما هو جسم و إنما العمل فيه لقواه و قد أخبر أن العمل الذي يظهر من الإنسان المضاف إليه أنه لله خلق فالحق قواه و أما موسى فأخذ العالم في ماهية الحق لما دعا فرعون إلى الله رب العالمين فقال له فرعون وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ يسأله عن الماهية فقال له موسى ع رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ يقول إن استقر في قلوبكم ما يعطيه الدليل و النظر الصحيح من الدال فأخذ موسى ع العالم في التعريف بماهية الحق و الرسل عندنا أعلم الخلق بالله فقال فرعون و قد علم إن الحق مع موسى فيما أجابه به إلا أنه أوهم الحاضرين و استخفهم لأن السؤال منه إنما وقع بما طابقه الحق و هو قوله وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ فما سأله إلا بذكر العالمين فطابق الجواب السؤال فقال فرعون لقومه أَ لا تَسْتَمِعُونَ أسأله عن الماهية فيجيبني بالأمور الإضافية فغالطهم و هو ما سأل إلا عن الرب المضاف فقال له موسى رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فخصص الإضافة لدعوى فرعون في قومه إنه ربهم الأعلى فقال فرعون إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ أي قد ستر عنه عقله لأن العاقل لا يسأل عن ماهية شيء فيجيب بمثل هذا الجواب فقال له موسى لقرينة حال اقتضاها المجلس ما قال إبراهيم ع لنمرود رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ و لو لم يقل هنا و ما بينهما لجاز لأنه ليس بينهما شيء و ذلك لأن عين حال الشروق في ذلك الحيز هو عين استوائها هو عين غروبها فكل حركة واحدة منها في حيز واحد شروق و استواء و غروب فما ثم ما ينبغي أن يقال ما بينهما لكنه قال و ما بينهما لغموضه على الحاضرين فإنهم لا يعرفون ما فصلناه في إجمال و ما بينهما فجاء بالمشرق و المغرب المعروف في العرف ثم قال لهم إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فأحالهم على النظر العقلي فما عرف الحق إلا بنا و لا وجد الخلق إلا به

فمنه إلينا و منا إليه فيثني علينا و نثني عليه

و كذا ذكر إبراهيم ع الذي ذكر الله عنه أنه آتاه الحجة على قومه وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فما ذكره إلا بالعالم فالعالم ظاهره خلق و باطنه حق و من حكم باطنه يتصرف و ما يؤثر في باطنه التصرف إلا تصرف في ظاهر من باطن فما تصرف في باطنه الذي هو الحق إلا الحق لا غير فتصريفه حكم عليه بالتصريف فالصورة الظاهرة مماثلة للصورة الباطنة حتى إن بعض المتكلمين ذهب في كتابة القرآن و في تلاوته المحدثة أن لكل حرف يكتبه الكاتب من القرآن أو يتلوه التالي من القرآن في ذلك الحرف المنطوق به الحادث أو المكتوب حرف مثله هو قديم و أضطره إلى ذلك كون الحادث لا يستقل في وجوده فلا بد من استصحاب القديم له و هذا مذهب رئيس من رؤساء المعتزلة ثم إن هذا القديم إن لم يكن على صورة ما خرج عنه و ظهر و هو الحادث و إلا فليس هو له و لذلك كان العالم على صورة الحق و كان الإنسان الكامل على صورة العالم و صورة الحق و هو قوله إن الله خلق آدم على صورته فليس في الإمكان أبدع و لا أكمل من هذا العالم إذ لو كان لكان في الإمكان ما هو أكمل من الله فإن آدم و هو من العالم قد خلقه الله على صورته و أكمل من صورة الحق فلا يكون و ذلك أن ظهور العالم عن الحق ظهور ذاتي فالحق مرآة للعالم ظهر فيها صور العالم فرأت الممكنات نفسها في مرآة الحق الوجود فتوقفت في الوجود عليه و توقف في العلم به على العلم بها

و لم تكن إلا به فلم يكن إلا بها

و ما له من مشبه فما لها من مشبه

فكن بها تكن به يا غافلا عن قولنا

فإذا كان الأمر كما ذكرناه فمن أنصف نفسه و أعطاها حقها فإنما أنصف الحق و أعطاه حقه لأنه أفرد نفسه بما يستحقه و أفرد ربه بما يستحقه و من تميز عن شيء فما هو عينه و لا مثله فيما تتميز به عنه لكنه مثله في كونه تميز فافهم وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و اجعل بالك في كل منظوم في أول كل باب من أبواب هذا الكتاب فإنه يتضمن من علوم ذلك الباب على قدر ما أردت أن أنبه فيه عليها تجد في النظم ما ليس في الكلام في ذلك الباب فتزيد علما بما هو عليه ما ذكرته في النظم وَ عَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

«الباب السادس عشر و أربعمائة في معرفة منازلة عين القلب»

عين القلوب من الوجود الناظر و عليه سادات الطريق تناظر

فانظره في تقليبها متقلبا و مقلبا فهو الوجود الحاضر

ما ثم إلا ما يعاين وقته و الماضي و الآتي حديث سائر

الظرف في الأكوان ليس بكائن ما ثم ثم و ثم حكم قاصر

هذا هو الحق الذي ظهرت به أعياننا و أنا العليم الخابر

لو قلت ما هو لم تسعه عقولكم أين العقول و ليس ثم مغاير

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ الذي ذكرها به ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ﴾ الذي ذكرها به إذا كانت مؤمنة ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ في تقلبها فتسكن إلى التقليب مع الأنفاس و تعلم أن الثبات على حال واحدة لا يصح فإن صورة الحق لا تعطي الضيق و لا اتساع لها و لا مجال إلا في التقليب و لا تقليب للحق إلا في أعيان الممكنات و أعيان الممكنات لا نهاية لها فالتقليب الإلهي فيها لا يتناهى فهو كل يوم في شأن حيث كان فما زال الأمر مذ كان و لا يزال من حال إلى حال فالعينآلة و بالبصر يقع الإدراك للمبصر و هو الحق فبه تبصر و من أبصر أمرا فقد علمه و إذا علمه فقد سكن إليه فأبصر التقليب دائما فعلمه دائما فاطمأن به و سكن إليه فهو في كل نفس ينظر إلى آثار ربه في قلبه فيما يقيمه و فيما خرج عنه ما يعطيه فيه و ينبهه به عليه فلا يزال صاحب هذا المقام في كل نفس في علم جديد فهو في خلق جديد و غيره في لبس من هذا الخلق الجديد أمر الله تبارك و تعالى نبيه ص أن يقول ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ أي ارفع عني اللبس الذي يحول بيني و بين العلم بالخلق الجديد فيفوتني خير كثير حصل في الوجود لا أعلمه و الحجاب ليس إلا التشابه و التماثل و لو لا ذلك لما التبس على أحد الخلق الجديد الذي لله في العالم في كل نفس بكل شأن و ما تنبه لهذا من الطوائف إلا القائلون بتجديد العالم في كل زمان فرد و هم طائفة يقال لهم الحسبانية و لم يبلغوا فيه مبلغ الأمر على ما هو عليه لكنهم قاربوا كما قارب القائلون بأن العرض لا يبقى زمانين و العرض كل ما لا قيام له بنفسه فهؤلاء أيضا قاربوا الأمر و ما بلغوا فيه ما هو الأمر عليه إلا القاضي أبو بكر بن الطيب فإنه قارب في بعض الأمر في موضعين الموضع الواحد قوله في الأكوان إنها نسب لا عين لها و قوله فيما نسب إلى الحق من صفة إن ذلك الحكم لمعنى ما هو عين المعنى الآخر الذي أعطى حكما آخر فقارب أيضا و لم يبلغ فيه ما هو الأمر عليه و إنما تميز عمن يقول إن سمع الحق و بصره عين علمه و الباقلاني لا يقول بهذا و رأيت بفأس أبا عبد الله الكناني إمام أهل الكلام في زمانه بالمغرب و قد سألني يوما في الصفات الإلهية فقلت له ما هو الأمر عليه عندنا ثم قلت له فما قولك أنت فيها هل أنت مع المتكلمين أو تخالفهم في شيء مما ذهبوا إليه فيها فقال لي أنا أقول لك ما عندي أما إثبات الزائد على الذات المسمى صفة فلا بد منه عندي و عند الجماعة و أما كون ذلك الزائد عينا واحدة لها أحكام مختلفة كثيرة أو لكل حكم معنى زائد أوجبه ما عندنا دليل على أحديته و لا على تكثره هذا هو الإنصاف عندي في هذه المسألة و كل من تكلف في غير هذا دليلا فهو مدخول و الزائد لا بد منه غير إنا نقول ما هو هو و لا هو غيره لما قد علمت يا سيدنا من مذهب أهل هذا الشأن في الغيرين فقلت له يا أبا عبد الله أقول لك ما قال رسول الله ص لأبي بكر في تعبيره الرؤيا أصبت بعضا و أخطأت بعضا فقال لي لا أتهمك و الله فيما تعلمه و لا أقدر أرجع عن الحكم بالزائد إلا إن فتح الله لي بما فتح الله به عليك مع اختلاف أهل النظر فيما ذهبت إليه هذا قوله فتعجبت من إنصافه و من تصميمه مع شهادته على نفسه إنه ما يتهمني و هو يخالفني فأشبه من أضله الله على علم و لكن لا يقدح ذلك عندي في إيمانه و إنما يقدح في عقله ثم نرجع و نقول إن عين القلب ليس إلا ما هو الحق عليه في أحوال العالم ظاهرا و باطنا و أولا و آخرا و

إن تعددت الأسماء فالمسمى واحد و المفهوم ليس بواحد فيحار الداعي إذا دعا ما يدري ما يدعو هل يدعو المسمى أو يدعو المفهوم فإن الأسماء الإلهية ما تعددت جزافا فلا بد من نسب تعقل لتعددها فالمفهوم من العالم ما هو عين المفهوم من الحي و الحي هو العالم فالحي عين العالم و المفهوم من الحي ما هو المفهوم من العالم و لا القادر و لا العزيز و لا العالي و لا المتعالي و لا الكبير و لا المتكبر و لم نقل هذا عنه و لا سميته بهذا بل هو سمي لي نفسه بهذا فهل هو اسم له أو لما هو المفهوم منه و هل المفهوم منه أمر وجودي أو نسبة ثم مشاركتنا إياه في هذه الأسماء الواردة الإلهية كلها من أعجب ما في الأمر ثم رفع المماثلة بيني و بينه فتعلم قطعا إن هذه الأسماء من حيث المفهوم لا ترفع المماثلة

فمن حار فما جارا ✧ فقد حرنا و قد حارا

و قد قربني جارا ✧ فقد أبعدني عينا

و قد عينني دارا ✧ و قد عين لي دارا

فدارنا حيث ما دارا ✧ له يسكنها خلدا

و من كسرى و من دارا ✧ فمن أصغى و من قال

محال حار من حارا ✧ مليك ما له ملك

فكانت داره النارا ✧ و نادى من أتى يبغي

فما عينني دار إلا له فبه أسمع و به أبصر و قد وسعه قلبي و ما عين لي دارا إلا هو فيه أقيم و به أنزل و هو يسترني بهويته عن خلقه فهو الظاهر و أنا مخبوء في كنفه فإذا سمع بالآلة أو بالنسب فبي يسمع و بي يبصر على ذلك كما أسمع به و أبصر به فهو في بالنوافل فإنه الأصل و أنا الزائد فإن ظاهر الصورة عيني و أنا فيه بالفرائض فبي يسمع و بي يبصر

و من كان عين الحق فالحق ناظر ✧ فمن كان سمع الحق فالحق سامع

على مثل هذا كل عبد يثابر ✧ فيختلف التقليب و العين واحد

«الباب السابع عشر و أربعمائة في معرفة منازلة من أَجْرُهُ عَلَى اللهِ»

لكن على الله الذي يستخدمه ✧ أن الرسالة أجرها متحقق

أعيان كون لم يزل يستلزمه ✧ هذا هو العدل الذي قامت به

قد كان من حق على من يحكمه ✧ العفو و الصلح الجميل يزيل ما

الله كنز عند من يستفهمه ✧ العفو إن خصصته نزر و عفو

قال الله تعالى فَمَنْ عَفا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ و قال عز و جل وَمن يَخْرُجْ من بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ و أخبر الله في كتابه عن كل رسول من رسله ع أنه قال لأمته وَما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ من أَجْرٍ فيما بلغه عن الله إليهم إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ فإنه تعالى هو الذي استخدمه في التبليغ فاعلم إن الله تعالى له المنة على عباده بأن هداهم للإيمان برسله فوجب عليهم شكر الله و حلاوة الرسول فيضمنها الله عنهم بأن جعل أجر رسوله ص و ضم في ذلك الأجر ما يجب على المؤمنين من الحلاوة له لما هداهم الله به فأنزله ص منزلة من له تضاعف الأجر أجر التبليغ و أجر ما قام فيه الحق خليفة عن المؤمنين إذ هو الوكيل تعالى عن أمره إيانا بقوله فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً من غير أن ينقص مما هو للمؤمنين شيئا من نعيمهمفاعلم أن أجر التبليغ على قدر ما ناله في البلاغ من المشقة من المخالفين له من أمته التي بعث إليها و لما قاساه و لا يعلم قدر ذلك من كل رسول إلا الله و لا يتعين و أما الذي يعطيه مما كان ينبغي أن يقابله به المؤمنون فهو على نوعينالنوع الواحد على قدر معرفتهم بمنزلته ممن أرسله إليهم و هو اللهفإن الله تعالى فضل بعضهم على بعض و النوع الثاني على قدر ما جاء به في رسالته مما هو بشرى لصاحب تلك الصفة التي من قامت به كان سعيدا عند الله فما كان ينبغي أن يقابله به ذلك الرجل هو الذي يعطيه الحق فإن ساوى حال المؤمن قدر الرسالة كان و إن قصر حاله عما تقتضيه تلك الرسالة من التعظيم فإن الله بكرمه لا ينظر إلى جهل الجاهل بعظيم قدرها فيوفيه الحق تعالى على قدر علمه فيها و لا نشك أن الله قد جعل المفاضلة في كل شيء و العالي و الأعلى و إن كان الايمان بالله و برسوله و بما جاء به عاليا فإنه يتفاضل بتفاضل شعبه و أبوا به فإن الايمان بضع و سبعون شعبة و أدناها إماطة الأذى عن الطريق و أرفعها قول لا إله إلا الله و ما بينهما فمن جمع شعب الايمان كلها فجزاء الرسول من الله عن هذا الشخص الجامع على قدر منازلها عند الله العالم بالعالي منها و بالأعلى فانظر ما للرسول ع من الأجور فاجر التبليغ أجر استحقاقفإن رسول الله ص يقول إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب اللهو أما من سأل من الصحابة عن أمر ما من الأمور مما لم ينزل فيه قرآن فنزل فيه قرآن من أجل سؤاله فإن للرسول على ذلك السائل أجر استحقاق ينوب الله عنه فيه زائدا على الأجر الذي له من الله و أما من رد رسالته من أمته التي بعث إليها فإن له عند الله أيضا أجر المصيبة و للمصاب فيما يجب أجر فأجره على الله أيضا على عدد من رد ذلك من أمته بلغوا ما بلغوا و له من أجر المصاب أجر مصائب العصاة فإنه نوع من أنواع الرزايا في حقه فإنه ما جاء بأمر يطلب العمل به إلا و الذي يترك العمل به قد عصى فللرسول أجر المصيبة و الرزية و هذا كله على الله الوفاء به لكل رسول «النوع الثاني» ممن أجره على الله و هو المهاجر يموت قبل وصوله إلى المنزل الذي هاجر إليهفإن أجره على الله على قدر الباعث الذي بعثه على الهجرة و الناس في ذلك متفاضلون ثم إن الله ينوب عن رسوله فيما يعطيه من الأجر فإنه خرج مهاجرا إلى الله و رسوله ثم إن له أجر الفوت بالموت الذي أدركه و ذلك من الله فإنه الذي رزأه و حال بينه و بين الوصول إلى مهاجره فالدية عليه فإن كان هذا الذي يموت عالما عاقلا فأعظم من لقاء الله و رؤيته فما يكون و قد حصل له ذلك بالموت فهو أفضل في حقه من أنه يعيش حتى يصل فإنه لا يدري ما دام في الحياة الدنيا ما يتقلب عليه من الأحوال فإنه في محل خطر سريع التبديل و صح عن رسول الله ص في هذا الباب ما خرجه

البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صأنه قال إنما الأعمال بالنيات و إنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ثم يضاف إلى هذه الأجور قدر كرم المعطي و غناه و هذا يدخل تحتقوله ص إن في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر يعني من المجزيين و تحت قوله و زيادة من قوله لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيادَةٌ و هذه الزيادة ما عينها الحق لاحد و أكد هذا الأجر على غيره ممن له أجر على الله بالوقوع و هو الوجوب فإن الأجر قد يقتضيه الكرم من غير وجوب و قد يقتضيه الوجوب و الذي يقتضيه الوجوب أعلى كما إن الفرائض أعلى و أحب إلى الله من النوافلصح في الخبر أن الله تعالى يقول ما تقرب إلى أحد بأحب إلي مما افترضته عليه فجعله أحب إليه ثم قال و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه و بصرهفهذا نتيجة النوافل فما ظنك بنتيجة الفرائض و هي أن يكون العبد سمع الحق و بصره و قد بينا صورة ذلك فيما تقدم فيريد الحق بإرادة العبد و هذا المقام ذكرته العرب في حق محمد ص و في النوافل يريد العبد بإرادة الحق و يظهر معنى ما ذهبنا إليه في اتصاف الحق بنعوت المخلوق و في الوجه الآخر اتصاف العبد بصفات الحق و هذا في الشرع موجود «النوع الثالث» ممن أجره على الله و هو من عفا عمن أساء إليه و أصلحيعني حال من أساء إليه بالإحسان فأصلح منه ما كان أوجب الإساءة إليه منه فما أراد هنا بأصلح إلا هذا و لا يحصل في هذا المقام إلا من له همة عالية فإن الله قد أباح له أن يجازي المسيء بإساءته على وزنها فأنف على نفسه أن يكون محلا للاتصاف بما سماه الحق سيئة

نفس الكريم كريمة في كل ما … تجري به الأهواء و الأقدار

و الله يحكم في النفوس بقدرها … و هو الذي من حكمه يختار

فيجيء ذو اللب المجوز عقله … غير الذي حكمت به فيحار

يقول الله تعالى في هذا المقام ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يعني قوله و أصلح السَّيِّئَةَ . . . فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَ ما يُلَقّاها يعني هذه الصفة إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا حبسوا أنفسهم عن أن يجازو المسيء بإساءته إساءة و لو علم الناس قدر ما نبهنا عليه في هذه المسألة ما جازى أحد من أساء إليه بإساءة فما كنت ترى في العالم إلا عفوا مصلحا لكن الحجب على أعين البصائر كثيفة و ليست سوى الأغراض و استعجال التشفي و المؤاخذة و لو نظر هذا الناظر لما أساء هو على الله في رد ما كلفه به و ركوبه الخطر في ذلك و إمهال الحق له و تجاوزه عنه في هذه الدار حتى يكون هو الذي يكشف نفسه حتى تقام عليه الحدود و يرمي نفسه في المهالك كما قال الصاحب لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه في المعترف بالزنى و إن الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من أفعاله السيئة إلا ما تكلم بها و هو قوله ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ و هو الكاتب و إن كانوا يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ ما قال يكتبون ثم إنه من كرم الله إن الكشف أعطى و قد ورد به خبر أن العبد إذا عمل السيئة قال الملك لصاحبه الذي أمره الحق أن يستأذنه في كتاب السيئة أ أكتب فيقول له لا تكتب و أنظره إلى ست ساعات من وقت

عمله السيئة فإن تاب أو استغفر فلا تكتبها و إن مرت عليه ست ساعات و لم يستغفر فاكتبها سيئة واحدة و لا نكتبها إلا إذا تلفظ بها بأن يقول فعلت كذا أو تكون السيئة في القول فتكتب بعد مضى هذا القدر من الزمان و أي مؤمن تمضي عليه ست ساعات لا يستغفر الله فيها فلهذا النوع أجر على الله من وجهين أجر العفو و أجر العفو من الله كثير فإنه من الأضداد و أجر الإصلاح و هو الإحسان إليه المزيل لما قام به من الموجب للاساءة إليه و الله يحب المحسنين و لو لم يكن في إحسانه المعبر عنه بالإصلاح إلا حصول حب الله إياه الذي لا يعدله شيء لكان عظيما فيكون أجر من هذا صفته على الله أجر محب لمحبوب و كفى بما تعطيه منزلة الحب فما يقدر أحد أن يقدر أجر ما يعطيه المحب لمحبوبه فهذا قد أومأنا إلى من له أجر على الله بأوجز عبارة طلبا للاختصار فإن المقام عظيم و المنازلة كبيرة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن عشر و أربعمائة في معرفة منازلة من لم يفهم لا يوصل إليه شيء»

خاطبه الرحمن من كل عين	من يفهم الأمر فذاك الذي
و هو الذي في حكمه كل أين	و هو الذي دار عليه الورى
لما حوته حكمة القبضتين	إن إياسا خص من بأقل
في كل ما في الكون من فرقتين	قد أوضح الله لنا حكمه
و الحق معلوم لنا دون مين	و الضد لا يعرفه ضده
عني ذاك المثل من بعد بين	قد ثبت المثل له و انتفى

قال الله تعالى وَ قٰالُوا قُلُوبُنٰا فِي أَكِنَّةٍ مِمّٰا تَدْعُونٰا إِلَيْهِ اعلم أن الكلام على قسمين كلام في مواد تسمى حروفا و هو على قسمين إما مرقومة أعني الحروف و تسمى كتابا أو متلفظا بها و تسمى قولا و كلاما و النوع الثاني كلام ليس في مواد فذاك الكلام الذي لا يكون في مواد يعلم و لا يقال فيه يفهم فيتعلق به العلم من السامع الذي لا يسمع بآلة بل يسمع بحق مجرد عن الآلة كما إذا كان الكلام في غير مادة فلا يسمع إلا بما يناسبه و الذي في المادة يتعلق به الفهم و هو تعلق خاص في العلم فإذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو يرى الكتابة فإن علم مراد المتكلم في تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فذلك الفهم و إن لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل و احتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه تلك الكلمة و لا يعلم على التعيين مراد المتكلم من تلك الوجوه و لأهل أرادها كلها أو أراد وجها واحدا أو ما كان فمع هذا العلم بمدلول تلك الكلمة لا يقال فيه إنه أعطى الفهم فيها و إنما أعطى العلم بمدلولاتها كلها لعلمه بالاصطلاح لأن المتكلم بها عند السامع الغالب عليه أمران الواحد القصور عن معرفة مدلولات تلك الكلمة في اللسان و الأمر الآخر أنه و إن عرف جميع مدلولاتها فإنه لا يتكلم بها إلا لمعنى تقتضيه قرينة الحال فالذي يفهم مراده بها فذلك الذي أوتي الفهم فيها و من لم يعلم ذلك فما فهم فكان المتكلم ما أوصل إليه

شيئا في كلامه ذلك و أما كلام الله إذا نزل بلسان قوم فاختلف أهل ذلك اللسان في الفهم عن الله ما أراده بتلك الكلمة أو الكلمات مع اختلاف مدلولاتها فكل واحد منهم و إن اختلفوا فقد فهم عن الله ما أراده فإنه عالم بجميع الوجوه تعالى و ما من وجه إلا و هو مقصود لله تعالى بالنسبة إلى هذا الشخص المعين ما لم يخرج من اللسان فإن خرج من اللسان فلا فهم و لا علم و كذلك أصحاب الأخذ بالإشارات فإن إدراكهم لذلك في باب الإشارات في كلام الله تعالى خاصة فهم فيه لأنه مقصود لله تعالى في حق هذا المشار إليه بذلك الكلام و كلام المخلوق ما له هذه المنزلة فمن أوتي الفهم عن الله من كل وجه فقد أوتي الحكمة و فصل الخطاب و هو تفصيل الوجوه و المرادات في تلك الكلمة و من أوتي الحكمة ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ فكثره لما فيها من الوجوه فمن كان قلبه في كن أو كان عليه قفل أو كان أعمى البصيرة أو كان صاديا أو كان على قلبه ران فإن الله قد حال بينه و بين الفهم عن الله تعالى و إن تأوله و لهذا يتخذ آيات الله هزوا و دينه لهوا و لعبا لعدم فهمه عن الله ما خاطب به عباده فلهذا قال من لم يفهم لم يوصل إليه شيء فأما الران فهو صدأ و طخاء و ليس إلا ما تجلى في مرآة القلب من صور ما لم يدع الله إلى رؤيتها و جلاؤها من ذلك بالذكر و التلاوة و أما الكن فهو كالمقصورات في الخيام فهو في بيت الطبيعة مشغول بأمه ما عنده خبر بأبيه الذي هو روح الله فلا يزال في ظلمة الكن و هي حجاب الطبيعة فهو في حجابين كن و ظلمة فهو يسمع و لا يفهم كما قال الله فيهم ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يفهمون و أما أن يكون في أذنيه وقر أو صمم فإن كان وقر فهو ثقل الأسباب الدنياوية التي تصرفه عن الآخرة و إن كان طخاء فهو قساوة قلبه إن يؤثر فيه قبول ما يخطر له حديث النفس من النظر و الإصغاء إلى هذا الداعي الذي هو الشارع و هو قوله تعالى ﴿وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ حتى لا يسمعوا دعاء فلا يرجعون و لا يعقلون لأنه بلسانهم خاطبهم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿فَأَصَمَّهُمْ اللهُ وَأَعْمى أَبْصارَهُمْ﴾ و ختم على ألسنتهم فما تلفظوا بما دعاهم إليه أن يتلفظوا به و أما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة يقولون نحن ما قفلنا على قلوبنا و إنما وجدناها مقفلا عليها و هذا من الجدال الذي قال الله عنهم فيهما ﴿ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ و لم نعرف من أقفلها فرمنا الخروج فخفنا من فك الختم و الطبع فبقينا ننتظر الذي أقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا في ذلك شيء و كان منهم عمر بن الخطاب أعني من أهل الأقفال يقول الله تعالى ﴿أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾ فلما تولى الله فتحه أسلم فشد الله به الإسلام و عضده رضي الله عنه و أرضاه فهذا قد ذكرنا سبب عدم الفهم عن الله تعالى موجزا على قدر الوقت ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

«الباب التاسع عشر و أربعمائة في معرفة منازلة الصكوك و هي المناشير و التوقيعات الإلهية»

إن التواقيع برهان يدل على … ثبوت ملك الذي في الحكم يعطيها
بها قد استخلف الرحمن والدنا … فهي الدليل على إثبات معطيها
و الحكم يكشفها في كل نازلة … و عندنا حالة فيها تغطيها

و ليس يمنعها إلا تعاطيها   إن النفوس لتدري ما نطقت به

اعلم أن الله تعالى لما شاء أن يجعل في أرضه خلفاء على من يعمرها من الإنس و الجان و جميع الحيوانات و قدمهم و رشحهم للامامة دون غيرهم من جنسهم جعل بينه و بينهم سفيرا و هو الروح الأمين و سخر لهم ما في السَّماواتِ من ملك وكوكب سابح في فلك وَما في الْأَرْضِ و ما بينهما من الخلق جَمِيعاً مِنْهُ و أباح لهم جميع ما في الأرض أن يتصرفوا فيه و أيد هؤلاء الخلفاء بالآيات البينات ليعلم المرسلون إليهم أن هؤلاء خلفاء الله عليهم و مكنهم من الحكم في رعيتهم بالأسماء الإلهية على وجه يسمى التعلق و شرع لهم في نفوسهم شرائع و حد لهم حدودا و رسم لهم مراسم يقفون عندها يختصون بها لا يجوز لأحد من رعاياهم أن يتخذوها لأنفسهم شرائع و لا يقتدون بهم فيها ثم نصب لهم شرائع يعملون بها هم و رعيتهم و كتب لهم كتبا بذلك نزلت بها السفراء عليهم ليسمعوها رعيتهم فيعلموا حدود ما أنزل الله الذي استخلف عليهم فيقفوا عندها و يعملوا بها سرا و جهرا فمنها ما كتبه بيده تعالى و هو التوراة و منها ما نَزَلَ به الرُّوحُ الْأَمِينُ عليهم من الكتاب المكنون الذي نزل من الله من عرشه المنقول من الدفتر الأعظم و هو الإمام المبين فهو معه على عرشه و نقل منه في اللوح المحفوظ قدر ما يقع به التصريف في الدنيا إلى يوم القيامة يتضمن ما في العالم من حركة و سكون و اجتماع و افتراق و رزق و أجل و عمل ثم أنزل ذلك كله في كِتابٍ مَكْنُونٍ إلى السماء الدنيا و جعله بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ مطهرين أرواح قدس صحفا مكرمة مرفوعة مطهرة فيها توقيعات إلهية بما وعد الله المؤمنين بالله و ملائكته وكتبه و رسله و ما جاءت به رسله من اليوم الآخر و البعث الآخر و ما يكون في ذلك اليوم من حكم الله في خلقه و تولى الله ذلك كله بنفسه على صورة الحق الذي بعث به رسله ليصدقهم عند عبيده فعلا بحكمه ذلك فيهم كما صدقهم في حال احتجا به بما أيدهم به من الآيات فآمن من آمن و كفر من كفر فتوقف الأمر على ظهوره لعباده فيتولى الفصل بينهم بحكمه بنفسه وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ فإذا فصل و حكم و عدل و أفضل جعلهم في الفصل فريقين فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ و هو سجن الرحمن إنا جَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً يريد سجنا يحصرهم فيه و ينزل الفريق السعيد في دار كرامته و قيم ذلك الدار رضوان فإنها دار الرضوان و متولي الدار الأخرى التي هي السجن مالك و معناه الشديد يقال ملكت العجين إذا شددت عجنه قال قيس ابن الخطيم يصف طعنة

ملكت بها كفي فانهرت فتقها   يرى قائم من دونها ما وراءها

يقول شددت بها كفي فنزلت التوقيعات بما للمؤمنين من الخير عند الله العاملين الحافظين حدود الله من الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ . . . وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ و التائبين و التائبات و العابدين و العابدات و الحامدين و الحامدات و السائحين و السائحات و الراكعين و الراكعات و الساجدين و الساجدات و الآمرين بالمعروف و الآمرات و الناهين عن المنكر و الناهيات و المعرضين عن اللغو و المعرضات و الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ و ما هم عنها بساهين إلى مثل هذا مما أوقع الله في توقيعاته من الصفات

المرضية التييحمدها ثم بشرهم تعالى بأنهم الوارثون الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ و هو أوسط الجنات فقال هُمْ فِيها خالِدُونَ يبشرهم بالبقاء و الدوام في النعيم و أخبرهم في التوقيع أنه عنهم راض تعالى و تقدس جلاله ثم إنه ناب عنهم في الخطاب بأنهم عنه راضون فقال تعالى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ و هنا نكتة لمن فهم ما تدل عليه ألفاظ القرآن من الرضي فقطع عليهم بذلك لعلمه بأنه واقع منهم ثم إنه أنزل في الكتب و الصحف و على السنة الخلفاء صلوات الله عليهم و سلامه من الوعيد و التهديد و أخذ من كفر بالله و نافق أو آمن ببعض و كفر ببعض مما أنزله الله و جحد و أشرك و كذب و ظلم و اعتدى و أساء و خالف و عصى و أعرض و فسق و تولى و أدبر و أخبر في التوقيع أنه من كان بهذه المثابة و قامت به هذه الصفات في الحياة الدنيا أو بعضها ثم تاب إلى الله منها في الدنيا و مات على توبة من ذلك كله فإنه يلقي ربه و هو راض عنه فإن فسح له و أنسا الله في أجله بعد توبته فعمل عملا صالحا بدل الله سيئاته حسنات أي ما كان يتصرف به من السوء عاد يتصرف فيه حسنا فبدل الله فعله بما و فقه إليه من طاعته و رحمه و غفر له جميع ما كان وقع منه قبل ذلك و لم يؤاخذه بشيء منه و ما زالت التوقيعات الإلهية تنزل من الله على خلفائه بما يعدهم الله به من آمن بالله و رسله من الخير و ما توعد به لمن كفر به من الشر مدة إقامة ذلك الخليفة المنزل عليه و هو الرسول إلى حين موته فمن زمان خلافته إلى انتهاء مدة عمره لا تزال التوقيعات الإلهية تنزل عليه فإذا مات و استخلف من شاء بوحي من الله له في ذلك أو ترك الأمر شورى بين أصحابه فيولون من يجمعون عليه إلى أن يبعث الله من عنده رسولا فيقيم فيهم خليفة آخر إلا إذا كان خاتم الخلفاء فإن الله يقيم نوابا عنه فيكونون خلفاء الخليفة من عند الله لا إنهم في منزلة الرسل خلفاء من عند الله و هم الأقطاب و أمراء المؤمنين إلى يوم القيامة فمن هؤلاء النواب من يكشف الله عنه الغطاء فيكون من أهل العين و الشهود فيدعو إلى الله على بصيرة كما دعا الرسول ع و لو لا إن الزمان قد اقتضى أن لا يكون مشرع بعد رسول الله ص لكان هؤلاء مشرعين و إن لم يأتوا إلا بشرع رسول الله ص فإنهم كانوا يكونون فيه كما كان رسول الله ص في شرع من قبله إذا حكم به في أمته فهو فيه بمنزلة الأول الذي كان قبله لا أنه خليفة عنه في ذلك و إن قرره فلما منع الله ذلك في هذه الأمة علمنا أنهم خلفاء رسول الله ص و إن دعوا إلى الله على بصيرة كما دعا رسول الله ص كما ورد في القرآن العزيز عنه في قوله أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى‌بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي و سمانا ورثة و أخبر ص أنه ما ورثنا إلا العلمثمإن دعاءه ص في إن يمتعه الله بسمعه ليسمع كلام الله و بصره ليرى آيات الله في الآفاق و في نفسه ثم قال و اجعل ذلك الوارث منا يعني السمع و البصر فإن الله هو خير الوارثين وقد قال تعالى في الخبر الصحيح عنه كنت سمعه و بصرهفهوية الحق إذا كانت سمع العبد و بصره كان الحق الوارث منه الذي هو عين سمعه و بصره فدعا بهذه الصفة أن تكون له حتى يقبض عليها فكأنه يقول اللهم متعنا بك فأنت سمعنا و بصرنا و أنت ترثنا إذا متنا فإنك أخبرت إنك خير الوارثين و إنك ترث الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها أي أنت الخير الذي يرثه الوارثون من خلفائهم و هم متبعو الرسل صلوات الله عليهم فهو تعالى الخير الذي يناله الوارثون كما أنه خير الوارثين من حيث إنه وارث و هكذا الإشارة في كل خير منسوب مضاف مثل خير الصابرين و الشاكرين و مثل هذا مما ورد عن الله في أي شرع ورد و من التوقيعات الإلهية أيضا المبشرات و هي جزء من أجزاء النبوة فأما أن تكون من الله

إليه أو من الله على يدي بعض عباده إليه و هي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له فإن جاءته من الله في رؤياه على يدي رسوله ص فإن كان حكما تعبد نفسه به و لا بد بشرط أن يرى الرسول ص على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنده حتى أنه إن رأى رسول الله ص يراه مكسور الثنية العليا فإن لم يره بهذا الأثر فما هو ذاك و إن تحقق أنه رسول الله ص و رآه شيخا أو شابا مغايرا للصورة التي كان عليها في الدنيا و مات عليها و رآه في حسن أزيد مما وصف له أو قبح صورة أو يرى الرائي إساءة أدب من نفسه معه فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله ص ما هو رسول الله فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع إما في البقعة التي يراه فيها و إما أن يرجع ما يراها إلى حال الرائي أو إلى المجموع غير ذلك لا يكون فإن جاءه بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به إن اقتضى ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به بخلاف حكمه لو رآه على صورته فيلزمه الأخذ به و لا يلزم غيره ذلك فإن الله يقول ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين فإنهم قد يرونه ص في كشفهم فيصحح لهم من الأخبار ما ضعف عندهم بالنقل و قد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل كما ذكر مسلم في صدر كتابه عن شخص أنه رأى رسول الله ص في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في حفظه فأثبت له ص من الألف ستة أحاديث و أنكر ص ما بقي فمن رآه ص في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا فهو معصوم الصورة حيا و ميتا فمن رآه فقد رآه في أي صورة رآه فالمبشرات من التوقيعات الإلهية و ثم توقيعات أخر إلهية من الأسماء الإلهية تعرف إذا وردت على قلوب العارفين بالله في كشفهم و هو أن يكون التوقيع الذي يجيء إلى هذا الولي من اسم خاص إلهي من الأسماء الحسنى مما دون الاسم الله فإنه ما يخرج منه في توقيع أصلا من حيث دلالته و إنما يخرج منه إذا ذكر مقيدا بحال يستدعي اسما خاصا بذلك الحال كني عن ذلك الاسم بالاسم الله لتضمنه خاصة و أكثر ما تخرج التوقيعات لأولياء الله من الله و الرحمن و الرب و الملك لا غير هذا هو الغالب المستمر فإن خرج باسم غير ما ذكرنا فهو شاذ يحكم به على حد ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم و هو دليل على مضمون ذلك التوقيع لهذا الولي فيتصرف فيه به بحسب ما يقتضيه و يحتاج هذا الولي إلى علم عظيم بالمواطن و صور الأحوال و مراتب العالم و علم المحو و الإثبات و الشئون الإلهية كل ذلك لا بد أن يعرفه العلماء بالله و إن لم يعرفوا ذلك و أمثاله فلا يتعدى قدره و ليدخل في عمار الناس و يلزم الجماعة فإن يد الله معهم و من شذ من الجماعة على غير بصيرة فقد شذ إلى النار بل صاحب البصيرة من المحال أن يشذ عن الجماعة فإنه لا يشذ عن يد الله و لكن يعلم و هو في الجماعة و معها ما لا يعلمه واحد و أحد من الجماعة إلا من كان مثله فهو مع من هو مثله جماعة ما هو ممن صلى وحده فالسعيد من وقف عند حدود الله و لم يتجاوزها و أنا و الله ما تجاوزنا منها حدا و لكن أعطانا الله من الفهم عنه تعالى فيها ما لم يعطه كثيرا من خلقه فدعونا إلى الله على بصيرة من أمره إذ كنا على بينة من ربنا ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

«الباب الموفي عشرين و أربعمائة في معرفة منازلة التخلص من المقامات»

نظرته تجدوا في هو الذي ما هو ... ما في الوجود سواه فانظروه كما

في قلبه منه أمثال و أشباه | و من يدل عليه فهو ذو جدل
لولاه ما نطقت بالذكر أفواه | لولاه ما نظرت عين بناظرها
و اثبت عليه فما في الكون إلا هو | فاحكم عليه به و أنت في عدم
أقواله في وجود الكون لولاه | و الله لولا وجود الحق ما قبلت

قال الله تعالى يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا و الجامع للمقامات ما له مقام يقتضيه من عرف نفسه عرف ربه و قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ يعني الدالة عليها في الآفاق وَفِي أَنْفُسِهِمْ و هي مقيدة فلا بد أن يقيد مدلولها و إن دلت على إطلاقه فكونه مطلقا تقييد لأن التقييد تمييز فمعرفة العارفين به تعالى ليس من رؤية الآيات الخارجة و الداخلة فإنها تدل على مقيد في إطلاق أو إطلاق في مقيد و العارفون يرونه عين كل شيء المخلوق قال لمن أساء في حقه فقطع رحمه لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ فالحق أولى بهذه الصفة لمن أساء في حقه بقطع رحمه فإنا لا نشك أن قاطع الرحم ما قطعها إلا بجهله و ما انقطعت الرحم فالرحم موصولة في نفس الأمر فهي موصولة عند العالم فمن جانبه موصولة و من جانب الجاهل بها مقطوعة و لما رجع الأمر كله لله مما وقعت فيه الدعاوي الكاذبة لم يدل رجوعها إلى الله تعالى على أمر لم يكن عليه الله بل هويته هي هي في حال الدعاوي في المشاركة و في حال رجوع الأمر إليه و المقام ليس إلا للتمييز و ما ثم إلا واحد فعمن يتميز فلا مقام بل هوية أحدية فيها صور مختلفة فزيد أحدي العين لو لم يكن في الوجود إلا هو لم يتميز عن شيء لأنه ما ثم إلا هو و لم يتميز عنه شيء لأنك ما فرضت موجود إلا هو خاصة و لا مقام له يتميز به عن غيره إذ لا غير هناك فإن يده متميزة عن رجله و رأسه متميز عن صدره و أذنه عن عينه و كل جارحة متميزة عن غيرها من الجوارح و كل قوة منه في باطنه لها حكم ليس للأخرى و محل ليس للآخر فتميزت الصور في عين واحدة لا تميز فيها و لا مقام لها فنحن له كالأعضاء للواحد منا و القوي فما ثم عمن نتميز و لا يتميز عنا و لكن تميزنا بعضنا عن بعض كما قررنا و لا تنسب الأحكام و المقامات لأعضائنا و إنما ينسب ذلك كله إلينا فيقال بطش فلان بفلان و مشى فلان إلى فلان و سمع فلان كلام فلان و رأى فلان فلانا ما ينسب شيء من هذا كله إلى آلة و لا إلى قوة و لا إلى عضو فـ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فـ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فاعلم أنه لا يخلص من المقامات إلا وارث محمد ص الذي آتاه الله جوامع الكلم و علم الأسماء كلها و علم الأولين و الآخرين فكل الصيد في جوف الفرا فما ثم عمن نتميز فإن العالم كله في وارث محمد ص كما هو في محمد ص فقد خلص من حكم المقامات عليه فهو يحكم بها بحسب ما تعطيه الأحوال فإنه العليم الحكيم فالأسماء الإلهية كلها هي تظهر المقامات و بها يحكم الحاكم و لا حاكم إلا الله و ما يبدل القول لديه فالقول له الحكم فبالقول يحكم الحق فتنبه لمن هو المحكوم عليه و المحكوم به و المحكوم فيه و الحاكم تعرف من هو المخلص من المقامات و الذي لا مقام له و أما المقام المحمود و هو المقام المثنى عليه الذي أثنى عليه الله الذي يقيم الحق فيه سبحانه محمدا ص فهو مقام شفاعة رسول الله ص في الشافعين أن يشفعوا يوم القيامة من ملك و رسول و نبي و ولي و مؤمن و أن يخرج الحق من النار أو يدخل الجنة من لم يعمل خيرا قط حتى لا

يبقى في النار إلا أهلها الذين هم أهلها فيبقيهم الله فيها على صفة و مزاج لو أخرجهم الله بذلك المزاج إلى الجنة لتعذبوا و أضر بهم دخولها كما تضر رياح الورد بالجعل فيجيبه الله لما سأل فيه و إذا زاد سبب ظهور أمر على واحد فهو شفاعة سواء كان شفعا أو وترا لا بد أن يكون زائدا على واحد و أما الأحوال فلا سبيل إلى التخلص منها و هي فينا موهوبة و هي للحق ذاتية

فالحكم للحال و الأحوال حاكمة و ليس في الكون إلا الله و البشر
و نحن في عبرة لو كنت تعقلها فكل شيء سوى الرحمن يعتبر
نحن النجوم التي في الغرب موقعها و ليس يظهر إلا الشمس و القمر
الطمس فينا و ذاك الطمس ينفعنا و ليس يدريه إلا من له نظر
فلا تخف فسوى الرحمن ليس له عين و ليس له التحكيم و الأثر
إليه يرجع أمر الخلق كلهم حتى القضاء و حتى الحكم و القدر
و هو الوجود الذي ما عنده ضرر و الشر ليس له في خلقه أثر
فالشر ليس إليه جل خالقنا عنه بذا جاء عن إرساله الخبر

من عرف الضلالة و الهدى لم يطل عليه المدى و علم إن الله لا يترك خلقه سدى كما لم يتركه ابتداء و إن لم ينزله منازل السعداء فإن الله برحمته التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ لا يسرمد عليه الرداء و كيف يسرمده و هو عين الرداء فهو في مقام الفداء و إشارة سهام العداء فله الرحمة آخرا خالدا مخلدا فيها أبدا و الله تعالى يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و العشرون و أربعمائة في معرفة منازلة من طلب الوصول إلي بالدليل و البرهان لم يصل إلي أبدا فإنه لا يشبهني شيء»

توحيد ربك لا عن كشف برهان فكر فوحدته لا تقبل الثاني
و كل من يقبل الثاني فمتصف في حكمه بزيادات و نقصان
و ذاك واحد أعداد فيقبله و واحد العين لا يدري ببرهان
من يقبل المثل قد حارت خواطرنا فيه و هل ريء سر عين إعلان
إن الدليل على التركيب نشأته فكيف يعطي وحيد العين في الشأن
يا بانيا عقده على الدليل لقد جهلت أين أساس القصد يا باني
من كان ذا صفة فأين وحدته المنزل القاصي ليس المنزل الداني
من الذي هو قاص في دلالتنا و قد أتيت على هذا بسلطان

و الحق يعضده من جانب ثاني   الشرع توحيده توحيد مرتبة

قال الله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ يعني من كل عين من أعين الوجوه و أعين القلوب فإن القلوب ما ترى إلا بالبصر و أعين الوجوه لا ترى إلا بالبصر فالبصر حيث كان به يقع الإدراك فيسمى البصر في العقل عين البصيرة و يسمى في الظاهر بصر العين و العين في الظاهر محل للبصر و البصيرة في الباطن محل للعين الذي هو بصر في عين الوجه فاختلف الاسم عليه و ما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بأبصارها كذلك لا تدركه البصائر بأعينها ورد في الخبر عن رسول الله ص أن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار و إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم فاشتركنا في الطلب مع الملإ الأعلى و اختلفنا في الكيفية فمنا من يطلبه بفكره و الملأ الأعلى له العقل و ما له الفكر و منا من يطلبه به و ليس في الملإ الأعلى من يطلبه به لأن الكامل منا هو على الصورة الإلهية التي خلقه الله عليها و ليس الملك عليها فلهذا صح ممن هذه صفته أن يطلب الله به و من طلبه به وصل إليه فإنه لم يصل إليه غيره و إن الكامل منا له نافلة تزيد على فرائضه إذا تقرب العبد بها إلى ربه أحبه فإذا أحبه كان سمعه و بصره فإذا كان الحق بصر مثل هذا العبد رآه و أدركه ببصره لأن بصره الحق فما أدركه إلا به لا بنفسه و ما ثم ملك يتقرب إلى الله بنافلة بل هم في الفرائض ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم فليس لهم مقام ينتج لهم أن يكون الحق بصرهم حتى يدركوه به فهم عبيد اضطرار و نحن عبيد اضطرار من فرائضنا و عبيد اختيار من نوافلنا كما هو رب ذاتي من وجودنا و رب مشيئة من حكمه فينا فالربوبية الذاتية ضرورية لا يمكن رفعها و ربوبية المشيئة عينها الإمكان في الممكنات فيرجح بها ما شاء فمن لا مشيئة له لا ترجيح له كمن لا نافلة له لا يكون الحق بصره و إن أمكن خلاف هذا عقلا و لكن كلامنا في الواقع الذي أعطاه الكشف ما كلامنا في الجواز العقلي لأنه يستحيل عندنا أن ينسب الجوار إلى الله حتى يقال يجوز أن يغفر الله لك و يجوز أن لا يغفر الله لك و يجوز أن يخلق و يجوز أن لا يخلق هذا على الله محال لأنه عين الافتقار إلى المرجح لوقوع أحد الجائزين و ما ثم إلا الله و أصحاب هذا المذهب قد افتقروا إلى ما التزموه من هذا الحكم إلى إثبات الإرادة حتى يكون الحق يرجح بها و لا خفاء بما في هذا المذهب من الغلط فإنه يرجع الحق محكوما عليه بما هو زائد على ذاته و هو عين ذات أخرى و إن لم يقل فيها صاحب هذا المذهب إن تلك الذات الزائدة عين الحق و لا غير عينه فالذي نقول به إن هذه العين المخلوقة من كونها ممكنة تقبل الوجود و تقبل العدم فجائز إن تخلق فتوجد و جائز أن لا تخلق فلا توجد فإذا وجدت فبالمرجح و هو الله و إذا لم توجد فبالمرجح و هو الله يستقيم الكلام و يكون الأدب مع الله أتم بل هو الواجب أن يكون الأمر كما قلنا و أما احتجاجهم بقوله لَوْ شاءَ اللهُ و لَوْ أَرادَ اللهُ فهو عليهم هذا الاحتجاج لا لهم لزومية إن لو حرف امتناع لامتناع و بلا حرف امتناع لوجود

و هو نفي أن ذا سر عجيب   فانظروا وجوبه و اعتبروا

فهو يدعو نفسه ثم يجيب   مثل من يدعو و ما ثم لمن

كل ذي عقل سليم و نجيب   و بهذا ورد النص إلى

و لقد كان على مثل الذي جاءه يطوف دهرا و يجوب

مثل ذا زرت فتى من هاشم أصله ما بين لخم و تجيب

و استجيبوا للذي أسمعكم إنه المحروم من لا يستجيب

فاعلم إن الإمكان للممكن هو حكم الذي أظهر الاختيار في المرجح و الذي عند المرجح أمر واحد و هو أحد الأمرين لا غير فما ثم بالنظر إلى الحق إلا أحدية محضة خالصة لا يشوبها اختيار ألا تراه يقول تعالى لو شاء كذا لكان كذا فما شاء فما كان ذلك فنفى عن نفسه تعلق هذه المشيئة فنفى الكون عن ذلك المذكور غير إن الله تعالى نسبتين في الحكم الواقع في العالم بالامتناع أو بالوقوع فالنسبة الواحدة ما ظهر من العالم في العالم من الأحكام الواقعة و الممتنعة بمشيئتهم أعني بمشيئة العالم التي أوجدها الله في العالم و النسبة الأخرى ما يظهر من الأحكام في العالم لا من العالم و ذلك من الله بالوجه الخاص الذي لله في كل كائن الذي لا يعلمه إلا أهل الله خاصة و المشيئة التي يشاء بها العالم من العالم مشاءة لله تعالى من الوجه الخاص ثم هي لله كالآلة للصانع ظاهرة التعلق منفية الحكم فالعلماء بالله ينسبون الواقع بالآلة إلى الله و الذين لا علم لهم ينسبونها إلى الآلة و طائفة متوسطة ينسبون إلى الآلة ما ينسب الحق إليها على حد علمه في ذلك و ينسبون الكل إلى الله أدبا مع الله و حقيقة فهم الأدباء مع الله المحققين و هم الذين جمعوا بين الشرع و العقل و الوجه الصحيح في العلم الإلهي لا يتمكن للعقل أن يصل إليه من حيث نظره لا بل و لا من جهة شهوده و لا من تجليه و إنما يعلم بإعلامه على الوجه الذي يكون إعلامه لمن اختصه من صور عباده الظاهرة في وجوده فإن العلم بالله من حيث النظر و الشهود على السواء ما يضبط الناظر و لا المشاهد إلا الحيرة المحضة فإذا وقع الإعلام الإلهي لمن وقع حيث وقع من دنيا و آخرة حصل المقصود

دلالات الوجود على وجودي تعارضها دلالات الشهود

فإن العين ما شهدت سواه بعين شهودها عند الوجود

و أين الغير لم يثبت فيبدو مع التكثير من عين المزيد

عجبت لمن يعز و قد تعالى و يظهر في المراد و في المريد

لقد نزلت معاليه و جلت بأحكام الدلائل بالسعود

أمن بعد النزول يكون مرقى و عين نزوله عين الصعود

إضافات الأمور لها احتكام فكون الرب في كون العبيد

فلو لا الأصل ما ظهرت فروع تدل على الأصول من الشهيد

لقد أظهرت سر الأمر فيه لكل مثاقف ندب جليد

عزيز في تصرفه شديد صبور لا يقاومه صبور

فإن الدليل يعطي وجودي إذ ليس الدليل سوى عيني و لا عيني سوى إمكاني و مدلولي وجود الحق الذي إليه استنادي و نفي ما هو حق لي عمن إليه استنادي و الشهود ينفي وجودي لا ينفي حكمي فيمن ظهر فيه ما ينسب إليه أنه عيني و هو حكمي و الوجود لله فاستفدت من الحق ظهور حكمي بالصور الظاهرة لا حكم ظهور عيني فيقال و ما ثم قائل غيري إن هذه الصور الظاهرة في الوجود الحق التي هي عين حكمي إنها عيني هذا يعطيه الشهود فالشهود يعارض الأدلة النظرية و الخلق لله يعلمه و علمه ليس سوى ما أعطاه ما أنا عليه في عيني و ليس في البراهين أصح من برهان إن و هو عند القائلين بالبراهين البرهان الوجودي و ليس يدل شيء منه على معرفة هوية الحق و غايته علمه بنسبة الوجود إليه و أن عينه عين وجودي و نفي ما يستحقه الحادث عنه غير هذا لا يعرف منه بالبرهان و ساعده الشرع و هو ما أوحى به إلى الرسول المترجم عنه الذي أخبر عنه أنه لا ينطق عن الهوى و أنزله في الكون منزلته فمما نطقه به مما ساعد النظر الفكري لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ و هو من الكلام الظاهر الذي يمكن أن يكون له وجه غير الوجه الذي يضبطه العقل منه و يكون له الوجه الذي يضبطه العقل منه و ما ورد السمع بأقوى من هذه الدلالة مع هذا الاحتمال الذي فيها

و ليس يريك من الحق عينا أصح البراهين برهان إن

و فيما عدا الحق يعطيك كونا ففي الحق يعطيك نفيا و سلبا

بها مثل قول المشرع أينا و ينفي نعوتا أتاك القرآن

يريد بذلك حفظا و صونا و يأتى به علما ظاهر

أصح دليل و أقواه بينا و علم إلا له بما قاله

وجود الذي ساقه الشرع عونا تحيل العقول ببرهانها

و يكسوه حمدا فيكسوه زينا و يقبله كل عقل سليم

و لما كان الدليل النظري مثلثا في المعنى مربعا في الظاهر و التثليث فرد و التربيع شفع لذلك لم يعلم من الحق إلا فردية المرتبة و لم تعلم إلا بالخلق فارتبط الحق بالخلق و الخلق بالحق ارتباط التربيع بالتثليث و التثليث بالتربيع في المقدمتين اللتين أعطت العلم بتوحيد الله في ألوهيته فانظر إلى حكم الحقائق كيف اقتضت في الأدلة أن تكون على هذه الصورة فضم الوجود حقا و خلقا و واجبا لنفسه و واجبا بغيره

كالبيت و هو مربع محسوس إن الدليل مثلث الأركان

الكائنات يبينه التقديس و كذلك الحق الذي دلت عليه

ما حظه الترجيل و التعريس حظ الدليل من الإله وجوده

فدليل شرع أنه ملموس إن قلت إن الحق عنك منزه
في الحالتين فعقلك المنحوس و منزه أيضا بشرعك فاعتبر
يتلوه من رحماته التنفيس إن جاء كرب الفكر من تنزيهه
تثليث أو تربيع أو تسديس لله عين في المراتب كلها
في قلبكم يأتي به التخميس فإذا أراد الله حفظ وجوده
كالخمس والعشرين يا مرءوس الحق يحفظ نفسه و عباده
في خمسة قد زال عنك البؤس فإذا أتيت بخمسة مضروبة
و تعين التأصيل و التأسيس و لحقت بالملإ المقدس كونه
يدعوك يا من غره إبليس ودعيت في الملاين إن حققت من
في كونه سبقا فأنت رئيس أنت المقدم في الوجود كآدم

أراد بالبيت في هذا النظم المشبه به الكعبة فإنها ذات ثلاثة أركان مثلثة الشكل و لهذا جعل الحجر فلما اقتطع من البيت مقدار سبعة أذرع حجروا عليها بالحجر حتى يصح الطواف بالبيت فإنه صح عن رسول الله ص إن الكعبة لما بنيت قصرت بهم النفقة فتركوا من البيت سبعة أذرع في الحجر و لهذا ردها عبد الله بن الزبير على قواعد إبراهيم ع فأمر عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف أن يردها على ما كانت عليه أولا ثم ندم و قال يا ليتني تركت ابن الزبير و ما تحمل ثم ترك الأمر و أدار الحجر كما كان احتراما للبيت لئلا يتعرض إليه بالهدم في كل وقت من الخلفاء على ما يعطيهم في ذلك فأبقاه سدا لهذه الذريعة فاعلم ذلك أما تثليثه ليكون على اثنتي عشرة قاعدة كل ثلث من العلم بالله فالثلث الواحد من العلم بالله هو ما يعلم من الله بالدليل و الثلث الآخر ما يعلم منه سبحانه بالشهود عند التجلي و الثلث الثالث هو ما يعلم منه بإعلامه سبحانه و هو أصح الأقسام في العلم بالله و تفصيل قواعده يطول و قد أحلناك في العلم بها عليه سبحانه لتدرك ذلك ذوقا إن شاء الله تعالى و عن هذه القواعد ظهرت بروج الفلك و هي الحمل و الثور و التومان و السرطان و الأسد و السنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدي و الدالي و الحوت ثلاثة منها نارية و هي الحمل و الأسد و القوس و ثلاثة ترابية و هي الثور و السنبلة و الجدي و ثلاثة هوائية و هي الجوز أو تسمى التومان ثم الميزان و الدالي و ثلاثة مائية و هي السرطان و العقرب و الحوت فهي أربع مراتب مضروبة في ثلاثة المجموع اثنا عشر و هو انتهاء أسماء العدد من جهة بسائطه ثم يقع التركيب إلى ما لا يتناهى فمن واحد إلى تسعة و العقد ثلاثة عشرات و مئون و آلاف فالمجموع اثنا عشر و أما التسديس من ذلك فالتثليث نصفه فهما طرفا التسديس و هو الأكثر و التثليث و هو الأقل و المتوسط بين التثليث و التسديس التربيع كل ربع تسعة و هي منتهى بسائط مفردات العدد في الآحاد فالتسعة نظر إلى الاثني عشر و نظر إلى الستة و الكل ست و

ثلاثون قاعدة أمهات و تنتهي إلى ثلاثمائة و ستين قاعدة منها ظهر درج الفلك التي الكواكب تقطعه بسيرها و قد ربط الله ما يحدثه في عالم الأركان بقطع هذه الكواكب في هذه القواعد على كثرة الكواكب و أما ما يحدثه في عالم الجنان دون النار و الدنيا فيما تعطيه القواعد بحركتها لا بما يعطيه قطع الكواكب في هذه القواعد و لذلك اختلف الحكم فيما يتكون في الجنة و ما يتكون في الدنيا و النار فما في الجنة مانع يمنع ما تعطيه حركة القواعد و في الدنيا و النار موانع تمنع ما في قوة القواعد من التكوين و هذه الموانع عين قطع الكواكب في تلك القواعد

من ناظر في الله بالبرهان   ما أن أقول و لا سمعت بمثله

بدليله في صورة الإنسان   أن الإله يراه و هو منزه

و بعلمه من عالم الأركان   إلا الذي قال الدليل بفصله

من كل معصوم من الشيطان   ذاك الرسول و كل وارث حكمه

بالله حين يجول في الأكوان   الفكر يعجز عن تحقق علمه

أقواله في الله من سلطان   ما للجهالة في الذي جاءت به

في كل ما يبدو من الأعيان   فهو الوجود و ما سواه باطل

فقد بان لك إن كنت من أهل الأذواق بالعلم بالله أنه لا يعلم إلا بإعلامه سبحانه و تعالى و كل من قال إنه عز و جل يعلم بالدليل أو بالشهود فإنه يضرب في حديد بارد من جميع العلماء الناظرين في العلم بالأشياء بالدليل وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و العشرون و أربعمائة في معرفة منازلة من رد إلي فعلي فقد أعطاني حقي و أنصفني من مالي عليه»

و هو الوجود الذي أعياننا فيه   إني رأيت وجود الست أدريه

فيما يظن و فيه بعض ما فيه   الفعل بيني و بين الحق مشترك

فينا و في عالم الأكوان من فيه   إني سمعت كلاما غير منقطع

و قد توجه حق ما نوفيه   بسمعه لا بسمعي إنني عدم

يبليه وقتا و في وقت يعافيه   له وكيل علي من لا وجود له

بالكون في عينه حتى يوافيه   و لا يزال به ما دام متصفا

و ليس في نفسه أمر ينافيه   على نقيض مقام ليس يعرفه

و لا يزال عدوي أو نصافيه   أنا و إياه موجودان في قرن

و الجود لا يبدو إلا من مكافيه   فالأمر مفترق و الأمر مجتمع

إلا الذي قيل فيه إنه فيه		إني رمزت أمورا ليس يعرفها

إلا الوجود الذي حا ر الورى فيه		و ليس يعلم ما أبدية من عجب

و ليس يدريه إلا من يكافيه		فالحمد لله لا أبغي به بدلا

قال الله تعالى وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ و قال فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و قال لنبيه ص في رميه التراب في أعين المشركين وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى و قال بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً فعهد تعالى إلى أن الفعل الذي يشهد به الحس أنه للعبد هو لله تعالى لا للعبد فإن أضفته لنفسي فإنما أضيفه إلى نفسي بإضافة الله لا بإضافتي فأنا أحكي و أترجم عن الله به و هو قوله وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ فرد الفعل الذي أضافه إلي إلى نفسه و هو حقه الذي له قبلي بهذه الإضافة و لكن لا بد من ميزان إلهي نرده به إليه فإن الله تعالى لما رفع السماء وضع الميزانفي سباحة الكواكب في أفلاكها التي هي طرق في السموات لتجري بالمقادير الكائنة في العالم على قدر معلوم لا تتعداه فهي تعطي و تمنع بذلك الميزان الذي وضع الحق لها لأنها تشاهد الميزان الذي بيد الحق حين يخفض به و يرفع فإذا نظرت إلى من رفعه الحق بميزانه أعطته ما يستحقه مقام الرفع و إذا رأت الحق يضع بميزانه من شاء أعطته ما يستحقه مقام الوضع و ذلك هو التسخير الذي ورد في القرآن في النجوم أنها مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِفتعلم أن المكلفين هم المقصودون بالخطاب و التكليف فإنهم محل العقاب و الثواب بخلاف سائر المخلوقين و ذلك للحجاب الذي ضرب الله بينهم و بين مشاهدة الأمور منهم و من سائر المخلوقات إنها لله لا لهم فلما أدعوها أضافها الحق إليهم بحسب دعواهم و كلفهم ابتلاء منه لدعواهم فمن كشف الله عن بصيرته و رأى الأفعال كلها لله لم ير الا حسنا منه و من سائر المخلوقات و أن الله هو الصادق فقال إن الله لا يضيع أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا فطلبنا على الإحسان ما هو فورد في الخبر الصحيح أن الإحسان هو أن نعبد الله كأنا نراهفنشرع في العمل على الحجاب فإذا رأينا المعمول له رأينا العمل صادرا منه فينا ما نحن العاملين فلما رأينا هذا خفنا من مزلة القدم فيما سماه من أفعاله حسنا و سيئا و علمنا أنه ما أضاف العمل إلينا إلا لدعوانا في الأفعال إنها لنا فإذا حصلنا في هذا المقام من الشهود فما كان من حسن أضفناه إليه تعالى خلقا فينا و أضفناه إلينا من كوننا محلا لظهوره و إن كان سيئا ذلك العمل أضفناه إلينا بإضافة الله فنكون حاكين قول الله فيرينا الله حسن ما في ذلك المسمى سوء فبدل الله سيئاتنا حسنات و ما هو إلا تبديل الحكم لا تبديل العين ثم إنه جميع ما طرأ منا في هذا كله من نظر ورد واحد فهو بهذه المثابة فإن ذلك كله فعل ظهر فينا و نحن أهل شهود فليس لنا إلا الاستعداد الذي نحن عليه لقبول ما يخلق فيه من الأفعال المنسوبة في الشهود كما هي في سائر المخلوقات عند المخلوقات الذين يقولون مطرنا بفضل الله و رحمته بالوزن الذي جعله في سباحة كوكب من الكواكب و ما قدره الله له من المنازل التي ينزل فيها و المحجوب عن هذا المقام يقول مطرنا بنوء كذا و كذا فيذكر الكوكب المجبور في ذلك و يضيف ما ظهر من المطر الصائب إليه كما يضيف أفعاله خلقا إلى نفسه فسمي عند ذلك بأنه كافر بالله مؤمن بمن رأى الفعل منه و يسمى الأول مؤمنا بالله كافرا بمن رأى الحس الفعل صادرا منه من حيث ما هو محل و من المكلفين من ليس له هذا الشهود و لا تركه الايمان يقف مع

الحجاب الذي على عينه فيقول مثل ما يقول صاحب الشهود مطرنا بفضل الله و رحمته تقليدا لا علما حتى يتميز المؤمن من العالم فإن المؤمن يقول ذلك لورود الخبر الصادق به و يقوله صاحب النظر لما يعطيه دليل عقله مثل المؤمن سواء إلا أن له درجة زائدة و هذان الصنفان لا يبلغان مبلغ صاحب الشهود في الدرجة فإنه يزيد عليهما بالعين و كذلك يشاهد أفعال الحق في نفسه كما يعلمها صاحب النظر كما يؤمن بها المقلد للخبر و كل له مقام معلوم و لكن لا يستوي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فإن الحق لو رجع في التعريف عن إضافة هذه الأفعال إليه تعالى و كفر من أضافها إليه تعالى لرجع المؤمن لرجوع الحق عقدا و قولا و رجع العالم صاحب الشهود قولا لا عقدا فإنه لا يتمكن لصاحب الدليل إذا استحكم الرجوع عنه و لا لصاحب الشهود و إذا كان هذا هكذا فلا بد من التمييز بين المؤمن العالم و المؤمن فقد بينا لك صورة الميزان و الوزن و أن الوزن نعت إلهي لا ينبغي لعبد من عباد الله أن يغفل عنه في كل فعل ظاهر في الكون من موجود ما من الموجودات فلا يزال مراقباله في غيره فيحكم عليه بالميزان الموضوع عنده و ليس إلا الشرع و أما مراقبته في نفسه فبخلاف ما يرقبه في غيره فإنه لا يشهده من غيره إلا بعد ظهوره و وقوعه في الوجود من هذا الشخص و أما في نفسه فيرقب خاطره فإنه أول ما يوجده الله في خاطره و قلبه و قد عفا عنه تعالى فيما يجده من ذلك إلا بمكة فإذا راقبه و رأى أن الله قد جعل فيه قصد إظهار أمر ما فإن كان من الأفعال المقربة إلى سعادته الأخروية المحبوبة إلى الله المثنى عليه هيأ محله لقبول ما يفعل الله به من ذلك فيظهر الفعل و له الأجر من حيث ما هيأ نفسه و استعد و الكل من عند الله و إن كان مما ذمه الله شرعا فلا يهيء نفسه لظهور ذلك الفعل جهد الطاقة فإذا كان ذلك الفعل من المقدر عند الله وقوعه في هذا المحل سلب الله عن هذا العبد عقله و لم يعطه الاختيار و أعماه حتى يظهر ذلك الفعل في محله فإذا ظهر بحكم هذا الجبر الباطن رد الله إليه عقله فاعتبر فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ راكِعاً وَ أَنابَ و هذا معنى قوله ع إن الله إذا أراد إنفاذ قضائه و قدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى إذا أمضى قدره فيهم ردها عليهم ليعتبروا و أما الغافل الجاهل فحكمه ما هو المقرر في العموم و أما قولنا لا بمكة فإن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ بالإرادة للظلم فيها و هذا كان سبب سكنى عبد الله بن العباس بالطائف احتياطا لنفسه فإن الإنسان في قوته إن يمنع عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر الحق له خاطر سوء فذلك هو المعصوم و من له بذلك و لقد رأيت من هذه صفته و هو سليمان الدنبلي رحمه الله كان على قدم أبي يزيد البسطامي أخبرني عن نفسه على جهة إظهار نعمة الله عليه شكرا و امتثالا لأمر الله حيث قال وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ فقال لي إن له خمسين سنة ما أخطر الله له في قلبه خاطر سوء فهذا من أكبر العنايات الإلهية بالعبد قال تعالى وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ فنكر الظلم فخاف مثل ابن عباس و غيره و الإلحاد الميل عن الحق هنا و أما الميزان الموضوع الذي يظهر لكل عين يوم القيامة يظهر على صورة ما كان في الدنيا بين العامة من الاعتدال و ترجيح إحدى الكفتين فيعامل الحق صاحب ذلك الميزان بحسب ما يحكم به من الخفة و الثقل فجعل السعادة في الثقل و الإنس و الجن ما سميا بالثقلين إلا لما في نشأتهما من حكم الطبيعة فهي التي تعطي الثقل و لما كان الحشر يوم القيامة و النشور في الأجسام الطبيعية ظهر الميزان بصورة نشأتهم من الثقل فإذا ثقلت موازينهم و هم الذين أسعدهم الله فأرادوا حسنا و فعلوا في ظاهر أبدانهم حسنا

فثقلت موازينهم فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ألف مما دون ذلك و ما فوقه و أما القبيح السيئ فواحدة بواحدة فيخف ميزانه أعني ميزان الشقي بالنسبة إلى ثقل السعيد و اعلم أن الحق تعالى ما اعتبر في الوزن إلا كفة الخير لا كفة الشر فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي مع كون السيئة غير مضاعفة و مع هذا فقد خفت كفة خيره فانظر ما أشقاه فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير أو لعدمه بالجملة مثل الذي يخرجه سبحانه من النار و ما عمل خيرا قط فميزان مثل هذا ما في كفة اليمين منه شيء أصلا و ليس عنده إلا ما في قلبه من العلم الضروري بتوحيد الله و ليس له في ذلك تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبر الحق بالثقل و الخفة الكفتين كفة الخير و الشر لكان يزيد بيانا في ذلك فإن إحدى الكفتين إذا ثقلت خفت الأخرى بلا شك خيرا كان أو شر أو أما إذا وقع الوزن به فيكون هو في إحدى الكفتين و عمله في الأخرى فذلك وزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله إلى أسفل فإن الأعمال في الدنيا من مشاق النفوس و المشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار و ترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لأن لها العلو و الشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها و تخف كفة عمله فيهوي في النار و هو قوله فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ فكفة ميزان العمل هي المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعة صاحبها و الموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها و هو قوله تعالى يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ و ليس إلا ما يعطيهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم فهما وزنان وزن الأعمال بعضها ببعض يعتبر في ذلك كفة الحسنات و وزن الأعمال بعاملها يعتبر فيها كفة العمل فمن أراد أن يفوز بلذة الوجود فليعط الحق من نفسه لمستحقه و الله عز و جل يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و العشرون و أربعمائة في معرفة منازلة من غار علي لم يذكرني»

قلبي على كل حال في تقلبه	من واحد العين لا كثر و لا عدد
إذا تنزلت الأسماء منه على	منازل القلب لم يشعر بها أحد
مجهولة العين ما ينفك صاحبها	في حيرة ما لها نقص و لا أمد
إن قلت إني وحيد قال لي جسدي	أ ليس مركبك التركيب و الجسد
فلا تقولن ما بالدار من أحد	فالدار معمورة و الساكن الصمد
و ليس تخرب دار كان ساكنها	من لا يقوم به غل و لا حسد

قال الله تعالى وَ ما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ عن الوفاء بالعهد فإنا عهدنا إليهم أن يذكروني فأنفوا أن يذكروني إلا على طهارة كما قال ص إني كرهت إن أذكر الله إلا على طهر أو قال على طهارة و رأوا هؤلاء نفوسهم غير طاهرة لما فيها من الدعاوي في الخير الذي قام بهم من عند الله فينسبونه لأنفسهم و ما أعطوا الله حقه من رد ذلك إليه كما فعل القليل من عباده إلى غير الدعاوي من الأمور التي لا تتصف النفوس بوجودها بالطهارة فهؤلاء غاروا إن يذكروا الله و هم الذين يذكرون الله سرا في نفوسهم و أما الذين يذكرونه علانية

فإنهم شاهدوا قلوب العامة في غاية من الغفلة عن الله فقالوا إذا ذكرنا الله فيهم ذكروه فإنهم إذا سمعوا ذكر الله لم يتمكن لهم إلا أن يذكروه فيذكرونه بقلوب غافلة عما يجب لله من التعظيم فإذا كان مشهدهم هذا غاروا على الله فلم يذكروا وكان منهم الشبلي في أول حاله وغيره فما وفي هؤلاء بعهد الله ولا كانوا على معرفة من الله وهذا حال أكثر أهل الطريق ولا سيما أهل الورع منهم فخرجوا بهذا عن العهد الذي عهد إليهم الله من ذكره في قوله اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وما قيد حالا من حال وهو قوله ع الحمد لله على كل حال فإن القلب وإن غفل عن الذكر الذي هو حضوره مع المذكور فإن الإنسان من كونه سميعا قد سمع ذكر الله من لسان هذا الذاكر فخطر بالقلب ووعى ما جاء به هذا الذاكر ولم يجيء إلا بذكر اللسان الذي وقع بالسمع فجرد له هذا القلب ما يناسبه من الذاكرين منه وهو اللسان فذكر الله بلسانه موافقة لذكر ذلك الذاكر المذكر له والقلب مشغول في شأنه الذي كان فيه مع أنه لم يشتغل عن تحريك اللسان بالذكر فلم يشغله شأن عن شأن فما ذكر أحد الله عن غفلة قط وما بقي إلا حضور باستفراغ له أو حضور بغير استفراغ بل بمشاركة ولكن زمان أمره اللسان بالذكر ما هو زمان اشتغاله بغيره فما ذكره غافل قط أي عن غفلة في حال أمر القلب اللسان بالذكر إلا في حال ذكر اللسانثم إن اللسان قد وفى حقه في العلانية من الذكر فإنه من الأشياء المسبحة لله فمن غار على الله لم يعرفه وإنما يغار له لا عليه وأما أهل هذه المنازلة فإنهم غاروا على الله أن يذكره غيره وهم أهل الدعاوي في الذكر وهم يشهدون أن الله هو الذاكر نفسه بلسان عبده فذكروه وهم يعلمون أنهم ما ذكروه مثل قوله إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وهو من جملة الذكر فرأوا إن الحق لسانهم في الذكر فلم يذكروه بهذا الشهود فصحت المنازلة بقوله من غار علي لم يذكرنيلأنه عرف من الذاكر ومن المذكور فصار بمعزل عن الذكر في نفس الذكر وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى ثم إن الأسماء الإلهية ما كثرها الله إلا لاختلاف الآثار الظاهرة في الكون فإذا ذكره العارفون بالأسماء جعلوا الذكر لاسم ما من الأسماء وجعلوا المذكور اسما ما من الأسماء فكانت الأسماء يذكر بعضها بعضا فذلك الذكر ألسنة الأسماء ونحن وسائط فما ذكرناه إلا به ومن ذكرته به فلم تذكره ألا ترى ذكر من أنعم الله عليه إذا أذكره بنعمته فذلك لسان نعمته وأنت من نعمته فما ذكره إلا إحسانه لا أنت فمن غار على الله لم يذكره مع أنه أكثر عباد الله ذكرا بالصورة ولا ذكر له بالحقيقة فهو عبد حق لأنه الذاكر الصامت وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع والعشرون وأربعمائة في معرفة منازلة أحبك للبقاء معي وتحب الرجوع إلى أهلك فقف حتى أتشفى منك وحينئذ تمر عني قال الله تعالى يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فهو المحب المحبوب»

من أحب البقا أحب الرجوعا ... من أحب الفناء أحب لقائي
فترى الكون في الشهود صريعا ... ليس يبقى مع الشهود وجود
أودع الحق فيه معنى بديعا ... كل حب يكون فيه اشتياق
فتراني أصغى إليه سميعا ... فإذا الله قال إني محب

إن يكن ما يقول كان مطيعا　　و يقول الفؤاد في السر مني

ليس تعطي لمن يكون مذيعا　　إن لله في الوجود علوما

اعلم أيدنا الله و إياك أن للحق حكمين الحكم الواحد ما له من حيث هويته و ليس إلا رفع المناسبة بينه و بين عباده و الحكم الآخر هو الذي به صحت الربوبية الموجبة للمناسبة بينه و بين خلقه و بها أثر في العالم الوجود و بها تأثر مما يحدث في العالم من الأحوال فيتصف الحق عند ذلك بالرضا و السخط و غير ذلك و للعالم حكمان حكم به صحت المناسبة بينه و بين الحق و بها كان العالم خلقا لله و منسوبا إليه إنه وجد عنه فارتبط به ارتباط منفعل عن فاعل و لهذا الحكم لم يزل العالم مرجحا في حال عدمه بالعدم و في حال وجوده بالوجود فما اتصف بالعدم إلا من حيث مرجحه و لا بالوجود إلا من حيث مرجحه و الحكم الآخر هو من حيث هويته و حقيقته لا نعت له من ذاته كما قلنا في الحق في حكم رفع المناسبة ليصح قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في جناب الحق من حيث هويته و من جناب العالم من حيث هويته و المناسبات أحدثت النعوت من حيث النسب لا من حيث إنها أعيان وجودية

فما ثم إلا الحق و الحق فاعل　　و ما ثم إلا الخلق و الخلق منفعل

فلما وقعت المناسبة بين الله و بين العالم صح أن يقول يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فالحق محب محبوب فمن حيث هو محب ينفعل لتأثير الكون و من حيث هو محبوب يبتلي و العالم أيضا محب لله محبوب لله فمن حيث هو محب لله يبتلى لأجل الدعوى فيفتضح صاحب الدعوى الكاذبة و يظهر صاحب الدعوة الصادقة و من حيث إنه محبوب يتحكم على محبه فيدعوه فيستجيب له و يرضيه فيرضى و يسخطه فيعفو و يصفح مع نفوذ قدرته و قوة سلطانه إلا إن سلطان الحب قوي كما قال الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيد

و حللنا من قلبي بكل مكان　　ملك الثلاث الآنسات عناني

و أطيعهن و هن في عصياني　　مالي تطاوعني البرية كلها

و به قوين أعز من سلطاني　　ما ذاك إلا إن سلطان الهوى

و مع وجود المناسبة بين الإنسان و بين العالم و أهله من العالم فلم يحب الرجوع إلى أهله من أحبه منهم مع كونهم محبوبين لله إلا لكون الله قد عين لأهله حقا على هذا الشخص فيحب الرجوع إلى أهله ليؤدي إليهم حقوقهم التي أوجبها الله لهم عليه لا لغرض نفسي و لا لمناسبة كونية و لما علم الله أن مثل هؤلاء ما رجعوا إلا امتثالا لأوامره تعالى و وقوفا عند حدوده لئلا يتجاوزوها و يتعدوها قال لمن هذه صفته قف حتى أتشفي و هو قوله ص لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فهو لله في ذلك الموطن ليس لنفسه و لا لشيء من خلقه و سامحة الحق في رجوعه إلى أهله من هذا المقام لكونه ما يرجعه إلا حق الله الذي افترضه عليه لمن رجع إليه من أهله لعلمه بأنه يخاف فوت الوقت فيشهد له هذا الطلب للرجوع بأنه صادق الدعوى في محبته ربه تعالى لهذا قال و حينئذ تمر عني و هو لا يمر عنه إلا من حيث هذا المقام فإنه بعينه حيث كان قال

تعالى في مثل هذا المقام الذي يقتضي الصبر عن الله من حيث هذا المشهد الخاص وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ برجوعك لأداء هذه الحقوق فإنك بأعيننا لعلمه بأنه محب و المحب يتألم للفراق و الاشتغال بشهود الغير و لما سمعت في هذه المنا زلة قوله حتى أتشفي منك ثقل علي لقلة معرفتي بالحق في حال هذه المنا زلة فلما علم أنه قد شق مثل هذا علي آنسني بغيري في هذا الحكم فوقفني على قوله ص عن الله إنه أشد شوقا إلى لقاء أحبا به منهم إليهفإنه تعالى أعلم بهم منهم به و على قد ر العلم يكون الشوق مع علمي إن مثل هذه الأمور إنما هي ألسنة المقامات و الأحوال و أحكامها و أحكام الأسماء و هذا معنى قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمٰنِ وَفْداً و لا يحشر إليه إلا من ليس عنده من حيث هذا الاسم الخاص و هو عنده من حيث حكم اسم آخر غير هذا الاسم فمن عرف الحق بمثل هذه المعرفة لم يكبر عليه ما يسمعه عن الله من كل ما هو نعت المخلوق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و العشرون و أربعمائة في معرفة منا زلة من طلب العلم صرفت بصره عني»

طالب العلم ليس يد رك ذاتي — بدليل لكون ذاك محالا

فتراه يراني في كل عين — و تراني أبدية حالا فحالا

فيرى نفسه و ليس سوائي — و الهدى لا يكون قط ضلالا

قد رفعنا أبصارنا لشموس — أحرقت أوجها فكانت ظلالا

فإذا ما يقول ربك فاعلم — إنني واحد عليك أحالا

قال الله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ التقدير فإذا ما يقول ربك إنني واحد فاعلم أنه عليك أحال اعلم أن العلم الدليلي البرهاني يقضي برفع المناسبة بين العالم و بين هوية الحق و أن و لا رؤية من راء إلا بمناسبة بينه و بين المرئي فالحق لا يراه غير نفسه من حيث هويته فصاحب هذا العلم في حال شهوده و رؤيته ربه يحكم أنه ما رآه و حكمه صحيح و رؤيته صحيحة فلهذا قال صرفت بصره عني فإذا صرف بصره عنه كان الحق بهويته بصر لهذا العبد فإذا رآه بهذه الحال يكون ممن رأى الحق بالحق و الرائي عبد و المرئي حق و المرئي به حق و هذه أكمل رؤية تكون حيث كانت و قد ورد في الصحيح أن العبد يحصل له هذا المقام في الحياة الدنيا و في هذه النشأة التي تفارقها النفس المطمئنة الناطقة بالموت فقال تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فكثر و جمع فإنها أبصار الكون و لم يقل لا يدركه البصر و إن كان جمع قلة و لكن على كل حال هو أكثر من بصر قال الشاعر في جمع القلة

بأفعل و بأفعال و أفعلة — و فعلة يجمع الأدنى من العدد

فافعل مثل أكلب و أفعال مثل أبصار و أفعلة مثل أكسية و فعله مثل فتية و لما كانت هويته أحدية الوصف لم يكن فيها كثرة و هي بصره في كل مبصر فهو و إن تعددت ذوات المبصرين فالبصر واحد من الجميع إذ كان البصر هوية الحق فيصح إن البصر عند ذلك يدركه لأنه ليس غيره

فهو الرائي و المرئي به و المرئي فإن الحقيقة المنفية في هذه الآية في قوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ إن الأبصار هنا معان يدرك بها المبصرات ما هي تدرك المبصرات بخلاف ما هنا فإنه إذا كان عين الحق عين بصرك فيصح أن يقال في مثل هذا يدركه البصر فينسب الإدراك إليه مع صحة كونه بصرا للعبد فتفطن لهذه المسألة فإنها نافعة جدا و تعلم من ذلك أن لله عبادا عجل لهم رؤيته في الدنيا قبل الآخرة و لله عبادا أخر لهم ذلك و لله عبادا لا يرونه إلا بأبصارهم في الآخرة و ينزلون عن رتبة هؤلاء في الرؤية و لله عبادا يرونه في الدنيا بأبصار إيمانهم و في الآخرة البرزخية بأعين خيالهم يقظة و نوما و موتا و من هنا قال من قال من أهل الله أن العلم حجاب يريدون علم النظر الفكري أي العلم الذي استفاده العاقل من نظره في الله فهذا معنى قوله صرفت بصره عني فما رآني من رآني إلا بي و من رآني ببصره فما رأى إلا نفسه فإنني بصورته تجليت لهفرجال الله علموا الله بإعلام الله تعالى فكان هو علمهم كما كان بصرهم فمثل هؤلاء لو تصور منهم نظر فكري لكان الحق عين فكرهم كما كان عين علمهم و عين بصرهم و سمعهم لكن لا يتصور من يكون مشهده هذا و ذوقه أن يكون له فكر البتة في شيء إنما هو مع ما يوحى إليه على اختلاف ضروب الوحي و إنه من ضروب الوحي الفهم عن الله ابتداء من غير تفكر فإن أعطى الفهم عن تفكر فما هو ذلك الرجل فإن الفهم عن الفكر يصيب وقتا و يخطئ وقتا و الفهم لا عن فكر وحي صحيح صريح من الله لعبده و ذوق الأنبياء ع في هذا الوحي يزيد على ذوق الأولياء فإن قابل الأخص في الأعم محصل للأعم و ليس قابل الأعم الذي لا يتعين فيه الأخص يحصل له فيه ذوق الأخص و إن كان مندرجا فيه فلا حكم له في الذوق و إن كان له حكم في الكل إلا أنه لا يقدر على الفصل وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و العشرون و أربعمائة في معرفة منازلة السر الذي قال منه رسول الله ص حين استفهم عن رؤية ربه فقيل له رأيت ربك في ليلة الإسراء فقال نور إني أراه»

قد قام في الكون عينا في تجليه ... النور كيف يراه الظل و هو به
حكم التجلي و لكن في تحلة ... فإن تحلى بنعت النور كان له
من نور ذات يراه في تدليه ... الروح ظل و عين الجسم يبديه
ذي خلوة فيراه في تخلية ... و ليس يدري الذي قلناه غير فتى
عنه فبان له لدى توليه ... و قد يراه الذي ولى بصورته

قال الله عز و جل اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فمن النور من يدرك به و لا يدرك في نفسه فهو حجاب عليك عن نفسه و أنت و العلم حجاب عليك و قوله ص إن لله سبعين ألف حجاب أو سبعين حجابا الشك مني من نور و ظلمة الحديث فحجاب النور من هذه الحجب واحد و الظلم الحجابية ما بقي من هذا العدد فهو عين الحجاب عليك و هو المحتجب فيه فبنفسه احتجب فالنور لا يرى أبدا و الظلمة و إن حجبت فإنها مرئية للمناسبة التي بينها و بين الرائي فإنه ما ثم ظلمة وجودية إلا ظلمة الأكوان و كان ص يسأل الله في دعائه أن يجعله نورا لما علم إن الله

هو النور و علم إن النور الأدنى يندرج في النور الأعلى و علم إن الحق هو جميع ما يكون به العبد عبدا من جميع الوجوه و أنه من حيث هويته لا نعت له و لا صفة فعلم إن نسبة النعتية إليه و الصفة ما هو غير الحق لا من حيث صفة الحق بل من هويته و لا يذكر العبد بهويته و إنما يذكر بما يقوم به من الصفات و ليست إلا هوية الحق ف قوله و اجعلني نورا عين قولهو اجعلني أنت و أنتلا يكون بالجعل فقال له أقمني في علم شهود أني أنت حتى أتميز عن غيري من هويات العالم فأعلمهم و أعلم من أنا و هم لا يعلمون و إذا كان الأمر على هذا فما اندرج نور في نور و إنما هو نور واحد في عين صورة خلق فانظر ما أعجب هذا الاسم فالخلق ظلمة و لا يقف للنور فإنه ينفرها و الظلمة لا ترى النور و ما ثم نور إلا النور الحق فلهذا قال ص نور إني أراهفإنه ما رآه مني إلا هويته و ظلمتي لا تدركه و هذا سر خفي عن إدراك الأدلة النظرية و عن إدراك الشهود في الصور و هو من أسنى العلوم الإلهية الواضحة فلم يدركها من العبد إلا هو فهو العلم و العالم و المعلوم في هذه المسألة و لما فصل الإضافة إلى السموات و هو ما غاب من القوي و علا و إلى الأرض و هو ما ظهر من القوي الحسية و دنا قال الله تعالى إنه عين نفورها عن ذاتها فلم يشهد إلا هو فهو عين السموات و الأرض و لم نقل كما قال فيه المفسر معناه منور أو هاد فذلك له اسم خاص و هو الهادي الذي هداهم لإباية حمل الأمانة و إلى الإتيان بالطاعة لأمره فهو من باب إجابة الأسماء للأسماء إذا دعا بعضها بعضا فذلك علم آخر إلهي و أما هنا فما قال إلا أنه نور السموات و الأرض و النور النفور و يؤيد ذلك التشبيه بالمصباح على الوصف الخاص فإن مثل هذا النور المصباحي ينفر ظلمة الليل بل هو عين نفور ظلمة الليل مع بقاء الليل ليلا فإنه ليس من شرط وجود الليل وجود الظلمة و إنما عين الليل غروب الشمس إلى حين طلوعها سواء أعقب المحل نور آخر سوى نور الشمس أو ظلمة فوقع الغلط في ماهية الليل ما هي و لهذا قال و الليل إذا سجي فلو كان عين الليل عين الظلمة ما نعته بأنه أظلم فقد يكون الليل و لا ظلمة كما أنه قد يكون النهار و لا ضوء فإن النهار ليس إلا زمان طلوع الشمس إلى غروبها و إن طلعت مكسوفة فلا يزول الحكم عن كون النهار موجودا فإن قيل ما سمي النهار نهارا إلا لاتساع الضوء فيه قلنا و إن كان فلا يقدح فيما ذهبنا إليه من ماهية النهار فإن ذلك الكسوف أمر عارض لا يقدح في طلوع الشمس و لو أظلمت في نفسها فكيف و علة الكسوف لها معلوم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و العشرون و أربعمائة في معرفة منازلة قابَ قَوْسَيْنِ»

ما قاب قوسين إلا قطر دائرة	تعطي التميز بين الكون و الله
فمن يعاين عينا لا تغايرها	عين فذاك دنو العالم الساهي
و هو الذي فيه أو أدنى و فيه له	أسرار علم ولا تدري النهي ما هي
الشك يظهر في سلطان أو فلها	حكم المقرب ذي السلطان و الجاه
فهذه آية في النجم قد نزلت	دلت على كون أمثال و أشباه

عقدا و فعلا لدى التعيق و الباه و كل من جئته يدريه مختبرا

يقول باللفظ أنت الآمر الناهي و ذاك حين تجلى صورة دائرة

قال الله تعالى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى إشارة إلى التقريب الصوريورد في الخبر النبوي أن رسول الله ص يقول لو دليتم بحبل لهبط على اللهو قال تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و قال ص ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة في الثلث الباقي من الليلالحديث فحير العقول الضعيفة و نبه العقول المعتكفة على باب حضرته فعلمت ما أراد و لو استزدته لزاد كما قال ثُمَّ دَنا في إسرائه إلى السموات ليريه من آياته فَتَدَلّى فقوى ذلك منبها و مشيرا على أنه عين الحبل الوارد المذكور في الخبر فدل إن نسبة الصعود و الهبوط على السواء في حقه فجمع بين خبر صاحب الحوتو صاحب الإسراء أنه لم يكن واحد منهما بأقرب إلى الحق من الآخر فهي إشارة إلى عدم التحيز و إن الذات مجهولة غير مقيدة بقيد معين فكان من آياته التي أراه ليلة إسرائه كونه تدلى في حال عروجه و هذا عين ما أشار إليه أبو سعيد الخراز في قوله عن نفسه ما عرفت الله إلا بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ فكان بهويته في الجميع في حال واحدة بل هو عين الضدين فلو لا أنت ما كان دنو و لا تدل

ولا عروج ولا هبوط فلا دنو و لا تدل

محققا كلها خطوط فهذه إن نظرت فيها

فأنت من حيث هويتك لا نعت لك و لا صفة قيل لأبي يزيد كيف أصبحت فقال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي فإني بكيت زمانا و ضحكت زمانا و أنا اليوم لا أضحك و لا أبكي و الصعود و الهبوط نعت فلا صعود للعبد و لا هبوط من حيث عينه و هويته فالصاعد عين الهابط فما دنا إلا عين من تدلى فإليه تدلى و منه دنا فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ و ما أظهر القوسين من الدائرة إلا الخط المتوهم و كفى بأنك قلت فيه المتوهم و المتوهم ما لا وجود له في عينه و قد قسم الدائرة إلى قوسين فالهوية عين الدائرة و ليست سوى عين القوسين فالقوس الواحد عين القوس الآخر من حيث الهوية و أنت الخط القاسم المتوهم فالعالم في جنب الحق متوهم الوجود لا موجود فالموجود و الوجود ليس إلا عين الحق و هو قوله أَوْ أَدْنى فالأدنى رفع هذا المتوهم و إذا رفع من الوهم لم يبق سوى دائرة فلم تتعين القوسان فمن كان من ربه في القرب بهذه المثابة أعني بمثابة الخط القاسم للدائرة ثم رفع نفسه منها ما يدري أحد ما يحصل له من العلم بالله و هو قوله تعالى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى و ما عين لنا في الذكر الحكيم ما أوحى و لا ذكر رسول الله ص ما أوحى في ذلك القرب به إليه فكان التلقي في هذا الموطن تلقيا ذاتيا لا يعلمه إلا من ذاقه و ليست في المنازلة منازلة تقتضي التقاء النقطة بالمحيط إلا هذه المنازلة فإنه إذا التقى المحيط بالنقطة ذهب ما بينهما فذلك ذهاب العالم في وجود الحق و لم تتميز نقطة من محيط بل ذهب عين النقطة من كونها نقطة و عين المحيط من كونه محيطا فلم يبق إلا عين وجودية مذهبة حكمها و حكم ما ينسب من العالم إليها ذهابا كليا عاما عينا و حكما وَ اللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و العشرون و أربعمائة في معرفة منازلة الاستفهام عن الإنيتين»

و كل أين قواي أنا و أنتا إذا ما كنت عيني في وجودي
و إما أن يكون الشأن أنتا فأما إن يكون الشأن عيني
و من وجه سواه تكون أنتا و إما أن أكون أنا بوجه
و أنت محير الحيران أنتا فأنت الحرف لا يقرأ فيدرى
و جهلا بالأمور فأين أنتا أرى عجزا و ذاك العجز عيني
و لا تقوى على التوصيل أنتا فما أقوى على تحصيل علم
و حرت و عزة الرحمن أنتا فحرنا في وجود الحق عجزا
إلى قولي إذا ما قلت أنتا فزال أنا و هو و الأنت فانظر
و لا غيري فحرت بلفظ أنتا فمن أعني بأنت و لست عيني
و لا أنا عالم من قال أنتا لأني لا أرى مدلول لفظي
و أنت تغار منه و ليس أنتا أرى أمرا تضمنه وجودي
فتثبتنا بأمر ليس أنتا فإن زلنا تقول فعلت عبدي
فاعرف هل أنا أو أنت أنتا فقل لي من أنا حتى أراه
و لو لا العبد لم تك أنت أنتا فلو لا الله ما كنا عبيدا
و لا تنفي الأنا فيزول أنتا فأثبتني لنثبتكم إلها

قال الله تعالى وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فهذا إثبات الإنيتين و إثبات حكمهما ثم نفى الحكم عن إحداهما بعد إثباته و هو الصادق القول فاعلم أن إنية الشيء حقيقته في اصطلاح القوم فهي في جانب الحق إني أنا ربك و في جانب الخلق الكامل إني رسول الله فهاتان أنيتان ضبطتهما العبارة و هما طرفان فلكل واحدة من الإنيتين حكم ليس للأخرى

و ما ثم إلا الله ليس سواه و ذاك الذي قالوا و ذاك الذي عنوا
و يطلب من يدري و ما ثم إلا هو و كلف و التكليف يطلب حادثا

فالإنية الإلهية قائلة و الإنية القابلة سامعة و ما لها قول إلا بالتكوين فلا يقال لإنية الخلق في حال وجودها و ما القول إلا لمن هو في حال العدم فلا تكليف إلا في المعدوم لعدم نسبة الإيجاد للحادث فلا يقال للمنفعل انفعل فقد انفعل بقبوله الوجود و لا إيجاد يكون عنه فلا قول له و ما ثم عبث فإذا كلف قال لما كلف به كن في حال عدمه فيكون في محل هذا الحادث فينسب إليه و ليس إليه فلهذا كانت الإنيتان طرفين فتميزتا إلا أن لإنية

الحادث منزلة الفداء و الإيثار لجناب الحق بكونها وقاية و بهذه الصفة من الوقاية تندرج إنية العبد في الحق اندراجا في ظهور و هو قوله تعالى إِنَّنِي أَنَا اللهُ فلولا نون العبد التي أثر فيها حرف الياء الذي هو ضمير الحق فخفض النون فظهر أثر القديم في المحدث و لولاه لخفضت النون من أن و هي إنية الحق كما أثرت في قوله إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فإنه لا بد لها من أثر فلما لم تجد إنية العبد التي هي نون الوقاية أثرت في إنية الحق فخفضتها و مقامها الرحمة التي هي الفتح فما أزاله عن مقامه إلا هو و لا أثر فيه سواه فأقرب ما يكون العبد من الحق إذا كان وقاية بين إنية الحق و بين ضميره فيكون محصورا قد أحاط به الحق من كل جانب و كان به رحيما لبقاء صفة الرحمة فبابها مفتوح و بها حفظ على المحدث وجوده فبقي عين نون الوقاية الحادثة في مقام العبودية الذي هو الخفض المتولد عن ياء ضمير الحق فظهر في العبد أثر الحق و هو عين مقام العبد الذلة و الافتقار فما للعبد مقام في الوصلة بالحق تعالى أعظم من هذا حيث له وجود العين بظهور مقامه فيه و هو في حال اندراج في الحق محاط به من كل جانب فعرف نفسه بربه حين أثر فيه الخفض فعرف ربه حين أبقاه على ما هو عليه من الرحمة فإنه الرحمن الرحيم فما زال عنه الفتح بوجود عين العبد فلا يشهده أبدا إلا رحمانا و لا يعلمه أبدا إلا مؤثرا فيه فلا يزال في عبوديته قائما و هذا غاية القرب و لما حار أبو يزيد في القرب من الله قبل أن يشهد هذا المقام قال لربه يا رب بما ذا أتقرب إليك فقال بما ليس لي فقال يا رب و ما ليس لك و كل شيء لك فقال الذلة و الافتقار فعلم عند ذلك ما لإنية الحق و ما لإنية العبد فدخل في هذا المقام فكان له القرب الأتم فجمع بين الشهود و الوجود إذ كان كل شيء هالك فإن الشهود عند القوم فناء حكم لا فناء عين و في هذا المقام شهود بلا فناء عين و هو محل الجمع بيننا و بين الطائفة و بلا فناء حكم فإنه أبقى للحق ما يستحقه من الفتح الرحموتي إذ لولاه أعني لو لا هذا القرب المعين لعاد الأثر على إنية الحق و لهذا أظهر في إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ليعلم أن الأثر إذا صدر من الحق لا بد له من ظهور حكم و ما وجد إلا الحق فعاد عليه فجاء العبد فدخل بين الإنية الإلهية و المؤثر فعمل فيه

و إنية الحق ما تنضبط ␣ فانية الخلق مضبوطة
و كل بأحواله مغتبط ␣ فيأخذ من ذا و يعطيه ذا
مقام جليل لمن يرتبط ␣ فربط الوجود بعين الشهود
عبيد إذا سره قد شحط ␣ و ليس ينال مقام الدنو

و ما فرحت بشيء قط مما وهبنيه الحق من المنح التي تقبلها الأكوان فرحي بهذا المقام إذ حلاني به ربي و هو أعلى المقامات و أسناها و هو مقام كل ما سوى الله و لا يشعر به و ليست العناية من الله ببعض عباده إلا أن يشهده هذا المقام من نفسه فما يزيد على العالم كله إلا بالعلم به حالا و ذوقا و لا يجني أحد ثمرة الإيثار مثل ما يجنيها صاحب هذا المقام فإن ثمرة الإيثار على قدر من تؤثره على نفسك و الذي تؤثره على نفسك هنا إنما هو الحق فينسب إليك الفرح بما تجنيه من ثمرة هذا الإيثار على صورة نسبة الفرح إلى الحق فانظر ما أعظمها من لذة و ابتهاج و هذا أخصر ما يمكن من الإبانة عن هذا المقام وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و العشرون و أربعمائة في معرفة منا زلة من تصاغر لجلالى نزلت إليه و من تعاظم علي تعاظمت عليه»

فاحذ ر فما أنت له مقابل يعامل الحق بما يعامل
فإنه ليس له مماثل و كن له عينا و لا تكن به
بعينه فالبطل المنازل من حارب الله يرى صرعته
له من الله به المنازل هو الذي يرمي السلاح و الذي
أشد و القول بذاك نازل قد قال طيفور بأن بطشه
و كوننا فيه وجود حاصل فكونه فينا وجود ثابت

قال الله تعالى وَ ما كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ لأنه قال وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و ما خص مؤمنا من غير مؤمن فإذا كان العبد على مقامه الذي هو عينه مسلوب الأوصاف و لم يظهر منه تلبس بصفة محمودة و لا مذمومة فهو على أصله و أصله الصغار و يريد الحق ظهور الصفات فيه فلا بد أن ينزل إليه من هويته التي تقتضي له الغني عن العالم فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و النبي ص يقول يوم بدر لربه تعالى إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليومفلو قال مثل هذه المقالة غير رسول الله ص لقال المنكر ما شاء مما يليق به من حيث إنكاره لجهله و مثل هذه النفحات تهب على قلوب العارفين من أهل الله فإن نطقوا بها كفرهم المؤمن و جهلهم صاحب الدليل

و الحمد لله الذي قد عصم فالحمد لله الذي قد وهب
و هو الذي قال به من عصم فلم يقل ما شأنه قوله
و يشهد الله به من رحم فيحجب الله به من حرم

و رد في الخبر أنه من تواضع لله رفعه اللهو هو عين نزول الحق إليهو من تكبر على الله وضعه اللهو ما وضعه إلا بشهود عظمته فإنه تعالى العلي العظيم و لما قال ص إنما هي أعمالكم ترد عليكمعلمنا إنا ما نرى من الحق إلا ما نحن عليهفمن شاء فليعمل و من شاء لا يعملو هذه كلمة نبوية حق كلها فإن العمل ما يعود إلا على عامله و قد أضاف الأعمال إلينا فمن علم منا من هو العامل منا علم من يعود إليه العمل في الرد و هذا القدر من الإشارة في هذا الحديث كاف و لما كان الله هو الكبير المتكبر علمنا نسبة الكبر إليه و تحير من تحير في نسبة التكبر إليه فلو علم نزول الحق لعباده إذ ليس في قوة الممكن نيل ما يستحقه الحق من الغني عن العالم و في قوة الحق مع غناه من باب الفضل و الكرم النزول لعباده ما هو لعين عباده و إنما ذلك لظهور أحكام أسمائه الحسنى في أعيان الممكنات فما علم أنه لنفسه نزل لا لخلقه كما قال تعالى وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فما خلقهما إلا من أجله و الخلق نزول من مقام ما يستحقه من الغناء عن العالمين فالمتخيل من العباد خلاف هذا و أنه تعالى ما نزل إلا لما هو المخلوق عليه من علو القدر و المنزلة فهذا أجهل الجاهلين فأعطى الحق هذا النزول أو ما توهمه الجاهل أن يتسمى الحق بالمتكبر عن

هذا النزول و لكن بعد هذا النزول لا قبله وجودا و تقديرا لا بد من ذلك فالكبير ليس كذلك و سيرد تحقيق هذا الفصل في آخر الكتاب في الباب الثامن و الخمسين و خمسمائة إن شاء الله تعالى فهذه المنازلة تعطيك أن الحق مرآة العالم فلا يرون فيها غير ما هي صورهم عليه و هم في صورهم على درجات فهذا حصر لباب هذه المنازلة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة أن حيرتك أوصلتك إلى»

كل من حار وصل … والذي اهتدى انفصل

و هو نعت ثابت … للذي عز و جل

و هو نعت حاصل … لعبيد قد عقل

فإذا قال فتى … إنه اهتدى غفل

و تراه زاهيا … في حلي و حلل

كاشفا عورته … مثل ما جاء المثل

المثلقوله عليه الصلاة و السلام رب كاسية عارية قال الله تعالى في الحيرة وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ و من باب الحيرة وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ و كذلك فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ و القتل ما شوهد إلا من المخلوق فنفى ما وقع به العلم الضروري في الحسقال رسول الله ص في هذه المنازلة لا أحصي ثناء عليكو هذا مقام عزة الحيرة أنت كما أثنيت على نفسكو هذا حال الوصول و قال الصديق في هذه المنازلة العجز عن درك الإدراك إدراك فتحير فوصل فالوصول إلى الحيرة في الحق هو عين الوصول إلى الله و الحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلي لاختلاف الصور عليهم في العين الواحدة و الحدود تختلف باختلاف الصور و العين لا يأخذها حد و لا تشهد كما أنها لا تعلم فمن وقف مع الحدود التابعة للصور حار و من علم إن ثم عينا هي التي تتقلب في الصور في أعين الناظرين و لا في نفسها علم إن ثم ذاتا مجهولة لا تعلم و لا تشهد فتحصل من هذا أن العلماء بالله أربعة أصناف صنف ما له علم بالله إلا من طريق النظر الفكري و هم القائلون بالسلوب و صنف ما له علم بالله إلا من طريق التجلي و هم القائلون بالثبوت و الحدود و صنف ثالث يحدث لهم علم بالله بين الشهود و النظر فلا يبقون مع الصور في التجلي و لا يصلون إلى معرفة الذات الظاهرة بهذه الصور في أعين الناظرين و الصنف الرابع ليس واحدا من هؤلاء الثلاثة و لا يخرج عن جميعهم و هو الذي يعلم أن الله قابل لكل معتقد كان ما كان ذلك المعتقد و هذا الصنف ينقسم إلى صنفين صنف يقول عين الحق هو المتجلي في صور الممكنات و صنف آخر يقول أحكام الممكنات و هي الصور الظاهرة في عين الوجود الحق و كل قال ما هو الأمر عليه و من هنا نشأت الحيرة في المتحيرين و هي عين الهدى في كل حائر فمن وقف مع الحيرة حار و من وقف مع كون الحيرة هدى وصل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة من حجبته حجبته»

حجاب العبد منه وليس يدري ... بأن وجوده عين الحجاب
فيا قوم اسمعوا قولي تفوزوا ... بما قد قال في أم الكتاب
فلفظة نستعين قد أظهرتنا ... و أفعالي و عيني في تباب
فنحن التائهون بكل قفر ... و نحن الواقفون بكل باب

قال الله تعالى وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ فإذا خاطبهم ما يخاطبهم إلا بما تواطئوا عليه و إذا ظهر لهم في فعل من الأفعال فلا يظهر لهم إلا بما ألفوه في عاداتهم و من عاداتهم مع الكبير عندهم إذا مشى أن يحجبوه و معناه أن يكونوا له حجبة بين يديه كما قال نُورُهُمْ يَسْعىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ و سبب ذلك أن الكبير لو تقدم الجماعة لم يعرف و لم تتوفر الدواعي إلى تعظيمه فإذا تقدم الحجاب بين يديه طرقوا له و تأهبت العامة لرؤيته و حصل في قلوبها من تعظيمه على قدر ما يعرفونه من عظمة الحجبة في نفوسهم فيعظم شأنه فإذا أراد الله تعظيم عبد عند عباده عدل به عن منزلته و كساه خلعته و أعطاه أسماءه و جعله خليفة في خلقه و ملكه أزمة الأمور و حمل الغاشية بين يديه كما يحمل الملك الغاشية بين يدي ولي عهده و إن كان في المنزلة أعظم منه و لا بد لمن هذه حالته أن يعطي المرتبة حقها فلا بد أن ينحجب عن رتبة عبوديته و على قدر ما ينحجب عنها ينحجب عن ربه و لا يمكن إلا هذا فإن الحضرة في الوقت له و الوقت وقته و الحكم للوقت في كل حاكم ألا ترى الحق يقول عن نفسه إنه كُلَّ يَوْمٍ (هُوَ) فِي شَأْنٍ فهو بحسب الوقت لأنه لا يعطي إلا بحسب القابل فالقبول وقته حتى يجري الأمور على الحكمة و لما كان الوقت لصاحبه حكم عليه بما يظهر به و قال ص لا يؤمن الرجل في سلطانه و لا يقعد على تكرمته إلا بإذنه و لو كان الخليفة بنفسه إذا دخل دار أحد من رعيته فالأدب الإلهي المعتاد يحكم عليه بأن يحكم عليه رب البيت فحيثما أقعده قعد ما دام في سلطانه و إن كان الخليفة أكبر منه و أعظم و لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرءوسا ألا ترى أن وجود العبد و أعني به العالم ما ظهر إلا بوجود الحق و إيجاده لأن الحكم له ثم تأخر المتقدم و تقدم المتأخر فلم يظهر للعلم بالله عين حتى أظهره العلم بالعالم فكان ذلك جزاء الإيجاد و عاد ذلك الجزاء على العالم بذلك الناظر فيه إذ لم يكن الحق محلا للجزاء فعاد عمل العبد عليه كما عاد عمل الحق على الحق بما وقع به الثناء عليه من المحدثات و قد اتفق لعارفين من أهل زماننا فقال لي أبو البدر دخلت على الواحد منهما بميافارقين فذكرت له شأن العارف الذي ببغداد فقال لي إنه من جملة من يمضي أمري فيه قال فجئت إلى العارف الآخر ببغداد فقلت له إني أدخلت بميافارقين على الوكاف فذكرت له شأنك فقال لي إني رأيته في جملة من يمضي أمري فيه من خولي فقال كذا يزعم و الله لقد رأيته يحمل الغاشية بين يدي قال أبو البدر فحرت بينهما و كلاهما صادقان عندي فأزل عني هذه الغمة فقلت له رحمه الله كل واحد منهما صدق و إن كل واحد منهما رأى صاحبه في سلطانه و في محله و الحكم لصاحب المحل فذلك كان حكم المحل لا حكم مراتبهما و أما مقامهما فلا يعرف من هذا و إنما يعرف من أمر آخر فسر بذلك و عرف أنه الحق

فينبغي للمنصف أن يعرف المواطن و أحكامها أين موطن الغضب الإلهي من موطن الرضاء يفعل العبد فعلا فيسخط ربه به عليه فهو جنى على نفسه و الحق بحكم ذلك الواقع بين عفو و مؤاخذة و يفعل ذلك العبد فعلا يرضي به ربه فهو الذي أرضاه كما أسخطه فالحق مع عباده بحسب أحوالهم غير هذا ما يكون انظر في أحوال الخلق في الكثيب إذا نزلوا على الحق هنالك يتفرج العارفون فيما ذكرناه فإذا عادوا إلى جناتهم و أهليهم و تجلى الحق لهم يتغير الحال منهم لكون المنازل لهم و منزل الكثيب له إذا كان الحق سمعك و بصرك فقد نزل بك فإن تأدبت معه في النظر و الاستماع بقي عندك و إن أسأت الأدب رحل عنك و صورة الأدب معه موجودة فيما شرع لك أن تعامله به فإذا دخلت عليه في بيته و هو المسجد كان له الحكم فيك بسبب إضافة الدار إليه و الحكم له فأوجب عليك أن تحييه بركعتين و أن لا تعمل فيه ما لم يأذن لك في عمله فاعلم ذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة ما ارتديت بشيء إلا بك فاعرف قدرك و ذا عجب شيء لا يعرف نفسه»

إن الرداء الذي لم يدر لابسه ... هو الرداء الذي الرحمن لابسه
به تزين عند العالمين من الأرواح ... و الملأ القلبي حارسه
فإن بدت منه أخلاق تحيد به ... عن الهدى فرسول الله سائسه

قال الله تعالى مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰهَ و قال إِنَّ الَّذِينَ يُبٰايِعُونَكَ إِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اللّٰهَ و قال تعالى في الخبر عنه وسعني قلب عبدي المؤمن فالأمر حق ظاهره صورة خلق فهو من وراء ما بدا كما إن المرتدي من وراء ردائه فالعبد هو كبرياء الحق و عظمته فإنه قال الكبرياء ردائي و لهذا كان المخلوق محل عظمة الله لأن العظمة صفة في المعظم لا في المعظم و لو كانت في المعظم لما تعوذ منه من لا يعرفه قال الله لأبي يزيد لما خلع عليه أسماءه أخرج إلى عبادي بصورتي فمن رآك رآني فلما خطا خطوة غشي عليه فقال ردوا على حبيبي فإنه لا صبر له عني فمن عرف نفسه عرف الله و من عرف الله لم يعرف نفسه و العلم بالله تعالى جهلك بك و العلم بك علمك بالله فإنك منه كما قال جَمِيعاً مِنْهُ ما هو منك و ليس إلا معرفة المنزلة و القدر إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلىٰ قَلْبِكَ فأنت ليلة القدر لأنك من طبيعة و حق فشهد لك بعظم القدر قبل نزول القرآن عليك و أنت خير من ألف شهر أي خير من الكل لأنه منتهى العدد البسيط الذي يقع فيه التركيب إلى ما لا يتناهى كذلك ما يخلق الله لا يتناهى دائما فإنه خالق على الدوام و جاء بالشهر لشهرة ذلك في كل شهر من الألف ليلة القدر لا بد من ذلك فإن خير الشهور ما كان فيه ليلة القدر فهي خير من ألف شهر فيه ليلة القدر فهي جامعة لكل أمر فهي العامة في جميع الموجودات فالعبد في هذه المنازلة حافظ محفوظ حافظ من حيث إنه يحفظ المرتدي به غيرة و صونا و محفوظ من حيث إن المرتدي يحتاط عليه لئلا يضيع فإنه معرض للضياع فإنه مخلوق فلا بد له من حافظ هذا جزاء دوري فافهم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة انظر أي تجل يعدمك فلا تسألنيه فنعطيك فلا أجد من يأخذه»

يفنيك عنك فإنني لا تطلبن تجليا
لفناء عينك فانثنى أعطى و لست بآخذ
أمرا عليه ينبني عن مثل هذا و اطلبن
بما تسمى تكنني عين البقاء و لا تكن

قال الله تعالى لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ اعلم أن البقاء و الفناء لا يعقلان في هذا الطريق إلا مضافين الفناء عن كذا و البقاء مع كذا و لا يصح الفناء عن الله أصلا فإنه ما ثم إلا هو فإن الاضطرار يردك إليه و لهذا تسمى تعالى لنا بالصمد لأن الكون يلجأ إليه في جميع أموره وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فلم يبق أن يكون فناؤك إلا عنك و لا تفني عنك حتى تفني عن جميع الأكوان و الأعيان أعني فناء أهل الله فإن أتحفك الحق بتحفة منه تعالى فتحفه من جملة أكوانه فهي محدثة فتطلبك التحفة لتقبلها فتجدك فانيا عنها فعادت إلى معطيها فكان ذلك سوء أدب منك في الأصل حيث سألت ما قادك إلى مثل هذا فإن الله يعطي دائما فينبغي للعبد أن يكون قابلا دائما فلا تسأل إن كنت من أهل الله إلا عن أمر إلهي أعني على التعيين و إلا فاسأل الله من فضله من غير تعيينو اعلم أن تجليات الحق على نوعين تجل يفنيك عنك و عن أحكامك و تجل يبقيك معك و مع أحكامك و من أحكامك ملازمة الأدب في الأخذ و العطاء فمثل هذا التجلي فاسأل ما دمت في دار التكليف فإذا انتقلت إلى غير هذا الموطن فكن بحسب ذلك الموطن و لو لا التكليف ما وقعت من الله وصية لأحد من عباد الله فما أوصى العليم بالأمور إلا و قد علم أن للوصية أثرا في الأمور و سيرد الكلام في تحقيق الوصايا في آخر باب من أبواب هذا الكتاب إن شاء الله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة لا يحجبنك لو شئت فإنني لا أشاء بعد فأثبت»

في غيرها نسبة تبدو و لا أثر إن المشيئة عرش الذات ليس لها
تفني و تعدم لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ و هي الوجود فلا عين تغايرها
و ليس يدركها في الصورة البشر عزت فليس يرى سلطانها ملك
لأن فيه جميع الكون مختصر بكون آدم مخصوصا بصورته
له التنزل و الآيات و السور له المقاليد في الأكوان أجمعها
في صورة هي شمس الحق أو قمر فمن تنزله أن قال ندركه
و قد حوته بما قد قاله الصور مع التنزه عن تشبيه خالقنا

قال الله عز و جل ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و إن عا رضته المشيئة و ما في النسب أعجب منها لاستصحاب لو لها و لو لها أثر ما لها أثر فهو حرف عجيبا علم أنه ما اختص آدم بالخلافة إلا بالمشيئة و لو شاء جعلها فيمن جعلها من خلقه قلنا لا يصح أن تكون إلا في مسمى الإنسان الكامل و لو جمعها في غير الإنسان من المخلوقات لكان ذلك الجامع عين الإنسان الكامل فهو الخليفة التي خلق عليها فإن قلت فالعالم كله إنسان كبير فكان يكفي قلنا سبيل فإنه لو كان هو عين الخليفة لم يكن ثم على من فلا بد من واحد جامع صور العالم و صورة الحق يكون لهذه الجمعية خليفة في العالم من أجل الاسم الظاهر يعبر عن ذلك الإمام بالإنسان الكبير القدر الجامع الصورتين فبعض العالم أكبر من بعض الإنسان لا بالمجموع فإنه في الإنسان الكامل ما ليس في الواحد الواحد من العالم فما هو بالمشيئة إلا في النوع الإنساني لكون هذا النوع فيه خلفاء ثم عم تأثيره في الجميع فيطلب من الحق أن يمده فيمده و هذا أثر في الصورة الحقية و يطلب أيضا الأمر في العالم فيمضي ثم إنه مؤثر فيه من العالم و من الحق فاختلط الأمر و التبس على أهل الله فطلب بعض العارفين الخروج من هذا الالتباس فاطلعه الله على صورة الأمر فرأى ما لا يمكن التلفظ به إلا لرسول قد عصم فكن أنت ذلك الطالب حتى ترى ما رأيت فتقول كما قلنا

كوني فكنت بكن ملكا و لم أكن　ملكتني ملك كسرى إذ تملك كن

و كل كون لكم فالكون لم يكن　لكنني كنت كن و الكون مملكة

و هو قوله وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ ثم شبه الإمضاء بلمح الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ و كذلك هو أقرب فانظر حكمة الله تعالى في هذا التشبيه و ما حوته تلك اللمحة من الكثرة في الوحدة فعندها تعرف ما هو الأمر فأثبت و لا تفشه تكن من الأمناء الأخفياء الأبرياء و اعلم أن قوله تعالى لَوْ شاءَ الله و لَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ يقتضي نفي العلم بكذا و نفي المشيئة عن الحق كما يقتضي قوله قَدْ يَعْلَمُ الله الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً و قوله يُرِيدُ الله بِكُمُ فأثبت العلم و المشيئة معا لله و علم الله لا يخلو من أحد أمرين و كذلك إرادته إما أن تكون صفة له قائمة به زائدة على ذاته و إن كان مثبتو الصفات يقولون لا هي هو و لا هي غيره و لكن لا بد أن يقولوا بأنها زائدة كما يعتقده الأشعري أو تكون عين ذاته إلا أن لها نسبة خاصة لأمر ما تسمى بتلك النسبة علما و هكذا سائر ما تسمى به مما يطلبه تعالى فما أثبت و لا نفي إلا تعلق العلم و الإرادة و لكن ما ورد الكلام إلا بنفي العلم بأمر ما و الإرادة فتعلم قطعا إن نفي العلم علم و أن العلم تابع للمعلوم يصير معه حيث صار و يتعلق به على ما هو عليه في نفسه و ذاته لا ينتفي عنها الوجود و لا كل ما ثبت له القدم من صفة و غيرها فما بقي أن ينتفي إلا التعلق الخاص و هو أمر يحدث أو نسبة كيف شئت فقل و لا يتوجه النفي و الإثبات إلا على حادث أي على ممكن سواء كان ذلك الحكم موصوفا بالوجود أو بالعدم فناب العلم هنا مناب التعلق حين نفيته بأداة لو في قوله لَوْ عَلِمَ و لَوْ شاءَ فما علم و ما شاء هذا هو الأمر الحادث المعين فقد علم أنه لو علم و لا يقال أنه قد شاء أن يقول لو شاء فإن المشيئة متعلقها العدم و لا يصح أن يحدث القول في ذات الله فإنه ليس بمحل للحوادث فلا يقال قد شاء أن يقول و التحقيق أنه ما أراد من المراد إلا ما هو المراد عليه من الاستعداد في حال العدم أن يكون به في حال الوجود أو يتصف به عند انتفائه عن الوجود أو انتفاء

حكم الوجود عنه كيف شئت فقل و لما بان الفرقان بين المشيئة و العلم علمنا أنهما نسبتان لذات العالم و المريد أو صفتان في مذهب من يقول بالصفات من المتكلمين و لو لا علمنا بالأصل الذي هون علينا سماع مثل هذا لكانت الحيرة في الله أشد و الأصل ما هو إلا أن الله تعالى ما أرسل رسولا إِلّاٰ بِلِسانِ قَوْمِهِ لأنه يريد إفهامهم فمن المحال أن يخرج في خطابه إياهم عما تواطئوا عليه في لسانهم فوجد العاقل في ذلك راحة و أما أهل الشهود فلا راحة عندهم في ذلك لما رأوه من اختلاف الصور على المشهود فما هم مثل أهل اللسان و جاءت الطبقة العليا فقالت علمنا أن الشهود تابع للاعتقاد كما إن الخطاب تابع لما تواطأ عليه أهل ذلك اللسان فهان عليهم الأمر فرأوه في كل معتقد كما فهموه في كل لسان فما حاروا و اهتدوا وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة أخذت العهد على نفسي فوقتا وفيت و وقتا على يد عبدي لم أف و ينسب عدم الوفاء إلى عبدي فلا تعترض فإني هناك»

فاتركه إن شئت و الوعد ناجز وعدنا و أوعدنا فأما وعيدنا
كما قد ذكرنا و القضاء يناجز فإني كريم و الكريم نعوته
تلقاه قرم للسماح مبارز فإن هم إنفاذ الوعيد لصدقه
لأن له الرحى فمنها يبارز فيردعه عن همه بنفوذه
جهول بما قلنا عن الحق عاجز و ليس يرى الإنفاذ إلا مقصر

قال الله تعالى إن الله لا يضيع (إِنّا لاٰ نُضِيعُ) أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً هذا في الوعد و قال في الوعيد فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ فاعلم إن هذه المنازلة هي قوله إن رحمتي تغلب غضبي و هي قوله وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشاءَ اللّٰهُ فإذا وعد العبد وعدا و شاء الله أن يخلف ذلك العبد وعده و ما عاهد عليه شاء من العبد أن يشاء نقض العهد و لو لا ذلك ما تمكن للمخلوق أن يشاء فشاء العبد عند ذلك نقض العهد و إخلاف الوعد بمشيئة الله في خلق مشيئة العبد فهو قوله و وقتا لم أف فلا تعترض على العبد فإنه مجبور في اختياره بمشيئتي و لكن ينبغي لصاحب هذه المنازلة إذا رأى من وقع منه مثل هذا أن ينظر إلى خطاب الشرع فيه فإن رأى أن ذلك المحل الظاهر منه مثل هذا من نقض العهد و إخلاف الوعد قد أطلق الحق عليه لسان الذم فيذمه بذم الحق فيكون حاكيا و لا يذمه بنفسه هذا هو الأدب و ليس ذلك إلا في الخير كما يقيم الحدود على المتعدي بأمر الحق لا بنفسه و لهذا ليس للعبد أن يوقت حدا و لا يشرعه و أما في الوعيد إذا لم يكن حدا مشروعا و كان لك الخيار فيه و علمت إن تركه خير من فعله عند الله فلك أن لا تفي به و أن تتصف بالخلف فيه مثل قوله من حلف على يمين فرأى خيرا منها فليكفر عن يمينه و ليأت الذي هو خير قال تعالى وَ لاٰ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا قال الشاعر

و إني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي و منجز موعدي

و إنما عوقب بالكفارة لأنه أمر بمكارم الأخلاق و اليمين على ترك فعل الخير من مذام الأخلاق فعوقب بالكفارة و هو عندنا على غير الوجه الذي هو عند العامة من الفقهاء فإن الله قد جعل لنا عينا ننظره به و هو أن المسيء في حقنا الذي خيرنا الله بين جزائه بما أساء و بين العفو عنه أنه لما أساء إلينا أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون إليه حتى لو كشف الله الغطاء بيننا و بين ما لنا من الخير في الآخرة في تلك المساءة حتى نراه عيانا لقلنا إنه ما أحسن أحد في حقنا ما أحسن هذا الذي قلنا عنه إنه أساء في حقنا فلا يكون جزاؤه عندنا الحرمان فنعفو عنه فلا نجازيه و نحسن إليه مما عندنا من الفضل على قدر ما تسمح به نفوسنا فإنه ليس في وسعنا و لا يملك مخلوق في الدنيا ما يجازى به من الخير من أساء إليه و لا يجد ذلك الخير ممن أحسن إليه في الدنيا و من كان هذا عقده و نظره كيف يجازي المسيء بالسيئة إذا كان مخيرا فيها فلما آلى و حلف من أسيء إليه فما وفى المسيء حقه و إن لم يقصد المسيء إيصال ذلك الخير إليه و لكن الايمان قصده فينبغي له أن يدعو له إن كان مشركا بالإسلام و إن كان مؤمنا بالتوبة و الصلاح و لو لم يكن ثم إخبار من الله بالخير الأخروي لمن أسيء إليه إذا صبر و لم يجاز لكان المقرر في العرف بين الناس كافيا فيما في التجاوز و العفو و الصفح عن المسيء فإن ذلك من مكارم الأخلاق و لو لا إساءة هذا المسيء إلى ما اتصفت أنا و لا ظهرت مني هذه المكارم من الأخلاق كما أني لو عاقبته انتفت عني هذه الصفات في حقه و كنت إلى الذم أقرب مني إلى أن أحمد على العقاب فكيف و الشرع قد جاء في ذلك بأن أجر من يعفو و يتجاوز و لا يجازي أنه على الله فقد علمت إنقوله وقتا وفيت و وقتا لم أفإن ذلك راجع للوعد و الوعيد بوجه و راجع لما في خلق الله من الوفاء و عدم الوفاء من كونهم ما فعلوا الذي فعلوه إلا بمشيئة الله فهو بالأصالة إليه و لهذا قال فلا تعترض إلا أن يكون الحق هو المعترض بأمره إياك أن تعترض فاعترض فإنه لا فرق عند ذلك بين أن تعترض أو تقيم الحد إذا كنت من أولي الأمر فيمن عين لك أن تقيمه حتى لو تركته لكنت عاصيا مخالفا أمر الله فالمؤمن العالم المستبرئ لنفسه لا يفوته أمثال هذه المشاهد و المواقف فإنه لا يزال باحثا عن مكارم الأخلاق حتى يتصف بها و يقوم فيها قيام الأدباء الأمناء و يراعون الشريعة في ذلك فرب مكرمة عرفا لا تكون مكرمة شرعا فلا تجعل أستاذك إلا الحق المشروع فإذا أمرك فامتثل أمره و إذا نهاك فانته عما نهاك و إذا خيرك فاعمل الأحب إليه و الأرجح وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة لو كنت عند الناس كما أنت عندي ما عبدوني»

يدرون منك الذي أدريه ما عبدوا لو أن جنسك و الأكوان أجمعها
غيب و لو لا وجود الغيب ما جحدوا سواك إذ كنت مشهودا لهم و أنا
و لو علموا القصوى لما عبدوا إني حجبتك عن قوم بصورتك الدنيا
مع المثال و لم يصرفهم الجسد أو أنهم علموا الأسماء ما وقفوا
و لا تراكب أضداد و لا عدد و لا تغير أحوال تقوم بهم

و ليس ينكره في ذاتنا أحد   و كل ذلك مخصوص بصورتنا

لمثلهم حين لم أعصمهمو حسد   لكنهم غلطوا فينا و قام بهم

قال الله عز و جل وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و قال إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و قال لبعض خلفائه وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى‏ و منهما تعرف مراتب الناس من الخلفاء و أن الخلفاء يفضل بعضهم بعضا و قال رسول الله ص إن الله خلق آدم على صورته و ما خلقه حتى استوى على العرش و ما استوى على العرش إلا الرحمن و لما عمت رحمة الله أبا يزيد البسطامي و لم ير للكون فيها أثرا يزيل عنها حكم العموم قال للحق لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك و قال له الحق تعالى يا أبا يزيد لو علم الناس منك ما أعلم لرجموك فاعلم أن الذي يريد أن يستنيب في عباده من يقوم فيهم مقامه لا بد أن يكسوه صفته و نعته فيكون الخليفة هو الظاهر و الذي استخلفه الباطن فيكون كسور الأعراف باطنه فيه الرحمة لأنه الحق الذي غلبت رحمته غضبه و ظاهره من قبله العذاب فما العذاب في ظاهره و إنما العذاب قبله فيراه قبلا ممن استخلف عليهم و قد حد الحق حدودا له يعاملهم بها ليكون إذا قام بها عند المؤمن بها و به محمودا لا يتطرق إليه ذم كما لا يتطرق لمن استخلفه ف مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ الله فلا يذمه إلا من لا يعرفه و لا يعرف الله فالراحم منا من له رحمتان رحمة طبيعية و هي ذاتية له اقتضاها مزاجه و رحمة موضوعة فيه من الله بخلقه على الصورة و هذه الرحمة تتضمن مائة رحمة التي لله فإن لله مائة رحمة بعدد أسمائه فإن له تعالى تسعة و تسعين اسما ظاهرة و أخفى المائة للوترية فإنه يحب الوتر لأنه وتر فلكل اسم رحمة و إن كان من أسمائه المنتقم ففي انتقامه رحمة سأذكرها في باب الأسماء الإلهية من هذا الكتاب إن شاء الله فللرحيم من العباد مائة رحمة و رحمة من أجل الوترية فإنه يحب الوتر لأنه يحب الله و درجات الجنة مائة درجة لكل درجة رحمة و للنار مائة درك في كل درك رحمة مبطونة تظهر لمن هو في ذلك الدرك بعد حين فإن الغضب مغلوب و بالرحمة مسبوق فما يظهر في محل إلا و الرحمة قد سبقته إلى ذلك المحل فيغالبها فتغلبه لأن الدفع أهون من الرفع فلا حكم للغضب في المغضوب عليه إلا زمان المغالبة خاصة فإن هذا المحل هو ميدانهما فينال هذا المحل من المشقة فيما يطرأ بين الرحمة و الغضب بقدر ما تدوم المحاربة بينهما إلى وقت غلبة الرحمة و بالرحمة الطبيعية تقع الشفاعة من الشافعين لا بالرحمة الموضوعة فإن الرحمة الإلهية الموضوعة يصحبها في العبد العزة و السلطان فهي لا عن شفقة و الرحمة الطبيعية عنها تكون الشفقة و لو لم تصحب الرحمة الإلهية العزة و تنزه عن الشفقة ما عذب الله أحدا من خلقه أصلا فهذه الرحمة التي يجدها العبد على خلق الله هي حكم الرحمة الطبيعية لا الرحمة الموضوعة فإن الرحمة الموضوعة لا تقوم إلا بالخلفاء ألا ترى الإنسان إذا رأى الخليفة يعاقب و يظلم و يجور على الناس كيف يجد الشفقة على المظلومين المعاقبين و يقول ما عنده رحمة و لو قمت أنا مقامه لرحمتهم و لرفعت هذا الظلم عنهم فإذا ولي هذا القائل ذلك المنصب حجبه الله عن الرحمة الطبيعية التي تورث الشفقة و جعل فيه الرحمة التي تصحبها العزة و السلطان فيرحم بالمشيئة لا بالشفقة و لا للحاجة لأنه العزيز الغني في نفسه فيظلم و يعاقب ربما أكثر من الآخر الذي كان يذمه على ذلك قبل حصوله في مقام الخلافة فإذا قيل له في ذلك يقول و الله ما أدري إذا لم يكن عالما فإني لا أجد في نفسي إلا

ما ترون و الآن قام لي عذر الذي تقدمني فيما كان يفعله و كنت أجد عليه في ذلك و أخبرني صادق أن مثل هذا وقع من الإمام الناصر لدين الله رحمه الله أحمد بن الحسن مع أبيه المستضيء بحضور الوزير و إنه عتب مع الوزير في حق أبيه فلما أفضت إليه الخلافة ظهر منه ما ظهر من أبيه مما أخذه عليه فنبهه الوزير على قوله فقال الحال الذي كنت أجده في ذلك الوقت ذهب عني و ما أجد الساعة إلا ما ترى أثره و الآن قام عندي عذر أبي رحمه الله فمضمون هذه المنازلة أن الله أنشأ المحمدي على ما أنشأ عليه محمدا ص فأنشأه بالمؤمنين رءوفا رحيما و أرسله رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ حتى إن دعاءه على رعل و ذكوان من الرحمة بهم لئلا يزيدوا طغيانا فيزدادوا من الله بعدا و من رحمته قال لأزيدن على السبعين أو قال لو علمت إن الله يغفر لهم لزدت على السبعين إذ قيل له إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ فلو عرف الناس من محمد ص ما علم الله منه بما جبله الله عليه ما عبد الله أحد بما كلفه بل كان الناس يتبعون أهواءهم بعلم لأن الله ما أخذ من اتبع هواه إلا لكونه اتبع هواه بغير علم فحرمان الجهل أوقع بهم قال تعالى بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْواءَهُمْ و من أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بغير علم و قوله تعالى لداود وَ لا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ و لم يقل عن الله و سبيل الله ما شرعه لدار القرار التي هي محل سعاداتك و أما تمام الآية فهو من أعجب الإشارة الإلهية لأهل الفهم عن الله و هو قوله إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة من عرف حظه من شريعتي عرف حظه مني فإنك عندي كما أنا عندك مرتبة واحدة»

من كان لي كنت له … كمثل ما هو لا أزيد
فالشرع غيب ظاهر … له مقامات العبيد
يستخدم الكون كما … يخدمه بلا مزيد
فمن يفي بعهده … فهو وفى بالعهود
له النزول نحونا … كما لنا عين الصعود
إليه في أعمالنا … و هو الحفيظ و الشهيد
فحصنا بلذة الكشف … و لذات الشهود

قال الله تعالى فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ رأيت سائلا يسأل شخصا بوجه الله أو بحرمة الله عندك أعطني شيئا و معي عبد صالح يقال له مدور من أهل أسبجة ففتح الرجل صرة فيها قطع فضة صغار و كبار فأخذ يطلب على أصغر ما فيها من القطع فقال لي العبد الصالح أ تدري على ما يطلب قلت له قل قال على قيمته عند الله و قدره فكلما أخرج قطعة كبيرة يقول بلسان الحال ما تساوي مثل هذه عند الله فأخرج أصغر ما وجد فأعطاه إياها إلا أن الله وصف نفسه بالغيرة و علم من أكثر عباده أنهم يهبون جزيل المال و أنفسه في هوى نفوسهم و أغراضهم فإذا

أعطى أكثرهم لله أعطى كسرة باردة و فلسا و ثوبا خلقا و أمثال هذا هذا هو الكثير و الأغلب فإذا كان يوم القيامة و أحضر الله ما أعطى العبد من أجله بينه و بين عبده حيث لا يراه أحد فأحضر ما أعطى لغير الله فيقول له يا عبدي أ ليست هذه نعمتي التي أنعمت بها عليك أين ما أعطيت لمن سألك بوجهي فيعين ذلك الشيء التافه الحقير و يقول له فأين ما أعطيت لهوى نفسك فيعين جزيل المال من ماله فيقول أ ما استحييت مني أن تقابلني بمثل هذا و أنت تعلم أنك ستقف بين يدي و سأقررك على ما كان منك فما أعظمها من خجلة ثم يقول له قد غفرت لك بدعوة ذلك السائل لفرحه بما أعطيته لكني قد ربيتها لك و قد محقت ما أعطيته لهوى نفسك فإن صدقتك أخذتها و ربيتها لك فيحضرها أمام الأشهاد و قد رجع الفلس أعظم من جبل أحد و ما أعطى لغير الله قد عاد هَباءً مَنْثُوراً قال الله تعالى يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ فالعارفون بالله صغيرهم كبير و كبيرهم لا أعظم منه فإنهم لا يعطون لله إلا أنفس ما عندهم و أحقر ما عندهم فكلهم لله و كل ما عندهم لله العبد و ما يملكه لسيده فيعطون بيد الله و يشاهدون يد الله هي الآخذة و هم مبرءون في العطاء و الأخذ مع غاية الاستقامة و المشي على سنن الهدى و الأدب المشروع فيكونون عند الحق بمنزلة ما هو الحق في قلوبهم يعظمون شعائر الله و حرمات الله فيعظمهم الله يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهادُ بمرأى منهم و يقيم الآخرين على مراتبهم ف ذلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ فيقول فاعل الشر يا ليتني فعلت خيرا و يقول فاعل الخير ليتني زدت و العارف لا يقول شيئا فإنه ما تغير عليه حال كما كان في الدنيا كذلك هو في الآخرة أعني من شهوده ربه و تبريه من الملك و التصرف فيه فلم يقم له عمل مضاف إليه يتحسر على ترك الزيادة منه و بذل الوسع فيه و ما كان منهم من زلل مقدر وقع منهم بحكم التقدير فإن الله يتوب عليهم فيه بتبديله على قدر الزلة سواء لا يزيد و لا ينقص فإن العارف في كل نفس تائب إلى الله في جميع أفعاله الصادرة منه توبة شرعية و توبة حقيقية فالتوبة المشروعة هي التوبة من المخالفات و التوبة الحقيقية هي التبري من الحول و القوة بحول الله و قوته فلم يزل العارف واقفا بين التوبتين في الحياة الدنيا في دار التكليف فإن كان له اطلاع إلهي على أنه قد قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فإن ذلك لا يخرجه عن تبريه و لم تبق له بعد هذا التعريف توبة مشروعة لأنه بين مباح و ندب و فرض لا حظ له في مكروه و لا محظور لأن الشرع قد أزال عنه هذا الحكم في الدار الدنيا ورد ذلك في الخبر الصحيح عن الله في العموم و في أهل بدر في الخصوص لكنه في أهل بدر على الترجي و في وقوعه في العموم واقع بلا شك فمن أطلعه الله عليه من نفسه بأنه من تلك الطائفة فذلك بشرى من الله في الحياة الدنيا قال الله تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ هذا حال المؤمن المتقي فكيف بحال العارف النقي الذي ما لبس ثوب زور و ما زال نورا في نور فمن حافظ على آداب الشريعة و أعطى الطبيعة ما أوجب الله عليه من حقها و ما تعدى بها منزلتها كان من العارفين الأدباء و أصحاب السر الأمناء وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة من قرأ كلامي رأى غمامتي فيها سرج ملائكتي تنزل عليه و فيه فإذا سكت رفعت عنه و نزلت أنا»

و إن المثل للامثال ضد 〔 كلامي ليس غيري و هو غيري
كلام الله فالوجدان فقد فقل للعارفين إذا قرأتم
و في الغيب المعاني و هي حد دليلي في شهادته حروف
فعين القرب في التحقيق بعد و أسبلت الستور فما رآه
و لا ينظر فإن السم شهد فمن قرأ القرآن فلا يفكر

قال الله تعالى في آية طالوت وَقالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ و أنزلها الله في قلوب المؤمنين من أمة محمد ص و بهذا و أمثاله كانت هذه الأمة المحمدية خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ قال الله عز و جل هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فما كان شهادة في غير هذه الأمة نزل غيبا في هذه الأمة فوجده أهل الأذواق في قلوبهم فكانت صفة من صفاتهم و كانت فيمن تقدم هذه الأمة من الأمم أجنبية عنها فعلامة هذه الأمة في قلوبهم استفت قلبك و إن أفتاك المفتون و مع كونها منزلة في قلوبهمثم أشهدها الله تعالى بعض أصحاب محمد ص في تلاوته القرآن و كانت له فرس فجعلت تخبط فرفع رأسه فرأى غمامة فيها سرج كلما قرأ نزلت و دنت منه و إذا سكت ارتفعت فلما ذكر ذلك لرسول الله ص قال له رسول الله ص تلك السكينة نزلت للقرآنفرأى هذا الصاحب ممثلا خارجا عنه ببصره ما كان فيه فكان الحق له مرآة رأى صورة ما في قلبه فيها فإن القرآن ذكر الله و بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ كذا ذكر الله لنا في كتابه العزيز و الطمأنينة سكينة أنزلها القرآن في قلوب المؤمنين فكانت آيات بنى إسرائيل ظاهرة و آياتنا في قلوبنا و هذا الفرق بين الورثة المحمديين و سائر الأنبياء فورثة الأنبياء يعرفون في العموم بما يظهر عليهم من خرق العوائد و وارث محمد ص مجهول في العموم معلوم في الخصوص لأن خرق عادته إنما هو حال و علم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه علم حال و ذوق لا يزال كذلك و قد نبه الجنيد على ذلك باختلاف أجوبته عن المسألة الواحدة من التوحيد في المجلس الواحد لاختلاف دقائق الزمان ذكر ذلك القشيري في صدر رسالته المنسوبة إليه و كلما ازداد المحمدي علما بربه ازداد قربا فهم المقربون و أحوالهم الظاهرة تجري بحكم العوائد فيعرفون و لا يعرفون و يأتون بما أعطاهم الله من العلم به في طريق النصح لهذه الأمة فلا تعرف العامة قدر ذلك لأنها اعتادت من علماء الرسوم مثل هذا إذا تكلموا في العلم بالله عز و جل من طريق الدليل و لم تفرق بين علم الدليل و بين علم الذوق و أما علماء الرسوم فيكفرونهم غالبا مع كونهم يسلمونه لرسول الله ص بعينه إذا نقل عنه في قرآن أو خبر إلهي و غير إلهي فانظر ما أشد هذا العمي و لو لا إن رسول الله ص بعثه رسولا ما ظهرت عليه آية ظاهرة في العموم كما ظهرت على من تقدم فما ظهر عنه ص من الآيات المنقولة في العموم إنما كان ذلك من كونه رسولا رفقا من الله تعالى بهذه الأمة و إقامة حجة على من كذبه و كذب ما جاء به ألا ترى إلى رسول الله ص كيف أسرى به إلى المقام الذي قد عرف و جاء به القرآن و الخبر الصحيح فلما خرج إلى الناس بكرة تلك الليلة و ذكر للاصحاب ما ذكر مما جرى له في إسرائه بينه و بين ربه تعالى أنكر عليه بعض أصحابه لكونهم ما رأوا لذلك أثرا في الظاهر بل زادهم حكما في التكليف و

موسى ع لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الأعمى من شدة نوره فكان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظر إلى وجهه عند رؤيته و كان شيخنا أبو يعزى بالمغرب موسوي الورث فأعطاه الله هذه الكرامة فكان ما يرى أحد وجهه الأعمى فيمسح الرائي إليه وجهه بثوب مما هو عليه فيرد الله عليه بصره وممن رآه فعمي شيخنا أبو مدين رحمة الله تعالى عليهما حين رحل إليه فمسح عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره و خرق عوائده بالمغرب مشهورة و كان في زماني و ما رأيته لما كنت عليه من الشغل و كان غيره من الأولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في العلم و الحال و القرب الإلهي لا يعرفهم أبو يعزى و لا غيره فمن جعل الله آيته في قلبه و كان عَلى‌بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ في قربه فقد ملأ يديه من الخير كله و اختصه و اصطنعه لنفسه و كساه الصفة الحجابية غيرة منه عليه فلم تشهد حاله الأبصار في الدنيا و هم الأخفياء و الأبرياء فمن تحققهم بالحق و ليسوا برسل مشرعين حجبهم الحق لاحتجابه إلى يوم القيامة فيظهرهم الله في الموطن الذي يتجلى الله فيه لأبصار عباده و يظهر بنفسه و عينه للخاص و العام فهناك يعرف قدر المحمدي في القرب الإلهي بمقامه في تلاوته كلام ربه عز و جل و هو سكونه لما يتلوه من كشفه و اطلاعه على معانيه فهو في حال تلاوته يستذكر ما عنده فيطلع على نفسه و يسمعه الله نثر كلامه و نظمه بتأييد الروح القدسي لما جاء في النظم المسمى شعرا من نفخ الشيطان إلا مثل هذا النظم و قد صح في الخبر أن حسان بن ثابت لما أراد أن يهجو قريشا ينافح بذلك عن رسول الله ص قال له رسول الله ص قل يا حسان فإن روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن عرض رسول اللهفلم يجعل للشيطان عليه سبيلا و إذا كان هذا لمن ينافح فما ظنك بحال من ينطق عن الله بالله فيكون القائل منه عند قوله ربه عز و جل كما ورد في الصحيح أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده في الصلاة و الحاضرون ما سمعوا إلا صوت المصليو كلامه بهذا المتكلم به ما ينسبه الحق تعالى جلاله إلا إلى نفسه لا إلى المصلي فاعلم أيها الولي الحميم ذلك تسعد إن شاء الله

كما قلنا رميت و ما رميتا ‌ كلامي ليس غيري و هو غيري
بمشهدك التحاما قول هيتا ‌ فيا نفسي إذا طلبت نفوس
و تعلو بالعطاء إذا علوتا ‌ و لا تبخل فإن البخل شؤم
و كن عين القرآن إذا تلوتا ‌ و كن حقا و لا تظهر بزور
يناديه بما يتلوه صوتا ‌ لأن الله لم يسمع لعبد
و كان خاله المشهود ميتا ‌ فإن يتلو بحق قال عبدي
لذا كتبوا على الأحياء موتا ‌ لأن الحق ليس يراه حي

فكل من تلا و سكن لما تلا بصدق بصورة ظاهر و حكمة باطن فذلك تال و صاحب سكينة فإن هو تلا و سكن ظاهرا و لم يسكن باطنا و السكون الباطن فهم المعنى الساري في الوجود من تلك الآية المتلوة لا يقتصر بها على ما تدل عليه في الظاهر خاصة فمن تلا هكذا فليس

بصاحب سكينة أصلا و لا هو وارث محمدي و إن كان من أمة محمد ص فإن تلا و سكن باطنا و لم يسكن ظاهرا و تعدى الظاهر المشروع فذلك ليس بوارث و لا محمدي و لا بمؤمن و هو أبعد الناس من الله فإن الروح القدسي أول من يرميه و يرمى به و النبي محمد ص يقول لربه فيه يوم القيامة سحقا سحقا و الله عند ذلك لا يسعده و لا يساعده و أعظم حسرة تقوم به إذا عاين يوم القيامة من سكن إليه إذا تلاه ظاهرا و باطنا فيرى ما سكن إليه باطنا قد سعد به هذا الآخر و شقي هو به و ما شقي إلا بعدم سكون الظاهر فيفوته خير كثير حين فاته الايمان به فإنه أتى البيت من ظهره لم يأته من بابه جعلنا الله و إياكم ممن تلا فسكن و في التلوين في تلاوته بحسب الآيات ثبت و تمكن أنه المليء بذلك و القادر عليه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الثلاثون و أربعمائة في معرفة منازلة قاب قوسين الثاني الحاصل بالوراثة النبوية للخواص منا»

قاب قوسين لنا من قبلنا ... قاب قوسين لمن أسرى به
غير أني وارث مستخدم ... و لذا نلناه منه فانتبه
فحلال و حرام بين ... ما هنا بينهما من مشتبه
إنما الشبهة من قال أنا ... عين من أسرى به ما أنا به
و هو يدري أنه وارثه ... ليس يدري ذاك غير المنتبه

قال الله تعالى وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ و قال ص العلماء ورثة الأنبياء و ذكر أن الأنبياء ورثوا العلم ما ورثوا دينارا و لا درهما فالوارث مستخدم بالمعنى من ورث منه ما جمعه غير إن الموروث في مثل هذا الورث ما نقصه شيء من علمه بوراثة الوارث منه ففارق ميراث الدينار و الدرهم بهذه الحقيقة و الله يرث الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْها مما تعلق به علمه من العلم الابتلائي فهذا هو قدر ميراث الحق من عباده و هو قوله تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّى نَعْلَمَ فاستخدمهم بما ابتلاهم حتى يعلم المجاهدين من عباده و الصابرين و يبلو أخبارهم و ما عدى هذا النوع في حق الحق فهو علم لا علم وراثة فكان الورثة من طريق المعنى استخدموا من ورثوا منه العلم الذي حصله من الله بحكم الكسب ابتداء و بحكم التكليف كل ذلك ورثوا منه الورثة من علماء الأمم و مما ورثوا منه قرب قاب قوسين و هو قولنا الثاني أعني الذي ينبغي للأولياء من هذا التقريب المحمدي ممن قرب منه هذا القرب فالأول من ذلك له ص و الثاني للوارث و هو عينه و إنما جعلناه ثانيا لكونه ما حصل له حتى تقدم به هذا الرسول المعين ص فناله منه فهو في غاية البيان لا يقبل الشبه هذا العلم الموروث مثل ما يقبلها العلم النظري و لهذا نبه أبو المعالي لما ذكر النظر قال بحصول العلم عقيب النظر ضرورة فلو كان ذلك العلم الحاصل عقيب النظر نتيجة النظر ضرورة لما قبل الدخل بعد ذلك و لا الشبهة مثل ما لا يقبل ذلك العلم الضروري فتأولوا على إمام الحرمين ما لم يقصده بكلامه و إنما أراد رضي الله عنه ما أردناه أن النظر جعله الله سببا من الأسباب يفعل الأشياء عنده لا به فإذا و في النظر في الدليل حقه خلق الله له العلم

الضروري في نفسه ليس غير هذا فاعتماده على العلم الضروري الذي لا يقبل الشبه فإن لم يخلق له العلم الضروري فهو العالم الذي يقبل الدخل فيما علمه فيعلم عند ذلك أنه ما علمه علما ضروريا و لهذا ما يقبل الدخل إلا دليله لا ما يقول إنه علمه عقيب النظر فرجوعه أو توقفه عما كان أنتج له ذلك الدليل أخرجه أن يكون ذلك عنده علما ضروريا فليفرق الوارث في علمه بربه بين ما يأخذه ورثا و بين ما يأخذه ابتداء من غير ورث فأي عامل من العاملين عمل بأمر مشروع له من نص لا من تأويل و حصل له عن ذلك العمل علم بالله فهو من العلم الموروث ثم إنه لا يخلو ذلك النص المعمول به هل كان شرعا لمن قبل محمد ص أو لم يكن إلا من الشرع المختص به لا من الشرع المقرر الذي قرره لأمته مما كان الله قد تعبد به نبيا قبله فوارث مثل هذا وارث من كان ذلك العمل شرعه من الأنبياء بلغوا ما بلغوا و وارث أيضا محمدا ص فيه فهو وارث من وارث فإن كان مما اختص به رسول الله ص فالوارث وارث محمد ص فيه خاصة لا ينتسب إلى غيره من الأنبياء ع و يتميز بذلك عن سائر ورثة علماء الأنبياء ع قبله و يحشر بذلك العلم في صفوف الأنبياء ع و خلف محمد ص فإن نشأة الآخرة تشبه في بعض الأحكام النشأة البرزخية فترى نفسها و هي واحدة في صور كثيرة و أماكن مختلفة في الآن الواحد فيرى نفسه إن كان ورث عن وارث خلف محمد ص و خلف كل نبي كان ذلك العمل شرعا له و لو كانوا مائة ألف لرأى نفسه في أماكن على عددهم و في صور و يعلم أنه هو و ليس غيره في كل صورة و هو مع كونه واحدا عين كل صورة و هكذا يكون يوم القيامة فإن النبي ص يطلبه الناس في مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر في الموطن الآخر بعينه فمن لم يجده في طلبه في موطن ما فإنما ذلك لكونه طلبه في غير الموطن الذي يقتضيه طلبه فإن طلبه في موطن اقتضى حاله الجهل لوجده فذلك الجهل إذا وقع إن وقع فسببه ما ذكرناه و هو غير واقع و الله أعلم ثم نرجع و نقول و إن كان ذلك العمل الذي أقيم فيه العبد لا عن نص مشروع بل كان قلد فيه مجتهدا من علماء الأمة صاحب نظر و تأويل فيما حكم به لا عن نص من ذلك المجتهد اتبعه فإنه يكون يوم القيامة وارث ذلك المجتهد و متبعا إياه و متبعا أيضا و النبي ص و إن كان ذلك في نفس الأمر شرعا له كما تقدم و إن كان العامل لا عن نص و لا عن تقليد بل كان عن نظر و اجتهاد و تفقه فهذا لا يكون وارثا في مثل هذه المسألة إلا إن أصاب الحكم فيها فإن أصاب الحكم كان وارثا و إن أخطأ الحكم لم يكن وارثا و يحشر في صف من هذه صفته و لهم صف مخصوص ثم هم في المواطن بحسب ما يكون عليه ذلك الحكم من صادفة من تقدمه أنه شرع له فتكون له صور متبعة خلف ذلك الموروث منه كان من كان و الكل خلف محمد ص و تختلف مراتبه خلف رسول الله ص و خلف الرسل ع لاختلاف ما ظهر له في الذي عمل به فإن انفرد به جملة عن كل رسول و نبي و مجتهد فإنه يكون أمة وحده كقُسِّ بن ساعدة قال فيه رسول الله ص إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده مع كونه خلف محمد ص لا بد من ذلك من حيث إنه ص أعطاه المادة التي نظر فيها حتى انقدح له ما لم يخطر له إلا في تلك المسألة النازلة و أخطأ فيها حكم رسول الله ص لا بد من ذلك بخلاف حكم المصيب فتحقق هذه المنازلة فإنها غريبة في المنازلات قليل من أهل الله من تكون له فإنها

تنبئ عن تحقيق عظيم و ذوق غريب و رفع إشكال و ليس يكون في القيامة أدل و لا أعرف بمواطن القيامة و لا بصور ما فيها أعظم من صاحب هذه المنازلة و لا تحصل إلا بالوهب الإلهي لمن حصلت له وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة اشتد ركن من قوى قلبه بمشاهدتي»

إن القوي الذي ما زال يشهدني ... عند الشئون و ما في الحق من حرج
فمن يعاندني فيما أفوه به ... من الحقائق فليرقى على درجي
و لو يراه لفداه بناظره ... و بالنفوس و بالأرواح و المهج
لكن له حجب على العيون فهم ... في الضيق في الملإ العلوي في فرج
إني مريض عليل القلب مبتئس ... في الذل و المقلة النجلاء و الدعج
إني لفي ظلمات من تراكمها ... غرقت من بحرها اللجي في اللجج
الناس في سيف هذا البحر في نعم ... أين السواحل يا هذا من الثبج

قال اللّٰه عز و جل جلاله حكاية عن نبيه لوط ع إذ قال لقومه لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ فقال رسول اللّٰه ص في الصحيح عنه يرحم اللّٰه أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد يعني من القبيلة فاعلم إن أقوى الأقوياء من كان الحق قواه و مع هذه القوة بهذه الصفة فما يكون إلا ما سبق به الكتاب و لا كتب إلا ما علم و ما علم إلا ما هو عليه المعلوم ف لاٰ تَبْدِيلَ لِكَلِمٰاتِ اللّٰهِ و ما يبدل القول لديه و ما هو بظلام للعبيد فقوله لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أي همة فعالة و من كان الحق قواه فلا همة تفعل فعل من هذه صفته لكن الأمر على ما قررناه من سبق الكتاب فلا يقع إلا ما هو الأمر عليه فأداة أو أنما أعطته عطاها الإمكان لا غير فلو أراد بالقوة إظهار الأثر الذي جاء به فيهم و أراد بالركن الشديد إذ لم يتمكن الأثر فيهم أن يحمي نفسه عنهم حتى لا يؤثروا فيه فلهذا ص ذكر الأمرين القوة و الإيواء و لا شك أن الرسل ع هم أعلم الناس باللّٰه فلا يأوون إلا إلى اللّٰه و هو قوله ص يرحم اللّٰه أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد يعني بذلك إيواءه إلى اللّٰه فآوى إلى من يَفْعَلُ مٰا يُرِيدُ و لا اختيار في إرادته و لا رجوع عن علمه فآوى إلى من لا تبديل لديه

فما الجبر إلا ظاهر متحقق ... فما ثم تخيير و ما ثم منقلب
فلا تهربن فالأمر ما قد سمعته ... فإن لم توافقه فما ينفع الهرب
فعلم إلهي عين حالي فما أنا ... عليه فأمليه عليه إذا كتب
فأنت سبقت القول و العلم و الذي ... يؤدي إلى الفوز العظيم أو العطب

فلا ركن أشد من ركنك و ما نفعك و إنما قلنا إنك أشد الأركان من كون القضاء ما جرى عليك إلا بما كسبت يداك و هو ما أعطته قدرتك فأضاف الفعل إليك و ليس إلا ما قررناه من أنه ما علم منك إلا ما أنت عليه فإذا و هى ركنك بالنظر إلى غرضك فلم نفسك فإن الحق المحكوم به تابع أبد الحال المحكوم به عليه فالمحكوم عليه هو الذي جنى على نفسه لا الحاكم بالمحكوم به و إنما تعددت الأركان من أجل الحجب التي أرسلها الحق بينك و بين الأصل و كون الأمر جعله مثل البيت على أربعة أركان ركن العلم و ركن القول و هو قوله عز و جل هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ و ركن المشيئة و ركن الأصل و هو أنت و هو الركن الأول من البيت و الثلاثة الأركان توابع فمن الناس من استند في حاله إلى علم الله فيه و منهم من استند إلى مشيئته و منهم من استند إلى ما كتب الله عليه و صاحب الذوق من يرى جميع ما ذكرناه و وقف مع نفسه و قال أنا الركن الذي مرجع الكل إليه فهو الأول الذي أنبنى من هذا البيت و لكن صاحبه عزيز فإن الصحيح عزيز فالكل معلول عندهم و عندي إن العالم هو عين العلة و المعلول ما أقول إن الحق علة له كما يقوله بعض النظار فإن ذلك غاية الجهل بالأمر فإن القائل بذلك ما عرف الوجود و لا من هو الموجود فأنت يا هذا معلول بعلتك و الله خالقك فافهمو اعلم أنه من أوجدك له لا لك ففي حق نفسه عمل لا في حقك فما أنت المقصود لعينك قال عز و جل وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فذكر ما ظهر و هو مسمى الإنس و ما استتر و هو مسمى الجن فإذا نظرت إلى هذا الخبر و سعدت أنت بهذه الوجوه فإنما سعدت بحكم التبعية فاعلم ما يقول له إذا قرر عليك النعم فإنما يقررها عليك لسان الإمكان فإن شئت فاسمع و اسكت و إن شئت فتكلم كلاما يسمع منك و ليس إلا أن تقول له ما قاله فبكلامه تحتج إن أردت أن تكون ذا حجة و إن تأدبت و سكت فإنه يعلم منك على ما سكت و انطويت عليه فما كل حق ينبغي أن يقال و لا يذاع و لا سيما في موطن الأشهاد و الخصم قوي و الحاكم الله و لا يحكم إلا بالحق الذي سأل منه رسول الله ص أن يحكم به في قوله قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَ رَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ عَلى‏ ما تَصِفُونَ و لو لا ما هو الرحمن ما اجترأ العبد أن يقول رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ فإنه تعالى ما يحكم إلا بالحق فإنه ما يتعدى علمه فيه الذي أخذه منه أزلا و ظهر حكمه أبدا وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة عيون أفئدة العارفين ناظرة إلى ما عندي لا إلي»

عيون أفئدة للعارفين سواك	لو كان عندك ما عندي لما نظرت
و إن نظرت بأخرى كان ذاك هواك	فإن نظرت بعين الجمع تحظ بنا
و ما هنا عين شيء لا يكون هناك	ما في الوجود وجود غير خالقه
إن لم يكن هكذا كوني فليس بذاك	بل كله عينه جمعا و تفرقة

قال الله عز و جل في العارفين وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى‏ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ و لم يقل علموا يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ و لم يقولوا علمنا وَما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ و لم يقل نعلم وَما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ و ما قالوا نتحقق أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ

الصَّالِحِينَ و هي الد رجة الرابعة فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِما قالُوا و لم يقل بما علموا جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ ذٰلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ و الجنات عند الله فلهذا قال ناظرة إلى ما عندي فإنه قال في حق طائفة آخرين وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلىٰ رَبِّها ناظِرَةٌ على إن تكون إلى حرف أداة غاية لا تكون اسم جمع النعمة فإن ذلك في اللفظ يحتمل و لهذا ما هي هذه الآية نص في الرؤية يوم القيامة و إذا كان الأمر هكذا فاعلم إن الله قد فرق بين العارفين و العلماء بما وصفهم به و ميز بعضهم عن بعض فالعلم صفته و المعرفة ليست صفته فالعالم إلهي و العارف رباني من حيث الاصطلاح و إن كان العلم و المعرفة و الفقه كله بمعنى واحد لكن يعقل بينهما تميز في الدلالة كما تميزوا في اللفظ فيقال في الحق إنه عالم و لا يقال فيه عارف و لا فقيه و تقال هذه الثلاثة الألقاب في الإنسان و أكمل الثناء تعالى بالعلم على من اختصه من عباده أكثر مما أثنى به على العارفين فعلمنا إن اختصاصه بمن شاركه في الصفة أعظم عنده لأنه يرى نفسه فيه فالعالم مرآة الحق و لا يكون العارف و لا الفقيه مرآة له تعالى و كل عالم عندنا لم تظهر عليه ثمرة علمه و لا حكم عليه علمه فليس بعالم و إنما هو ناقل و العلم يستصحب الرحمة بلا شك فإذا رأيت من يدعي العلم و لا يقول بشمول الرحمة فما هو صاحب علم فإن الرحمة تتقدم بين يدي العلم تطلب العبد ثم يتبعها العلم هذا هو علم الطريق الذي درج عليه أهل الله و خاصته و هو قوله آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا وَ عَلَّمْناهُ من لَدُنّا عِلْماً و هذا هو علم الذوق لا علم النظر و اعلم أن العارفين هم الموحدون و العلماء و إن كانوا موحدين فمن حيث هم عارفون إلا أن لهم علم النسب فهم يعلمون علم أحدية الكثرة و أحدية التمييز و ليس هذا لغيرهم و بتوحيد العلماء وحد الله نفسه إذ عرف خلقه بذلك و لما أراد الله سبحانه أن يصف نفسه لنا بما وصف به العارفين من حيث هم عارفون جاء بالعلم و المراد به المعرفة حتى لا يكون لا طلاق المعرفة عليه تعالى حكم في الظاهر فقال لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ فالعلم هنا بمعنى المعرفة لا غير فالعارف لا يرى إلا حقا و خلقا و العالم يرى حقا و خلقا في خلق فيرى ثلاثة لأن الله وتر يحب الوتر فهو مع الله على ما يحبه الله مع الكثرة كما ورد أن لله تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحد فإن الله وتر يحب الوتر فما تسمى إلا بالواحد الكثير لا بالواحد الأحد و إنما قلنا في العارف إنه رباني فإن الله لما ذكر من وصفه بأنه عرف قال عنه إنه يقول في دعائه ربنا لم يقل غير ذلك من الأسماء و قال رسول الله ص فيه مثل ذلك من عرف نفسه عرف ربه و ما قال علم و لا قال إلهه فلزمنا الأدب مع الله تعالى و مع رسوله ص فأنزلنا كل أحد منزلته من الأسماء و الصفات و من أراد تحقيق الفرق بين المعرفة و العلم فعليه بمطالعة ما ذكرناه في مواقع النجوم لنا فإني شفيت في ذلك الغليل وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة من رآني و عرف أنه رآني فما رآني»

ما يراني غير الذي ما يراني … من رآني و قال يوما رآني
و بها ربنا العلي هداني … إن لله نظرة في وجودي
بجنان بفكره أو عيان … يذهب العلم إن نظرت إليه

فدليلي ينفي الثبوت و يمضي في سلوب يعطيكها في بيان

و عيون تعلقت بمثال في كشوف يكون أو في جنان

هو لا مدرك بعين و عقل و الذي تدرك الجفون كياني

قال الله تعالى إن موسى قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قالَ له ربه لَنْ تَرانِي لأنه قال انظر بالهمزة فلو قال بالنون أو بالياء و التاء ربما لم يكن الجواب لَنْ تَرانِي و الله أعلم و السؤال مجمل في قوله أَنْظُرْ و الجواب مجمل في قوله لَنْ تَرانِي اعلم أن رؤية المرئي تعطي العلم به و يعلم الرائي أنه رأى أمرا ما و قد أحاط علما بما رآه و رأينا الذي يرى الحق لا تنضبط له رؤيته إياه و ما لا ينضبط لا يقال فيه إن الذي رآه عرف أنه رآه إذ لو رآه لعلمه و قد علم بتنوع الصور عليه في ترداد رؤيته مع أحدية العين في نفس الأمر فما رآه حقيقة فلا يعلم الحق إلا من يعلم أنه ما رآه قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ بعيني فإن الرؤية بأداة إلى رؤية العين قالَ له لَنْ تَرانِي بعينك لأن المقصود من الرؤية حصول العلم بالمرئي و لا تزال ترى في كل رؤية خلاف ما تراه في الرؤية التي تقدمت فلا يحصل لك علم برؤية أصلا في المرئي فقال له لَنْ تَرانِي فإني لا أقبل من حيث أنا التنوع و أنت ما ترى إلا متنوعا و أنت ما تنوعت فما رأيتني و لا رأيت نفسك و قد رأيت فلا بد أن تقول رأيت الحق و أنت ما رأيتني فلم تصدق أو تقول رأيت نفسي و ما رأيت نفسك فلم تصدق و ما ثم إلا أنت و الحق و لا واحد من هذين رأيت و أنت تعلم أنك رأيت فما هذا الذي رأيت فلن تراني بعينك فهل إذا كان الحق بصرك هل يمكن أن تصدق في أنك رأيته إذا رأيت أو الحال واحدة في بصره إذا كان في مادة عينك أو بصرك و هذا مشهد من مشاهد الحيرة في الله تعالى و لا تتعجب من طلب موسى ع رؤية ربه فإنه ثم مقام يقتضي طلب الرؤية و الإنسان بحكم الوقت فإن الوقت حكمه مطلق حقا و خلقا و هذا القدر كاف في هذه المنازلة فإن مجالها لا يتسع لأكثر من هذه العبارة وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة واجب الكشوف العرفاني»

فواجب الكشف عرفان بآحاد إن المعارف تعطي واحدا أبدا

من نفسه و له الإسعاد في النادي فإن تعدى إلى ثان فإن له

العلم وقتا فإسعاد بإسعاد تساعد العلم وقتا إذ يساعدها

علم كمعرفة و الحكم للبادي لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ

اعلم أيدنا الله و إياك أن الذي أوجب الكشوف العرفاني الطمع الطبيعي في الربوبية ليشهد ما هو عليه الرب من الصفات المؤثرة في الأكوان فيظهر بها في ربوبيته عن كشف و تحقيق فلا نتعدى بالصفة أثرها فإن الأسماء الإلهية تتقارب و ربما يتخيل من لا كشف له عليها و لا ذوق له فيها إنها متداخلة أو مترادفة و إنما هي في أنفسها مشتبهة و لا يصل إلى تحقيق ذلك أحد إلا بالكشف إلا أن هنا دقيقة و هي أن نسبة ذلك الاسم الإلهي إلى الرب تعالى ما يكون على مثل نسبته إلى المخلوق فإن الأمور إذا نسبت إلى شيء تختلف نسبتها باختلاف من تنسب إليه و

إن كان معنى ذلك الاسم المنسوب على حقيقة واحدة فإذا اطلع أهل الكشف من نفوسهم على تهيؤ المحال التي تتأثر لها يشوقها ذلك إلى تحصيل الوجوه التي تبقي عليها الأدب مع الله إذا أثرت بها لأنها قد علمت بالخبر الإلهي أنها مخلوقة على الصورة الإلهية و أن الخلافة ما صحت لها إلا بالصورة و أن كل إنسان ما هو على الصورة فإنه ثم إنسان حيوان و إنسان خليفة و لم يعلم هذا الإنسان الطالب أي إنسان هو هل هو الحيوان أو الإمام فأوجب له هذا الاطلاع أن يطلب من الحق تجليا خاصا في ربوبيته و يرى انفعال الأكوان عنه كما قال الصديق ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فيرى صدور الأكوان عنه في الأكوان و يرى صورة التعلق و هل يكون الحق في ذلك التجلي على صورة ما يتكون عنه أو على صورة النسبة التي يكون بها التي يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء و يرى من أين يقبل المأمور بالتكوين التكون هل يقبله من أمر وجودي أم لا فإذا ظهر هل يظهر بصورة الاسم الذي قال به الحق له كن أو يكون هو عين الصورة التي قال بها كن فكانت في حق الحق أسماء و في جوهر المكون فيه خلقا و صورة و إذا كانت بهذه المثابة فهل تبقي تلك الصورة الاسمية على ما شهدها في الحق أو تظهر بذلك الاسم في صورة أخرى لتكوين عين أخرى لاختلاف الأمثال لما بينهم من التميز الذي به يقال هذا ليس هذا أو هذا مثل هذا كل هذا يطلبه العارف حتى يقف عليه من نفسه و هذا هو الشخص الذي يدعو إلى الله على بصيرة و يكون من نفسه على بصيرة و يرى تأثير الخلق في الخلق هل هو أمر صحيح أو هو تأثير حق في خلق أو خلق في حق أو حق في حق أو هو المجموع أو لا أثر في نفس الأمر و إن ظهر أنه أثر كما تقدم في الرؤية هل المرئي الحق أو نفس الرائي و ليس هذا مع ثبوت مرئي لا يعرف ما هو كذلك ربما يكون ثبوت أثر في الكشف و في الوقوع فإن جعلنا محله حقا أو خلقا لم يصدق هذا الجعل و ما ثم إلا حق و خلق فأين محل الأثر و هذا من أشكل ما تروم النفس تحصيله فإذا اطلع العارف على الوجه الصحيح انتقل من درجة المعرفة إلى درجة العلم فكان عالما إلهيا بعد ما كان عارفا ربانيا و لا يقال إلهي إلا فيمن هذه صفته فإن له الأمر العام الجامع فإذا نظرت إليه قلت إنه حق ثم تنظر إليه فنقول إنه خلق ثم تنظر إليه فتقول لا حق و لا خلق ثم تنظر إليه فتقول حق خلق فتحار فيه حيرتك في الله فحينئذ تعرف أنه قد حصل الصورة و أنه فارق الإنسان الحيوان و متى لم يعرف الإنسان هذا من نفسه ذوقا و حالا و كشفا و شهودا فليس بالإنسان المخلوق على الصورة الذي له الإمامة في الكون صاحب العهد فإن الله لا ينال عهده الظالمون و ليس عهده سوى صورته فاعلم ذلك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة من كتب له كتاب العهد الخالص لا يشقى»

هكذا دل دليلي فوجب ليس يمحو الله خيرا قد كتب
يتجلى ثم من بعد احتجب و كذا حكم تجليه فما
بعد هذا العلم جهلا ينقلب كل ما أعطاك علما لا ترى
فلهذا الرب فاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ و لهذا عملوا و اجتهدوا

ما له من ذاته حكم غصب　　يحكم الجود به من نفسه
بامتنان و وجوب قد كتب　　فيكون الكل في رحمته
و كذا حكم عبيد يكتسب　　يطمع الشيطان في رحمته

قال الله تعالى أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخالِصُ ألا إنه العهد الذي خلص لنفسه في وفاء العبد به ما استخلصه العبد من الشيطان و لا من الباعث عليه من خوف و لا رغبة و لا جنة و لا نار فإنه قد يكون الباعث للمكلف مثل هذه الأمور في الوفاء بعهد الله فيكون العبد من المخلصين و يكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من حد من يعطي المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك و لهذا قال فيه حُنَفاءَ لِلَّهِ أي مائلين به إلى جانب الحق الذي شرعه و أخذه على المكلفين من جانب الباطل إذ قد سماهم الحق مؤمنين في كتابه فقال في طائفة إنهم آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فكساهم حلة الايمان فما الايمان خصوص بالسعداء و لا الكفر خصوص بالأشقياء فوقع الاشتراك و تميزه قرائن الأحوال فلم يبق يعرف الايمان من الكفر و لا الايمان من الايمان و لا الكفر من الكفر إلا بلابسه فالعهد الخالص هو الذي لما أخذ الله من بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ ثم ولد كل بنى آدم على الفطرة و هو قوله ص كل مولود يولد على الفطرة و هو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه أحد غصبا فاستخلص منه بل لم يزل خالصا لنفسه في نفس الأمر طاهرا مطهرا و لكن هنا نكتة لا يمكن إظهارها كما كان الحق منزها لنفسه ما هو منزه لتنزيه عباده و لهذا قال من قال من العارفين سبحاني فإذا ولد المولود و نشأ محفوظا قبل التكليف كسهل بن عبد الله و أبي يزيد البسطامي و من اعتنى الله به من أمثالهما ممن كان من الناس قبلهما و بعدهما و في زمانهما ممن لم يصل إلينا خبره كما وصل إلينا خبر هذين السيدين و لم يرزأه في عهده هذا بشيء مما ذكرناه آنفا فبقي عهده على أصله خالصا و هو الدين الخالص لا المخلص فقام بالعبد من غير استخلاص فما هو من العباد الذين أمروا أن يعبدوا الله مخلصين إذ لا فعل لهم في الاستخلاص بل لم يعرفوا إلا هذا الدين الخالص من غير شوب خالطه حتى يستخلصوه منه فيكونون مخلصين هذا لم يذوقوا له طعما مثل ما ذاقه الغير و من كان هذا حاله من الدين فهو صاحب العهد الخالص ف لا يَشْقى فإنه لا يشقى إلا أهل المكابدة و المجاهدة في استخلاص الدين ممن أمرهم الله أن يستخلصوه منه و ليس على الحقيقة إلا هوى أنفسهم و هؤلاء في المرتبة الثانية من السعادة و الطبقة الأولى هم الذين يغبطهم الأنبياء و الشهداء أصحاب المنابر يوم القيامة المجهولون في الدنيا فهم لا يشفعون و لا يستشفعون و لا يرون للشفاعة قدرا في جنب ما هم فيه من الحال الطاهر القدوس لا المقدس و من هذا المقام قال أبو يزيد لو شفعني الله في جميع الخلائق يوم القيامة لم يكن ذلك عندي بعظيم لأنه ما شفعني إلا في لقمة طين يعني خلق آدم من طين و نحن منه كما قال من نَفْسٍ واحِدَةٍ خلقت تلك النفس من طين فانظر ما أعجب إشارة أبي يزيد و إياك أن يخطر لك في هذا الرجل احتقار منه للمقام المحمود الذي لمحمد ص يوم القيامة و أنه يفتح فيه أمر الشفاعة و هو مقام جليلو اعلم أنه ما سمي مَقاماً مَحْمُوداً لمجرد الشفاعة بل لما فيه من عواقب الثناء الإلهي الذي يثني رسول الله ص بها على ربه عز و جل مما لا يعلم بذلك الثناء الخاص اليوم فما حمد إلا من أجل الله لا من أجل

الشفاعة ثم جاءت الشفاعة تبعا في هذا المقام فيقال له عند فراغه من الثناء سل تعطه و اشفع تشفع فيشفع في الشافعين أن يشفعوا فيبيح الله الشفاعة للشافعين عند ذلك فيشفعون فلا يبقى ملك و لا رسول و لا مؤمن إلا و يشفع ممن هو من أهل الشفاعة و أهل العهد الخالص على منابرهم لاَ يَحْزُنُهُمُ اَلْفَزَعُ اَلْأَكْبَرُ على نفوسهم و لا على أحد لأنهم لم يكن لهم تبع في الدنيا و كل من كان له تبع في الدنيا فإنه و إن أمن على نفسه فإنه لا يأمن على من بقي و على تابعه لكونه لا يعلم هل قصر و فرط فيما أمره به أم لا فيحزنه الفزع الأكبر عليه تقول بعض النساء من العارفين لجماعة من رجال الله أ رأيتم لو لم يخلق جنة و لا نارا أ ليس هو بأهل أن يعبد تشير هذه المرأة إلى الدين الخالص و هو هذا المقام و هي رابعة العدوية ذٰلِكَ فَضْلُ اَللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ و يقول فيه أبو يزيد الأكبر لا صفة لي فلو استخلص عهده لكان مخلصا و إذا كان مخلصا كان ذا صفة فلم يصدق في قوله و هو عندنا صادق و هذه الطائفة هم الذين عمهم قوله تعالى رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اَللّٰهَ عَلَيْهِ و هذا العهد الخالص فأمسكه الله عليهم فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ أي من وفى بعهده فإن النحب العهد وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ لأن العبد ما دام في الحياة الدنيا لا يأمن التبديل ف إِنَّ اَللّٰهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ و ما يدري العبد على الحقيقة مما كان عليه من الحال في حال عدمه إذ كان مشهودا لله لا لنفسه إلا ما مضى و ما يقع فهو في علم الله فَلاٰ يَأْمَنُ مَكْرَ اَللّٰهِ لعلمه بالله وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً فلله رجال بهذه المثابة جعلنا الله منهم فما أعظم بشارتها من آية و لا بلغ إلينا تعيين أحد من أهل هذه الصفة إلا طلحة بن عبيد الله من العشرة صح فيه عن رسول الله ص أنه قال هذا ممن قَضىٰ نَحْبَهُ و هو في الحياة الدنيا فآمن من التبديل و هذا عظيم و يدخل في هذا المقام و إن لم يبلغ فيه مبلغ من له العهد الخالص بالأصالة من عهد الله على القيام بدينه عند توبته فوفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اَللّٰهَ قال لي السيد سليمان الدنبلي إن له خمسين سنة ما خطر له خاطر سوء فمثل هذا يلحق بهؤلاء إذا مات عليه وَ مَنْ أَوْفىٰ بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اَللّٰهَ و كل من جدد عهدا مع الله فهو من المخلصين ما هو ممن له الدين الخالص فصاحب الدين الخالص مهما تجدد له من الله حكم بشرع لم يكن يعرفه قبل ذلك و قد كلفه الحق به في كتابه أو على لسان رسوله فإن هذا العبد يتلقاه بالدين الخالص و العهد الأول و لا يضره جهله بالمسألة المعينة الخالصة هذا لا يقدح في صاحب هذا المقام كأبي بكر الصديق الذي ما رأى شيئا إلا رأى الله قبله بالدين الخالص و العهد الإلهي الذي كان عليه و في شهوده و لهذا لما واجهه رسول الله ص بالإيمان برسالته بادر و ما تلكأ و لا طلب دليلا على ذلك منه بل صدقه بذلك العهد الخالص فإنه رأى رسالته هناك كما رأى رسول الله ص نبوته قبل وجود آدم كما روى عنه كنت نبيا و آدم بين الماء و الطين أي لم يكن موجودا و إنما عرف بذلك لقوله وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ اَلنَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ و كان هذا الميثاق قبل وجود جسد آدم فلما وجد آدم و قبض الحق على ظهره و استخرج منه كأمثال الذر يعني بنيه أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ كما جاء في القرآن فشهدوا فهذا هو الميثاق الثاني و الميثاق الأول هو ما أخذه على الأنبياء فلما ولدوا فَمِنْهُمْ مَنْ قَضىٰ نَحْبَهُ و منهم من خذله الله فأشرك جعلنا الله ممن قضى نحبه و لم يبدل آمين بعزته وَ اَللّٰهُ يَقُولُ اَلْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي اَلسَّبِيلَ

«الباب الخامس و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة هل عرفت أوليائي الذين أدبتهم بآدابي»

غيره فاعتصموا بالأدب   أنبياء الله ما أدبهم

هكذا عينهم في الكتب   فهم السادة لا يخذلهم

هو معدود بذا في النجب   فالذي يمشي على آثارهم

لم يزل لذاك خلف الحجب   فإذا كان كذا ثم كذا

فتراه مثلهم في النصب   أسعد الناس بهم تابعهم

منهم أقدامهم في قرب   لزموا المحراب حتى و رمت

قال الله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ و من أحب الله ذل و من أحبه الله دل فالمحب ذليل و المحبوب ذو دلال و دلال و قال ص إن الله أدبني فأحسن أدبي و اعلم أنه لتعريف الله بمنا زل الخلق عنده من ولي و غيره طريقين الطريق الواحدة الكشف فيرى منا زل الخلق عند الله فيعامل كل طائفة بمنزلها من الله و الطريق الأخرى ملازمة الأدب الإلهي و الأدب الإلهي هو ما شرعه لعباده في رسله و على ألسنتهم فالشرائع آداب الله التي نصبها لعباده فمن وفى بحق شرعه فقد تأدب بأدب الحق و عرف أولياء الحق فإذا رأيت من جمع الخير بيديه و ملأهما به فتعلم أنه قد أخذ بأدب اللهفإن رسول الله ص يقول لربه و هو الصادق العالم بربه و الخير كله بيديكفالخير إذا أردت أن تعرفه فاعلم أنه جماع مكارم الأخلاق و هي معروفة عرفا و شرعا و كل ما تراه من إقامة الحدود على من لو لم يأمرك الحق بذلك لكنت تعفو عنه فذلك لا يقدح في مكارم الأخلاق مع هذا الشخص فإنك ما فعلت به ما فعلت لنفسك و إنما الله فعل بعبده ما شاء على يدك و كلاكما عبد لسيد واحد و إنما كلامنا فيما يرجع إليك لا لأمر سيدك فإنه من مكارم الأخلاق في العبيد امتثال أوامر سيدهم في عباده و الوقوف عند حدوده و مراسمه فيهم لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْفكونهم حادوا الله و رسوله هو الذي عاد عليهم فهم جنوا على أنفسهم ما جنى عليهم صاحب مكارم الأخلاق فمن تعرض لأمر فقد أحب أن يتعرض إليه فيه فما فعلت معه في عدم ودك فيه إلا ما أحب و لا تكون مكارم الأخلاق إلا أن تفعل مع الشخص ما يحبه منك فإنه قد بغضك أولا لإيمانك بالله و اليوم الآخر و أتخذك عدوا فمن مكارم خلقك معه أن تتلطف به في إيمانه فإن لم ينفع فلتقابله بالقهر فإن لم يفعل و لج فقد رت على قتله فاقتله بمكارم خلق منك حتى لا يبقى في الحياة الدنيا فيزيد كفرا و طغيانا فيزيده الله عذابا كما فعل من شهد الله له بأنه رحيم و هو خضر اقتلع رأس الغلام و قال إنه طبع كافرا فلو عاش أرهق أبويه طغيانا و كفرا و انتظم الغلام في سلك الكفار فقتله الخضر رحمة به و بابويه أما الصبي حيث أخرجه من الدنيا على الفطرة فسعد الغلام و الله أعلم و سعد أبواه و هذا من أعظم مكارم الأخلاق كان بعض الصالحين يسأل الله الغزاة فلا يسهل الله له أسبابها و يحول بينه و بين الجهاد في سبيل الله و كان من الأولياء الأكابر عند الله ممن له حديث مع الله فبقي حائرا في تأخره و تعذر الأسباب عليه مع ما قد حصل في نفسه من حب الجهاد لما فيه من مرضاة الله و لما للشهداء عند الله فلما علم الله أنه

قد ضاق صدره لذلك أعلمه الله بالطريقة التي كان يأخذ العلم عن الله بها فقال له لا يضيق صدرك من أجل تعذر أسباب الجهاد عليك فإني قضيت عليك لو غزوت لأسرت و لو أسرت لتنصرت و مت نصرانيا و إن لم تغز بقيت سالما في بيتك و مت عبدا صالحا على الإسلام فشكر الله على ذلك و علم إن الله تعالى قد اختار له ما هو الأسعد في حقه فسكن خاطره و علم إن الله قد اختار له ما له فيه الخيرة عنده أيضا من آداب الله الذي ينبغي للعبد أن يتأدب بها مع الله فإذا رأيت من سلم و استسلم و قامت به آداب الحق و قام بها في نفسه و في عباده و تأدب مع الصفة لا مع الأشخاص و يتخيل صاحب الصفة أنه تأدب معه و ما عنده خبر بحال هذا الأديب فإنه ينظر العالم بعين الحق و عين الحق تنظر إليهم بما أعطاها علم الله بهم و علم الله بهم ما هم عليه من الأحوال فإن الذوات التي تقوم بها الأحوال لا يحكم عليهم من حيث ذواتهم سعادة و لا شقاء و إنما ذلك بما يقوم بالذوات من الصفات فالصفات لا تتصف بالشقاء لذاتها و لا بالسعادة و الذوات الحاملة للصفات لا تتصف أيضا لنفسها و عينها بسعادة و لا شقاء فإذا قامت الصفات بالذوات و ظهرت أحكامها فيها اتصفت الذوات بحسب ما حصل من الامتزاج الذي لم يكن و لا لواحد منهما على الانفراد فقيل عند ذلك في الشخص سعيد أو شقي فانظر ما أعجب حديث السعادة و الشقاء حيث لم يظهر واحد منهما إلا بحسب الامتزاج كما لم يظهر سواد المداد إلا بامتزاج العفص و الزاج كما لم يظهر بياض الشقة إلا بين الشقة و القصارة فالخوف كله من التركيب و الآفات كلها إنما تطرأ على الشخص من كونه مركبا و الخروج عن التركيب يعقل و ليس بواقع في العالم أصلا المركب و لهذا قال أبو يزيد إنه لا صفة له فإنه أقيم في معقولية بساطته فلم ير تركيبا فقال لا صفة لي فصدق و لكنه غير واقع في الوجود الحسي العيني فما ثم إلا مركب يقبل السعادة أو بالشقاء بحسب ما تقتضيه مزجته فقد فرغ ربك و ما كان فراغه عن مانع شغل و إنما أراد بذلك التنزيه أي أن الأمور لا تقع إلا على ما هي عليه في نفسها و من عصمه الله من الزلل الذي يقتضيه هذا المشهد فقد اعتنى الله به الاعتناء الأعظم و من هنا زلت الاقدام كما جاء في الشريعة نظيرهلما ذكر النبي ص من سبق الكتاب على العبد بالسعادة أو بالشقاء فقالت الصحابة يا رسول الله ففيم العمل فقال لهم رسول الله ص اعملوا فكل ميسر لما يسر لهو قد بين الحق بإرساله عليهم أسباب الخير و طرقه و أسباب الشقاء و الشر و طرقه و جعل السلوك في طرق الخير بشرى فانظرها في نفسك فإن وجدت الأمر عندك إذا كنت في الخير مثلا واجدا باطنك و ظاهرك فيه على السواء غير مرتاب فتلك البشرى فافرح بها في السعادة فإن الله ما يبدلك و إن رأيت الخير في ظاهرك و تجد في باطنك نكتة من شك أو اضطراب فيما أنت فيه من عبادة و يقع لك خاطر يقدح في أصلها بما يخالف ظاهر الفعل فاعلم إن الله لم يعطك إيمانا و لا نور قلبك بنوره فابك على نفسك أو أضحك فما لك في الآخرة من خلاق هذا ميزانك في نفسك و أنت أعرف بنفسك و ما يخطر لك فيها و لهذا قال رسول الله ص في الصحيح إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فإنه يبدو لله منه هذا الخاطر الذي يقدح في الايمان من الشك القائم به إن الأمر الذي هو فيه من الشرع ما هو على ما يعطيه الظاهر هذا هو البلاء المبين و إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس يعني من المخالفات و الذي يبدو لله من باطنه خلاف هذا من نور الايمان و الصدق مع الله في إن هذا الحال التي هو عليها مخالف لأمر الله فيبكي باطنا و يخالف

ظاهرا فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس فقد أبان ص في هذا الخبر ما الناس عليه في أنفسهم ثم لتعلم إن في ترجمة هذه المنازلة من الحق إشارة لطيفة المعنى في استفهامه عز و جل عما هو به عالم مثل قوله للملائكة كيف تركتم عبادي و الملائكة تعلم أنه تعالى أعلم بعباده منهم أَ لاٰ يَعْلَمُ من خَلَقَ و جميع ما هم فيه خلقه تعالى وَ هُوَ اللَّطِيفُ بسؤاله الْخَبِيرُ بما سأل عنه لأنه واقع فكل علم عنده عن وقوع فهو به خبير و تعلقه به قبل وقوعه هو به عليم فمن أدب الملائكة لعلمهم بما قصد الحق منهم أجابوه تعالى فقالوا تركناهم و هم يصلون و أتيناهم و هم يصلون لأن عروج الملائكة عنهم و نزولهم عليهم كان عند صلاة العصر و صلاة الصبح كذا ورد الخبر فأقول مجيبا للحق عرفتهم لما عرفت آدابك فنسبتهم إليك فقلت هؤلاء أولياء الله و علامتهم إذا رأوا ذكر الله لتحققهم بالله و ليس إلا العبودة المحضة الخالصة التي لا تشوبها ربوبية بوجه من الوجوه فهذه آدابك و كل نعت يرى فيهم فيه رائحة ربوبية فهو أدب الخلافة لا أدب الولاية فالولي ينصر و لا ينتصر و الخليفة ينتصر و ينتصر و الزمان لا يخلو من منازع و الولي لا يسامح فإن سامح فليس بولي و لا يؤثر على جناب الحق شيئا فهو كله لله و الخليفة هو لله في وقت و للعالم في وقت فوقتا يرجح جناب الحق غيرة و وقتا يرجح جناب العالم فيستغفر لهم مع ما وقع منهم مما يغار له الولي و هؤلاء هم المفردون الذين تولى الله آدابهم بنفسه يقول الخليفة لأزيدن على السبعين في وقت و يدعو على رعل و ذكوان و عصية في وقت و أين الحال من الحال فالخليفة تختلف عليه الأحوال و الولي لا تختلف عليه الحال فالولي لا يتهم أصلا و الخليفة قد يتهم لاختلاف الحال عليه فما يدعي دعوى إلا و عجزه يكذبه مع صدقه حال آخر يبدو منه فآداب الأولياء آداب الأرواح الملكية أ لا ترى إلى جبريل ع يأخذ حال البحر فيلقمه في فم فرعون حتى لا يتلفظ بالتوحيد و يسابقه مسابقة غيرة على جناب الحق مع علمه بأنه قد علم أنه لا إله إلا الله و غلبه فرعون فإنه قال كلمة التوحيد بلسانه كما أخبر الله تعالى عنه في الكتاب العزيز و الخليفة يقول لعمه قلها في أذني أشهد لك بها عند الله و هو يأبى و أين هذا الحال من حال قول الخليفة الآخر رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰافِرِينَ دَيّٰاراً و لعلهم لو طال عليهم الأمد لرجعوا أو في أصلابهم من يؤمن بالله فتقر به أعين المؤمنين فآداب الأولياء غضب في الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ لا رجوع فيه و رضاء في المرضي عنهم لا رجوع فيه فإن ذلك أدب الحق و الحق الواقع الواجب وقوعه و آداب الخلفاء الرضاء في المرضي عنهم و العفو وقتا و الغضب وقتا في الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و لهذا خص الأولياء دون غيرهم فيقوله هل عرفت أوليائي و الكل أولياء و لكن أولياء الأسماء الإلهية و هؤلاء أولياء الإضافة فهم أولياء إنية لا أولياء أسماء و سأعرفك بالفرق بين أسماء الكنايات و الأسماء الظاهرة إن شاء الله في باب الأسماء من آخر هذا الكتاب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة في تعمير نواشئ الليل فوائد الخيرات»

نواشئ الليل فيها الخير أجمعه | فيها النزول من الرحمن بالكرم
يدنو إلينا بنا حتى يساعدنا | بما يدليه من طرائف الحكم
فالكل يعبده و الكل يشكره | إلا الذي خص بالخسران و النقم

إن الولي تراه وقت غفلته يبكي و يدعوه في داج من الظلم

يا رب يا رب لا يبغي به بدلا خلقا عظيما كما قد جاء في القلم

قال الله تعالى وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ و قال إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً و لما سألت عائشة عن خلق رسول الله ص قالت كان خلقه القرآن و إنما قالت ذلك لأنه أفرد الخلق و لا بد أن يكون ذلك الخلق المفرد جامعا لمكارم الأخلاق كلها و وصف الله ذلك الخلق بالعظمة كما وصف القرآن في قوله وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فكان القرآن خلقه فمن أراد أن يرى رسول الله ص ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه و بين النظر إلى رسول الله ص فكان القرآن انتشا صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و القرآن كلام الله و هو صفته فكان محمد صفة الحق تعالى بجملته ف مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ لأنه لا ينطق عن الهوى فهو لسان حق فكان ص ينشئ في ليل هيكله و ظلمة طبيعته بما و فقه الله إليه من العمل الصالح الذي شرعه له صورا عملية ليلية لكون الليل محل التجلي الإلهي الزماني من اسمه الدهر تعالى يستعين بالحق لتجليه في إنشائها على الشهود و هو قوله تعالى إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً و لم تكن هذه الصور إلا الصلاة بالليل دون سائر الأعمال و إنما قلنا بالاستعانة لقوله تعالى قسمت الصلاة بيني و بين عبدي و قوله اسْتَعِينُوا بِاللّهِ و لا يطلب العون إلا من له نوع تعمل في العمل و هو قوله وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ فكن أنت يا وارثه هو المراد بهذا الخطاب في هذا العمل فيكون محمد ص ما فقد من الدار الدنيا لأنه صورة القرآن العظيم فمن كان خلقه القرآن من ورثته و أنشأ صورة الأعمال في ليل طبيعته فقد بعث محمدا ص من قبره فحياة رسول الله ص بعد موته حياة سنته و من أحياه فكأنما أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً فإنه المجموع الأتم و البرنامج الأكمل و لهذا قال في ناشئة الليل إنها أَقْوَمُ قِيلاً و لا أقوم قيلا من القرآن و كذلك أَشَدُّ وَطْئاً أي أعظم تمهيدا لأنه قال ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ و ليس إلا القرآن الجامع و أشد ثباتا فإنه لا ينسخ كما نسخت سائر الكتب قبله به و إن ثبت ما ثبت منها مما ورد في القرآن و لهذا جاء بلفظ المفاضلة في الثبوت فهو أشد ثبوتا منها لاتصاله بالقيامة و فيه ما في الكتب و ما ليس في الكتب كما كان في محمد ص ما كان في كل نبي و كان فيه ما لم يكن في نبي لأن القرآن كان خلقه فأعطى هو و أمته ما لم يعط نبي قبله فإذا أنشأ من أنشأ صورة هذه الأعمال الليلية و نفخ الحق لشهوده من كونه معينا له أرواحها فيها قامت حية ناطقة عن أصل كريم الطرفين بين عبد متحقق بعبوديته موف حق سيده لم يلتفت إلى نفسه و لا إلى صورة ما خلقه الله عليها التي توجب له الكبرياء بل كان عبدا محضا مع هذه المنزلة و لهذا قدم إِيّاكَ نَعْبُدُ فإنه ما قبل الصورة إلا في ثان حال فقال بذاته إِيّاكَ نَعْبُدُ و قال بالصورة وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ ثم رجع فقال اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالِّينَ فجمع بين الأمرين و بين رب عظيم وفاه حقه على قدر ما شرعه له لا يطالب بغير ذلك فإنه تعالى هو الذي أدبه أي جمع له و فيه جميع فوائد الخيرات فلما نشأت هذه الصورة العملية الليلية بين هذين الطرفين الكريمين كانت وسطا جامعة للطرفين فكانت عبدا سيدا حقا خلقا و بهذه الصفة أنشأ الله العالم ابتداء فإن له في أسمائه و نعوته الطرفين فإنه وصف نفسه بما يتعالى به عن الخلق و وصف نفسه بما هو عليه الخلق و لم يزل بهذين النعتين موصوفا لنفسه و هما

طرفا نقيض فجمع بين الضدين و لو لا ما هو الأمر على هذا ما خلق الضدين في العالم و المثلان ضدان فهما ضدا المماثلة حتى تعلم أن العالم على صورته في قبول الضدين بل هو العالم الذي هو عين الضدين صورة من أنشأه فظهر العالم بالأصالة بين الطرفين و مشى الأمر في خلق ما خلق الله بأيدي العالم فللعالم إنشاء الصور و للحق أرواحها و حياتها كما قال في حق عيسى ع وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ في الصورة الخلقية فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ الله فجعل الصورة للخلق و كونه طائرا للحق و في إنشائك قال فَإِذا سَوَّيْتُهُ هو مثل تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ثم قال وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي و هو قوله فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي فمن كان مع الحق في مقام الشهود و الجمع عند إنشاء العبد صور الأعمال قامت حية ناطقة و إن أنشأها على غير هذا النعت من الجمع و الشهود كانت صورا بلا أرواح كصور المصورين الذينيقول الله لهم يوم القيامة أحيوا ما خلقتم فلا يستطيعونلأن الأحياء ليس لهم و إنما هو لله و أعني بالإحياء الأحياء الذي تقع به الفائدة من الحي فإن الطبيعة تعطي حياة في الصورة و لكن حياة لا فائدة معها و هي الحياة التي توجد في المعفنات فليس في قوة الطبيعة أكثر من وجود الإحساس لا غير و أما القوي الروحانية التي عنها تكون الصنائع العملية بالتفكر فمن الروح الإلهي فمن علم مراتب الأرواح يعلم ما أومأنا إليه في هذه العجالة وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة من دخل حضرة التطهير نطق عني»

إذا طهر العبد من كونه	يكون الآلة هو الناطق
كمثل المصلي إذا قام من	ركوع الصلاة هو الصادق
ينوب عن الحق في نطقه	فليس يقوم به عائق
فكل كلام له صادق	و كل شراب له رائق

قال الله تعالى يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ يعني بها و لا تشهد إلا بالأجنبية إذ لا بد من شهود عليه و إن لم يكن على ما قلناه و كان عين الشاهد عين المشهود عليه فهو إقرار لا شهادة و ما ذكر الله تعالى أنه إقرار فدل على إن الجوارح ارتبطت بالنفس الناطقة ارتباط الملك بمالكه كما هو الأصل عليه و الأصل هو الحق و لم يزل في أزله مدبرا فلا بد أن يكون تدبيره في مدبر معين له أزلا و ليس إلا أعيان الممكنات فهي مشهودة له في حال عدمها فإنها ثابتة فيدبر فيها ما يكون من تقدم بعضها على بعض و تأخرها في تكوين أعيانها و صور ما توجد فيها و هنالك هو سر القدر الذي أخفى الله تعالى علمه عن خلقه حتى يظهر الحكم به في الصور الموجودة في رأى العين فكذلك لما أراد الله إنشاء الأرواح المدبرة فهي لا تكون إلا مدبرة فإن لم يكن لها أعيان و صور يظهر تدبيرها فيها بطلت حقيقتها إذ هي لذاتها مدبرة هكذا هو الأمر عند أهل الكشف و هنا سر عجيب غريب أومئ إليه إن شاء الله في هذا التفصيل فنقول إن الله أنشأ هذه الصور الجسدية من نور و نار و تراب و ماء مهين على اختلاف أصول هذه النشأة المتعددة فعند ما كملت التسوية في الصورة التي هي محل تدبير الأرواح

المدبرة أنشأ الله منها أي من قبولها ما ينفخ فيها من أوجدها و هو الفيض الدائم أرواحا مدبرة لها قائمة بها على صورة قبولها فتفاضلت الأرواح لتفاضل النشآت فلم يكونوا على مرتبة واحدة إلا في كونهم مدبرين فالأرواح المدبرة إنما ظهرت بصور مزاج القوابل فلا تتعدى الأرواح في التدبير ما تقتضيه إلهيا كل المدبرة فانظر إلى أعيان الممكنات قبل ظهورها في عينها لا يمكن أن يظهر الحق فيها إلا بصورة ما تقبله فما هي على صورة الحق في الحقيقة و إنما المدبر على صورة المدبر إذ لا يظهر فيه منه إلا على قدر قبوله لا غير فليس الحق إلا ما هو عليه الخلق لا يرى من الحق و لا يعلم غير هذا و هو في نفسه على ما علم و له في نفسه ما لا يصح أن يعلم أصلا و ذلك الأمر الذي لا يعلم أصلا هو الذي له بنفسه المشار إليه بقوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و هذا الذي نبهناك عليه من العلم بالله تعالى ما أظهرناه باختيارنا و لكن حكم الجبر به علينا فتحفظ به و لا تغفل عنه فإنه يعلمك الأدب مع الله تعالى و من هذا المقام نزل قوله تعالى وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ أي ما أعطيتك إلا على قدر قبولك فالفيض الإلهي واسع لأنه واسع العطاء فما عنده تقصير و مالك منه إلا ما تقبله ذاتك فذاتك حجرت عليك هذا الواسع و أدخلتك في الضيق فذلك القدر الذي حصل تدبيره فيك هو ربك الذي تعبده و لا تعرف إلا هو و هذه هي العلامة التي يتحول لك فيها يوم القيامة على الكشف و هي في الدنيا في العموم على الغيب يعلمها كل إنسان من نفسه و لا يعلم أنها المعلومة له و لهذا تقول العامة إن الله ما عودني إلا كذا و كذا فإذا فهمت هذا علمت أن الحق معك على ما أنت عليه ما أنت معه و قد نبهك على هذا في القرآن بقوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ما أنتم معه و لا يصح أن يكون أحد مع الله فالله مع كل أحد بما هو عليه ذلك الواحد من الحال فانظر إلى أفراد العالم فما تراه فيه فذلك عين الحق لا غيره

ولا من بعد هذا الوصف وصف فليس وراء هذا الكشف كشف

و شاهده بذا شرع و عرف فسبحان الذي يبدو و يخفى

فلا يصح التجريد عن التدبير لأنه لو صح بطلت الربوبية و هي لا تبطل فالتجريد محال فلا مستند للتجريد لأنك لا تعقل إلهك إلا مدبرا فيك فلا تعرفه إلا من نفسك فلا بد أن تكون على تدبير فلا بد من جسم و روح دنيا و آخرة كل دار بما يليق بها من النشآت و تنوع أرواحها لتنوعها صورة الخلق و الحق كما تقدم ذكره في هذا الكتاب في هذا المعنى في الترجمة عن الحق

كن كيف شئت فإني كما تكون أكون

هكذا هو الأمر في عينه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة من كشفت له شيئا مما عندي بهت فكيف يطلب أن يراني هيهات»

علي فكيف بنا إذ نراه إذا كان ما عنده حاكم

و هل ثم عين تراه سواه فليس يراه سوى عينه

و عين السوي هو عين الإله　　يغالطنا بوجود السوي

وجودا و فقدا بنا في حماه　　فإمكاننا لم يزل قائما

فعين ضلالتنا من هداه　　فلسنا سواه و لا نحن هو

قال الله عز و جل فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ و لهذا كفر و ما كان إلا الشروق و الغروب و هو الوجدان و الفقد هذه شمس حق شرقت من المشرق و لو لا شروقها ما كان مشرقا ذلك الجناب فَأْتِ بِها من الْمَغْرِبِ و هذا في الحقيقة لو أتى بها أي لو شرقت من المغرب لكان مشرقا فما شرقت إلا من المشرق فبهت الكافر و هو موضع البهت لأنه علم أنه حيث كان الشروق لها اتبعه اسم المشرق فليس للمغرب سبيل في نفس الأمر فما بهت الكافر إلا من عجزه كيف يوصل إلى أفهام الحاضرين مع قصورهم موضع العلم فيما جاء به إبراهيم الخليل ع فأظلم عليه الأمر و تخبط في نفسه فظهرت حجة إبراهيم الخليل ع عليه إمام الحاضرين و إنما نسب الكفر إليه بالمسألة الأولى فإنه علم ما أراده الخليل بقوله رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فستره فسمي كافرا ف قالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ و يقال فيمن أبقى حياة الشخص عليه إذا استحق قتله أن يقال أحياه و لم يكن مراد الخليل إلا ما فهمه نمروذ فعدل إبراهيم إلى ما هو أخفى في نفس الأمر و أبعد و هو أوضح عند الحاضرين فجاء بالمسألة الثانية فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ في أمر إبراهيم كيف عدل إلى ما هو أخفى في نفس الأمر و أبعد لإقامة الحجة و قامت له الحجة عليه عند قومه فكان بهته في هذا الأمر المعجز الذي أعمى بصائر الحاضرين عن معرفة عدوله من الأوضح إلى الأخفى فحصل من تعجبه و بهته في نفوس الحاضرين عجزه و هو كان المراد و لم يقدر نمروذ على إزالة ما حصل في قلوب العارفين الحاضرين من ذلك فعلم صدقه و لكن الله ما هداه أي ما وفقه للإيمان لقوله ص فإنه عالم بأنه على الحق و لا يصح بهت إلا في تجلي ما عند الحق و ما عند الحق إلا ما أنت عليه فإنه ما يظهر إليك إلا بك فتقر به فيك و تنكر ما أنت به مقر فيه و ذلك لجهلك بك و بربك لأنك لو عرفت نفسك عرفت ربك فما ثم إلا خلق و هو ما تراه و تشهده و لو فتشت على دقائق تغيراتك في كل نفس لعلمت أن الحق عين حالك و أنه من حيث هو وراء ذلك كله كما هو عين ذلك كله فالحق خلق و ما الخلق حق و إن اختلفت عليه الأسماء أ ليس مما عند الله دك جبل موسى فصعق و هو أعظم من البهت و ما أصعقه إلا ما عنده و هو ممن طلب أن يرى ربه فلما علم موسى ع عند ذلك ما لم يكن يعلم من صورة الحق مع العالم قال تُبْتُ إِلَيْكَ أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها به أولا فإني قد عرفت ما لم أكن أعلمه منك وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بقولك لَنْ تَرانِي فإنك ما قلت ذلك إلا لي و هو خبر فلذلك ألحقه بالإيمان لا بالعلم و لو لا ما أراد الايمان بقوله لَنْ تَرانِي ما صحت الأولية فإن المؤمنين كانوا قبله و لكن بهذه الكلمة لم يكن فكل من آمن بعد البهت أو الصعق فقد آمن على بصيرة فهو صاحب علم في إيمان و هذا عزيز الوجود في عباد الله و قليل في أهل الله من يبقى معه الايمان مع العلم فإنه لما انتقل إلى الأوضح و هو العلم فقد انتقل عن إيمانه و الكامل هو المؤمن في حال علمه بما هو به مؤمن لا بما كان به مؤمنا فيقال فيه مؤمن عالم بعين واحدة وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الأربعون و أربعمائة في معرفة منازلة قول من قال عن الله ليس عبدي من تعبد عبدي»

العبد من لا عبد له سبحانه ما أكمله
قد جمع الله له كل وجود أمله
مشتبها و محكما مجملة مفصله
سواه إذ عدله و بعد هذا فصله
بكل عين أشهده بكل علم فضله
فإنما أنا به في كل أحوالي و له
حزنا الكمال كله أنا و هو و الكل له

قال عز و جل لمحمد قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ فقلنا الأمر كله لله أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ فهو الخلق و الأمر اعلم أنه لا يملك المملوك إلا سيده و لهذا يسمى الترمذي الحكيم الحق سبحانه ملك الملك غير سيده ما يملك عبد فإن العبد في كل حال يقصد سيده فلا يزال يصرف سيده بأحواله في جميع أموره و لا معنى للملك إلا التصريف بالقهر و الشدة و مهما لم يقم السيد بما يطلبه به العبد فقد زالت سيادته من ذلك الوجه و أحوال العبد على قسمين ذاتية و عرضية و هو بكل حال منها يتصرف في سيده و الكل عبيد الله فمن كان دنيء الهمة قليل العلم كثيف الحجاب غليظ القفا ترك الحق و تعبد عبيد الحق فنازع الحق في ربوبيته فخرج من عبوديته فهو و إن كان عبدا في نفس الأمر فليس هو بعبد مصطنع و لا مختص فإذا لم يتعبد أحدا من عباد الله كان عبدا خالصا لله فتصرف في سيده بجميع أحواله فلا يزال الحق في شأن هذا العبد خلاقا على الدوام بحسب انتقالاته في الأحوال قال ص خادم القوم سيدهم لأنه القائم بأمورهم لأنهم عاجزون عن القيام بما تقتضيه أحوالهم فمن عرف صورة التصريف عرف مرتبة السيد من مرتبة العبد فيتصف العبد بامتثال أمر سيده و السيد بالقيام بضرورات عبده فلا يتفرغ العبد مع ما قررناه من حاله مع حال سيده إن يقتنى عبدا يتصرف فيه لأنه يشهد عيانا إن ذلك العبد الآخر يتصرف في سيده تصرفه فيعلم أنه مثله عبد لله و إذا كان عبدا لله لم يصح أن يتعبده هذا العبد فما ملك عبد إلا بحجاب لقيت سليمان الدنبلي فأخبرني في مباسطة كانت بيني و بينه في العلم الإلهي فقلت له أريد أن أسمع منك بعض ما كان بينك و بين الحق من المباسطة فقال نعم باسطني يوما في سري في الملك فقال لي إن ملكي عظيم فقلت له ملكي أعظم من ملكك فقال لي كيف تقول فقلت له مثلك في ملكي و ليس مثلك في ملكك فمن أعظم ملكا فقال صدقت أشار إلى التصريف بالحال و الأمر و هو ما قررناه فإذا علمت هذا علمت قدرك و مرتبتك و معنى ربوبيتك و على من تكون ربا في عين عبد و هو بالعلم قريب و بالحال أقرب و ألذ في الشهود وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة من ثبت لظهوري كان بي لأنه سبحانه كان به لا بي و هو الحقيقة و الأول مجاز»

فإن الإله هو الثابت إذا ثبت العبد في موطن
و أعطاكه فهو القانت إذا قلت يا رب هب لي كذا
فبالله قل لي من المائت إذا لم يكن غيره عيننا
فهو به الناطق الساكت ترجم عنه لسان بدا
لوحدته نفس خافت و لم يبق للعبد من عينه
إذا كان هذا و لا شامت و ليس له في الورى حاسد
و بت به فمن البائت إذا جئت ليلا إلى منزلي
بما شاءه و أنا الصامت هو الحق بنطق في كونه
لما فضل العسجد الصامت فلو لا اللجين و أمثاله
إذا نكت العالم الناكت تعجبت منه و من عزه
فعبد الإله هنا الباهت و ليس يغار على عرضه

قال الله عز و جل كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ اعلم أن عباد الله الذين أهلهم الله له و اختصهم من العباد على قسمين عباد يكونون له به و عباد يكونون له بأنفسهم و ما عدا هؤلاء فهم لأنفسهم بأنفسهم ليس لله منهم شيء فلا كلام لنا مع هؤلاء فإنهم جاهلون و نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين فأما العباد الذين هم له تعالى بأنفسهم فهم الذين تحققوا بقوله تعالى وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فهم العبيد الصم الشداد الأشداء الرحماء بينهم و علامتهم الاتصاف بجميع الأحوال من فناء و بقاء و محو و إثبات و غيبة و حضور و جمع و فرق إلى ما يقبله الكون من الأحوال و كذلك من نعوتهم التي تنسب إلى المقامات المذكورة من توكل و زهد و ورع و معرفة و محبة و صبر و شكر و رضاء و تسليم إلى سائر المقامات المذكورة في الطريق فإن نفوسهم تقبل التغيير و التحويل من حال إلى حال و من مقام إلى مقام و لكن ذلك كله لله لما سمعوا دعاءه إياهم من هذه الأمور كلها فد خلوا عليه بها ذوقا و حالا لا علما و لا اعتقادا فإن سائر المؤمنين و العلماء علماء الرسوم يعلمون هذه الأمور كلها و لكن لا قدم لهم فيها فهؤلاء إذا تجلى لهم الحق لم يثبتوا لظهوره لأن المحدث إذا ظهر له القديم يمحو أثره إذ لا طاقة للمحدث على رؤية القديم و لهذا جاء الخبر الصحيح الإلهي بأن الحق قد يكون بصر العبد و سمعه حتى يثبت لظهور الحق في التجلي أو في الكلام أ لا ترى إلى موسى ع لما كان الحق سمعه ثبت لكلام الله فكلمه فلما وقع التجلي و لم يكن الحق عند ذلك بصر موسى كما كان سمعه صعق و لم يثبت فلو كان بصره لثبت و أما العبيد الآخرون فهم له به فيثبتون في كل موطن مهول من حادث و قديم للقوة الإلهية السارية في ذواتهم فلا يبقى حال و لا مقام إلا و يظهرون به و فيه بطريق التحكم به و التصرف فيه فهم يملكون الأحوال و المقامات و لا يملكهم شيء إلا ما قررناه من ذلك الأمر الذي

يملك الحق إذا كان الحق ملك الملك فبذلك القدر يكونون في ذواتهم فبه تعالى يسمعون و يبصرون و يأكلون و يشربون و ينامون و يقومون و له يسمعون و يبصرون و يأكلون و يشربون و ينامون و يقومون و هو قول رسول الله ص في بعض خطبه في الثناء على الله فإنما نحن به و لهفإذا اجتمع عبدان الواحد له بنفسه و الآخر له به أنكر من هو له بنفسه على من هو له به و لم ينكر من هو له به على من هو له بنفسه لأنه عبد محض خالص و الآخر حق محض خالص و الصورة الظاهرة منهما صورة خلق و الباطنة ممن هو لله بنفسه صورة خلق و الصورة الباطنة من الآخر صورة حق فهذا يتصرف بحق في حق لحق و الآخر يتصرف بخلق في خلق لحق و منهم من يتصرف في حق لحق بخلق أعني من الذين هم بأنفسهم فخرق العوائد لمن كان لله بنفسه و المنزلة لمن كان لله بالله فهؤلاء أصحاب كرامات و هؤلاء أهل منازل و أصحاب الكرامات معلومون عند الله معلومون عند الخلق و أهل المنازل معلومون عند الله و عند أبناء الجنس مجهولون عند الخلق إلا أن أهل خرق العوائد يبطن في حالهم المكر الإلهي و الاستدراج و أهل المنازل مخلصون من المكر لأنهم على بصيرة و بينة من ربهم فهم أهل وصول إلى عين الحقيقة جعلنا الله و إياكم من عبيد الاختصاص آمين بعزته وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الحادي والخمسون وأربعمائة في معرفة منازلة في المخارج معرفة المعارج»

ما لاح عين الحرف بالمخارج لولا وجود الكون في المعارج
قد ارتقى في رتب المعارج أخرجه ضرب مثال للذي
يبين عن منازل المدارج فالنفس الدارج في طريقه

قال الله تعالى تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ و قال تعالى إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ و قال تعالى رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِاعلم أن الممكنات هي كلمات الله التي لا تنفدوا بها يظهر سلطانها الذي لا يبعد و هي مركبات لأنها أتت للافادة فصدرت عن تركيب يعبر عنه في اللسان العربي بلفظة كُنْ فلا يتكون عنه إلا مركب من روح و صورة ثم تلتحم الصور بعضها ببعض لما بينهما من المناسبات فتحدث المعاني فينا بحدوث تأليفها الوضعي و ما وقع فيها الوضع في الصور المخصوصة إلا لذاتها لا بحكم الإنفاق و لا بحكم الاختيار لأنها بأعيانها أعطت العلم الذي لا يتحول و القول الذي لا يتبدل و المشيئة الماضية فهي في الشهادة بحسب ما هي عليه في الغيب فهي في الغيب بصورة كل ما تتقلب إليه في الظاهر مما لا نهاية له في الغيب من التقليب و هو في الظاهر يبدو مع الآيات إذ لا يصح دخول ما لا يتناهى في الوجود لأن ما لا يتناهى لا ينقضي فلا يقف عند حد و المادة التي ظهرت فيها كلمات الله التي هي العالم هي نفس الرحمن و لهذا عبر عنه بالكلمات و قيل في عيسى ع إنه كلمة اللهثم اعلم أن الله تعالى لما أظهر من كلماته ما أظهر قدر لهم من المراتب ما قدر فمنهم الأرواح النورية و النارية و الترابية و هم على مراتب مختلفة و كلهم أوقفهم مع نفوسهم و أشهدهم إياها و احتجب لهم فيها ثم طلب منهم أن يطلبوه و نصب لهم معارج يعرجون عليها في طلبها إياه فدخل لهم بهذه المعارج في حكم الحد و جعل لهم قلوبا يعقلون بها و لبعضهم فكرا يتفكرون به ثم جعل من معارجهم نفي المثلية عنه من جميع

الوجوه ثم تشبه لهم بهم فأثبت عين ما نفى ثم نصب لهم الدلالة على صدق خبره إذا أخبرهم فتفاضلت أفهامهم لتفاضل حقائقهم في نشأتهم فكل طائفة سلكت فيه مسالك ما خرجت فيها عما هي عليه فلم يجدوا في انتهاء طلبهم إياه غير نفوسهم فمنهم من قال بأنه هو و منهم من قال بالعجز عن ذلك و قال لم يكن المطلوب منا إلا أن نعلم أنه لا يعلم فهذا معنى العجز و منهم من قال يعلم من وجه و يعجز عن العلم به من وجه و منهم من قال كل طائفة مصيبة فيما ذهبت إليه و أنه الحق سواء سعد أو شقي فإن السعادة و الشقاء من جملة النسب المضافة إلى الخلق كما نعلم أن الحق و الصدق نسبتان محمودتان و مع هذا فلها مواطن تذم فيه شرعا و عقلا فما ثم شيء لنفسه و ما ثم شيء إلا لنفسه و بالجملة فالخلق كله مرتبط بالله ارتباط ممكن بواجب سواء عدم أو وجد و سعد أو شقي و الحق من حيث أسماؤه مرتبط بالخلق فإن الأسماء الإلهية تطلب العالم طلبا ذاتيا فما في الوجود خروج عن التقييد من الطرفين فكما نحن به و له فهو بنا و لنا و إلا فليس لنا برب و لا خالق و هو ربنا و خالقنا فبنا لكونه به و لنا لكونه له إلا أن له الإمداد فينا الوجودي و لنا فيه الإمداد العلمي فتكليفه إيانا تكليف له فبنا تكلف للتكليف فما كلفنا سوانا و لكن به لا بنا فتداخلت المراتب فهو الرفيع الدرجات مع النزول الذاتي و الخلق في النزول مع العروج و الصعود الذاتي فما خرج موجود عن تأثير وجودي و عدمي و لا مؤثر في الحقيقة إلا النسب و هي أمور عدمية عليها روائح وجودية فالعدم لا يؤثر من غير أن تشم منه روائح الوجود و الوجود لا أثر له إلا بنسبة عدمية فإذا ارتبط النقيضان و هما الوجود و العدم فارتباط الموجدين أقرب فما ثم إلا ارتباط و التفاف كما نبه تعالى وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ أي التف أمرنا بأمره و انعقد فلا ننحل عن عقده أبدا و لما تمم و هو الصادق بقوله إِلى رَبِّكَ أثبت وجود رتبته بك يَوْمَئِذٍ يعني يوم يكشف عن الساق الْمَساقُ رجوع الكل إليه من سعد أو من شقي أو من تعب أو من استراح قال ص في الدجال إن جنته نار و ناره جنة فأثبت الأمرين و لم يزلهما فالجنة جنة ثابتة و النار نار ثابتة و الصور الظاهرة لرأي العين قد تكون مطابقة لما هو الأمر عليه في نفسه و قد لا تكون و على كل حال فهما أمران لا بد منهما خيالا كان أو غير خيال و إذا ارتبط الأمران كما قلنا هذا الارتباط فلا بد من جامع بينهما و هو الرابط و ليس إلا ما تقتضيه ذات كل واحد منهما لا يحتاج إلى أمر وجودي زائد فارتبطا لا نفسهما لأنه ما ثم إلا خلق و حق فلا بد أن يكون الرابط أحدهما أو كلاهما و من المحال أن ينفرد واحد منهما بهذا الحكم دون الآخر لأنه لا بد أن يكونا عليه من قبول هذا الارتباط فبهما يظهر لا بواحد منهما و مع هذا الارتباط فما هما مثلان بل كل واحد منهما ليس مثله شيء فلا بد أن يتميزا بأمر آخر ليس في واحد منهما أمر الآخر به يشار إلى كل واحد منهما فالافتقار موجب للميل و قبول الحركة و الغناء ليس حكمه ذلك في الغني فإنا نعلم أن بين المغناطيس و الحديد مناسبة و ارتباط لا بد منه كارتباط الخلق و الخالق و لكن إذا مسكنا المغناطيس جذب الحديد إليه فعلمنا إن في المغناطيس الجذب و في الحديد القبول و لهذا انفعل بالحركة إليه و إذا مسكنا الحديد لم ينجذب إليه المغناطيس فهما و إن ارتبطا فقد افترقا و تميزا فالناس بل العالم فقراء إلى الله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ

فلا تلتفت إلى سواه هكذا صورة الوجود

و هو الواحد الإله فبه كان شفعنا

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة كلامي كله موعظة لعبيدي لو اتعظوا»

مهما وعظت فعظ بعين كلامي فهو الموفي حق كل مقام
جمع العلوم قديمها و حديثها معناه إلا أنه بفدام
و فدامه ألفاظنا و حروفنا الجامعات لعين كل كلام
فنقول قال الله بالحرف الذي قال الأنام به بغير ملام
فترده أحلامنا بدليلها والكشف يأبى ما ترى أحلامي
والحكم للأمرين عند من ارتقى بمعارج الأرواح و الأجسام
فانظر إليه منزها و مشبها و الحكم للإقدام في الإقدام
علم الوجود ضياؤه و ظلامه نور يمازجه كيان ظلام
ما إن رأيت و لا سمعت بمثله شمس تشاهد في حجاب غمام
إني حكمت على الزمان بمثل ما حكمت عليه مشارق الأيام
فالدهر محكوم عليه و حاكم مع كونه يسمو على الحكام
حكمت عليه شرائع و دلائل مع كونها من جملة الخدام
و اعلم بأنك إن نظرت بعينه يبدو لك الإحكام في الأحكام

قال الله تعالى لنبيه ص قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ فقال بعض السامعين سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ فاعتنى الله بأهل الايمان فقال وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ فالتفت إلى القابل و ما التفت إلى المعرض فلم يرتبط الوجود إلا بالمؤمن و هو سبحانه الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ على المؤمنين فجزاء الله عندنا على هذا الاعتناء العمل بما شرع و المبادرة لما به نهي و أمر اعتناء باعتناء و هو أحق بنا فإن اعتناءنا بالقبول يعود علينا نفعه لافتقارنا إلى ذلك النفع و اعتناؤه بنا امتنان منه لأنه غني حميد بغناه فوعظنا بالحوادث الواقعة على خلاف الأغراض مما تنفر عنه طباعنا و ذكرنا بأنا معرضون لحلولها بنا إلا أن يعصم الله في بعضها لا في كلها فإن منتهى الدوائر و أعظمها الموت و لا بد منه بأي وجه كان و لست أعني بالموت إلا الانتقال عن هذه الدار فإن الشهيد منتقل و إن لم يتصف بالموت هكذا أمرنا المؤدب أن نقول فإن لنا نصيبا من الأدب الإلهي الذي أدب به الله رسوله ص فليس أدب الله خاصا بأحد دون أحد فمن قبله سعد و كان ممن أدبه الله و انتمى إلى الله في الأدب و هو

أحسن الأدب و قد نهانا أن نقول لمن يقتل في سبيل الله إنه ميت و لا نحسب أنه ميت بل هو حي عند ربه و في إيماني يرزق و ذكرنا تعالى بموعظته ذكرى حال إذ أصاب من قبلنا بوقوع تلك الدوائر عليهم

بعقلك إذا رأتك سنى الوجود ألذ الفعل فعل القهر فانظر
و إن لم فاعتبر فالجود جودي فكن لي إن تكن لي أنت كلي
و قد أعني المجيد عن المجيد لقد تبنا و ما خفنا عقابا
لقد غبتم عن إحسان المجيد فقل للمنكرين صحيح قولي

و ذكر بأمور أخبر عنها في المستقبل عند الانتقال إلى الدار الآخرة تقع بالعباد مما يسر وقوعها و مما لا يسر و مما يوافق الغرض و يلائم الطبع و مما لا يلائم الطبع و لا يوافق الغرض و مما يدل على الكمال و النقص فذكر بالرغبة في ذلك و الرهبة من ذلك و ذكر بنفسه لما علم تعالى أن إفراط القرب حجاب عظيم عن القرب و قد قال إنه أقرب إلينا من حبل الوريد و حبل الوريد نعلم قربه و لا تراه أبصارنا كذلك قرب الحق منا نؤمن بقربه و لا تدركه أبصارنا فلذلك ذكر بنفسه لا لبعده لأنه حفيظ و الحفظ يطلب القرب بلا شك فنحن بعينه و هو معنا حيثما كنا لا بل أينما كنا و نستغفر الله من عثرات اللسان و إن كان من عند الله فالأدب أولى و لا سيما فيما ينسب إلى الجناب الإلهي لا ينبغي للأديب إن يتكل على المعنى بل الأدب في مراعاة الألفاظ فإنه تعالى لم يعدل إلى لفظ دون غيره سدى فلا نعدل عنه فإن العدول عنه إلى مثله في المعنى تحريف بغير فائدة و يقنع العدو من الكبراء بهذا القدر فهي مزلة قدم و مكر خفي و رعونة نفس و إظهار مرتبة دنية يتخيل مظهرها أنها زلفى و إنها رتبة أسنى و أعلى فلما ذكر بنفسه ذكر أنه إليه يرجع الأمر كله لنعلم أن المرجع إليه فلا نقوم في شيء نحتاج فيه إلى الاعتذار عنه أو نستحي منه عند المرجع إليه و العبد الصحيح العبودية مع الموافقة لا يكون له إدلال فكيف مع المخالفة و لما ذكر بنفسه أحال عباده على أنفسهم و قال لهم إن عرفتم نفوسكم عرفتموني فمن الأدب أن نرجع بالنظر إلى نفسي فإن نظرت فيه و تركت نفسي فما تأدبت و إذا لم أكن أديبا لم نكن من أهل البساط فحرمت المشاهدة فحرمت العلم الذي يعطيه الشهود فإني إن نظرت فيه حتى أعرفه فربما أعرفه المعرفة التي تليق بهذا النظر و ليست المطلوبة فإن الذي طلب سبحانه أن نعرفه معرفة الارتباط به و تلك المعرفة التي عدل إليها من عدل لا تعطي الارتباط فلم تحصل الفائدة التي قصد الله بها عبده فالأديب يرجع بالنظر إلى نفسه عن أمر ربه فإذا عرف نفسه فكرا أو شهودا عرف ارتباطه بربه فعرف ربه تنزيها و تشبيها معرفة عقلية شرعية إلهية تامة كاملة غير ناقصة كما شاء الحق فإنه تعالى أبان لنا في هذه الإحالة عن أحسن الطرق و العلم به فتبين لنا أنه الحق و أنه على كل شيء شهيد و قال في حق من عدل عن هذا النظر بالنظر فيه ابتداء أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ فلو رجعوا إلى ما دعاهم إليه من النظر في نفوسهم لم يكونوا في مرية من لقاء ربهم فإنهم يجدونه في عين نفوسهم ثم تمم و قال أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و أراد هنا شيئية الوجود لا شيئية الثبوت فإن الأمر هناك لا يتصف بالإحاطة فمن وقف مع ما ذكرناه كان ممن اتعظ فإن شاء أخذ بنصيبه من الورث

فوعظ و إن شاء بقي في النظر على حاله بنفسه دائما فإن النفس بحر لا ساحل له لا يتناهى النظر فيها دنيا و آخرة و هي الدليل الأقرب فكلما ازداد نظر ازداد علما بها و كلما ازداد علما بها ازداد علما بربه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الخمسون و أربعمائة في معرفة منا زلة كرمي ما وهبتك من الأموال و كرم كرمي ما وهبتك من عفوك عن الجاني عليك»

ذاك المسمى عندنا كرم الكرم   حكم الكريم بأنه لا يمنع
و لديه بالبرهان مفتاح النعم   فهو الذي يهب النعيم لذاته
ما عنده منع و لا في ذاك ذم   انظر لحمد الحمد إن حققته

قال الله تعالى معلما و منبها يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ فنبهه حتى يقول كرمك فهذا من باب كرم الكرم فما أمرك بالعفو عمن جنى عليك إلا ليعفو عنك إذا جنيت عليه في ظنك و ما جنيت إلا على نفسك و ظنك أرداك حيث ظننت إنك جنيت عليه كما قال الله تعالى وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ اعلم أن أعظم الجنايات من يهتك و هو أن ينسب إليك ما لم يكن منك و إن ظهر منك فيكون من كرم خلقك أن تصدقه فيما نسب إليك إيثارا لجنابه على نفسك و هو على خلق كريم في ذلك و قد علم منك أنك تأدبت معه فما يكون جزاؤك عنده فمثل هذا لا يبلغ كنه ما يستحقه من الإفضال عليه و الإنعام لأن الأعراض عند ذوي الهيات و المروءات أعظم في الحرمة من الدماء و الأموال و ما فعل مثل هذا في حقك إلا ليرى صبرك و تحملك مثل هذا الأذى و الجفاء فإنه يعلم أنك تعلم براءة ساحتك مما نسب إليك من المذام التي كانت منه لا منك إيجادا و حكما و أنت بريء منها إيجادا و حكما فلم تفش له سرا و لم تنازعه ففزت زائدا على ما تستحقه بدرجات الصابرين و الراضين و المؤثرين و استعذبت كل ذلك في جنبه و نبهنا تبارك و تعالى على عظيم المنزلة لمن هذه صفته بقوله فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ و أعظم العفو على الجناية العظيمة من العظيم الشأن ثم رميه بها من لم تصدر منه تنزيها له و إيثارا لنفسه قال فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ فيا ليت شعري لم كان أجره على الله و لم يقل فأجره على صبره و إيثاره كذا و كذا فتنبه إلى هذا الأمر العجاب و لا تكن من الغافلين و ألزم الحضور و الأدب مع الله قلبك إن أردت أن تكون من أهل الله و خاصته الذين جعلوا نفوسهم وقاية لله جعلنا الله ممن اتقاه بنفسه لا به فيحشر في زمرة الأدباء و في هذه الإشارة في كرم الكرم غنية و كفاية وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الخمسون و أربعمائة في معرفة منا زلة لا يقوى معنا في حضرتنا غريب و إنما المعروف لأولي القربى»

و في أموالنا و لنا القياد   أولو القربى هم الحكام فينا
و يرحل مسرعا و هو المراد   فإن جاء الغريب يقيم يوما
جمعناها فيحسدنا العباد   قريب قرابة و قريب قربى

و لا كون يزول و لا فساد　　فما أحد يدوم به شقاء

قال الله تعالى آمرا لنبيه ص قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى و ورد في الخبر في إثبات النسب بيننا و بين الله إن الله يقول يوم القيامة اليوم أضع نسبكم و أرفع نسبي أين المتقون و هم الذين جعلوا نفوسهم وقاية يحمون بها جانب الله تعالى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ أي أشدكم وقاية لأنه جاء في باب أفعل فالمدار على صحة النسب الإلهي فإذا صح النسب لم تبق غربة في حق من صح نسبه و لا يصح النسب حتى يقع التناسب في الصفة فإذا كان العبد أحدي الذات في شأنه معروفا عند الله مجهولا في العالم لا يعرف نسبه و لا ينال منصبه يسأل الله به و يلجأ إليه عند الاضطرار من غير تعين و لا تمييز و هو الذي يدعى به إذا جاءت الشدائد فيقول صاحبها اللهم بحرمة الصالحين عندك افعل لي كذا و كذا فهو المجهول المعين و لم يتولد عنه أمر يوجب تمييزه عند الأجانب من الأجانب و لم يدل عليه لأنه لا يدل عليه حتى يكون مطلوبا و الذي لا يؤبه له لا يطلب ثم إنه يكون على حالة لا يزنه فيها أحد من خلق الله إلا من له هذا المقام فإذا كان بمثل هذه الصفات صح النسب ورد في الخبر أن اليهود قالت لمحمد ص يا محمد انسب لنا ربك فنزلت قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ

فانظروا فيه تعرفوا ما هو　　نسب الله قُلْ هُوَ الله

ليس يدري ما هو إلا هو　　أحدي لذاته صمد

و هو الناظر الذي ما هو　　لم تلده العقول إذ نظرت

لا و لا واحد فقل ما هو　　واحد ما يكون عنه زكى

و كثير فليس إلا هو　　هو عين الوجود فهو حسبي

قلته لا إله إلا هو　　فانظروا الحق في تناقض ما

فحضرته لا تحمل الغرباء لأنه وصل للرحم فهو أرحم الرحماء فقرابته مجهولة و الجاهلون بها منهم أنزلهم جهلهم منزلة الغرباء الذين لا نسب بينهم و بينه و هو سبحانه ما يعامل عبده إلا بما جاءه به لا يزيده عليه و هو قوله وَ ذلِكُمْ ظَنُّكُمُ فهو لهم في اعتقادهم جار جنب فهم قطعوا رحمهم فقطعهم الله فما أشرف العلم بالأنساب و لهذا كانت العرب تثابر على علم الأنساب حتى قال الله ما قلناه من إثبات النسب بالطريقين طريق أرفع نسبي و طريق الرحم شجنة من الرحمن و هو قوله الولد سر أبيهفكم بين رجل يأتي يوم القيامة عارفا بنسبه مدلا بقرابته متوسلا إلى الرحمن برحمه و بين من يأتي جاهلا بهذا كله يعتقد الأجنبية و بعد المناسبة و إن علم بالخبر فيكون عنده بمنزلة كون أبيه آدم منه و هو ابن آدم فيجعل هذا مثل ذلك فإن هذا النسب لا يعطي سعادة عنده و هو غالط بل يعطي و يعطي و لقد رأيت ذلك ذوقا بمكة في عمرة اعتمرتها عن أبينا آدم ع فظهر لي ذلك في مبشرة رآها بعض الناس لنا و للجماعة التي أمرتهم في تلك الليلة بالاعتمار معي عن أبينا آدم رأى فيها من لتقريب الإلهي و فتح أبواب السماء و عروج تلك الجماعة و تلقاهم الملأ الأعلى بالتأهيل و السهل و الترحيب إلى أن بهت و ذهل مما رأى فإن

رحم آدم منا رحم مقطوعة عند أكثر الناس من أهل الله فكيف حال العامة في ذلك و لقد وصلتها بحمد الله و وصلت بسببي و جرى فيها على سنني وكان عن توفيق إلهي لم أر لأحد في ذلك قد ما أمشي على أثره فيها فحمدت الله على الإنعام و ما اهتديت إلى ذلك إلا بالنسب الإلهي فإنه أبعد مناسبة و قد نفع و ذكر و ما تفطن الناس لقول الله تعالى في غير موضع يا بَنِي آدَمَ يا بَنِي آدَمَ يذكر و لا أحد يتنبه لهذه الأبوة و البنوة وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الْأَلْبابِ جعلنا لله و إياكم ممن بر أباه و ما أشبه هذا الذكرى من الله في بنى آدم بقوله يا أُخْتَ هارُونَ و أين زمان ها رون منها فاعلم ذلك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة من أقبلت عليه بظاهري لا يسعد أبدا و من أقبلت عليه بباطني لا يشقى أبدا و بالعكس»

أمر تحققته ما الحكم للسبب ... الحكم للقدر المعلوم و النسب
من العمومة فالأحكام للنسب ... هذا بلال و خباب و أين هما
في غير جهد و لا كد و لا نصب ... فالله يجعلنا من ذا على حذر
ما كنت من يتقي مصارع النوب ... لو لا الشريعة عند العارفين بها
و ما هما بمحل الخسر و العطب ... يا رحمة سبقت يا رحمة شملت

قال الله تعالى هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ تنبيها أنه الوجود كله فإن هذا تقسيمه فليس إلا هو و النعيم نعيمان نفسي و هو الباطن و حسي و هو الظاهر في النفس الحساسة و العذاب عذابان نفسي و هو الباطن و حسي و هو الظاهر و الحال حالان حال سابق و هو الأول و حال لاحق و هو الآخر و ما ثم إلا رحمة سابقة و غضب لاحق ثم رحمة شاملة سارية في الكل فهي لاحقة سابقة فيغضب و يرضى فيعذب رحمة لغضبه ليزول الغضب فانظر ما أحكم تعذيبه كيف أدرج الرحمة فيه لازالة الغضب حتى يزول حكمه فتشمل الرحمة بنفسها فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذابِ فبرحمته عذب من عذب لأنه لو لا العذاب لتسرمد يكون الغضب و هو أشد على المغضوب من العذاب الواقع به لمن عقل ما أقول و إذا كان الأمر كما قررناه و هو كما ذكرناه فقد في الإقبال الظاهر سعادة ليسعد به المقبول عليه و قد يكون في الإقبال الظاهر شقاوة ليشقى به المقبول عليه و قد يكون في الإقبال الباطن مثل ما ذكرناه في الإقبال الظاهر و المقبول عليه غيب و شهادة و روح و صورة و حيوان و ناطق فلا بد من النفس و الحس أن ينفعلا لهذه الإقبالات و أحكام النسب بها يظهر حكم الحاكم في المحكوم عليه و قد ذكر الله أن الهوية العائدة عليه هي عين هذا الذي ذكرناه فلم يقع تصرف منه إلا فيه نبه على ذلك بقاتل نفسه و أن الجنة محرمة عليه فلا حجاب عليه فإنه ظاهر له لا يتمكن أن يستتر عنه هو و جعل ذلك مبادرة له لأنه ذكر أمرين من أول و آخر فقد يبادر الآخر فيكون له حكم الأولية و يكون للأول بالنسبة إلى هذا المبادر حكم الآخرية و لهذا جاءت العبارة التي ذكرها الترجمان عن الله بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة فلا يستره

شيء بعد هذا الكشف لأنه يعلم من سبق و من لحق كما يعلم من خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ فلا يظهر الْخَبِيرُ لتحصيله العلم ذوقا الذي كسبه المعلوم فإن المعلوم متقدم بالرتبة على العلم و إن تساوقا في الذهن من كون المعلوم معلوما لا من كونه وجودا أو عدما فإنه المعطي العالم العلم فلا بد في الكون من سعادة و شقاء و لو ببرد الهواء و حره فما زاد فما يلائم المزاج كان سعادة و ما لا يلائمه كان شقاء ثم تمشي بهذا الحكم على الغرض و الكمال و الشريعة و تحكم في ذلك كله حكمك بالملاءمة و عدمها فافهم فإني أريد الاختصار و التنبيه وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة من تحرك عند سماع كلامي فقد سمع يريد الوجد الذي يعطي الوجود»

لو لا سماع كلام الله ما برزت ⁂ أعياننا وسعت منه على قدم
إلى الوجود و لولا السمع ما رجعت ⁂ على مدارجها لحالة العدم
فنحن في برزخ و الحق يشهدنا ⁂ بين الحدوث و بين الحكم بالقدم
ليس التكون ممن لا كلام له ⁂ إن التكون عن قصد و عن كلم

قال الله تعالى إِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ إِذٰا أَرَدْنٰاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ يعني حكم مما توجه عليه أمر كن كان ما كان فيعدم به و يوجد فليس متعلقة إلا الأثر و لهذا سماه في اللسان العربي كلاما مشتقا من الكلم و هو الجرح و هو أثر في المجروح فلما وجد الأثر سمي ما وجد عنه كلاما كان ما كان فافهم و الحركة انتقال من حال إلى حال أي من حال يكون عليه السامع إلى حال يعطيه سماعه عند كلام المتكلم و هو فيه بحسب فهمه فهو مجبور على الحركة و لهذا لا تسلم الصوفية حركة الوجد الذي يبقى معه الإحساس بمن في المجلس حتى تسلم له حركته بالله فمهما أحس تعين عليه أن يجلس إلا أن يعرف الحاضرين بأنه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك و لكن لا تحمد هذه الحالة عندهم على كل حال لأنهم يكرهون الحركة في الأصل بنفس المتحرك و يحمدونها بالمحرك فأصل السماع الذي يقول به أهل الطريق شريف و هو يسرى في كل شيء فلا يختص به حال إيقاع و غناء على طريق خاص طبيعي فإن الوزن الطبيعي إنما يؤثر فيما تركب من الطبيعة على مزاج خاص لا يشترط في حركة الطبع الفهم بخلاف حركة النفوس العقلية و إن كان للطبيعة فيها أثر في أصل وجودها و لكن ليست لها في النفوس العاقلة تلك القوة إلا بالفهم فلا يحركه إلا الفهم ألا ترى الكائنات ما ظهرت و لا تكونت إلا بالفهم لا بعدم الفهم لأنها فهمت معنى كُنْ فتكونت و لهذا قال فَيَكُونُ يعني ذلك الشيء لأنه فهم عند السماع ما أراد بقوله كن فبادر لفهمه دون غير التكوين من الحالات فما سميت هذه الحركة بالوجد إلا لحصول الوجود عندها أعني وجود الحكم سواء كان بعين أو بلا عين فإنه عين في نفسه هذا الكائن ثم إن الحق أعطى هذه الصفة لعباده و جعل نفسه سامعا و أقام نفسه محلا لتكوين ما يطلبه منه العبد في سؤاله سماه إجابة و جعل ذلك بلفظ الأمر كما جعل كُنْ ليريه أن الحقائق لا نفسها تكون أحكامها ما هي بجعل جاعل لمن عقل و علم الأمور على ما هي عليه فإن العلم بهذا النوع من العلوم المختزنة عن أكثر الناس بل يحرم كشفها لهم من العارف بها لما يؤدي إلى إنكار الحق مع علمهم بأن المعاني توجب أحكامها لمن قامت به عقلا يريدون أن ذلك لذاتها و لهذا تمكن المتكلم بالرد

على من يقول بالإرادة الحادثة لا في محل و أما كلام الله من الشجرة لموسى فهو عند بعضهم دليل على أن الكلام ينسب لمن خلقه كما تقول الطائفة الأخرى إن السمع تعلق بالمناسب و هو الخطاب من الشجرة و ليس إلا كلام الله كما قال فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و معلوم بما ذا تعلق السمع منه و هؤلاء القائلون بأن المتكلم من قامت به صفة الكلام و أهل الكشف الذين يرون أن الوجود لله بكل صورة جعلوا الشجرة هي صورة المتكلم كما كان الحق لسان العبد و سمعه و بصره بهويته لا بصفته كما يظهر في صورة تنكر و تتحول إلى صورة تعرف و هو هو لا غيره إذ لا غير فما تكلم من الشجرة إلا الحق فالحق صورة شجرة و ما سمع من موسى إلا الحق فالحق صورة موسى من حيث هو سامع كما هو الشجرة من حيث هو متكلم و الشجرة شجرة و موسى موسى لا حلول لأن الشيء لا يحل في ذاته فإن الحلول يعطي ذاتين و هنا إنما هو حكمان

و العقل يعلم ما الإحساس يرمى به فالحس يشهد ما الأفكار تنكره
و انظر إلى حكمه في حسن ترتيبه فانظر إليه ترى في صوره عجبا
و ليس يدريه من يدريه إلا به تراه عين الذي يراه من كثب

فانظر إلى هذه النكت الإلهية في هذه المنازلات ما أخصرها و ما أعطاها للأمور على ما هي عليه في إيجاز وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة التكليف المطلق»

من عهد والدنا المنعوت بالناسي حكم التكاليف بين الله و الناس
فإن دعانا أتيناه على الرأس فالأمر مني له كالأمر منه لنا

قال الله تعالى وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي يقول للرسول أن يقول فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي يعني إذا دعوتهم إلى القيام بما شرعته لهم و كل ذلك شرع فقد أدخل نفسه فيما كلف به عباده و جعل الأمر بأيديهم في ذلك فهو إعلام على الحقيقة بما هو الأمر عليه ما هو بالجعل فإنه يتعالى عن الجعل فيما ينسبه لهويته إلا إذا ظهر بصورة خلق فيقضي ما يعطيه البصر ان أحكام ما وقعت عليه العين مجعولة و تعطي الحقيقة أن الأمر ما هو كما تدركه العين فلا تزال المنازعة بين القلب و العين في المعارف الإلهية في الخصوص كما تعرفه العامة في العموم في المحبة و لنا في ذلك في التشبيب على ما وقع في العموم

هذا الذي بفؤادي من هوى شرف يسوق روحي بلا شك إلى التلف
فقال عينك قادتني إلى التلف أقول للقلب قد أورثتني سقما
فإن أمت فيه ما للحب من خلف لو لم تر العين ما أمسيت حلف

من الضنا و الجوى و الدمع و الأسف　　لذاك قسمت ما عندي على بدني

فالتكليف المطلق يطلق و يراد به أمران الأمر الواحد أن يعم الإنسان أجمعه مثل قوله يصبح على كل سلامي منكم صدقة و هو قوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ بنون الجمع لعموم التكليف و إطلاقه في ذات المكلف و من هذا الباب أعني إطلاق التكليف ما اجتمعت فيه جميع الشرائع و لم تنفرد به شريعة دون أخرى و هو قوله أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لاٰ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ فعم و أطلق و الأمر الآخر من الإطلاق إدخاله نفسه معنا تعريفا أنه مأمور و آمر و ناه و منهي ربنا لاٰ تُؤٰاخِذْنٰا رَبَّنٰا وَ لاٰ تَحْمِلْ عَلَيْنٰا رَبَّنٰا وَ لاٰ تُحَمِّلْنٰا ما لا طاقَةَ لَنا به و الأمر وَ اغْفِرْ لَنٰا وَ ارْحَمْنٰا فَانْصُرْنٰا هذا منا عن أمر مشروع و الجواب منه في الصحيح قد فعلت قد فعلت و الأمر منه أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ (وَ) آتُوا الزَّكٰاةَ (وَ) أَقْرِضُوا اللّٰهَ الجواب منا على قسمين بخلاف ما كان منه فجواب موافق لجوابه و هو قولنا سَمِعْنٰا وَ أَطَعْنٰا و جواب غير موافق من جميع الجهات لإجابته و هو قوله سَمِعْنٰا وَ عَصَيْنٰا و هذا كلام من أبعده الله عن سعادته و قرب إليه بهذه الإجابة شقاوته فقد أبنت لك عن إطلاق التكليف و هذا من إنصاف الحق عباده ليطلب منهم النصف ثم إنه في موطن آخر جعل لقوم آخرين ممن كتب عليهم شقاء مستندا إلهيا لم يقم فيه مقام الإنصاف فأعمى عليهم فعموا فنسب إليهم ما هو إليه و أشقاهم به ثم قال فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ لأن النزاع وقع بينه و بينه لأنه في نفس الأمر ما ثم إلا حكمان ما ثم ذاتان فافهم و عندنا ما كانت الحجة البالغة لله على عباده إلا من كون العلم تابعا للمعلوم ما هو حاكم على المعلوم فإن قال المعلوم شيئا كان لله الحجة البالغة عليه بأن يقول له ما علمت هذا منك إلا بكونك عليه في حال عدمك و ما أبرزتك في الوجود إلا على قدر ما أعطيتني من ذاتك بقبولك فيعرف العبد أنه الحق فتندحض حجة الخلق في موقف العرفان الإلهي الخاص و أما في العموم فالأمر فيه قريب و الحكم يختلف بحسب فهم الرجال فيه فما كل أحد تقام عليه حجة تقام على الآخر فلكل صنف حجة عند الله بها يظهر على عباده وَ هُوَ الْقٰاهِرُ بالحجة فَوْقَ عِبٰادِهِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله عليه فلو لا إطلاق التكليف ما كان خصما و لا عمل لنا معه مجلس حكم و لا ناظرناه فافهم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة إدراك السبحات الوجهية»

سبحات الوجه تدركنا　　و هي بالإدراك تعدمنا

غيرة منها عليه فهل　　أحد منكم يفهمنا

كيف كان الأمر فيه فلم　　تلق موجودا يعرفنا

قال الله تعالى اللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و قال ص في الحجب الإلهية المرسلة بينه و بين خلقه إنه تعالى لو رفعها لأحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه و قيل له ص أ رأيت ربك فقال نوراني أراه فهذه الحجب إن كانت مخلوقة فكيف تبقي للسبحات فإنها غير محجوبة عنها لكن اعلم أنه سر أخفاه الله عن عباده سمي ذلك الإخفاء حجبا نورية و ظلامية فالنور منها ما حجب به من المعارف الفكرية به و

الظلمة منها ما حجب به من الأمور الطبيعية المعتادة فلو رفع هذه الحجب عن بصائر عباده لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه و هذا الإحراق إنما هو اندراج نور أدنى هم فيه بل هم هو في نور أعلى كاندراج أنوار الكواكب في نور الشمس كما يقال في الكوكب إذا كان تحت الشعاع مع وجود النور في ذات الكوكب أنه محترق فلا يراد به العدم بل تبدل الحال على العين الواجدة في نظر الناظر فانتقل الاسم عليه و عنه بانتقال الحكم كان الحطب حطبا فلما احترق سمي فحما و الجوهر واحد و معلوم أن الكواكب على ضوئها في نفسها و لكن لا نراها لضعف الإدراك فلو رفعها في حق العلماء لرأوا نفوسهم عينه و كان الأمر واحدا لكنه رفعها عنهم فرأوا ذواتهم ذاتا واحدة فقالوا ما حكي عنهم من أنا الله و سبحاني لكن العامة لم ترفع عنهم فلم يشهدوا الأمر على ما هو عليه فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ و أسر العارفون النجوى أدبا مع الله فإنهم الأدباء قال ص لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهمفما قال الشارع للعارفين شيئا أشد تكليفا من هذا الحكم لأنه أمرهم بالمراقبة لكل شخص شخص فهم يراقبون العالم من أجل هذا الحديث لأنهم أهل حكمة فمن رأوا فيه الأهلية أعطوه لئلا يتصفوا بالظلم في حقه و إن لم يروا فيه أهلية لم يعطوه لئلايتصفوا بالظلم في حقها فلا يزالون مراقبين للعالم دائما أبدا و هذا حظهم من قوله وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً فمن راقب بعين الله لم يشغله شأن عن شأن فهو يتصرف في كل شيء بذاته لأنه إلهي المشهد و القبول من المتصرف فيه فالمتصرف مستريح من هذا الوجه و من راقب بعين نفسه من خلف حجاب ذاته فهو في غاية من الجهد و التعب فلا يزال في نصب ما دامت هذه صفته

فبالنور تدرك أنواره	و بالنور يدرك ما يدرك
فمن يكن بنعت حق له	يملك بالذات و لا يملك

و هذا القدر من الإشارة في هذه المنازلة كاف لمن عقل وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الخمسون و أربعمائة في معرفة منازلة وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ»

ثلاثة كلهم مصطفى	ذو الظلم و السابق و المقتصد
ورثهم كتابه فاعتلوا	بالعلم في ذاك عن المعتقد
واختارهم لنفسه فاعتلت	همتهم عن كل أمر شهد

قال الله تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ أي كل ذلك بأمر الله فالظالم لنفسه لعلمه بقدرها عند الله فهو يظلم لها لا يظلمها فيعطي كل ذي حق حقه إلا الحق فإنه لا يعطيه كل حقه بل يعطيه من حقه تعالى ما يسمى به أديبا و ما لا يسمى به أديبا يظلمه فيه من أجل نفسه حتى يلحق برتبة الأنبياء فمثل هذا الظلم من الفضل الإلهي على عبده فمن كان مشهده هذا سمي ظالما لنفسه مع أنه مصطفى و ما أوقفه على ذلك إلا علمه بالكتاب فهو يحكم به كما قال

الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ لسليمان ع أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فلو لا الكتاب ما علم آصف بن برخيا ذلك و أما المقتصد فهو الذي اقتصد في كل موطن على ما يقتضيه حكم الموطن فهو بحكم الموطن لا بحكم نفسه و هو أهل الله الأخفياء الأبرياء فمشهد الظالم ما يجب للحق فلا ينسبه إليه و مشهد المقتصد المواطن و ما تستحق فالظالم يدخل في حكم المقتصد و لهذا كان المقتصد وسطا لأنه على حقيقة ليست للطرفين و فيه من حكم الطرفين ما يحتاج إليه أو يندرج فيه و أما السابق بالخيرات فهو الذي يتهيأ لحكم المواطن قبل قدومها عليه و تجتمع هذه الأحوال في الشخص الواحد فيكون ظالما مقتصدا سابقا بالخيرات وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الستون و أربعمائة في معرفة منازلة الإسلام و الايمان و الإحسان الأول و الثاني»

علمت أني هممت ... و لكن ما فهمت
مراد الله فيه ... لكوني ما شهدت
فإسلام تبدي ... بقولي قد سلمت
به من كل سوء ... به أيضا نعمت
و إيمان خفي ... و لكن ما كتمت
و إحسان أراه ... بتشبيه فقلت
تعالى عن شهودي ... لأني قد جهلت
بأن الحق فيه ... وحقا ما قصدت
وعلمي شاهد لي ... بأني قد شهدت

قال الله تعالى قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا و قال هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ و ورد في الخبر الصحيح الفرق بين الايمان و الإسلام و الإحسان فالإسلام عمل و الايمان تصديق و الإحسان رؤية أو كالرؤية فالإسلام انقياد و الايمان اعتقاد و الإحسان إشهاد فمن جمع هذه النعوت و ظهرت عليه أحكامها عم تجلى الحق له في كل صورة فلا ينكره حيث تجلى و لا يظهره في الموطن الذي يجب أن يخفى فيه فيساعد الحق لعلمه بإرادته لعلمه بالمواطن و ما يستحقه فما أشرف هذه المنزلة لمن تدلى عليها من شرف فهو المؤمن للمؤمن و المحسن للمحسن و هو المسلم للسلام فإن الحق إذا فعل ما يريده منه العبد فقد انقاد له فيقول العبد رب اغفر لي فيغفر له لأنه صادق فيقوله هل من مستغفر فاغفر لهفلقد فات الناس خير كثير لجهلهم و ما توغلوا فيه من تنزيه الحق حتى أكذبوه و لهذا قال يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ و ليس الحق إلا ما قاله عن نفسه فلو لا ما علم إن العالم بعلمه ما قال لهم وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ فحاجة الحق في نفسه إلى ظهوره أعظم من حاجة المظهر له إلى إظهاره فإن الحق قد حجر علينا إظهار الحق في مواطن كالغيبة و النميمة و كتم

الأسرار و كلها حق ممنوع الظهور في الكون القولي لا في عينه من حيث هو صفة لمن قام به فهو الظاهر الخفي فالإحسان من الحق رؤية و من العبد كأنه و الايمان من الحق و الخلق على حقيقته وكذلك الإسلام عند العارفين به غير أنه لا يقال في الحق إنه مسلم فما كل ما يدري يقال و لا كل ما يشهد يذاع صدور الأحرار قبور الأسرار وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الستون و أربعمائة في معرفة منازلة من أسدلت عليه حجاب كنفي فهو من ضنائني لا يعرف و لا يعرف»

أن الضنائن عند الله في ستر ... مخدرون فلا تدري ولا تدري
يغار منهم عليهم مثل ما حجبت ... بين الليالي صونا ليلة القدر
فلا يراها سوى من لا يقيده ... نعت يجرده من عالم الأمر
تبدو لناظره من خلف زافره ... من أول الليل حتى مطلع الفجر

قال الله تعالى حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ و هم العارفون إشارة لا تفسيرا المجهولون في العالم فلا يظهر منهم و لا عليهم ما يعرفون به و هم لا يشهدون في الكون إلا الله لا يعرفون ما العالم لأنهم لا يشهدونه عالما

فالحق سار و لكن ليس يدريه ... إلا الذي قال فيه إنه فيه

لكل مليك حرم و حرم و هؤلاء العارفون العلماء به حرمه و حرمه الذي هم فيه العوائد العامة فما سترهم إلا بما هو مشهود للعام و الخاص فالعالم يشهد الحق اعتقادا و عينا و يشهد العالم حسا و هؤلاء يشهدون الحق عينا و يشهدون العالم إيمانا لكون الحق أخبرهم أن ثم عالما فيؤمنون به و لا يرونه كما أن العالم يؤمنون بالله و لا يرونه فهم شهداء حق بحق و هم في مَقْعَدِ صِدْقٍ فيما تحققوا به فإن قيل لهم فقولكم بالشاهد و المشهود فرق فيقولون عند ذلك أ ليس تشهد ذاتك بذاتك فأنت غيرك و كلامهم في هذا كله مع الحق شهودا و مع الايمان بأن ثم عالما أدبا و إيمانا ف هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا و العلماء صدقا و هذا بعض ما وقفنا عليه من منازلات الحق فإنها أكثر من أن يحصرها عد أو يضبطها حد وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ و ها نحن بحمد الله و معونته و الهامة نشرع في الأقطاب و الهجيرات التي كانوا عليها أبتغي بذلك الإعلام بأنه من عمل على ذلك وجد ما وجدوا و شهد ما شهدوا إذ بنيت كتابي هذا بل بناه الله لا أنا على إفادة الخلق فكله فتح من الله تعالى و سلكت فيه طريق الاختصار أيضا عن سؤال من العبد ربه في ذلك لأنه لا يقتضي حالنا إلا إبلاغ ما أمر الحق بإبلاغه وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَيَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر التاسع و العشرون بانتهاء الباب الأحد و الستين و أربعمائة من هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«الفصل السادس في هجيرات الأقطاب و مقاماتهم المحمدية»

«الباب الثاني و الستون و أربعمائة في الأقطاب المحمديين و منازلهم»

اليثربي الذي لا نعت يضبطه و لا مقام و لا حال يعينه
مرخى العنان على الإطلاق نشأته قامت فلا أحد منا يبينه
من قال إن له نعتا فليس له علم به عند ما يبدو مكونه
فعلمنا إن علمناه يشير به و جهلنا هو في علمي يزينه

قال الله تعالى عن الملائكة و الملإ الأعلى وَ ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ و قال يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فأشبه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ أي تشبه هذه الآية الآية الأخرى و أصل باب الأقطا بقوله ص كلكم راعحتى الإنسان على جوارحه و جميع قواه من بادية و هي الظاهرة و حاضرة و هي الباطنة فاعلم أن الأمور كثيرة مختلفة في العالم فكل شيء يدور عليه أمر ما من الأمور فذلك الشيء قطب ذلك الأمر و ما من شيء إلا و هو مركب من روح و صورة فلا بد أن يكون لكل قطب روح و صورة فروحه تدور عليه أرواح ذلك الأمر الذي هذا قطبه و صورة ذلك القطب تدور عليه صورة ذلك الأمر الذي هذا قطبه يسمى الوجه الواحد من القطب جنوبيا و هو الروح و الآخر شماليا و هو الصورة فمن جملة أصناف العالم الأناسي و هم المقصودون من وجود العالم بالقصد الثاني لا بالقصد الأول و أما القصد الأول فالقصد بوجود العالم عبادة الله أعني عبادة العرفان الحادث لكمال الوجود غير أنه في كل صنف من أصناف العالم تام غير كامل و ما كمل إلا بهذه النشأة الإنسانية الكاملة و ما عدا الكاملة فهو الإنسان الحيوان المسمى بالحد حيوانا ناطقا و الأقطاب من الكملثم إن الله جعل العالم الجسمي و الجسماني في منزلين منزل يسمى الدنيا و منزل يسمى الآخرة و جعل سكانهما الإنس و الجان و المعتبر فيهما الإنس و المعتبر من الإنس الكمل لا غير و هم الذين ذكرهم الله لا يزيدون عليه في نفوسهم هذا ذكرهم في نفوسهم و في خلواتهم باللسان و أما في العموم فلا إله إلا الله ثم بعدها أنواع الذكر من سبحان الله المقيد و المطلق و الحمد لله كذلك و الله أكبر كذلك و لا حول و لا قوة إلا بالله كذلك فعمر بهذا الصنف المقصود من العالم أولا الدار الدنيا من الدارين و جعل سكناهم فيها بآجال مسماة ينتهون إليها ثم ينتقلون عند فراغ مدتهم إلى الدار الآخرة و نقلهم على ضربين منهم من ينتقل بموت و هو مفارقة الحياة الدنيا فيحيي بحياة الآخرة و منهم من ينتقل بالحياة الدنيا من غير موت و هو الشهيد في سبيل الله خاصة و ما يقال فيه بأنه أفضل من الميت إلا أنه أفضل من بعض الموتى ثم إن الله جعل هذا الصنف الإنساني في الدنيا أمما كثيرين ثم بعث في كل أمة رسولا ليعلمها ما هو الأمر عليه الذي خلقوا له و يعلمهم بما للحق عليهم أن يفعلوه و ما لهم إذا فعلوا ذلك من الخير عند الله في الدار الآخرة و ما ذا عليهم إذا لم يفعلوا من العقوبة عند الله في الدار الدنيا إذا علم ولاة أمرهم ذلك و في الآخرة ثم جعل الفضل فيهم فمنهم الفاضل و الأفضل من الأمم و من الرسل و ختم الأمم بأمة محمد ص و جعلهم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و ختم بمحمد ص جميع الرسل ع و ختم بشرعه جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع و لا شريعة بعد شريعته تنزل من عند الله إلا ما قرره شرعه من اجتهاد علماء أمته في استنباط الأحكام من كتابه و سنة نبيه و أعني بالسنة الحديث لا من قياس و أعني بالقياس هنا قياس فرع على فرع لا قياس فرع على أصل فإن قياس الفرع على الأصل هو المستنبط الذي

ثبت بالاجتهاد و جعله الفقهاء أصلا رابعا كما جعلوا الإجماع أصلا ثالثا و هو إجماع الصدر الأول و قالوا إنهم ما أجمعوا على أمر إلا و لا بد أن يعرفوا فيه نصا يرجعون فيه إليه إلا أنه ما وصل إلينا مع قطعنا به فإنه من المحال أن يجتمعوا على حكم لا يكون لهم فيه نص لأن نظرهم و فطرهم مختلفة فلا بد من الاختلاف و قد أجمعوا على أمر فذلك الحكم مقطوع به عندنا أنهم فيه على نص من الرسول ص و لا حكم بإجماع بعد إجماع الصدر الأول فلما كان الأمر على ما قررناه في هذا الباب فاشتغلنا بذكر الأقطاب المحمديين لكون محمد ص سيد الناس يوم القيامة و هو و أمته الآخرون الأولون فاعتبرنا من الرسل محمدا ص و من الأمم أمته ص و اعلم أن الأقطاب المحمديين على نوعين أقطاب بعد بعثته و أقطاب قبل بعثته فالأقطاب الذين كانوا قبل بعثته هم الرسل و هم ثلاثمائة و ثلاثة عشر رسولا و أما الأقطاب من أمته الذين كانوا بعد بعثته إلى يوم القيامة فهم اثنا عشر قطبا و الختمان خارجان عن هؤلاء الأقطاب فهم من المفردين و سيأتي في آخر الكتاب ذكر الختم و يأتي بعد هذا الباب ذكر الاثني عشر قطبا مستوفى إن شاء الله تعالى فأما منازل الأقطاب المحمديين الذين هم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين فلا سبيل لنا إلى الكلام على منازلهم فإن كلامنا عن ذوق و لا ذوق لنا في مقامات الرسل ع و إنما أذواقنا في الوراثة خاصة فلا يتكلم في الرسل إلا رسول و لا في الأنبياء إلا نبي أو رسول و لا في الوارثين إلا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الأدب الإلهي فلا تعرف مراتب الرسل إلا من الختم العام الذي يختم الله به الولاية العامة في آخر الزمان و هو عيسى بن مريم روح الله فإن سئل عن ذلك فهو يترجم عنهم و عن تفاضلهم فإنه رسول منهم و أما نحن فلا سبيل إلى ذلك فكلامنا في أقطاب الأمم الذين هم ورثة أنبيائهم و إرسالهم و في أقطاب هذه الأمة المحمدية المتأخرة المنعوتة بالخيرية على جميع الأمم السالفة مؤمنيهم و كافريهم فكافرهم شر من كافري الأمم و مؤمنهم خير من مؤمني الأمم فلهم التقدم كما ورد في الخبر في قريش أنهم المقدمون على جميع القبائل في الخير و الشر و جعل الإمامة فيهم سواء عدلوا أم جاروا فإن عدلوا فلرعيتهم و لهم و إن جاروا فلرعيتهم و عليهم يعني ما فرطوا فيه من حقوق الله و حقوق من استرعاهم الله عليهم فأقطاب هذه الأمة المختارة مقدمون على الأقطاب المتقدمين في الأمم السالفة أعني الأقطاب الوارثين المتبعين آثار رسلهم ثم نرجع و نقول إن أقطاب هذه الأمة المحمدية على أقسام مختلفة و ما أعني بالأقطاب الذين لا يكون في كل عصر منهم إلا واحد إنما نذكر ذلك في الاثني عشر قطبا في الباب الذي يلي هذا الباب و إنما أذكر في الأقطاب المحمديين كل من دار عليه أمر جماعة من الناس في إقليم أو جهة كالإبدال في الأقاليم السبعة لكل إقليم بدل هو قطب ذلك الإقليم و كالأوتاد الأربعة لهم أربع جهات يحفظها الله بهم من شرق و غرب و جنوب و شمال لكل جهة وتد و كأقطاب القرى فلا بد في كل قرية من ولي لله تعالى به يحفظ الله تلك القرية سواء كانت تلك القرية كافرة أو مؤمنة فذلك الولي قطبها و كذلك أصحاب المقامات فلا بد للزهاد من قطب يكون المدار عليه في الزهد في أهل زمانه و كذلك في التوكل و المحبة و المعرفة و سائر المقامات و الأحوال لا بد في كل صنف صنف من أربابها من قطب يدور عليه ذلك المقام و لقد أطلعني الله تعالى على قطب المتوكلين فرأيت التوكل يدور عليه كأنه الرحى حين تدور على قطبها و هو عبد الله بن الأستاذ الموروري من مدينة مورور ببلاد الأندلس كان قطب التوكل في زمانه عاينته و

صحبته بفضل الله و كشفه لي و لما اجتمعت به عرفته بذلك فتبسم و شكر الله تعالى و كذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بمدينة فاس أطلعني الله عليه في واقعة و عرفني به فاجتمعنا يوما ببستان بن حيون بمدينة فاس و هو في الجماعة لا يؤبه له فحضر في الجماعة و كان غريبا من أهل بجاية أشل اليد و كان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله معتبرون في طريق الله منهم أبو العباس الحصار و أمثاله و كانت تلك الجماعة بأسرها إذا حضروا يتأدبون معنا فلا يكون المجلس إلا لنا و لا يتكلم أحد في علم الطريق فيهم غيري و إن تكلموا فيما بينهم رجعوا فيها إلي فوضع ذكر الأقطاب و هو في الجماعة فقلت لهم يا إخواني إني أذكر لكم في قطب زمانكم عجبا فالتفت إلى ذلك الرجل الذي أراني الله في منامي أنه قطب الوقت و كان يختلف إلينا كثيرا و يحبنا فقال لي قل ما أطلعك الله عليه و لا تسم الشخص الذي عين لك في الواقعة و تبسم و قال الحمد لله فأخذت أذكر للجماعة ما أطلعني الله عليه من أمر ذلك الرجل فتعجب السامعون و ما سميته و لا عينته و بقينا في أطيب مجلس مع أكرم إخوان إلى العصر و لا ذكرت للرجل أنه هو فلما انفضت الجماعة جاء ذلك القطب و قال جزاك الله خيرا ما أحسن ما فعلت حيث لم تسم الشخص الذي أطلعك الله عليه و السلام عليك و رحمة الله فكان سلام وداع و لا علم لي بذلك فما رأيته بعد ذلك في المدينة إلى الآن فالأقطاب المحمديون هم الذين ورثوا محمدا ص فيما اختص به من الشرائع و الأحوال مما لم يكن في شرع تقدمه و لا في رسول تقدمه فإن كان في شرع تقدم شرعه و هو من شرعه أو في رسول قبله و هو فيه ص فذلك الرجل وارث ذلك الرسول المخصوص و لكن من محمد ص فلا ينسب إلا إلى ذلك الرسول و إن كان في هذه الأمة فيقال فيه موسوي إن كان من موسى أو عيسوي أو إبراهيمي أو ما كان من رسول أو نبي و لا ينسب إلى محمد ص إلا من كان بمثابة ما قلناه مما اختص به محمد ص و ليس أعم في الاختصاص من عدم التقييد بمقام يتميز به فما يتميز المحمدي إلا بأنه لا مقام له بتعين فمقامه إن لا مقام و معنى ذلك ما نبينه و هو أن الإنسان قد تغلب عليه حالته فلا يعرف إلا بها فينسب إليها و يتعين بها و المحمدي نسبة المقامات إليه نسبة الأسماء لي الله فلا يتعين في مقام ينسب إليه بل هو في كل نفس و في كل زمان و في كل حال بصورة ما يقتضيه ذلك النفس أو الزمان أو الحال فلا يستمر تقيده فإن الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها فإنه عز و جل ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فكذلك المحمدي و هو قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ و لم يقل عقل فيقيده و لقلب ما سمي إلا بتقلبه في الأحوال و الأمور دائما مع الأنفاس فمن عباد الله من يعلم ما يتقلب فيه في كل نفس و منهم من يغفل عن ذلك فالقطب المحمدي أو المفرد هو الذي يتقلب مع الأنفاس علما كما يتقلب معها حالا كل واحد من خلق الله فما زاد هذا الرجل إلا بالعلم بما يتقلب فيه و عليه لا بالتقليب فإن التقلب أمر يسرى في العالم كله و فيه ﴿وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك على التفصيل و التعيين و إن علموه على الإجمال فمنازلهم على قدر علمهم فيما يتقلبون فيه و عليه ﴿وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ و شرح هذا الباب و بسطه يطول فرأينا الاقتصار على ما ذكرناه و أومانا إليه و توخيناه و في ذكرنا هجيرهم بتبيين مقامهم و الله يتولى التوفيق

«الباب الثالث و الستون و أربعمائة في معرفة الاثني عشر قطبا الذين يدور عليهم عالم زمانهم»

لاثنتي عشر مع العقد منتهى الأسماء في العدد
في وجود الحق من عدد فبهم حفظ الوجود و ما
و هو المنعوت بالأحد و هو المنعوت بالعدد
في التي قامت بلا عمد ظهرت أحكام نشأتهم
في أب منها و في ولد تم في الأركان حكمهمو

قال الله تعالى لنبيه ص قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ و عرفه فقال وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ يقول يميلون عن أسمائه لا بل يقول يميلون في أسمائه إلى غير الوجه الذي قصد بها سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ من ذلك فكل يجزى بما مال إليه فيما أوحينا يقول اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ و لا تمل بميلهم فإني خلقتك متبعا لا متبعا اسم مفعول لا اسم فاعل و لذلك قال له عند ذكر الأنبياء فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ لا بهم و هداهم ليس سوى شرع الله فقال شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً و ذكر من ذكر فكان الشارع لنا الله الذي شرع لهم فلو أخذ عنهم لكان تابعا فافهم فأقطاب هذه الأمة اثنا عشر قطبا عليهم مدار هذه الأمة كما إن مدار العالم الجسمي و الجسماني في الدنيا و الآخرة على اثني عشر برجا قد وكلهم الله بظهور ما يكون في الدارين من الكون و الفساد المعتاد و غير المعتاد و أما المفردون فكثيرون و الختمان منهم أي من المفردين فما هما قطبان و ليس في الأقطاب من هو على قلب محمد ص و أما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد ص و الختم منهم أعني خاتم الأولياء الخاص فأما الأقطاب الاثنا عشر فهم على قلوب الأنبياء ع فالواحد منهم على قلب و إن شئت قلت على قدم و هو أولى فإني هكذا رأيته في الكشف بإشبيلية و هو أعظم في الأدب مع الرسل و الأدب مقامنا و هو الذي أرتضيه لنفسي و لعباد الله فنقول إن الأول أعني واحدا منهم على قدم نوح ع و الثاني على قدم إبراهيم الخليل ع و الثالث على قدم موسى ع و الرابع على قدم عيسى ع و الخامس على قدم داود ع و السادس على قدم سليمان ع و السابع على قدم أيوب ع و الثامن على قدم الياس ع و التاسع على قدم لوط ع و العاشر على قدم هود ع و الحادي عشر على قدم صالح ع و الثاني عشر على قدم شعيب ع و رأيت جميع الرسل و الأنبياء كلهم مشاهدة عين و كلمت منهم هودا أخا عاد دون الجماعة و رأيت المؤمنين كلهم مشاهدة عين أيضا من كان منهم و من يكون إلى يوم القيامة أظهرهم الحق لي في صعيد واحد في زمانين مختلفين و صاحبت من الرسل و انتفعت به سوى محمد ص جماعة منهم إبراهيم الخليل قرأت عليه القرآن و عيسى تبت على يديه و موسى أعطاني علم الكشف و الإيضاح و علم تقليب الليل و النهار فلما حصل عندي زال الليل و بقي النهار في اليوم كله فلم تغرب لي شمس و لا طلعت فكان لي هذا الكشف أعلاما من الله أنه لا حظ لي في الشقاء في الآخرة و هود ع سألته عن مسألة فعرفني بها فوقعت في الوجود كما عرفني بها هذا إلى زماني هؤلاء و عاشرت من الرسل محمدا ص و إبراهيم و موسى و عيسى و هودا و داود و ما بقي فرؤية لا صحبة و اعلم أن كل قطب من هؤلاء الأقطاب له لبث في العالم أعني دعوتهم فيمن بعث إليهم آجال مخصوصة مسماة تنتهي إليها ثم تنسخ بدعوة أخرى

كما تنسخ الشرائع بالشرائع و أعنيبدعوتهم ما لهم من الحكم و التأثير في العالم فلنذكر مدد أعمارهم في حياتهم الدنيا فمنهم من كان عمره في ولايته ثلاثة و ثلاثين سنة و أربعة أشهر و منهم من كانت مدته ثلاثين سنة و ثلاثة أشهر و عشرين يوما و منهم من دامت مدته ثمانيا و عشرين سنة و ثلاثة أشهر و عشرة أيام و منهم من دامت مدته خمسا و عشرين سنة و منهم من دامت مدته اثنتين و عشرين سنة واحد عشر شهرا و عشرين يوما و منهم من دامت مدته تسع عشرة سنة و خمسة أشهر و عشرة أيام و منهم من دامت مدته ستة عشر سنة و ثمانية أشهر و منهم من دامت مدته ثلاث عشرة سنة و عشرة أشهر و عشرين يوما و منهم من دامت مدته إحدى عشرة سنة و ثلاثة أشهر و عشرة أيام و منهم من دامت مدته سنتين و تسعة أشهر و عشرة أيام و منهم من دامت مدته ثمان سنين و أربعة أشهر و منهم من دامت مدته خمس سنين و ستة أشهر و عشرين يوما و هجيرهم واحد و هو الله الله بسكون الهاء و تحقيق الهمزة ما لهم هجير سواه و ما عدا هؤلاء الأقطاب من أقطاب القرى و الجهات و الأقاليم و شيوخ الجماعات فأنواع كثيرة و هي التي أذكر منها في هذا الفصل ما تيسر و ما أذكر ذلك إلا لأجل نتيجة ذلك الذكر لمن دام عليه على الحال المعروفة في الذكر في الذّاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيراً وَ الذّاكِراتِ و لو لم نقصد ذلك لم يكن في ذكري و تعييني له في هذا الكتاب منفعة فلنذكر أولا من أحوال هؤلاء الأقطاب ما تيسر مع أحدية هجيرهم و إنما توحد لتوحد مقام القطبية فذلك هو هجير القطبية لا هجير الشخص و لكل واحد منهم هجير في أوقات خلاف هذا و قال ع لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض من يقول الله اللهيريد لا يبقى قطب يكون عليه مدار العالم و لا مفرد يحفظ الله بهمته العالم و إن لم يكن قطبا فلا تقوم الساعة إلا على أشرار الناسفأما أحد الأقطاب فهو على قدم نوح ع فله من سور القرآن سورة يس فإنه لكل قطب سورة من القرآن من هؤلاء الاثني عشر و قد يكون لمن سواهم من الأقطاب الذين ذكرناهم السورة من القرآن و الآية الواحدة من القرآن و قد يكون للواحد منهم ما يزيد على الصورة و قد يكون منهم من له القرآن كله كأبي يزيد البسطامي ما مات حتى استظهر القرآن فلنذكر ما يختص به هؤلاء الاثنا عشر من سور القرآن فهذا القطب الواحد له سورة يس و هو أكمل الأقطاب حكما جمع الله له بين الصورتين الظاهرة و الباطنة فكان خليفة في الظاهر بالسيف و في الباطن بالهمة و لا أسميه و لا أعينه فإني نهيت عن ذلك و عرفت لأي أمر منعت من تعيينه باسمه و ليس في جماعة هؤلاء الأقطاب من أوتي جوامع ما تقتضيه القطبية غير هذا كما أوتي آدم ع جميع الأسماء كما أوتي محمد ص جوامع الكلم و لو كان ثم قطب على قدم محمد ص لكان هذا القطب إلا أنه ما ثم أحد على قدم محمد ص إلا بعض الأفراد الأكابر و لا يعرف لهم عدد و هم أخفياء في الخلق أبرياء علماء بالله لا يرزءون و لا يعرفون فيرزءون مقامهم الحفظ فيما يعلمون لا يدخل عليهم في علمهم شبهة تحيرهم فيما علموه بل هم على بينة من ربهم هذا حال الأفراد فلنرجع إلى ذكر هذا القطبفنقول إن منازله عند الله على عدد آيات هذه السورة و كذلك كل قطب منازله على عدد آيات سورته و سورهم معلومة أذكرها جملة ثم أذكرها إن شاء الله تعالى فالواحد له كما قلنا سورة يس و الثاني سورة الإخلاص و الثالث سورة إذا جاء نصر الله و الرابع سورة الكافرون و الخامس سورة إذا زلزلت و السادس سورة البقرة و السابع سورة المجادلة و الثامن سورة آل عمران و التاسع سورة الكهف و هو الذي يقتله الدجال و

يد رك عيسى ع و العاشر سورة الأنعام و الحادي عشر سورة طه و هذا القطب هو نائب الحق تعالى كما كان علي بن أبي طالب نائب محمد ص في تلاوة سورة براءة على أهل مكة و قد كان بعث بها أبا بكر ثم رجع عن ذلك فقال لا يبلغ عني القرآن إلا رجل من أهل بيتي فدعا بعلي فأمره فلحق أبا بكر فلما وصل إلى مكة حج أبو بكر بالناس و بلغ علي إلى الناس سورة براءة و تلاها عليهم نيابة عن رسول الله ص و هذا مما يدلك على صحة خلافة أبي بكر الصديق و منزلة علي رضي الله عنهما و الثاني عشر سورة تبارك الملك فهذه سور الأقطاب من القرآن إلا إن صاحب سورة المجادلة التي هي قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَ تَشْتَكِي إِلَى اللهِ إنما هو سورته الواقعة و له تولع بهذه السورة و كذلك الذي له سورة الإخلاص لا غير و منازلهم كما قد ذكرنا غير إن المنازل بحسب الآيات و من ذكر و ما ذكر فيها فإن التفاضل في الآيات مشهور على الوجه الذي جاء و فضلها يرجع إلى التالي من حيث ما هي عليه الآية في التلاوة متكلم بها لا من حيث إنها كلام الله فإن ذلك لا تفاضل فيه و إنما التفاضل يكون فيما تكلم به لا في كلامه فاعلم ذلك فأما حال هذا القطب فله التأثير في العالم ظاهرا و باطنا يشيد الله به هذا الدين أظهره بالسيف و عصمه من الجور فحكم بالعدل الذي هو حكم الحق في النوازل و ربما يقع فيه من خالف حكمه من أهل المذاهب مثل الشافعية و المالكية و الحنفية و الحنابلة و من انتمى إلى قول إمام لا يوافقها في الحكم هذا القطب و هو خليفة في الظاهر فإذا حكم بخلاف ما يقتضيه أدلة هؤلاء الأئمة قال أتباعهم بتخطئته في حكمه ذلك و أثموا عند الله بلا شك وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فإنه ليس لهم أن يخطئوا مجتهدا لأن المصيب عندهم واحد لا بعينه و من هذه حاله فلا يقدم على تخطئة عالم من علماء المسلمين كما تكلم من تكلم في إمارة أسامة و أبيه زيد بن حارثة حتى قال في ذلك رسول الله ص ما قال فإذا طعن فيمن قدمه رسول الله ص و أمره و رجحوا نظرهم على نظر رسول الله ص فما ظنك بأحوالهم مع القطب و أين الشهرة من الشهرة هيهات فزنا وَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ فو الله لا يكون داعيا إلى الله إلا من دعا على بصيرة لا من دعا على ظن و حكم به لا جرم أن من هذه حاله حجر على أمة محمد ص ما وسع الله به عليهم فضيق الله عليهم أمرهم في الآخرة و شدد الله عليهم يوم القيامة المطالبة و المحاسبة لكونهم شددوا على عباد الله أن لا ينتقلوا من مذهب إلى مذهب في نازلة طلبا لرفع الحرج و اعتقدوا أن ذلك تلاعب بالدين و ما عرفوا أنهم بهذا القول قد مرقوا من الدين بل شرع الله أوسع و حكمه أجمع و أنفع وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ هذا حال هؤلاء يوم القيامة وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ و لهذا القطب مقام الكمال فلا يقيده نعت هو حكيم الوقت لا يظهر إلا بحكم الوقت و بما يقتضيه حال الزمان الإرادة بحكمه ما هو بحكم الإرادة فله السيادة و فيه عشر خصال أولها الحلم مع القدرة لأن له الفعل بالهمة فلا يغضب لنفسه أبدا و إذا انتهكت محارم الله فلا يقوم شيء لغضبه فهو يغضب لله و الثانية الأناة في الأمور التي يحمد الله الأناة فيها مع المسارعة إلى الخيرات فهو يسارع إلى الأناة و يعرف مواطنها و الثالثة الاقتصاد في الأشياء فلا يزيد على ما يطلبه الوقت شيئا فإن الميزان بيده يزن به الزمان و الحال فيأخذ من حاله لزمانه و من زمانه لحاله فيخفض و يرفع و الرابعة التدبير و هو معرفة الحكمة فيعلم المواطن فيلقاها بالأمور التي تطلبها المواطن كما فعل أبو دجانة حين أعطاه النبي ص السيف بحقه في بعض غزواته فمشى به

الخيلاء بين الصفين فقال رسول الله ص و هو ينظر إلى زهوه هذه مشية يبغضها الله و رسوله إلا في هذا الموطن و لهذا كان مشي رسول الله ص فيه سرعة كأنما ينحط في صبب فصاحب التدبير ينظر في الأمور قبل إن يبرزها في عالم الشهادة فله التصرف في عالم الغيب فلا يأخذ من المعاني إلا ما تقتضيه الحكمة ف هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ فما ينبغي أن يبديه مجملا أبداه مجملا و ما ينبغي أن يبديه مفصلا أبداه مفصلا و ما ينبغي أن يبديه محكما أبداه محكما و ما ينبغي أن يبديه متشابها أبداه متشابها و الخصلة الخامسة التفصيل و هو العلم بما يقع به الامتياز بين الأشياء مما يقع به الاشتراك فينفصل كل أمر عن مماثله و مقابله و خلافه و يأتي إلى الأسماء الإلهية القريبة التشابه كالعليم و الخبير و المحصي و المحيط و الحكيم و كلها من أسماء العلم و هي بمعنى العليم غير إن بين كل واحد و بين الآخر دقيقة و حقيقة يمتاز بها عن الباقي هكذا في كل اسم يكون بينه و بين غيره مشاركة و السادسة العدل و هو أمر يستعمل في الحكومات و القسمة و القضايا و إيصال الحقوق إلى أهلها و هو في الحقوق شبيه بما ذكر الله عن نفسه أنه أَعْطى‏ كُلَّ شَيْ‏ءٍ خَلْقَهُ و قوله في موسى قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ و قوله في ناقة صالح لَها شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ و يتعلق به علم الجزاء في الدارين و العدل بين الجناية و الحد و التعزير و السابعة الأدب و هو العلم بجوامع الخيرات كلها في كل عالم و هو العلم الذي يحضره في البساط و يمنحه المجالسة و الشهود و المكالمة و المسامرة و الحديث و الخلوة و المعاملة بما في نفس الحق في المواطن من الجلوة فهذا و أمثاله هو الأدب و الثامنة الرحمة و متعلقها منه كل مستضعف و كل جبار فيستنزله برحمته و لطفه من جبروته و كبريائه و عظمته بأيسر مئونة في لين و عطف و جنان و التاسعة الحياء فيستحيي من الكاذب عن الكاذب و يظهر له بصورة من صدقه في قوله لا يظهر له بصورة من تعامى عنه حتى يعتقد فيه الكاذب أنه قد مشى عليه حديثه و أنه جاهل بمقامه و بما جاء به فيذل في شغله ثم لا يكون في حقه عند ربه إلا واسطة خير يدعو له بالتجاوز فيما بينه و بين الله عند الوقوف و السؤال يوم القيامة و قد ورد في الخبر ان الله يوم القيامة يدعو بشيخ فيقول له ما فعلت فيقول من المقربات ما شاء الله و الله يعلم أنه كاذب في قوله فيأمر به إلى الجنة فتقول الملائكة يا رب إنه كذب فيما ادعاه فيقول الحق قد علمت ذلك و لكني استحييت منه أن أكذب شيبته و ما أوصل إلينا رسول الله ص هذا الخبر عن الله إلا لنكون بهذه الصفة فنحن أحق بها لحاجتنا إن يعاملنا الحق بها و العاشرة الإصلاح و أعظمه إصلاح ذات البين و هو قوله تعالى وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ و قد ورد في الخبر إن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فيوقف الظالم و المظلوم بين يديه للحكومة و الإنصاف ثم يقول لهما ارفعا رءوسكما فينظران إلى خير كثير فيقولان لمن هذا الخير فيقول الله لهما لمن أعطاني الثمن فيقول المظلوم يا رب و من يقدر على ثمن هذا فيقول الله له أنت بعفوك عن أخيك هذا فيقول المظلوم يا رب قد عفوت عنه فيقول الله له خذ بيد أخيك فادخلا الجنة ثم تلا رسول الله ص فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَصْلِحُوا ذاتَ بَيْنِكُمْ فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة و أما القطب الثاني من الاثني عشرة فهو على قدم الخليل إبراهيم ع و هو الذي له سورة الإخلاص الذي حبه إياها أدخله الجنة و لقارئها ثلث القرآن و له من المنازل بعدد آيها و هو صاحب الحجة و الدليل النظري يكون له خوض في المعقولات فيصيب و لا يخطئ و ذلك أن الناس قد اختلفوا في العلم الموهوب الذي من شأنه أن يدركه العاقل بفكره و يوصله إليه دليل النظر

فقال بعضهم مثل هذا العلم إذا وهبه الله من وهبه وهبه بدليله فيعلم الدليل و المدلول لا بد من ذلك و رأيت أبا عبد الله الكتاني بمدينة فاس إماما من أئمة المسلمين في أصول الدين و الفقه يقول بهذا القول فقلت له هذا ذوقك هكذا أعطاكه الحق فذوقك صحيح و حكمك غير صحيح بل قد يعطيه العلم الذي لا يحصل إلا بالدليل النظري و لا يعطيه دليله و قد يعطيه دليله و يعطيه إياه و يعطيه دليله كإبراهيم الخليل قال تعالى وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ و هو أكمل من الذي يعطي العلم الذي يوصل إليه بالدليل و لا يعطي الدليل و لا يشترط أحد تخصيص دليل من دليل إنما يعطي دليلا في الجملة فإن الأدلة على الشيء الواحد قد تكثر و منها ما يكون في غاية الوضوح و منها ما يغمض كمسألة إبراهيم الخليل في إحياء الموتى و إماتة الأحياء و عدوله إلى إتيان الشمس من المشرق أن يأتي بها الخصم من المغرب و كلاهما دليل على المقصود و هذا القطب من الدعاة إلى الله بالأمر الإلهي و مسكنه في الهواء في فضاء الجو في بيت جالس على كرسي له نظر إلى الخلق لا يزال تاليا عنده جماعة من أهل الله و خاصته كلامه في الأحدية الإلهية و في أحدية الواحد و في أحدية الوحدانية بالأدلة النظرية و ما حصلها عن نظر و لكن هكذا وهبها الحق تعالى له و حاله الحضور دائما إلا أنه لم يحر مثل ما حار غيره بل أبان الله له ما وقف عنده و لم يشغل خاطره بما يوجب عنده الحيرة قد تفرغ مع الله لقضاء حوائج الناس يعرف الأسماء الإلهية معرفة تامة يقول بنفي المثلية في جانب الحق أخبرني الحق بالطريقة التي جرت العادة أن يخبر بها عباده في أسرارهم إن هذا العبد أعطاه الرحمة لعباده و الصلة لرحمه فسأله في أمر فلم يجبه الله إليه و هو أنه سأله أن يرث مقامه عقبه فقال له ليس ذلك إليك لا يكون مقام الخلافة بالورث ذلك في العلوم و الأموال و أما الخلافة فكل خليفة في قوم بحسب زمانهم فإن الناس في زمانهم أشبه منهم بآبائهم فإن الحق لا يحكم عليه خلق إلا في العلم و الخلق لا يعرف أن له هذه المرتبة إلا من أعلمه الله بذلك و لقد رأيت من فتح الله عليه بصحبتي و استفاد أحوالا و علوما و خرق عوائد أعطاه الله ذلك من حسن معاملته مع الله و أخبرني أنه ما استفاد شيئا مما هو عليه إلا مني و أنا لا علم لي بذلك إنما أدعو إلى الله و الله يعلم من يجيب يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلّامُ الْغُيُوبِ و صدقوا و كذا هو الأمر فلا علم لأحد إلا من يعلمه الله و ما عدا هذه الطريقة الإلهية في التعليم فإنما هو غلبة ظن أو مصادفة علم أو جزم على وهم و أما علم فلا فإن جميع الطرق الموصلة إلى العلم فيها شبه لا تثق النفس الطاهرة التي أوقفها الله على هذه الشبه أن تقطع بحصول علم منها إلا بالطريقة الإلهية و هي قوله تعالى إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و قوله خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَيانَ فهو يبين عما في نفسه و لهذا القطب أسرار عجيبة و أما القطب الثالث و هو على قدم موسى ع فسورته إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ و منازله بعدد آيها و لها ربع القرآن و هذا القطب كان من الأوتاد ثم نقل إلى القطبية كما كان القطب الثاني من الأئمة ثم نقل إلى القطبية و هو صاحب جهد و مكابدة لا ينفك عن الاشتغال بالخلق عند الله أعطاه الله في منزل النداء اثني عشر ألف علم ذوقا في ليلة واحدة و منزل النداء من أعظم المنازل و قد عيناه في منزل المنازل من هذا الكتاب و لنا فيه جزء مفرد أعني في طبقات المنازل و كمياتها فمن علوم هذا القطب علم الافتقار إلى الله بالله و هو علم شريف ما رأيت له ذائقا لما ذقته و معنى هذا و سره إن الله أطلعه على إن حاجة الأسماء إلى التأثير في أعيان الممكنات

أعظم من حاجة الممكنات إلى ظهور الأثر فيها و ذلك أن الأسماء لها في ظهور آثارها السلطان و العزة و الممكنات قد يحصل فيها أثر تتضرر به و قد تنتفع به و هي على خطر فبقاؤها على حالة العدم أحب إليها لو خيرت فإنها في مشاهدة ثبوتية حالية ملتذة بالتذاذ ثبوتي منعزلة كل حالة عن الحالة الأخرى لا تجمع الأحوال عين واحدة في حال الثبوت فإنها تظهر في شيئية الوجود في عين واحدة فزيد مثلا الصحيح في وقت هو بعينه العليل في وقت آخر و المعافي في وقت هو المبتلى في وقته ذلك بعينه و في الثبوت ليس كذلك فإن الألم في الثبوت ما هو في عين المتألم و إنما هو في عينه فهو ملتذ بثبوته كما هو ملتذ بوجوده في المتألم و المحل متألم به و سبب ذلك أن الثبوت بسيط مفرد غير قائم شيء بشيء و في الوجود ليس إلا التركيب فحامل و محمول فالمحمول أبدا منزلته في الوجود مثل منزلته في الثبوت في نعيم دائم و الحامل ليس كذلك فإنه إن كان المحمول يوجب لذة التذ الحامل و إن أوجب ألما تألم الحامل و لم يكن له ذلك في حال الثبوت بل العين الحاملة في ثبوتها تظهر فيما تكون عليه في وجودها إلى ما لا يتناهى فكل حال تكون عليها هو إلى جانبها ناظر إليها لا محمول فيها فالعين ملتذة بذاتها و الحال ملتذ بذاته فحال الأحوال لا يتغير ذوقه بالوجود و حال الحامل يتغير بالوجود و هو علم عزيز و ما تعلم الأعيان ذلك في الثبوت إلا بنظر الحال إليها و لكن لا تعلم أنه إذا حملته تتألم به لأنها في حضرة لا تعرف فيها طعم الآلام بل تتخذه صاحبا فلو علمت العين أنها تتألم بذلك الحال إذا اتصف به لتألمت في حال ثبوتها بنظره إياها لعلمها أنها تتلبس به و تحمله في حال وجودها فتألفها به في الثبوت تنعم لها و هذا الفن من أكبر أسرار علم الله في الأشياء شاهدته ذوقا إلهيا لأن من عباد الله من يطلعه الله كشفا على الأعيان الثبوتية فيراها على صورة ما ذكرناها من المجاورة و النظر ما يرى فيها حالا و لا محلا

من غير شوب و لا اتحاد   بل كل ذات على انفراد

و لا اتفاق و لا عناد   و لا حلول و لا انتقال

فإذا فهمت الفرق بين الوجود و الثبوت و ما للاعيان في الوجود و ما لها في الثبوت من الأحكام علمت إن بعض الأعيان لا تريد ظهور الأثر فيها بالحال ما لها في ذلك ذوق فهي بالحال لو عرض عليها ذوق الألم في حال الثبوت لضجت فإن أمرها في حال الوجود إذا حملت الألم قد تحمل الصبر و قد لا تحمله و فرضناها في حال الثبوت حاملة فاقدة للصبر فما لها بلسان الحال ذلك الافتقار إلى طلب الوجود و إن طلبته بالقول الثبوتي من الله فإذا وجدت تقول كما قد نقل عن بعضهم ليتني لم أخلق ليت عمر لم تلده أمه ليتها كانت عاقرا و أمثال هذا فتكون الأعيان أقل افتقارا من الأسماء و الأسماء أشد افتقارا لما لها في ذلك من النعيم و لا سيما و هي تشاهد من الحق الابتهاج الذاتي بالكمال من حيث استصحاب الممكنات في ثبوتها لذاته و إنه منزه عن أثرها و التأثر بسببها فهو من حيث ذاته في كمال عن التأثر في حال ثبوت الأعيان و حال وجودها لأنه ما زاد في نفسه علما بما لم تكن عليه فيها فإنها أعطته العلم بشأنها أزلا و بتلك الصورة توجد فالمجاورة في الثبوت حلول في الوجود ففي الثبوت إلى جانبها و في الوجود حال فيها فهذا علم واحد من تلك العلوم فاعلم ذلكو أما القطب الرابع الذي على قدم عيسى ع

فسورته من القرآن قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ و لها ربع القرآن و منازله بعدد آيها و هذا القطب من الضنائن المصانين له التجلي الدائم كلامه في الجمع و الوجود و علم المزيد إذا رأى شبهة في أحد تحول بينه و بين العلم أزالها حتى يتبين لصاحبها صورة الحق في ذلك الأمر له ستمائة مفتاح مقام في كل مقام من العلوم ما شاء الله له علم الامتزاج و التركيب الاعتدالي لا يعرف الانحراف و لا النقص و لا الزيادة مسكنه بقبة أرين منقطع عن الخلق إلا من شاء الله عاش طيبا مع الله إلى أن توفاه الله و كان من الأوتاد أيضا فانتقل إلى القطبية يقول إن الوجود وجود الحق و إن الجمع جمع الحق صفات القدم و الحدوث و هو علم غريب في الجمع ما رأيت من يقول به من أهل الله غير هذا القطب فإني شاهدت هؤلاء الأقطاب أشهدنيهم الحق و إن كانوا قد درجوا من الدنيا و هو العلم الذي وردت به الشرائع في جانب الحق فنقول ذلك هو الجمع و عنده إن المحدث صاحب دعوى في تلك الصفات المسماة محدثة و لأجل دعواه قلنا إنه جمع و إلا فالأمر واحد كلها صفات قدم في القديم و محدثة في المحدث لظهورها فيه و لم تكن ظاهرة فحدثت عند المتصف بها كما قال ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و ليس إلا كلام الله القديم فجمعنا عليه ما له مع نسبته إلينا فسمي من فعل ذلك صاحب جمع و وجود فمحكوم حكم الممكنات وجود الحق لا غيره فمن فهم الجمع هكذا علم الأمور كيف هيه

علم الأمر كيف هو 　 من دري الجمع هكذا

فلا تسمعنه 　 فهو الحق لا سواه

و أما القطب الخامس الذي على قدم داود ع فسورته من القرآن إِذا زُلْزِلَتِ و لها نصف القرآن و منازله بعدد آيها و حاله التفرقة و له مقام المحبة فهو معلول للحب فداؤه دواؤه و ما له علم يتقدم فيه على غيره إلا علم ثبوت المحبة الإلهية و الكونية و لهذا كان في مقام التفرقة و كان من الأئمة فنقل إلى القطبية يقول هذا القطب إن الحب ما ثبت و كل حب يزول فليس بحب أو يتغير فليس بحب لأن سلطان الحب أعظم من أن يزيله شيء حتى إن الغفلة التي هي أعظم سلطان تحكم على الإنسان لا يتمكن لها أن تزيل الحب من المحب يتمكن عنده إن يغفل الإنسان عن نفسه بمحبوبه و لا يتمكن للمحب أن يغفل بأحد عن محبوبه فذلك هو المحب و ذلك هو الحب

و إن الشفاء له مستحيل 　 فداء المحبة ما لا يزول

و لا تصغين إلى ما يقول 　 فلا تركنن إلى غير ذا

فبحب الله أحببنا الله و حب الحق لا يتغير فحب الكون لا يتغير فقيل له فحب الكون الكون هل يتغير قال لا لأن الكون محبوب لذاته و المحبة الذاتية لا يمكن زوالها قيل له فقد رأينا من تستحيل مودته فقال تلك إرادة ما هي محبة إذ لو كانت محبة ثبتت ألا تراها تسمى ودا لثبوتها و ثبوت حكمها و ذلك أنه ما في المحب لغير محبوبه فضلة من ذاته يتمكن للمزيل أن يدخل عليه منها هذا سبب ثبوتها فإنه يشاهد عين محبوبه في كل شيء يشهده فلا يفقده فلو صح للمحب أن يشهد غير محبوبه في عين ما لدخل عليه من ذلك ما يزيل حبه و هذا ليس بواقع في الحب

فالتبس علي من هذه حالته حكم الإرادة بحكم الحب و ما كل مريد محب و كل محب مريد و ما كل مراد محبوب و كل محبوب مراد فمقام هذا القطب ما ذكرناه و شأنه عجيب و تفصيل حاله يطول و مذهبنا الاختصار

و أما القطب السادس الذي على قدم سليمان ع فسورته الواقعة و لها الحياة الدائمة و منازله بعدد آيها اختص بعلم الحياة و الحيوان لا يأخذ حالا من أحواله إلا عن ربه فأحواله أحوال ربه هداه هدى الأنبياء كما أمر الله نبيه ص لما ذكر له الأنبياء ع قال أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ و ما قال فبهم اقتده فعلمنا إن محمدا مساو لجميع من ذكره من الأنبياء و من لم يذكره فإنه لكل نبي هدى كما ذكر لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً فهو سبحانه نصب الشرائع و أوضح المناهج و جمع ذلك كله في محمد ص فمن رآه فقد رأى جميع المقربين و من اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدى جميع النبيين

و ما على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

و أعني بقولي إن أحوال هذا القطب أحوال ربه ما قال الحق عن نفسه من أنه كل يوم في شأن فهذا عبارة عن اختلاف الأحوال فهو من القوم الذين يشاهدون الحق في شئونه فينظرون إلى ما له من الشئون فيهم فيتلبسون بها منه فهم من أحوالهم على بصيرة فمن هذه حاله ما هو مثل من حاله التخلق بالأسماء الإلهية بل لهذا ذوق و لهذا ذوق فمثل هذا الرجل يكون مجهول الحال لأن مواطن الحق خفية لا يدركها إلا من كان مقامه التلبس بالشئون و الدليل على ذلك إنا قد جمعنا على أنه لا موجد إلا الله و أنه حكيم يضع الأمور مواضعها و لا يتعدى بها موطنها فكل شيء ظهر في العالم فهو حكمة في موضعه و قد جمعنا أن جميع الخلق و أن أهل الله أكثرهم يقولون لو كان كذا عن فعل من الأفعال ظهر في الوجود على يد إنسان لكان أحسن من هذا الفعل الذي فعلت و أولى يقولون للذي يظهر ذلك الفعل الإلهي فيه و على يديه فهل هذا إلا لجهلهم بحكمة الله فيما وقع لهم فيه مثل هذا القول فهذا ما وقع من أهل الله إلا بغفلتهم عن الله لا بجهلهم فإذا ذكروا تذكروا و يقع من غير أهل الله بجهله لا بغفلته فإنه لا يزول عما ذهب إليه في ذلك الفعل من اللوم حتى تبدو له حكمة الله فيه متى بدت حينئذ يعترف بجهله و يعرف قصور علمه و عقله و ما رأيت أحدا من أهل هذا الذوق و لا سمعت بأنه رئي و هو قريب في غاية الظهور و لكن الأغراض تمنع و الأهواء من التعمل في تحصيله و ذلك أن حجة من لا يروم تحصيله من أهل الدين يقول إن الشرع قد أمرنا أن ننكر أشياء و أن نقول الأولى ترك هذا من فعله مع علمي بأن الفعل لله قلنا صدقت و لكن ما خرج مثل هذا الاعتراض من شخص فهم رتبتي و ذلك أني قلت إنه جهل حكمة الله فيما اعترض فيه فمن اعترض باعتراض الشرع فهو ناقل اعتراض الله فيما اعترض ما هو المعترض و ذلك الاعتراض إذا وجد من الله يعلم صاحب هذا الذوق حكمته و منزلته و صاحب هذا الحال يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و يقيم الحدود و هو يشاهد حكمة ذلك كله و يراها في الشئون الإلهية المشهودة له و لا يشهدها إلا عند تكوينها خاصة هذا هو مقام صاحب هذا الحال فإن من أهل الله أيضا من يشاهد هذه الشئون قبل أن يكون الحق فيها و هو الذي يشاهد أعيان الممكنات في حال عدمها كما يشهدها الحق و لهذا يعين الحق منها ما يعين بالتكوين دون غيرها من الممكنات

فإن الحق لا يوجدها إلا بما هي عليه في حال عدمها من غير زيادة و لا نقصان و من أهل الله من يشهد الأمر قبل ظهوره في الحس و هو التكوين الآخر يشهده في الإمام المبين و هو اللوح المحفوظ الحاوي على المحو و الإثبات فكل شيء فيه فلذلك الشيء تكوين أول في التسطير و هذا الكشف دون كشف الذي يريه الله أعيان الممكنات على ما تكون عليه في حال الوجود فيحكم بها حكم الله فيها و لإدراك هذه الشئون قبل ظهورها في الحس مدارك كثيرة أعلاها ما ذكرناه أي أقصاها و بعده مشاهدة الحق في تكوينها فإن ذلك أعلى من مشاهدة المشاهد إياها في الإمام المبين و في غيره و دون هذا الشهود كل شهود يكون للعبد قبل تكوين الشأن هذا حال منقال ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معهو هو أعلى حالا من الذي يقول ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله فإن الأولى كلمة تحقيق و إن كانت الأخرى مثلها في التحقيق لكن بينهما فرقان فالواحد قوله مثل من يقول رأيت زيدا يصنع كذا و يقول الآخر رأيت الصانع يصنع كذا فهذا الفرق بين الشخصين فيما يشهد أنه فإن الأسماء الأعلام ما وضعت إلا للتخاطب بها في حال غيبة المسمى بها و في الحضور ما هي مطلوبة و إن جيء بها فأما لأدب يقتضيه الحال و إما تأكيد في الأخبار فقد أبنت لك من حال هذا القطب ما سمعت و له أحوال كثيرة أعرفها أفعله في كل قطب ما أذكر جميع أحواله لأن ذلك يتسع الخرق فيه بحيث إنه لا يفي به الوقتو أما القطب السابع الذي على قدم أيوبع و سورته البقرة و هي البيضاء الحاوية على سيدة آي القرآن و منازله بعدد حروفها لا آيها حال هذا القطب العظمة بحيث إنه يرى أن العالم لا يسعه لأن ذوقه كونه وسع الحق قلبه و قد ورد في الخبر أن الحق يقول ما وسعني أرضي و لا سمائي و وسعني قلب عبدي و ما كل قلب يسع الحق و قال وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ فبين مكان القلوب فإذا كان مشهودا لعبد كون الحق في قلبه فكما لا يسع العالم الحق لا يسع العالم أيضا هذا العبد فهذا سبب شهود ضيق العالم عنه و ما رأيت من تحقق بهذا المقام و شهوده إلا رجلا بالموصل من أهل حديثة الموصل كان بهذه المثابة و أطلعه الحق على أمر و لم يطلعه على سره فيه و كان يطلب على من يوضح له حاله فذكرني له الإمام نجم الدين محمد بن أبي بكر بن شاى الموصلي المدرس بمدرسة سيف الدين بن علم الدين بجلب في هذا الزمان الذي نحن فيه و هو سنة ثمان و عشرين و ستمائة فطلب الاجتماع بنا فلما وصل ذكرنا زلته فأوضحتها له فسرى عنه و استبشر و خرج لي بحاله لما رآني فهمته فوجدته قد أخذ من مقام العظمة بحظ وافر لكنه دون ذوق هذا القطبفيه لأنه أخبرني أن النخامة كانت تدور في فيه لا يقدر أن يلقيها من فيه لأنه لا يجد لها محلا تقع فيه خاليا من الحق و قد علم ما جاء في الأدب في إلقائها في الشرع فكان يتحير و رأيت آخر مثله بإشبيلية من بلاد الأندلس و روينا عن الحلاج أنه ذاق من هذا المقام حتى ظهر عليه منه حال المقام فكان له بيت يسمى بيت العظمة إذا دخل فيه ملأه كله بذاته في عين الناظر حتى نسب إلى علم السيمياء في ذلك لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال و المتمكن في هذا المقام لا يظهر عليه بالحال ما يدل على أنه صاحب هذا الذوق و لكن نعوته تجري بحكم هذا المقام لا حاله فإن الحال يعطي خرق العوائد كما قال صاحب محاسن المجالس فيها لما ذكر الأحوال أنها للمريدين قال و الأحوال للكرامات يريد خرق العوائد و ليست الكرامات في عرف هذا اللسان الأخرق العوائد مع الاستقامة في الحال أو تنتج الاستقامة في الفور لا بد من ذلك عندهم و سبب هذا

التحديد إن خرق العادة قد لا يكون كرامة من الله للعبد فأكملهم في مقام العظمة من يجهل حاله و لا يعرف فيعرف ما يعامل به و يحار الناظر فيه إلا أنه على بينة من ربه و بصيرة من أمره فمن أراد أن يعرف أحوال هذا الإمام فليتدبر آيات سورة البقرة آية بعد آية حتى يختمها فهذا القطب مجموع آيها و بالله التوفيق و أما القطب الثامن الذي على قدم الياسع و سورته آل عمران و هي البيضاء أيضا و منازله بعدد آيها و لست أعني بقولي القطب الأول و الثاني إن هذا الترتيب بالزمان إنما أريد به ترتيب العدد إلى أن يكمل اثنا عشر قطبا فقد يكون الثاني عشر أو غيره هو الأول بالزمان و إنما أعلمت بذلك لئلا يتوهم من قد أوقفه الله و أطلعه على العلم بأزمان هؤلاء الأقطاب فيرى هذا الترتيب الذي سقناه فيهم أنه ترتيب أزمانهم فلذلك بينت أنه ترتيب العدد لا غير و حال هذا القطب العلم بالمتشابه من كلام الله الذي ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ فيعلمه هذا القطب بإعلام الله خاصة و لا يعلم أبدا إلا بإعلام الله فيكون عنده محكما في تشابهه فيعرف من أي وجه كان التشابه فيه فيحصل له علم المناسبة التي جمعت بين الله و بين من وقع معه التشابه في الآية كآيات التشبيه كلها أو ترفع التشبيه من طريق دلالة اللفظ المشترك الذي لا يكون إلا لمناسبة خفية فإن المناسبة في التشبيه جلية و في الاشتراك خفية كالنور للعلم جلي فتسمى العلم نورا و النور نورا كقوله وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً و جَعَلْناهُ يعني الوحي و هو العلم نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا و في الاشتراك كالعين فالمناسبة في العينية في كل مسمى بالعين خفية فهي عند هذا القطب جلية بإعلام الله و أما أصحاب التأويل بالنظر في ذلك فما هم على علم و إن صادفوا العلم و من هذا العلم تعلم أن النساء شقائق الرجال ألا ترى حواء خلقت من آدم فلها حكمان حكم الذكورة بالأصل و حكم الأنوثة بالعارض فهي من المتشابه فإن الإنسانية مجمع الذكر و الأنثى و أين حقيقة الفاعل من المنفعل لمن هو فيه فاعل و لا يفعل إلا في مشاكله و ذلك أنه أول ما أحدث الانفعال في نفسه فظهر فيه صورة ما ينفعل عنه و بتلك القوة انفعل عنه ما انفعل و ظهر كالبديع و المخترع و الحق قد قدمنا تحقيق العلم بالعالم أن العلم يتبع المعلوم و العلم صفة العالم و المعطي العلم ما هو المعلوم عليه ثم يعطي العالم إيجاد المعلوم كما يعطي المخترع إيجاد الأمر المخترع و إظهاره في الوجود فمن هنا يعرف لما حبب الله النساء لمحمد ص فمن أحب النساء حب النبي ص لهن فقد أحب الله و الجامع الانفعال لما كان من إعطاء المعلوم العلم ليقال فيه إنه عالم فهو أول منفعل لمعلوم و ظهر في عيسى انفعاله عن مريم في مقابلة حواء من آدم إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ فيفهم قول الله عز و جل يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ مثل حواء وَ أُنْثى مثل عيسى و بالمجموع مثل بني آدم باقي الذرية فهي الجامعة لخلق الناس و لقد كنت من أكره خلق الله تعالى في النساء و في الجماع في أول دخولي إلى هذا الطريق و بقيت على ذلك نحوا من ثمان عشرة سنة إلى أن شهدت هذا المقام و كان قد تقدم عندي خوف المقت لذلك لما وقفت على الخبر النبوي أن الله حبب النساء لنبيه صفما أحبهن طبعا و لكنه أحبهن بتحبيب الله إليه فلما صدقت مع الله في التوجه إليه تعالى في ذلك من خوفي مقت الله حيث أكره ما حببه الله لنبيه أزال عني ذلك بحمد الله و حببهن إلي فإنا أعظم الخلق شفقة عليهن و أرعى لحقهن لأني في ذلك على بصيرة و هو عن تحبب لا عن حب طبيعي و ما يعلم قدر النساء إلا من علم و فهم عن الله ما قاله في حق زوجتي رسول الله ص عند ما تعاونا عليه و خرجا عليه كما ذكر الله في سورة التحريم و

جعل في مقابلتها تين المرأتين في التعاون عليه من يعاون رسول الله ص عليهما و ينصره و هو الله و جبريل و صالحو المؤمنين ثم الملائكة بعد ذلك و ليس ذلك إلا لاختلاف السبب الذي لأجله يقع التعاون فثم أمر لا يمكن إزالته إلا بالله لا بمخلوق و لذلك أمرنا أن نستعين بالله في أشياء و بالصبر في أشياء و بالصلاة في أشياء فاعلم ذلك و كان ثم أمر و إن كان بيد الله فإن الله قد أعطى جبريل اقتدارا على دفع ذلك الأمر فأعان محمدا ص في دفعه إن تعاونا عليه و إن رجعا عنه و أعطيا الحق من نفوسهما سكت عنهما كما سكتنا فكان لهما الأمر من قبل و من بعد و هو نعت إلهي فإنه لحركتهما تحرك من تحرك و لسكونهما سكن الذي أراد التحرك و كذلك صالحو المؤمنين كان عندهما أمر نسبته في الإزالة بصالحي المؤمنين أقرب من نسبته إلى غيرهم فيكون صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ معينا لمحمد ص ثم الملائكة بعد ذلك إذا لم يبق إلا ما يناسب عموم الملائكة التي خلقت مسخرة يدفع بها ما لا يندفع في الترتيب الإلهي إلا بالملائكة مع انفراد الحق بالأمر كله في ذلك و القيام به و لكن الجواز العقلي فأخبر الحق بالواقع لو وقع كيف كان يقع فما يقع إلا كما قاله و ما قال إلا ما علم أنه يقع بهذه الصورة و ما علم إلا ما أعطاه المعلوم من نفسه أنه عليه بما شهده أزلا في عينه الثابتة في حال عدمه فانظر يا ولي كيف تبدي الأمور حقائقها لذي فهم و قلب جعلنا الله و إياكم من أهل الفهم عن الله ممن لَهُ قَلْبٌ يعقل به عن الله و أَلْقَى السَّمْعَ لخطاب الله وَهُوَ شَهِيدٌ لما يحدثه الله في كونه من الشأن و أما القطب التاسع الذي على قدم لوط ع فسورته سورة الكهف و لها العصمة و الاعتصام و منازله بعدد آيها حاله العصمة من كل ما يؤدي إلى سوء الأدب الذي يبعد صاحبه عن البساط فهو محفوظ عليه وقته أبدا و علمه علم الاعتصام و قد عينه الله و حصره في أمرين الاعتصام به فقال عز من قائل وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ و الاعتصام الآخر بحبله و هو قوله تعالى وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً فمن الناس من اعتصم بالله و منهم من اعتصم بحبل الله و قال إن الاعتصام بحبل الله هو عين الاعتصام بالله و هذا القطب جمع بين هذين الاعتصامين و الفرق بين الاعتصامين أن حبل الله هو الطريق الذي يعرج بك إليه مثل قوله إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ و ليس حبله سوى ما شرعه و تفاضل فهم الناس فيه فمنهم و منهم و لذلك فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فمن لم يخط طريقه فهو المعصوم و التمسك به هو الاعتصام و عليه حال المؤمنين الذين بلغوا الكمال في الايمان و مثل هؤلاء يعتصمون بالله في اعتصامهم بحبل الله و هو قوله وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ و قوله اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ و أما الاعتصام بالله فهو قوله ص قوله في الاستعاذة و أعوذ بك منك فإنه لا يقاومه شيء من خلقه فلا يستعاذ به إلا منه فإن الإنسان لما حصل في سمعه أنه مخلوق على صورة الحق و لم يفرق بين الإنسان الكامل و بين الإنسان الحيوان و تخيل أن الإنسان لكونه إنسانا هو على الصورة و ما هو كما وقع له و لكنه بما هو إنسان هو قابل للصورة إذا أعطيها لم يمتنع من قبولها فإذا أعطيها عند ذلك يكون على الصورة و يعد في جملة الخلفاء فلا يتصرف من هو على الصورة إلا تصرف الحق بها و تصرف الحق عين ما هو العالم عليه و فيه و أنت تعلم بكل وجه ما العالم فيه من مكلف و غير مكلف و مما ينكر و يعرف و لا يعرف ما ينكر و ما يعرف من العالم المكلف إلا الخليفة و هو صاحب الصورة فالحق له حكم الإنكار لا للعبد فالمعتصم بالله إذا كان صاحب الصورة لا يعتصم إلا منه بأن يظهر به في موطن ينكره عليه و إن كانت صفته فليس له أن يتلبس بها في كل موطن و لا يظهر به في كل مشهد بل له الستر فيها

و التحلي بها بحسب ما يحكم به الوقت و هذا هو المعبر عنه بالأدب و لو كان مشهده أنه لا يرى إلا الله بالله و أن العالم عين وجود الحق و أعظم من هذا الصارف عن الإنكار فلا يكون و لكن لا بد من الإنكار إن صح له هذا المقام فهو ينكر بحق على حق لحق و لا يبالي و حجته قائمة و أما القطب العاشر الذي على قلب هود ع فسورته سورة الأنعام و لها الكمال و التمام في الطوالات و منازله بعدد آيها و لهذا القطب علوم جمة منها علم الاستحقاق الذي يستحقه كل مخلوق في خلقه و علم ما يستحقه ذلك الخلق من المراتب فأما استحقاق الخلق فقوله أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ و أما المراتب فالتنبيه عليها من قوله تعالى وَ ما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ و يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ و هو أن تزيده على مرتبته أو تنقصه منها و ما يتميز العالم العاقل من غيره إلا بإعطاء كل ذي حق حقه و إعطاء كل شيء خلقه و متى لم يعلم ذلك فهو جاهل بالحق و متى علم و لم يعمل بعلمه فهو غير عاقل فلا بد لصاحب هذا المقام أن يكون تام العقل كامل العلم و هذا هو الحفظ الإلهي و العناية العظمى و السلوك على هذه الطريقة المثلى التي هي الطريقة الزلفى هو السلوك الأقوم و لما أتم الله خلق العالم روحا و صورة و أنزل كل خلق في رتبته جعل بين العالم التحاما روحانيا و جسمانيا لظهور أشخاص كل نوع من العالم إذ كان دخول أشخاص كل نوع في الوجود مستحيلا و إنما فعل ذلك ليظهر فضل الفاعل على المنفعل بالذوق فيعلمون فضل الحق على عباده و يعرفون كيف يتحققون معه في عبودتهم و نسب إليهم الخلق فقال وَ إِذْ تَخْلُقُ من الطِّينِ و قال فَتَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فذكر إن ثم خالقين الله أحسنهم خلقا فإنه تعالى يخلق ما يخلق عن شهود و الخالق من العباد لا يخلق إلا عن تصور يتصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها و خلق الحق ليس كذلك فإنه يبدع أو يخلق المخلوق على ما هو ذلك المخلوق عليه في نفسه و عينه فما يكسوه إلا حلة الوجود بتعلق يسمى الإيجاد فمن أوقفه الله كشفا على أعيان ما شاء من الممكنات فليس في قوته إيجادها أي ليس بيده خلعة الوجود التي تلبسها تلك العين الثابتة الممكنة أعني بالمباشرة و لكن له الهمة و هي إرادة وجودها لا إرادة إيجادها منه لأنه يعلم أن ذلك محال في حقه فإذا علق همته بوجودها يتعلق الحق القول بالتكوين فتعلم قول ربها من قول الخلق سواء كان القول على لسان الخلق أو كان من الحق بارتفاع الوسائط فيتكون ذلك الشيء و لا بد فيقال في الشاهد فعل فلان بهمته كذا و كذا و إن تكلم يقال قال فلان كذا و كذا فانفعل عن قوله كذا فمن عرف ذلك عرف ما للعبد في ذلك التكوين و ما للحق فيه فلذلك قال إنه أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فإذا ظهر عين ذلك المكون أي شيء كان تشوفت إليه مرتبته لأن مزاجه يطلبها و أعني المرتبة الأولى فيكتسب الاستعداد لأمور علية أو دنية بحسب ما يعطيه ذلك الاستعداد المكتسب فيظهر في العالم بصورة ذلك فإذا نظر فيه الأجنبي و أعني بالأجنبي الذي لا علم له بالحقائق و نظر إلى استعداده فأعطاه نظره أنه نازل عن رتبته أو رتبته فوق ذلك أعني الرتبة التي ظهر فيها و الأمر في نفسه ليس كما ظهر لصاحب هذا النظر فإن الاستعداد المؤثر إنما هو في الخلق و هو استعداد ذاتي و أما الاستعداد العرضي فلا حكم له بل الاستعداد العرضي رتبة أظهرها الاستعداد الذاتي و غاب هذا القدر من العلم عن أكثر الخلق مثال ذلك أن يروا شخصا ساكنا قد تصور العلوم و أحكمها و أعطى من المراتب أخسها ممن لا ينبغي لمن جمع هذه الفضائل و العلوم أن يكون غايته تلك الرتبة فيقال إنه قد حط هذا الرجل عن رتبته و ما

أنصف في حقه و ما عندهم خبر بأن رتبته إنما هي عين تلك الفضائل التي جمعها و تلك العلوم التي أحكمها و من جملتها هذه المرتبة الخسيسة التي ولاة السلطان عليها إن كان من الولاة و إن لم يكن من الولاة و لا نال شيئًا مع هذا الفضل من المناصب قيل فيه إنه محروم و ما هو محروم و إنما الموطن اقتضى ذلك و هو أن الدنيا اقتضت أن يعامل فيها الجليل بالجلال في وقت و في وقت يعامل الجليل بالصغار و في وقت يعامل الصغير بالصغار و في وقت يعامل الصغير بالجلال بخلاف موطن الآخرة فإن العظيم بها يعامل بالعظمة و الحقير بها يعامل بالحقارة و لو نظر الناظر لرأى في الدنيا من يقول في الله ما لا يليق به تعالى و من يقول فيه ما يليق به من التنزيه و الثناء و أعظم من الحق فلا يكون هذا العبد فمن علم المواطن علم الأمور كيف تجري في العالم و إلى الله يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُ ما صح منه و ما اعتل فلا تنظر إلى المناصب و انظر إلى الناصب الذي يعمل بحكم المواطن لا بما يقتضيه النظر العقلي فإن الناظر إذا كان عاقلا علم بعقله أن موطن الدنيا كذا يعطى و يترك عنه الجواز العقلي الذي يمكن في كل فرد فرد من أفراد العالم فإن هذا الجواز في عين الشهود ليس بعلم و لا صحيح و ليكن العاقل مع الواقع في الحال فإن ذلك صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه لا تعلق لعاقل بالمستقبل إلا إن أطلعه الله كشفا على أعيان الممكنات قبل وقوعها في الوجود فلا فرق بينه و بين من شهدها في وقوعها لأن هذا المكاشف يزول عنه حكم الجواز العقلي فيما كوشف به و أطلعه الله عليه فهذا بعض علم هذا القطب«و أما القطب الحادي عشر الذي على قدم صالح ع» فسورته من القرآن سورة طه و لها الشرف التام و منازله بعدد أيها اعلم أن هذا القطب دون سائر الأقطاب أشرف بهذه السورة من سائر الأقطاب لأن هذه السورة أشرف سورة في القرآن في العالم السعيد فإنها السورة التي يقرءوها الحق تعالى في الجنة على عباده بلا واسطة و هذا القطب له علوم جمة له البطش و القوة كما قال أبو يزيد البسطامي و قد سمع قارئا يقرأ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ فقال بطشي أشد و كان حاله حال من ينطق بالله فقول الله عن نفسه أن بطشه شديد على لسان عبده أشد من بطشه بغير لسان عبده ثم بطشه على لسان عبده الطبيعي أشد من بطشه على لسان عبده الإلهي بما لا يتقارب و أكثر علم هذا الإمام في التنزيه و الإحاطة و ليس التنزيه و الإحاطة التي يعلم هو المفهوم المتعارف بل هو تنزيه التنزيه المتعارف و جعله في ذلك علم الإحاطة و ذلك أن تنزيهه عدم المشاركة في الوجود فهو الوجود ليس غيره و المعبر عنه عنده بالعالم إنما هو الاسم الظاهر و هو وجهه فما بطن منه عن ظاهره فهو الاسم الباطن و هو هويته فيظهر له و يغيب عنه و أما الآلام و اللذات فتقابل الأسماء و توافقها و بها تكثرت الصور فإنها التي تشكلت فأدرك بعضها بعضا فكان محيطا بها منزها عنها فله الستر عنها و التجلي فيها فتختلف عليه الصور فينكر حاله مع علمه أنه هو و هو ما تسمعه من قول الإنسان عن نفسه إني في هذا الزمان أنكر نفسي فإنها تغيرت علي و ما كنت أعرف نفسي هكذا و هو هو ليس غيره فمن حيث تشكل الأسماء له الإمكان و من حيث العين القابلة لاختلاف الصور الأسمائية عليها له الوجوب فهو الواجب الممكن و المكان و المتمكن المنعوت بالحدوث و القدم كما نعت كلامه العزيز بالحدوث مع اتصافه بالقدم فقال ما يَأْتِيهِمْ الضمير يعود على صور الأسماء إلا الرب من ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ فنعته بالحدوث فهو حادث عند صورة الرحمن و ما يأتيهم الضمير مثل الأول إلا الرحمن من ذكر من الرحمن محدث فنعته بالحدوث فهو

حادث عند صورة الرب فإن تقدم إتيان ذكر الرب كان ذكر الرحمن جوابه و إن تقدم ذكر الرحمن كان ذكر الرب جوابه فالمتقدم أبدا من الذكرين قرآن و الثاني فرقان ف لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ للمتقدم منهما و هو القرآن وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ للآخر منهما و هو الفرقان ف هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ كما هو الظَّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و ليس إلا قبول صور الأسماء و كل للاحاطة فانحصر الأمر فيه فما قال كن إلا له و لا كنى بيكون إلا عنه ألا تراه تسمى بالدهر و أنه يقلب الليل و النهار و ليس الدهر غير الليل و النهار و ليس التقليب سوى اختلاف الصور فالأيام و الساعات و الشهور و الأعوام هي عين الدهر و في الدهر وقع التفصيل بما ذكرناه فمن وجه هو ساعة و من وجه هو يوم و ليل و نهار و جمعة و شهر و سنة و فصول و دور

و كل شر ليس له   فكل خير هو له

و فقده ما هو له   فهو الوجود كله

يجهله من جهله   يعلمه من علمه

في كل أحوالي و له   فإنما أنابه

و أنت له ما أنت له   فأنت هو ما أنت هو

و لو عملت عمله   و لو صنعت صنعه

فهذا من بعض أنفاس علم هذا القطب و هكذا مجراه في علومه كلها على كثرتها و تفاصيلها (و أما القطب الثاني عشر) الذي على قدم شعيب ع فسورته من القرآن سورة تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ و هي التي تجادل عن قارئها و منازله بعدد آيها انظر في جدالها في قوله ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ . . . كَرَّتَيْنِ ينبه على النظر في المقدمتين هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ يعني خللا يكون منه الدخل فيما يقيمه من الدليل يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ و هو النظر خاسِئاً بعيدا عن النفوذ فيه بدخل أو شبهه وَ هُوَ حَسِيرٌ أي قد عيي أي أدركه العياء و كل آية في هذه السورة فإنها تجري على هذا النسق إلى أن ختم بقوله قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ ألا ترى الوجود كله من غير تعليم هل تراه في حال اضطراره يلجأ إلى غير الله ما يلجأ إلا إلى الله بالذات فلو كان غيرا ما عرفه حتى يلجأ و هو قول العامة فيمن رزئ مالك لما ترجع في رزيتك إلا إلى الصبر و الصبر ليس إلا صفة الصابر فتسمى أيضا بالصبور يقول أنا هو ما ثم غيري و هذا عين ما ادعاه في علمه القطب الذي على قدم صالح صلى الله على نبينا محمد و عليه و سلم

لكنه شاهد و غيب   فيا شعيب ما ثم عيب

فيها ما فيه ريب   فانظر إلى حكمة و فصل الخطاب

و لهذا القطب علم البراهين و موازين العلوم و معرفة الحدود كله روح مجرد لطيفة حاكم على الطبيعة مؤيد للشريعة بين أقرانه ضخم الدسيعة يطعم و لا يطعم و ينعم و لا ينعم الغالب عليه التفكر ليتذكروا الدخول في الأمور الواضحة ليتنكر فهو المجهول الذي لا يعرف و النكرة التي لا تتعرف أكثر تصرفه فيما يتصرف فيه من الأسماء الإلهية الاسم المدبر و المفصل و المنشئ و الخالق و المصور و البارئ و المبدئ و المعيد و الحكم و العدل و لا يرى الحق في شيء من تجليه دون أن يرى الميزان بيده يخفض و يرفع فما ثم إلا خفض و رفع لأنه ما ثم إلا معنى و حرف و روح و صورة و سماء و أرض و مؤثر و مؤثر فيه فما ثم إلا شفع و كل واحد من الشفع وتر فما ثم إلا وتر وَالْفَجْرِ وَلَيالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ فالشفع يطلب الشفع و الوتر يطلب الوتر و هو طلب الثأر

و وتره في شفعه مندرج فشفعه في وتره ظاهر
فكان ما كان بأمر مرج وجادت السحب بأمطارها
و أنبتت من كل زوج بهج فحدثت أرضك أخبارها
بعين غير الحق فيها المهج تفني إذا شاهدت أعيانها
و شكله بشكله مزدوج يباين الضد بها ضده
في العالم العلوي بين الفرج و نزهة الأبصار فيما بدا
عنه إذا حققته ما خرج فكل ما للعين من ظاهر

جمع لهذا القطب بين القوتين القوة العلمية و القوة العملية فهو صنع لا يفوته صنعه بالفطرة و له في كل علم ذوق إلهي من العلوم المنطقية و الرياضية و الطبيعية و الإلهية و كل أصناف هذه العلوم عنده علوم إلهية ما أخذها إلا عن الله و ما رآها سوى الحق و لا رأى لها دلالة على الحق فكل علم أو مسألة من ذلك العلم له آية و دلالة على الله لا يعرف لها دلالة على غيرها لاستغراقه في الله لأنه مجذوب مراد لم يكن له تعمل فيما هو فيه بل وجد فيه أنه هو ثم فتح عينيه فرأى كل شيء رؤية إحاطة بما رأى فالزيادة التي يستفيدها إنما هي في تفصيل ما رأى دائما أبدا لأنه كل مرئي في الوجود فإنه يتنوع دائما فلا تزال الإفادة دائما و كل استفادة زيادة علم لم يكن عنده في معلوم لم يزل عالما به مشهودا له فهذا قد ذكرنا من أحوال الاثني عشر قطبا ما يسر الله ذكره على لساني وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فواحد من هؤلاء الأقطاب له الواحد من العدد و هو صاحب التوحيد الخالص و آخر له الثاني من العدد و هكذا كل واحد إلى العاشر و الحادي عشر له المائة و الثاني عشر له الألف و المفرد له تركيب الأعداد من أحد عشر إلى ما لا نهاية له و ذلك للافراد و هم الذين يعرفون أحدية الكثرة و أحدية الواحد جعلنا الله و إياكم ممن فهم عن الله ما سطره في العالم من العلم به سبحانه الدال عليه عز و جل إنه الولي المحسان الجواد الكريم المنان وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الستون و أربعمائة في حال قطب هجيره لا إله إلا الله»

ذاك الإمام الذي تبديه آيات من كان هجيره نفي و إثبات
و ما تقيده فينا علامات وتر و ليس له شفع يعدده
و ما له في شهود الذات لذات و ما له في وجود النعت من صفة
فنعتهم فيه أحياء و أموات تأثر الكل فيه من تأثره
و لا يقوم بهم للموت آفات هم المصانون لا تحصى مناقبهم

قال الله عز و جل فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الله اعلم أن الهجير هو الذي يلازمه العبد من الذكر كان الذكر ما كان و لكل ذكر نتيجة لا تكون لذكر آخر و إذا عرض الإنسان على نفسه الأذكار الإلهية فلا يقبل منها إلا ما يعطيه استعداده فأول فتح له في الذكر قبوله له ثم لا يزال يواظب عليه مع الأنفاس فلا يخرج منه نفس في يقظة و لا نوم إلا به لاستهتاره فيه و متى لم يكن حال الذاكر على هذا فليس هو بصاحب هجير فمن كان ذكره لا إله إلا الله فمعقول ذكره الألوهة و هي مرتبة لا تكون إلا لواحد هو مسمى الله و هذه المرتبة هي التي تنفيها و هي التي تثبتها و لا تنتفي عنه تنتفي عنه بنفي النافي و لا ثبيت لمن تثبت بثبت الثابت المثبت فثبوتها لها و نفيها لها غير ذلك ما هو فلا تنتج للذاكر إلا شهودها و ليس شهودها سوى العلم بها و ليس معلوم هذا العلم الأنسب و النسبة أمر عدمي و الحكم للنسبة و المنسوب و المنسوب إليه و بالمجموع يكون الأثر و الحكم مهما أفردت واحدا من هذه الثلاثة دون الباقي لم يكن أثر و لا صح حكم فلهذا كان الإيجاد بالفردية لا بالأحدية خلافا لمن يقول إنه ما صدر إلا واحد فإنه عن واحد فهو قول صحيح لا إنه واقع ثم جاء الكشف النبوي و الإخبار الإلهي بقوله عن ذات تسمى إلها إذا أراد شيئا فهذان أمران قال له كُنْ فهذا أمر ثالث و الثلاثة أول الأفراد فظهر التكوين عن الفرد لا عن الأحد و هذه كلها راجعة إلى عين واحدة فإذا ظهر المكون بالتكوين عن كُنْ لم يكن غير تجلى إلهي في صورة ممكن لصورة ممكن ناظر بعين إلهي كما أنه ما سمع فيكون إلا بسمع إلهي و لهذا أسرع بالظهور لأنه المريد و المراد و القائل و المقول له و القول فحاله في التكوين أن ينطق بالله فينفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله ثُمَّ ادْعُهُنَّ بأمره يَأْتِينَكَ سَعْياً لأنه السامع الذي دعاهن و لهذا الذكر من المعارف معرفة النفي و الإيجاب و التنكير و التعريف و له من الحروف الألف المزادة و الألف الطبيعية و الهمزة المكسورة و ألف الوصل و للام و الهاء و من الكلمات أربعة متقابلة في عين واحدة يقابل النفي منها الإثبات و الإثبات النفي و المنفي الثابت و الثابت المنفي فأما معرفة النفي فهو اطلاع على ما ليس هو فيما قيل فيه إنه هو و إن كان الذي قيل إنه هو صحيح كشفا لكنه محال عقلا و لهذا التزم بعض أهل الله ذكر الله الله و رأيت على هذا الذكر شيخنا أبا العباس العربي من أهل العليا من عرب الأندلس و التزم آخرون الهاء من الله لدلالتها على الهوية و جعله ذكر خاصة الخاصة و هو أبو حامد الغزالي و غيره و أما الأكابر فيلتزمون لا إله إلا الله على غير ما يعطيه النظر العقلي أي الوجود هو الله و العدم منفي الذات و العين بالنفي الذاتي و الثابت ثابت لذات و العين بالإثبات الذاتي و توجه النفي على النكرة و هو إله و توجه الإثبات على المعرفة و هو الله و إنما توجه النفي على النكرة و هو إله لأن تحتها

كل شيء و ما من شيء إلا و له نصيب في الألوهة يدعيه فلهذا توجه عليه النفي لأن الإله من لا يتعين له نصيب فله الأنصباء كلها و لما عرف أن الإله حاز الأنصباء كلها عرفوا أنه مسمى الله و كل شيء له نصيب فهو اسم من أسماء مسمى الله فالكل أسماؤه فكل اسم دليل على الهوية بل هو عينها و لهذا قال قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و هذا حكم كل اسم تدعونه له الأسماء الحسنى فله أسماء العالم كله فالعالم كله في المرتبة الحسنى فالأمر تنكير في عين تعريف و نكرة في عين معرفة و تعريف في عين تنكير و معرفة في عين نكرة فما ثم إلا منكور و معروف و أما حروف هذا الهجير فالألف المزادة و هي كل ألف لها موجب يوجب الزيادة فيها و الزيادة ظهور مثل على صورتها فتكون ألفان و الألف أبدا ساكنة فالظاهر أحد الألفين أبدا إما عبد و إما رب و إما حق و إما خلق و الموجب له في موطن رتبة التقدم و في موطن رتبة التأخر و هما موجبان الواحد ما يدل على الاتحاد و هو التضعيف و الآخر ما يدل على الباعث للتكوين أو الإعدام و هو التحقيق المعبر عنه بالهمزة و قد يكون هذان الموجبان في مقام النزول مثل فَسْئَلِ الْعادِّينَ و لا إِلهَ إِلَّا اللهُ و إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ و قد يكون في مقام رَفِيعُ الدَّرَجاتِ و سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى مثل يُحادُّونَ اللهَ و أَوْلِياءُ أُولئِكَ و أُوتُوا الْكِتابَ و قد يكون الموجب في مقام البرزخ و هو الوسط مثل من حَادَّ اللهَ و آتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا و لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ فإن كان الموجب اسم فاعل ربا كان الموجب أو خلقا و إن كان الموجب خلقا كان الموجب بفتح الجيم حقا فأثر ظاهر من خلق في حق أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ و أثر ظاهر من حق في خلق كُنْ فَيَكُونُ و ذلك أما عن باعث و إما عن اتحاد و الإيجاد إبداله له الاسم الآخر ليس له في الأول قدم و الباعث يكون له الأول و الآخر فالباعث حق و خلق و الإيجاد حق و خلق إلا أنه لا يكون حقا مفردا إلا بخلق كالمعرفة بالله من حيث كونه إلها لا يكون إلا بخلق لا بد من ذلك فهي حق في خلق و الخلق متأخر حيث عقل أبدا و أما الألف الطبيعية في مثل قال وَ سارَ فهو الأمر الواحد الذي يجمع الطبيعة فيظهر العالم و يفرقها فيفني العالم و هو الأصل المفرق المجمع و كل ألف مزادة فإنما تظهر على حكم التشبيه بها و الموجب لهذا الأمر المفرق المجمع إنما هو الفتح و هو الأصل و قد يكون الفتح بما يسرو هو الرحمة و بما يسوء و هو فتح العذاب و هو على نوعين فتح عذاب فيه رحمة و فتح عذاب لا يشوبه رحمة إلا عندنا فإنه ما ثم عذاب لا يشوبه رحمة قط فإن الرحمة وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و أما الميل الطبيعي و هو مثل الألف التي يسمى واو علة و ياء علة فهو ميلها إلى جانب الحق مثل قولوا و مثل فيه و أما الهمزة المكسورة في هذا الذكر فهو باعث الحق إلى النزول إلى السماء الدنيا و إلى كل ما يكون لجانب الخلق هذا في باعث الحق و أما إذا كان باعث الخلق فهو إن نظره في نفسه يبعثه على التعمل في تحصيل علمه بربه فلذلك كانت الهمزة مكسورة في النفي و في كلمة الإثبات و المنفي مكسور أبدا و أما ألف الوصل فهو وصل علم بتمييز مع وجود تشبيه إن لم يكن هناك وجود تشبيه فهي ألف قطع لا ألف وصل و أما اللام فهي جبروتية لأنها من الوسط من رفيع الدرجات و الهاء ملكوتية فإنها من الصدر من أول مجرى النفس و هي أصلية في هاتين الكلمتين في المنفي و المثبت و ما ثم إلا هويتان هوية خلق و هي المنفية في دعواها ما ليس لها و هوية حق و هي الثابتة فإنها لم تزل فإن العبد من حيث عينه هالك و إذا كان الحق هويته فليس هو ففي كل وجه ما هو هو فتنتفى هوية الحق إذا لبست الخلق و لا

تنفي هوية الخلق إذا لبست الحق فعلى كل حال ما ثم إلا حق ثابت غير منفي و أما الكلمات الأربع أداة نفي على منفي و أداة إثبات على ثابت و بقي لمن يضاف العمل هل للاداة أو للذي دخلت عليه فإن كان الحكم لمن دخلت عليه فإنه الذي يطلبها فإنه ما انتفى بها و إنما جاءت الأداة معرفة للسامع بأن الذي دخلت عليه منفي أو ثابت و ما عملت الأداة فيمن دخلت عليه إلا تعيين مرتبة العلو أو السفل أو ما بينهما فبالأداة تظهر المراتب و بمن دخلت عليه تتعين الأداة الخاصة من غيرها من الأدوات كما ارتبط وجود الخلق بالحق و ارتبط وجود العلم القديم بالمحدث فهذا بعض ما ينتجه لا إله إلا الله من العلم الإلهي و له ستة و ثلاثون وجها يعطي كل وجه ما لا يعطيه الوجه الآخر قد ذكرنا هذه الوجوه في باب النفس بفتح الفاء و اعلم أنه ما قسمنا الحروف تقسيم من يعقل على طريق التجوز بل ذلك على الحقيقة فإن الحروف عندنا و عند أهل الكشف و الايمان حروف اللفظ و حروف الرقم و حروف التخيل أمم من جملة الأمم لصورها أرواح مدبرة فهي حية ناطقة تسبح الله بحمده طائعة ربها فمنها ما يلحق بعالم الجبروت و منها ما يلحق بعالم الملكوت و منها ما يلحق بعالم الملك فما الحروف عندنا كما هي عند أهل الحجاب الذين أعماهم الله و جعل عَلىٰ أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ و هم ينظرون كما قال تعالى وَ تَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لا يُبْصِرُونَ فإذا قال العبد لا إله إلا الله كان خلاقا لهذه الكلمات فتسبح خالقها و يحق لها ذلك و الحق منزه بالأصالة لا بتنزيه المنزه و قد نسب تعالى الخلق لعبده و وصف نفسه بالأحسن فيه في قوله أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فيعود تسبيح هذه الكلمة و كل كلمة على قائلها فإذا كان العبد من أهل الكشف لما ذكرناه هو الذي نقل عنه من الرجال إنه قال سبحاني و لا علم لمن كفره بذلك

ولا تكن دونهم فتشقى فكن مع القوم حيث كانوا
أراهم الله الحق حقا فإنما القوم أهل كشف
رقوا من العلم كل مرقى فهم عباد الإله صدقا

و قد تقدم في الحروف في هذا الكتاب كلام مختصر شاف في الباب الثاني من هذا الكتاب في صغارها و كبارها وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الستون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله الله أكبر»

فإن افعل تعطيها و تطلبها الله أكبر لا أبغي مفاضلة
و إنه بوجود العين يذهبها و قد تصح إذا جاءت عقائدنا
فإن افعل تأتي و هي تحجبها إلا إذا كان بالآيات يطلبنا

وردت السنة بلفظ هذا الذكر و لا سيما في الصلاة و الأذان لها و الإقامة و عقيب الصلاة المفروضة و عند النوم و في مواضع كثيرة و جاء بلفظة افعل و هذه لفظة افعل يأتي في الأغلب بطريق المفاضلة و في أماكن لا تقتضي المفاضلة بحسب ما يقتضيه دليل الوقت فيعقل منها عند

ذلك ما يعقل فإذا كانت هجيرا لأحد فإن كان المثابر عليها يذكر بها ربه بالمفاضلة كان الكشف له من عند الله بحسب ما نوى فلا يرى إلا مفاضلة و هو كشف معين سأذكره في هذا الباب و إن كان الذاكر به ربه يستحيل عنده المفاضلة كان الكشف له من عند الله بحسب ما نوى فلا يرى مفاضلة و هو كشف معين سأذكره في هذا الباب إن شاء الله و إن كان الذاكر به ربه من حيث هو ذكر مشروع لا تخطر له فيه المفاضلة و لا ترك المفاضلة نتج له ما هو الأمر عليه من غير تقييد فيكون ما حصل لمن نوى المفاضلة و من لم ينوها تحت علم هذا الذاكر الثالث و هذه الهجيرات هي قوله تعالى وَ الذّٰاكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيراً وَ الذّٰاكِرٰاتِ فالهجير هو الكثرة من الذكر دائما فإذا تقرر هذا فلنقل

«فصل» فيمن ذكر هذه اللفظة بطريق المفاضلة اعلم أن المفاضلة في هذا الذكر و أمثاله على قسمين قسم يرجع الفاضل فيه و المفضول إلى الحق و قسم يرجع الفاضل فيه إلى الحق و المفضول إلى الخلق فلنبدأ بما يرجع إلى الحق و هو على قسمين قسم يرجع إلى هذا الاسم من حيث لفظه و قسم يرجع إلى غير لفظه من الأسماء فالذي يرجع إلى لفظه كالكبير في قوله تعالى إنه اَلْكَبِيرُ الْمُتَعٰالِ و كالمتكبر في قوله تعالى اَلْجَبّٰارُ الْمُتَكَبِّرُ فيكون الكبير أفضل من المتكبر لأن الكبير لنفسه هو كبير و المتكبر تعمل في حصول الكبرياء و ما هو بالذات أفضل بما هو بالتعمل فإن التعمل اكتساب و إنما كان التكبر من صفات الحق لما كان من نزوله في الصفات إلى ما يعتقده أصحاب النظر و أكثر الخلق أنه صفة المخلوق فلما علم ذلك منهم و هو سبحانه قد وصف لهم نفسه بتلك الصفات حتى طمعوا فيه و ضل بها قوم عن طريق الهدى كما اهتدى بها قوم في طريق الحيرة قام لهم تعالى في صفة التكبر عن ذلك النزول ليعلمهم أنه و إن اشترك معهم في الاسمية فإن نسبتها إليه تعالى ليست كنسبتها إلى المخلوق فيكون مثل هذا تكبر أو لا يحتاج الكبير إلى هذا كله فتبين لك المفاضلة بين الكبير و المتكبر و أما المفاضلة التي لهذه الكلمة أعني قولك الله أكبر فهي كلمة مفاضلة على كل اسم من الأسماء الإلهية بما يعطيه فهم الخلق فيه أعني في كل اسم اسم لأن فهم العالم لا بد أن يكون يقصر عما هو الأمر عليه و لا يتمكن أن يقبل توصيل ذلك لو تمكن أن يوصله الحق إليك فنحن لا قوة لنا على التحصيل و لا قوة في نفس الأمر على التوصيل فلا بد من قصور الفهم فتدل لفظة الله أكبر من كل ما أعطاه فهم من نسبة الكبرياء إلى الله بأي اسم كان من الأسماء الإلهية بهذا اللفظ و غيره فإن الله يقال فيه إنه أعظم و أكرم و أجل و أعلى و أرحم و أسرع و أحسن و أحكم و أمثال ذلك مما لا يحصى كثرة ألا ترى إلى المشركين لما قالوا أعل هبل أعل هبل و هبل اسم صنم كان يعبد في الجاهلية و هو الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلي في باب بني شيبة هو مكبوب على وجههفقال النبي ص لأصحابه لما سمع المشركين يقولون ذلك قولوا الله أعلى و أجل يعني بالمفاضلة عندهم في اعتقادهم فساقه في معرض الحجة عليهم لأن النبي ص ما دعاهم إلا إلى الايمان بالله الذي هو عندهم و في اعتقادهم أعلى و أجل من هبل و من سائر الآلهة بما قالوه عن نفوسهم فقالوا مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ فاتخذوهم حجبة فالله أعلى و أجل من هبل عندهم فكان ذلك تنبيها من رسول الله ص للمشركين فإنه في نفس الأمر ليس هبل بإله حتى يكون الله أعلى و أجل في الألوهة من هبل و لو قالها رسول الله ص على طريق المفاضلة في نفس الأمر لكان تقريرا منه ص لألوهة هبل إلا إن الله أعلى منه و أجل في الألوهة و هذا محال على النبي ص و على كل عالم

أن يعتقده لأنه الجهل المحض على كل وجه فهذه أيضا مفاضلة مقررة شرعية في قولك الله أكبر فصاحب هذا الهجير بطريق المفاضلة يطالعه الحق بسريان هويته في جميع الخلق مثل قوله في الصحيح إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده هو قوله كنت سمعه و بصره و يده و رجله إلى غير ذلك و قوله فبي يسمع و بي يبصر و لكن نسبة القول إليه دون نسبة القول إليه بلسان عبده أعلى من نسبة القول إليه بلسان الخلق فهو أكبر في ذاته من كبريائه في خلقه فاعلم ذلك فنقول عند ذلك الله أكبر مفاضلة إذ لم يخرج عنه كأنه يقول ذكرك نفسك أعظم و أكبر من ذكري إياك و إن ذكرتك بك فلا بد للنسبة من أثر لأن غاية شرف ذكري إياك أن أذكرك بك فتكون أنت الذاكر نفسك بلساني و نسبة الذكر إليك أكبر من نسبته إلي و لو كنت بك «فصل» في الذكر لا على طريق المفاضلة و ينقسم أيضا الذاكرون به هنا على هذا الوجه إلى قسمين طائفة تمنع المفاضلة في الذكر لأنه عين كل ذاكر من حيث ما هو ذاكر فلا ترى ذاكرا إلا الله و هو من حيث هويته و عينه لا يقبل المفاضلة لأن الواحد لا يفضل نفسه فينتج له هذا الذكر على هذا الحد كشف هذا ذوقا فيتبين له أنه الحق عينه و طائفة أخرى و هم القسم الآخر لا يرون التفاضل إلا مع وجود المناسبة و لا مناسبة بين الله و بين خلقه فذكر الله نفسه ذكر و ذكر العبد ربه ذكر كل على حقيقة لا يقال هذا الذكر أفضل و لا أكبر من هذا بل هو الذكر الكبير من غير مفاضلة لله تعالى و هو في حق العبد المذكور كبير عند العبد لا أكبر فإن العبد عبد لذاته و الرب رب لذاته فلا يحجبنك ما تراه من تداخل الأوصاف فإن ذلك و إن كان حقيقة فكل حقيقة على ما هي عليه ما لها أثر في الأخرى يخرجها عما تقتضيه ذاتها فالحقائق لا تتبدل و لو تبدلت لارتفع العلم من الله و من الخلق فإذا ذكر من هذه صفته أنتج له ذلك كشفا و ذوقا إن الأمر كما نواه و قال به «فصل» في الذكر به من حيث ما هو ذكر مشروع (اعلم) أن الذاكر به على ما ذكرنا من كونه ذكرا مشروعا ينقسم إلى قسمين طائفة تذكره على أنه مشروع للخلق و يقولون بأن الله تعالى لما أوجد العالم ما خلقهم إلا ليعبدوه و يسبحوه فما من شيء إلا و هو يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و لكن لا نفقة تسبيحه و قال وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فخلق العالم لعبادته فهؤلاء إذا ذكروا الله ذكروه من حيث إن الله شرع لهم كيف يذكرونه و لا يعلمون ما تحت ذلك الذكر المشروع عند الله و إن علموه في اللسان فينتج لهم هذا الذكر لما ذا شرعه الحق في العالم بهذا القول الخاص دون غيره أي ذكر كان و القسم الآخر يعتقد أن العالم ما اكتسب من الحق إلا الوجود و ليس الوجود غير الحق فما أكسبهم سوى هويته فهو الوجود بصور الممكنات و ما يذكره إلا موجود و ما ثم إلا هو فما شرع الذكر إلا لنفسه لا لغيره فإن الغير ما هو ثم و هو عالم بما شرع فيفتح لصورة الممكن ما ذكرناه كشفا هذا الذكر و هو قولهم لا يذكر الله إلا الله و لا يرى الله إلا الله فالمفيد و المستفيد عين واحدة فهو ذاكر من حيث إنه قابل و هو مذكور من حيث إنه عين مقصودة بالذكر و العالم على أصله في العدم و الحكم له فيما ظهر من وجود الحق فما ثم إلا الحق مجملا و مفصلا لأن المحدث إذا قرنته بالقديم لم يبق له أثر و إن بقي له عين فإن العين بلا أثر ما هي معتبرة و لهذا قلنا فيمن دل على معرفة الواجب لنفسه لا يتمكن له أن يثبت له أثرا حتى يعلم أن هذه الآثار الكائنة في العالم تحتاج إلى مستند لإمكانها فعند ذلك يقوم لهم البرهان على استنادها لواجب الوجود لنفسه و ذلك كمال العلم فإن الكمال للمرتبة أي بالمرتبة و التمام بما ترجع إليه في نفسها أعني التام فينتج لهذا القسم هذا الذكر

ما قررناه من أنه يستحيل أن يذكره إلا هو أو يسمع ذكره إلا هو أو يكون المذكور إلا هو و من ذكرت به فهو المذكور لا أنت هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً حتى ذكر بربه فكان مذكورا بربه لا به و سيرد في باب الأسماء الإلهية ما يشفي في هذا النوع إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الستون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان هجيره و منزله سبحان الله»

إن الوجود على التسبيح فطرته	فهو المنزه عن مثل و تشبيه
و ثم في ثان حال جاء يعلمنا	بأنه رب تشبيه و تنزيه
له النقيضان فهو الكون أجمعه	يدري بذلك ذو فكر و تنبيه

قال الله عز و جل فَسُبْحانَ اللّٰهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ و قد ورد الأمر بالتسبيح في القرآن في مواضع كثيرة و لكل موضع حكم ليس للآخر و تنقسم الطوائف في تسبيح الحق بحسب كل آية وردت في القرآن في التسبيح لو لا التطويل أوردناها و تكلمنا على الذاكر بها (اعلم) أن هذا الذكر ينتج للذاكر به ما قاله أبو العباس بن العريف الصنهاجي في محاسن المجالس لما ذكر حال العابد و المريد و العارف قال و الحق وراء ذلك كله لا بد من ذلك و إن كان مع ذلك كله أو عين ذلك كله فهو مع ذلك كله بقوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و هو عين ذلك كله بقوله تعالى سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي الْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ و هو من وراء جميع ما ذكره محيط بقوله وَ اللّٰهُ مِنْ وَرٰائِهِمْ مُحِيطٌ و بقوله أَلاٰ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ فمن أراد أن يسبح الحق في هجيره فليسبحه بمعنى قوله وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ أي بالثناء الذي أثنى به على نفسه فإنه ما أضافه إلا الله هكذا هو تسبيح كل ما سوانا فإنا لا نفقه تسبيحهم إلا إذا أعلمنا الله به و هذا ضد ما تعطيه حقيقة التسبيح بل هذا تسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة من التوبة فإن التسبيح تنزيه و لا ينزه إلا عن كل نعت محدث يتصف به المخلوق و ما نزل إلينا من الله نعت في كتاب و لا سنة إلا و هو شرب المخلوق و جعل ذلك تعالى حمد نفسه و ذكر عن كل شيء أنه يسبح بحمده أي بالثناء الذي أنزله من عنده وَ الْمَلاٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً فمن سبحه عن هذه المحامد فما سبحه بحمده بل أكذبه و إنما سبحه بعقله و دليله في زعمه و الجمع بين الأمرين أن تسبحه بحمده و هو التنزيه عن التنزيه و ذلك عين الاشتراك في النسبة كعدم العدم الذي هو وجود و إن أرادوا به المبالغة في التنزيه فذلك ليس بحمد الله بل حمد الله نفسه بما ذكرناه فإذا سبحه بحمده و هو الإقرار بما ورد من عنده مما أثنى به على نفسه أو مما أنزله عليك في قلبك و جاء به إليك في وجودك مما لم ينقل إليك و اجعل ذلك التسبيح كالصورة و اجعل قوله و الحق وراء ذلك كله كالروح التي لا تشاهد عينها لتلك الصورة و يكفيك من العلم بها مشاهدتك أثرها فإنك تعلم أن وراء تلك الصورة أمرا آخر هو روحها كذلك تعلم أن الحق وراء كل ثناء لك فيه شرب و من المحال أن يكون عندك ثناء على الله معين في الدنيا و الآخرة لا يكون لك فيه شرب فإنه لا يصح لك أن تثني عليه بما لا تعقله و مهما عقلت شيئا أو علمته كان صفتك و لا بد فلا يصح في الكون على ما تعطيه الحقائق التسبيح الذي يتوهمه علماء

الرسوم و إنما يصح التسبيح عن التسبيح ما دام رب و عبد و لا يزال عبد و رب فلا يزال الأمر هكذا فسبح بعد ذلك أو لا تسبح فأنت مسبح شئت أو أبيت و علمت أم جهلت و لو لا ما هو الأمر على هذا في نفسه ما صح أن يظهر في العالم عين شرك و لا مشرك و قد ظهر في الوجود المشرك و الشرك فلا بد له من مستند إلهي عنه ظهر هذا الحكم و ليس إلا ما ذكرنا من أن العبد له شرب في كل ما يسبح به ربه من المحامد و أعلى المحامد بلا خلاف عقلا و شرعا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ثم تمم الآية لنعرف المقصود و يصح أول الآية فقال وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فلو لم يتمم لكان أول الآية يؤذن بأنا لسنا بعبيد و ليس هو لنا بإله فلا بد من رابط و ليس إلا الاشتراك إلا أنه عين الأصل في ذلك و نحن فيه كنسبة الفرع إلى الأصل و الولد إلى الوالد و إن كان على صورته فليس هو عينه فارتبط به فلا ينسب إلا إليه لأن له عليه ولادة و غيره من الناس من أبناء جنسه ما له عليه ولادة فلا يقال إنه ابنه و نسبتنا من وجه مثل هذه النسبة لأن الوجود له و هو الذي استفاد منه المحدث إلا إن النسبة التي ورد بها السمع نسبة العبد إلى السيد و المخلوق إلى الخالق و الرب إلى المربوب و المقدور إلى القادر و المصنوع إلى الصانع فإن نسبة البنوة أبعد النسب لتقلبه في الأطوار بما ليس للأب فيه تعمل و إنما له إلقاء الماء في الرحم عن قصد بنوة و عن لا قصد فبعدت النسبة لذلك كانت النطفة مخلقة و غير مخلقة و لو كان الأمر فيها للأب لكانت تامة أبدا أ لا ترى إلى النسبة القريبة في خلق عيسى الطير بيده ثم نفخ فأتم خلقه فقربت نسبة الخلق إليه و كذلك صنائع المخلوقين كلهم فالبنوة من الأبوة أبعد نسبة من جميع الأمور و هي أصح النسب و ما كفر من قال إن المسيح ابن الله إلا لاقتصاره و كذلك كفر من قال نَحْنُ أَبْناءُ اللهِ وَ أَحِبّاؤُهُ لاقتصارهم لأنهم ذكروا نسبة تعم كل ما سوى الله إن كانت صحيحة فإن لم تكن في نفس الأمر صحيحة فهم و العالم فيها على السواء و لما كان الأمر النسبي في تولد العالم عن الله و أن وجوده فرع عن الوجود الآلي نبه تعريضا في تصريح لمن فهم الإشارة و قسم العبارة و ذلك بقوله لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً فجوز ذلك و إنما نفى تعلق الإرادة باتخاذ الولد الإرادة لا تتعلق إلا بمعدوم و الأمر وجود فلا تعلق للإرادة فإن المقصود حكم البنوة لا عين الشخص المسمى ابنا ثم تمم فقال لَاصْطَفىٰ مِمّا يَخْلُقُ ما يَشاءُ فتدبر هذه الآية إلى تمامها و كذلك قوله تعالى لَوْ أَرَدْنا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لَاتَّخَذْناهُ مِنْ لَدُنّا إِنْ كُنّا فاعِلِينَ أي ما كنا فاعلين إن نتخذه من غيرنا لأنها بن مريم المدعو بالابن و من جعل إن شرطا لا نفيا يكون معنى إِنْ كُنّا فاعِلِينَ إن نتخذ لهوا نتخذه من عندنا لا من عندكم فإنه ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللهِ باقٍ و إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ فما عندنا هو عند الله و نحن من عند الله و سيأتي هذا الهجير فإنه حال بعض الأقطاب فاعترف الحق بما أنكر و لذلك يكون الإنكار اعترافا بأن دعوى المدعي باطلة فيلزمه اليمين ما لم تقم بينة و بعد أن حصل من البيان ما حصل فلا بد أن نبين ما بقي في المسألة بالإجمال و هو أن التسبيح إذا سبح به المسبح أعني بلفظه الخاص به الدال عليه فلا بد أن يقيده باسم ما من الأسماء الإلهية الظاهرة أو المضمرة و المضافة و المطلقة و هو أن يقول سبحان الله أو سبحان الرب أو العالم فهذا معنى الاسم الظاهر و أما الاسم المضمر فمثل قوله سبحانه و سبحانك و أما المضاف فقوله سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ و أما المطلق سُبْحانَ اللهِ وَ تَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ فأي اسم نسبحه من أسماء الله تعالى و بأي حال نربطه فإن النتيجة التي تحصل لهذا الذاكر مناسبة لذلك الاسم و مرتبطة بتلك الحال

و لا يظهر له صورة في الذاكر إلا بهذه المناسبة الخاصة فلا يتعين في هذا الذكر لنا أمر نقتصر عليه إلا ما ذكرناه مما يعم حكمه فإن النتائج تختلف فإن المحامد لا تقف عند حد و المسبح لا يسبحه إلا بحمده و تتبعنا الكتاب و السنة في طلب الأسماء فوجدناها تدور على الله و الرب المضاف و الاسم الناقص و الاسم المضمر كالهاء و الملك و العلي فالله قوله فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ و الرب قوله سُبْحانَ رَبِّكَ و الاسم الناقص سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ و المضمر قوله سُبْحانَهُ وَ تَعالى و الملك مثل الذي ورد في السنة سبحان الملك القدوس و العلي كما ورد في السنة سبحان العلي الأعلى و قد ورد من غير تقييد في السنة مثل قوله سبوح و هذا ذكر المذكور و نتيجته أعظم النتائج لأنه كناية عن عين المسبح بالتسبيح فاسمه هنا عينه و هذا أكمل تسبيح العارفين لأنه غاب عن الاسم فيه بالمسمى

إلا إذا ما تراهم هلكوا فاسلك مع القوم أية سلكوا

بمعزل عنهم إذا سلكوا و هلكهم أن ترى شريعتهم

تأسيا بالاله إذ تركوا فاتركهم لا تقل بقولهم

فإن جماعة من العقلاء جعلوا الشريعة بمعزل فيما زعموا و الشريعة أبدا لا تكون بمعزل فإنها تعم قول كل قائل و اعتقاد كل معتقد و مدلول كل دليل لأنها عن الله المتكلم فيه قد نزلت و إنما قلنا في هذه الطائفة المعينة إنها جعلت الشريعة بمعزل مع كونها قالت ببعض ما جاءت به الشريعة فما أخذت من الشريعة إلا ما وافق نظرها و ما عدا ذلك رمت به أو جعلته خطابا للعامة التي لا تفقه هذا إذا عرفت و اعتقدت أن ذلك من عند الله لا من نفس الرسول و هو قوله تعالى الذي قال عنهم على طريق الذم لهم وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا و قال تعالى أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فهذا معنى قولي إنهم جعلوا الشرع بمعزل و إن كان قد جاء الشرع بما هم عليه فما أخذوا منه ما أخذوا من كون الشرع جاء به و إنما قالوا به للموافقة احتجاجا و طائفتنا لا ترمي من الشريعة شيئا بل تترك نظرها و حكم عقلها بعد ثبوت الشرع لحكم ما يأتي به الشرع إليها و يقضي به فهم سادات العالم

و مع المجد يملكون إنما القوم سادة

معهم حيث يسلكون أية يسلكون كن

للذي شاء أن يكون إنما القول منه كن

من فعلهم يهون كل شيء يريده الحق

و هو سهل فلا يهون و الذي لا يريده

و اعلم أن الله تعالى لما جعل بين الأشياء مناسبات ليربط العالم بعضه ببعض و لو لا ذلك لم يلتئم و لم يظهر له وجود أصلا و أصل ذلك المناسبة التي بيننا و بينه تعالى لولاها ما وجدنا و لا قبلنا التخلق بالأسماء الإلهية فما من حضرة له تعالى إلا و لنا فيها قدم و لنا إليها طريق أمم و

سأورد ذلك إن شاء الله في باب الأسماء الإلهية من هذا الكتاب و أعظم الحضرات الإلهية في هذا الباب أنه لا يشبهه شيء و ما ثم إلا نحن و من لم يشبهك فلم تشبهه فكما انتفت المثلية عنه انتفت المثلية عن العالم و هو كل ما سواه بالمجموع فإن العالم إنسان واحد كبير لا يماثل أي لا مثل له و لهذا هو كل مبدع على غير مثال فلا يخلو أهل الله إما أن يجعلوا الحق عين العالم فلا يماثله شيء لأنه ليس ثم إلا الله و العالم صور تجليه ليس غيره فهو له و إن كان العالم وجودا آخر فما ثم إلا الله و مسمى العالم فلا مثل لله إلا أن يكون إله و لا إله إلا الله فلا مثل لله و لا مثل للعالم إلا أن يكون عالم و لا عالم إلا هذا العالم و هو الممكنات فلا مثل للعالم فصحت المناسبة من وجهين من نفي المثلية و من قبوله للأسماء و الحضرات الإلهية و كل ما في العالم من المماثلة بعضه ببعض فإنه لا يقدح في نفي المماثلة فإن تفاصيل العالم و أجزاءه المتماثلة و المختلفة و المتضادة كالاسماء لله المختلفة و المتماثلة و المتضادة كالعليم و العالم و العلام هذه متماثلة و هو أيضا الضار النافع فهذه المتضادة و هو العزيز الحكيم فهذه المختلفة و مع هذا فليس كمثله شيء فهذه الآية له و لنا من أجل الكاف و الاشتراك يؤذن بالتناسب و إذا كان لا بد من التناسب فنظرنا أي شيء من المناسبات بين الحج و التسبيح حتى شبهه به تعالى فقلنا إن التسبيح هو الذكر العام في قوله وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و قال ص إنما شرعت المناسك لإقامة ذكر الله لاختلاف العالم لأن ذكر الله كله تسبيح بحمده أي بما أثنى على نفسه كما جعل التهليل مماثلا لعتق الرقاب النفيسة و العتق إنما هو أمر يخرج العبد من العبودية و لا يخرج من العبودية إلا أن يكون الحق سمعه و بصره و جميع قواه فيكون حقا كله فناسب قوله لا إله إلا الله و قد يكون عتق الرقاب من الألوهية بالعبودة فإن الشخص يتقيد بالربوبية فيطلب منه ما ليس بيده منه شيء و إنما ذلك بيد الله فيحار فيعتقه الله من هذه النسبة إليه بما أظهر فيه عند المعتقد فيه ذلك من الجبر و الافتقار و سلب هذه الأوصاف فعاد حرا في عبوديته فلم يكن له قدم في الربوبية فاستراح فهذا عتق أيضا شريف حيث تخلص لنفسه من تعلق الغير به كما خلص بالتهليل الألوهة لله من رق الدعوى بالآلهة المتخذة و هو قولهم أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً واحِداً كما هو الأمر في نفسه إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ فجعل ص بوحيه المنزل و كشفه الممثل التهليل مناسبا لعتق الرقاب كما جعل التحميد مناسبا للحمل في سبيل الله و هو باب النعم و الحمد لله شكرا لما يكون منه كما يكون من الأسباب للمسببات شكر بما نراه من آثارها فيها كما قال أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ و قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً و سيرد في هجير الحمد لله ما يشفي الغليل إن شاء الله تعالى و كذلك من كبر ناسب بين التكبير و بين عظم ما لصاحبه من غير تعيين و ما قرنه بشيء معين مثل ما فعل في التسبيح و التحميد و التهليل فقيد هناك و أطلق هنا ليشمل الذكر التقييد و الإطلاق و قد ورد في هذا خبر حسن عن رسول الله ص أنه من سبح الله مائة بالغداة و مائة بالعشي و هو قوله عز و جل وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها و قوله فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ و قرن ذلك بالمائة لأنه ليس لنا دار نسكنها إلا الجنة أو النار و الجنة مائة درجة فمن أكملها مائة فقد حاز من كل درجة حظا وافرا بحسب ذكره بما يناسب ذلك الذكر من تلك الدرجات و كذلك دركات النار مائة درك تقابل درج الجنان له من جانب النار بهذا الذكر التنزيه من كل درك و له من الجنان الإنعام من كل درج فاعلم ذلك ثم نرجع إلى سرد الحديث و هو ما حدثنا به زاهر بن

رستم الأصفهاني عن الكروخي عن الثلاثة محمود الأزدي و التریاقي و العورجي كلهم عن الجراجى عن المحبوبي عن أبي عيسى الترمذي قال حدثنا محمد بن رزين الواسطي قال حدثنا أبو سفيان الحموي عن الضحاك بن حمزة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ص من سبح الله مائة بالغداة و مائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة يعني مقبولة و من حمد الله مائة بالغداة و مائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله أو قال غزا مائة غزوة و من هلل الله مائة بالغداة و مائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل و من كبر الله مائة بالغداة و مائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد بأكثر مما أتى إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قالقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب و لما كان التسبيح بحمده قربة بهفقال في الصحيح عن رسول الله ص في سبحان الله و الحمد لله إنهما يملآن أو يملأ ما بين السماء و الأرضو أراد قوله سبحان الله و بحمده فإن الحمد لله تملأ الميزان فإنها آخر ما يجعل في الميزان فيها يمتلئ كما قال وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ فالحمد لله له التأخير في الأمور لأن له الساقة و لا إله إلا الله له التقدمة و سبحان الله له الميسرة و الله أكبر له الميمنة و القلب له لا حول و لا قوة إلا بالله فأثبت العبد و الرب فاستصحاب الاسم الله لكل تسبيح و تحميد و تكبير و تهليل هو معطي القوة لذلك التسبيح أو التهليل أو التحميد و التكبير لأنه لفظ يمكن أن يطلق إذا أطلق و يقيد بغير الله في الإضافة بأن يسبح شخصا ليس الله و يكبره و يحمده و يهلل ما ليس بإله كقوم فرعون فلا قوة لهذا الذكر على أمثاله إلا بالله فإنه ما يتجلى لك بشيء ليس هو الله فيقول لك أَنَا اللّٰهُ فتقول له أنت بالله إلا انعدم من ساعته إذ لم يكن الله و ما رأيت من شهد هذا المشهد من رجال الله إلا رجل واحد من أهل قرطبة كان مؤذنا بالحرم المكي يقال له موسى بن محمد القباب كان من ساداتهم و هو تلميذ أبي الحسن بن خرازم بفأس فلا قوة على الثبوت إلا بالله حتى لو قالها بكلام الحق على لسان ذلك المتجلي و يقول له صاحب الكشف أنت بالله ما انعدم و ثبت فهذا بعض ما ينتجه هذا الذكر و الحمد لله وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الستون و أربعمائة في حال قطب كان منزله الحمد لله»

الحمد لله في قيد و إطلاق مثل الفروع التي قامت على ساق
يمدها بالذي تبديه من ثمر لشاهد الحس في أنفاس أعراق
و نحن فرع لمن أبدى حقائقنا ذات بذات و أخلاق بأخلاق

قال الله تعالى آمرا قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِاعلم أن الحمد و المحامد هي عواقب الثناء و لهذا يكون آخرا في الأمور كما ورد أن آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و قوله ص في الحمد لله إنها تملأ الميزانأي هي آخر ما يجعل في الميزان و ذلك لأن التحميد يأتي عقيب الأمور ففي السراء يقال الحمد لله المنعم المفضل و في الضراء يقال الحمد لله على كل حال و الحمد و هو الثناء على الله و هو على قسمين ثناء عليه بما هو له كالثناء بالتسبيح و التكبير و التهليل و ثناء عليه بما يكون منه و هو الشكر على ما أسبغ من الآلاء و النعم و له العواقب فإن مرجع الحمد ليس إلا إلى

الله فإنه المثنى على العبد و المثنى عليه و هو قوله ص أنت كما أثنيت على نفسك و هو الذي أثنى به العبد عليه فرد الثناء له من كونه مثنيا اسم فاعل و من كونه مثنيا عليه اسم مفعول فعاقبة الحمد في الأمرين له تعالى و تقسيم آخر و هو أن الحمد يرد من الله مطلقا و مقيدا في اللفظ و إن كان مقيدا بالحال فإنه لا يصح في الوجود إطلاق فيه لأنه لا بد من باعث على الحمد و ذلك الباعث هو الذي قيده و إن لم يتقيد لفظا كأمره في قوله تعالى قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فلم يقيد و أما المقيد فلا بد أن يكون مقيدا بصفة فعل كقوله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ و كقوله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى‏ عَبْدِهِ الْكِتابَ و الْحَمْدُ لِلَّهِ فاطِرِ السَّماواتِ و قد يكون مقيدا بصفة تنزيه كقوله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً و اعلم أن الحمد لما كان يعطي المزيد للحامد علمنا أن الحمد بكل وجه شكر و كذلك ما أعطى المزيد من الأذكار فهو شكر فهو حمد كله لأنه ثناء على الله فأما زيادته التي تحصل لمن أثنى عليه بما هو عليه فهي أن يعطيه الحق من العلم الذاتي به سبحانه ما يثني به عليه و هو قوله وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و أما إذا أثنى عليه بما يكون منه فإنه يزيده من ذلك ليثابر عليه بالثناء على الله به فعلى كل حال يعطي الزيادة و إن كان بين التحميدين فرقان و لكن من حيث ما هو تحميد من الخلق فهو عطاء أعطاه الله إياه و كل عطاء يقبل المعطي الزيادة منه فإنا لا نحمده إلا بما أعلمنا أن نحمده به فحمده مبناه على التوقيف و قد خالفنا في ذلك جماعة من علماء الرسوم لا من العلماء الإلهيين فإن التلفظ بالحمد على جهة القربة لا يصح إلا من جهة الشرع و لو استصبح هذا المخالف بنور الإنصاف لعلم أن الصدق حسن و هو يقول به إنه حسن لذاته و مع هذا فإنه يقبح في مواطن و يأثم القائل به فلهذا لا يتمكن أن يقال على جهة القربة و إن عقل إنه خير إلا حتى يقول الحق اذكروني فأما إن يطلق بكل ذكر ينسب إليه الحسن في العرف و هو من مكارم الأخلاق و إما أن يقيده فيعين ذكرا خاصا فالثناء على الله بما هو فاعل ثناء عرفي يثني به المخلوق على الخالق ما لم ينه عنه إذا كان ذلك الثناء مما يعظم في العالم فقد يكون من حيث ما هو فاعل و ليس بعظيم في العالم فإذا ذكر بما هذا مثله نكر و مثاله أن تقول الحمد لله خالق كل شيء فيدخل فيه كل مخلوق معظم و محقر و مثال المعظم في العرف أن تقول الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ و مثل ذلك و لا ينبغي أن يعين في الثناء خلق المحقر عرفا و المستقذر طبعا و إن دخل في عموم كل شيء و لكن إذا عين لا يقتضيه الأدب بل ينسب معينه إلى سوء الأدب أو فساد العقيدة مع صحة ذلك و لا أمثل به فإني أستحيي أن يقرأ مع الزمان في كتابي فلذلك لم نمثل به كما مثلت بالعام و بالعظيم و الكل منه و نعمته و لو لا حقارة ذلك بالعرف لم نقل به فإني ما أرى شيئا ليس عندي بعظيم لأني أنظر بعين اعتناء الله به حيث أبرزه في الوجود فأعطاه الخير فليس عندنا أمر محتقر و هذا شهود القوم فالكل نعمته ظاهرة و باطنة فظاهرة ما شوهد منها و باطنة ما علم و لم يشهد و ظاهرة التعظيم عرفا و باطنة التعظيم عند أهل الله و أهل النظر المستقيم مما ليس بعظيم في الظاهر لأن هذا الأمر شبيه بالآيات المعتادة و الآيات غير المعتادة فالآيات المعتادة ما هي آيات إلا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و لا فرق بينها و بين الآيات غير المعتادة مثل حركات الأفلاك و اختلاف الليل و النهار و ما يظهر في فصول السنة من الأرزاق و الأمور المعادة و المسخرات فلا يتنبه بها إلا كل ذي عقل سليم إنها آيات و أما غير المعتادة فهي آيات للجميع فتنبعث النفوس للثناء على الله بها دون المعتادة فصاحب هجير الحمد المطلق الذي لا يقيده الذاكر بشيء

من الصفات و إن اختلفت عليه الأحوال فما هي بواعث لذلك الذكر و إنما هو الباعث الأول الذي به أطلق الذكر فهو تقييد في إطلاق فينتج له جميع ما يعطيه كل تحميد مقيد بنعت ما من النعوت أو اسم أو صفة ما لم يقف صاحب هذا الذكر مع حال من الأحوال لما يحصل له فيه من الحلاوة فيقيده ذلك الاستحلاء و إن أطلقه في اللفظ فلا ينتج له بعد ذلك إلا ما يناسب الحال الذي أعطاه الاستحلاء فإنه ذو صفة فهو بحيث هي و زال عنه بها الحكم الأول قيل لأبي يزيد كيف أصبحت فقال لا صباح لي و لا مساء إنما الصباح و المساء لمن تقيد بالصفة و أنا لا صفة لي فلا يقف صاحب هذا الذكر مع أمر يرد عليه من الحق يقيده فهو مع كل وارد بحسب الوارد من غير تعلق بمعية فمعيته مع الوارد معية الحق مع عباده حيث ما كانوا لعلمه أنهم لا يكونون إلا بحسب أسمائه الحاكمة عليهم و المتصرفة فيهم فهو مع أسمائه لا معهم و لكن ما وقع الإخبار إلا إن الله معهم أينما كانوا كذلك الواردات لا تتعين للعبد إلا بحسب استعداده الذي أعطاه ذكره و ذكره من فعله في معيته مع الواردات مع نفسه كما ذكرنا في معية الحق على السواء وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الستون و أربعمائة في حال قطب كان منزله الحمد لله على كل حال»

الحمد لله على كل حال فهو الذي يعم حال الوجود
و ما علي حمد الذي قاله إذا تلفظت به من مزيد
و جاء ذا عنه به قائلا قد جاء ما قد كنت منه تحيد
فإنه ناداك من حضرة من قبل هذا في مقام الشهود
بأنه ليس بغير له فلا يغرنك حبل الوريد
فأنت رب و أنا عبده و يثبت الرب بكون العبيد
فلا تقل في كونه إنه يقول يوم العرض هَلْ مِنْ مَزِيدٍ

اعلم أيدك الله و إيانا بروح منه أن رسول الله ص كان يقول في السراء الحمد لله المنعم المفضل و كان يقول في الضراء الحمد لله على كل حال ثبت هذا في الصحاح فعلمنا أنه ذكر أدب إلهي لأنه ما قيده باسم كما قيد حمد السراء بالمنعم المفضل و من أسمائه الضار كما من أسمائه النافع و لم يتعرض في هذا الحمد إلى ذكر الاسم الضار و لم يكن ذلك عن هوى بل عن وحي إلهي يوحى فإنه الصادق القائل إن الله أدبني فأحسن أدبي فعلمنا إن هذا الذكر من جملة الآداب على هذه الصفة و قد أوحى الله أن نتبع ملة إبراهيم و من آداب إبراهيم ع مع ربه قوله وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ فنسب الشفاء إلى ربه و لم ينسب إليه المرض لأنه شر في العرف بين الناس و إن كان في طيه خير في حق المؤمن فأخبر الله نبيه بحديث إبراهيم و قوله هذا تعليما له ص ليتأدب بأدبه فقال رسول الله ص و الشر ليس إليك و من كونه خلقا يحس بالألم الحسي و النفسي كما يحس باللذات المحسوسة و المعنوية و يعلم الفرقان بينهما و أن السرور يصحب الالتذاذ و أن الحزن يصحب الألم طبعا فلذلك عدل في الضراء

إلى حمد الله على كل حال و الأحوال في العالم ما هي بأمر زائد على الشأن الذي ألحق فيه بل هو عين الشأن كل حال يطرأ في الوجود مما يوافق الغرض و يلائم الطبع و مما لا يوافق الغرض و لا يلائم الطبع و إن كان الأمر في ذلك من القابل لأنا رأينا ما يتضرر به زيد يلتذ به عمر و فعلمنا إن العلة في القابل و أن الأمر الآتي منه تعالى واحد العين لا انقسام فيه فينقسم فينا أمره و يتعدد و لما عم هذا الذكر جميع الأحوال فإن تحقق الذاكر الله به ما وضع له فهي دعوى فإن الله لا بد أن يبتلي الشخص الذي يذكر الله بهذا الذكر على هذا الحد فإن الدعوى تفتح باب الابتلاء في القديم و الحديث إن فهمت و إن كان الذاكر به ما خطر له أصل وضعه بخاطر بل ذكر الله به لكونه مشروعا من غير وقوف مع السبب في وجوده و تشريعه فقد يبتليه الله و قد لا يبتليه و إن قيده هذا الذاكر أعني ذلك الذكر بأنه ثناء على الله لجهة الخير لا يقصد به أصل وضعه و لا يقوله بدعوى إنه الحامد ربه على كل حال و إنما يقول ذلك مخبرا أن الله محمود على كل حال فإنه ما من حال كما قررناه إلا و له وجه في الخلق إلى الالتذاذ به و التألم به فما من حال إلا و يحمد الله عليه حمد سراء و حمد ضراء ألا تراه في السراء كيف يقول الحمد لله المنعم المفضل فمن إنعامه و فضله إن جعل صاحب الضراء يحمد الله و لهذا يعافيه و يحول بينه و بين تلك الضراء لأن حمده شكر على هذا الإفضال و هو أن ألهمه و استعمله في حمد الله و لم يستعمله في الضجر و السخط فعافى باطنه بما ألهمه إليه من التحميد فزاده الله عافية بإزالة الضراء عنه و هذا معنى دقيق مندرج في الحمد لله على كل حال و إنه مساو لحمد السراء و هو الحمد لله المنعم المفضل و بزيادة و هذا من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ص و تختلف أحوال الذاكرين الله بهذا التحميد فكل حامد به ينتج له بحسب قصده و علمه و باعثه و قد فصلناه تفصيلا كما أنزله الحق عز و جل في قلوب الذاكرين الله به تنزيلا فهو حمد سراء و حمد ضراء وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الستون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ»

إن الوجود منطق و منطق — و مصدق و مصدق فتفكروا
فالشيء يكذب نفسه فمكذب — و مكذب و العين لا تتكثر
فلأي شيء يرجع الأمر الذي — قد قلته في أمرنا فتبصروا
حتى تروه بالعيان ففوضوا — أمر الوجود إليه لا تتحيروا

قال الله عز و جل لنبيه ص أن يقول لقومه حين ردوا دعوته فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ و هو من فاض و لا يفيض حتى يمتلئ فالفيض زيادة على ما يحمله المحل و ذلك أن المحل لا يحمل إلا ما في وسعه أن يحمله و هو القدر و الوجه الذي يحمله المخلوق و ما فاض من ذلك و هو الوجه الذي ليس في وسع المخلوق أن يحمله يحمله الله فما من أمر إلا و فيه للخلق نصيب و لله نصيب فنصيب الله أظهره التفويض فينزل الأمر جملة واحدة و عينا واحدة إلى الخلق فيقبل كل خلق منه بقدر وسعه و ما زاد على ذلك و فاض انقسم الخلق فيه على قسمين فمنهم من جعل الفائض من ذلك إلى الله تعالى فقال وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ و ينسب ذلك الأمر إلى نفسه لأنه لما جاءه ما تخيل أنه يفضل عنه و

تخيل أنه يقبله كله فلما لم يسعه بذاته رده إلى ربه و منهم من لم يعرف ذلك فرجع الفائض إلى الله من غير علم من هذا الذي حصل منه ما حصل فهو إلى الله على كل وجه و ما بقي الفضل إلا فيمن يعلم ذلك فيفوض أمره إلى الله فيكون له بذلك عند الله يد و منهم من لا يعلم ذلك فليس له عند الله بذلك منزلة و لا حق بتوجه قال تعالى قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ و اعلم أن العبد القابل أمر الله لا يقبله إلا باسم خاص إلهي و أن ذلك الاسم لا يتعدى حقيقته فهذا العبد ما قبل الأمر إلا بالله من حيث ذلك الاسم فما عجز العبد و لا ضاق عن حمله فإنه محل لظهور أثر كل اسم إلهي فعن الاسم الإلهي فاض لا عن العبد فلما فوضه بقوله وَ أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهما عين اسما بعينه و إنما فوضه إلى الاسم الجامع فيتلقاه منه ما يناسب ذلك الأمر من الأسماء في خلق آخر فإنه ما لا يحمله زيد و ضاق عنه لكون الاسم الإلهي الذي قبله به ما أعطت حقيقته إلا ما قبل منه و قد يحمله عمر و لأنه أوسع من زيد بل لا أنه أوسع من زيد و لكن عمرو في حكم اسم أيضا إلهي قد يكون أوسع إحاطة من الاسم الإلهي الذي كان عند زيد فإن الأسماء الإلهية تتفاضل في العموم و الإحاطات فيحيط العالم و يحيط العليم فيكون إحاطة العليم أكثر من إحاطة العالم و إحاطة الخبير أكثر من إحاطة غيره و كذلك الاسم المريد مع العالم و الاسم القادر مع المريد و مع العالم تقل إحاطته عنهما و العبد لا بد أن يكون تحت حكم اسم إلهي فهو بحسب ذلك الاسم و ما تعطيه حقيقته من القبول فيرد ما فضل عنه إليه تعالى و ذلك التفويض لمن عقل عن الله قوله فإن اللسان الذي خاطبنا به الحق اقتضى ذلك فنحن معه بقوله لأنه ليس في وسع المخلوق أن يحكم على الخالق إلا من يكون شهوده ما هي الممكنات عليه في حال عدمها فيرى أنها أعطت العلم للعالم بنفسها فقد يشم من ذلك رائحة من الحكم لكن افتقارها من حيث إمكانها يغلب عليها و لهذا ترى النافين للإمكان بالدلالة العقلية يغفلون في أكثر الحالات عما أعطاهم الدليل من نفي الإمكان في نفس الأمر فيقولون بالإمكان حتى يراجعوا و ينبهوا فيتذكروا ذلك فلا بد من أمر يكون له سلطنة في هذا العبد حتى يتصف بالغفلة و الذهول عما اقتضاه دليله و ليس إلا الأمر الطبيعي و المزاج ألا تراه إذا انتقل بالموت الأكبر أو بالموت الأصغر إلى البرزخ كيف يرى في الموت الأصغر أمورا كان يحيلها عقلا في حال اليقظة و هي له في البرزخ محسوسة كما هي له في حال اليقظة ما يتعلق به حسه فلا ينكره فيما كان يدل عليه عقله من إحالة وجود أمر ما يراه موجودا في البرزخ و لا شك أنه أمر وجودي تعلق الحس به في البرزخ فاختلف الموطن على الحس فاختلف الحكم فلو كان ذلك محالا لنفسه في قبول الوجود لما اتصف بالوجود في البرزخ و لما كان مدركا بالحس في البرزخ بل قد يتحقق بذلك أهل الله حتى يدركوا ذلك في حال يقظتهم و لكن في البرزخ فهم في حال يقظتهم كحال النائم و الميت في حال نومه و موته فإن تفطنت فقد رميت بك على طريق العلم بقصور النظر العقلي و إنه ما أحاط بمراتب الموجودات و لا علم الوجود كيف هو إذ لو كان كما حكم به العقل ما ظهر له وجود في مرتبة من المراتب و قد ظهر فليس لعاقل ثقة بما دله عليه عقله في كل شيء فإذا كان صحيح الدلالة سرى ذلك في كل صورة فيعلم في كل صورة يراها في البرزخ و تحصل في نفسه أنه الله فهو الله فما يختلف كونه و إن اختلفت صور تجليه و كذلك عند العارفين به هنا ما يختل عليهم شيء من ذلك و لا في البرزخ و لا في القيامة الكبرى فيشهدون ربهم في كل صورة من أدنى و أعلى و كما هم اليوم كذلك

يكونون غدا و أما أبو يزيد فخرج عن مقام التفويض فعلمنا أنه كان تحت حكم الاسم الواسع فما فاض عنه شيء و ذلك أنه تحققبقوله و وسعني قلب عبديفلما وسع قلبه الحق و الأمور منه تخرج التي يقع فيها التفويض ممن وقع فهو كالبحر و سائر القلوب كالجداول و قال في هذا المقام لو أن العرش يريد به ما سوى الله و ما حواه مائة ألف ألف مرة يريد الكثرة بل يريد ما لا يتناهى في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به ما عين اسما بعينه و إنما فوضه إلى الاسم الجامع فيتلقاه منه ما يناسب ذلك الأمر من الأسماء في خلق آخر فإنه ما لا يحمله زيد و ضاق عنه لكون الاسم الإلهي الذي قبله به ما أعطت حقيقته إلا ما قبل منه و قد يحمله عمرو و لأنه أوسع من زيد بل لا أنه أوسع من زيد و لكن عمرو في حكم اسم أيضا إلهي قد يكون أوسع إحاطة من الاسم الإلهي الذي كان عند زيد فإن الأسماء الإلهية تتفاضل في العموم و الإحاطات فيحيط العالم و يحيط العليم فيكون إحاطة العليم أكثر من إحاطة العالم و إحاطة الخبير أكثر من إحاطة غيره و كذلك الاسم المريد مع العالم و الاسم القادر مع المريد و مع العالم تقل إحاطته عنهما و العبد لا بد أن يكون تحت حكم اسم إلهي فهو بحسب ذلك الاسم و ما تعطيه حقيقته من القبول فيرد ما فضل عنه إليه تعالى و ذلك التفويض لمن عقل عن الله قوله فإن اللسان الذي خاطبنا به الحق اقتضى ذلك فنحن معه بقوله لأنه ليس في وسع المخلوق أن يحكم على الخالق إلا من يكون شهوده ما هي الممكنات عليه في حال عدمها فيرى أنها أعطت العلم للعالم بنفسها فقد يشم من ذلك رائحة من الحكم لكن افتقارها من حيث إمكانها يغلب عليها و لهذا ترى النافين للإمكان بالدلالة العقلية يغفلون في أكثر الحالات عما أعطاهم الدليل من نفي الإمكان في نفس الأمر فيقولون بالإمكان حتى يراجعوا و ينبهوا فيتذكروا ذلك فلا بد من أمر يكون له سلطنة في هذا العبد حتى يتصف بالغفلة و الذهول عما اقتضاه دليله و ليس إلا الأمر الطبيعي و المزاج ألا تراه إذا انتقل بالموت الأكبر أو بالموت الأصغر إلى البرزخ كيف يرى في الموت الأصغر أمورا كان يحيلها عقلا في حال اليقظة و هي له في البرزخ محسوسة كما هي له في حال اليقظة ما يتعلق به حسه فلا ينكره فيما كان يدل عليه عقله من إحالة وجود أمر ما يراه موجودا في البرزخ و لا شك أنه أمر وجودي تعلق الحس به في البرزخ فاختلف الموطن على الحس فاختلف الحكم فلو كان ذلك محالا لنفسه في قبول الوجود لما اتصف بالوجود في البرزخ و لما كان مدركا بالحس في البرزخ بل قد يتحقق بذلك أهل الله حتى يدركوا ذلك في حال يقظتهم و لكن في البرزخ فهم في حال يقظتهم كحال النائم و الميت في حال نومه و موته فإن تفطنت فقد رميت بك على طريق العلم بقصور النظر العقلي و إنه ما أحاط بمراتب الموجودات و لا علم الوجود كيف هو إذ لو كان كما حكم به العقل ما ظهر له وجود في مرتبة من المراتب و قد ظهر فليس لعاقل ثقة بما دله عليه عقله في كل شيء فإذا كان صحيح الدلالة سرى ذلك في كل صورة فيعلم في كل صورة يراها في البرزخ و تحصل في نفسه أنه الله فهو الله فما يختلف كونه و إن اختلفت صور تجليه و كذلك عند العارفين به هنا ما يختل عليهم شيء من ذلك و لا في البرزخ و لا في القيامة الكبرى فيشهدون ربهم في كل صورة من أدنى و أعلى و كما هم اليوم كذلك يكونون غدا و أما أبو يزيد فخرج عن مقام التفويض فعلمنا أنه كان تحت حكم الاسم الواسع فما فاض عنه شيء و ذلك أنه تحققبقوله و وسعني قلب عبديفلما وسع قلبه الحق و الأمور منه تخرج التي يقع فيها التفويض ممن وقع فهو كالبحر و

سائر القلوب كالجداول و قال في هذا المقام لو أن العرش يريد به ما سوى الله و ما حواه مائة ألف ألف مرة يريد الكثرة بل يريد ما لا يتناهى في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به يعني لاتساعه حيث وسع الحق و من هنا قلنا إن قلب العارف أوسع من رحمة الله لأن رحمة الله لا تنال الله و لا تسعه و قلب العبد قد وسعه إلا إن في الأمر نكتة أومئ إليها و لا أنص عليها و ذلك أن الله قد وصف نفسه بالغضب و البطش الشديد بالمغضوب عليه و البطش رحمة لما فيه من التنفيس و إزالة الغضب و هذا القدر من الإيماء كاف فيما نريد بيانه من ذلك فإن الرسل تقول و لن يغضب بعده مثله فالانتقام رحمة و شفاء و لو لا كونه رحمة ما وقع في الوجود و قد وقع و لكن ينبغي لك أن تعلم بمن هو وقوع الانتقام رحمة فبان لك من هنا رتبة أبي يزيد من غيره من العارفين لأنه و أمثاله لا يتكلمون إلا عن أحوالهم و ذوقهم فيها و من أسمائه تعالى الواسع كما ورد فبا تساعه قبل الغضب فلو ضاق عنه ما ظهر للغضب حكم في الوجود لأنه لم يكن له حقيقة إلهية يستند إليها في وجوده و قد وجد فلا بد أن ينسب الغضب إلى الله كما يليق بجلاله و قد وسع القلب الحق و من صفاته الغضب فقد وسع الغضب فلا ينكر على العارف مع كونه ما يرى إلا الله أن يغضب و يرضى و يتصف بأنه يؤذي و إن لم يتأذ فما أذى من لا يتأذى غير أنه لا يقال ذلك في الجناب الإلهي إلا أنه تسمى بالصبور و أعلمنا بالصبر ما هو و على ما ذا يكون و لا نقول هو في حق الحق حلم فإن الحليمكما ورد كذلك ورد الصبور و لكل وارد معنى ما هو عين الآخر فتتغير الأحوال على العارفين تغير الصور على الحق و لو لا ذلك ما تغيرت الأحكام في العالم لأنها من الله تظهر في العالم و هو موجدها و خالقها فلا بد من قيام الصفة به و حينئذ يصح وجودها منه كان الموجد اسم فاعل ما كان و كان الموجد اسم مفعول ما كان فإن لم تعلم التفويض كما ذكرته لك و إلا وقعت في إشكال لا تنحل منه أعني في العلم بالتفويض ما هو فهذا نسبته إلى المخلوق و أما التفويض الإلهي و هو أن يكون هو المفوض أمره إلى عباده فيه فإنه كلفهم و أمرهم و نهاهم فهذا تفويض أمره إلى عباده فإنه فاض عما يجب للحق لأن التكليف لا يصح في حق الحق فلما فاض عنه لم يكن إفاضته إلا على الخلق و أراد منهم أن يقوموا به حين رده إليهم كما يقوم الحق به إذا فوض العبد أمره إلى الله فمنهم من تخلق بأخلاق الله فقبل أمره و نهيه و هو المعصوم و المحفوظ و منهم من رده و منهم من قبله في وقت و في حال و رده في وقت و في حال و كذلك فوض إليهم أمره في القول فيه فاختلفت مقالاتهم في الله ثم أبان لهم على ألسنة رسله ما هو عليه في نفسه لتقوم له الحجة على من خالف قوله فقال في الله ما يقابل ما قاله عن نفسه فلما اختلفت المقالات تجلى لأهل كل مقالة بحسب أو بصورة مقالته و سبب ذلك تفويضه أمره إليهم و إعطاؤه إياهم عقولا و أفكارا يتفكرون بها و أعطى لكل موف حقه في الاجتهاد بنظره نصيبا من الأجر أخطأ في اجتهاده أو أصاب فإنه ما أخطأ إلا المقالة الواردة في الله بلسان الشرع خاصة فحاد عنها بتأويل فيها أداه إليه نظره و ورد شرع أيضا يؤيده في ذلك فما ترك المقالة من حيث عليها و إنما استند فيما ذهب إليه لأمر مشروع و دليل عقل و كونه أصاب أو أخطأ ذلك أمر آخر زائد على كونه اجتهد فإنه ما يطلب باجتهاده إلا الدليل الذي يغلب على ظنه أنه يوصله إلى الحق و الإصابة لا غير

فنحن و إياه فيه سوا ◻ فتكليفه عين تفويضه

و تسبيحه بلسان السوي فتسبيحنا عين تسبيحه

من الذكر لله ما قد نوى و كل امرئ إنما حظه

فتفويضه في قوله وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ و تفويضنا إذ أمرنا أن نتخذه وكيلا فيما استخلفنا فيه فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا و لما كان العالم تحت حكم الأسماء الإلهية و هي أسماؤه فما تلقى تفويضه إلا هو لا نحن فإنه بأسمائه تلقيناه فهو الباطن من حيث تفويضه و هو الظاهر من حيث قبوله فكان الأمر بيننا كما تنزل الأمر بين السماء و هو العلى و بين الأرض و هي الذلول

فإنه أوضحه كونه فهكذا الأمر فلا تخفه

فإنه في كونه عينه و شاهد الحق به ناطق

و هو ما ذكرناه من أنه ما تلقى تفويض الحق إلا اسمه فهو المكلف و المكلف لأنه قال وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فهو عين الموجودات إذ هو الوجود وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و الكلام في هذا الباب يطول و يتداخل و ينعطف بعضه على بعض فيظهر و يخفى فإنه الله الذي لا إله إلا هو لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

«الباب السبعون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»

فأعط ما خلقت له كذاكا كما أعطاك خلقك من حباكا

و ليس يكون مشكورا هناكا و إن لم تعطه فالخلق يعطي

بأن يقضي به وحي أتاكا و حق الحق أولى يا ولي

يبلغك الإله به مناكا فإن تبلغ مناه كما تمنى

قال الله تعالى وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و قضاؤه لا يرد علمنا إن نتيجة هذا الذكر شهود هذه الآية بلا شك فإن الحق هو الوجود و الأشياء صور الوجود فارتبط الأمر ارتباط المادة بالصورة و العبادة ذلة بلا شك في اللسان المنزل به هذا القرآن و الأمر إذا ارتبط بين أمرين لا يمكن لكل واحد منهما أن يكون عنه ذلك الأمر إلا بارتباطه بالأمر الآخر علمنا إن كل واحد من الأمرين المرتبطين للحب الذي قام لكل واحد منهما في ظهور الأمر الثالث و إنه طالب للأمر الثاني فصح الطلب من كل واحد و الحاصل لا يبتغى فلا بد أن يتصفا بالفقد لما يبغيان وجوده و الطلب لا يكون إلا بنوع من الإذلال وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فطلب الدعاء من عباده و طلب العباد الإجابة منه فالكل طالب و مطلوب و قد قام الدليل أن الحوادث لا تقوم به فلا يستقل بكل طلب في ذاته لأن الطلب من الحادث حادث و يستحيل أن يقوم به مثل هذا الطلب فلا بد من طلب وجود ما يقوم به هذا الطلب الحادث و هو قوله إذا أردناه و الطلب إرادة سواء طلبك لنفسه أو طلبك لك على كل حال الحاصل لا يبتغى من الوجه الذي يطلب فإنه من ذلك الوجه ليس بحاصل فلا يصح الوجود أصلا إلا من أصلين الأصل الواحد

الاقتدار و هو الذي يلي جانب الحق و الأصل الثاني القبول و هو الذي يلي جانب الممكن فلا استقلال لواحد من الأصلين بالوجود و لا بالإيجاد فالأمر المستفيد الوجود ما استفاده إلا من نفسه بقبوله و ممن نفذ فيه اقتداره و هو الحق غير أنه لا يقول في نفسه إنه موجد نفسه بل يقول إن الله أوجده و الأمر على ما ذكرناه فما أنصف الممكن نفسه و آثر بهذا الوصف ربه فلما علم الله أنه آثر ربه على نفسه بنسبة الإيجاد إليه أعطاه الظهور بصورته جزاء فلا أكمل من العالم لأنه لا أكمل من الحق و ما كمل الوجود إلا بظهور الحادث و لما كان الأمر بهذه المثابة في التوقف و عدم الاستقلال من الطرفين نبه الحق على ذلكبقوله قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبديو هو أيضا أعني التقسيم موجود في استخلاف العبد و في وكالة الحق فيما هو فيه العبد مستخلف فاستقل الوجود وكمل بالحادث و لما كان الحق غيورا أن يذكر معه سواه تجلى للعالم في صور المحدثات و علموه فيها أعلاما منه للعالم إنه غني عن العالمين بما رأيتموه في ذاته من ظهوره بالتجلي في صور المحدثات فسواء ظهوركم و عدمكم يقول للممكن فعند ذلك ذل الممكن بالفعل في نفسه فوقع منه ما خلقه الله له و زال عنه عز الاستعداد بالقبول في الإيجاد إذا رأى أعيان الصور التي تكون عن قبولها و اقتدار الحق قد ظهر الحق بها فلم تكن الحاجة إلى الممكنات في قبولها و الأمر قد حصل و صح قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و لقد برقت لي بارقة إلهية عند تقييدي هذه المسألة رأيت فيها ما شاء الله من العلوم كما ضرب النبي ص بالمعول الحجر الذي تعرض لهم في الخندق فبرقت في الضربة منه بارقة رأى بها ما فتح الله على أمته حتى رأى قصور بصري كأنياب الفيلة رأى ذلك في ثلاث ضربات في كل ضربة بارقة تبدي له جهة مخصوصة هذا رأيته عند تقييدي هذا الباب وراثة نبوية بحمد الله و رأيت فيها و بها و إن ظهر بصور الممكنات و اتصف بالغنى فإن ذلك لا يخرجه عن عدم الاستقلال في وجود الحادث به إذ لا بد من قبوله و فيه وقع الكلام هذا مما أعطتنيه تلك البارقة و إنه تعالى لما خلقهم لعبادته كساهم صفته و هي التي بها طلبهم فعبدوه بها إذ لا يصح أن يعبدوه بأنفسهم على جهة الاستقلال و لهذا شرع لهم أن يقولوا بعد قولهم إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْتَعِينُ لعدم الاستقلال في العبادة فألقت عندهم الطلب في المعونة على عبادته كما كان القبول منهم إلا إلى الأسباب و كيف و قد قال وَ قَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ و يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ و لم يذكر قط افتقار مخلوق لغير الله و لا قضى أن يعبد غير الله فلا بد أن يكون هو عين كل شيء أي عين كل ما يفتقر إليه و عين ما يعبد كما أنه عين العابد من كل عابد بقوله أيضا كنت سمعه حين خاطبه بالتكليف و التعريف فما سمع كلامه إلا بسمعه و كذلك جميع قواه التي لا يكون عابد الله إلا بها فلم يظهر في العابد و المعبود إلا هويته فحكمته و سببه و علته لم تكن إلا هو و معلوله و مسببه لم يكن إلا هو فإياه عبد و عبد قال ص في خطبته لما أثنى على ربه فإنما نحن به و لهفخاطب و سمع و هذا أمر لا يندفع فإنه عين الأمر غير إن الفضل بين الناس هو بما شاهده بعضهم و حرمه بعضهم فيعلم العالم من غيره ما لا يعلمه الغير من نفسه مما هو عليه في نفسه فظهر التفاضل و مع هذا الظهور لا يخرج المخلوق عن أن يكون الحق هويته بدليل تفاضل الأسماء الإلهية و هي الصفات و ليست غيره

فلا يعلم الخلق إلا به　　　و لا يعلم الحق إلا بها

و أما وصفه بالغنى عن العالم أنما هو لمن توهم إن الله تعالى ليس عين العالم و فرق بين الدليل و المدلول و لم يتحقق بالنظر إذا كان الدليل على الشيء نفسه فلا يضاد نفسه فالأمر واحد و إن اختلفت العبارات عليه فهو العالم و العلم و المعلوم فهو الدليل و الدال و المدلول فبالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم للعلم فهو المعلوم و العلم و العلم ذاتي للعالم و هو قول المتكلم ما هو غيره فقط و أما قوله و ما هو هو بعد هذا فهو لما يرى من أنه معقول زائد على ما هو فبقي أن يكون هو و ما قدر على أن يثبت هو من غير علم يصفه به فقال ما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه فقال إن صفة الحق ما هي هو و لا هي غيره و لكن إذا قلنا نحن مثل هذا القول ما نقوله على حد ما يقوله المتكلم فإنه يعقل الزائد و لا بد و نحن لا نقول بالزائد فما يزيد المتكلم على من يقول إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ إلا بحسن العبارة و نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين فهذا بعض نتائج هذا الهجير وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و السبعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

إذا أحببت ربك باتباع أحبك مثل ذلك ثم زاد

على الحب المضاعف سترضون أتتك به السيادة حين سادا

و إن أحببته بخلاف هذا أفدت و لم تكن ممن أفادا

و قال ص عن الله إن الله تعالى يقول ما تقرب المتقربون بأحب إلي من أداء ما افترضته عليهم و لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا و بصرا و يدا و مؤيدا و قد ورد أتم من هذا فهذا الهجير إذا التزمه العبد أو من التزمه و تحقق به فتح عليه في معرفة نفسه و ربه و علم إن عبادة الفرائض عبادة حقيقية جبرية و عبادة النوافل عبادة اختيارية فيها رائحة ربوبية لأنها تواضع و التواضع تعمل لا يقوم إلا ممن له سهم في الرفعة و العبد ليس له نصيب في السيادة و لهذا ورد العبد من لا عبد له فلهذا نقص عن درجة الفرض النفل لأن العبد نقصه من العلم بالأمر على قدر ما اعتقده من النفل بل من أول قدم في النفل اتصف بالنقص في العلم بما هو الأمر عليه و هذا علم شريف يورث سعادة لمن قام به لا تشبهها سعادة و ذلك أن العبد هو عبد لذاته و لكن لا تعقل له عبودية ما لم يعقل له استناد إلى سيد و الرب رب لذاته و لكن لا يعقل له ربوبية ما لم يعقل له مربوب هو مستنده فكل واحد سند للآخر فالمعلوم أعطى العلم للعالم فصيره عالما و العلم صير المعلوم معلوما و من حيث ارتفاع هذا الذي قلناه فلا عالم و لا معلوم و لا رب و لا مربوب و ليس الأمر إلا عالم و معلوم و رب و مربوب و هو الذي عليه الوجود فليتكلم بما أعطاه الوجود و الشهود و ليترك وهميات الجائز العقلي فإن القول بذلك له موطن خاص في ذلك الموطن سلطانه فنقولقد أخبر الله تعالى أن لله عبادا يحبهم و يحبونهفجعل محبتهم وسطا بين محبتين منه لهم فأحبهم فوفقهم بهذه المحبة لاتباع رسوله فيما جاءهم به من الواجبات عليهم و الترغيب في إن يوجبوا على أنفسهم صورة ما أوجبه عليهم يسمى نافلة ثم أعلمهم أنهم إذا اتبعوه فيما جاء به أحبهم فهذا الحب

الإلهي الثاني ما هو عين الأول فالأول حب عناية و الثاني حب جزاء و كرامة بوافد محبوبا الحب الأول فصار حب العبد ربه محفوظا بين حبين إلهيين كلما أراد أو هم أن يخرج عن هذا الوصف بالسلو وجد نفسه محصورا بين حبين إلهيين فلم يجد منفذا فبقي محفوظ العين بين حب عناية ما فيها من فطور و بين حب كرامة ما فيها استدراج و الحصر بين أمرين يوجب اضطرارا فذلك حب الفرض و هو العبد المضطر في عبوديته المجبور بما فرض الله عليه لينبهه أنه في قبضة الحق محصور لا انفكاك له و لا نفوذ كما رسمناه في الهامش و لما رأى أن الحق كلفه علم أنه لو لم يعلم الحق في العبد اقتدارا على إتيان ما كلفه به من الأعمال ما كلفه به فكان التكليف له معرفا بأن له مدخلا في الاقتدار على وجود الفعل الذي كلفه الله إيجاده و قرر ذلك عنده بما شرع له من طلب المعونة من الله على ذلك فزاده هذا قوة في علمه بأن له اقتدارا ثم نظر فيما أوجب عليه فرأى ذلك قليلا مما هو عليه من الاتساع فعلم عند ذلك أن الاتساع الذي أبقى له إنما أبقاه لما له من الاقتدار فأراد أن يبتليه ليرى ما يخرج منه في ذلك الاقتدار الذي أعطاه و ليس له فيما يخرج فيه ذلك الاقتدار إلا تلك السعة التي أبقى له كما قال إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا فعمر ذلك الفراغ هذا العبد بالنوافل و لا يكون نافلة حتى يكمل الفرض فحصل بذلك من الله حبان آخر إن حب الفرائض أي الحب

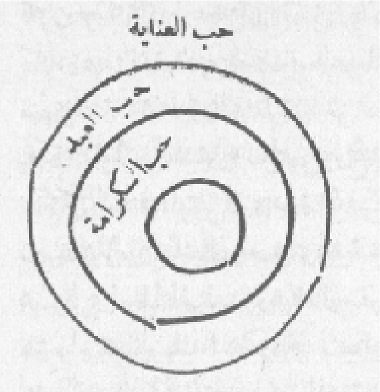

الذي حصل له من إتيانه بالفرائض و الحب الذي حصل له أيضا من الله من إتيان النوافل و إن كان دون الحب الأول كما هو في الأصل حب الكرامة دون حب العناية فإنه حب جزاء فلا يخلص خلوص الحب الأول كما ورد في الخبر أن الرجل إذا قال لأخيه أحبك فأحبه الآخر فإنه لا يلحقه في درجته في الحب أبدا لأن حب الأول ابتداء و حب الثاني جزاء فلن يكافئه أبدا فإن الحب الأول هو الذي أنتج الحب الثاني فهو منفعل عنه و المنفعل لا يقوي قوة الفاعل أبدا فلما عمر ذلك الفراغ الواسع بالنوافل و جعل الله فيها فرائض لتتأيد بها النوافل في اللحوق بالفرائض و لهذا تسد مسدها و تكمل بها الفرائض بما فيها من الفرائض كما ورد في الخبر الصحيح عن رسول الله ص أن الله يقول في موازنة الأعمال إذا لم يتم العبد فرضه أن يكمل له فريضته من تطوعه إن كان له تطوع هو النفل فلذلك كان في النفل فروض لأن كل نفل فهو على صورة فرضه من صلاة و صدقة و صيام و حج و اعتمار فله الخيار في الإتيان بالنفل ما لم يتلبس به فإذا تلبس به قيل له لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ فبالأولية في ذلك كان مختارا و في التلبس مضطرا عندنا و بخلافه عند علماء الرسوم وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ الله و الشروع عهد عهده مع الله بلا شك فيما لم يجب عليه و لهذا قال هل على غيرها قال لا إلا أن تطوع فدخل الاحتمال في هذا الإجمال و لما لم يكن في أداء الفرض رائحة ربوبية توجب له إن شاء فعل و إن شاء لم يفعل كما هو في النفل كان في الفرض عبد اضطرار بلا شك مجبورا فأدركه الانكسار في نفسه لما كان عليه من العزة في كونه أعطى العلم لله به فجبر الله انكساره بقوله ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ فأزال عن نفسه بهذا الخطاب إن شاء و إن شاء و ما أبقى له إلا عين ما شاء لا التخيير في ذلك فلما سمع العبد مثل هذا انجبر كسره و علم إن الله لا يقول مجازا و أن الأمر لما كان في نفسه

على هذا ما صح أن يقول مثل هذا القول فزال الانكسار الذي كان عنده و هو قوله تعالى في الخبر المترجم عنه أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجليأي أنا كسرت قلوبهم بما أوجبته عليهم و أدخلتهم فيه من الاضطرار و أنزلتهم من معقل عزتهم بذلك فلما انكسروا كان عندهم في هذا الكسر جابرا بما أوجبه على نفسه و ما أخبر به أنه ما يبدل القول لديه و أن الكلمة منه حقت و أزال الاختيار بإزالة الإمكان من العالم فلم يبق إلا واجب بنفسه أو واجب بغيره و هما وصفان لموصوف واحد و لموصوفين و ليس في الكون إلا الرب و المربوب ثم أعطاه بما خيره فيه في هذا الاتساع من المسمى نفلا حكم الاختبار الإلهي في قوله إن شاء و إن شاء فكساه حلته بل العبد أولى بصفة الاختيار من صفة الاضطرار لأن له التردد بالحقيقة لإمكانه و ليس عند الحق ذلك فإذا ظهر مثل هذا من الحق فتعلم إن الحق ظهر في صورة ممكن و لهذا نادبنا في قولنا إن الله لا ينبغي أن يقال إنه يجوز أن يفعل كذا و يجوز أن لا يفعله و نقول يجوز أن يكون هذا الممكن و يجوز أن لا يكون كما أنه إذا ظهر الاضطرار من العبد إنما يظهر ذلك منه بصورة حق لا بنفسه لأنه لا يكون عبدا إلا بقيامه بمراسم سيده و هو مسلوب الفعل بالأصالة فلا بد أن تظهر بصورة حق إذا ظهر بعبوديته التي هي العمل بما كلف فعله و لذلك لم يقل الحق إنه هوية الشيء و إنما قال إنه هوية العبد فعلمنا إن حكم العبد ما هو حكم الشيء فحكم النفل أحق بالعبد لو لا ما فيه من روائح الربوبية و حكم الفرض أحق بالرب لو لا ما فيه من روائح العبودية فليجعل حكم كل واحد في الموطن الذي جعله الله فيكون الله هو الجاعل لا نحن فنتخلص و نسلم من الاعتراض علينا عند السؤال من الله إيانا ثم إن الله تعالى جعل في محبة الجزاء و هي محبة الكرامة غفر الذنوب و هو سترها و ختم الآية بأنه لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ و الكافر الساتر و هو تعالى ساتر الذنوب فعلمنا أنه لا يحب من عباده من يستر نعمه كانت النعم ما كانت فإنه قال وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ و ما تحدث به لم يستر و قال التحدث بالنعم شكر و إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى عليه و نعمه التي أسبغها على عباده ظاهرة و باطنة و من ستر نعمة الله فقد كفر بها و من كفر بها أذاقه الله لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بصنيعة ذلك و لهذا قيد الله ستره بالذنوب و هي البقايا التي أبقاها الله لعباده ليتعلموا الأدب مع الله فينسبون الطاعة و الخير لله و يجعلونه بيد الله و ينسبون الذنب و المعصية لنفوسهم فلهذا قلنا أبقاها الله فهذا نصيبهم مما هو لله فإنه كل من عند الله لكن هؤلاء المحجوبون لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً بل يقولون كل ذلك لله في غير الموطن الذي جعله الله لهذا القول و ذلك لجهلهم بالمواطن و هذا القدر كاف فإن المجال فيه واسع لاتساع ميدانه لكون العالم ما أوجده الله إلا عن الحب و الحب يستصحب جميع المقامات و الأحوال فهو سار في الأمور كلها فلذلك يتفصل الأمر فيه إلى غير نهاية و أصل الحب النسب و هي الروابط و مع الروابط لا يثبت توحيد أصلا و لهذا قال بعضهم من وحد فقد أشرك كما يقول من قال بالجمع فقد فرق بلا شك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و السبعون و أربعمائة في حال قطب كان منزله الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ»

من يستمع قول من تعنو الوجوه له يفز بحسن الذي يأتيه في كلمه

و أنت في كونه فأنت من حكمه و هو الحكيم فمن في الكون حكمته

أذناك من قوله في رتبتي قدمه فمنك تسمع إن حققت ما سمعت

من الخطاب لما في القول من قدمه العرش يفرد ما الكرسي يقسمه

و آخر ناظر منه إلى عدمه إن الحدوث له وجه لمحدثه

قال الله جل جلاله ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ اعلم أن هذا تنبيه من الحق على إن كل كلام في العالم كلامه لأنه ما أتى من الله إلينا إلا كل ذكر محدث لأن الإتيان يحدث بلا شك في الآتي و ما أتى إلا من قام به الحادث و ليس إلا الصورة التي يتجلى فيها في أعين الناظرين و يتخلى عنها في أعين الناظرين فما ثم إلا سامع و متكلم و قائل و مقول له و مقول به و مقول و كله حسن إلا أنه بين حسن و أحسن فكل كلام حسن و ما وافق الغرض من القول فهو أحسن فالقول كله حسن و أما قوله لا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ من الْقَوْلِ فنفى المحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول و السوء من القول أن يقول في القول إنه سوء و لا قائل به إلا الله و الجهر بالسوء قد يكون قولا و قد يكون في الأفعال التي لا تكون قولا فيريد بالجهر فيها ظهور الفحشاء من العبد كما قال ص من بلي منكم بهذه القاذورات فليستتر يعني لا يجهر بها و السوء على نوعين سوء شرعي و سوء ما يسوؤك و إن حمده الشرع و لم يدمه فقد يكون هذا السوء من كونه يسوءك لا إن السوء فيه حكم الله كما قال تعالى وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فالسيئة الأولى شرعية لأنه تعدى و السيئة الأخرى ما يسوء المجازي عليها و ليس الجزاء بسيئة مشروعة لأن الله لا يشرع السوء و لما وقع الاصطلاح في اللسان على السيئ و الحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطؤ فهم سموه سوءو قالوا إن ثم سوء فقال الله لا يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ من الْقَوْلِ الذي سميتموه سوء لكونه لا يوافق أغراضكم كما قد سمعت أن حسنات الأبرار سيئات المقربينو ليس ثم الأحسن بالنسبة سيئ بالنسبة على الحقيقة فكل شيء من الله حسن ساء ذلك الشيء أم سر فالأمر إضافي فقوله أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ الله إلى معرفة الحسن و الأحسن وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ يعني بالألباب المستخرجين لب الأمر المستور بالقشر صيانة له فإن العين لا تقع إلا على الحجاب و المحجوب لأولي الألباب تنبيه على الصورة الحجابية التي يتجلى فيها الحق ثم يتحول عنها إلى حجاب فما ثم في الحقيقة إلا انتقال من حجاب إلى حجاب لأنه ما يتكرر تجل إلهي قط فلا بد من اختلاف الصور و الحق وراء ذلك كله فما لنا منه إلا الاسم الظاهر رؤية و حجابا و أما الاسم الباطن فلا يزال باطنا و هو اللب المعقول الذي يدركه أولو الألباب يعني يعلمون أن ثم لبا و هو هذا الذي ظهر حجاب عليه و ليس إلا الاسم الظاهر و هو المسمى في الحالين فمن قال بالرؤية صدق و من قال بنفي الرؤية صدق فإن رسول الله ص أثبت لنا الرؤية بقوله ص ترون ربكمالحديث و نفى الرؤية فإنه ص سئل هل رأيت ربك يعني ليلة الإسراء فقال يتعجب من السائل نور أنى أراهأي أنه نور فلا أدرك النور لضعف الحدوث و النور لله وصف ذاتي و الحدوث لنا كذلك نسبة ذاتية فنحن لا نزال على ما نحن عليه و هو لا يزال على ما هو عليه وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ هَداهُمُ الله أي تولى

تعليمهم بنفسه وَأُولئِكَ هُمْ أُولوا الْأَلْبابِ فكان من العلم الذي علمهم إن ثم لنا مستورا بقشر فصدق النافي و المثبت فمن قال إن الله ظاهر فما قال على الله إلا ما قال الله عن نفسه و لا فائدة لكون الأمر ظاهرا إلا مشاهدته فهو مشهود مرئي من هذا الوجه و من قال إن الله باطن فما قال على الله إلا ما قال الله عن نفسه و لا فائدة لكون الأمر باطنا إلا أنه لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ فهو لا يشهد و لا يرى من هذا الوجه فلما اتبع هذا الذكر أحسن القول أدرك أن ثم لبا مستورا حين قال الآخر إنه ليس ثم إلا هذا الذي وقع عليه البصر فهو كمن لا يرى أن خلف هذه الصورة الظاهرة الإنسانية أمرا آخر يدبرها و يصرفها و من أبصر عنده صورة زيد فقد أبصره بلا شك و الذي اعترف باللب علم إن خلف هذه الصورة أمرا آخر هذا الأثر الظاهر من هذه الصورة لذلك الباطن المستور في هذا الحجاب دليله الموت مع بقاء الصورة و إزالة الحكم فمن قال إن زيدا عين ذلك المدبر لا عين الصورة و إن الصورة عنده لا فرق بينها و بين ما أجمعنا عليه من صورة مثله من خشب أو جص قال إنه ما رآه و من قال إن زيدا هو المجموع فهو الظاهر و الباطن قال رآه ما رآه كما قال في المعنى وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فأحسن القول إثبات الأمرين على الوجهين

فما ثم مشهود و ما ثم شاهد سوى واحد و الفرق يعقل بالجمع

فمن قال شاهدناه يصدق قوله و من قال لم نشهد فللضعف و الصدع

إذا اتصفت عين بصدع و لم تزل بها صفة الصدع المزيلة للنفع

على السمع عولنا فكنا أولي النهى و لا علم فيما لا يكون عن السمع

إذا كان معصوما و قال فقوله هو الحق لا يأتيه مين على القطع

فعقل و شرع صاحبان تألفا فبورك من عقل و بورك من شرع

و اعلم أن الاتباع إنما هو فيما حده لك في قوله و رسمه فتمشي حيث مشى بك و تقف حيث وقف بك و تنظر فيما قال لك انظر و تسلم فيما قال لك سلم و تعقل فيما قال لك اعقل و تؤمن فيما قال لك آمن فإن الآيات الإلهية الواردة في الذكر الحكيم وردت متنوعة و تنوع لتنوعها وصف المخاطب بها فمنها آياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و آياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و آياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ و آياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ و آياتٍ لِلْعالِمِينَ و آيات للمتقين و آياتٍ لِأُولِي النُّهى و آياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ و آيات لأولي الأبصار ففصل كما فصل و لا تتعد إلى غير ما ذكر بل نزل كل آية و غيرها بموضعها و انظر فيمن خاطب بها و كن أنت المخاطب بها فإنك مجموع ما ذكر فإنك المنعوت بالبصر و النهي و اللب و العقل و التفكر و العلم و الايمان و السمع و القلب فأظهر بنظرك بالصفة التي نعتك بها في تلك الآية الخاصة تكن ممن جمع له القرآن فاجتمع عليه فاستظهره فكان من أهله بل هو عين القرآن إذا كان على هذا الوصف و هو من أهل الله و خاصته فالقول كله حسن و أحسن و ما ثم سوء إلا في المقول عنه ذلك هو السوء أو في المتكلم به ليس في القول

ليس في القول و الكلام قبيح إنما القبح في الذي قيل عنه

أو قيل أو تكلم به أو تكلم عنه فافهم ذلك و خذ الوجود كله على أنه كتاب مسطور و إن قلت مرقوم فهو أبلغ فإنه ذو وجهين ناطق بالحق و عن الحق تكن من الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ أي وفقهم بما أعطاهم من البيان وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ الغواصون على خفايا الأمور و حقائقها المستخرجون كنوزها و الحالون عقودها و رموزها و العالمون بما تقع به الإشارات في الموضع الذي تسمح فيه العبارات وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و السبعون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ»

و توحيد الكثير هو الوجود بتوحيد الإله يقول قوم
بأن الله يَفْعَلُ ما يُرِيدُ و من أسمائه الحسنى علمنا
هو المولى و نحن له عبيد فكان بنا الإله و فيه كنا

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الله أمرنا بتوحيده في ألوهته فلا إله إلا هو كما نهانا عن التفكر في ذاته فعصاه أهل النظر في ذلك ممن يزعم أنه من أهل الله كالقدماء و غيرهم من المتكلمين و بعض الصوفية كأبي حامد و غيره في مضنونه و غير مضنونه و احتجوا بأمور هي عليهم لا لهم و بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز فلو كان ثم علم و إيمان حق و صدق لكان ذلك في أول قدم فتعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود و جعلوا ذلك التعدي قربة إليه و لم يعلموا أن ذلك عين البعد منه و عند كشف الغطاء يظهر من أعطى و من أعطى

سوف ترى إذا انجلى الغبار أ فرس تحتك أم حمار

فالصورة صورة فرس و الخبرة خبرة حمار هذا الذكر يعطي الذاكر به رجاء عظيما و فتحا مبينا و ذلك أن الله تعالى خاطب في هذه الآية المسلمين و الذين عبدوا غير الله قربة لي الله فما عبدوا إلا الله فلما قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فأكدوا و ذكروا العلة فقال الله لنا إِنَّ إِلهَكُمْ و الإله الذي يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذي أشرك به واحد كأنكم ما اختلفتم في أحديته فقال وَ إِلهُكُمْ فجمعنا و إياهم إِلهٌ واحِدٌ فما أشركوا إلا بسببه فيما أعطاهم نظرهم و من قصد من أجل أمر ما فذلك الأمر على الحقيقة هو المقصود لا من ظهر أنه قصد كما يقال من صحبك لأمر أو أحبك لأمر ولي بانقضائه و لهذا ذكر الله أنهم يتبرءون منهم يوم القيامة و ما أخذوا إلا من كونهم فعلوا ذلك من نفوسهم لا أنهم جهلوا قدر الله في ذلك أ لا ترى الحق لما علم هذا منهم كيف قال وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ و نبهم فقال قُلْ سَمُّوهُمْ فيذكرونهم بأسمائهم المخالفة أسماء الله ثم وصفهم بأنهم في شركهم قَدْ ضَلُّوا ضَلالًا بَعِيداً أو مبينا لأنهم أوقعوا أنفسهم في الحيرة لكونهم عبدوا ما نحتوا بأيديهم و علموا أنه لا يَسْمَعُ وَ لا يُبْصِرُ وَ لا يُغْنِي عنهم من الله شيئا فهي شهادة من الله بقصور نظرهم و عقولهم ثم أخبرنا الله أنه قضى أن لا نعبد إلا إياه بما نسبوه من الألوهة لهم أي جعلوهم كالنواب لله و الوزراء كان الله استخلفهم و من عادة الخليفة أن يكون في رتبة من استخلفه عند المستخلف عليه فلهذا نسبوا الألوهة لهم ابتداء من غير نظر فيمن جعل ذلك و قول من قال أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إنما كان من أجل

اعتقادهم فيما عبدوه إنهم آلهة دون الله المشهود له عندهم بالعظمة على الجميع فأشبه هذا القول ما ثبت في الشرع الصحيح من اختلاف الصور في التجلي و معلوم عند من يشاهد ذلك أن الصورة ما هي هذه الصورة و كل صورة لا بد أن يقول المشاهد لها إنها الله لكن لما كان هذا من عند الله و ذلك الآخر من عندهم أنكر عليهم التحكم في ذلك كما ثبت في قوله تعالى فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله هذا حقيقة فوجه الله موجود في كل جهة يتولى أحد إليها و مع هذا لو تولى الإنسان في صلاته إلى غير الكعبة مع علمه بجهة الكعبة لم تقبل صلاته لأنه ما شرع له إلا استقبال هذا البيت الخاص بهذه العبادة الخاصة فإذا تولى في غير هذه العبادة التي لا تصح إلا بتعيين هذه الجهة الخاصة فإن الله يقبل ذلك التولي كما أنه لو اعتقد أن كل جهة يتولى إليها ما فيها وجه الله لكان كافرا و جاهلا و مع هذا فلا يجوز له أن يتعدى بالأعمال حيث شرعها الله و لهذا اختلفت الشرائع فما كان محرما في شرع ما حلله الله في شرع آخر و نسخ ذلك الحكم الأول في ذلك المحكوم عليه بحكم آخر في عين ذلك المحكوم عليه قال الله تعالى لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً فما نسخ من شرع و اتبعه من اتبعه بعد نسخه فذلك المسمى هوى النفس الذي قال الله فيه لخليفة داود إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ يعني الحق الذي أنزلته إليك وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى و هو ما خالف شرعك فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ الله و هو ما شرعه الله لك على الخصوص فإذا علمت هذا و تقرر لديك علمت أن الله إله واحد في كل شرع عينا و كثير صورة و كونا فإن الأدلة العقلية تكثره باختلافها فيه و كلها حق و مدلولها صدق و التجلي في الصور يكثره أيضا لاختلافها و العين واحدة فإذا كان الأمر هكذا فما تصنع أو كيف يصح لي أن أخطأ قائلا و لهذا لا يصح خطأ من أحد فيه و إنما الخطاء في إثبات الغير و هو القول بالشريك فهو القول بالعدم لأن الشريك ليس ثم و لذلك لا يغفره الله لأن الغفر الستر و لا يستر إلا من له وجود و الشريك عدم فلا يستر فهي كلمة تحقيق إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به لأنه لا يجده فلو وجده لصح و كان للمغفرة عين تتعلق بها و ما في الوجود من يقبل الأضداد إلا العالم من حيث ما هو واحد و في هذا الواحد ظهرت الأضداد و ما هي إلا أحكام أعيان الممكنات في عين الوجود التي بظهورها علمت الأسماء الإلهية المتضادة و أمثالها فإذا علمت هذا فقل بعد ذلك ما شئت أما كثرة الأسماء أظهرت كثرة الأحكام و أما كثرة الأحكام أظهرت كثرة الأسماء فإنه أمر لا ينكره عقل و لا شرع فالوجود يشهد له و ما بقي إلا ما ذكرناه إلى من ينسب الحكم هل للأسماء الإلهية أم للممكنات الكونية و هما مرتبطان محكوم بهما في عين واحدة

و ما ذا يفوت القائلين بجهلهم فيا خيبة الجهال ما ذا يفوتهم
من أجل الذي قد قلت فيهم من أهلهم فقد قلت هذا ثم هذا فإنني

فمن وحد ما أنصف و من أشرك فما أصاب هو تعالى واحد لا بتوحيد موحد و لا بتوحيده لنفسه لأنه واحد لنفسه فما أحديته مجعولة و لا أحدية كثرته مجهولة و ما ثم إلا عدم و وجود فالوجود له و العدم ليس له لكن له الإعدام و لا يقال و العدم لغيره فتثبت عين ما تنفى فتجوز في اللفظ و ما بين الوجود و العدم ما لا يتصف بالوجود و لا بالعدم و هو العالم معطي الأحكام لعين الوجود و الصور لعين الشهود و المدلولات لأدلة

العقود فشاهد و مشهود و عاقد و معقود و موجد و موجود و ما ثم أمر مفقود فقد تميزت الحدود بل ميزت كل محدود و ما ثم إلا محدود لمن عرف العدم و الوجود وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و السبعون و أربعمائة في حال قطب كان منزله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ»

فزال نفادنا فلنا البقاء أنا عند الذي ما زال عندي
فكان له السنا و لنا السناء تقاسمنا الوجود على سواء
فنحن به له فلنا الثناء به فانظر إذا ما قلت أنا
نزيها لا ينهنهه اللقاء رأيناه بغير اسمي وحيدا
و أسبل دون أعيننا الغطاء فلما أن تسمى غاب عنا

قال الله عز و جل اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ فله السناء و قال إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ فله و لنا السناء بصعودنا إليه و قال وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ

فنحن و ما عندنا عنده و ليس الذي عنده عندنا

وَما عِنْدَ اللهِ باقٍ قلنا و لما عندنا البقاء فهو و إن نفد ما عندنا من عندنا فإنه لا ينفد من عنده وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقى و ما عند الله إلا العالم و الله خير و أبقى ممن هو عنده كذا قال الله سبحانه في كتابه خَيْرٌ وَأَبْقى لأن بقاء العالم إذا وصف بالوجود بإبقائه و إذا أبقيناه على حاله مع ظهور أحكامه في عين الوجود فله البقاء و هو بكل حال لم يزل في درجة الإمكان فهي له باقية فهو خير و أبقى لأن له الحكم في عين الوجود و الحكم لا يزال باقيا فهو خير و أبقى ممن هو منه خير و أبقى في هذا الحكم لما أعطى من العلم بنفسه للعالم به و الله خير و أبقى لأنه لو لا بقاء عينه ما كان لحكم هذا الممكن فيما يظهر فهو خير و أبقى ممن هو عنده خير و أبقى فخير و أبقى ممن هو خير و أبقى

سوانا و ما عندنا من سواه فعندية الحق ما عندها
و خيرية الكون ما لا نراه فخيرية الحق مشهودة
فلما رأيناه كنا حماه فلما حمانا أرانا حمانا
فعين ضلالتنا من هداه فمنه إلينا و منا إليه
رأيناه من حكمه ما نواه فللعبد في ذا و ذاك الذي

فأعيان العالم محفوظون في خزائنه عنده و خزائنه علمه و مختزنه نحن فنحن أثبتنا له حكم الاختزان لأنه ما علمنا إلا منا فكان طريقا وسطا بين شيئية ثبوتنا و شيئية وجودنا فإذا أراد أن ينقلنا إلى شيئية وجودنا أمرنا عليه فاكتسينا الوجود منه فظهرنا بصورته في شيئية وجودنا و

صورته ما نحن عليه في شيئية ثبوت فإن علمه عين ذاته و إنما سمي علما لتعلقه بالمعلوم و التعلق محبة فلو كان العدم وسطا بين شيئية الثبوت و شيئية الوجود لكان إذا أراد إيجادنا مر بنا على العدم فاكتسبنا منه نفي شيئية الثبوت فلم نوجد لا في الثبوت و لا في الوجود فلذلك لم يكن لنا طريق إلا على وجود الحق لنستفيد منه الوجود فتفهم هذا الترتيب فإنه نافع مفيد فإنه يعطيك العلم بحكم المواطن و أنها تحكم بنفسها في كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به و الدليل الواضح في ذلك رؤيتك الله تعالى في النوم و هو موطن الخيال فلا ترى الحق فيه إلا في صورة جسدية كانت تلك الصورة ما كانت فهذا حكم الموطن قد حكم عليك في الحق إنك لا تراه إلا هكذا كما إنك إذا دخلت موطن النظر العقلي و خرجت عن خزانة الخيال و موطنه لم تدرك الحق تعالى إلا منزها عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال و إذا كان الحكم للموطن عرفت إذا رأيت الحق ما رأيت و أثبت ذلك للموطن أعني ذلك الحكم حتى يبقى الحق لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك منه علم في نفسك إلا بتوحيد المرتبة له و أما إن تعلم ذاته فمحال ذلك لأنك ما تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بأن لا ترى الحق إلا به فإنك تفارق ما أعطاك من العلم به في موطن آخر فتحكم على الحق في كل موطن بحكم ما هو عين الحكم الذي حكمت به عليه في الموطن الذي قبله فتعرف عند ذلك إنك ما تعرفه من حيث يعرف نفسه و هذا غايتنا من العلم به تعالى فما عندنا منه في موطن ينفد في موطن آخر فما عندنا ينفد و ما عند الله باق من علمه بنفسه لا يتغير و لا يتبدل و لا يتنوع لنفسه في نفسه بتنوع المواطن فإن المواطن تتنوعها لذاتها و لو لم تتنوع لكانت موطنا واحدا كما أن الأسماء لو لم تختلف معانيها لكانت اسما واحدا كما هي واحد من حيث مسماها في مثل قوله قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ هذا من حيث المسمى فإنه قال أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ فوحد لما أراد المسمى و لم يراع اختلاف الحقائق التي تدل عليه ألفاظ هذه الأسماء الحسنى فإن لم تعلم قوله ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ ما عِنْدَ اللّٰهِ باقٍ على ما أعلمتك به فما علمت إلا صورة صحيحة لا روح لها فإذا علمت الأمر كما أعلمتك به نفخت في تلك الصورة الظاهرة روحا تحيي به فكنت خالقا داخلا في جملة من وصف الله نفسه بالفضل عليه في ذلك فقال تعالى فَتَبارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ فأثبتك و كل من أنشأ صورة بغير روح فذلك هو المصور الذي يعذب بما صوره يوم القيامة بأن يقال له هنالك أحي ما خلقت و ليس بمحيي و يقال له انفخ فيها روحا و ليس بنافخ و هذا من حكم الموطن لأن ذلك الموطن أعني موطن يوم الحشر يعطي ظهور عجز العالم عما كان ينسب إليه في موطن الدنيا من الاقتدار عليه كان عيسى ع ينفخ في الطائر الذي خلقه روحا فيكون طائرا بالصورة و المعنى و قيل ليس إلا صورة طائر لا طائرا و لذلك قال عز و جل كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ما قال طيرا حتى حصل فيه الروح و قد ثبت عندنا عن ذي النون المصري أنه أحيا ابن العجوز بإذن الله الذي التقمه التمساح و أن أبا يزيد أحيا النملة بإذن الله كما إن موطن الخيال يعطي في أعين الناظرين حياة الجمادات و حركتها و هي في نفسها ليست بتلك الحياة التي تدركها الأبصار كحبال سحرة موسى عو عِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إلى موسى من سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسْعىٰ الذي سَحَرُوا به أَعْيُنَ النّاسِ فتلك حبال نشأت بين الخيال و بين أعين الناظرين كصورة السماء في المرآة فما هي السماء و لا غير السماء فإنك تعلم قطعا إن الجرم الذي رأيت في المرآة أقل من جرم السماء و أكبر من جرم المرآة و

تعلم قطعا إنك ما رأيت إلا السماء عينها فلهذا جعلنا الحكم للمواطن فلا يجيء من العالم أمر يسمى خرق عادة إلا بإذن الله فبغير إذن الله ما يصح و لهذا ما يكون من كل أحد ظهور ذلك و إن كنا نعلم أنه ما يحدث صورة في العالم إلا و الحياة تصحبها و هي روحها و بذلك الروح تكون تلك الصورة مسبحة فالروح تسبح الله تعالى و الصورة مسبحة بالروح ربها تعالى

ولست تدري الذي يقول فقد علمت الذي أقول

فإنه الناطق القوول ولست أدري الذي نقول

و هذا القدر كاف وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و السبعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ»

لنعلم الفرق بين الحق و الخلق شعائر الله أعلام لنا نصبت

وقاية للذي يقول بالفرق و هي الحدود التي قامت برازخها

و هو الذي يتقي الأشياء بالحق فمن يعظمها كانت وقايته

يوم الوفود تسمى مقعد الصدق الله دون الخلق له من منزلة

لما جرى معهم في حلبة السبق يحوزها بالذي حاز السباق لها

أسماؤه عندنا بالمفني و المبقي يفنى و يبقى الذي يدعوه متصفا

قال الله تعالى في تعظيمها لا بل فيها فَإِنَّهَا من تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا يعني الشعائر مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ و هو بيت الايمان عند أهل الإشارات و ليس إلا قلب المؤمن الذي وسع عظمة الله و جلاله شعائر الله أعلامه و أعلامه الدلائل عليه الموصلة إليه و يا عجبا كيف يصل إليه و هو عنده كما قال أبو يزيد و قد سمع قارئا يقرأ يوم نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً فصاح و بكى حتى طار الدم من عينيه و ضرب المنبر و قال كيف يحشر إليه من هو جليسه فصدق الله في الكمال فإن المتقي ما يتقي الرحمن و صدق أبو يزيد فإنه ما كان مشهوده في الحال إلا الرحمن و الولي لا يتعدى ذوقه و لا ينطق بغير حاله و يرد كل شيء يسمع إلى الحال الذي يغلب عليه و كان حال أبي يزيد في ذلك الوقت هو الذي نطق به فالمرء مخبوء تحت لسانه فإن اللسان ترجمان أحوال الناطق ثم اعلم أن البدن جعلها الله من شعائره و لهذا تشعر ليعلم أنها من شعائر الله و ما وهب لله لا رجعة فيه ألا تراها إذا ماتت قبل الوصول إلى البيت كيف ينحرها صاحبها و يخلي بينها و بين الناس و لا يأكل منها شيئا فهذا من منة الله حيث جعلك مثلا و ميزك عنه و جعل لك ملكا و طلب منك أن تقرضه و النعمة بالأصالة نعمته و هذه كلها من شعائر الله فإن كل شعيرة منها دليل على الله من حيث أمر ما خاص أراده الله و أبانه لأهل الفهم من عباده فيتفاضلون في ذلك على قدر فهمهم فإذا رأيت ما يقال فيه إنه من شعائر الله و تجهل أنت صورته في الشعائر و لا تعلم ما تدل عليه هذه الشعيرة فاعلم إن تلك الشعيرة

ما خاطبك الحق بها و لا وضعها لك و إنما وضعها لمن يفهمها عنه و لك أنت شعيرة أيضا غيرها و هي كل ما تعرف أنها دلالة لك عليه كما قال أبو العتاهية

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فقف عندها وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فيقوي فهمك فيما أنزله و يعلمك ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ فإذا أمكنك الحق من نفسك علمت أنك من أقوى الشعائر عليه و أوضحها و لهذا جاءت الشريعة بقولها من عرف نفسه عرف ربه فإذا وصلت إلى ما أوصلتك إليه شعائر نفسك و شاهدت المشعور رأيته على صورتك فمن هناك تعلم أنك الأصل في علمه بك و أنه ما تجلى لك إلا في صورة علمه بك و لا كان عالما بك إلا منك و أنت بذاتك أعطيته لعلم بك فأنت الشعيرة له عليك فإن رأيته على غير صورتك فما رأيته من كونك شعيرة له فلا تنكره إذا رأيت ما لا تعرف حين ينكره غيرك فإن تلك الحضرة لا مجلى لأحد فيها إلا لله فإذا كان هذا ارجع في نظرك منه إليك فترى نفسك في تلك الصورة التي رأيته عليها و ما أنت انصبغت بها منه و إنما هي أيضا صورتك في ثبوتك و ما كان وصل وقت دخولك فيها و ظهورك بها فإن الصور تتقلب عليك إلى ما لا نهاية له و تتقلب فيها أنت و تظهر بها إلى ما لا نهاية فيه و لكن حالا بعد حال انتقالا لا يزول و قد علمك تعالى في هذه الصور على عدم تناهيها فتجلى لك في صورة لم يبلغ وقت ظهورك بها لأنك مقيد و هو غير مقيد بل قيده إطلاقه و إنما يفعل هذا مع عباده ليظهر لهم في حال النكرة و لهذا ينكرونه إلا العارفون بهذا المقام فإنهم لا ينكرونه في أي صورة ظهر فإنهم قد حفظوا الأصل و هو أنه ما يتجلى لمخلوق إلا في صورة المخلوق أما التي هو عليها في الحال فيعرفه أو ما يكون عليها بعد ذلك فينكره حتى يرى تلك الصورة قد دخل فيها فحينئذ يعرفه فإن الله علمه و علم ما يؤول إليه و المخلوق لا يعلم من أحواله إلا ما هو عليه في الوقت و لذلك يقول رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و من عباد الله من يعلم ذلك إذا رأى الحق في صورة لا يعرفها علم بحكم الموطن و ما عنده من القبول أنه ما تجلى له إلا في صورة هي له و ما وصل وقتها فعلمها قبل إن يدخل فيها فهذا من الزيادة في العلم التي زادها الله فشكر الله الذي عرفه في موطن الإنكار و لذلك عظم الله هذا الفضل فقال وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً فكان الحق في هذا الموطن من شعائر نفسك فعرفت نفسك به كما عرفته بنفسك فتأمل

و افترقنا في السرائر فاجتمعنا في الشعائر
و له منا الضمائر فلنا منه التجلي
هائم فيه يبادر فلمثل ذا عبيد
عنه بصادر فإذا علمت هذا لم تكن
مثل أوراق الدفاتر فهو الصادر عنكم
بأوائل و أواخر بعضها يستر بعضا

و ليفاخر من يفاخر   فليبادر   من   يبادر

فما عظم الله شعائره سدى لأنه ما عظم إلا من يقبل التعظيم و أما العظيم فلا يعظم فإن الموجود لا يوجد و الله عظيم و العالم كله لا مكانه حقير إلا أنه يقبل التعظيم و لم يكن له طريق في التعظيم إلا أن يكون من شعائر الله عليه فلما كان في نفس الأمر شعيرة عليه عرفنا الحق بذلك فنظرنا فرأينا حقيقة قوله فاستدللنا بنا عليه و به إذا ظهر في النكرة علينا

و مني إليه دليل عليه   فمنه إلى دليل علي

بأعماله ثم نحن لديه   فنحن لديه كما قاله

فبدئي منه و عودي إليه   و أعماله عين أعياننا

و لو لم يكن الأمر هكذا ما صدق اتخاذك إياه وكيلا و المال ماله فالمال مالك و الإشارة أن الصورة صورتك فصدق لن تراني إذ قال له موسى رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ فقال لَنْ تَرانِي و أداة لن تنفي الأفعال المستقبلة و الإشارة إن من جهلك في الحال جهلك في المال لأنك إذا ظهرت له في المال ما تظهر له بصورة الحال التي جهلك فيها عند طلبه رؤيتك و إنما تظهر له بصورة حال ذلك المال فلا يزال منكرا ما يرى حتى يعرف الموطن و حكمه فيعلم ما يرى و ما هو الحكم عليه فإن الله لم يزل ظاهر الذي عينين و أعين و أما ذو العين الواحدة فهو دجال أعور لم يزل في ربقة التقييد مغلولا فمن فتح الله عينيه التي امتن الله بهما عليه في قوله عز و جل أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ليشهدني في الحالين في الحال الراهنة و الحال المستقبلة فمن لم يرني في الحال و هو ناظر إلي فإنه أبعد أن يراني في حال المال و هو يراني و لكن لا يعرف أني مطلوبه و سبب ذلك أنه يطلبني بالعلامة و هل هذا إلا عين الجهل بي

فيا خيبة الأبصار عند البصائر   و هل ثم غيري أو يكون و ليسني

فإن   محل   الابتلاء   سرائري   فإياك و الأفكار إن كنت طالبا

وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و السبعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله لا حول و لا قوة إلا بالله»

عند الذي يؤمن بالله   الحول   و   القوة   لله

الحول   و   القوة   لله   و إنما التحقيق عبد رأى

فهو على نور من الله   و من ير الأمرين في نفسه

قال الله تعالى معرفا أن موسى ع قال لقومه اسْتَعِينُوا بِاللّٰهِ و شرع لنا في القسمة بيننا و بينه أن نقول وَ إِيّٰاكَ نَسْتَعِينُ فقال هذه بيني و بين عبدي و لعبدي ما سأل العلم أن لا حول و لا قوة إلا بالله من خصائص من خلقه الله على صورته و هو الإنسان الكامل فإن الملك ليس من حقيقته أن

يكون هذا مقامه بل هو المتبرئ لأنه ليس بعبد جامع و إنما هو عضو من أعضاء العبد الجامع فالعبد الجامع هو الذي لم يبق صفة في سيده إلا و هي فيه و من صورته في الاقتدار على إيجادنا قبولنا لذلك فما ثم قوة مطلقة من واحد دون مساعد فلما علم منا أنا نعلم ذلك شرع لنا أن نستعين به إذا القابل يحتاج إلى مقتدر كما إن المقتدر طلب القبول من القابل فصحت القسمة بيننا و بينه تعالى فإنه الصادق و قد قال قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي فالاقتدار منه و القبول منا و بهما ظهر العالم في الوجود الدليل إن المحال لا يقبل الوجود فلا ينفذ فيه الاقتدار لأن من حقيقة الاقتدار أنه لا يتعلق إلا بالممكن و لا معنى للممكن إلا القبول فلا يصح أن يقول لا حول و لا قوة إلا بالله إلا العبد الجامع فكل من تبرأ فهو جزء من الجامع و كل من أثبت الأمرين فهو جامع عالم بنفسه و بربه أديب و في الأمر حقه

إذا لم أكن و أنا الواقع   فلا حول منه و لا قوة

إذا لم يكن و أنا الجامع   و لا حول منه و لا قوة

ألا تراها كنزا أخفاه الله في الملك حتى أوجد آدم على صورته و جعله خليفة في أرضه و اعترض من اعترض كما أخبر الله تعالى في ذلك و ما سمع قبل خلق آدم لا حول و لا قوة إلا بالله و كل قائل يقولها من غير العبد الجامع فإنما يقولها بحكم التبعية له و لما خلق العرش و أمرت الملائكة أن تحمله لم تطقه فلما عجزت قام الحامل الواحد منهم الذي على صورة الإنسان فقال بلسانه لما أعطاه الله لا حول و لا قوة إلا بالله فقال من بقي من الجملة بقوله فحملت العرش و أطاقته فلما أوجد الله الإنسان الكامل جعل له قلبا كالعرش جعله بيتا له فما في العالم من يطيق حمل قلب المؤمن لأنهم عجزوا عن حمل العرش و هو في زاوية من زوايا قلب المؤمن لا يحس به و لا يعلم أن ثم عرشا لخفته عليه و جعل أسماءه الحسنى تحف بهذا القلب كما تحف الملائكة بالعرش و جعل حملته العلم الإلهي و الحياة و الإرادة و القول أربعة فالحياة نظير الحامل الذي على صورة الإنسان من حملة العرش لسريان الحياة في الأشياء فما ثم إلا حي و الحياة الشرط المصحح لبقية الصفات من علم و إرادة و قول ورد في الخبر أن جبريل لما علم آدم الطواف بالبيت و قال له إنا طفنا بالبيت قبل إن تخلق بكذا و كذا ألف سنة فقال له آدم فما كنتم تقولون عند الطواف به فقال جبريل كنا نقول سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فقال آدم و أزيدكم أنا لا حول و لا قوة إلا بالله فاختص بهذا الكنز آدم فما ثم من يحول بينك و بين ما أنت قابل له مما إذا قبلته أضربك و أنزلك عن رتبتك أعني رتبة كمالك إلى حيوانيتك إلا الله و لا قوة لك على ما كلفك من الأعمال إلا بالله كما لا يحول بين الحق مع اقتداره و بين ما لا يصح فيه وجود إلا بك إلا أنت إذا لم تكن فلا بد من كونك فيما لا يوجد إلا بك و لا قوة أي لا ينفذ اقتدار في أمر لا يظهر إلا بك فمن القسمة ظهور حقيقة لا حول و لا قوة إلا بالله فيك و فيه بحسب الأحوال التي تطلبها فلا أجمع من الإنسان الجامع و لا أشرف فيه من جزئياته إلا الجزء الملكي منه كما إن ذكر الله في الصلاة أشرف أجزاء الصلاة لا أن الذكر أشرف من الصلاة كما أنه لا يكون الملك أشرف من الإنسان لأنه جزء من الإنسان و الذكر جزء من الصلاة قال الله تعالى إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ يعني بصورتها فإن التكبيرة الأولى تحريمها و السلام منها تحليلها عن الفحشاء و المنكر لما فيها من التحريم وَ

لَذِكْرُ اللّٰهِ أَكْبَرُ يعني فيها لأن الذكر جزء منها و هو أكبر أجزائها و فيه وقعت القسمة بين اللّٰه و بين المصلي في الصلاة فإذا علمت هذا علمت مقام الملك فلم يخرج عنك و أصبت الأمر على ما هو عليه و أنصفت و عرفت من أين أتى على من أتى عليه في باب المفاضلة اللّٰه تعالى مجموع أسمائه مع التفاضل فيها في عموم التعلق فاجعلبالك وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و تأدب بآداب الحق الذي هو عليها فإن العبد إذا قال لا حول و لا قوة إلا باللّٰه يصدقه ربه فيقول الرب لا حول و لا قوة إلا بي و لم يتعرض أن يقول لا حول و لا قوة إلا بك يا عبدي فإن هذه الكلمة لا تظهر من قائلها إلا بقائلها و لكن لما علم تعالى أن الإنسان الحيوان شارك الإنسان الكامل بالصورة الإنسانية علم أنه إذا قال الحق لا حول و لا قوة إلا بك طردها الإنسان الحيوان في غير موطنها فأساء الأدب و الإنسان الكامل لا يفعل مثل هذا فراعى الحق الحرمة ليتعلم الكامل فهي مسألة تعلم و تعتقد و لا يفوه بها ناطق و لا تجري على لسان عبد مختص إلا في بيان العلم ليعلم الأمر على ما هو عليه فإن اللّٰه أخذ العهد على العلماء أن يعلموا من لا يعلم ما علمهم اللّٰه و مما علمهم الأدب فلا يضعون الحكمة إلا في أهلها هذا من شأنهم رضي اللّٰه عنهم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و السبعون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنٰافَسِ الْمُتَنٰافِسُونَ و لِمِثْلِ هٰذٰا فَلْيَعْمَلِ الْعٰامِلُونَ»

الشخص مستدرج و الصدر مشروح ... و الكنز مستخرج و الباب مفتوح
أين الأوائل لا كانوا و لا سلفوا ... العقل يقبل ما تأتي به الروح
لكنهم حجبوا بالفكر فاعتمدوا ... عليه و العلم موهوب و ممنوح
ما فيه مكتسب إن كنت ذا نصف ... فليس للعقل تعديل و تجريح
العدل و الجرح شرع اللّٰه جاء به ... ميزانه فبدا نقص و ترجيح
العقل أفقر خلق اللّٰه فاعتبروا ... فإنه خلف باب الفكر مطروح
لو لا إلا له و لو لا ما حباه به ... من القوي لم يقم بالعقل تسريح
إن العقول قيود إن وثقت بها ... خسرت فافهم فقولي فيه تلويح
ميزان شرعك لا تبرح تزين به ... فإن رتبته عدل و تصحيح
إن التنافس في علم يقوم به ... صدر بنور شهود الحق مشروح
هذا التنافس لا أبغي به بدلا ... له من الذكر قدوس و سبوح
لمثل ذا يعمل العمال ليس لهم ... في غير ذلك تحسين و تقبيح

قال الله تعالى كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ و موجب الفرح المناسبة و لما علمنا إن الإنسان مجموع ما عند الله علمنا أنه ما عند الله أمر إلا و له إليه نسبة فله منه مناسب فالعالم لا يرمي بشيء من الوجود و إنما يبرز إليه ما يناسبه منه و لا يغلب عليه حال من الأحوال بل هو مع كل حال بما يناسبه كما هو الله معنا أينما كنا فإن أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ذلك بل هم بهذا القدر جاهلون و عنه عمون و هذا هو الذي أداهم إلى ذم الدنيا و ما فيها و الزهد في الآخرة و في الكونين و في كل ما سوى الله و انتقدوا على من شغل نفسه بمسمى هذه كلها و جعلهم في ذلك ما حكي عن الأكابر في هذا النوع و حملوا ألفاظهم على غير وجه ما تعطيه الحقيقة و رأوا أن كل ما سوى الله حجاب عن الله فأرادوا هتك هذا الحجاب فلم يقدروا عليه إلا بالزهد فيه و سأبين هذا الفن في هذا الباب بيانا شافيا و كون الحق كل يوم في شأن الخلق و كون الجنة و هي دار القربة و محل الرؤية هي دار الشهوات و عموم اللذات و لو كانت حجابا لكان الزهد و الحجاب فيها و كذلك الدار الدنيا فأقول إن الله خلق أجناس الخلق و أنواعه و ما أبرز من أشخاصه لننظر فيه نظرا يوصلنا إلى العلم بخالقه فما خلقه لنزهد فيه فوجب علينا الانكباب عليه و المثابرة و المحبة فيه لأنه طريق النظر الموصل إلى الحق فمن زهد في الدليل فقد زهد في المدلول و خَسِرَ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ و جهل حكمة الله في العالم و جهل الحق و كان من الخاسرين الذين فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ فالرجل كل الرجل من ظهر بصورة الحق في عبودة محضة فأعطى كل ذي حق حقه و يبدأ بحق نفسه فإنها أقرب إليه من كل من توجه له عليه حق من المخلوقين و حق الله أحق بالقضاء و حق الله عليه إيصال كل حق إلى من يستحقه و لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ إذ و لا بد من إضافة العمل إلينا فإن الله أضاف الأعمال إلينا و عين لنا محالها و أمكنتها و أزمنتها و أحوالها و أمرنا بها وجوبا و ندبا و تخييرا كما أنه نهانا عز و جل عن أعمال معينة عين لنا محالها و أماكنها و أزمانها و أحوالها تحريما و تنزيها و جعل لذلك كله جزاء بحساب و بغير حساب من أمور ملذة و أمور مؤلمة دنيا و آخرة و خلقنا و خلق فينا من يطلب الجزاء الملذ و ينفر بالطبع عن الجزاء المؤلم و جعل لي و علي حقا في رعيتي إذ خلق لي نفسا ناطقة مدبرة عاقلة مفكرة مستعدة لقبول جميع ما كلفها به و هي محل خطابه المقصودة بتكليفه و امتثال أوامره و نواهيه و الوقوف عند حدوده و مراسمه حيث حد لها و رسم في حق الحق و حق نفسه و حق غيره فيطلبه أصحاب الحقوق بحقوقهم نطقا و حالا ظاهرا و باطنا فيطلبه السمع بحقه و البصر و اللسان و اليدان و البطن و الفرج و القدمان و القلب و العقل و الفكر و النفس النباتية و الحيوانية و الغضبية و الشهوانية و الحرص و الأمل و الخوف و الرجاء و الإسلام و الايمان و الإحسان و أمثال هؤلاء من عالمه المتصل به و أمره الحق أن لا يغفل عن أحد من هؤلاء أولا و يصرفهم في المواطن التي عين له الحق و جعل هذه القوي كلها متوجهة على هذه النفس الناطقة بطلب حقوقها و جعلها كلها ناطقة بتسبيح الله تعالى جعلا ذاتيا لا تنفك عنه و جعل هذه الحقوق التي توجهت لها على النفس الناطقة الحاكمة على الجماعة ثابتة الحق جزاء لما هي عليه من تسبيح الله بحمده دنيا و آخرة و ما منهم من يخالف أمر الله اختيارا و إنه إذا وقعت المخالفة منهم فجبرا يجبرهم على ذلك الوالي عليهم الذي أمروا بالسمع و الطاعة له فإن جار فلهم و عليه و إن عدل فلهم و له و لم يعط الله هؤلاء الرعايا الذين ذكرناهم المتصلين به قوة الامتناع مما يجبرهم على فعله

بخلاف ما خرج عنهم ممن له أمر فيهم ثم إن الله نعت لهم الجزاء الحسي و أشهدهم إياه في الحياة الدنيا بضرب مثال من نعيم الحياة الدنيا و بالوعد بذلك في الآخرة و منهم من أشهده ذلك في الأخرى و هو في الحياة الدنيا مشاهدة عين فرأى ما وقع له برؤيته من الالتذاذ ما لا يقدر قدره و ما التذ به إلا من يطلب ذلك من رعيته فأخذ يسأله حقه من ذلك و أن لا يمنعه و في مثل هذا فَلْيَتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ و أي نفاسة أعظم من هذا فالعارف المكمل المعرفة يعلم أن فيه من يطلب مشاهدة ربه و معرفته الفكرية و الشهودية فتعين عليه إن يؤدي إليهم حقهم من ذلك و علم أن فيه من يطلب المأكل الشهي الذي يلائم مزاجه و المشرب و المنكح و المركب و الملبس و السماع و النعيم الحسي المحسوس فتعين عليه أيضا أن يؤدي إليهم حقوقهم من ذلك التي عين لهم الحق و من كان هذا حاله كيف يصح له أن يزهد في شيء من الموجودات و ما خلقها الله إلا له إلا أنه مفتقر إلى علم ما هو له و ما هو لغيره لئلا يقول كل شيء هو له فلا ينظر من الوجوه الحسان إلا ما يعلم أنه له و ما يعلم أنه لغيره يكف بصره و يغضه عنه فإنه محجور عليه ما هو لغيره فهذا حظه من الورع و الاجتناب و الزهد إنما متعلقة الأولوية بخلاف الورع و كل ترك فأما الأولوية فينظر في الموطن و يعمل بمقتضاه و مقتضاه قد عينه له الحق بما أعلمه به بلسان الشارع فسموا من طريق الأخذ بالأولوية زهادا حيث أخذوا بها فإن لهم تناول ذلك في الحياة الدنيا فما فعلوا لأن الله خيرهم فما أوجبه عليهم و لا ندبهم إليه و لا حجر عليهم و لا كرهه فاعلم ذلك ثم إنه ينظر في هذا المخير فيه فلا يخلو حاله في تناوله أن يحول بينه هذا التناول و بين المقام إلا على الذي رجحه له أو لا يحول فإن حال بينه و بينه تعين عليه بحكم العقل الصحيح السليم تركه و الزهد فيه و إن كان عَلى بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ إن ذلك لا يقدح و لا يحول بينه و بين المرتبة العليا من ذلك فلا فائدة لتركه كما قال لنبيه سليمان ع هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ و لا تكون ممن تلبس عليه الأمور فيتخيل أنه بزهده فيما هو حق لشخص ما من رعيته بنالحظ ما يطلبه به منه شخص آخر من رعيته فإن ذلك عين الجهل فإن تلك الحقيقة تقول له ما هذا عين الحق لي فالأولى بالعبد الذي كلفه الله تدبير نفسه و ولاة أن يعلم فإذا علم استعمله علمه حتى يكون بحكم علمه و لا يستعمل هو العلم فإنه إن استعمل علمه كان علمه بحكمه فوقتا يعمل به و وقتا يتركه أي يترك العمل به و ما عمل الترك إلا بالعلم و إذا كان العلم يستعمله و يصرفه و يكون هو معمولا مستعملا للعلم حكم عليه جبرا على الصواب فوفى الحقوق أربابها و مثل هذا الإمام في العالم قليل و لذلك يقول ليس السخي من تسخي بماله و إنما السخي من تسخي بنفسه على العلم فكان تحت سلطان علمه هذا هو كبير العالم و أما ما ذكرناه من علم الأوامر و النواهي الإلهية فنوردها إن شاء الله في الباب الأخير من هذا الكتاب و به ختمنا الكتاب و هو باب الوصية فانظر إلى ما يعطيك هذا الهجير من الفوائد و ما ذكرت لك ما نتيجة هذه الهجيرات إلا ليكون ذلك باعثا لك على طلب الأنفس و إلا وجه و الأولى وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و السبعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ»

اسم سواه و لا عين و لا أثر الرزق يأتي به الرزاق ليس له

حكما عليه فهذا ليس يعتبر و لا تقولن في الوهاب إن له

حكم الوجوب و فيه العبد يختبر فإنه واجب و الوهب ليس له

بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ ما أحل لك تناوله من الشيء الذي يقوم به أودك لتقوم به في طاعة ربك و إنما سماه بقية لأنه بالأصالة خلق لك ما في الْأَرْضِ جَمِيعاً فكنت مطلق التصريف في ذلك تأخذ ما تريد و تترك ما تريد ثم في ثاني حال حجر عليك بعض ما كان أطلق فيه تصرفك و أبقى لك من ذلك ما شاء أن يبقيه لك فذلك بقية الله و إنما جعلها خيرا لك لأنه علم من بعض عباده أن نفوسهم تعمي عن هذه البقية بما يعطيهم الأصل فيتصرفون بحكم الأصل فقال لهم البقية التي أبقى الله خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أي مصدقين بأني خلقت لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فإن صدقتموني في هذا صدقتموني فيما أبقيت لكم من ذلكم و إن فصلتم بين الأمرين فآمنتم ببعض و كفرتم ببعض لم تكونوا مؤمنين ثم إنكم لن تنالوا من ذلك مع جمعكم إياه و انكبابكم عليه إلا ما قدرته لكم و خسرتموني و سواء عليكم تعرضتم لتحصيل ما ضمنته لكم أو أعرضتم عنه لا بد لي أن أوصله إليكم فإني أطلبكم به كما أطلبكم بآجالكم و ما ذلك من كرامتكم علي و لا من إهانتكم فإني أرزق البر و الفاجر و المكلف و غير المكلف و أميت البر و الفاجر و المكلف و غير المكلف و إنما عنايتي إن أوصل إليك من البقية لا من غيرها في مثل هذا تظهر عنايتي بالشخص الموصل إليه ذلك فإنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها كما أ لن تموت نفس حتى يأتيها أجلها المسمى و سواء كان الرزق قليلا أو كثيرا و ليس رزقك إلا ما تقوم به نشأتك و تدوم به قوتك و حياتك ليس رزقك ما جمعت و ادخرت فقد يكون ذلك لك و لغيرك لكن حسابه عليك إذا كنت جامعه و كاسبه فلا تكسب إلا ما يقوتك و يقوت من كلفك الله السعي عليه لا غير و ما زاد على ذلك مما فتحت به عليك فأوصله إنعاما منك إلى من شئت ممن تعلم منه أنه يستعمله في طاعتي فإن جهلت فأوصله فإنك لن تخيب من فائدته من كونك منعما بما سميته ملكا لك فأنت فيه كرب النعمة و ليس غيري فأنت نائبي و النائب بصورة من استخلفه و قد رزقت النبات و الحيوان و الطائع و العاصي فكن أنت كذلك و تحرى الطائع جهد استطاعتك فإن ذلك أوفر لحظك و أعلى و في حقك أولى و أتقى و اعلم أنه كما خلقت لك ما تحيي به ذاتك و تنعم به نفسك اعتناء بك فقد خلقت لك أيضا ما إذا تصرفت فيه أحييت به أسمائي و نعمت به نفوسهم و تكون أنت الآتي بذلك إليهم كما أنا الآتي برزقك إليك حيث كنت و كان رزقك فإني أعلم موضعك و مقرك و أعلم عين رزقك و أنت لا تعلمه حتى تأكله أو أعلمك به على التعيين فإذا تغذيت به و سرى في ذاتك حينئذ تعلم أنه رزقك كذلك علمتك فعلمت ما تستحقه الأسماء الحسنى من الرزق الذي تقوم به حياتها و نشأتها و أعطيتك علم ذلك و عينه و جعلتك الآتي به إليهم و كما طلبت منك الشكر على ما جئتك به من الرزق كذلك تطلب أنت الشكر على ما أتيت به من أسمائي و إذا شكرتك أسمائي فإنما شكرتك فسعدت سعادة لم يسعد مثلها إلا من عمل مثل هذا العمل و أسمائي لا بد أن يصل إليها ذلك من العالم و لكن لا يشكر أسمائي إلا من قصدها بذلك اعتناء منه بجانبها لا من جاء بها غافلا

عنها إن ذلك لها هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لا و الله كما لا يستوي الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ ب كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فِي مَحْياهُمْ وَ مَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ أي ساء من يحكم بذلك ثم أفصل و أقول قول لقمان لابنه فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أي عند ذي قلب قاس لا شفقة له على خلق الله قال تعالى ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً و قوله أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً فإن الحجر لا يقدر أن يمتنع عن تأثيرك فيه بالمعول و القلب يمتنع عن أثرك فيه بلا شك فإنه لا سلطان لك عليه فلهذا كان القلب أشد قسوة أي أعظم امتناعا و أحمى و إن أحسنت في ظاهره فلا يلزم أن يلين قلبه إليك فذلك إليه و حكي أن بعض الناس كسر حجرا صلدا يابسا فرأى في وسط ذلك الحجر تجويفا فيه دودة في فمها ورقة خضراء تأكلها و روى في النبوة الأولى أن لله تعالى تحت الأرض صخرة صماء في جوف تلك الصخرة حيوان لا منفذ له في الصخرة و إن الله قد جعل له فيها غذاء و هو يسبح الله و يقول سبحان من لا ينساني على بعد مكانييعني من الموضع الذي تأتي منه الأرزاق لا على بعد مكانها من الله فإن نسبة الله إلى خلقه من حيث القرب بسكون الراء نسبة واحدة و من حيث القرب بفتح الراء نسبة مختلفة فاعلم ذلك أو في السموات بما أودع الله في سباحة الكواكب في أفلاكها من التأثيرات في الأركان لخلق أرزاق العالم أو الأمطار أيضا فإن السماء في لسان العرب المطر قال الشاعر إذا سقط السماء بأرض قوم يعني بالسماء هنا المطر و قوله أو في الأرض بما فيها من القبول و التكوين للأرزاق فإنها محل ظهور الأرزاق كالأم محل ظهور الولد الذي للأب فيه أيضا أثر بما ألقاه من الماء في الرحم سواء كان مقصودا له ذلك أو لم يكن كذلك الكوكب يسبح في الفلك و عن سباحته يكون ما يكون في الأركان الأمهات من الأمور الموجبة للولادة و سواء كان ذلك مقصودا للكوكب أو لم يكن بحسب ما يعلمه الله عز و جل مما أوحى به في كل سماء من الأمر الإلهي الذي لا يعلمه إلا من أوحى به إليه فأينما كانت مثقال هذه الحبة من الخردل لقلتها بل لخفائها يأت بها الله نبه بهذا التعريف لتأتيه أنت بما كلفك إن تأتيه به فإنك ترجوه فيما تأتيه به و لا يرجوك فيما أتاك به فإنه غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و أنت من الفقراء إليه فإتيانك إليه بما كلفك الإتيان به آكد في حقك إن تأتي به لافتقارك و حاجتك لما يحصل لك من المنفعة بذلك إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ أي هو أخفى أن يعلم و يوصل إليه أي إلى العلم به من حبة الخردل خَبِيرٌ للطفه بمكان من يطلب تلك الخردلة منه لما له من الحرص على دفع ألم الفقر عنه فإن الحيوان ما يطلب الرزق إلا لدفع الآلام لا غير فلو لم يحس بالألم لما تصور منه طلب شيء من ذلك فليس نفعه سوى دفع ألمه بذلك و هو الركن الأعظم و لو لا إن حكم الجنة في أنه نفس حصول الشهوة نفس حصول المشتهي بحيث لو تأخرت عنه إلى الزمان الثاني الذي يلي زمان حصول الشهوة لكان ذا ألم لفقد المشتهي زمان الشهوة كالدنيا فإنه لا بد أن يتأخر حصول المشتهي عن زمان الشهوة فلا بد من الألم فإذا حصل المشتهي فأعظم لالتذاذ به اندفاع ذلك الألم فافهم هذا و حققه فإنه ينفعك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و السبعون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ»

ما يرى عينا سوى الله ... من يعظم حرمة الله

ليس في الأعيان إلا هي		كل ما في الكون حرمته

لا و لا في الحكم باللاهي		ليس بالساهي معظمها

من يرى الأشياء بالله		كيف يسهو عن محارمه

و أنا عن ذاك بالساهي		فهو الرائي بجار حتى

العالم حرم الحق و الكون حرمه الذي أسكن فيه هؤلاء الحرم و أعظم الحرم ما له فيه أثر الطبع النكاحي لأنه محل التكوين و العالم كله حرم الله فإنه محل تكوين الأحكام الإلهية لظهور الأعيان فأي عين ظهر عاد حرمة من الحرم فحواء من آدم سواء منه ظهرت فهي عينه و هو عينها حرمته و زوجته التي كون فيها نبيه لأنها ضلعه القصير قبل الشكل المعلوم بالإنسان فهكذا ما خلق الله من العالم و الإشارة إليه في قوله جَمِيعاً مِنْهُ و قوله في عيسى وَ رُوحٌ مِنْهُ لم ينسبه إلى غير لأنه ما ثم غير فمن عظم حرمة الله و من العالم فما عظم إلا نفسه و قد تبين لك أنك منه لا من ذاتك من أمر آخر فمن عظم حرمة الله فإنما عظم الله و من عظم الله كان خيرا له و هو ما يجازيه به من التعظيم في مثل قوله وَ مَنْ يُعَظِّمْ شَعٰائِرَ اللّٰهِ وَ مَنْ يُعَظِّمْ حُرُمٰاتِ اللّٰهِ و قوله عِنْدَ رَبِّهِ العامل في هذا الظرف في طريقنا قوله وَ مَنْ يُعَظِّمْ أي من يعظمها عِنْدَ رَبِّهِا أي في ذلك الموطن فلتبحث في المواطن التي تكون فيها عند ربك ما هي كالصلاة مثلا فإن المصلي يناجي ربه فهو عند ربه فإذا عظم حرمة الله في هذا الموطن كان خيرا له و تعظيم الحرمة أن يتلبس بها حتى تعظم فإذا عظمت كان التكوين كما جاء فلما أثقلت دعوا الله و المؤمن إذا نام على طهارة فروحه عند ربه فيعظم هناك حرمة الله فيكون الخير الذي له في مثل هذا الموطن المبشرة التي تحصل له في نومه أو يراها له غيره و المواطن التي يكون العبد فيها عند ربه كثيرة فيعظم فيها حرمات الله على الشهود و هذا الباب إن بسطنا القول فيه طال و هذه الإشارة القليلة تعطي صاحب الفهم بقوتها ما في البسط من الفوائد الوجودية و هذا كاف في الغرض المقصود وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثمانون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَ آتَيْنٰاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا»

روحا و جسما فلا تعدل عن الرشد		من المزاج قوى الإنسان أجمعها

لعلة قبلتها نشأة الجسد		بذاك يضعف في حال تصرفها

فذاك حكم الآلة الواحد الصمد		فإن بدا لك ما يذهب بعادتها

من الأناسي و ما بالربع من أحد		كمثل عيسى و من قد كان أشبهه

سوى الذي خلق الإنسان في كبد		يأتي بما جاءكم من خرق عادته

قال الله عز و جل وَ سَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا فهذا سلام من الله عليه و قال عيسى عن نفسه ع إخبا را بحاله مع الله فيما أخبر الله به عن عنايته بيحيى ع وَ السَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا و زاد المحمدي الوارث كنت نبيا و آدم بين الماء و الطينو ذلك أن

لأن لها القرب الإلهي بالنص عناية ريعان الشباب قوية

وهذي علوم ليس تدرك بالفحص لأن علوم القوم ذوق و خبرة

فإن رسول الله ص برز بنفسه و حسر الثوب و قال لما أقبل الغيث حتى أصابه إنه حديث عهد بربهفهذا هو النص الجلي الذي أتى من الشرع في الغيث القريب من الرب فكل أول في العالم فإنه حديث عهد بربه و كل ما في العالم أول فإنه شيء فهو في وجوده حديث عهد بربه إذ قال له كُنْ فالعالم كله عالم الأمر سواء كان من عالم الخلق أو لم يكن و قد بينا عالم الأمر و الخلق ما هو و هو الوجه الخاص الذي في عالم الخلق و ما عثر عليه أحد من أهل النظر في العلم الإلهي إلا أهل الله ذوقا و لما كان للصبي حدثان هذا القرب و هو قرب التكوين و السماع و لم يحل بينه و بين إدراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الأركان في خلقه فلم يكن عن أب عنصري و لكن كان روح الله وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال مخبرا عن ما شاهده من الحال فحكم في مهده على مرأى من قومه الذين افتروا في حقه على أمه مريم فبرأها الله بنطقه و بحنين جذع النخلة إليه إذ أكثر الشرع في الحكومة بشاهدين عدلين و لا أعدل من هذين فقال إِنِّي عَبْدُ اللهِ فحكم على نفسه بالعبودية لله و ما قال ابن فلان لأنه لم يكن ثم و إنما كان حق تجلى في صورة روح جبريل لما في القضية من الجبر الذي حكم في الطبيعة بهذا التكوين الخاص الغير معتاد آتانِيَ الْكِتابَ فحصل له إنجيله قبل بعثه فكان على بينة من ربه فحكم بأنه مالك كتابه الإلهي وَجَعَلَنِي نَبِيًّا فحكم بأن النبوة بالجعل لأن الله يقول في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ فهو في الصورة بالجعل لئلا يتخيل أن ذلك بالذات بل هو اختصاص إلهي وَجَعَلَنِي مُبارَكاً أي خصني بزيادة لم تحصل لغيري و تلك الزيادة ختمه للولاية و نزوله في آخر الزمان و حكمه بشرع محمد ص حتى يكون يوم القيامة ممن يرى ربه الرؤية المحمدية في الصورة المحمدية أينما كنت من دنيا و آخرة فإنه ذو حشرين يحشر في صف الرسل و يحشر معنا في أتباع محمد ص وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ المفروضة في أمة محمد ص أن أقيمها لأنه جاء بالألف و اللام فيها وَالزَّكاةِ أيضا كذلك ما دُمْتُ حَيًّا زمان التكليف و هو الحياة الدنيا وَبَرًّا بِوالِدَتِي فأخبر أنه شق في خلفه فإن لأمه عليه ولادة لما كانت محل تكوينه فقلت نسبته العنصرية في خلقه فكان أقرب إلى ربه فكان أحدث عهد بعبوديته لربه وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا إذ لا يكون ذلك ممن يكون إلا بالجهل و الجهل فيه إنما هو من قوة سلطان ظلمة العنصر و قد بينا مرتبة عالم الطبيعة من عالم العناصر في هذا الكتاب في مواضع منه وَالسَّلامُ عَلَيَّ لعلمه بمرتبته من ربه و حظه منه يَوْمَ وُلِدْتُ يعني له السلامة في ولادته من تأثير العبد المطرود الموكل بالأطفال عند الولادة حين يصرخ الولد إذا وقع من طعنته فلم يكن لعيسى ع صراخ بل وقع ساجد الله تعالى وَيَوْمَ أَمُوتُ يكذب من يفتري عليه أنه قتل فلم يقل و يوم أقتل وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا يعني في القيامة الكبرى أكد موته فأتاه الحكم بما ذكره و هو

صبي رضيع في المهد فكان أتم في الوصلة بربه من يحيى بن خالته فإن عيسى سلم على نفسه بسلام ربه و لهذا ادعى فيه أنه إله و يحيى سلم عليه ربه تعالى و لم ينص على أنه عرف بذلك السلام عليه أو لم يعرفوا اعلم أن الناس إنما يستغربون الحكمة من الصبي الصغير دون الكبير لأنهم ما عهدوا إلا الحكمة الظاهرة عن التفكر و الرؤية و ليس الصبي في العادة بمحل لذلك فيقولون إنه ينطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الظاهر فزاد يحيى و عيسى بأنهما على علم مما نطقا به علم ذوق لأن مثل هذا في هذا الزمان و السن لا يصح أن يكون إلا ذوقا و أن الله آتاه الحكم صبيا و هو حكم النبوة التي لا تكون إلا ذوقا فمن كان هجيره هذا فوراثته و إن كان محمديا لهذين النبيين أو لأحدهما على حسب قوة نسبته منهما أو من أحدهما و قد نطق في المهد جماعة أعني في حال الرضاعة و قد رأينا أعظم من هذا رأينا من تكلم في بطن أمه و أدى واجبا و ذلك أن أمه عطست و هي حامل به فحمدت الله فقال لها من بطنها يرحمك الله بكلام سمعه الحاضرون و أما ما يناسب الكلام فإن ابنتي زينب سألتها كالملاعب لها و هي في سن الرضاعة و كان عمرها في ذلك الوقت سنة أو قريبا منها فقلت لها بحضور أمها وجدتها يا بنية ما تقولين في الرجل يجامع أهله و لا ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك و فارقت هذه البنت في تلك السنة و تركتها عند أمها و غبت عنها و أذنت لأمها في الحج في تلك السنة و مشيت أنا على العراق إلى مكة فلما جئنا المعرف خرجت في جماعة معي أطلب أهلي في الركب الشامي فرأتني و هي ترضع ثدي أمها فقالت يا أمي هذا أبي قد جاء فنظرت الأم حتى رأتني مقبلا على بعد و هي تقول هذا أبي هذا أبي فناداني خالها فأقبلت فعند ما رأتني ضحكت و رمت بنفسها علي و صارت تقول لي يا أبت يا أبت فهذا و أمثاله من هذا الباب

«الباب الأحد و الثمانون و أربعمائة في حال قطب كان منزله إن الله لا يضيع أَجْرَ من أَحْسَنَ عَمَلًا»

من يشهد الله في أعماله حسنت | نشأتها فلها في الوزن رجحان
مع الشهود له أجر يخص به | قضى بذلك في التعريف ميزان
أن الرسول له أجر تعينه | له رسالته ما فيه نقصان
لو لا الوجود لما كان الشهود لنا | و في الوجود لنا ربح و خسران
وليس يدري الذي جئنا به أحد | الا عليم بما في الأمر حيران

قال رسول الله ص في الإحسان إنه العمل على رؤية الحق في العبادة و هو تنبيه عجيب من عالم شفيق على أمته لأنه علم أنه إذا قام العبد في عمله عبادة و جعل في نفسه أنه يرى ربه و يراه ربه بما استحضره في تلك العبادة على قدر علمه فإنه إذا كان هذا هجيره و ديدنه ذلك أبصر أن العامل هو الله لا هو و أن العبد محل ظهور ذلك العمل كما ورد أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فالإحسان في العبادة كالروح في الصورة يحييها و إذا أحياها لم تزل تستغفر لصاحبها و لها البقاء الدائم فلا يزال مغفورا له فإن الله صادق و قد أخبر أنه لا يضيع أَجْرَ من

أَحْسَنَ عَمَلًا بل لا يضيع عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ من ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ من بَعْضٍ كان العمل ما كان فإن كان خيرا فلا يضيع أجره و إن لم يكن خيرا فإن الله لا يضيعه لأنه لا بد أن يبدل الله سيئات التائب حسنات فإن لم يكن العمل غير مضيع و إلا ففي أي أمر يقع التبديل لأن الأعمال صور أنشأها العامل لا بل أنشأها الله فإنه العامل و العبد محل ظهور ذلك العمل كالهيولى لما يقبله من فتح الصور فيها ثم إن الحضور مع الله تعالى و هو الإحسان في ذلك العمل حياة ذلك العمل و به سمي عبادة و لو لا هذا الحضور ما كان عبادة فما من مؤمن يعصي إلا و في نفسه ذل المعصية فلذلك يصير عبادة و لو لم يكن إلا علمه بأنها معصية و أي روح أشرف من العلم كما قال الله عن نفسه إنه أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً و دل عليه دليل العقل و العمل من الأشياء و هو يعلمه و يعلم حيث هو فكيف يضيع عنه أو يضيعه و هو خلق من خلقه يسبح بحمده فإن كانت حياته عن نفخ ربه سبح بحمده و إن كانت حياته عن حضور عامله و منشئه و كان العمل ما كان سبح بحمده و استغفر لعامله فهذا الفرقان بين العملين فإن أعطى الله المغفرة لغير الحاضر فإنما ذلك مراعاة إلهية لكون هذا العبد أنشأ بوجوده صورة و لا بد لكل صورة من روح فإن الله يغفر له لكونه ظهرت عنه صورة نفخ الحق فيها روحا منه فسبحت بحمده فلهذا الاشتراك لحقت المغفرة صاحب ذلك العمل كان من كان و لحقته متى لحقته و التروك لا تكون أعمالا إلا إذا نويت و ما لم ينوها صاحبها فإنها ليست بعمل فإن الأعمال منها ظاهرة و باطنة أو يترك الإنسان ما أمر بفعله فإن الترك عدم محض إلا أن هناك دقيقة و ذلك أن العمل الذي يكون فيه في زمان ترك ما أوجب الله عليه فعله هو الذي يكون صورة من إنشاء عامله لا عين الترك فإن الزمان إنما هو لذلك العمل المتروك حتى يتوب و هذا أشد المعاصي و أعظمها و لهذا ذهب من ذهب من أهل الظاهر إلى أنه من صلى ركعتي الفجر و لم يضطجع فإن صلاة الصبح لا تصح له و إن لم يركع الفجر لم يجب عليه الاضطجاع و جازت صلاة الصبح و غايته أنه ترك سنة مؤكدة لا إثم عليه في تركها و هذا عين ما ذكرناه و التعليل واحد فكل عمل مأمور به على طريق الفرض و الوجوب و ترك فإن العمل الذي يقوم الإنسان فيه على البدل من العمل المأمور به هو الذي يقوم صورة لا عين الترك فافهم و لكن إذا كان العمل المتروك يشغل زمانا بذاته لا يصح في ذلك الزمان غيره و يكون مطلقا لا يكون زمانا مقيدا و يكون العمل ممن يحرم على العامل التصرف في عمل غيره كالصلاة فإن لم يكن كذلك فأي عمل عمله فإنه مقبول أعني من أعمال الخير لأنه عمله في زمان يجوز له فيه عمله فأحسن العمل ما عمل بشرطه و في زمانه و تمام خلقه و كمال رتبته في حاله فحينئذ يكون صورة مخلوقة فافهم ذلك و اعمل بحسبه فإنك تنتفع بذلك إن شاء الله

«الباب الثاني و الثمانون و أربعمائة في حال قطب كان منزله وَمن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى وَإِلَى اللهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ»

فذاك الوجه ليس له انتهاء … و من يسلم إلى الرحمن وجها
يعينه فيحصره الثناء … لأن الله ليس له ابتداء

و هذا الحق ليس به خفاء	فأشهده بإسلامي إليه

لماسكها الهدى و الاعتلاء	و ذاك العروة الوثقى لدينا

فبان الاهتدا و الاقتداء	لقد قسم الصلاة و لست كفوا

فمنزله و منزلنا سواء	كان الحق لم يخلق سوائي

يعني في قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قال الله تعالى قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ فلم يفرق بين الاسم الله و الاسم الرحمن بل جعل الاسمين من الألفاظ المترادفة و إن كان في الرحمن رائحة الاشتقاق و لكن المدلول واحد من حيث العين المسماة بهذين الاسمين و المسمى هو المقصود في هذه الآية و لذلك قال فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى و من أسمائه الحسنى الله و الرحمن إلى كل اسم سمي به نفسه مما نعلم و مما لا نعلم و مما لا يصح أن يعلم لأنه استأثر بأسماء في علم غيبه لما كان الاسم الله قد عصمه الله أن يسمى به غير الله فلا يفهم منه عند التلفظ به و عند رؤيته مرقوما إلا هوية الحق لا غير فإنه يدل عليه تعالى بحكم المطابقة قال أبو يزيد عند ذلك أنا الله يعني ذلك المتلفظ به في الدلالة على هويته يقول رضي الله عنه أنا أدل على هوية الله من كلمة الله عليها و لذاك سماه كلمته و قال ع إن أولياء الله هم الذين إذا رأوا ذكر الله و سموا أولياء الله لقيام هذه الصفة التي تولاهم الله بها بهم و أي إسلام و انقياد ذاتي لأنه قال وجهه أعظم من هذا الانقياد و الإسلام و هو محسن أي فعل ذلك عن شهود منه لأن الإحسان أن ترى ربك في عبادتك فإن العبادة لا تصح من غير شهود و إنصح العمل فالعمل غير العبادة فإن العبادة ذاتية للخلق و العمل عارض من الحق عرض له فتختلف الأعمال فيه و منه و العبادة واحدة العين فكما لا تفرق بين الله و الرحمن كذلك لا تفرق بين العبد الحقيقي و بين ربه فعند ما نراه تراه فلا ينكره إلا من أنكر الرحمن فلذلك سمي هذا المقام العروة الوثقى أي التي لا تتصف بالانخرام لأنها لذاتها هي عروة وثقى شطرها حق و شطرها خلق كالصلاة حكم واحد نصفها لله و نصفها للعبد و لم يقل للمصلي وَإِلَى اللهِ عاقِبَةُ الْأُمُورِ فنبه إن مرجع هذا التفصيل كله إلى عين واحدة ليس غير ذلك العين لها صفة الوجود فمن لم يكن له مثل هذا النتاج في هذا الهجير فما ذكر الله به و إن لم يزل به متلفظا فليس المقصود منه إلا ظهور مثل هذا و هذه الإشارة كافية في هذا الذكر و الحمد لله وحده

«الباب الثالث و الثمانون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها»

بصفات القدس في نشأتها	فازت النفس إذا ما اتصفت

وقفت فيه على حكمتها	أو بأمر عارض كان لها

ما اقتضاه الأمر من سورتها	فهما في الحكم سيان على

دون نعت خاب من جملتها	و الذي قد دسها بينهما

إنه الظاهر في صورتها	لم يجب من بعد ما تنتجه

لدخول الكون في رحمتها فله الحمد على ذاك و ذا

تحقيق هذا الذكر إن النفس لا تزكو إلا بربها فبه تشرف و تعظم في ذاتها لأن الزكاة ربو فمن كان الحق سمعه و بصره و جميع قواه و الصورة في الشاهد صورة خلق فقد زكت نفس من هذا نعته وَ رَبَتْ وَأَنْبَتَتْ من كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ كالاسماء الإلهية لله و الخلق كله بهذا النعت في نفس الأمر و لو لا أنه هكذا في نفس الأمر ما صح لصورة الخلق ظهور و لا وجود و لذلك خابَ من دَسَّاها لأنه جهل ذلك فتخيل أنه دسها في هذا النعت و ما علم إن هذا النعت لنفسه نعت ذاتي لا ينفك عنه يستحيل زواله لذلك وصفه بالخيبة حيث لم يعلم هذا و لذلك قال قَدْ أَفْلَحَ ففرض له البقاء و البقاء ليس إلا لله أو لما كان عند الله و ما ثم إلا الله أو ما هو عنده فخزائنه غير نافدة فليس إلا صور تعقب صورا و العلم بها يسترسل عليها استرسالا بقوله حَتَّى نَعْلَمَ مع علمه بها قبل تفصيلها فلو علمها مفصلة في حال إجمالها ما علمها فإنها مجملة و العلم لا يكون علما حتى يكون تعلقه بما هو المعلوم عليه فإن المعلوم هو الذي يعطيه بذاته العلم و المعلوم هنا غير مفصل فلا يعلمه إلا غير مفصل إلا أنه يعلم التفصيل في الإجمال و مثل هذا إلا يدل على أن المجمل مفصل إنما يدل على أنه يقبل التفصيل إذا فصل بالفعل هذا معنى حتى نعلم و إذا كان الأمر كما ذكرناه فما ثم من دساها و لو كان ثم لكان هو الموصوف بالخيبة لأن الشيء لا يمكن أن ينجعل و لا يندس في غير قابل لاندساسه و إذا دسه فقد قبله ذلك القابل و إذا قبله فما تعدى ذلك المدسوس رتبته لأنه حل في موضعه و استقر في مكانه فما خاب من دسه الخيبة المفهومة من الحرمان فله العلم و ما له نيل الغرض فحرمانه عدم نيل غرضه فإن العلم ما هو محبوب لكل أحد و لو كان العلم محبوبا لكل أحد ما قال من قال إن العلم حجاب و الحجاب عن الخير تنفر منه الطباع و نحن إذا قلنا العلم حجاب فإنما نعني به يحجب عن الجهل فإن الوجود و العدم لا يجتمعان أعني النفي و الإثبات فما يخيب إلا أصحاب الأغراض و هم الأشقياء فمن لا غرض له لا خيبة له و أنت تعلم أنه إذا دس شيء في شيء إن لم يسعه فلا يندس فيه و إن اندس فقد وسعه و لا يسعه إلا ما هو له فلكل دار أهل و ما ثم في الآخرة إلا داران جنة و لها أهل و هم الموحدون بأي وجه وحدوا و هم الذين زكوا نفوسهم و الدار الثانية النار و لها أهل و هم الذين لم يوحدوا الله و هم الداسون أنفسهم فخابوا لا بالنظر إلى دارهم و لكن بالنظر إلى الدار الأخرى فكما أنه لم يتعد أحد هنا ما قدر له و ما أعطته نشأته الخاصة به كذلك لم يتعد هنالك ما قدر له موطنه الذي هو معين لذلك الذي قدر له فمن خلق للنعيم فسييسره لليسرى فَأَمَّا من أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ و من خلق للجحيم فسييسره للعسرى وَ أَمَّا من بَخِلَ بنفسه على ربه حيث طلب منه قلبه ليتخذه بيتا له بالإيمان أو التوحيد وَ اسْتَغْنىٰ بنفسه عن ربه في زعمه وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ و هي أحكام الأسماء الحسنى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ فهذا تيسير التعسير و هو يشبه الدس فإن الدس يؤذن بالعسر لا بالسهولة فلو جهد أحد أن يدخل فيما لا يسعه ما يمكن له ذلك جملة واحدة و ما كلف الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها في نفس الأمر و لذلك وسعت رحمته كل شيء و زال الغضب و ارتفع حكمه و تعينت المراتب و بانت المذاهب و تميزا لمركوب من الراكب وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الثمانون و أربعمائة في حال قطب كان منزله إذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لا تُبْصِرُونَ»

إذا احتضر الإنسان هيأ ذاته	لرؤية من يلقاه و هو بعينه
فيا عجبا من غائب و هو حاضر	و ليس يراه الشخص من أجل كونه
فإن زال عن تركيبه و هو زائل	فإن وجود الحق في ستر صونه
و من فرط قرب الشيء كان حجابه	فلو زال ذاك القرب قام بعونه
فيشهده حالا و عينا بعينه	وخص بهذا الوصف من أجل حينه
فسبحان من لا تشهد العين غيره	على عزه فيما يزين و شينه
فما الشأن إلا في وجودي و كونه	فمن بينه كانت شواهد بينه

البين الأول الوصل و الآخر الفراق و ليس إلا آخر الأنفاس فما بعده نفس خارج لأنه ليس ثم و قد خرج و فارق القلب بصورة ما كشف له فإن كان الكشف مطابقا لما كان عليه فهو السعيد و إن لم يكن مطابقا فهو بحسب ما كشفه قبل فراقه القلب لأنه هنالك يكتسب الصورة التي يخرج بها و هذه منة من الله بعبده حتى لا يقبض الله عبدا من عباده إلا كما أخرجه من بطن أمه على الفطرة فإن المحتضر ما فارق موطن الدنيا لا أنه على أهبة الرحيل رجله في غرز ركابه و هنالك ينكشف له شهودا حقيقة قوله وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و قوله في حق طائفة وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ غير إن الذين بقيت لهم أنفاس من الحاضرين لا يبصرون معية الحق في أينية هذا العبد فإنهم في حجاب عن ذلك إلا أهل الله فإنهم يكشفون ما هو للمحتضر مشهود كما كان الأمر عندهم فإن عم بقوله لا تبصرون فإنه يريد الذوق فإن ذوق كل شاهد في مشهوده لا يكون لغيره و إن اتصف بالشهود فالحق عند العارف في العين و عند غير العارف في الأين فبرحمة من الله كان هذا الفضل من الله و لو لا الدار ما تجذب أهلها جذب المغناطيس الحديد و لو لا أهلها ما هم كأولاد أم عيسى مع الصبغ ما رموا نفوسهم فيها يقول النبي ص إنكم لتقتحمون في النار كالفراش و أنا آخذ بحجزكمفشبههم بالفراش الذي يعطيه مزاجه أن يلقي نفسه في السراج فيحترق و لكن هؤلاء الذين هم أهلها و أما من يدخلها ورودا عارضا لكونها طريقا إلى دار الجنان فهم الذين يتبرمون بها و تخرجهم شفاعة الشافعين و عناية أرحم الراحمين بعد أن تنال منهم النار ما يقتضيه أعمالهم كما إن الذين هم أهلها في أول دخولهم فيها يتألمون بها أشد الألم و يسألون الخروج منها حتى إذا انتهى الحد فيهم أقاموا فيها بالأهلية لا بالجزاء فعادت النار عليهم نعيما فلو عرضوا عند ذلك على الجنة لتألموا لذلك العرض فينقدح لهذا الذكر أعني لأهله مثل هذه المعارف الشهودية فإن ادعى أحد هذا الهجير و جاء بعلم غير مشهود له معلومه رؤية بصر فليس ذلك نتيجة هذا الذكر بل ذلك أمر آخر فلينتظر فتح هذا الذكر الخاص الذي هو هجيره حتى يمن الله عليه بالشهود البصري لا بد من ذلك فإن الموطن

يقتضيه قال الله عز و جل فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ فهو يرى ما لا يرى من عنده من أهله الذين حجبهم الله تعالى عن رؤية ذلك إلى أن يأتيهم أجلهم أيضا جعلنا الله عز و جل في ذلك المقام ممن يشهد ما يسره لا ما يسوءه آمين بعزته وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الثمانون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله من كان يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ»

إن الحياة هي النعيم فمن يرد تحصيله قبل الممات فقد أسا
إلا النعيم بربه و شهوده فهو المرجى في لعل و في عسى
عند المحقق و المخصص بالهدى و تسهل الأمر الذي بي قد عسا
الواحد الفرد الذي بوجوده لم يتخذ غير المهيمن مؤنسا
و هو الذي عند الإله مقامه إذ كان من أدنى الخلائق مجلسا

يقول الله تعالى أنا جليس من ذكرني و مجالسة الحق بما يقتضيه مقام ذلك الذكر كان ما كان فاعلم إن نية العبد خير من عمله و النية إرادة أي تعلق خاص في الإرادة كالمحبة و الشهوة و الكرة فالعبد تحت إرادته فلا يخلو في إرادته إما أن يكون على علم بالمراد أو لا يكون فإن كان على علم فيها فلا يريد إلا ما يلائم طبعه و يحصل غرضه و إن كان غير عالم بمراده فقد يتضرر به إذا حصل له فإن راعى الحق الإرادة الطبيعية الأصلية نعم فإن كل مريد إنما يطلب ما يسر به لا ما يسوؤه و لكن يجهل الطريق إلى ذلك بعض القاصدين و يعرفه بعضهم فالعالم يجتنب طريق ما يسوءه و الجاهل لا علم له فإن حصل له ما يسره فبالعرض بالنظر إليه و بالعناية الإلهية به فإن الله تعالى وصف نفسه بأنه لا يبخس أحدا في مراده كان المراد ما كان و معلوم أن الإرادة الطبيعية ما قلناه و هي الأصل و أرجو من الله مراعاة الأصل لنا و لبعض الخلق ابتداء و أما الانتهاء فإليه مصير الكل فإذا وصف الله نفسه بأنه يوفي كل أحد عمله أي أجرة عمله في الزمان الذي يريدها فيه و لا يبخسه من ذلك شيئا فقد حبط عمله إن كانت إرادته الحياة الدنيا فلا حظ له في الآخرة التي هي الجنة أو النعيم الذي ينتجه العمل لأنه قد استوفاه في الدنيا فإن سعد بنيل راحة فذلك من الاسم الوهاب و الإنعام الذي لا يكون جزاء فلا يكون لمن هذه حاله إن سعد إلا نعيم الاختصاص سكن حيث سكن و استقر حيث استقر فإن كان ممن يريد الحياة الدنيا و نقصه من ذلك نفس واحد لم ينعم به فليس هو ممن وفي الله له فيها عمله لأنه ما مكنه من كل ما تعلقت به إرادته في الحياة الدنيا و هل يتصور وجود هذا مع قرصة البرغوث و العثرة المؤلمة في الطريق أو لا فالآية تتضمن الأمرين و هي في الواحد المحال وقوعه في الوجود أظهر فإنه بعيد أن لا يتألم أحد في الدنيا فمن أراد الحياة الدنيا فقد أراد المحال فلو صح أن يقع هذا المراد لكان على الوجه الذي ذكرناه لكنه ليس بواقع و أما الأمر الآخر فإنه إذا تألم مثلا بقرصة برغوث إلى ما فوق ذلك من أكبر أو أصغر فإن كان مؤمنا فله عليه ثواب في الآخرة فيكون لهذا المريد الحياة الدنيا يعطيه الله ذلك الثواب في الدنيا معجلا فينعم به كما كان يفعل الله تعالى بأبي العباس

السبتي بمراكش من بلاد الغرب رأيته و فاوضته في شأنه فأخبرني عن نفسه أنه استعجل من الله في الحياة الدنيا ذلك كله فعجله الله له فكان يمرض و يشفي و يحيي و يميت و يولي و يعزل و يفعل ما يريد كل ذلك بالصدقة و كان ميزانه في ذلك سباعيا إلا أنه ذكر لي قال خبأت لي عنده سبحانه ربع درهم لآخرتي خاصة فشكرت الله على إيمانه و سررت به و كان شأنه من أعجب الأشياء لا يعرف ذلك الأصل منه كل أحد إلا من ذاقه أو من سأله عن ذلك من الأجانب أولي الفهم فأخبرهم غير هذين الصنفين لا يعرف ذلك و قد يعطي الله ما أعطى السبتي المذكور لا من كونه أراد ذلك و لكن الله عجل له ذلك زيادة على ما ادخره له في الآخرة فإنه غير مريد تعجيل ذلك المدخر كعمر الواعظ بالأندلس و من رأينا من هذا الصنف و عملت أنا عليه زمانا في بلدي في أول دخولي هذا الطريق و رأيت فيه عجائب و كان هذا لهم من الله و لنا لا من إرادتهم و لا من إرادتنا و لو عرف أبو العباس السبتي نفسه معرفتي بها منه ما استعجل ذلك فإنه كان على صورة لا يكون عنها إلا هذا إلا أنه سأل ذلك من الله فأعطاه إياه عن سؤال منه و لو سكت لفاز بالأمرين في الدارين لكن جهله بنفسه و طبعها الذي طبعت عليه و صورته التي ركبه الله عليها جعلته يسأل فخسر حين ربح غيره و العمل واحد و لهذا يفرح بالعلم لأنه أشرف صفة يتحلى بها العبد و اعلم أن الحياة الدنيا ليست غير نعيمها فمن فاته من نعيمها شيء فما وفيت له و ما ذكر الله إلا توفيه العمل فهو نعيم العمل و صبره الذي ذكرناه على العثرة في محل التكليف و قرصة البرغوث و إن لم يكن مؤمنا بالدار الآخرة وفاه الله ما يطلبه ذلك العمل في الحياة الدنيا فما أعطى الله أحدا الحياة الدنيا مخلصة قط و لا هو واقع و لو وقع له كل مراد لكان أسعد الخلق فإنه من إرادته النجاة و البشرى من الله تعالى له بها و إن لم يكن مؤمنا فما وقع المشروط وقع عموم الشرط فافهم و اعمل بحسب ما تعلم وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الثمانون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاٰلاً مُبِيناً»

ألا إن الرسول هو الذي قد حباه الله بالشرف التليد
فمن يعص الرسول فقد عصاه و حيره بتفصيل الوجود
فرام به فلم يقدر عليه لما في الرب من نعت العبيد
فلم يعلم به إذ لم يجده يميزه له حال الشهود
فيركب تارة متن اعتراف و يركب تارة متن الجحود
فسبحان المخصص كل حزب بآلام و لذات المزيد

قال الله تعالى مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّٰهَ لأنه لا ينطق إلا عن الله بل لا ينطق إلا بالله بل لا ينطق إلا الله منه فإنه صورته و ما ورد و من يعص الرسول فقد عصى الله كما أنزله في الطاعة لأن طاعة المخلوق لله ذاتية و عصيانه بالواسطة فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة لم يكن إلها و هو إله فلا يعصى الا بحجاب و ليس الحجاب سوى عين الرسول و نحن اليوم أبعد في المعصية للرسول من أصحابه إلى من دونهم إلينا

فنحن ما عصينا إلا أولي أمرنا في وقتنا و هم العلماء منا بما أمر الله به و نهى عنه فنحن أقل مؤاخذة و أعظم أجرا لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة يقول ص للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فا جعل بالك لكونه لم يقل منكم ثم قال تعالى أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فذكر الله تعالى و ذكر الرسول و ذكرنا أعني أولي الأمر منا و هم الذين قدمهم الله علينا و جعل زمامنا بأيديهم و لم يكن رسول الله ص يقدم في السرايا و غيرها إلا من هو أعلمهم و ما كان أعلمهم إلا من كان أكثرهم قرآنا فكان يقدمه على الجيش و يجعله أميرا و ما خص الاسم الله من غيره من الأسماء في قوله فَقَدْ أَطاعَ اللهَ إذ كان الله هو الاسم الجامع فله معاني جميع الأسماء الإلهية كما هو للتجلي جميع الصور كذلك الخليفة و هو الرسول و أولو الأمر منا لا بد أن يظهروا في جميع الصور التي تحتاج إليها الرعايا فمن بايع الإمام فإنما يبايع الله تعالى و لا تصح المعصية إلا بعد العقد و قد وقع في أخذ الميثاق و العهد في قوله تعالى أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ثم ألقمه الحجر الأسود و أمر بتقبيله تذكرة و أخبر بلسان الرسول أن الحجر يمينه فأمر ببيعة محمد ص و قال في الذين يبايعونه إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ فأنزله منزلته و لم ينزل الحجر منزلته بالذكر فعظم قدر ابن آدم

و أين رتبته من رتبة البشر　قبل فإن يمين العهد في الحجر
الواحد الأحد القيوم بالصور　إن المبايع من تعنو الوجوه له
إن شاء في شجر إن شاء في حجر　إن شاء في ملك إن شاء في بشر
و ما له في وجود الكون من أثر　فما تقيده ذات و لا عرض
تروه غيرا فيدعوكم إلى الغير　بل الوجود هو الحق الصريح فلا
بالحق فيما يراه فيه ذو بصر　هو المؤثر و الآثار قائمة
تضمن الكون من نفع و من ضرر　إن لم يكن هكذا أمر الوجود و ما
و لا تضاف إليه آخر العمر　فما تكون لحق صورة أبدا
و الخلق و الأمر في الأنثى و في الذكر　هو المطاع فما تعصى أوامره
فأنت شمس و عين الحق في القمر　بالشمس يظهر ما في البدر من صفة
لكنه هكذا تدركه في النظر　و ليس في البدر ما الأبصار تدركه
فالأمر أغمض بالبرهان و الخبر　فكوننا في وجود الحق مغلطة

سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ف لَيْس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ و ذلك هو الفضل المبين أقول له أنت يقول لي أنت أقول له فإنا يقول لي لا بل أنا فأقول له فكيف الأمر فيقول كما رأيت فأقول فما رأيت إلا الحيرة فلا تحصيل مني و لا توصيل منك فيقول قد أوصلتك فأقول فما بيدي شيء فيقول هو ذاك الذي أوصلت فعليه فاعتمد و بالله فاتئد

و من يدرك سواه فما دراه فما في الكون من يدري سواه

فإن الله من جهل حماه و من يدرك مع الخلاق خلقا

يراه و ما يراه فما تراه و من يدرك مع المخلوق حقا

وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الثمانون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله و من يعمل من الصالحات (من عَمِلَ صالِحاً) من ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً»

فكل شيء له نقص و رجحان لكل شيء من الأشياء ميزان

و الطالحون لهم في الحق ميزان فالصالحون لهم وزن يخصهم

يسعد و إن جاءه في ذاك برهان فمن يقوم بوزن في تقلبه

و لو يساعده في ذاك شيطان لأن ميزانه و في حقيقته

من خلقه ما له عليه سلطان لذاك قال لمن و في طريقته

قال الله تعالى الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ و إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فالعمل الصالح له الحياة الطيبة و هي تعجيل البشرى في الحياة الدنيا كما قال تعالى لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا فيحيا في باقي عمره حياة طيبة لما حصل له من العلم بما سبق له من سعادته في علم الله مما يؤول إليه في أبده فتهون عليه هذه البشرى ما يلقاه من المشقات و العوارض المؤلمة ف إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ و كلامه صدق و قد خوطب بالقول الذي لا يبدل لديه و كذلك أيضا للعمل الصالح التبديل فيبدل الله سيئاته حسنات حتى يود لو أنه أتى جميع الكبائر الواقعة في العالم من العالم كله على شهود منه عين التبديل في ذلك و لقد لقيت من هو بهذه الحال بمكة من أهل توزر من أرض الجريد و لقيت أيضا بإشبيلية أبا العباس العريبي شيخنا من أهل العليا بغرب الأندلس ما لقيت في عمري إلا هذين من أهل هذا الذوق و كذلك للعمل الصالح شكر الحق لأنه الغفور الشكور فسعيه مقبول و كلامه مسموع و لو لم يكن في العمل الصالح إلا إلحاق عامله بالصالحين و إطلاق هذا الاسم عليه لكان كافيا فإنه مطلب الأنبياء ع و هم أرفع الطوائف من عباد الله و الصلاح أرفع صفة لهم فإن الله أخبرنا عنهم أنهم مع كونهم رسلا و أنبياء سألوا الله أن يدخلهم الله برحمته في عباده الصالحين و ذكر في أولي العزم من رسله أنهم من الصالحين في معرض الثناء عليهم فالصلاح يكون أخص وصف

للرسل و الأنبياء ع و هم بلا خلاف أرفع الناس منزلة و إن فضل بعضهم بعضا و من نال الصلاح من عباد الله فقد نال ما دونه فله منازل الرسل و الأنبياء ع و ليس برسول و لا نبي لكن يغبطه الرسول و النبي لما يناله الرسول و النبي من مشقة الرسالة و النبوة لأنها تكليف و بها حصلت لهم المنزلة الزلفى و نالها صاحب العمل الصالح المغبوط من غير ذوق هذه المشقات و من هنا تعرف ما مسمى الرسول و النبي و تعرف معنى قول الرسول ص في قوم تنصب لهم منابر يوم القيامة في الموقف يخاف الناس و لا يخافون و يحزن الناس و لا يحزنون لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون حيث رأوا تحصيلهم هذه المنازل مع هذه الحال فهم غير مسئولين من بين الخلائق لم يدخلهم في عملهم خلل من زمان توبتهم فإن دخلهم خلل فليسوا بصالحين فمن شرط الصلاح استصحاب العصمة في الحال و القول و العمل و لا يكون هذا إلا لأهل الشهود الدائم و العارفين بالمواطن و المقامات و الآداب و الحكم فيحكمون نفوسهم فيمشون بها مشى ربهم من حيث هُوَ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ فمن حياتهم الطيبة في الدنيا أنهم و إن دعوا الخلق إلى الله فإنهم يدعونهم بلسان غيرهم و يشهدون من سمع دعوتهم من المدعون و من يرد الدعوة منهم فلا يألمون لذلك الرد بل يتنعمون بالقبول نعيمهم بالرد لا يختلف عليهم الحال و سبب ذلك أن مشهودهم من الحق الأسماء الإلهية و شهودهم إياها نعيم لهم فمن دعا ما دعا إلا باسم إلهي فالاسم هو الداعي و من رد أو قبل فما رد و ما قبل إلا باسم إلهي فالاسم هو القابل و الراد و هذا الشخص في حياة طيبة بهذا الشهود دائما و من غيبه الله عن شهود هذا المقام فإنه يألم طبعا و يلذ طبعا و هو أكبر نعيم أهل الله و ألمهم و لا تكون هذه الحياة الطيبة إلا أن تكون مستصحبة و ما ينالها إلا الصالحون من عباد الله و إن ظهر منهم ما توجبه الأمور المؤلمة في العادة و ظهر عليهم آثار الآلام فالنفوس منهم في الحياة الطيبة لأن النفوس محلها العقل ليس الحس محلها فألمهم حسية لا نفسية فالذي يراهم يحملهم في ذلك على حاله الذي يجده من نفسه لو قام به ذلك البلاء و هو في نفسه غير ذلك فالصورة صورة بلاء و المعنى معنى عافية و إنعام وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبى‏ لَهُمْ في الدنيا وَ حُسْنُ مَآبٍ في الآخرة و هذا التنبيه على تحصيل هذا المقام كاف فإنه مكتسب وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثمانون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى‏ ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقى‏»

و لهذا زوجه من جنسه ... كل شخص زوجه من نفسه
كثرت أزواجه من نفسه ... فهو كل و هي جزء فلذا
إنما أوجده من أمسه ... و كذا اليوم الذي أوجده
في نقيض القدس أو في قدسه ... و لذا جاء على صورته
كان عينيك فذا من بجنسه ... لا تمدن إلى حرمة من

وفه ميزانه لا تلتفت ... للذي تبصره من أنسه
إنما يأنس من لست له ... بك للجمع الذي في أسه
و لتجرده من الشك و ما ... جاء من شيطانه في مسه
و لتفرق بين ما تسمع من ... ليس في النطق به أو أيسه
ولتخف من زلل النطق و ما ... جاء في محكمه من لبسه

قال الله تعالى في مثل هذه الآية و هو من تمام هذا المنزل و يدخله صاحبه في هجيره وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ينبهه بذلك على نفسه في إنذاره و رزق ربك ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك و ما لم يعطك و هو لك فلا بد من وصوله إليك و ما أبطأ به إلا الوقت الزماني الذي هو له و ما ليس لك فلا يصل إليك فتتعب نفسك حيث طمعت في غير مطمع و ما أعني بقولنا إنه لك إلا ما تناله على الحد الإلهي الذي أباحه لك و إن نلته على غير ذلك الحد فما نلت ما هو لك من جانب الحق إنما نلت ما هو لك من جانب الطبع و ليس المراد في الدنيا إلا ما تناله من جانب الحق فالحق للدنيا و الطبع للآخرة و الطبع له الإباحة و الحق له التحجير و إن كانت الآخرة على صورة الدنيا كما إن اليوم المولود عن نكاح أمس لليلته يخرج بصورته في الزمان و قد لا يخرج في الحكم فانظر إلى عطايا ربك فإنها أكثر ما تكون ابتلاء و لا تعرف ذلك إلا بالميزان و ذلك أن كل عطاء يصل إليك منه فهو رزق ربك و لكن على الميزان فإن خرج عن الميزان و هو لك طبعا فلا بد لك من أخذه فإياك أن تأخذه في حال غفلة فخذه بحضور على كره في نفسك و جبر و اضطرار و ليكن حضورك في ذلك قوله ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ فأظهر في هذا النيل بصورة الحق في ذلك الحكم الذي لا تبدل له و لا يصح أن يبدل فإنه هكذا علمه و بهذه الصورة كان الأمر الذي أعطى العلم للحق به ففي هذا الميزان حصله وزنه به و هو ميزان خفي فإن غيبك الحق عن حال الكرة في ذلك فإنه من الإكراه فاعلم إنك محروم فإنه لما كان من الإكراه حصول الكراهة في نفس العامل لذلك العمل الخارج عن ميزان الأدب دخل في حكم الميزان المأمور بالوزن به في قوله إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ و طمأنينته في هذه النازلة إنما هو بما له فيه من الكراهة فيجمع في هذا الفعل بين حب الطبع و كراهة الايمان فإن الله حبب الايمان للمؤمن و كره إليه الفسوق و العصيان مع وقوعه منه و جعلك من أهل الرشد ثم إن الله جعلهن زهرة حيث كن فإذا كن في الدنيا كن زهرة الحياة الدنيا فوقع النعيم بهن حيث كن و أحكام الأماكن تختلف فهن و إن خلقن للنعيم في الدنيا فهن فتنة يستخرج الحق بهن ما خفي عنا فينا مما هو به عالم و لا نعلمه من نفوسنا فيقوم به الحجة لنا و علينا و هذا مقام أعطانيه الحق بمدينة فاس سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة قبل ذلك ما كان لي فيه ذوق واعلم أن المعصية لا تقع أبدا إلا عن غفلة أو تأويل لا غير ذلك في حق المؤمن و إذا وقع عين ذلك العمل من صاحب الشهود فلا يسمى معصية عند الله و إن انطلق عليه لسان الذنب في العموم فللغشاوة التي على أبصار المحجوبين فيعذرهم الله فيما أنكروه على من ظهر منه هذا الفعل و هو في نفس الأمر ليس بعاص مسألة الخضر مع موسى في قتل النفس أين حكم موسى ع فيه من حكم الخضر

رضي الله عنه و كل واحد له وجه في الحق و مستند و هذا حال أهل الشهود يشهدون المقدور قبل وقوعه في الوجود فيأتونه على بصيرة فهم على بينة من ربهم في ذلك و هو مقام لا يناله إلا من كان الله سمعه و بصره و لما كانت الزهرة دليلة على الثمرة و متنزها للبصر و معطية الرائحة الطيبة هنا أعني في زهرة هذه المسألة كان صاحب هذا الأمر من أهل الأنفاس و الشهود و الأدلة و لست أعني بالأدلة أن ذلك عن فكر و إنما هو في كشفه لما جرت العادة به أن لا ينال إلا بالدليل النظري إن يعطيه الله كشفا بدليله فيعرف أدلته كما يعرفه و ارتباطه بأدلته فما يحصل له من علمه بوجوه الدلالات فيكون علمه أتم من علم من يعطي علم مدلول الدليل من غير علم الدليل فما فتنهم الحق إلا بما سماه زهرة لهم فإذا لم يدرك صاحب هذه الزهرة رائحتها و لا شهدها زهرة و إنما شهدها امرأة و لا علم دلالتها التي سبقت له على الخصوص و زوجت به و تنعم بها و نال منها ما نال بحيوانيته لا بروحه و عقله فلا فرق بينه و بين سائر الحيوان بل الحيوان خير منه لأن كل حيوان مشاهد لفصله المقوم له و هذا الشخص ما وقف مع فصله المقوم له و ليس الفصول المقومة للحيوانات غيره فهو لا حيوان و لا إنسان فإن كل حيوان جرى بفصله المقوم له على ما تعطيه حقيقة ذلك الفصلو اعلم أن صاحب هذا الهجير يشاهد ما حير العقول و لم يقدر على تحصيله و هو العلم بالمرئي في المرآة ما هو و بالمرئي ما هو من حيث تعلق الرؤية هل ينطبع المرئي في عين الرائي أو أشعة نور البصر تتعلق بالمرئي حيث كان و ما من حكم إلا و عليه دخل إلا عند صاحب هذا الذكر فإنه يعلم كيفية إدراك الرائي المرئي و ما هي الرؤية و لما ذا ترجع و ليس يعطيه هذا العلم من هذا الذكر إلا قوله لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ و لا خوطب إلا بما علم فعلمنا على القطع أن رسول الله ص قد علم ذلك و ما هو قوله لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ عين قوله قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ فإن الغض له حكم آخر لأنه نقص مما تمتد العين إليه و النقص هنا أن لا يمد إلى أمر خاص أي إلى مرئي خاص فإن فهمت يا ولي ما نبهتك عليه علمت علما ينفعك في الدنيا و الآخرة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الثمانون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ»

الابتلاء بعين المال و الولد ... هو البلاء الذي ما فيه تنفيس
فالمال كن فيكون الأمر أجمعه ... و الابن صورته و المثل تقديس
به تعلق نفي المثل فأحظ به ... فأصله هو سبوح و قدوس
فانظر إلى خلقنا على التطابق في ... أسمائه فيه تمثيل و تجنيس

قال الله تعالى الْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَ الْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَ خَيْرٌ أَمَلاً و قال عليه الصلاة و السلام يموت ابن آدم و ينقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم بثه في الناس أو ولد صالح يدعو لهفقد جمع المال و البنون زينة الحياة الدنيا و ما تعطيه الباقيات الصالحات من الخير عند ربه و هو الثواب و من الخير المؤمل و هوالبنون لأنهما من الباقيات الصالحات أعني المال و البنين إذا كان المال الصالح و الولد الصالح و أما العلم المذكور في هذا الخبر فهو ما سنه من سنة حسنة و جعل الله المال و الولد فتنة يختبر بهما عباده لأن لهما

بالقلب لصوقا و هما محبوبان طبعا و يتوصل بهما و لا سيما بالمال إلى ما لا يتوصل بغير المال من أمور الخير و الشرفان غلب على العبد الطبع لم يقف في التصرف بماله عند حد بل ينال به جميع أغراضه و إن غلب على العبد الشرع وقف في التصرف في ما له عند ما حد له فيه ربه فلم ينل به جميع أغراضه و ما سمي المال ما لا إلا لكون القلب مال إليه لما فيه من بلوغ العبد إذا كان صالحا إلى جميع الخيرات التي يجدها عند ربه في المنقلب و إذا لم يكن تام الصلاح فلما فيه من بلوغه أغراضه به و أما الولد فلما كان لأبويه عليه ولادة أحباه و ما لا إليه ميل الفاعل إلى ما انفعل عنه و ميل الصانع إلى مصنوعه فميله لحب الولد ميل ذاتي فإن كرهه فبأمر عارض لأخلاق ذميمة و صفات شريرة تقوم بالولد فبغضه عرضي فيطلع من هذا الهجير على سبب رحمة الله التي وسعت كل شيء فإن العالم المكلف كله مصنوعه و هو من جملة من ظهرت فيه صنعته فلا بد أن يكون بالذات محبوبا لموجده حبا بالأصالة و إذا وقع عليه كره فمن بعض أفعاله و أفعاله عرضية و مع كونها عرضية ففيها ما يؤيد الأصالة و هو أن جميع الأفعال الظاهرة من العالم كلها لله و العالم محل لظهور تلك الأفعال أو هي للحق كالآلة للصانع فغلبت الرحمة و المحبة و تأخر حكم الغضب و ليس تأخره إلا عبارة عن إزالة دوام حكمه و ما فتن الله من فتن من عباده إلا بحكم ما ظهر عليهم من الدعاوي فيما يتصرفون فيه إن ذلك الفعل لهم حقيقة أو كسبا فلو أطلعهم الله على اليد الإلهية الخالقة و رأوا نفوسهم آلات صناعية لا يمكن وقوع غير ذلك لما اختبرهم الله فما اختبرهم إلا ليعثروا على مثل هذا العلم فيعصموا من الدعوى فيسعدوا ف فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللّٰهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاٰلَةُ فحار و لم يدر و هم القائلون بالكسب و منهم فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذٰابِ و هم القائلون بخلق الأفعال و أما الذين هداهم الله فهم الذين أعطوا كل آية وردت في القرآن أو عن الله أو خبر نبوي حقها و لم يتعدوا بها موطنها و لا صرفوها إلى غير وجهتها فما يوجب الحيرة منها كان هداهم فيها الوقوف في الحيرة فلو تعدوها ما أعطوا الآية حقها مثل قوله تعالى وَ اللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَ مٰا تَعْمَلُونَ و هي أعظم آية وردت في ثبوت الحيرة في العالم فمن وقف مع المقالة المشروعة و جعل لها الحكم على ما أعطاه النظر العقلي من نقيض ما دل عليه الشرع فذلك السالم الناجي و من زاد على الوقوف العمل بالتقوى جعل الله له فرقانا يفرق به بين أصحاب النحل و الملل و ما تعطيه الأدلة العقلية التي تزيل حكم الشرع عند القائل بها فيتأولها ليردها إلى دليل عقله فهو على خطر و إن أصاب فعليك بفرقان التقوى فإنه عن شهود و صحة وجود وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ الهادي إلى طريق مستقيم

«الباب الموفي تسعين و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ»

كبر المقت من الخلق فمن … كبر المقت من الله لذا
من جميل و هو القول الحسن … قال قولا ثم لم يعمل به
و هو لا يدري به في كل فن … عمل الله به في خلقه
في وجود الكون من لفظة كن … من فنون الخير فاستبصر به

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الله ما أضاف الأفعال إلى الخلق إلا لكون من أضاف الفعل إليه هوية باطنه عين الحق فلا يكون الفعل إلا لله غير أنه من عباد الله من أشهده ذلك و منهم من لم يشهده ذلك فمن أشهده ذلك و قال ما يمكن أن يكون بالفعل و ما فعل فيعمل على القطع شهودا أنه ما امتنع وقوع الفعل إلا لخروجه عن الإمكان العقلي لأنه لم ير له صورة في الأعين الثابتة التي أعطت العلم لله فكيف يقع في الوجود ما لا عين له في الثبوت و لهذا أضاف المقت في ذلك لعند الله فإن هذا الاسم جامع المتقابلات من أحكام الأسماء فمن جملة ما يدل عليه إثبات الإمكان فيمقت من حيث إثبات الإمكان فالله هنا هو اسم خاص معين و هو المثبت الإمكان و يقابله نافي الإمكان فيقول ما ثم إلا وجوب غير أنه مقيد و مطلق فلا يصح إطلاق هذا الاسم الله فإذا قيل فالمراد به التقييد و يظهر بما يدل عليها الحال فيعلم عن أي شيء ناب من الأسماء فينظر في حكم ذلك الاسم فيوجد أثره فيه فتعلق المقت بمن قال خيرا يمكن له فعله فلا يفعله فانظر إلى ذلك القول الخير لا بد أن يجني ثمرته في الخير القائل به و لا سيما إن أعطى عملا في عامل من عباد الله إلا أنه محروم فما يكبر عند الله إلا لكون هذا القائل قال هذا القول و لم يفعل ما قاله إذا أطلع على ما حرم من الخير بترك الفعل فمقت نفسه أعظم المقت و لا سيما إذا رأى غيره قد انتفع به عملا فهو أكبر مقت عنده يمقت به نفسه عند الله في شهوده في الآخرة فهو أكبر مقت عند الله من مقت آخر لا أن الله مقته بل هو بمقت نفسه عند الله إذا صار إليه و للمقت درجات بعضها أكبر من بعض و هذا من أكبرها عنده فيكشف له هذا الهجير هذا العلم فإن الناس يأخذون في هذه الآية غير مأخذها فيقولون إن الله مقتهم و ما يتحققون قوله تعالى عِنْدَ اللهِ أي تمقتون أنفسكم أكبر المقت عند الله إذا رجعتم إليه فإن قال ما نعتقد صحته و لم يقل ذلك إيمانا فذلك المنافق و إن قال ذلك إيمانا و لم يفعل فذلك المفرط و هو الذي يكبر مقته عند الله لأن إيمانه يعطيه الفعل فلم يفعل وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ به على ألسنتهم و ألسنة غيرهم لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً و آتاهم الله أجرا عظيما لأنه أضاف الفعل إلى القول فعظم بالاجتماع على ما تكون صورته إذا انفرد بقول دون فعل و بفعل دون قول و ما أيه الله بمن هذه صفته إلا بالاسم المذكر ليزيلهم به من حكم الاسم الخاذل فإن الله ما يؤبه إلا من الاسم الذي لا حكم له في الحال و التأيه على نوعين تأيه بالصفة مثل قوله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا و يا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ و تأيه بالذات مثل قوله يا أَيُّهَا النَّاسُ فمتى سمعت التأيه فلتنظر ما يأيه به لا من أيه به فاعمل بحسب ما أيه به من اجتناب أو غير اجتناب فإنه قد يؤبه بأمر و قد يؤبه بنهي كما تقول في الأمر يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و كما يقول في النهي يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ و كذلك يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ فهذا تأيه إنكار كأنه يقول في الأمر فيه افعلوا ما تقولون و في النهي لا تقولوا على الله ما لا تعملون فإنكم تمقتون نفوسكم عند الله في ذلك أكبر المقت كما قررنا فإذا أتى مثل هذا كان له وجه للأمر و وجه للنهي و هذا هو الوجه فيأخذه السامع بحسب ما يقع له في الوقت و أي وجه أخذ به في أمر أو نهي أصاب و إن جمع بينهما جنى ثمرة ذلك فيكون له أجران و من الناس من يكشف له في هذا الهجير أنه القول الخاص و هو أن يقول بإضافة الفعل إلى نفسه في اعتقاده كالمعتزلي فيطلع في كشفه على إن الأفعال لله ليست له فيمقت نفسه حيث جهلت مثل هذا أكبر المقت عند الله و يكون عند الله هنا عندية الشهود حيث كان في الدنيا أو في الآخرة

فمقته في الدنيا رجوع عن ذلك فيسعد و يلحق بالعلماء بخلاف مقته عند الله في الآخرة فكأنه يقول يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ إن الفعل لكم و ما هو كذلك فأضفتم إليكم ما لا تَفْعَلُونَ و كَبُرَ مَقْتاً منكم عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ فإنه على صراط مستقيم هذا المنازع الذي نقول له إن الفعل للحق صَفًّا لا خلل فيه كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ لا خلل فيه فيضيف الأفعال كلها لله لا لمن ظهرت فيه فقد أفلح من كان هجيره هذه الآية لأنه لا فائدة للهجير إلا أن يفتح لصاحبه فيه فإذا رأيت ذا هجير لا يفتح له فيه فاعلم أنه صاحب هجير لسان ظاهره لا يوافقه لسان باطنه و من هو بهذه المثابة فما هو مقصودنا بأصحاب الهجيرات وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ»

إنما الدنيا هموم و غموم حالها ذا في خصوص و عموم
فالذي يفرح فيها ما له فكرة العالم بالأمر الحكيم
إنما الأمر إذا حققته عن شهود في حديث و قديم
عبرة موعظة قد نصبت لخبير ذي تجاريب عليم
فبفضل الله فليفرح من شاء أن يفرح من أهل النعيم

قال الله تعالى قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ فيفرحون به و لا يفرح عاقل إلا بثابت لا بزائل و لهذا الفرح الذي نسب إلى الله في فرحه بتوبة عبده لأن التوبة أمر لازم دائم الوجود و لا سيما في الآخرة لأن العبد راجع إلى الله في كل ما هو عليه إن كان في حال الحجاب إيمانا و إن كان مع رفع الحجاب فشهود عين و هذا الهجير ما هو من قول الله في النهي و إنما حكى الله نهى قومه له فقال قالَ لَهُ قَوْمُهُ أي قوم قارون لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ فهل أصابوا في هذا الإطلاق و لم يقيدوا أم لا فذلك أمر آخر فإن كان اتكالهم في ذلك على قرينة الحال فقد قيدوا لأن قرائن الأحوال تقيد و إن اقتضت الإطلاق في بعض المواطن فهو تقييد إطلاق لا تقييد ينتج لصاحب هذا الذكر الفرح بفضل الله و برحمته فينتج له نقيض ذكره فتراه أبدا حزين القلب ما دام في الدنيا إلى الموت و إن فتح له ما يقع له به الفرح لو كان في غير هذا الهجير و ذلك إذا فتح له فيما يوجب الفرح يرى ما عليه من الشكر لله فيما فتح له فيه فيعظم حزنه أشد مما كان فيه قبل الفتح كما فعل رسول الله ص حين بشر بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فزاد في العمل شكر الله فقام حتى تورمت قدماه و قال أ فلا أكون عبدا شكورا و من كان في مقام يريد أن يوفيه حقه لا يمكن له الفرح إلا بعد أن لا يبقى عليه من حقه شيء و لا يزال هذا الحق المعين على المكلف المبشر بِفَضْلِ اللهِ وَ بِرَحْمَتِهِ عليه إلى آخر نفس يكون عليه في الدنيا فلا يفرح إلا عند خروجه منها فإنه لا يسقط عنه التكليف إلا بعد رحلته من دار التكليف و هي الدار الدنيا فمن ادعى هذا الذكر و رؤي عليه الفرح فما لهذا الذكر فيه أثر و ليس من أهله و لقد رأى بعض الصالحين رجلا أو شخصا يفرح و يضحك فقال له يا هذا إن كنت ممن بشره الله فما هذه حالة الشاكرين لما بشرهم الله به و إن كنت ممن لم يبشره الله فما هذه حالة الخائفين

فأنكر عليه حالة الفرح في الوجهين و هذا عين ما قلناه في هذا الهجير و هذه المحبة المنفية محبة خاصة لا كل محبة فإن المحبة الإلهية لها وجوه كثيرة و لا يلزم من انتفاء وجه منها انتفاء الوجوه كلها وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله عالِمُ الْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّٰ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ»

لو بد الغيب لعين لم يكن	ذاك غيبا أنه قد شهدا
عالم الغيب فلا يظهره	لا و لا يظهر فيه أحدا
فجميع الكون مشهود له	ما لديه غائب ما وجدا
إنما الغيب لنا ليس له	و لهذا في الوجود انفردا
و لذا قال لمن يشهد كن	فاتخذه يا ولي سندا

اعلم أيدنا اللّٰه و إياك بروح القدس أنه من صادف العلم في ظنه أنه موصوف بالعلم عند نفسه و إن كان نعته العلم في نفس الأمر و لهذا قال رسول اللّٰه ص للرجل الذي وقع له إنها الفاتحة ليهنك العلم يعني في نفس الأمر ثم يقول النبي ص له ليهنك العلمفيما ذكر في واقعته حصل له العلم في نفسه كما هو في نفس الأمر لا بد من ذلكفاعلم إن الغيب على قسمين غيب لا يعلم أبدا و ليس إلا هوية الحق و نسبته إلينا و نسبتنا إليه فدون ذلك فهذا غيب لا يمكن و لا يعلم أبدا و القسم الآخر غيب إضافي فما هو مشهود لأحد قد يكون غيبا لآخر فما في الوجود غيب أصلا لا يشهده أحد و أدقه أن يشهد الموجود نفسه الذي هو غيب عن كل أحد سوى نفسه فما ثم غيب إلا و هو مشهود في حال غيبته عمن ليس بمشاهد له فإذا ارتضى اللّٰه من ارتضاه لعلم ذلك أطلعه عليه علما لا ظنا و لا تخمينا فلا يعلم إلا بإعلام اللّٰه أو بإعلام من أعلمه اللّٰه عند من يعتقد فيه إن اللّٰه أعلمه و ما عدا هذا فلا علم له بغيب أصلا و إنما اختص بهذا الإعلام مسمى الرسول لأنه ما أعلمه بذلك الغيب اقتصارا عليه و إنما أعلمه ليعلمه فتحصل له درجة الفضيلة على من أعلمه به لتعلم مكانته عند ربه فلهذا سماه رسولا و هذا النوع من الغيب لا يكون إلا من الوجه الخاص لا يعلمه ملك و لا غيره إلا الرسول خاصة سواء كان الرسول ملكا أو غيره فإن اللّٰه نفى أن يظهر على غيبه أحدا و إنما قال بأن الذي ارتضاه لذلك يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً عصمة له من الشبه القادحة فيه فهو علم لا دخول للشبه فيه على صاحبه و هذا هو صاحب البصيرة الذي هو عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ في علمه و له ذوق خاص يتميز به لا يشاركه فيه غيره إذ لو شاركه لما كان خاصا فإذا جاء الرسول به لمن يعلمه فذلك ليس عند هذا المتعلم من علم الغيب فإن الرسول قد أظهره اللّٰه عليه فما هو عند هذا من علم الغيب الذي لا يظهر اللّٰه عليه أحدا و إنما هو ما يحصل لأي عالم كان من الوجه الخاص و لكنه الآن ليس بواقع في الدنيا لكنه يقع فيالآخرة و سبب ذلك أن كل علم يحصل للإنسان في الدنيا من العلم باللّٰه خاصة فإن محمدا ص قد علمه فإنه علم علم الأولين و الآخرين و أنت من الآخرين بلا شك و أما في غير العلم باللّٰه فقد يعطاه الإنسان من الوجه الخاص فلا يعلم إلا منه فهو رسول في تعليمه إلى من يعلمه بذلك هذا

أعطاه مقام محمد ص و ليست الفائدة إلا في العلم بالله تعالى فإنه العلم الذي به تحسن صورة العالم في نفسه فالعلم بالله من الرسول في المتعلم أعظم و أنفع من العلم الذي يحصل لك من الوجه الخاص إذا كان المعلوم كونا ما من الأكوان ليس الله فما الشرف للإنسان إلا في علمه بالله و أما علمه بسوى الله تعالى فعلالة يتعلل بها الإنسان المحجوب فإن المنصف ما له همة إلا العلم به تعالى فاجهد إن تكون ممن يأخذ العلم بالله عن رسول الله ص فتكون محمدي الشهود إذ قد قطعنا أنه لا علم بالله اليوم عينا يختص به أحد من خلق الله و قد أشارت عائشة رضي الله عنها إلى ذلك في تأويلها في حق رسول الله ص فقالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فإن الله يقول لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ و هنا سر فابحث عليه و لا تقل قد حجرت واسعا فإني ما حجرت عليك إن لا تعلم و إنما حجرت عليك أنك لا تعلم مثل هذا من الحق إلا في صورة محمدية و قد بينا أن أعظم الرؤية رؤية محمدية في صورة محمدية و إليه ذهب الإمام أبو القاسم بن قسي رحمه الله في كتاب خلع النعلين له و هو روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين و خمسمائة و ما رأيت هذا النفس لغيره فنعينه فإنه ما وصل إلينا فيمكن إن يكون كما علمته أنا من الله تعالى إلقاء إلهيا من غير واسطة أعني ما علمه ابن قسي في ذلك يمكن أيضا أن يكون غير ابن قسي قبله أو بعده أو في زمانه قد أطلعه الله على ذلك و ما وصل إلينا و الله أعلم فلا شرف يعلو شرف العلم و لا حالة تسمو على حالة الفهم عن الله

«الباب الثالث و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً لأنهم لم يجدوه إذ كان عندهم»

كل ما في الكون من خالقه فلهذا ليس في الكون حدوث
ما تراه قد نفى العلم به حين لا يفقه في الكون حديث
إنهم لم يجدوه حادثا فلهذا السير في ذاك حثيث
ما نفى بالعلم فيه أحد غير معتوه جهول أو خبيث
إنما يعلم منه كونه واحد العين و إن طال النثيث
كرم الله رسولا بالذي بثه فينا من الذكر الحديث

قال الله تعالى ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ و قال ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ فجاء الذكر من الرب و الرحمن فأخبر أنهم استمعوا و أصغوا لذكر الرب في حال لهو و ذكر إعراضهم عن ذكر الرحمن مع العلم منهم بأنه القرآن و هو كلام الله و الكلام صفته فله القدم و إن حدث الإتيان اعلم أن الحديث قد يكون حديثا في نفس الأمر و قد يكون حديثا بالنسبة إلى وجوده عندك في الحال و هو أقدم من ذلك الحدوث و ذلك إذا أردت بالقدم نفي الأولية فليس إلا كلام الله و ليس إلا عين القابل صور التجلي و إذا أردت به غير نفي الأولية فقد يكون حادثا في نفسه ذلك الشيء قبل حدوثه عندك و قد يكون حادثا بحدوثه عندك أي

ذلك زمان حدوثه و هو ما يقوم بك أو بمن يخاطبك أو يجالسك من الأغراض في الحال و أما عندية الله فهي على قسمين أعني ما هو عنده القسم الواحد ما هو عليه من الأمر الذي يعقل زائدا على هويته و إن لم نقل فيه إنه غيره و لا عينه أيضا كالصفات المنسوبة إليه لا هي هو و لا هي غيره و قد يكون عنده ما يحدثه فينا و لنا و هو مثل قوله وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ و هذا الذي عندنا على نوعين نوع يحدث صورته لا جوهره كالمطر فإنا نعلم ما هو من حيث جوهره و ما هو من حيث صورته و كل العالم على هذا أو هو النوع الآخر ما يحدث جوهره و ليس إلا جوهر الصورة و وجود جوهر العين القائمة به تلك الصورة فإنه لا وجود لعين جوهرها الذي قامت به إلا عند قيامها به فهو قبل ذلك معقول لا موجود العين فموضع الصورة أو محل الصورة من المادة يحدث له الوجود بحدوث الصورة في حال ما لا في كل حال و ينعدم من الوجود بعدمها ما لم تكن صورة أخرى تقوم به و الكل عند الله فإن الله عين شيئيته فما ثم معقول و لا موجود يحدث عنده بل الكل مشهود العين له بين ثبوت و وجود فالثبوت خزائنه و الوجود ما يحدثه عندنا من تلك الخزائن فصورة الماء في الجليد معقولة ينطلق عليها اسم جليد و الماء في الجليد بالقوة فإذا طرأ على الجليد ما يحلله فإنه يصير ماء فظهرت و حدثت صورة الماء فيه و منه و زال عنه اسم الجليد و صورته و حده و حقيقته و كان عندنا قبل تحلله أنه خزانة من خزائن الغيث فظهر أنه عين المخزون فكان خزانة بصورة و مخزونا بصورة غيرها و هكذا حكم ما يستحيل هو عين ما استحال و عين ما يستحيل إليه و إنما جئنا بهذا المثال المحقق لما نعاينه من صور التجلي في الوجود الحق لنلحق بذلك صور العالم كله في وجود الحق فنطلق عليه خلقا كما يطلق على الماء الذي تحلل من الجليد ماء و يطلق عليه ذلك إطلاقا حقيقيا لأنه ليس غير ما تحلل مما كان اسم الجليد له فهو حق بوجه خلق بوجه هذا ينتجه و أمثاله هذا الذكر من العلم الإلهي و من هنا تعلم جميع المحدثات ما هي و متى ينطلق عليها اسم الحدوث و متى تقبل اسم القدم و هو علم نفيس يخص الله به من شاء من عباده و ذلك هو الفضل المبين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّما يَخْشَى اللهَ من عِبادِهِ الْعُلَماءُ و ما أشبه هذا من الآيات القرآنية»

إنما يخشى الإله الحق من … يعلم الحق و يبقى رسمه

فإذا ما فنى الكل به … فنى العالم فيه و اسمه

إنما العلم الذي ينفعنا … كل علم قد شهدنا حكمه

فهو العلم الذي نعرفه … و به يعلم علمي علمه

الخشية من صفات العلم الذي يعطي الخشية اللازمة له و على قدر العلم بها تكون الخشية المنسوبة إلى العالم و لا أعلم بها ممن علمه عينه فلا أخشى منه للاسم الله لجمع هذا الاسم بين الأضداد المتقابلات و من هنا نزل قوله حَتَّى نَعْلَمَ و لما كان الأمر الذي هو علة ظهور الممكنات أينما ظهر منها ليس إلا أحكام الأسماء الإلهية فما من اسم إلهي إلا و هو يخشى الله لعلمه بما عنده من الأسماء التي تقابل هذا الاسم الوالي في

الحال صاحب الحكم فيقول كما و ولاني و لم أكن واليا على هذا المحل الخاص الذي ظهر فيه حكمي قد يعزلني عن ذلك بوال آخر يعني بحكم اسم آخر إلهي فلا أعلم من الأسماء الإلهية فلا أخشى منها لله فإن الله له التصرف فيها بالتولي و العزل و هو الواقع في الوجود فمنها ما يقع عن سؤال من الكون و منها ما يقع عن غير سؤال بل يقع بانتهاء مدة الحكم فيكون نسخا فكما انطلق على العلماء من المحدثات اسم الخشية لله انطلق على الأسماء الخشية لله و لسؤال المحدثات في رفع أحكام الأسماء الإلهية صارت الأسماء الإلهية التي لها الحكم في الوقت تخشى سؤال المحدثات الله في رفع حكمها عن ذلك المحل كقول أيوب ع إِذْ نادىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ يطلب عزل الاسم الضار و إزالة حكمه فعزل الله حكمه فانعزل بزوال حكمه و تولى موضعه الاسم النافع فكشف الله ما به من ضر فصارت الأسماء الإلهية تخشى الله لما بيده من العزل و التولية و تخشى العالم لما عنده من السؤال و عند الله من القبول لسؤال العالم و لا سيما أهل الاضطرار ثم ننظر إلى انتهاء مدة أحكامها فتترقب العزل كما أيضا ترجوه لمشاهدتهم التولية فلا شيء من الأسماء أكثر خشية من المنتقم فإنه يرى و يشاهد زوال حكمه فعلا و لا يبقى له حكم في الوجود و يكون بالقوة في الحق و من جرى مجراه من الأسماء الإلهية فتفطن لخشية الأسماء الإلهية العالم فإنك إذا كوشفت عليه رأيت أنه لو لا ما هو حق بوجه ما صح أن تخشاه الأسماء الإلهية لأنه لا يخشى و لا يرجى في الحقيقة إلا الله و لا يخشاه إلا العالم و لا أعلم من الله فلا يخشى الله إلا الله لكن الصور مختلفة لاختلاف النسب أو النسب مختلفة لاختلاف الصور فلو لا النسب ما حدثت الصور و لو لا الصور ما علم اختلاف النسب فالوجود مربوط بعضه ببعضه فإبرامه عين نقضه ثم إنه في هذا الذكر إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ فعزته امتناعه تعالى عن أن يكون له حكم الأسماء الإلهية من نظر بعضها إلى بعض كما ينظر العالم بعضه إلى بعض فيتصف لذلك بالخوف و الرجاء و الكرة و المحبة و الله عزيز عن مثل هذا فإنه الذي يخاف و يرجى و يسأل و يجيب إن شاء و إن شاء و غفور بما ستر من هذه العلوم و الأسرار الراجعة إليه تعالى و إلى أسمائه و إلى العالم عن الخلق كلهم بالمجموع فلا يعلم المجموع و لا واحد من الخلق لكن له العلم بالآحاد فعند واحد ما ليس عند الآخر فهو بالمجموع حاصل فهو حاصل في المجموع غير حاصل عند واحد واحد و هو قوله وَ لاٰ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّٰ بِمٰا شٰاءَ فجاء بباء التبعيض فعند واحد من العلم بالله ما ليس عند الآخر فلذلك قال إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ

«الباب الخامس و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كٰافِرٌ»

من يرتدد منكم عن دينه و يموت ... فإنه كافر بالدين أجمعه

لأنه أحدي العين ليس له ... مخالف جاءه من غير موضعه

و إن إتيانه بالكل شرعته ... بذا أتى الحكم فيه من مشرعه

الضمير في أنه يعود على الذين قال الله تعالى لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهٰاجاً فالمراد هنا بضمير منكم ليس إلا الأنبياء ع لا الأمم لأنه لو كان للأمم لم يبعث رسول في أمة قد بعث فيها رسول إلا أن يكون مؤبدا لا يزيد و لا ينقص و ما وقع الأمر كذلك فإن جعلنا الضمير في قوله منكم

للأمم و الرسل جميعا تكلفنا في التأويل شططا لا نحتاج إليه فكون الضمير كناية عن الرسل أقرب إلى الفهم و أوصل إلى العلم و يدخل في ذلك عموم الرسالة و خصوصها و قال ص من بدل دينه فاقتلوهفاختلف الناس في اليهودي إن تنصر و النصراني إن تهود هل يقتل أم لا و لم يختلفوا فيه إن أسلم فإنه ص ما جاء يدعو الناس إلا إلى الإسلام و جعل علماء الرسوم أن هذا تبديل مأمور به و ما هو عندنا كذلك فإن النصراني و أهل الكتاب كلهم إذا أسلموا ما بدلوا دينهم فإنه من دينهم الايمان بمحمد ص و الدخول في شرعه إذا أرسل و أن رسالته عامة فما بدل أحد من أهل الدين دينه إذ أسلم فافهم و ما بقي إلا المشرك فإن ذلك ليس بدين مشروع و إنما هو أمر موضوع من عند غير الله و الله ما قال إلا من يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ و رسول الله ص يقول من بدل دينهو إنما لم يسم الشرك دينا لأن الدين الجزاء و لا جزاء في الخير للمشرك على الشرك أصلا لا فيما سلف و لا فيما بقي و إذا آل المشرك إلى ما يؤول إليه في النار التي هي موطنه الذي لا يخرج منه أبدا فإن ذلك ليس بجزاء و إنما ذلك اختصاص سبق الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فيظهر حكمها فيه في وقت ما عند إزالة حكم الغضب الإلهي فما أراد بالدين إلا الذي له جزاء في الخير و الشر و لو أراد الدين الذي هو العادة مثل قول إمرئ القيس

كدينك من أم الحويرث قبلها و جارتها أم الرباب بمأسل

أراد بالدين هنا العادة و نحن إنما تكلمنا في الدين المشروع الذي العادة جزء منه فيكشف للذاكر بهذا الذكر علم الارتداد و هو الرجوع الذي في قوله وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فمن الناس من عجل له هنا الرجوع إلى الله و ليس ذلك إلا للعارفين بالله فإنهم يرجعون في أمورهم كلها إلى الله و لا يزالون يستصحبهم ذلك إلى الموت فيموتون عليه و إنما وصفوا بالكفر لأنهم تستروا بالأسباب و لم يقولوا بإبطالها فهم في نفوسهم و حالهم مع الله و بظاهرهم في الأسباب فإنهم يرون الأسباب راجعة إلى الله فرجعوا لرجوعها و رجعوا بها إلى الله فلما لم يفقدهم أصحاب الأسباب في الأسباب تخيلوا فيهم أنهم أمثالهم فيما هم فيه فجاءت هذه الآية ذما في العموم و حمدا و مدحا في الخصوص و لهذا تممها فقال فيهم إن أعمالهم حبطت لأنه أضافها إليهم و أعطاهم الرجوع إلى الله العلم بأن أعمالهم إلى الله لا إليهم فحبطت أعمالهم من الإضافة إليهم و صارت مضافة إلى الله كما هي في نفس الأمر و قوله في الدنيا يريد من عجل له الكشف عن ذلك هنا و قوله في الآخرة يريد من أخر له ذلك و هو الجميع إذا انكشف الغطاء و أما إضافة الدين إليه في قوله عَنْ دِينِهِ و إنما الدين لله فإن الراجع إذا رآه في رجوعه لله لا إليه زالت هذه الإضافة عنه لشهوده و إنما قلنا بإضافة الدين إليهم في هذه الآية لأنه أظهر في الحكم من أجل قوله حَتَّى يَرُدُّوكُمْ يعني في الفتنة عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا فأضاف الدين إليهم فكان الأوجه أن يكون في ضمير الهاء على ما هو عليه في ضمير الخطاب سواء و إن جاز أن يكون ضمير الهاء يعود على الله لكن الأصل في الضمائر كلها عودها على أقرب مذكور إذا عريت عن قرائن الأحوال و قوله في تمام الهجير وَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ لهذا الكشف لأنهم رأوا ما كانوا يتخيلون فيه أنه إليهم ليس إليهم فخسروا رأس المال و لا أعظم خسرانا منه فما كان من الله إليهم بعد هذا من

الإنعام فإنما هو من الاسم الوهاب المعطي لينعم فما لهم في نظرهم عطاء جزاء لعامل فهذا و أمثاله هو الذي يعطي هذا الذكر لمن كثر دؤوبه عليه

«الباب السادس و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ ما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ»

و ليس غير فكلهم قدرا ما قدر الله غيره أبدا

بأنه الله فاعرف الصورا ما حق قدر الآلة عندي سوى

في حق قدر الآلة ما اعتبرا لو يعرف الخلق ما أفوه به

ما عرفوا الحق لا و لا البشرا لو عبروا عن وجود ذاتهم

قال الله تعالى سُبْحٰانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمّٰا يَصِفُونَ قدر الأمر موازنته لمقداره و هذا لا يعلم من الأمر حتى يكون له ما يعادله في ذاته فيكون ذلك المعادل مقدارا له لأنه يزنه فأثبت هذا الذكر لله قدرا لكنه مجهول عند أصحاب هذا الضمير و لا يعرف قدر الحق إلا من عرف الإنسان الكامل الذي خلقه الله على صورته و هي الخلافة ثم وصف الحق في الصورة الظاهرة نفسه باليدين و الرجلين و الأعين و شبه ذلك مما وردت به الأخبار مما يقتضيه الدليل العقلي من تنزيه حكم الظاهر من ذلك في المحدثات عن جناب الله فحق قدره إضافة ما أضافه إلى نفسه مما ينكر الدليل إضافته إليه تعالى إذ لو انفرد دون الشرع لم يضف شيئا من ذلك إليه فمن أضاف مثل هذا إليه عقلا فذلك هو الذي ما قدر الله حق قدره و ما قال أخطأ المضيف و من أضافه شرعا و شهودا و كان عَلىٰ بَيِّنَةٍ من رَبِّهِ فذلك الذي قدر الله حق قدره فالإنسان الكامل الذي هو الخليفة قدر الحق ظاهرا و باطنا صورة و منزلة و معنى فمن كل شيء في الوجود زوجان لأن الإنسان الكامل و العالم بالإنسان الكامل على صورة الحق و الزوجان الذكر و الأنثى ففاعل و منفعل فيه فالحق الفاعل و العالم منفعل فيه لأنه محل ظهور الانفعال بما يتناوب عليه من صور الأكوان من حركة و سكون و اجتماع و افتراق و من صور الألوان و الصفات و النسب فالعالم قدر الحق وجودا و أما في الثبوت فهو أظهر لحكم الأزل الذي هو للممكنات في ثبوتها لأن الإمكان للممكن نعت ذاتي نفسي و لم يزل الممكن ممكنا في حال عدمه و وجوده فبقاء ما بقي منه في العدم و ما بقي إلا بالمرجح فهو الذي أبقاه لما فيه من قبول الوجود كما هو ممكن مرجح في حال الوجود بالوجود لقبوله العدم بإمساك شرطه المصحح لبقائه فكما سبح الله نفسه عن التشبيه سبح الممكن نفسه عن التنزيه لما في التشبيه و التنزيه من الحد فهم بين مدخل و مخرج و ما ظفر بالأمر على ما هو عليه إلا من جمع بينهما فقال بالتنزيه من وجه عقلا و شرعا و قال بالتشبيه من وجه شرعا لا عقلا و الشهود يقضي بما جاءت به الرسل إلى أممها في الله فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ فكل واصف فإنما هو واقف مع نعت مخصوص فينزه الله نفسه عن ذلك النعت من حيث تخصيصه لا من حيث إنه له فإن له أحدية المجموع لا أحدية كل واحد من المجموع و الواصف إنما يصفه بأحدية كل واحد من المجموع فهو المخاطب أعني من نعته بذلك بقوله سُبْحٰانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمّٰا يَصِفُونَ و أما تسبيح

الخلق له بقوله تعالى تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَن فِيهِنَّ و شبه ذلك مما ورد من الآيات و التعريف الإلهي فإنما يسبح الله عن عقد غيره فيه لأن نظر كل مسبح فيه نظر جزئي فالذي يثبت له واحد هو عين ما ينفيه عنه الآخر و كل واحد منهما مسبح بحمد الله فأثبت الله لهذا ما نفاه عن الله لا ما أثبته الآخر و أثبت الله الآخر عين ما نفاه الأول لا ما أثبته فما أثبت الله لأحد من أهل الثناء عليه إلا نفى ما نفاه عنه فذلك هو التسبيح بحمده فما يثنى عليه بالإثبات دون نفي و لا يوصف بالتسبيح و لا بنقيضه إلا العبد الجامع الكامل الظاهر بصورة الحق فإنه يشاهد الجمع و من شاهد الجمع فقد شاهد التفصيل لأنه شاهده جمعا فالعبد الكامل مجموع الحق و لا يقال الحق مجموع العبد الكامل و مع هذا فللحق خصوص نعت ليس للعالم أصلا و للعالم خصوص وصف ليس للحق أصلا كالذلة و الافتقار وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى الباب السادس و التسعون و أربعمائة بانتهاء السفر الثلاثين وَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب السابع و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ»

الشرع يقبله عقل و إيمان ... و للعقول موازين و أوزان
عند الإله علوم ليس يعرفها ... إلا لبيب له في الوزن رجحان
فالأمر عقل و إيمان إذ اشتركا ... في حكم تنزيهه ما فيه خسران
و ثم ينفرد الايمان في طبق ... بما تماثله بالشرع أكوان
شو العقل من حيث حكم الفكر يدفعه ... بما يؤيده في ذاك برهان
لو أن غير رسول الله جاء به ... في الحين كفره زور و بهتان
إذا تأوله من غير و جهته ... و قال ما لي على ما قال سلطان
لله في ذاك سر ليس يعلمه ... إلا فريد و ذاك الفرد إنسان
قد كمل الله في الإنشاء صورته ... بصورة الحق فالقرآن فرقان
العين واحدة و الحكم مختلف ... للجانبين فما في النشء نقصان

قال الله تعالى إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحاتِ وَ قَلِيلٌ ما هُمْ على أن تكون ما زائدة و ليس القليل إلا من آمن بالله فإن الموحدين بالله هم الذين وحدوا الله بالله و أما الموحدون الذين وحدوا الله لا بالله بل بأنفسهم فهم الذين أشركوا في توحيده غير إن هذا الهجير لا يعطي الايمان بتوحيد الله و إنما يعطي مشاهدة ميثاق الذرية إذ أخذ الله من بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ و ما كان إلا التصديق بالوجود و الملك لا بالتوحيد و إن كان فيه توحيد فغايته توحيد الملك فجاء قوله تعالى وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ

مُشْرِكُونَ لما خرجوا إلى الدنيا لأن الفطرة إنما كانت إيمانهم بوجود الحق و الملك لا بالتوحيد فلما عدم التوحيد من الفطرة ظهر الشرك في الأكثر ممن يزعم أنه موحد و ما أدى من أداه إلى ذلك إلا التكليف فإنه لما كلفهم تحقق أكثرهم إن الله ما كلفهم إلا و قد علم إن لهم اقتدارا نفسيا على إيجاد ما كلفهم به من الأفعال فلم يخلص لهم توحيد فلو علموا من ذلك أن الله ما كلفهم إلا لما فيهم من الدعوى في نسبة الأفعال إليهم التي نسبوها إلى أنفسهم ليتجردوا عنها بالله لا بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فإذا ألزم الذاكر نفسه هذا الذكر نتج له إقامة العذر عند الله لعباد الله فيما أشركوا فيه عند إيمانهم فإن الله أثبت لهم الايمان بالله و هو خير كثير و عناية عظيمة إذا نظروا إلى من قال فيهم تبارك و تعالى وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّٰهِ فأظهروا ما ليس بوجود وجودا و أزالوا في عقدهم وجود ما هو وجود و هو الله فسماه الله سترا فكان مستورا عنهم وجود الحق بما ستروه إذ لم يستروه حتى تصوروه و بعد التصور ستروه فكانوا كافرين و من شأن الحق أنه حيث ما تصور كان له وجود في ذلك التصور و لا يزول برجوع ذلك المتصور عما تصور بخلاف المخلوق فإن المخلوق إذا تصورته كان له وجود في تصورك فإذا تبين لك أنه ليس كذلك زال من الوجود بزوال تصورك ما تصورته فهذا فرقان بين الله و بين المخلوق و هو علم دقيق لا يعلمه كثير من الناس فلهذا ثبت الشرك في العالم لأنه قابل صورة كل معتقد و لو لم يكن كذلك ما كان إلها فإذا سمع السامع الخبر النبوي بوجود الله آمن به على ما يتصوره فما آمن إلا بما تصوره و الله موجود عند كل تصور كما هو موجود في خلاف ذلك التصور بعينه فما آمن أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ لما يطرأ عليهم في نفوسهم من مزيد العلم بالله و لو في كل مزيد تصور فيه ليس عين الأول و ليس إلا الله في ذلك كله فما جاء الله بهذه الآية إلا لإقامة عذرهم و لم يتعرض سبحانه للتوحيد و لو تعرض للتوحيد لم يصح قوله إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِ مع ثبوت الايمان فدل أنه ما أراد الايمان بالتوحيد و إنما أراد الايمان بالوجود ثم ظهر التوحيد لمن ظهر في ثاني حال فمن ادعى هذا الذكر هجيرا و لم يحصل عنده عذر العالم فيما أشركوا فيه فما هو من أهل هذا الذكر فإنه ما له ذوق إلا هذا وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثامن و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ)

من يتق الله في ضيق و في سعة ... فرزقه يأته من حيث لا يدري
رزق المعاني و رزق الحس فارض به ... ربا إذا جاء في ليل إذا يسرى
و في زمان و في غير الزمان فلا ... تنظر إلى أحد في طبعه يجري
لو لا وجود و لو لا الدهر ما نظرت ... عيني إلى أحد من عالم الأمر

قال الله عز و جل إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و هو قوله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً فيخرج مما كان فيه فيفارقه إلى أمر آخر لأنه ما يخرج إلى عدم و إنما يخرج من وجود إلى وجود هذا حال العالم بعد وجوده لا سبيل إلى العدم بعد ذلك قال إليه تُرْجَعُ الْأُمُورُ و هو الوجود الحق و من صدق هذه الآية الأمر الذي سرى في العالم و قال به إلا الشاذ النادر الذي لا حكم له و هو إن أحدا لا تراه راضيا بحاله في الوجود أصلا و لذلك علة

أصلية و هو أن الحق كل يوم من أيام الأنفاس في شأن فتحرك العالم تلك الشئون الإلهية فيطلب الانتقال مما هو فيه كان ما كان إلى أمر آخر غير إن الشاذ القليل و إن طلب الانتقال فإنه راض بحاله في وقته و في طلبه الانتقال فهو يطلب ليجمع و أكثر العالم لا يطلب الانتقال إلا لعدم الرضاء بحاله فما تجد أحدا من صالح و لا غير صالح يرضى بحاله هذا هو الساري في العالم و من هذا الباب إنك ما ترى أحدا إلا و هو يذم زمانه و يحمد ما مضى و خلا من الأزمان و ليس زمانه إلا حاله مذ وجدت هذه النشأة و أي زمان كان فيه بنو آدم في وقت آدم حتى ذكر أنه قال في نظم له بلسانه ترجمته

تغيرت البلاد و من عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

فالإنسان يذم يومه و يمدح أمسه و هو الإنسان عينه لا غيره و قد كان أمس يذم يومه و يمدح ما قبله فلم يزل الأمر هكذا و ذلك للأمر الطبيعي أعني الذم كما إن طلب الانتقال للشأن الإلهي و العارفون يطلبون الانتقال للشأن الإلهي من غير ذم أوقاتهم و غير العارفين يذمون أوقاتهم طبعا و يطلبون الانتقال للشأن الإلهي الذي يحركهم لذلك و هم لا يشعرون و له أيضا سبب غير هذا عجيب أعني طلب الانتقال و الذم و ذلك أن الإنسان مجبول على القلق من الضيق و طلب الانفساح و الإفراج عنه و يتخيل أن كل ما هو خارج عنه فيه الانفساح من هذا الضيق الذي هو فيه و ذلك أن الإنسان إذا كان في حال ما من الأحوال فإنه مقبوض عليه بذلك الحال لإحاطته به لا بد من ذلك فيجد نفسه محصورا و يرى ما خرج عن ذلك الحصر أنه انفساح و انفراج لأن الأمر الخارج عن حاله ما هو واحد بعينه فيضيق عليه الأمر فلهذا يجد السعة فيما عدا حاله الذي هو عليه فإذا خرج لم يحصل له من ذلك الاتساع المتوهم إلا حال واحدة تحتاط به فيجد أيضا فيه الضيق لإحاطتها به و حصره فيه فيطلب الإفراج عنه كما طلبه في الحال الأول فلا يزال هذا ديدنه و الله يخرجه من اسم إلى اسم دائما أبدا فمن اتخذ الله وقاية أخرجه من الضيق أي أزال الضيق عنه فاتسع في مدلول الاسم الله من غير تعيين و لذلك رزقه من حيث لا يحتسب لأنه لم يقيد فلم يتقيد فكل شيء أقامه الحق فيه فهو له فيرجع محيطا بما أعطاه الله فله السعة دائما أبدا فالانتقال يعم الجميع و الرضاء و عدم الرضاء الموجب للضيق هو الذي يتفاضل فيه الخلق فمن اتقى الله خرج إلى سعة هذا الاسم فيتسع باتساع هذا الاسم الله اتساعا لا ضيق بعده و من لم يتق الله لم يشهد سوى حكم اتساع واحد فيخرج من ضيق إلى ضيق و من أراد أن يجرب نفسه و يأتي إلى الأمر من فصه و لينظر في نفسه إلى علمه برزقه ما هو فإن لم يعلم رزقه فذلك الذي خرج من الضيق إلى السعة و هو قوله تعالى وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ قال بعضهم في ذلك

كما قال من أمره مَخْرَجاً وَ من يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ

و إن ضاق أمر به فرجا ويرزقه من غير حسبانه

لأنه ما خلقه إلا لعبادته سبحانه و تعالى و هو يرزقه من حيث شاء فلا يشغل نفسه برزقه كما لا يشغل نفسه بأجله فإن حكمهما واحد و ما يختص بهما حيوان دون حيوان و من علم رزقه لم يزل في ضيق لأنه مجبول على عدم الرضاء و إنما قلنا لم يزل في ضيق لأنه قد تعين له ما لا يمكن

الزيادة فيه بالخبر الصادق النبويفيبقى معذبا بالضيق إلى أن يموت و الذي لا يعلم يعيش في السعة المتوهمة سعة الرجاء فيعيش طيب النفس فكلما جاءه من رزق من حيث لا يحتسب شغله انتظار ما لا يعلم عن حكم الحاصل في الوقت فهو في قبضه و ضيق وقته في بسط و سعة من أمله فإنه الحاكم عليه وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و التسعون و أربعمائة في معرفة حال قطب كان منزله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وقتا على زيادة الكاف و وقتا على كونها صفة لفرض المثل و هو مذهبنا و الحمد للّٰه»

ليس في الأكوان شيء غيره فهو الوجود
و أنا وحدي على ما قلته فيه شهيد
فانتفى المثل على ذا فهو الفرد الوحيد
ما علي ما قلته في جانب الحق مزيد
فهو المراد فينا مثل ما هو المريد

قال اللّٰه عز و جل شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ وَ الْمَلاٰئِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ فما له مثل إذ لو كان له مثل لم يصح نفيه فإنه ما نفى إلا المرتبة ما نفى مثلية الذات و ما عين التفاضل في الأمثال إلا المراتب فلو زالت لزال التفاضل فمن ذاته يقبل الصور و من مرتبته لا يقبل المثل و لهذا سماه خليفة و خلفاء لأنها تولية و نيابة فما هم فيها بحكم الاستحقاق أعني استحقاق الدوام لكن لهم استحقاق قبول النيابة و الخلافة فهم في الرتبة مستعارون و هي للّٰه ذاتية فتزول عنهم و لا تزول ذواتهم و الحق ما تجلى لهم إلا في صور ذواتهم لا في رتبته فإذا تجلى لهم في رتبته انعزل الجميع فلم يكن إلا هو فنفى مثلية المرتبة في الشهود و نفي مثلية الذات في الوجود

مثلية الذات في الوجود منفية ما لها شهود
فافتكروا في الذي أتينا به إليكم و لا تزيدوا
فإنه الحق لا يجارى و إننا عنده العبيد
فإن نظرتم فينا تجدنا منه إليه به نعود
سبحانه جل من مليك و هو بنا القائم الشهيد
يقصدنا للذي يراه منا و ما عندنا قصود
إذ نبتغيه به تعالى هو المراد و هو المريد

فلا يشهده إلا رب و لا يجده إلا عبد و بالعكس لأن الله سمعه و بصره و جميع قواه فانتفى عن العبد ما ينبغي أن ينتفي و بقي له ما ينبغي أن يبقى و هذا كله إذا كان حرف الكاف زائدا فله قبول ما قلنا من النفي و إذا كان للصفة بقي ما قلنا

و انتفى المثل عن المثل فلم　　يوجد المثل مع المثل و قد
ثبت المثل له بي مثل ما　　ثبت المثل لنا منه فقد
وجد الأمر على هذا و ذا　　كوجود الفرد في عين العدد

فليس كهو شيء و ليس مثل مثله شيء فنفى و أثبت قال رسول الله ص إن الله خلق آدم على صورته فله التنوع في باطنه و له الثبوت في ظاهره فلا يزيد فيه عضو لم يكن عنده في الظاهر و لا يبقى على حال واحد في باطنه فله التنوع و الثبوت و الحق موصوف بأنه الظاهر و الباطن فالظاهر له التنوع و الباطن له الثبوت فالباطن الحق عين ظاهر الإنسان و الظاهر الحق عين باطن الإنسان فهو كالمرآة المعهودة إذا رفعت يمينك عند النظر فيها إلى صورتك رفعت صورتك يسارها فيمينك شمالها و شمالك يمينها فظاهرك أيها المخلوق على صورة اسمه الباطن و باطنك اسم الظاهر له و لهذا ينكر في التجلي يوم القيامة و يعرف و يوصف بالتحول في ذلك فأنت مقلوبة فأنت قلبه و هو قلبك هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ ما أحق هذه الآية في الباطن بهذا المقام

فكما يلبسنا نلبسه　　فبنا كان كما نحن به
فانتفى ما هو موجود بنا　　و به أكرم به من مشبه

و أكثر من هذا البسط في العبارة ما يكون فإن هذا الميدان يضيق الجولان فيه جدا و الله ولي الإعانة إذ هو المعين وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ أي نرده إلى أصله و هو البعد يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر»

من يقل إني إله　　فكلام ليس يصدق
أو يقل إني خلق　　لحقيقة التخلق
فهما سيان فيه　　هكذا يعطي التحقق
و الذي ليس له　　ذان له حال التعلق
فله الجمع المسمى　　مثل ما له التفرق

قال الله عز و جل إِنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرْصاداً لِلطَّاغِينَ مَآباً إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ فحقق و انظر تعثر و الله الموفق فحصلوا في نقيض دعواهم فإن الطاغي المرتفع طغى الماء إذا ارتفع يقول الله تعالى إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ فمن قال إني إله فقد جعل نفسه في غاية القرب فأخبر الله أن جزاء هذا القائل يكون غاية البعد عن سعادته إذ كان جزاؤه جهنم فينزل إلى قعرها من طغى إلى الألوهة التي لها الاستواء على العرش بالاسم الرحمن و اعلم أنه ما في علمي إن أحدا يقع منه هذا القول و هو يجوع و يمرض و يغوط و أمثال هذا إلا فرعون لما فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ قال يا أَيُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي ثم جعل ذلك ظنا بعد شك أو إثباتا في قوله فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِباً و أما القائلون بأن الله هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ فما هم في حكم هذا الذكر لأمرين الأمر الواحد إنهم فرقوا بين الناسوت و اللاهوت و القائل بهذا الذكر لا يفرق و الأمر الثاني إنما يدل هذا الذكر على من قال عن نفسه ذلك لا من قيل عنه و الذي ينتج هذا الذكر لصاحبه أحد أمرين أو كلاهما الأمر الواحد أحدية هذا القائل في الألوهة فيكون العالم كله عند صاحب هذا الذكر عين الحق فله أحدية الكثرة كما لغيره أحدية كثرة الأسماء الإلهية و تكون الكثرة في النسب و الأحكام لا في العين و العالم كله عنده عرض عرض لهذه العين من أعيان الممكنات الثابتة التي لا يصح لها وجود و الأمر الآخر أن يكون قوله من دونه نزولا عن المرتبة التي لله و هذا مثل قولهم ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فهو و إن كان أنزل منه في الرتبة فهو عنده إنه إله فيكون هذا القائل إذا كان صاحب هذا الذكر يرى أن تجلى الحق في الصور أنزل منه لو تجلى في كونه غنيا عن العالمين فلو صح هناك تجل لكان أكمل من تجليه في الصور فتعقل رتبة غناه عن العالم بنفسه و قد يكون هذا لمن يراه عين العالم فعلامته هويته فهو الدليل له عليه كقوله أعوذ بك منك و استعاذ به منه إذ لا مقابل له غير ذاته فهو المعز المذل ثم هنا تنبيه إلهي حيث قرن هذا الحال بالقول لا بالعلم و الحسبان فإن قال ما نظن أنه قد علم إن الأمر كذا فتخيل إن قوله مطابق لعلمه و هذا يستحيل وقوعه من أحد علما لعلمه بذلته و افتقاره و قصوره في نفسه فإذا قال مثل هذا و هو يعلم قصوره فيقولها بوجه لا يقع عليه فيه مؤاخذة و يكون جزاؤه على هذا القول جهنم أي بعده في نفسه عما يقول به على لسانه و هو خير جزاء لأنه علم و يكون كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ جزاء الظالم الذي ورث الكتاب من المصطفين فإن الله أطلق على بعض الورثة اسم الظالم مع كونه من أهل الحق فيتخصص الظالم هنا كما تخصص في قوله وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ و هو ظلم خاص مع كونه نكرة فهو نكرة عند السامع لا عند المتكلم به و لهذا فسره رسول الله ص بأنه الشرك خاصة فمثل هذا الهجير يكون موجها فيما ينتجلانه في وضعه على ذلك فيأخذ كل صاحب وجه منه بنصيب لأنه صالح لذلك و كل آية في الهجيرات إنما تؤخذ على انفرادها كما سطرت و عند أهل التحقيق هذا المأخذ و إن كان عالي الأوج فإن مسمى الآية إذا لزمتها أمور من قبل أو بعد يظهر من قوة الكلام إن الآية تطلب تلك اللوازم فلا تكمل الآية إلا بها و هو نظر الكامل من الرجال فمن ينظر في كلام الله على هذا النمط فإنه يفوز بعلم كبير و خير كثير كما تقول في بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إنها آية مستقلة و تقول فيها في سورة النمل إنها جزء آية فلا كمال لها في الآي إلا بزيادة فاعلم أنه كما لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ كذلك لكل عمل جزاء و القول عمل فله جزاء إن الله عند لسان كل قائل و ليس بعد الخواطر أسرع عملا منه أعني من اللسان فالقول أسرع الأعمال و لا

يتولى حساب صاحبه إلا أسرع الحاسبين لأن متولي الحساب على الأعمال من الأسماء الإلهية ما يناسب ذلك العمل إن فهمت وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الواحد و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله أَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ وكان هذا هجير الشيخ أبي مدين شيخنا رضي الله عنه»

أ فغير الله يدعو صادق … أم بغير الله فوه ينطق

بل به ينطق لا يعقبه … و لذا في كل حال يصدق

ثم يدعوه إذا يدعو به … فهو الداع الذي لا يلحق

أخلق الخالق ما يخلقه … لجديد بعد هذا يخلق

ليت شعري هل ترى من كائن … قائم العين به لا يخلق

حجب الأمثال ما قام بها … من فناء كونه يحقق

قال الله تعالى بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ أي تتركون الشرك فانتج هذا الذكر هذه الشهادة الإلهية و إذا كان الحاكم عين الشاهد بقيت الحيرة في هل يحكم الحاكم بعلمه أم لا فإن الشهادة علم و الحكم قد يكون عن غلبة ظن و عن علم و موضع الشهادة بَلْ إِيّاهُ تَدْعُونَ . . . وَتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ و هو قوله وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّ إِيّاهُ و قوله أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ فقد شهد على نفسه لنا في دار التكليف بتوحيده في المهمات و لا يعرف الكريم إلا المسيء و لا أكرم من الله و قد نبه الله المسيء أن يقول بكرم الحق لكونه يحكم بالكرم في حقه فقال يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ هذا ليقول كرمك و ما يعني بالإنسان هنا إلا المسيء صاحب الكبيرة فإنه لا يقاوم كبير كرمه إلا بأكبر الكبائر فهناك يظهر عموم الكرم الإلهي و قوته فهو و إن لم يغفر فلا بد من الكرم الإلهي في المال و إن لم يخرج من النار لأنها موطنه و منها خلق حتى لو أخرج منها في المال لتضرر فله فيها نعيم مقيم لا يشعر به إلا العلماء بالله فلما كشف الله غطاء الجهل و العماء عمن كشفه أبصر أن أحدا من الخلق ما دعا في حال شدته إلا الله فلو لم يكن في علمه في حال الرخاء إن حل الشدائد بيد الله خاصة و هذا هو التوحيد ما أظهر ذلك الاعتقاد عند الشدائد فلم يزل المشرك موحدا بشهادة الله في حال الرخاء و الشدة غير إن المشرك في حال الرخاء لا يظهر عليه علم من إعلام التوحيد الذي هو معتقده فإذا اضطر رجع إلى علمه بتوحيد خالقه لم يظهر عليه علم من أعلام الشرك و كل ذلك في دار التكليف و أكثر علماء الرسوم غائبون عن هذا الفضل الإلهي و الكرم فيعطي هذا الذكر من العلم بكرم الله ما ليس عند أحد من خلق الله ممن ليس له هذا الذكر و الدءوب عليه و لم أسمع عن أحد تحقق به في زماني مثل الشيخ أبي مدين ببجاية رحمه الله و إذا اجتمع في دار التكليف في الشخص ظهور التوحيد في وقت و ظهور الشرك في وقت مع استصحاب التوحيد في الباطن مع وجوده في

أصل الفطرة و الرجوع إليه في المال في حال الاحتضار قبل الخروج من الدنيا فكان زمانه أكثر من زمان الشرك فلو قابلنا الأمر بالزمان بينهما لكان زمان التوحيد غالبا بالفطرة و الاستصحاب في الباطن دائما علما و عقدا و كان ظهوره في وقت الشدائد بأزمانه أكثر من زمان الشرك فلا يحجبنك حكم الدار عن هذا الذي أومأنا إليه في هذا الهجير فإنه ينفعك و لو قدرت أنه لا ينفك فإنه لا يضرك فقل به على كل حال و اعتمد عليه و لا تك ممن يرد شهادة الله حين شهد لهم بذلك عندك و ما شهد عندك حتى جعلك حاكما فأنزلك منزلته في الحكم و أنزل نفسه منزلتك في الشهادة فإن لم تحكم بما قررناه فقد رددت شهادة العدل فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ . . . إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ ثم قوله إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أي إن صدقتم و لا تكتمون ما تجدونه في نفوسكم من قولي إنكم ما تدعون في الشدائد إلا الله الذي ما زالت قلوبكم منطوية عليه فهم بلا شك مصدقون لعلمهم فهل يصدقون إذا سألوا أم لا

و قد يعلمون و قد يجهلون	فقد يصدقون و قد يكذبون
فإني عليم بما يقصدون	فلا تصغين إلى قولهم
إلى ما يقولون إذ يفشرون	فكن واحد العصر لا تلتفت
و علمي بهم أنهم يخرصون	فإني خبير بأقوالهم
إذا ما يقولونه يصدقون	و لو كنت أدري بهم أنهم
فهم إذ يقولون ما يشعرون	لقد كنت أصغى إلى قولهم
و في العرش إلا الذي يفترون	فهم إذ يقولون ما في العما
عليهم بهم أنهم ينصرون	فقد حرفوا القول فاستنصروا

و متى لم يعلم الكاذب أنه كاذب فإنه غير مؤاخذ بكذبه فإن أخذ فما يؤاخذ إلا بتفريطه في تحصيل ما ينبغي له أن يحصله من العلم و العمل بما فيه نجاته و سعادته لا من جهة كذبه فلا يؤاخذ الكاذب إلا إذا كان عالما بكذبه في المواطن التي كلف إن يصدق فيها و هو الجاحد إذا كان هناك من يطلب منه الإقرار في ذلك الأمر المطلوب منه مثل قوله تعالى في حق من كان بهذه الصفة وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا و قد قررنا أنه إذا أخذ من لا يعلم أنه كاذب إنما يؤخذ من حيث إنه فرط في اقتناء العلم الذي يطلعه على هذا الأمر الذي كذب فيه من غير علم به أنه ليس بحق ففرق بين مؤاخذة الكاذب و متى هو كاذب و بين مؤاخذة المفرط في اقتناء العلم الذي يعرفه الصدق من الكذب و الصادق من الكاذب فينزل كل شيء منزلته بصفته و هذا عزيز في الناس قليل وجوده وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ جعلنا الله و إياكم من العلماء العاملين على كل حال و لا يحول بيننا و بين مقام الصادقين و الصديقين أنه المليء بذلك و القادر عليه آمين بعزته

«الباب الثاني و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله لا تَخُونُوا اللهَ وَ الرَّسُولَ وَ تَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

لا تخونوا الله إن كنتم له ... و الأمانات كذاكم لا تخان

لا تكن بالحمل إن حملتها ... دون أمر جاهلا ليس تعان

كل من حملها يحملها ... بأمان فالأمانات أمان

و لها حق على حاملها ... ليس يدري ذاك إلا ذو عيان

فيؤديها كما قال لنا ... في الكتاب الحق من قال فكان

ذا كم الله تعالى جده ... في يراع و لسان و جنان

قال رسول الله ص موصيا لا تسألوا الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير سؤال أعنت عليها و إن أعطيتها عن سؤال لم تعن عليها فالخيانة ثلاث أعني الذين يخانون خيانة الله و خيانة الرسول و خيانة الأمانات و ما أيه الله في هذه الخيانات إلا بالمؤمنين فإن كنت مؤمنا فأنت المخاطب فأما خيانة الله في أمانته و خيانة الرسول و خيانة الأمانات فإنا أذكرها إن شاء الله تعالى لما قال الله تعالى إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها لأنها كانت عرضا لا أمرا وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا يريد ظلوما لنفسه جهولا بقدر ما حمل قال لنا تعالى لما حملناها إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها و ما حملها أحد من خلق الله إلا الإنسان فلا يخلو ما أن يحملها عرضا أو جبرا فإن حملها عرضا فقد خاطر بنفسه و إن حملها جبرا فإنه مؤد لها على كل حال و لا بد و اعلم أن أهل الأمانات الذين أمرنا الله أن نوديها إليهم ليس المعتبر من أعطاها و لا بد و إنما أهلها من تؤدي إليه فإن كان الذي أعطاها بنية أن تؤدي إليه في وقت آخر فهو أهلها من حيث ما تؤدي إليه لا من حيث إنه أعطاها و إن أعطاها هذا الأمين المؤتمن إلى من أعطاه إياها ليحملها إلى غيره فذلك الغير هو أهلها لا من أعطى فقد أعلمك بالأهلية فيها فإن الحق إنما هو لمن يستحقه فاعلم ذلك و اعمل عليهو اعلم بأن الله قد أعطاك أمانة أخرى لتردها إليه كما أعطاك أمانة لتوصلها إلى غيرك لا تردها إليه كالرسالة فإن الله يقول يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ و قال ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ و أما ما يرد إليه عز و جل من الأمانات فهو كل علم آمنك عليه من العلوم التي إذا ظهرت بها في العموم ضل به من لا يسمعه منك بسمع الحق فإذا حصل لك مثل هذا العلم و رأيت من كان الحق سمعه و بصره و جميع قواه و ليس له هذا العلم فأداه إليه فإنه ما يسمعه منك إلا بسمع الحق فالحق على الحقيقة هو الذي سمع فرددت الأمانة إليه تعالى و هو الذي أعطاكها و حصلت لهذا الشخص الذي الحق سمعه فائدة لم يكن يعلمها و لكن حامل هذه الأمانة إن لم يكن عالما بأن هذا ممن يكون صفته أن يكون الحق سمعه و إلا فهو ممن خان الله و قد نهاه الله أن يخون الله و كذلك أيضا من خيانة من أطلعه الله على العلم بأن العالم وجوده وجود الحق ثم تصرف فيه بتعدي حد من حدود الله يعلم أنه متعد فيه فإن الله في هذا الحال هو عين الأمانة في وجوده عند أهل الحجاب سواء علم ذلك شرعا أو عقلا فقد خان الله في تصرفه باعتقاده التعدي وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ و حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا و كذلك من خان الله في أهل الله فقد خان الله و

كل أمر بيدك أمرك الله فيه إن ترده إليه فلم تفعل فذلك من خيانة الله و الله يقول وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و أما خيانة من خان رسول الله ص فهي فيما أعطاك الله من الآداب أن تعامل به رسول الله ص و هذه المعاملة هي عين أدائها إليه ص فإذا لم تتأدب معه فما أديت أمانته إليه فقد خنت رسول الله ص فيما أمنك الله عليه من ذلك و من خيانتك رسول الله ص ما سألك فيه من المودة في قرابته و أهل بيته فإنه و أهل بيته على السواء في مودتنا فيهم فمن كره أهل بيته فقد كرهه فإنه ص واحد من أهل البيت و لا يتبعض حب أهل البيت فإن الحب ما تعلق إلا بالأهل لا بواحد بعينه فاجعل بالك و أعرف قدر أهل البيت فمن خان أهل البيت فقد خان رسول الله ص و من خان ما سنه رسول الله ص فقد خانه ص في سنته و لقد أخبرني الثقة عندي بمكة قال كنت أكره ما تفعله الشرفاء بمكة في الناس فرأيت في النوم فاطمة بنت رسول الله ص و هي معرضة عني فسلمت عليها و سألتها عن إعراضها فقالت إنك تقع في الشرفاء فقلت لها يا سيدتي ألا ترين إلى ما يفعلون في الناس فقالت أ ليس هم بني فقلت لها من الآن و تبت فأقبلت علي و استيقظت

فأهل البيت هم أهل السيادة فلا تعدل بأهل البيت خلقا

حقيقي و حبهم عبادة فبغضهم من الإنسان خسر

و من خيانتك رسول الله ص المفاضلة بين الأنبياء و الرسل سلام الله عليهم مع علمنا بأن الله فضل بعضهم على بعض كما قال تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ و قال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ فله سبحانه أن يفضل بين عباده بما شاء و ليس لنا ذلك فإنا لا نعلم ذلك إلا بإعلامه فإن ذلك راجع إلى ما في نفس الحق سبحانه منهم و لا يعلم أحد ما في نفس الحق كما قال عيسى ع تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ و لا دخول هنا للمراتب الظاهرة و التحكم و قد نهى رسول الله ص أن نفضل بين الأنبياء و أن نفضله ص عليهم إلا بإعلامه أيضا و عين يونس ع و غيره فمن فضل من غير إعلام الله فقد خان رسول الله ص و تعدى ما حده له رسول الله ص و أما خيانة الأمانات فيتناولها قوله ص لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها و لا تمنعوها أهلها فتظلموهم و الخيانة ظلم فالحكمة أمانة و خيانتها أن تعطيها غير أهلها و أنت تعلم أنه غير أهلها فرفع الله الحرج عمن لا يعلم إلا أنه أمره بأن يتعرض لتحصيل العلم بالأمور فلا عذر له في التخلف عن ذلك فمن خان فيه قبل حصول العلم و هو متعمل في حصول العلم و دعاه الوقت إلى ذلك التصريف الخاص المسمى خيانة فإنه غير مؤاخذ بتلك الخيانة و لا بالتفريط فإنه في حال التعمل لتحصيل العلم و الوقت حكم بما وقع به التصرف فمن كان له هذا الذكر فإنه تحصل له به العصمة من الخيانة و يطلعه على العلم بالأهلية في كل أمانة بعناية هذا الذكر وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

إلا أنا و الذي في الشرع نتبعه إني خصصت بسر ليس يعلمه

بالله نتبعه فيما يشرعه هو النبي رسول الله خير فتى

«الباب الثالث و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ»

اللّٰه يعلم أني لست أعلمه	و كيف يعلم من بالعلم نجهله
إني علمت وجودا لا يقيده	نعت بحق و لا خلق يفصله
علمي به حيرتي فيه فليس لنا	دليل حق على علم نحصله
فليس إلا الذي جاء الرسول به	في الحالتين و بالإيمان نقبله
فإن تفكرت في القرآن تبصره	وقتا ينزهه وقتا يمثله

قال اللّٰه تعالى أَلا لِلّٰهِ الدِّينُ الْخالِصُ هذا الذكر على المشهد و المحتد فإن اللّٰه ما خلق الجن و الإنس إلا ليعبدوه ما علل بغير هذا خالق العالم و ما نعلم أحدا أخذ عبادة الخلق لنفسه أو لغير اللّٰه حتى يخلصها منه و قد علمنا صدق قوله في طلبه الإخلاص في العبادة فعلمنا أنه لا بد ثم من نسبة فيها إلى غير اللّٰه فلم نجد إلا نحن فنحن أصحاب الدعاوي فيما هو للّٰه لأنه ما من شيء إلا و هو ساجد للّٰه و السجود عبادة إلا نحن و لذلك قال وَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ و لم يعم كما عم في كل من ذكر من الأنواع أ لا تراه تعالى ما أرسل رسولا إِلّا بِلِسانِ قَوْمِهِ فالرسالة للّٰه و الأداء للرسول ع بلسان القوم

علم القرآن كيف ينزل	في وجودي و على من ينزل
إنما ينزله الذكر به	في قلوب كلهن منزل
و لكل منهم قسمته	ليس في القرآن شيء يفضل
فلنا منه المقام الأسهل	ثم للّٰه المقام الأجزل
هو قول اللّٰه و اللفظ لنا	و له الحكم العظيم الفيصل

و لكن اللّٰه قد أبان لنا أن هوية الحق سمع العبد و بصره و جميع قواه و العبد ما هو إلا بقواه فما هو إلا بالحق فظاهره صورة خلقية محدودة و باطنه هوية الحق غير محدودة للصورة فهو من حيث الصورة من جملة من يسبح بحمده و هو من حيث باطنه كما ذكرنا فالحق يسبح نفسه و أعطى المجموع معنى دقيقا غامضا لم يعطه كل واحد على الانفراد به و أضيف إلى الصورة ما أضيف من موافقة و مخالفة و طاعة و معصية و به قيل إنه مكلف و به صحت القسمة في الصلاة بينه و بين اللّٰه فيقول العبد كذا فيقول اللّٰه كذا و لا يكون عبدا إلا بالمجموع فانظر ما حصل للحق من النعت لما وصف نفسه بأنه قوى العبد فما كان عبدا إلا به كما لم يكن الحق قواه إلا به لأن اسم العبد ما انطلق إلا على المجموع و قد أعلمنا اللّٰه من هو المجموع فيقول العبد الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و الحق لسانه و الحق سمعه فمن قال الحمد للّٰه و من سمع قوله الحمد للّٰه فيقول اللّٰه

أثنى على عبدي و لكن بغير هذا اللسان القائل بل بهوية الحق مجردة عن الإضافة بهذا العبد في حال إضافتها إليه فلم يقل بالمجموع اثني على عبدي و ما أثنى عليه إلا بكلامه فإن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كلام الله فبالمعنى المعلوم كانت العبارة عنه أثنيت على نفسي بصورة عبدي حكى عبدي عني من حيث صورته الظاهرة ما أثنيت به على نفسي كما ذكرنا في غير هذا الموضع إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و قال لنبيه ص ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ و ما سمع إلا صوت المؤدي و هو الرسول و نحن نعلم أن كلام العالم كله ليس إلا كلامه فإن العالم كله إنسان كبير كامل فحكمه حكم الإنسان و هوية الحق باطن الإنسان و قواه التي كان بها عبدا فهوية الحق قوى العالم التي كان بها إنسانا كبيرا عبدا مسبحا ربه تعالى

سواء علينا نثره و نظامه　ألا كل قول في الوجود كلامه

فمنه إليه بدؤه و ختامه　يعم به إسماع كل مكون

فمندرج في الجهر منه اكتتامه　و لا سامع غير الذي كان قائلا

فما فيه من ضوء فذاك ظلامه　فتستره ألفاظنا بحروفها

و قد ملأ الجو الفسيح غمامه　فما ظنكم بالنور منه إذا بدا

لأنه القائل ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ﴾ و لما كان الأمر على ما ذكرناه في نفسه طلب منا أن نخلص العبادة له لأن بالعبادة نكون عبيدا و ما نكون عبيدا إلا بهويته فنخلص العبودية و تخليصها أن نقول له أنت هو بأنانيتك و أنت هو في أنانيتي فما ثم إلا أنت فأنت المسمى ربا و عبدا إن لم يكن الأمر كذا فما أخلصنا له عبادة فما طلب الإخلاص فيها إلا من المجموع و لا يصح لها وجود و لا نسبة إلا بالمجموع لأنه بالانفراد غني عن العالمين و بالمجموع قال ﴿أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ فقيده بالإحسان و فسر لنا ما هو الإحسان و ما فسره إلا بشهود المحدود المنصوب في القبلة فمعرفة الله بلسان الشارع المترجم عن الله غير معرفته بالنظر العقلي فللمعرفة بالله طريقان و أعني العلم بالله منا و إن شئت قلت ثلاث طرق الطريق الواحد علمنا به تعالى من حيث نظرنا الفكري و علمنا به من حيث خطابه الشرعي و علمنا به من حيث المجموع و أنا نعلم أنا لا نعلمه كما يعلم نفسه فهذا حصر المعرفة الحادثة بالله تعالى

و الحق غير العبد لست تراه　فالحق عين العبد ليس سواه

لا تفردنه فتستبيح حماه　فانظر إليه به على مجموعه

لله منك عبادة تلقاه　هذا هو الحق الصريح فأخلصوا

أي تلقاه تلك العبادة و إن شئت قلت لله منه عبادة تلقاه فإنك ما أخذتها إلا به فمنه تخلصها له و أنت محل الظهور فالصورة لك و العين هويته كما قررنا في غير موضع أن الصور المعبر عنها بالعالم إحكام أعيان الممكنات في وجود الحق و لهذا يقال إن العالم ما استفاد الوجود إلا من الحق

و هو الحدوث و هذا القدر كاف في تخليص العبادة لله فيكون الحق العابد من وجه المعبود من وجه بنسبتين مختلفتين وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ إلى هنا كان هجير شيخنا أبي مدين رحمه الله و زاد بعضهم قوله تعالى فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»

و إياه في رفعه أرغب　　إلى الله من كوننا المهرب

فليس لنا غيره مذهب　　ذر الكل في خوضه يلعب

و فيه الورى كله يرغب　　فإنك إن جئته تقرب

من الله فزت بما أطلب　　و لما رأيت الذي يعجب

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن هذا الباب قريب من الذي قبله فإن الله وصف نفسه بالتعجب و الضحك و الفرح و التبشيش و أشباه هذه الصفات الخلقية و وصف نفسه بـ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ يعني فيها وَ مٰا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ فخلصنا له منه أمرنا الحق أن نقول الله ثم نذرهم أي نترك ضميرهم و هو ضميرهم ضمير الجمع لا هو الذي هو ضمير الإفراد فإنا للفرد نخلص العبادة من الجمع فإن الجمع أظهر القسمة بين الله و بين عبده في العبادة و هي لله لا للمكلف من حيث صورته و إن كانت له من حيث جمعيته بالله فهنا رسخت قدم الشيخ أبي مدين رضي الله عنه و لم يتعد و غيره يتمم الآية فقال فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ فوقف أبو مدين رضي الله عنه مع قوله وَ إِذٰا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيٰاتِنٰا و كل ما في العالم آياته فإنها دلائل عليه فأعرض عنهم فامتثل أمر الله فأعرض و وقف غيره مع أمره أن يتركهم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ فامتثلنا أمر الله و تركناهم فكشف الغطاء عن أبصارنا فعلمنا على الشهود من الخائض اللاعب و ما هو هذا الجمع الذي أظهره ضمير لفظة هم في قوله ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ و قد تقدم أنه ما ثم أثر إلا للأسماء الإلهية فثبت الجمع لله بأسمائه و ثبت التوحيد بهويته

سوى الحق فاشهد و ذر من أمر　　فما ثم جمع و لا واحد

لحكم القضاء و حكم القدر　　كما قال في خوضه لاعبا

سوى من يصرف هذي الصور　　فما ثم فيما ترى لاعب

كما شاءه حين يقضي الوطر　　فتبصره و هو يلهو بها

وجودي لتصريف هذي الكور　　هي الصولجان و ميدانها

مراكب أرواحها في البشر　　تجول الخيول بميدانها

و إن سلموا فوق متن الخطر　　و هم في الركوب على ظهرها

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ فهو القاتل و إن لم يرد هذا الاسم وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فهو الرامي بالصورة المحمدية و إن لم يرد هذا الاسم تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ من سِجِّيلٍ في صورة طير و إن لم يرد سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ و هو الواقي و إن لم يرد و السرابيل اسم

لتعلم من ذلك الخائض فهذا من الخوض فاعلم به
و كن ناقضا فهو الناقض و أبرم و ما أنت أبرمته
فتحمد نهوضك يا ناهض و قل للذي يجبن انهض به
هو القاتل الفارس الفارض فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ و لكنه

ليس مسمى اللعب باللعب على طريق الذم فإن اللعب مفرحة النفوس إلا أن الحق جعل لهذا اللعب مواطن فإذا تعدى العبد بلعبه تلك المواطن تعلق به الذم لا من كونه لعبا بل من كونه في ذلك الموطن ثم لتعلم إن الأمور تختلف بالقصد و إن اجتمعت في الصورة و قد بينا هذا المعنى فيما جبل عليه الإنسان في أصل خلقه من البخل و الجبن و الحرص و الشرة و هي في العامة خلق مذمومة عرفا فبين الحق لها مصارف تحمد فيه فلولا أنها قابلة للحمد بالذات ما حمدت في المصارف الإلهية التي عين لها الحق و اللعب منها و قد أمرنا الحق أن نذر الخائض يلعب في خوضه و قد أمرنا بالنصح و تغيير المنكر بالمعروف و هو أن نبين وجه المعروف في المنكر فنزيل عنه اسم المنكر كما هو في نفس الأمر معروف فإنه ما في الوجود من يقع عليه نعت النكرة فإن كل شخص قد عينته شخصيته فأين المنكور

فالقول قول الله في المخلوق فإذا فهمت مقالتي فافرح بها
من حكمة أدى إلي حقوقي إذ كان من فهم الذي قد قلته

هذا ما أنتجه المقال فكيف يكون ما ينتجه العمل فإن الله ما أمرنا إلا أن نقول الله و نترك كل حرف بما عنده فارحا ما كلفني غير ذلك فقال قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ عن بصيرة فإنهم بين أن يحمدوا ذلك الخوض أو يذموه عقدا فإن حمدوه فقد قلنا إنه تعالى عند كل معتقد و إن وجدوه في تصور من تصوره لا يزول بزوال تصور من تصوره إلى تصور آخر بل يكون له أيضا وجود في ذلك التصور الآخر كما يتحول يوم القيامة في التجلي من صورة إلى صورة و ما زالت عنه تلك الصورة التي تحول عنها لأن الذي كانت معتقده فيها يراه فما هو إلا كشف منه تعالى عن عين هذا الذي يدركها لا غير فهم على بصيرة و إن ذموه فهم الذين تحول في حقهم إلى الصورة التي تحول إليها بعلامتهم فهم في ذمهم على بصيرة لأنه لذلك خلقهم كما تعبد كل مجتهد بما أداه إليه اجتهاده و حرم عليه إن يعبده باجتهاد غيره إذا كان من أهل الاجتهاد سواء فالمقلد مطلق فيما يجيء به المجتهدون و يختار ما شاء فله الاتساع في الشرع و ليس للمجتهد ذلك فإنه مقيد بدليله و إن أصاب الحق أو أخطأه كما هو نعت هذا الخائض إن حمد خوضه أو ذمه فهو في الحالتين على بصيرة و لهذا أمرنا الحق أن نتركهم في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ و لو لم يكن في هذا الذكر من الفائدة إلا كون الله يتخلق لعباده في اعتقادهم فإن الناظر في الله خالق في نفسه بنظره ما يعتقده فما عبد إلا إلها خلقه بنظره و قال له

كُنْ فكان و لهذا أمرنا الناس أن يعبدوا الله الذي جاء به الرسول و نطق به الكتاب فإنك إذا عبدت ذلك الإله عبدت ما لم تخلق بل عبدت خالقك فأعطيت العبادة حقها موفى فإن العلم بالله لا يصح أن يكون علما إلا عن تقليد محال أن يكون عن دليل و لهذا منعنا عن التفكر في ذات الله و لم نمنع بل أمرنا أن نفرد الرتبة إليه فلا إله إلا هو وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا كان عليه من أصحابنا محمد المراكشي بمراكش)

وكذا في الشهود عين شهودي   ليس قلب الوجود غير وجودي
و هو مني مكان حبل الوريد   فأنا القلب و المهيمن قلبي
إنه جل عن قيود الحدود   لا تحدوه للذي قد سمعتم
يرني لم يقل بفرض السجود   من رآني فقد رآه و من لم
قال في الحق إنه من وجودي   إنما يفرض السجود على من

يريد قوله ص من عرف نفسه عرف ربه رأيت محمد المراكشي بمراكش و كان يكاثرني ليلا و نهارا و كان هذا هجيره دائما فما رأيته ضاق صدره من شيء قط و كانت الشدائد تمر عليه فلا يتلقاها إلا بالفرح و الضحك فتفرج عنه في نظرنا و هو ينتقل من فرح إلى فرح و من سرور إلى سرور فكنت أقول له هل تصبر على حلول هذه النوازل المكروهة طبعا فيقول لما صبرت أو لا فانتج لي ذلك الصبر على الحكم الإلهي مشاهدة العين فشغلتني عن كل حكم فما أتلقاه إلا به فهو مجني فإياه أسأل فإن النوازل به تنزل في رؤيتي و أنتم ترون حكم النازلة في صورتي و كل عند نظره ثم كان هذا الشخص من أحفظ الناس على أوقات عباداته و الله ما رأيت مثله بعده في هذا المقام و ما تحسر أحد من إخواني على فراقي حين فارقته إلى هذه البلاد مثل تحسره على فراقي و كان يقول لي و الله لو لا مشاهدة العين التي حجبتني عن نفوذ الحكم الرباني في لسافرت معك فو الله ما يغيب عني منك إلا تحول صورة الحق إلى صورة أخرى فأشهده غيبا و محضرا و هذا ذوق عجيب كان كثير الأدب كثير الكلام يكاد لا يصمت أبدا عن دلالة الناس على الله عز و جل فإذا قيل له في ذلك يقول أنا أؤدي فريضتي في كلامي و أنت بالخيار في مجالستي و الإصغاء إلى ما نورده أنا أتكلم مع من يسمع ما أتكلم مع من لا يسمعاعلم أن هذا الذكر يعطي الثبوت مع الحكم الرباني لما فيه من المصلحة و إن لم يشعر به العبد و جهله فهو في نفس الأمر مصلحة كان الحكم ما كان و هذا هو مقام الإحسان الأول الذي هو فوق الايمان فله الشهود الدائم في اختلاف الأحكام و لا بد من اختلافها لأنه تعالى كل يوم في شأن فإن كنت صاحب غرض و تحس بمرض و ألم فاحبس نفسك عن الشكوى لغير من آلمك بحكمه عليك كما فعل أيوب ع و هو الأدب الإلهي الذي علمه أنبياءه و رسله فإنه ما آلمك و حكم عليك بخلاف غرضك و غرضك من جعل حكمه فيك إلا لتسأله في رفع ذلك عنك بما جعل فيك من العرض الذي بسببه تألمت فمن لم يشك إلى

الله مع الإحساس بالبلاء و عدم موافقة الغرض فقد قاوم القهر الإلهي جاع أبو يزيد البسطامي فبكى فقيل له في ذلك فقال إنما جوعني لأبكي فالأدب كل الأدب في الشكوى إلى الله في رفعه لا إلى غيره و يبقى عليه اسم الصبر كما قال تعالى في رسوله أيوب ع إِنَّا وَجَدْنَاهُ صابِراً في وقت الاضطراب و الركون إلى الأسباب فلم يضطرب و لا ركن إلى شيء غير الله إلا إلينا لا إلى سبب من الأسباب فإنه لا بد طبعا عند الإحساس من الاضطراب و تغير المزاج و لذلك لطخ الحلاج وجهه بالدم حين قطعت أطرافه لئلا يظهر إلى عين العامة تغير مزاجه غيرة منه على المقام لمعرفته بهذا كله و هو القائل في وقت هذه الحال

ما قد لي عضو و لا مفصل   إلا و فيه لكم ذكر

بخلاف الآلام النفسية إذا وردت الأمور التي من شأنها أن تتألم النفوس عند ورودها فقد يتلقاها بعض عباد الله و لا أثر لها فيه على ظاهره و الأمور المؤلمة حسا إذا أحس بها تحرك لها طبعا إلا أن شغله عنها أمر يزيل إحساسه بها و إنما كلامنا في ذلك مع الإحساس كأيوب و ذي النون سلام الله عليهما و أما إلى من ليس بيده من الأمر شيء كالمعتاد في العموم و تلك حالة أكثر العالم عباد الأسباب و بها يتستر الأكابر من عباد الله عن أن يشار إليهم وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ المأمور به فذلك هو الثبوت مع الله عند نفوذ الحكم الإلهي فيه أي حكم كان من بلاء أو عافية فإن الفرح بنيل الغرض يزيل صاحبه عن الثبوت أكثر من زوال صاحب البلاء فإن حركة الفرح تدهش و تكثر اضطراب صاحبه إلا أن يكون له قوة حال أكثر من وارد الفرح و أما الهم و الغم فإنه أقرب إلى الثبوت و السكون لمن حكم عليه به من فرح الواصل إلى غرضه فهو ذكر يعم الخير و الشر معا و هما حالان و الأحوال هي الحاكمة أبدا و المحكوم عليه لا بد أن يكون تحت قهر الحاكم لنفوذ حكمه فيه و هو الذي جعله يضطرب لأن مطلوب الإنسان بالطبع الخروج من الضيق إلى الانفساح و السعة و الضياء المشرق لما يراه من ظلمة الطبع و ضيقه فلا يصبر فقيل له اثبت للحكم فإنك لا تخلو عن نفوذ حكم فيك إما بما يسوءك أو بما يسرك فإن ساءك فتحرك إلينا في رفعه عنك و إن سرك فتحرك إلينا في إبقائه عليك و الشكر على ذلك فنزيدك ما يتضاعف به سرورك و لا يضعف فأنت رابح على كل حال و ما أمرناك بالصبر إلا ليكون الصبر عبادة واجبة فتجازي جزاء من أدى الواجب فتكون عبدا مضطرا مثنيا عليك بالصبر و الرضاء و لو تركناك على التخيير و صبرت لكنت عبدا مختارا أي ذا اختيار و لم تذق طعما لسيادتنا عليك فإن المختار يولينا على نفسه إذا شاء و يعزلنا إذا شاء و يخجلنا إذا شاء و لا يخجلنا إذا شاء فنحن في الاختيار بحكمه و في الاضطرار حاكمون عليه فانظر إلى رحمة الله بك حيث أمرك بالصبر لحكم ربك ثم زاد فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا أحق ما حكمنا عليك إلا بما هو الأصلح لك عندنا سواء سرك أم ساءك هذا قصده بقوله فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا أي ما أنت بحيث تجهله أو ننساه فكن أي عبد شئت بعد هذا فأنت لما قصدت وَ الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ الله وَ الله خَيْرُ الْماكِرِينَ وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ)

وهو عنهم مغيب ليس يدري أن لله في الخلائق مكرا

من أقام الصلاة شفعا و وترا و هو منهم و ليس يدريه إلا

تتوالى عليه فيها و تترى بمناجاة ذلة و خضوع

طالعات عليه شمسا و بدرا و شهود ترى الحقائق فيه

يهب العلم منه سرا و جهرا و وجود ترى الكوائن فيه

قال الله عز جلاله سَنَسْتَدْرِجُهُمْ من حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ و قال وَ مَكَرْنا مَكْراً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فإذا شعر بالمكر زال كونه مكرا إلا في حال واحد و ذلك إذا شعر بمكر الله في أمر أقامه فيه و أقام عليه و أقامته عليه بعد العلم أنه من مكر الله مكر من الله مثل قوله وَ أَضَلَّهُ الله عَلى عِلْمٍ و بهذا القدر يفارق علم الغيب فإن عالم الغيب إذا علمه لم يكن غيبا عنده فزال عنه في حقه اسم الغيب و لم يزل عن هذا الذي أقام على الأمر الذي كان لا يشعر به أنه مكر من الله اسم المكر به في إقامته على ذلك الأمر في حقه و إلا فالمسألة على السواء لو لا هذا الفارق الدقيق و من المكر الإلهي ما يقصد به ضررا لعبد و منه ما لا يقصد به ضررا لعبد و إنما يكون لحكمة أخرى يكون فيها سعادة العبد فإنه لو لا المكر الخفي لما صح تكليف و لا طلب جزاء فإنه من مكر الله المحمود في الممكور به تكليف الله إياه بالأعمال و السمع و الطاعة له فيما كلفه به و الأمر يعطي في نفسه أن الأعمال خلق لله في العبد و أن الله لا يكلف نفسه و ليس العامل إلا هو و هذا قد شعر به بعض الناس و أقاموا على العمل و ثابروا عليه أعني عمل الخيرات و من مكر الله قسمه لصلاة بينه و بين عبده نصفين و الكل له فمن أداها بالقسمة فقد شفع صلاته و من أداها بقوله إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ أداها وترا فمؤدي الصلاة شفعا هو الخاشع في صلاته و من أداها وترا على علم لا يتصف بالخشوع في نفسه و إن ظهر على ظاهره فإن ذلك حكمه حكم ظهور العمل منه و الله العامل لا هو قال تعالى وَ الله خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ و أما من يرى مكر الله ليس غير مكرهم و هم الذين يُخادِعُونَ الله وَ هُوَ خادِعُهُمْ بعين اعتقادهم أنهم يخادعون الله فما يخادع الله إلا جاهل بالله غاية الجهل أو عارف بالله غاية المعرفة التي لا يمكن أن يكون للمحدث أتم منها فأما الجهل في ذلك فمعلوم و أما المعرفة في ذلك فكما قال عمر رضي الله عنه من خدعنا في الله انخدعنا له و فائدة هذا إنه يعلم من المخادع أنه يخدعه فينخدع له و لا يعلمه أنه انخدع له و هو المتباله الذي يظن فيه أنه أبله و ليس بأبله فإذا علم العارف أنه لا واهب و لا قابل إلا الله و مع هذا يستعيذ من مكر الله كما تعوذ رسول الله ص بالله من الله تمشية لمراد الله أي لإرادة الله فإنه ما وضع في العالم حكما إلا ليستعمل في محكوم عليه و لو لم يرد استعماله لكان عبثا و لو لم يوجد من يستعمل فيه ذلك الحكم و من يعمل به لكان أيضا عبثا فالعامل به على بصيرة أولى من العامل به على غير بصيرة فلا يستوي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ و إن الله قد مشى لمن زعم أنه يخدع الله خداعه و مكره هنا فيكون في حق طائفة من مكر الله بهم و يكون في حق طائفة أخرى من عناية الله بهم مثل قوله افعل ما شئت فقد غفرت لك أي سترت نفسي عنك من أجلك فلا نؤاخذك إذا آخذت غيرك بذلك لما سبقت لك عندي من العناية فقدم المغفرة

للذنب قبل وقوع الذنب و هو قوله و ما تأخر فيأتي الذنب مغفورا أي مستورا أي بحجاب بينه و بين من يقع منه فلا يؤثر فيه حكمه لأجل ذلك الستر و ما سمي الله المكر استدراجا إلا لتنقله في المراتب من درج إلى درج و لو لا ذلك الانتقال لما اتصف به أهل الله فإنه بانتقاله يعم المقامات و المراتب و هي بين محمود و مذموم و لو لا ذلك ما وصف الله نفسه بالمكر و الاستدراج و لذلك يتصف به أهل الله فيخادعون و ينخدعونورد خبر أن بعض العباد يوقفه الله في السؤال يوم القيامة فيعترف بين يديه أنه عمل من الخير ما لم يعمل و هو كاذب في ذلك فيتجاهل له ربه حتى يقول ذلك القائل إن الله قد مشى عليه ما كذب به عنده فيأمر به إلى الجنة فتقول الملائكة يا رب إنه كذب فيقول الله قد علمت ذلك و لكني استحييت أن أكذب شيبتهفهذا من انخداع الله له فأهل الله أولى بالتجاوز عن عباد الله إذا عاملوهم بمثل هذه المعاملة و نحن ممن تحقق به غاية التحقق و هو من أعظم مكارم الأخلاق الإلهية فمن يقدر على الاغتبان و لا يظهر للغابن أنه اغتبن له فقد تمكن من حكم نفسه غاية التمكن لأن طبع النفس يطلب أن يعرف الخير منها و لا خير مثل الاغتبان فإنه نظير الحلم مع القدرة في نفس الأمر و هو يظهر للجاني أنه عجز عن مؤاخذته و هو ما ترك مؤاخذته إلا حلما لا عجزا و ذلك لا يصدر إلا من قوى على حكم طبعه و نفسه و الله ذو القوة المتين بحلمه لمن عرف وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله قوله تعالى أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرىٰ)

أ لم تعلم بأن الله منا ... يرانا و الوجود لنا شهيد
فيلزمنا الحياء فلا يرانا ... بحيث نهى و نحن له شهود
و ذا من أعجب الأشياء عندي ... فيأمرنا و يفعل ما يريد
يقول لي استقم و يريد مني ... مخالفة يؤيدها الوجود
فيا قوم اسمعوا ما قلت فيمن ... هو المولى و نحن له عبيد
يريد الأمر لا المأمور فانظر ... إلى حكم يشيب له الوليد

قال رسول الله ص استحيوا من الله حق الحياء ما قال الله تعالى أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرىٰ و عرف بذلك عباده لاختلاف أهل النظر في ذلك بين الطريقين بين أنه يرانا و بين أنا نراه فالمؤمن على كل حال يعلم أن الله يراه من هذا التعريف فما عرفهم إلا ليلزموا الحياء منه تعالى في تعدى حدوده فمن كان ذكره هذا الذكر فإن الله يتجلى له فيهذه الدار تجليه لجبل موسى ع و لكن لا يجعله دكا و سبب ذلك الدءوب على هذا الذكر فإنه يورث العبد قوة و تلك القوة من كون الذاكر لا يزال يذكر الله و الله جليس من يذكره و إن لم يشعر به فأول ما يفتح الله لكل ذاكر في نفسه معرفة من يذكر الله به فلا يرى الذاكر منه الله إلا لهوية الحق ثم في سمعه ذكره كذلك يشهد أنه لا يسمع ذكر الله منه إلا الله فإذا رأى نفسه حقا كله حينئذ يقع له التجلي الذي وقع لجبل موسى و لموسى فلا يندك و لا يصعق و إن فنى فإنما يفنيه جمال ذلك المشهود فإن الله جميل و يحب

الجمالفلا بد أن يكسو الله باطن هذا العبد من الجمال بحيث إنه لا يتجلى له إلا حبا لما ظهر فيه من الجمال الخاص المقيد به الذي لا يمكن أن يظهر ذلك الجمال إلا في هذا المحل الخاص فإنه لكل محل جمال يخصه لا يكون لغيره و لا ينظر الله إلى العالم إلا بعد أن يجمله و يسويه حتى يكون قبوله لما يرد به عليه في تجليه على قد ر جمال استعداده فيكسوه ذلك التجلي جمالا إلى جمال فلا يزال في جمال جديد في كل تجل كما لا يزال في خلق جديد في نفسه فله التحول دائما في باطنه و ظاهره لمن كشف الله عن بصيرته غطاء عماه و اعلم أن الحدود الموضوعة في العالم أعني الحدود المشروعة التي أمرنا الحق أن لا نتعداها ثم شرع لنا حدودا تقام علينا إذا تعديناها كل ذلك لنعرف أن الأمر حد كله فينا و فيه دنيا و آخرة لأن بالحدود يقع التمييز و بالتمييز يكون العلم فلولا الفا رق لما تميزت عين من عين و لا كان ثم علم بشيء أصلا و قد تميز لنا و بنا و عنا كما تميزنا له و به و عنه فعرفنا من نحن و من هو فإن غلبنا حال يقول ذلك الحال بلسانه أنا من أهوى و من أهوى أنا فيكفيه من قوة أثر الحدود إن فرق بين أنا و بين من أهوى و لو أنه يهوى نفسه فحاله كونه يهوى و هو الفاعل ما هو عين حاله يهوى و هو المفعول فبينت الحدود الأحوال كما بينت الأعيان و هذا علم ما تصل إليه العبارة في أحدية العين و لم يقدر على أن يوحد الحال و لا ذلك بممكن أصلا و في باب العلم بالله أوصل ما يكون الأمر و أعظم في الأحدية أن يكون وجود العالم عين وجود الحق لا غيره و معلوم اختلاف صور العالم و اختلاف الأسماء الإلهية و لا معنى للاختلاف الواضح إلا العلم بأنه لولا الحدود لما كان التمييز و إن كان الوجود عينا واحدة و هو الوجود الحق فالموجودات و المعقولات مختلفة و لقد لعن الله على لسان رسول الله ص من غير منا ر الأرض و هو الحدود لأن التشابه إذا غمض جدا أوقع الحيرة و خفي الحد فيه فإن شخصيات النوع الواحد الأخير متماثلة بالحد متميزة بالشخص فلا بد من فا رق في المتماثل بالحد و يكفيك إن جعلته مثله لا عينه

فالحد يصحب ما في العلم أجمعه و الحد يصحبه التحديد في النظر

«الباب الثامن و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»

لو لا الولاية كنت في الظلمات فاختصني الرحمن بالحركات
فخرجت منها أبتغي النور الذي جمعتني فيه و عين شتاتي
و رأيت محياي الذي أسعى له و علمت شأني فيه بعد وفاتي
و رأيت في الإنسان كل فضيلة و العلم أكمل فيه في الدرجات
فضممت للإيمان علما بالذي كان الوجود به بغير صفات
و بدت لي الأسماء خلف حجابه فشهدتها بالكشف عين سماتي
إن العناية أشرقت أنوارها فسعيت في الأنوار طول حياتي

و قلوبنا لسعيت في الظلمات		لو لا وجود النور في أبصارنا
ما دامت الدنيا و بعد مماتي		فالله أكبر و الكبير بدايتي
إلا هنا لا في الذي هو آتي		إن الخلافة لا يكون كمالها
لا زالة الأحكام في الدركات		فيزول في الجنات نصف وجودها
في النشأة الأخرى و لم أر يأتي		لما رأيت عموم رحمة ذاته
فعلمت منه خلافتي بالذات		أمر مزيل حكمها من خلقه
عنه و يعلم ذاك كل موات		فأنا المبرز في كمال خلافتي

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن الكشف المختص بهذا الذكر أن تطلع منه ذوقا على كون المؤمنين بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ و الْمُؤْمِنُ اسم لله تعالى و المؤمن اسم للإنسان و قد عم في الولاية بين المؤمنين فهو ولي الذين آمنوا بإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور و ليس إلا إخراجهم من العلم بهم إلى العلم بالله فإنه يقول من عرف نفسه عرف ربه فيعلم أنه الحق فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته التي أعطاه الله من ظلمة الغيب إلى نور الشهود فيشهد ما كان غيبا له فيعطيه كونه مشهودا و لم يكن له هذا الحكم من هذا الشخص قبل هذا فهذا للعبد تول بهذا القدر من كون الحق له اسم المؤمن كما تولى الحق عبده من كونه مؤمنا و كون الشخص مؤمنا سببا في إخراجه من الظلمات إلى النور و ذلك نصرته المؤمنين من عباده فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا و هذا من باب الإشارة إلى حكم الأسماء فيشد منا و نشد منه قال تعالى إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ من حيث هو المؤمن و نحن المؤمنون

و له مني ذلك		فلنا منه التولي
كذا فالكل هالك		و إذا لم يكن الأمر
يا إلهي عين مالك		أنا مال الله فاحفظ
و هو مالي من هنالك		فأنا حفظت فقري

ما في قوله مالي هو بمعنى الذي فاعلم يا ولي أن ظلمة الإمكان أشد الظلمات فإنها عين الجهل المحض فإذا تولى الله عبده أخرجه من ظلمة هذا الجهل الذي هو الإمكان و ليس إلا نظره لنفسه معرى عن نظره للذي تولاه فيخرجه بهذا التولي من ظلمة إمكانه إلى نور وجوب وجوده به و هو المنعوت بالواجب فأخرجه منه لنفسه و فرق بين الوجوب الذي حكمه لله و بين حكم الوجوب الذي لنا بالتقيد به فوجوبه تعالى لنفسه و وجوبنا به

و افترقنا في القيود		فاشتركنا في الوجوب

ما لنا من الحدود   ثم حزنا بالوجود

ما لنا من الحدود   حين حزنا بالوجود

و اختصصنا بالعبيد   فنسميه إلها

و أنا منه بعيد   فهو لي أشرف و سم

في قريب و بعيد   و مشى بذاك أمري

حين أدعي بالحميد   فأنا أحمد ربي

في مغيب و شهود   و علمنا ذاك حقا

ما تمشي لي جحودي   ثم لو جحدت هذا

بمنازل السعود   و لذا أنزلت بدري

في هبوط و صعود   و رأيت عين ذاتي

أتسمي بالسعيد   فأنا من أجل هذا

عقلنا عقل الوليد   فإنا إن كنت شيخا

فولاية العبد ربه و ولاية الرب عبده في قوله إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ و بين الولايتين فرق دقيق فجعل تعالى نصره جزاء و جعل مرتبة الإنشاء إليك كما قدمك في العلم بك على العلم به و ذلك لتعلم من أين علمك فتعلم علمه بك كيف كان لأنه قال وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ و قد ذكرنا في كتاب المشاهد القدسية أنه قال لي أنت الأصل و أنا الفرع على وجوه منها علمه بنا منا لا منه فانظر فإن هنا سرا غامضا جدا و هو عند أكثر النظار منه لا منا أوقعهم في ذلك حدوثنا و الكشف يعطي ما ذكرناه و هو الحق الذي لا يسعنا جهله و لما سألني عن هذه اللفظة مفتي الحجاز أبو عبد الله محمد بن أبي الصيف اليمني نزيل مكة ذكرت له أن علمنا به فرع عن علمنا بنا إذ نحن عين الدليليقول رسول الله ص من عرف نفسه عرف ربهكما إن وجودنا فرع عنه و وجوده أصل فهو أصل في وجودنا فرع في علمنا به و هو من مدلول هذه اللفظة فسر بذلك و ابتهج رحمه الله و هذا الوجه الآخر من مدلولها أيضا و هو أعلى و لكن ما ذكرناه له رحمه الله في ذلك المجلس لأنه ما يحتمله و لا يقدر أن ينكره و ما ثم ذلك الايمان القوي عنده و لا العلم و لا النظر السليم فكان يحار فأبرزنا له من الوجوه ما يلائم مزاج عقله و هو صحيح فإنه ما ثم وجه إلا و هو صحيح في الحق و ليس الفضل إلا العثور على ذلك فالله ولي المؤمن و المؤمن ولي اللهسئل رسول الله ص فقيل له من أولياء الله فقال ص الذين إذا رأوا ذكر اللهفذكر و علم و شهد برؤيتنا إياهم فجعلهم أولياء الله كما جاء عن الله أنه وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوافالمؤمن من أعطى الأمان في الحق أن منه يضيف إليه ما لا يستحق جلاله أن يوصف به مما ذكر تعالى أن ذلك ليس له بصفة كالذلة و الافتقار و هذه أرفع الدرجات أن

نصف العبد بأنه مؤمن فإن المؤمن أيضا من يعطي الأمان نفوس العالم بإيصال حقوقهم إليهم فهم في أمان منه من تعديه فيها و متى لم يكن كذا فليس بمؤمن فالولاية مشتركة بين الله و بين المؤمنين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَا أَنْفَقْتُمْ من شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»

فإن له بابين في كل ما خلق إلا إنما الإنفاق من حضرة النفق
و ليس لذاك الباب باب فينطبق فيأتي إليه الرزق من باب غيبه
لأن اسمه الفتاح ما عنده غلق فما زال مفتوحا على كل حالة
فلا تيأسن فالوقت بالوقت متسق إذا أنفق الإنسان فالله مخلف
يواليه رب الجود جودا إن اتفق و إن غلق الإنسان باب عطائه
فذلك إغلاق الإله إذا انغلق و إن غلق الإنسان باب هباته
كما جاء في القرآن في سورة العلق و يغلقه إن شاء فالأمر أمره
تعوذ بما قد جاء في سورة الفلق إذا عذت بالرحمن في كل حالة
إلى جنبها تتلى كما عاذ من سبق و في سورة الناس التي جاء ذكرها
بما جاء في القرآن فانظر تعذ بحق وإن عذت عذبا لرب إن كنت مؤمنا
فكن تابعا لا تتبع غير من صدق فما ذكر التعويذ إلا بربنا

قال الله تعالى كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغىٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنىٰ فيغلق عليه باب العطاء لما جعل في قلبه من خوف الفقر إن أعطى فيطغى في غناه في عين فقره فإن هو أعطى ما به استغنى افتقر فاحتقر فلا يزال الغني خائفا و لا يزال الفقير طالبا فالرجاء للفقير فإنه يأمل الغناء و الخوف للغني فإنه يخاف الفقر ف ما أَنْفَقْتُمْ من شَيْءٍ فإن الله يخلفه بهويته فيخلفه بفتح الياء فإنه ما ينفق حتى يشهد العوض و هو قولهم من أيقن بالخلف جاد بالأعطيةفما ينفق أحد إلا عن ظهر غنا لأن العبد فقير بالذات غني بالعرض و كان الأولى أن يكون غنيا بالذات لأنه المصرف لمن يتصرف فيه كالمال فإنه المتصرف فيمن يتصرف فيه فهو يصرفه لأنه لا يتعدى فيه علمه و علمه ما كان إلا من معلومه فما تصرف فيه إلا بما أعطاه من ذاته فمن حكمك في نفسه فهو الحاكم في تحكمك فيه فافهم

بما أخفاه عن خلق كثير لقد جاد الإله على وجودي
و لا شك لذي الفطن الخبير من العلم الذي ما فيه ريب

هلك شيئا فقد فقده و إذا فقده لم يجده و إذا لم يجده وجد الله عنده فهو يخلفه فكما عاد إلى الضمير على الشيء من يخلفه و لا يخلف إلا مثله لا عينه فليس هو هو و إذا لم يكن هو هو و لا بد من الخلف فيخلفه الله وجوده و هو قوله وَ وَجَدَ اللّٰهَ عِنْدَهُ فحيث تفني الأسباب هناك يوجد الله وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاّٰ إِيّٰاهُ و معنى ضل منكم و تلف فلم تجدوه و ما وجدتم عند فقده إلا الله يقول رسول الله ص في دعائه ربه في سفره أنت الصاحب في السفر و الخليفة في الأهل فما جعله خليفة في أهله إلا عند فقدهم إياه فينوب الله عن كل شيء أي يقوم فيهم مقام ذلك الشيء بهويته و لهذا قال فَهُوَ يُخْلِفُهُ فأي سبب يكون للمنفق بعد الإنفاق يسد مسد ما أنفقه من أمر ظاهر أو باطن حتى اليقين أو الاستغناء عن الأمر الذي كان يصل إليه بذلك الذي أنفقه في عين تحصيله لذلك الشيء فهو مجعول من هوية الحق أو هوية الحق و الهو عند الطائفة أتم الأذكار و أرفعها و أعظمها و هو ذكر خواص الخواص و ليس بعده ذكر أتم منه فيكون ما يعطيه الهو في إعطائه أعظم من إعطاء اسم من الأسماء الإلهية حتى من الاسم الله فإن الاسم الله دلالة على الرتبة و الهوية دلالة على العين لا تدل على أمر آخر غير الذات و لهذا يرجع إليها محلول لفظة الله فإنك تزيل الألف و اللامين على الطريقة المعروفة عند أهل الله فيبقى هو فإن جعلته سببا لتعلق الخلق به مكنت الضمة فقلت هو فجئت بواو العلة و فيها رائحة الغناء عن العالمين و العلة ما لها هذا المقام من أجل طلبها المعلول كما يطلبها المعلول فحركت بالفتح تخفيفا من ثقل العلية فقيل هو فدل على عين غائبه عن أن يحصرها علم مخلوق فلا يزال غيبا عند كل من يزعم أنه عالم به حتى عن الأسماء الإلهية فشغلها بما وضعها له من المعاني فجعل الرزاق همته متعلقة بالرزق و المقيت بالتقويت و العالم بالعلم و الحي بالحياة و كل اسم بما وضع له و ما دل عليه من الحكم فالأسماء موضوعة وضعتها الممكنات في حال ثبوتها و عدمها فالأسماء أحكامها و الهوية تقوم للممكنات بهذه الأحكام فإليه و هو الهو يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ و إلى الهو من أَلاٰ إِلَى اللّٰهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ترجع الأمور كلها و ما ذكر إلا الهو بالتصريح أو الله ما ذكر اسما غيره فافهم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب العاشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله سَأَصْرِفُ عَنْ آيٰاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ»

سأصرف عن براهين الوجود … قلوبا لم تنل رتب السجود
فلما أن زهت فخرا و عجبا … على أهل المشاهد و الشهود
حرمناها العلوم فلم تنلها … كما قد نالها أهل القصود

فاعلم أيدنا الله و إياك أن الكبرياء ليس إلا لله فمن تكبر من الخلق بغير الحق فما هو كبير في نفس الأمر و إنما هي دعوى حال لا وجود له في عين المدعي فإن كان له وجود و تكون الدعوى صحيحة فليس المدعي عند ذلك إلا الحق و الحق له الكبرياء و ما سمي المحل متكبرا إلا لكون الدعوى ما ظهرت إلا في محل ما له الكبرياء و ادعاؤه بحق فكان لسان المدعي عين الحق كما جاء كان الله سمعه و بصره و اعلم أن الله ما صرف أحدا عن الآيات إلا و قد صرفه عن العلم بالأمر على ما هو عليه الأمر و الشأن و الآيات التي صرف هذا العبد عنها هي عين الآيات

التي أراها لمن أراها في الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ الذي يتكبر به من تكبر فمن تكبر في الأرض دون السماء بغير الحق فهو أجهل الجاهلين لأنه وضع الكبرياء في غير موضعه إذ من شرطه أمران الواحد الحق الذي يقبله المخلوق و الثاني العلو فمن تكبر في الأرض بالحق فالحق له العلو بالذات و السمو لم يصرف الله عنه الآيات فيريه إياها تشريفا لهذا المحل فإذا رآها تبين له عين الحق فإنه ما رآها إلا بالحق وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ و ما خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ و أمرنا أن نعطي كل ذي حق حقه و ما ثم إلا ذو حق و حقه إنما هو الحافظ له و هنا نكتة خفية فإن الله له على عباده حق يطلبه منهم و قد ورد في الصحيح أن حق الله أحق بالقضاء من حق المخلوقلأن نسبة الحق إلى الله أتم و أصح من نسبة الحق إلى المخلوق لأن نسبة الحق بالحق ذاتية ما هي بالجعل و نسبة الحق إلى المخلوق بالجعل و لكنه جعل لا يصح انفكاكه عنه فالسعيد من عرف الحقوق و أهلها فأداها و الشقي من لم يعرف الحقوق و لا عرف أهلها و الذي بين السعيد و الشقي من عرف الحقوق و أهلها و ظلمهم و ظلمها فهذه الطائفة هم في ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ و الطرف الآخر هم الصم البكم العمي الذين لا يَرْجِعُونَ عند ما يبصرون و لا يَعْقِلُونَ عند ما يسمعون و لا يصيبون عند ما يتكلمون فأولئك الذين ما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ فإنهم ظلموا الحقوق و أهلها فإن لهم قلوبا يعقلون و يفقهون بها و إن لهم أعينا يبصرون بها و إن لهم آذانا يسمعون بها فأنزلوا نفوسهم منزلة الأنعام بل أضل سبيلا لأن الأنعام ما جعل الله لهم هذه القوي التي توجب لصاحب البصر أن يعتبر و لصاحب الأذن أن يعي ما يسمع و لصاحب القلب أن يعقل فهم الذين يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فيعطيهم التفكر مما سمعوا و أبصروا و تقليب الأحوال عليهم أن يقولوا رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فسبحوه إن جعلوه منزها عن إيجاب العلة عليه في خلقه لأنه إذن خلقها لحكمة فكان تلك الحكمة أوجبت الخلق عليه و ما ثم موجب عليه إلا ما يوجبهبنفسه على نفسه لخلقه امتنانا منه لصدق وعده لا غير و تم التعريف بقوله فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ و ليست إلا الطبيعة في هذه الدار فإنها محل الانفعال فيها لأنها للحق بمنزلة الأنثى للذكر ففيها يظهر التكوين أعني تكوين كل ما سوى الله و هي أمر معقول فلما رأى من رأى قوة سلطانها و ما علم إن قوة سلطانها إنما هو في قبولها لما يكونه الحق فيها فنسبوا التكوين لها و أضافوه إليها و نسوا الحق بها فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ إذ صرفهم عن آيات نفوسهم و هو قوله سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ و وصفهم الحقفانقسم الخلق إلى قسمين قسم إلى الحق الصرف و قسم إلى الطبيعة الصرف و ظهر بينهما برزخ ظهر فيه عالم ما هو و لا واحد من هذين القسمين فرأى ما يستحقه الحق فأعطاه حقه و لو لم يعطه فهو له و رأى ما تستحقه الطبيعة فأعطاها حقها و لو لم يعطها فهو لها فإن الطبيعة ليست بمجعولة بل هي لذاتها في العقل لا في العين كما هو الحق لذاته في العقل و العين فإن اجتمع الحق و الطبيعة في العقل فقد افترق الحق من العقل و تميز في العين فإن الحق له الوجود العيني و العقلي و الطبيعة لها الوجود العقلي ما لها وجود عيني و ذلك ليكون الحكم في الخلق بين الوجود و العدم فيقبل العدم من حيث الطبيعة و يقبل الوجود من جانب الحق فلهذا يتصف كل ما سوى الله بقبول العدم و الوجود فكان الحكم فيه للعدم كما كان فيه الحكم للوجود و لو لم يكن الأمر على ما ذكرناه لاستحال على المخلوق قبول العدم في وجوده أو قبول الوجود في عدمه فهكذا ينبغي أن تعرف الحقائق و لا سبيل إليها إلا بعدم الصرف عن

الآيات و النظر إلى ما حرم الله من تكبر في الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ و هذا من العلم الذي انتجه هذا الذكر لصاحبه و أمثاله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فللطبيعة القبول و للحق الوهب و التأثير فهي الأم العالية الكبرى للعالم الذي لا يرى العالم إلا آثارها لا عينها كما أنه لا يرى أيضا من الحق إلا آثاره لا عينه فإن الأبصار لا تدركه و الرؤية ليست إلا بها فهو المجهول الذي لا يعلم سواه و هو المعلوم للذي لا يمكن لأحد الجهل به و إن لم يعلم ما هو

لاح لنا في الوجود خلق فبين حق و بين طبع
و الطبع طبع و الحق حق ليس بحق و لا بطبع
فكل خلق تراه وفق و الخلق كالوفق إن نظرنا

(الباب الأحد عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً و اتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ)

كما قال من أمره فارقا و من يتق الله يجعل له
و نور الهدى هاديا سائقا فيعلم منه ضلال الهدى
و يطلع في غربه شارقا و يظهر في شرقه غاربا
على كل شخص به فائقا و يصبح في كل علم له
و كان لرتق الهدى فاتقا فكان لفتق الهدى راتقا
فيرقوا به جبلا حالقا لنقسمه بين أبنائه
إذا قام فيها به ناطقا و تبصره في مناجاته
يكون بها في الورى خالقا فينشئها مثله نشأة
فيعلمه خالقا رازقا و يخزن أ أرضها قوتها

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن المتقي بمجرد تقواه قد حصل في الفرقان إذ لو لم يفرق ما اتقى

فالأمر ما بين محبوب و مكروه فالأمر ما بين محمود و مذموم
يكن وقايتكم في كل مألوه فكن وقايته في كل مكروه
و كن به بين تنزيه و تشبيه واجعله في كل محبوب وقايتكم
مشبه الحق لا يدري و أدريه منزه الحق لا يدري بذاك و لا
به فهذا الذي قد قلته فيه فمن ينزهه عنه يشبهه

و ذلك أن الإنسان لا يخلو أن يجعل معبوده مثلا أو ضدا أو خلافا و على كل وجه فقد فرق بين الله و بين العالم فهذا الفرقان الذي تعطيه التقوى لا بد أن يكون فرقانا خاصا و ليس سوى الفرقان الذي يكون في عين القرآن فإن القرآن يتضمن الفرقان بذاته و إنما نسب الجعل إلى هذا الفرقان لأن التقوى أنتجه فأما أن يكون جعله ظهوره لمن اتقاه مع كونه لم يزل موجود العين قبل ظهوره أو يكون جعله خلقه فيه بعد أن لم يكن و ما هو إلا الظهور دون الخلق فإنه أعقبه بقوله وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ أي يستروا لستر ضد الظهور فلا يخلو العبد في تقواه ربه أن يجعل نفسه وقاية له عن كل مذموم ينسب إليه أو يجعل ربه وقاية له عن كل شدة لا يطيق حملها إلا به و هو لا حول و لا قوة إلا بالله و هو قوله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فيلتقي به شدائد الأمور التي هي محبوبة لله مكروهة طبعا كما تجعل نفسك وقاية له تنفي بها عنه كل مذموم شرعا محمود محبوب طبعا فينتج لك كونه وقاية لك علم كل شدة فتتجلى لك أسماؤها الإلهية كلها بتفاصيلها و أنواعها و هذا من الفرقان و ينتج لك كونك وقاية له كل مذموم و مكروه فتتجلى لك أسماؤه الإلهية كلها بتفاصيلها و أنواعها و هذا من الفرقان فيحمدك الله في الحالتينفإن الله لا يعطي العلم إلا من يحب و قد يعطي الحال من يحب و من لا يحب فإن العلم ثابت و الحال زائلة و لولا الفرقان الذي في عين التقوى ما أنتج التقوى فرقانا فإن الشيء لا ينتج إلا مثله و لا يكون إلا ذلك و لهذا كان العالم على صورة الحق فمن غلب عليه طبعه كان شبهه بأمه أقوى من شبهه بأبيه و من غلب عليه عقله كان شبهه بأبيه أقوى من شبهه بأمه لأن العالم بين الطبيعة و الحق و بين الوجود و العدم فما هو وجود خالص و لا عدم خالص فالعالم كله سحر يخيل إليك أنه حق و ليس بحق و يخيل إليك أنه خلق و ليس بخلق إذ ليس بخلق من كل وجه و ليس بحق من كل وجه فإنا لا نشك في المسحور فيما يراه أن ثم مرئيا و لا بد كما قال يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىفالسعي مرئي بلا شك و بقي الشأن فيمن هو الساعي فإن الحبال على بابها ملقاة في الأرض و العصي فيعلم قطعا إن الخلق لو تجرد عن الحق ما كان و لو كان عين الحق ما خلق و لهذا يقبل الخلق الحكمين و يقبل الحق أيضا الحكمين فقبل صفات الحدوث شرعا و قبل صفات القدم شرعا و عقلا فهو المنزه المشبه و قبل الخلق الحكمين و هما أنه جمع بين نسبة الأثر له في الحق بما أعطاه من العلم به كما ذكرناه في غير موضع و بين نسبة الأثر فيه من الحق و هو أنه أوجده و لم يكن شيئا أي لم يكن موجودا فالفرقان لم يزل في نفس الأمر و لكن ما ظهر لكل أحد في كل حال من الأحوال

في كل حال من الأحوال فرقان أتى بذلك تشريع و برهان

و هذا الفرقان الذي أنتجه التقوى لا يكون إلا بتعليم الله ليس للنظر الفكري فيه طريق غيره فإن أعطاه الله الإصابة في النظر الفكري فما هو هذا العلم الخاص فإن الطريق تميز العلوم المشتبهة بالصورة المختلفة بالذوق وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثاني عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا)

بدل الله للعذاب جلودا كلما أنضج اللهيب جلودا

أورث القوم في الجحيم خلودا أبدا ينتهي القضاء إليه

عند ما ينقضي السؤال شهودا جعل الله منهم و عليهم

فإذا أدت الشهادة فيهم ملكوا الفوز و النعيم الجديدا

يقول الله تعالى إخبارا عنهم وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ أي بالشهادة عليكم لأنهم شهداء عدول مقبولون القول عند الله و كانوا في الدنيا غير راضين بما كانت النفس الناطقة الحيوانية تصرفهم فيه زمان حكمها و إمارتها عليهم و على جميع جوارحهم من سمع و بصر و لسان و يد و بطن و فرج و رجل و قلب و إنما سميت الجلود بهذا الاسم لما هي عليه من الجلادة لأنها تلتقي بذاتها جميع المكاره من جراحة و ضرب و حرق و حر و برد و فيها الإحساس و هي مجن النفس الحيوانية لتلقى هذه المشاق فما في الإنسان أشد جلادة من جلده و لهذا غشاه الله به فنضجه سبب في عذاب النفس المكلفة و الجلد متنعم في ذلك العذاب المحسوس قال بعض المحبين

فهل سمعتم بصب سليم طرف سقيم

معذب بنعيم منعم بعذاب

هذا الهجير هو هجير الخائفين من مكر الله يزجرون به نفوسهم الأمارة بالسوء عسى تنزجر و يأبى الخرق إلا اتساعا و سبب ذلك ما ذكر الله عن نفسه من اختيار مشيئته بين المغفرة و العذاب فهو غير قاطع بأحد الأمرين ثم إنه يرى الأسماء الإلهية تتقابل في حقه ثم يرى أسماء الفضل تترجح عددا و قوة على أسماء العدل و الانتقام و يرى أن التقابل بين هذه الأسماء إنما يقع بميدان الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فجرأهم ذلك على ما ارتكبوه من المخالفات و تعدوه من الحدود و انتهكوه من المحارم فلو قطعوا بالمؤاخذة على ما صدر منهم إن ماتوا عن غير توبة كما ذهبت إليه طائفة ما فعلوا ما لا يرضى سيدهم ثم رأوا أنهم في عذاب الحياة الدنيا لا يصبرون تحت حكمه و ينفرون منه طبعا و لا يقبلونه إلا جبرا فيجعله الخائف لنفسه موعظة و ذكرى فإن كان قوي الايمان غير متبحر في التأويل خائضا في بحر الظاهر لا يصرفه للمعاني الباطنة صارف انتفع بالذكرى و إن لم تقم به هذه النعوت و أمثالها و تأول تردى و أردى من اتبعه و كان من الذين اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ و كان أمر من هذه صفته فرطا فينتج له هذا الذكر من الأحوال العصمة و من الأسماء الإلهية الاسم الظاهر و الأول و من المعارف معرفة الشهود و قبول الحق صور التجلي الظاهرة و يتحقق بالتقوى كل التحقق فيعلم العلم المجهول الذي لا يصل إليه كل أحد و هو العلم بسرائر المحسوسات و الحواس و الإحساس و المحس و إنما جهله الأكثرون لما نقوله و ذلك أن النفوس مجبولة على حب إدراك المغيبات و استخراج الكنوز و حل الرموز و فتح المغاليق و البحث عن خفيات الأمور و دقائق الحكم و لا ترفع بالظاهر رأسا فإن ذلك عندها في زعمها أبين من فلق الصبح فالنهار عندها لا يخفى على أحد فصاحب هذا الهجير يبدو له من العلم في هذه الظواهر ما لا يخطر بخاطر أحد أن ذلك الذي أدركه صاحب الكشف لهذا العلم يحمله ظاهر ذلك الأمر و لا صورته فإذا نبه عليه صاحب هذا العلم و الكشف عند ذلك يعظم قدره و تظهر حكمته و كثرة خيره و يعلم عند ذلك أنه ما كان يحسبه هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ و هذا كله من الاسم الإلهي الظاهر الذي له التقدم في الأمور و الخير كله إنما هو

في الأوائل إلا ترى أن الخاطر الأول هو الإلهي الصادق الذي لا يخطئ أبدا فله العصمة و المضاء و فيه يظهر القدر و القضاء و كذلك النظرة الأولى و المسموع الأول و الحركة الأولى و هو الذي يعطي علوم الزجر للزاجر و هي لا تخطي أبدا بل الصحة تصحبها فالأوائل هي الظواهر السوابق و كل ما جاء بعد الخاطر الأول فهو حديث نفس يجيء على أثره فللخاطر الأول التمهيد و التوطئة و هي الظواهر تعطي العقول التشوق إلى ما وراءها فالفطن المصيب النحرير لا يزول عن الأمر الظاهر الأول الذي ورد عليه حتى يستوفي جميع حقائقه و ما تعطيه صورته و يقف على خفيات غيوبه فإذا حصله و قبله علما حينئذ ينتقل إلى ما يرد عليه في أثره الذي هو باطن فإن جهل الظاهر كان بالباطن أجهل فإنه الدليل عليه و إن فرط في تحصيل الأول كان في تحصيل الآخر أشد تفريطا لأن من الحرص على تحصيل العلم بالخاطر الآخر تحصيل الأول فأول الأمر خوف و الرجاء يتلوه فإن تقدمه الرجاء فقد فاته الخوف فإن الماضي لا يسترجع فالتقدم للخوف و قد فاته و ذهب عنه و من له برده و الرجاء في المحل قد منعه سلطانه فالمؤمن من تساوى خوفه و رجاؤه بحيث إنه لا يفضل واحد صاحبه عنده لأنه استعمل كل شيء في محله و أول نشء الإنسان ضعف و لضعفه يتقدمه الخوف على نفسه ثم تكون له القوة بعد هذا الضعف فيأتيه الرجاء بقوته فإنه يتقوى نظره في العلوم و التأويلات فيعظم رجاؤه في جناب الحق و لكن العاقل لا يتعدى به موطنه فإذا خطر له من قوة الرجاء ما يوجب استعمال الخوف عند العاقل العارف عزل الرجاء عن الانفراد بالحكم و أشرك معه الخوف فذلك المؤمن فلا يزال كذلك إلى أن تكمل ذاته الكمال الذي ينتهي إليه أولياء الله في الورث النبوي في هذا الزمان المحمدي الذي أغلق فيه باب نبوة التشريع و رسالته و بقي باب حكم الاختصاص بالعلوم الإلهية و الأسرار مفتوحا يدخل عليه أهل الله و أول داخل عليه أهل هذا الذكر جعلنا الله ممن استوى خوفه و رجاؤه في الحياة الدنيا إلى حين موته عند الاحتضار فيغلب رجاؤه على خوفه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الثالث عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله كهيعص ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا)

أقول له يا رب رب محمد ⁂ إذا ذكرتني رحمة الرب لم أزل

فاعلو بهذا الذكر في كل مشهد ⁂ لأن لها التأكيد أن كان ربه

على كل حال بين هاد و مهتدي ⁂ فأرسله الرحمن للخلق رحمة

قال الله تعالى وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و أوحى إليه تعالى أن الله لم يبعثك سبابا و لا لعانا و إنما بعثك رحمة و قال تعالى في عبده خضر آتَيْناهُ رَحْمَةً من عِنْدِنا فقدم الرحمة على العلم و هي الرحمة التي في الجبلة ثم قال وَعَلَّمْناهُ من لَدُنَّا عِلْماً فأعطاه هذا العلم من أجل قوله لَدُنَّا الرحمة المبطونة في المكروه و بهذه الرحمة قتل الغلام و خرق السفينة و بالرحمة الأولى أقام الجدار فلا يفرق بين هاتين الرحمتين إلا صاحب هذا الذكر فإن الرحمة هي التي تذكره ما هو يذكرها فتعطيه بذكره حقيقة ما فيها لأنها تطلب منه التعشق بها فإنه لا ظهور لها إلا به فهي حريصة على مثل هذا و اعلم أن هذا الذكر تعريف إلهي بوجوب حكم الرحمة فيمن تذكره من عباده سبحانه و تعالى و جاء زكريا لا لخصوص الذكر

و إنما ساقته عناية العبد فإنها ما ذكرته إلا لكونه عبدا له تعالى في جميع أحواله فأي شخص أقامه الله في هذا المقام فبرحمته به أقامه لتذكره رحمة ربه عنده تعالى فحال عبوديته هو عين رحمته الربانية التي ذكرته فأعلمت ربها أنها عند هذا العبد فأي شيء صدر من هذا الشخص فهو مقبول عند الله تعالى و من هذا المقام يحصل له من الله ما يختص به مما لا يكون لغيره و هو الأمر الذي يمتاز به و يخصه فإنه لا بد لكل مقرب عند الله من أمر يختص به و قد أشار الشرع في التعريف بهذا فقال إنه ما من أحد من المؤمنين إلا و لا بد أن يناجي ربه وحده ليس بينه و بينه ترجمان فيضع كنفه عليه و هو عموم رحمته به فذلك محل تحصيل ما يختص به كانت القيامة لهذا العبد حيث كانت لأنه من عباد الله من تعجل له قيامته فيرى ما يؤول إليه أمره في الدار الآخرة و هي البشرى التي للمؤمن في الحياة الدنيا و قد رأيناها ذوقا و كان لنا فيها مواقف منها في ليلة واحدة مائة موقف بأخذ و رجوع لو قسمت تلك الليلة على قدر الوقوف ما وسعته و ذلك بمدينة فاس سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة أشاهد في كل موقف من اتساع الرحمة ما لا يمكنني النطق به و كان ذلك لاتساع ذكر الرحمة فكيف بذكر الرحمن إذا حصل للعبد و لا يحصل إلا للعبد الجاني و أما غير الجاني فهو عين رحمة الله في خلقه به يرحم الله الخلق كافرهم و مؤمنهم و مشركهم و موحدهم و به يرزق عباده في الدنيا و به يقع النصر و ينزل المطر و تخصب الأرض و تكثر الرسل و يعظم الخير و هو المعصوم بالشهود في عين الجنايات فيظهر عليها بحكم القضاء و القدر الحاكم في الطرفين خلق و حق إن فهمت فلا يظهر فيك و لا منك إلا عينك و لا يحكم بعلمه فيك إلا ما أعطيته من العلم بك و هنا زلت الاقدام و نكصت على أعقابها الأفهام و تحكم على الأحلام سلطان الأوهام و للأوهام الحكم الغالب التام و الدوام و الله ما يوجد إلا عند ظن للعبد به فليظن به خيرا و الظن من بعض وزعة الوهم و هو الذي يعطي العذاب المعجل و النعيم المعجل فظن خيرا تلقه و بعض الظن إثم فو الله لو لا الظن ما عصى الله مخلوق أبدا و لا بد من العصيان و هو حكم الله في الفعل أو الترك فلا بد من الظن فمن رحمة الله بخلقه أن خلق الظن فيهم و جعله من بعض وزعة الوهم و لا يتمكن تحصيل العلم لأحد في أمر أصلا من حيث ما يحكم به على المشهود لا من حيث الشهود فإنك لا تقدر على زوال ما شهدت و هكذا جميع تعلق باقي القوي و لكن بقي الحكم على ما تعطيه هل يحصل به العلم أو الظن فعند صاحب هذا المقام لا يحصل إلا بالظن خاصة و أما غيره فيجعل ذلك علما لعدم ذوقه لهذه الحال ففرق بين ما تعطيه القوة و بين ما يحكم به على ذلك المعطى بها هل يحكم بالظن أو بالعلم فالأمر في نفسه شبهة في عين الدليل و إن لم يكن الأمر هكذا لم يتميز رب من عبد و لا حق من خلق إن فهمت فهذا بعض ما ينتجه لك هذا الذكر وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

و من يتوكل على ربه … فإن إله الورى حسبه
و إن كان في كل أحواله … يراه به دائما ربه
فذاك الولي الذي لم يزل … على ما يراد به قلبه

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن هذا الذكر يعطي صاحبه أنه هو إذ لا يكتفي إلا بهلأن النبي ص يقول ليس وراء الله مرمىفما كان من حجاب فما هو إلا بينك و بينه ما هو وراءه فإنه الأول و أنت الآخر و هو قبلتك فلا يكون له منك إلا المواجهة ثم أرسل بينك و بينه حجب الأسباب و النسب و العادات و جعلها صورا له من حيث لا تشعر فمن قال هي هو صدق و من قال ما هي هو فللاختلاف الذي يراه فيها فيصدق فإنه يحجبه عن العلم به اختلاف الصور فكما يقطع أن هذه الصورة ليست هذه الصورة أي هذا السبب ما هو هذا السبب يقطع أنها ما هي هو و ذهل عن حقيقة الحجاب أو كونها و إن اختلفت فهي واحدة في السببية أو الحجابية كذلك هي عينه و إن اختلفت و إن لم يكن الأمر هكذا و إلا فلا تصح المواجهة أ لا ترى الأعمى إذا واجهته و كافحته لا يقدح عماه و كونه لا يراك و أنت تراه عن حكم المواجهة بينكما مع كون الأعمى يرى الظلمة بلا شك و أنت عنده في عين تلك الظلمة التي يراها فيدركك ظلمة لأنه يواجهك فيقول رأيت فلانا اليوم مواجهة و يصدق مع كونه أعمى فما وراء الله مرمى و ما وراءك له مرمى لأن الصورة الإلهية بك كملت و فيك شهدت فهو حسبك كما أنت حسبه و لهذا كنت آخر موجود و أول مقصود و لو لا ما كنت معدوما ما كنت مقصودا فصح حدوثك و لو لا ما كان علمك به معدوما ما صح أن تريد العلم به فهذا من أعجب ما في الوجود أن يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه إلا بك لأن الممكنات أعطت العلم بأنفسها الحق و لا يعلم شيء منها نفسه إلا بالحق فلهذا كان حسبك لأنه الغاية التي إليها تنتهي و أنت حسبه لأنه ما ثم بعده إلا أنت و منك علمك و ما هي إلا المحال و هو عين العدم المحض الذي التبست بظله كما التبست بضوء الوجود النور فقابلت الطرفين بذاتك فإن نسب إليك العدم لم تستحل عليك هذه النسبة لظلمته عليك و إن نسب إليك الوجود لم يستحل لضوئه فيك الذي به ظهرت لك فلا يقال فيك موجود فإن ظل العدم الذي فيك يمنع من هذا الإطلاق إن تستحقه استحقاق من لا يقبل العدم و لا يقال فيك معدوم لأن ضوء الوجود الذي فيك يمنع من هذا الإطلاق إن تستحقه استحقاق من لا يقبل الوجود فأعطيت اسم الممكن و الجائز لحقيقة معقولة تسمى الإمكان و الجواز و حصل اسم الموجود للواجب بالذات لحقيقة تسمى الوجود و هي عين الموجود كما إن الإمكان عين الممكن من حيث ما هو ممكن لا من حيث هو ممكن ما و حصل اسم المعدوم للمحال و هو الذي لا يقبل الوجود لذاته لحقيقة تسمى العدم المطلق و هو الإحالة فأنت جامع الطرفين و مظهر الصورتين و حامل الحكمين لولاك لأثر المحال في الواجب و أثر الواجب في المحال فأنت السد الذي لا ينخرم و لا ينفصم فلو كان للعدم لسان لقال إنك على صورته فإنه لا يرى منك إلا ظله كما كان للوجود كلام فقال إنك على صورته فإنه رأى فيك صورته فعلمك بك لنوره و جهلك العدم المطلق لظله فأنت المعلوم المجهول و صورة الحق سواء فتعلم من حيث رتبتك لا من حيث صورتك إذ لو علمت من حيث صورتك لعلم الحق و الحق لا يعلم فأنت من حيث صورتك لا تعلم فالعلم بك إجمال لا تفصيل فقد عرفتك ما يعطيك هذا الذكر من العلم بالله إن عقلت وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و الهادي من يَشاءُ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

«الباب الخامس عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ ظَنَّ دٰاوُدُ أَنَّمٰا فَتَنّٰاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رٰاكِعاً وَ أَنٰابَ»

فاسكن إذا ما يبتليك بحكمه ⸺ الافتتان هو البلاء بعينه

منه فأنت معين في علمه ⸺ و استغفر الرب الكريم بسجدة

يؤتى الذي فهم الذي من فهمه ⸺ و احذر من الفكر الدقيق فإنما

فاحذر من العقل الذي في زعمه ⸺ الشأن فوق عقولنا و عيوننا

عبد الدليل بكيفه و بكمه ⸺ إن العلوم لديه و هو مقيد

فلذاك قلت بكيفه و بكمه ⸺ إن الشريعة قسمته بكيلها

لما كان داود ع في دلالة اسمه عليه أشبه بنى آدم بآدم في دلالة اسمه عليه صرح الله بخلافته في القرآن في الأرض كما صرح بخلافة آدم في الأرض فإن حروف آدم غير متصلة بعضها ببعض و حروف داود كذلك إلا أن آدم فرق بينه و بين داود بحرف الميم الذي يقبل الاتصال القبلي و البعدي فأتى الله به آخرا حتى لا يتصل به حرف سواه و جعل قلبه واحدا من الحروف الستة التي لا تقبل الاتصال البعدي فأخذ داود من آدم ثلثي مرتبته في الأسماء و أخذ محمد ص ثلثيه أيضا و هو الميم و الدال غير إن محمدا متصل كله و الحرف الذي لا يقبل الاتصال البعدي جعل آخرا حتى يتصل به و لا يتصل هو بشيء بعده و هو قوله ص لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا و لكن صاحبكم خليل اللهفيتصل به و لا يتصل هو بأحد فناسب محمد آدم عليهما الصلاة و السلام من وجهين الأول مناسبة النقيض بالاتصال بآدم و آدم له الانفصال كداود و الميم من آدم كالدال من محمد فجاءنا آخرا لذلك أعني في آخر الاسم منهما و الثاني مناسبة النظير التي بين آدم و محمد في كون الحق عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمٰاءَ كُلَّهٰا و أعطى محمدا ص جوامع الكلم و عمت رسالته كما عم التناسل من آدم في ذريته فالناس بنو آدم و الناس أمة محمد ص من تقدم منهم و من تأخر لأنهقال ص آدم فمن دونه تحت لوائيفنظر آدم إلى داود دون ولده لما ذكره فاستقل عمره فأعطاه من عمره ستين سنة و هو عمر محمد ص فلما وصل من عمره إلى الميم من اسمه رأى صورة محمد ص في الميم فرجع عن داود لأنه قد فارق رؤية الألف و الدال فرجع في عطيته التي أعطاها داود من عمره فدخل تحت لواء محمد ص فأما تصريح الحق بالخلافتين على التعيين في حقهما فقوله تعالى في خلافة آدم ع إِنِّي جٰاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً يريد آدم و بنيه و أمر الملائكة بالسجود له و قال تعالى في داود ع يا دٰاوُدُ إِنّٰا جَعَلْنٰاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ثم قال فيه ما لم يقل في آدم وَ لاٰ تَتَّبِعِ الْهَوىٰ و سبب ذلك لما لم يجعل في حروف اسمه حرفا من حروف الاتصال جملة واحدة فما في اسمه حرف يتصل بحرف آخر من حروف اسمه فعلم إن أمره فيه تشتيت لما كان لكل إنسان من اسمه نصيب فكان نصيبه من اسمه ما فيه من التشتيت فأوصاه تعالى أن لا يتبع الهوى لانفراد كل حرف من اسمه بنفسه ثم إن له إلى الفردية وجوها في حركاته فهي ثلاثة و حروفه خمسة فهو فرد من جميع الوجوه فلو لا أنه قابل لما وقعت فيه الوصية من الله ما وصاه و لما علم ذلك داود بما أعلمه الله بطريق التنبيه في نهيه إياه أن لا يتبع الهوى و لم يقل هواك أي لا تتبع هوى أحد يشير عليك و احكم بما أوحيت به إليك من الحق فإن الهوى ما له حكم إلا بالاتصال و حروف اسم داود لا تقتضي

الاتصال فعصمه الله من وجه خاص فلما وصاه الحق تعالى استغفر ربه أي طلب الستر من الله الحائل بينه و بين الهوى المضل ليتصل به فيتصف به فيؤثر في الحكم الذي أرسل به رجع إلى الله في ذلك و سقط إلى الأرض اختيارا قبل أن تسقطه الأهواء و تؤثر فيه تأثيرها في الجدار إن القائمة فكان ركوعه رجوعا إلى أصله من نفسه فهو عين الستر الذي طلبه في استغفاره فلما جاء الهوى لم يجد شيئا منتصبا قائما يرده عن مجراه فيؤثر فيه فراح عنه و لم يصبه و عصمه الله و ستره و ليس الابتلاء مما يحط درجة العبد عند الله بل ما يبتلي الله إلا الأمثل فالأمثل من عباده فَيُضِلُّ بالتأويل في ذلك من يَشاءُ وَيَهْدِي من يَشاءُ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بها من تَشاءُ وَتَهْدِي من تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ فنفس الأنبياء نفس واحد فمن عباد الله من سترهم الله عن الذنوب فلم تدركهم و لم ترهم و من عباد الله من يسترهم الله عن المؤاخذة عن الذنب و كل له مقام معلوم

بحكم الهوى ضل عن نفسه   فلو إن داود في حكمه
قد اختاره الله من قدسه   و لكنه سيد منجب
تبرز فيه على جنسه   له الضوء من ذاته ظاهر
بها بل رجوعا إلى أسه   فما خر عن زلة قد أتى
و في وده الداء من شمسه   فداود في ذاته وده
و أشبه يوسف في حبسه   فأشبه يعقوب في حزنه

و اعلم أنه لو لا الابتلاء لقال من شاء ما شاء فأصل الابتلاء و سببه الدعوى و من الابتلاء ما يكون في غاية الخفاء مثل قوله تعالى فَما أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ و منه ما يكون في غاية الجلاء مثل قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ و لا يعرف مثل هذا إلا من يعرف الجلي و الخفي و لما ذا يرجع و هل ثم خفي لنفسه أو هو خفي بالنسبة فإنا نعلم إِنَّ اللهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ و هو المعلوم و كل ما في الطبيعة من الأسرار فإن صورها أرض الأرواح وَلا فِي السَّماءِ و هو المعلوم و كل ما في الأرواح التي بين الطبيعة و العماء و هي التي تشرق هذه الأرض بأنوارها فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ من اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ففِرُّوا إِلى اللهِ»

هو الإله الذي بالفكر تدريه   ليس الإله الذي بالكشف تدركه
و قد يكون و لكن فيه ما فيه   لكون فكرك لا تعدوه رتبته

و الحكم بالكشف لا تدري مبانيه | الحكم بالفكر في الأشياء مختلف
و ليس ينكر معنى من معانيه | يراه في كشفه في كل معتقد
و ليس يدري سواه فانظروا فيه | جل الإله فلا عقل يحيط به
و ليس شيء من الأكوان يحويه | جل الإله فلا كشف يحيط به
و ليس يدرك إلا من تجليه | و هو الذي في جميع الكون تدركه
أعطاه ما ليس يدري في تدليله | إذا تدلى لعبد جاء يقصده
فمن يعادله أو من يدانيه | من كل خير و من علم و معرفة

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الخير في هذا المنظوم يريد به الحكمة و هو الخير الكثير و العلم ما يدركه من التركيب و المعرفة ما يدركه في المفردات هذه آية جاءت إلينا يوم جمعة بعد الصلاة في المقابر بإشبيلية سنة ست و ثمانين و خمسمائة فبقيت فيها سكران مالي تلاوة في صلاة و لا يقظة و لا نوم إلا بها ثلاث سنين متوالية أجد لها حلاوة و لذة لا يقدر قدرها و هي من الأذكار المفرقة بين الله و بين الخلق تفريق تمييز فهو تفريق في جمع و فرقان في قرآن فيجمع بهذا الذكر بين القرآن و الفرقان فكل من له عليك ولادة من أي نوع و في أي صورة كان من ظاهر و باطن و اسم إلهي و كياني فهو أبوك و كل من لك عليه ولادة من أي نوع كان و في أي صورة كان من ظاهر و باطن و اسم إلهي و كياني فهو ابنك فقد يكون ابنك في هذا الذكر عين أبيك فيكون له عليك ولادة و لك عليه ولادة و هو المقام الذي أشار إليه الحلاج بقوله

ولدت أمي أباها | إن ذا من عجباتي

و كل ما قابلك من الأمثال و داخلك من الأشباه و ما زجك أو قارب من الأنداد و كان عديلا لك في الوراثة بحيث لو وزنتما في العلم الموروث من الكتاب ما رجح عليك وزنا و لا رجحت عليه فهو أخوك و لكن من الاسم الظاهر فأبوكما واحد ظاهرا لا غير و ليس للاسم الباطن هنا حكم فإن الباطن يمنع أن تكونا أخوين لأب واحد و أم واحدة فإن المزاج الواحد لا يجمع اثنين في الكون و التجلي لا يكون عنه اثنان فإن الأمر أوسع من ذلك فكل واحد له واحد من أم و أب فالطبيعة لا تلد توأمين و الوالد لا يلقي في كل نكاح ماءين كما لا يكون في العالم لواحد في زمن واحد شأنان و كل من ثناك وجوده و انفعل لك فيما تريده و كنت فيه خلاقا و إليه إذا غاب عنك مشتاقا و جمعتكما الرحمة الواحدة و المودة الثابتة و سكنت إليك و سكن إليك و أعطاك من نفسه التحكم فيه و ظهر فيه اقتدارك فهو زوجك تحبه طبعا و تتحد به و يكون ملكا لك شرعا و كل ما تعتضد به في أمورك من الأسماء الإلهية و التجلي و الكون من أرواح قدسية و عقول ندسية تؤيدك في الشدائد و تأتيك بالتحف و الزوائد فهو عشيرتك و كل من تميل إليه فيميل إليك لميلك و يحضره ديوان نيلك و يقف عند فعلك فيه و قولك و يتحكم فيه سلطان طولك و تصل في اقتنائه نهارك بليلك فذلك هو مالك الذي اقترفته من الأموال الظاهرة و الباطنة و المعنوية و المحسوسة من ثابت كالعقار و من

غير ثابت كالعروض و الد رهم و الدينا ر و كل منقول لا يقربه قرا ر فالثابت كالمقام و غير الثابت كالحال و كله مال لأنه مال و إليه المال بعد الرحلة عنه و الانفصال و لكن إذا آل إليه أمرك رأيته في غير الصورة التي عليها فا رقته و كل أمر تطلب الخروج عنه ليكون ذلك الخروج سببا لتحصيل ما يكون عندك أنفس منه فتطلب به النفاق في الأسواق و يقوم لك فيه الجمع بين التلاق و الفراق و النكاح و الطلاق ظاهرا و باطنا فذلك التجارة التي تخشى كسادها و تخاف فسادها فاستبطنت مهادها و استوطأت قتادها و أعددت لها إعدادها و حصلت لها إن كنت تاجر سفر زادها لتنجيك من عذاب أليم و توفيك الربح و الحق الجسيم و كل من اتخذته محلا و كنت به محلي و جعلته حرما لك و حلا فذلك مسكنك الذي ترضاه و منزلك الذي تقصده و تتوخاه فقال لك الحق فيما أنزله إليك و وفد به رسوله الأمين عليك إذا لم تر وجه الحق في كل ما ذكرته و تعشقت به لعينه و تعرف أنه من عنده ما هو عينه و آثرته مع هذا الحجاب على ما دعاك الحق إليه من الزهد فيه إذا فقدت فيه وجه الحق فتعلم إن الله ما أراد منك إلا أن تعرفه فيما أمرك بالزهد فيه و الرغبة عنه و أحببته حب عين و صورة كون و كان أحب إليك من الله الجامع للرغبة فيه و الرغبة عنه فإنه المعطي المانع و الضار النافع و أحب إليك من رسوله الوافد عليك المعرف بما هو حجاب عن المقصود و ستر بين العابد و المعبود مع علمك بما أعلمك أنه ما خلقك إلا لتعبده و تؤثره على ما تراه فيه و تقصده و أحب إليك من جهادك في سبيل الله الذي يجمع لك بين الحياتين فلا تعرف للموت طعما و لا للحصر حكما ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ كلمة تهديد و وعيد ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ﴾ فتعرف عند ذلك خيره من شره و حلوه من مره و تذوق شهده من صبره ثم نصح في الإنزال على لسان الإرسال بالفرار إلى الله من هذه الحجب و التدبر لما جاءت به من عند الله الصحف و الكتب مع إرخاء الطنب لتخلو بالمقصورات في الخيام و تفتض أبكارا لم يطمثهن إنس قبلك و لا جان فتحصل من المعارف في تلك العوارف ما لا يصفه واصف و لا يتمكن أن يقف عنده واقف لورود ما هو أعلى و أنفس من كل محل أقدس و إن كان الفكر و التجلي في عدم الإحاطة بالمدرك بهما سيان و هما من هذا الوجه مثلان فبينهما فرقان بين لا خفاء به إن صاحب الفكر يحكم عليه في محصوله الدخل و تتمكن منه الشبه و تزلزله عما كان بالأمس يعتمد عليه و يركن إليه و التجلي للعارف ليس كذلك بل هو في نعيم متجدد و في شهود لخلق جديد ما هو منه في لبس و هو الجامع في الالتذاذ بين اليوم و الأمس فلا يزال في لذة موجودة لصورة إلهية مشهودة لا يعطيه الفناء عن جميع لذاته لأنها من لذاته وجدت لوجوده فاجتمعا في شهوده ﴿وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

«الباب السابع عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللّٰهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ و هذا ذكر الاضطرار و الفرج بعد الشدة»

فشقي من تضيق عليه ⁂ إن أرض الله واسعة

معه إن الرجوع إليه ⁂ سبب الضيق الخلاف فكن

يقف التحقيق بين يديه ⁂ من يقف و لا يخالفه

كل ما في علمه ولديه ثم يعطيه لتوبته
جاءه المطلوب في علميه فإذا أفنى حقيقته
ليكون الحكم من حكميه عند جمع حين جاء لها
ما لنا منهم سوى ولديه كل ما في الكون من ولد
لأخ بالكشف من أبويه فأخ بالشرع فثبته

قال الله تعالى وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا فلو كان واحد ما ضاقت عليه الأرض لأن الضيق إنما يقع بالشريك و لهذا لا يغفر الله أَنْ يُشْرَكَ به فإنه يخرج عنه ما هو له و لذلك أغضب المشرك الحق غضبا أورثه ذلك الغضب مكانا ضيقا لما في الغضب من الضيق فحصل له مع أمثاله من المشركين كونهم مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ فليس اتساع الأرض إلا لمن انفرد بها فلما انقسمت بين ثلاثة قسمة مشاعة ضاق الفضاء الرحب و لو لا وجود الفردية في الثلاثة لهلكوا فما نجاهم إلا ما في الثلاثة من الأحدية الواردة على الاثنين و أما لو كانوا أربعة أو اثنين ما نجوا و لا تاب الله عليهم فإن الله وتر يحب الوتر و الثلاثة وتر فأبقى عليهم من المحبة ما تاب بها عليهم و إذا رحم الله الشفع إنما يرحمه بآحاده فيخلو به واحدا واحدا على انفراده حتى لا ينال رحمته إلا الواحد فما يرحم الله عباده شفعا و إنما يرحمهم إما في الفردية أو في الأحدية غير ذلك لا يكون و بعد ذلك يفعل ما يريد و إنما وقع الكلام على الواقع فما تكثر الأعداد و لا تظهر إلا بآحادها فلو زالت الآحاد منها لما كان في العالم شفع و لا عدد و لهذا لم يتكرر تجل قط على شخص و لا في شخصين فلو لا ما قال ثلاثة ما صح لهم ذوق الضيق في الاتساع لما في الثلاثة من الشفعية و لما صح لهم ذوق الاتساع بالرحمة بالتوبة لما في الثلاثة من الأحدية التي بها كانت فردا و هي أول الأفراد فلها الأولية فهي أقرب إلى الأحدية فأسرعت الرحمة إليهم فلو كانوا خمسة لكانوا أبعد من الأحدية و أكثر ضيقا لتضاعف الشفعية و هكذا الأمر طلعت الأفراد ما طلعت و هو الذي ينفي كثرة المدة في النار في العذاب لأهلها حتى يقطعوا كل شفع يكون في فرديتهم انتهوا إلى ما انتهوا إليه فغاية إقامتهم في العذاب ثمانية و تسعون دهرا ثم يتولاهم الاسم الرحمن بعد ذلك و هم نازلون في الشقاء من ثمانية و تسعين إلى اثنين بعدد كل شفع بينهما و في كل فردية رحمة تكون لمن له حظ فيها في هذه الدار فيفتر عنه بقدر ذلك و أما أهل الشفع فلا يفتر عنهم العذاب و هم فيه مبلسون إلى الغاية التي ذكر الله من شفعية و هي الثمانية و التسعون فالوتر الذي يكون بعد الشفع هو الذي يأخذ بثار الوتر الذي قبله إذ شفعه من ظهر بين الوترين كالثالث بين الاثنين و الرابع فيأخذ بثار الواحد الذي شفعته الاثنان و كالخامس بين الأربعة و الستة يأخذ بثار الثالث الذي شفعته الأربعة لينتقم له فإن الوتر في اللسان الذي جاءت به هذه الشريعة المحمدية هو طلب الثأر و هكذا حكم كل فرد حتى تنتهي إلى تسعة و تسعين فإذا وقف الأمر هناك و انحصر في الاسم الرحمن تولاه الله بالاسم الأعظم لأن به تمام المائة فعم درجات الجنة و دركات النار و لم يتوله الاسم الأعظم المتمم إلا من الاسم الرحمن فهو حاجب الحجاب فليس له منازع بين يدي الاسم الأعظم فيئول الأمر إلى شمول الرحمة في الدارين لساكنيهما و ما قال من

المشركين ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى إلا من كان في مقام الفردية منهم فإذا قالها صاحب الشفعية فإنما ذلك لحصره بين الواحد الذي شفعه بوجود معبوده و الواحد الذي يفرد هذا الشفع في استقباله فمن أي وجهة رد إليها وجهه هذا الشفع لم ير إلا واحدا فنظر إلى نفسه فلم ير إلا أحديته فقال عند ذلك ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى فصدرت هذه الكلمة من كل مشرك شفعا كان أو وترا للشريك الذي نصبه و أما من قال إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ أو قال ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي فليس في الظاهر بمشرك و إنما دخل عليه الشرك بالاسم و لذلك قال الله لنبيه ع قُلْ سَمُّوهُمْ فإنهم إذا سموهم عرفوا بالاسم من هو المسمى فقال هؤلاء إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ و ليس المسيح من أسمائه إذ كان له هذا الاسم قبل أن يدعي فيه أنه الله فأشركوا من حيث الاسم و أشرك فرعون من حيث خالف عقده قوله فبهذا كانوا مشركين ثم ينتج له هذا الذكر أمرا عجيبا على الأوج مخبوءا في الدرج مرقوما في طي الدرج إذ سماهم الله مخلفين فإن كل مفارق أهله فالله خليفته في ذلك الأهل سواء استخلفه أم لم يستخلفه فكل من يقوم في أهله بعده فإنما ذلك نائب الله لا نائبه فهؤلاء الثلاثة الذين خلفوا ما خلفهم الاسم الظاهر فإن الشرع دعاهم إلى الخروج و لكن الله ثبطهم فمنهم من كَرِهَ اللهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ و منهم من ثبطه لا عن كره فقاموا في أهليهم مقام حق فجعلهم الله خلفا في أهليهم عنه من الاسم الباطن على كره منهم فكان من أمرهم ما كان ف تابَ اللهُ عَلَيْهِمْ فتفاضلت توبتهم فكان منهم الكاذب في عذره فقبله منهم الكرم الإلهي و كان منهم الصادق و هو فيالدار الدنيا فاذاقه الله مرارة الصدق هنا ليعلم من يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ فإن الدنيا دار بلاء و رحم الله الجميع و رجع عليهم بالرحمة و لكن على التفاضل فيها و ما فعل ذلك و أخبرنا به إلا لنكون بتلك الصفة الإلهية مع عباده في معاملتهم إيانا فمن صدقنا رأينا له منزلة صدقه و من كذب لنا لم نفضحه و تغاضينا عن كذبه و أظهرنا له قبول قوله لأن قوله وجود فقبلناه و مدلوله عدم فلم نجد من يقبل فبقينا على البراءة الأصلية فإن المعدوم ليس بمنازع فمن كان هذا ذكره و لم يكن له هذا الخلق فما ذكره هذا الذكر قط وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ما ذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»

جزاء من أصعق في حاله جزاؤه الجهل بمن أصعقه
لو أنه يثبت في حاله ما استفهم الكون الذي حققه
و هو الذي قيده وحيه و هو الذي من قيده أطلقه
ما أنور السر الذي قد أتى منه إلى القلب و ما أشرقه
و هو على مقداره محكم لا زائد يدريه من طبقه

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الملائكة أرواح في أنوار و أنها أولو أجنحة فإذا تكلم الله بالوحي على صورة خاصة و تعلقت به أسماعهم كأنه سلسلة على صفوان ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لهذا التشبيه فتصعق حتى إذا فزع الله عن قلوبهم و هو إفاقتهم من صعقهم

قالوا ما ذا يقول بعضهم لبعض فيقول بعضهم ربكم أعلاما بأن كلامه عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أي الحق بقول وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ عن هذا التشبيه ولكن هكذا نسمع

فهو منا و هو فينا فمن السمع أتينا
أوحى به داء دفينا أورث القلب بما
بل من الفهم دهينا لم يكن ذلك منه
من جميع المؤمنينا و كذا كل سميع
نفسه كنت عرينا فإذا صير ليثا
هكذا جاء يقينا لم يسعه غير قلبي
لي بها حينا فحينا كل صورة تجلى
عندكم صبحا مبينا فأنا أظهر فيها
عن جميع العالمينا و هو الغني حقا
لم أرى إلا المتينا فإذا رأيت نفسي
في عيون الناظرينا لا يرى باسم سواه

و من علم أن للملائكة قلوبا أو علم القلوب ما هي علم إن الله تعالى ما أسمعهم في الوحي الذي أصعقهم إلا ما يناسب من الوحي كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ فمن فزع الله عن قلبه رأى حقيقة انقلابه في الصور و تحوله فيها فعلم إن العالم كله في كل نفس في تحول و انقلاب فعلم من ذلك أن ذلك للشئون التي هو الحق فيها فهو المحول القلب في الليل و النهار بما يقلبها و في السماء بما يوحي فيها و في الأرض بما يقدر فيها و فيما بينهما بما ينزل فيه و فينا بما نكون عليه و هو معنا أينما كنا فنتحول لتحوله و نتقلب لتقلبه فإن من أسمائه الدهر و نستغني به لغناه و أما علمنا بتفاضل بعض الملائكة في العلم بالله على بعض فلما ورد في هذا الذكر من الاستفهام في قول من قال منهم ما ذا و هو قولهم وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ في العلم بالله و أما رفع التهمة عنهم فيما بينهم و تصديق بعضهم بعضا و انصباغ بعضهم بما عند بعض مما يكون عليه ذلك البعض من صورة العلم بالله فيفيد بعضهم بعضا فمن قوله عنهم قالُوا الْحَقَّ ابتداء و لم ينازعوا عند ما قال لهم المسئول ربكم ثم أقيموا في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فلم يروه إلا في الهوية و هي ما غاب عنهم من الحق في عين ما تجلى و تلك الهوية هي روح صورة ما تجلى فنسبوا إليها أعني إلى الهوية من لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ العلو عن التقييد و الكبرياء عن الحصر فقالوا بل قال عن نفسه و هو المعلوم عندنا الذي أعطاه الكشف عند قولهم ما ذا قالَ

رَبُّكُمْ قالُوا الْحَقَّ إلى هنا انتهى كلام الملائكة فقال الله وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ كما قال لنا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فقدم ما أخر في خطاب الملائكة وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ فأخر عندنا ما قدم في خطاب الملائكة فنهاية ما خاطب به الملائكة بدايتنا و بداية ما خاطبنا به و عرفنا من قول الملائكة فيه نهايتنا

و لهم مثل ما لنا	قلنا مثل ما لهم
تجدوه مبينا	فانظروا في كلامه
و به الحق أعلنا	فبه قد أسرنا
به كنت مؤمنا	فإذا لم تكن عليما
لم تزل عالما بنا	و إذا ما علمته

فلما شرك الله بيننا و بين ملائكته في العجز عن معرفته زدنا عليهم بالصورة و لحقناهم في الظاهر بما يظهر به من الصور في النشأة الآخرة في ظواهرنا كما نظهر بها اليوم في بواطننا فنكون على نشأتهم في الآخرة و ليست للملائكة آخرة فإنهم لا يموتون فيبعثون و لكن صعق و إفاقة و هو حال لا يزال عليه الممكن في التجلي الإجمالي دنيا و آخرة و الإجمال هناك في الملائكة عين المتشابه عندنا و لهذا يسمعون الوحي كأنه سلسلة على صفوان فعند الإفاقة يقع التفصيل الذي هو نظير المحكم فينا فالأمر فينا و فيهم بين آيات متشابهات و آيات محكمات فعم الابتلاء و الفتنة بالإجمال و المتشابه الملأين الملإ الأعلى و الملإ الأنزل فمثل هذا العلم فمثل هذا العلم ينتجه هذا الذكر وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع عشر و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ»

فإنه ما دعا إلا و يعطيكا	إذا دعيت أجب فالله يدعوكا
ما وافق الحق فالرحمن يتلوكا	أنت الغني فجد مما أتاك به
في الاعتبار فإن الفكر ناديكا	و كل شيء خلاف الحق فارم به
إن العليم بوجه الأمر يأتيكا	و لا تقل ليس من ربي فتتركه
فإنه كل ما في كونه فيكا	فخذه و أسبره بالمسبار تعلمه
و لا بكل خطاب لا يؤاتيكا	لا ترمين بشيء أنت تجهله
من خلقه فتحقق في معانيكا	إن الإله له مكر بطائفة
ميزان عقل فجاريه يجاريكا	و لا تقولن هذا ليس يدخل في

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أنه ما في القرآن دليل أدل على إن الإنسان الكامل مخلوق على الصورة من هذا الذكر لدخول اللام في قوله و للرسول و في أمره تعالى لمن آية به من المؤمنين بالإجابة لدعوة الله تعالى و لدعوة الرسول فإن الله و رسوله ما يدعونا إلا لما يحيينا به فلتكن منا الإجابة على كل حال إذا دعانا فإنه ما نكون في حال إلا منه فلا بد أن نجيبه إذا دعانا فإنه الذي يقيمنا في أحوالنا و إنما فصل هنا بين دعوة الله و دعوة الرسول لنتحقق من ذلك صورة الحق التي رسول الله ص عليها و هو الداعي في الحالتين إيانا فإذا دعانا بالقرآن كان مبلغا و ترجمانا و كان الدعاء دعاء الله فلتكن إجابتنا لله و الإسماع للرسول و إذا دعانا بغير القرآن كان الدعاء دعاء الرسول ص فلتكن إجابتنا للرسول ص و لا فرق بين الدعاءين في إجابتنا و أن تميز كل دعاء عن الآخر بتميز الداعي فإن رسول الله ص يقول في الحديث لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الخبر عني فيقول اتل علي به قرآنا إنه و الله لمثل القرآن أو أكثر فقوله أو أكثر مثل ما قال أبو يزيد بطشي أشد فإن كلام الله سواء سمعناه من الله أو من الرسول هو كلام الله فإذا قال الله على لسان عبده ما يبلغه الرسول فإنه لا ينطق عن الهوى فإنه أكثر بلا شك لأنا ما سمعناه إلا من عين الكثرة و هو من الرسول أقرب مناسبة لاسماعنا للتشاكل كما هو من الله أقرب مناسبة لحقائقنا فإن الله أقرب إلينا من الرسول لا بل أقرب إلينا منا فإنه أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ و غاية قرب الرسول في الظاهر المجاورة بحيث أن لا يكون بيننا مكان يكون فيه شخص ثالث فيتميز في الرسول بالمكان و بما بلغ بالمكانة و نتميز عن الله بالمكانة فإنه أقرب إلينا منا و لا أقرب إلى الشيء من نفسه فهو قرب نؤمن به و لا نعرفه بل و لا نشهده إذ لو شهدناه عرفناه فإذا دعانا الله منا فلنجبه به لا بد من ذلك و إذا دعانا بالرسول منا فلنجبه بالله لا به فنحن في الدعاءين به و له و للرسول و لينظر المدعو فيما دعي به فإن وجد حياة علمية زائدة على ما عنده يحيا بها في نفس الدعاء وجبت الإجابة قلن دعاه الله أو دعاه الرسول فإنه ما أمر بالإجابة إلا إذا دعاه لما يحييه و ما يدعوه الله و رسوله لشيء إلا ما يحييه فلو لم يجد طعم الحياة الغريبة الزائدة لم يدر من دعاه و ليس المطلوب لنا إلا حصول ما نحيي به و لهذا سمعنا و أطعنا فلا بد من الإحساس لهذا المدعو بهذا الأثر الذي تتعين الإجابة له به فإذا أجاب من هذه صفته حصلت له فيما يسمعه حياة أخرى يحيي بها قلب هذا السامع فإن اقتضى ما سمعه منه عملا و عمل به كانت له حياة ثالثة فانظر ما يحرم العبد إذا لم يسمع دعاء الله و لا دعاء الرسول و الوجود كله كلمات الله و الواردات كلها رسل من عند الله هكذا يجدها العارفون بالله فكل قائل عندهم فليس إلا الله و كل قول علم إلهي و ما بقيت الصيغة إلا في صورة السماع من ذلك فإنه ثم قول امتثال شرعا و قول ابتلاء فما بقي إلا الفهم الذي به يقع التفاضل فاقتصر علماء الرسوم على كلام الله المعين المسمى فرقانا و قرآنا و على الرسول المعين المسمى محمدا ص و العارفون عمموا السمع في كل كلام فسمعوا القرآن قرآنا لا فرقانا و عمموا الرسالة فالألف و اللام التي في قوله وَلِلرَّسُولِ عندهم للجنس و الشمول لا للعهد فكل داع في العالم فهو رسول من الله باطنا و يفترقون في الظاهر أ لا ترى إبليس و هو أبعد البعداء عن نسبة التقريب و كذلك الساحر بعده كيف شهد لهم بالرسالة و إن لم يقع التصريح فقال في السحرة وَما هُمْ بِضارِّينَ به من أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله و لا معنى للرسالة إلا أن يكون حكمها هذا و هو إذن الله و قال في إبليس في إثبات رسالته اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ

جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً ثم عرفنا الله سبحانه ما أرسله به فقال وَاسْتَفْزِزْ من اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ و هذه الأحوال كلها عين ما جاءت به الكمل من الرسل ع الذين أعطوا السيف فسعد العارف بتلقي رسالة الشيطان ويعرف كيف يتلقاها و يشقى بها آخرون و هم القوم الذين ما لهم هذه المعرفة ويسعد المؤمنون كلهم و العارفون معهم بتلقي رسالة الرسل صلوات الله و سلامه عليهم ويكون العامل بما جاء في تلك الرسالة أسعد من المؤمن الذي يؤمن بها عقدا و قولا ويعصي فعلا و قولا فكل متحرك في العالم منتقل فهو رسول إلهي كان المتحرك ما كان فإنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه سبحانه فالعارف ينظر إلى ما جاءت به في تحركها فيستفيد بذلك علما لم يكن عنده ولكن يختلف الأخذ من العارفين من هؤلاء الرسل لاختلاف الرسل فليس أخذهم من الرسل أصحاب الدلالات سلام الله عليهم كأخذهم من الرسل الذين هم عن الأذن من حيث لا يشعرون و من شعر منهم وعلم ما يدعو إليه كإبليس إذا قال لصاحبه اكْفُرْ فيتلقاه منه العارف تلقيا إلهيا فينظر إلى ما أمره الحق به من الستر فيستره ويكون هذا الرسول الشيطان المطرود عن الله منبها عن الله فيسعد هذا العارف بما يستره و هو غير مقصود الشيطان الذي أوحى إليه و الذي هو غير العارف يكفر بالذي يقول له اكفر فإذا كفر يقول له الشيطان إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ فشهد الله للشيطان بالخوف من الله رب العالمين في دار التكليف و بالإيمان به فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي النّارِ خالِدَيْنِ فِيها لأنها موطنهما الواحد خلق منها و هو الشيطان و الآخر خلق لها و إن كان فيه منها فسكناها بحكم الأهلية وعذبا فيها بحكم الجريمة ما شاء الله فالعالم كله عند العارف رسول من الله إليه و هو و رسالته أعني العالم في حق هذا العارف رحمة لأن الرسل ما بعثوا إلا رحمة و لو بعثوا بالبلاء لكان في طيه رحمة إلهية لأن الرحمة الإلهية وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فما ثم شيء لا يكون في هذه الرحمة إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ الْمَغْفِرَةِ فلا تحجر واسعا فإنه لا يقبل التحجير قال بعض الأعراب يا رب ارحمني و محمدا و لا ترحم معنا أحدا و النبي ص يسمعه فقال النبي ص يا هذا لقد حجرت واسعا يعني حجرته قولا و طلبة فإذا كان عند العارف مثل هذا كلام الله يأخذه في الرحمة الخاصة التي يناسب الله بها بين هذا القائل و بين محمد ص فشرك الرسول هذا الأعرابي في الرحمة التي يرحمه الله بها التي لا يرحم بها غيره فإن الغير ما له تلك المناسبة الخاصة فإن الرسول له مناسبة بكل واحد واحد من الأمة التي بعث إليها فآمنت به فهو مع كل مؤمن من أمته بمناسبة خاصة يعينها ذلك المؤمن فإن المتبوع في نفسه لكل تابع إياه منزلة يتميز بها عنده عن غيره و هذا القدر كاف في هذا الذكر وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ«الباب الموفي عشرين و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ»

إني أغار على قلبي فاسأله ⁂ أن لا يزاحمه خلق من البشر

فيه فإن لنا قلبا يهيم به ⁂ في كل حال من التنزيه و الصور

لما سمعت نداء الحق من قبلي ⁂ أجبته حذرا من حاكم الغير

فقلت ما ذا فقال الحق قلت له ⁂ ما ذا تريد فقال احذر من الحذر

أخاف من وقع آفات و لا ضرر فعشت في طيب نفس حيث كنت فما

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن هذا الذكر لما وفقنا الله تعالى لاستعماله بإشبيلية من بلاد الأندلس سنة ست و ثمانين و خمسمائة بقينا فيه ثلاثة أيام فرأينا له بركة في تلك الأيام و كنا به ثلاثة أنا و عبد الله النزهوني قاضي شرف و كان عبدا صالحا ضابطا فقيها و شخصا ثالثا من أهل البلد فجعل علة الإجابة السماع لا من قال إنه سمع و هو لم يسمع كما قال تعالى ينهانا أن نكون مثل هؤلاء فقال وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْمَعُونَ فالسمع في هذا الذكر هو عين العقل لما أدركته الأذن يسمعها من الذي جاء به المترجم عن الله تعالى و هو الرسول ص الذي لا ينطق عن الهوى فإذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فإن العلم حاكم قاهر في حكمه لا بد من ذلك و إن لم يكن كذلك فليس بعلم فما عصى الله قط عالم يعلم بالمؤاخذة على إتيانه المعصية و لا بد من العلم بكونها معصية في الحكم الإلهي و ذلك حظ المؤمن و ليس إلا رجلان قائل بإنفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة و قائل بغير إنفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة بل هو في مشيئة الله إن شاء غفر و إن شاء آخذ و ما ثم مؤمن ثالث لهذين و كلاهما ليس بعالم بالمؤاخذة في حق شخص حي ما لم يمت فإن القائل بإنفاذ الوعيد يقول بإنفاذه فيمن مات و لم يتب و هو يرجو التوبة ما لم يمت فليس بعالم بالمؤاخذة على هذه المعصية فإنه لا يعلم أنه يموت على توبة أو على غير توبة و الذي لا يقول بإنفاذ الوعيد لا يعلم ما في مشيئة الحق فما عصى إلا من ليس بعالم بالمؤاخذة و أما من كشف له عن المقدور قبل وقوعه فقد علم ما له و عليه و من له هذا الحال و هذا المقام فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و قد كان ممن سمع قول الله له إيمانا أو عيانا اعمل ما شئت فقد غفرت لك و هذا ثابت شرعا و هنا سر لمن بحث عليه و هو أنه من هذه حالته فما عصى الله لأنه ما عمل إلا ما أبيح له من العمل و الثاني المغفور له فقد سبقت المغفرة ذنبه فما أبصر ذنبه إلا ممحوا بخير عظيم يقابل ذلك الذنب فعلى كل حال و إن جرى عليه لسان ذنب و معصية فما جرى عليه حكم ذلك و ليس المعتبر إلا جريان الحكم على فاعل تلك المعصية فما عصى الله عالم بالمؤاخذة و قد دعانا الله لما خلقنا له من عبادته فسمعنا و لما سمعنا استجبنا فأخبر الله عنه بسرعة الإجابة لما ذكرها ببنية الاستفعال و في هذا الذكر شمول رحمة الله بخلقه فأخبر أنه ما استجاب إلا من سمع فوجد العذر من لم يسمع كما وجد العذر من لم تبلغه الدعوة الإلهية فحكمه حكم من لم يبعث الله إليه رسولا و هو تعالى يقول وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا و ما هو رسول لمن أرسل إليه حتى يؤدي رسالته فإذا سمع المرسل إليه أجاب و لا بد كما أخبر الله تعالى عنه لما جاء به هذا الرسول في رسالته فإذا رأينا من لم يجب علمنا بأخبار الله أنه ما سمع فأقام الله له حجة يحتج بها يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ فتقول الرسل ع لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فعلمنا من قولهم إن العلم بالإجابة من علوم الغيب فعلمنا إن السماع غيب فلا يعلم من أجاب إلا من هويته غيب و ليس إلا الله و ما أقام الله العذر عن عباده إلا و في نفسه أن يرحمهم فرحم بعض الناس بما أسمعهم فَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ التي حكم الله فيها بالقسمة بينه و بين عبده و من لم يستجب اعتذر الله عنه بأنه لم يسمع و هذا من حكم الغيرة الإلهية على الألوهة أن يقاومها أحد من عبادها بخلاف ما دعت إليه إذ لو علم أنهم سمعوا و ما استجابوا لعظمهم في أعين الناس و

جعلهم في مقام المقاومة له يعني لما علم السابق علمه فيهم أنه لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ فستر علمه فيهم بأن قال وَ لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قالُوا سَمِعْنا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ و قال و لو شاء الله لأسمعهم فأكذبهم في قولهم سمعنا فقال إِنَّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ فلو سمعوا استجابوا فإن الله أعز و أجل من أن يقاومه مخلوق ألا تراه يقول في حق من سمع من النصارى وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ فوصفهم بأنهم يسمعون ثم ذكر ما كان منهم حين سمعوا فقال تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ فأخبر أنهم آمنوا و أخبر أنه تعالى أثابهم على إيمانهم بما ذكر في الآيات فلا تقل فيمن لم يجب أنه سمع فتخالف الله فيما أخبر عنهم و قد أخبر الله تعالى عنهم إن بهم صمما و أخبر عنهم أنهم قالوا فِي آذانِنا وَقْرٌ فطابق قولهم فِي آذانِنا وَقْرٌ قول الله إنهم صم فلم يسمعوا فلم يرجعوا فإنهم لم يعقلوا ما سمعته آذانهم و ما سمع من سمع منهم إلا دعاء و نداء و هو قوله يا فلان و ما سمع أكثر من ذلك فما أعظم رحمة الله بعباده و هم لا يشعرون بل رأيت جماعة ممن ينازعون في اتساع رحمة الله و إنها مقصورة على طائفة خاصة فحجروا و ضيقوا ما وسع الله فلو إن الله لا يرحم أحدا من خلقه لحرم رحمته من يقول بهذا و لكن أبى الله إلا شمول الرحمة فمنا من يأخذها بطريق الوجوب و هم الذين يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ الذين يؤمنون وَيَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ و منا من يأخذها بطريق الامتنان من عين المنة و الفضل الإلهي و و الله ما أنا بحمد الله ممن يحب التشفي و الانتقام من عباد الله بل خلقني الله رحمة و جعلني وارث رحمة لمن قيل له وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ و ما خص مؤمنا من غيره و تحقق ذلك في وضع الجزية على أهل الكتاب و ما كان السبب في إنزال هذه الآية إلا دعاءه بالمؤاخذة الإلهية على المشركين من رعل و ذكوان و عصية و إذا كان هذا عتبة لرسوله ص في حق المشرك الذي أخبر أنه لا يغفر له فكيف الأمر في غير المشرك و إن لم يؤمن فافتح عين فهمك لما تقرأه وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً و هو أن يزيدك في فهمك فكلما كررت تلاوة زدت علما لم يكن عندك و كلما نظرت و اعتبرت تزيد علما وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ»

اتقوا الله يا أولي الألباب من علوم علامها في تباب
لا تفكر في ذاته فهو جهل و التزم ما تراه خلف الباب
من نعوت تبدو به و صفات هن حجابها و عين الحجاب
ما دري من يقول بالفكر فيها إنها لا تنال بالألباب
فالذي قال إنه قد حواه لم يزل منه تائها في إياب

اعلم وفقنا الله و إياك أن مثل هذا قوله وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ و هو الذي يواري من اللباس ما يستر و يمنع من الضرر و هو ما زاد على الريش فالتقوى في اللباس و في الزاد ما يقي به الرجل وجهه عن السؤال غير الله و كذلك في اللباس ما يقي به الإنسان برد الهواء و حره و يكون سترا لعورته و هو قوله يُوارِي سَوْآتِكُمْ و ليس إلا ما يسوءكم ما ينظر إليه منكم هذا الذكر جاء بلفظ الزاد و ورد الأمر به فأعلمنا أنا قوم

سفر نقطع المناهل بالأنفاس رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ لنطعم من جوع و نأمن من خوف لأنه ما زاد على وقايتك فما هو لك و ما ليس لك لا تحمل ثقله فتتعب به و أقل التعب فيه حسابك على ما لا يحتاج إليه فلما ذا تحاسب عليه هذا لا يفعله عاقل ناصح لنفسه فما ثم عاقل لأنه ما ثم إلا من يمسك الفضل و يمنع البذل و المسافر و ما له على قلة فإنه ما من منهلة يقطعها و لا مسافة إلا و قطاع الطريق على مدرجته من الجنة و الناس و يدخل في الجنة الخواطر النفسية فتقطع بهذا المسافر عن معالي الأمور و أصغر المسافات و أقربها أشقها عليه و هو ما بين النفسين فمن كانت مسافاته أنفاسه كان في أشق سفر لكنه إذا سلم عظمت أرباحه و أمن الخسارة في تجارته فإنهم في سفر تجارة منجية من عذاب أليم بضائعهم الايمان و الجهاد فالإيمان بضاعة تعم النفائس المضنون بها و الجهاد يعم جميع ما جهزنا الله به من بضائع التكليف و الرسل ع هم السماسرة في البيع و الشراء و الصحف و الكتب المنزلة هي الوثائق المكتوبة بين البائع و المشتري و أخبر الله تعالى أنه اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ يعني إلا نفس الحيوانية هي التي اشتراها من النفوس الناطقة المكلفة بالإيمان وَ أَمْوالَهُمْ و هو شري البرنامج فالمشتري بالخيار عند حضور البضائع فإن وافقت ما في البرنامج مضى البيع و صح الشراء و إن لم يوافق فالمشتري بالخيار إن شاء و إن شاء فإن هلك في سفره في الطريق كان في كيس البائع لا في كيس المشتري و هذا السوق نفاق إلا أن الطريق خطر جد الكثرة القطاع فيه فقطاع طريق السفر في المعقولات الشبه و قطاع طريق السفر في المشروعات التأويل لا سيما في المتشابهات و لا يخلو المسافر أن يكون في هذين الطريقين أو في أحدهما فمن لا تأويل له و لا شبهة فليس بمسافر بل هو في المنزل من أول قدم فيمر عليه المسافرون و هو ما يعرض الله عليه من أحوال عباده فهو كتاجر الدكان تأتيه البضائع من كل جانب كما هم أهل مكة تجبى إليهم ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً من لدنه سبحانه وَ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ذلك فتاجر الدكان لا يحتاج إلى زاد لأنه يسافر إليه و لا يسافر و ليس إلا العارفون ترد عليهم الأنفاس ثم تخرج عنهم تلك الأنفاس فهي لهم كعرض المتاع على تاجر الدكان فيأخذ منها ما شاء و يترك ما شاء لأن الأنفاس قد ترد على العارف بما هو محمود و هي البضائع التي لا عيب فيها المثمنة خيار المتاع و نقاوته و مذموم و هي البضائع المعيبة التي نقص ما فيها من العيب ما كانت تستحقه من الثمن لو سلمت منه و هي البضائع الوخش شر المتاع فانظر أي تاجر تريد أن تكون ثم إن المسافرين من التجار الذين أمرهم الله بالزاد الذي لا يفضل عنهم بعد انقضاء سفرهم منه شي‏ء بل يكون على قدر المسافة فهم على ثلاثة أصناف صنف منهم يسافر برا و آخر يسافر بحرا و آخر يسافر برا و بحرا بحسب طريقه فمسافر البحر بين عدوين نفس الطريق و ما فيه و مسافر البر ذو عدو واحد و الجامع بينهما في سفره ذو ثلاثة أعداء فمسافر البحر أهل النظر في المعقولات و من النظر في المعقولات النظر في المشروعات فهم بين عدو شبهة و هو عين البحر و بين عدو تأويل و هو العدو الذي يقطع في البحر و مسافر البر المقتصرون على الشرع خاصة و هم أهل الظاهر و المسافر الجامع بين البر و البحر هم أهل الله المحققون من الصوفية أصحاب الجمع و الوجود و الشهود و أعداؤهم ثلاثة عدو برهم صور التجلي و عدو بحرهم قصورهم على ما تجلى لهم أو تأويل ما تجلى لهم لا بد من ذلك فمن سلم من حكم التجلي الصوري و من القصور الذي يناقض المزيد و من التأويل فيما تجلى لهم فقد سلم من الأعداء و حمد طريقه و

ربحت تجارته و كان من المهتدين فهذا و أمثاله يعطيه هذا الذكر و هو ذكر الالتباس من أجل ذكر التقوى لما في ذلك من تخيل تقوى الله و لهذا أبان الله عن تلك التقوى ما هي و فصل بينها و بين تقوى الله فقال في تمام الآية وَ اتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ و جعل المجاور لهم في تقوى الله لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ برفع الحرج و السؤال فيما تزودوه في سفرهم من التقوى فإنه فضل على تقوى الله فإن الأصل تقوى الله فقال لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ و هو التجارة مع علمك بأنه زاد التقوى و هذا القدر كاف فإن المجال فيه واسع وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ راجِعُونَ أُولٰئِكَ يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَ هُمْ لَها سابِقُونَ»

إن القلوب مع الخيرات في وجل ... و إنها عند ما تلقاه في خجل
فيسرع العبد في مرضاة سيده ... لكونه خلق الإنسان من عجل
فالطبع يسرع و الأفكار تسعده ... فما يرى أبدا يمشي على مهل
إن السباق لمن شأن الرجال فمن ... أربى على أحد أربى على رجل

قال الله تعالى في الورثة وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ . . . ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ فالضمير من هو يعود على السبق الذي يدل عليه اسم الفاعلاعلم أن السبب الموجب لوجلهم قول الله عنهم الَّذِينَ يُؤْتُونَ و جعل هنا ما بمعنى الذي ثم جاء باتوا بعد ما و كلامه صدق فأدركهم الوجل إذ قطعوا أنهم لا بد أن يقوم بهم الدعوى فيما جاءوا به من طاعة الله فيكشف الله لهم إذا خافوا و وجلوا من ذلك و تبديل الله لفظة ما التي بمعنى الذي بلفظة ما النافية مثل قوله تعالى وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ هكذا يكون كشفه هنا للوجل ما يؤتون الذي أتوا به و لكن الله أتى به فأقامهم مقام نفسه فيما جاءوا به من الأعمال الصالحة ثم نظروا في ذكرهم للتعليل و هو قوله تعالى أَنَّهُمْ إِلىٰ رَبِّهِمْ راجِعُونَ فيما أتوا به مع كون اللهوصفهم بأنهم الذي أتوا به فانظر ما أدق نظرهم في السبب الذي جعل في قلوبهم الوجل ثم تمموا الذكر كما علمهم الله أُولٰئِكَ إشارة إلى هؤلاء الذين يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ و الإسراع لمن أتى هرولة فافهم فهم يسارعون في الخيرات بالحق وَ هُمْ لَها سابِقُونَ أي يسبقونها و يسبقون إليها فالخيرات ثلاثة خيرات يكون السباق و المسارعة فيها و خيرات يكون السباق بها و خيرات يكون السباق إليها و هي قوله سابِقُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ و سارِعُوا إِلىٰ مَغْفِرَةٍ و السرعة في السباق لا بد منها لأن السباق يعطي ذلك و هو فوق السعي فإتيانهم بسرعة و الزائد على السعي ما هو إلا هرولة و هي نعت إلهي و إذا انفرد الحق بنعت كان له فما يأخذه العبد إلا معارا الكون الحق لا يشارك في شيء أضافه إلى نفسه و ما لم يذكر بإضافة إلى الله فلك فيه التصرف إن شئت أضفته إلى الله تعالى و إن شئت أضفته إليك فإن تقدم لك إضافة ذلك إلى الله حرم عليك إن تضيفه بعد ذلك إلى نفسك فإن صورته في ذلك صورة ما أضافه الحق إلى نفسه فسواء كان ذلك منه ابتداء أو قال ذلك على لسان عبده فإن الله عند لسان كل قائل بما يقول كما هو قائِمٌ عَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ فأنت الكتاب المشار إليه في قوله وَ لَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ

بِالْحَقِّ و أنت الناطق فإنه الفصل المقوم لك في حدك و ما أحسن قوله وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ حيث عرفنا بأننا الكتاب الذي ينطق بالحق و شرفنا بأنا لديه وَ ما عِنْدَ اللّٰهِ باقٍ فلنا البقاء بما نحن لديه على هذه الصفة التي وصفنا اللّه بها من النطق بالحق فإنا باللّه ننطق و اللّه يقول على لسان عبده ما ينطقه به وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنٰاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ و هو القائل لاٰ يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْساً إِلاّٰ وُسْعَهٰا و قد وسعت الحق الذي ضاق عنه الأرض و السماء و هو سبحانه لا يثقله شيء و إنما نعته بالتكليف لأنه على كل حال محل جلال للحق به ينطق و يسمع و يبصر و يسعى و يبطش فقبول الزائد تكليف و الوسع في إعطاء كل شيء حقه

إن لم تكن فلا يكن فكن به حتى يكن
و أنت مخلوق بكن فأنت خلاق له
إلا الحديث المستكن إن الحديث لم يسع
قال استكينوا فاستكن فما استكانوا للذي
و هو لنا نعم السكن فللإله ما سكن

فالحمد للّه على ما أولى هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولىٰ وَ الْآخِرَةِ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ»

يدل عليه ما يعطي العيان مقام الرب ليس له أمان
إذا ما خفته حالا امان فخفه لأنه خطر و فيه
يضيق لهو له منك الجنان و نفسك فانهها عن كل أمر
فأنت هو المعاتب و الزمان فلا تعتب زمانا أنت فيه
فرب الدار ليس له مكان و لا تعمر مكانا لست فيه
و مؤنسك التعطف و الحنان فأنت كهو فأنت له جليس
لذاك يقال منزلنا الجنان وفيها الخلد و الحور الحسان

اعلم أيدنا اللّه و إياك أن المقام الإلهي الرباني ما وصف به نفسه و لما علمه ص حين أعلمه لذلك استعاذ به منه فقال و أعوذ بك منك اعلم أن كل مقام سيد عند كل عبد ذي اعتقاد إنما هو بحسب ما ينشئه في اعتقاده في نفسه و لهذا قال اللّه مَقٰامَ رَبِّهِ فأضافه إليه و ما أطلقه و ما تجد قط هذا الاسم الرب إلا مضافا مقيد إلا يكون مطلقا في كتاب اللّه فإنه رب بالوضع و الرب من حيث دلالته أعني هذا الاسم هو الذي يعطي في أصل وضعه أن يسع كل اعتقاد يعتقد فيه و يظهر بصورته في نفسه معتقده فإذا كان العارف عارفا حقيقة لم يتقيد بمعتقد دون معتقد و لا

انتقد اعتقاد أحد في ربه دون أحد لوقوفه مع العين الجامعة للاعتقادات ثم إنه إذا وقف مع العين الجامعةللاعتقادات كلها فيه فيخاف إن يكون هذا القدر الذي اعتقده واحد مثل كل ذي اعتقاد في الرب فيتخيل أنه مع الرب و هو مع ربه لا مع الرب مع كونه بهذه المثابة في تسريحه و عدم تقييده و قوله به في كل صورة اعتقاد و إيمانه بذلك فلا يزال خائفا حتى يأتيه الْبُشْرىفي الْحَياةِ الدُّنْيا بأن الأمر كما قال فهذا حد إطلاق العبد في الاعتقاد و لو لم يكن الحق له هذا السريان في الاعتقادات لكان بمعزل و لصدق القائلون بكثرة الأرباب و قد قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ في كل معتقد إذ هو عين كل معتقد ثم نصب الله لهذا العارف دليلا من نفسه بتحوله في نفسه في كل صورة و قبوله في ذاته عند إنشاء كل صورة ينشئها هذا المعتقد في قوله تعالى في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ نظر إشارة لا تفسير فلو لا قبولك عند تسويتك و تعديلك لكل صورة ما ثبت قوله في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ و قد صح و ثبت هذا القول فعلمنا إن له التجلي في صور الاعتقادات فلا ينكر فكل من لم يعرف الله بهذه المعرفة فإنه يعبد ربا مقيدا منعزلا عن أرباب كثيرة إذا اتصف نفسه لم يدر أي رب هو الرب الحقيقي في نفس الأمر من هؤلاء الأرباب الذي في نفس كل معتقد وَنَهَى النَّفْسَ في هذا الذكر عَنِ الْهَوىهو النهي عن تقييده بمعتقد خاص عن معتقد فإنه عابد هوى ثم تمم الذكر في حق العارف الذي خافَ مَقامَ رَبِّهِ كما قلنا وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوىكما شرحنا فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوىيقول مقامه ستر هذا العلم بالله الذي حصل له فإنه مهما ظهر عليه كل صاحب اعتقاد مقيد أنكره عليه و جهله إن كان ذا نظر و ربما كفره إن كان ذا إيمان فلا يعرف من خافَ مَقامَ رَبِّهِ إلا من خافَ مَقامَ رَبِّهِ غيره فلا يعرفه

شخيص له في ربه الحصر و القيد فكن في أمان أن يقول بقولكم
فذاك هو المكر الإلهي و الكيد فمن يعتقد في الله ما قد شرحته
له البدء فيما شاءه الحق و العود و كيف يرى التقييد من هو مطلق

فإطلاق العبد قبوله لكل صورة يشاء الحق أن يظهره فيها فما ظنك بخالقه الذي له المشيئة فيه و هو سبحانه في تحوله في الصور لذاته غير مشيء لذلك فإن المشيئة متعلقها العدم و هو الوجود فلا يكون مشاء لمشيئته بل لم يزل في نفسه كما تجلى لعبده فمشيئته إنما تعلقت بعبده أن يراه في تلك الصورة التي شاء الحق أن يراه فيها فإذا رآها العبد التبس بها و ركبه الحق فيها و هو قوله من باب الإشارة في أَيِّ صُورَةٍ من صور التجلي ما شاءَ رَكَّبَكَ هذا في باب المعارف و الاعتقادات و في باب الخلق في أي صورة من صور الأكوان ما شاء ركبك

و لا تخف منه إذا عرفته فخف مقام الرب إن أضفته
أطلقته إن شئت أو أضفته فلا يخاف الرب غير مقيد
فكن به الموصوف إن وصفته فإنه عين الذي تشهده
و لا تزد في الكشف إن كشفته لا تقتصر على الذي أشهدته

فذا هو الإنصاف إن أنصفته فكن به و لا تكن أيضا به

وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً)

و أشجار المهاد لنا يراع و لو أن البحار لنا مداد

و حركنا لذلكم السماع وجاء صريفها في اللوح يسعى

وساوى القاع في المجد اليفاع لما نفدت له كلمات ربي

قال الله عز و جل وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ و قال تعالى وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ليست كلمات الله سوى صور الممكنات و هي لا تتناهى و ما لا يتناهى لا ينفد و لا يحصره الوجود فمن حيث ثبوته لا ينفد فإن خزانة الثبوت لا تعطي الحصر فإنه ليس لاتساعها غاية تدرك فكلما انتهيت فيوهمك في اتساعها إلى غاية فهو من وراء تلك الغاية و من هذه الخزانة تظهر كلمات الله في الوجود على التتالي و التابع أشخاصا بعد أشخاص و كلمات أثر كلمات كلما ظهرت أولاها أعقبتها بالوجود أخراها و البحار و الأقلام من جملة الكلمات فلو كانت البحار مدادا ما انكتب بها سوى عينها و بقيت الأقلام و الكلمات الحاصلة في الوجود ما لها ما تكتب به مع تناهيها بدخولها في الوجود فكيف بما لم يحصره الوجود من شخصيات الممكنات فهذا حكم الممكن فما ظنك بالمعلومات التي الممكنات جزء منها و هذا من أعجب ما يسأل عنه مساوات الجزء و البعض للكل في الحكم عليه بعدم التناهي مع معقولية التفاضل بين المعلومات و الممكنات ثم إنه ما من شخص من الأشخاص من المعلومات و لا من الممكنات إلا و استمراره لا يتناهى و مع هذا يتأخر بعضه عمن تقدمه فقد نقص عن تقدمه و فضل عليه من تقدمه و كل واحد لا يتصف في استمراره بالتناهي فقد وقع الفضل و النقص فيما لا يتناهى و وجود الحق ما هو بالمرور فيتصف بالتناهي و عدم التناهي فإنه عين الوجود و الموجود هو الذي يوصف بالمرور عليه فالذي لا يتناهى المرور عليه و هو في عينه من حيث إنه موجود متناه لأنه على حقيقة في عينه متميز بها عمن ليست له تلك الحقيقة التي بها يكون هو و ليست إلا عين هويته فهو الموجود و لا يتصف بالتناهي و لا يوصف أيضا بأنه لا يتناهى لوجوده فمن حيث إنه ينتهي هو لا ينتهي بخلاف حكم المحدثات في ذلك و لا يعلم المحدثات ما هي إلا من يعلم ما هو قوس قزح و اختلاف ألوانه كاختلاف صور المحدثات ثم أنت تعلم أنه ما ثم متلون و لا لون مع شهودك ذلك كذلك شهودك صور المحدثات في وجود الحق الذي هو الوجود فتقول ثم ما ليس ثم لأنك لا تقدر أن تنكر ما تشهد و أنت تشهد كما لا تقدر أن تجهل ما أنت تعلمه و أنت تعلم و المعلوم في هذه المسألة خلاف المشهود فالبصر يقول ثم و البصيرة

تقول ما ثم و لا يكذب واحد منهما فيما يخبر به فأين كلمات الله التي لا تنفد و ما ثم إلا الله و الواقف بين الشهود و العلم حائر لتردده بينهما و المخلص لأحدهما غير حائر منحاز لمن يخلص إليه كان ما كان

فخذ به هذا و ذا | و الحق معط ذا و ذا
أعطاكه منتبذا | و لا تكن عن كل ما
يكن إماما جهبذا | و من يكن يعرف ذا
لا بد أن يقول ذا | فكل من يقول ذا
يصرفه عن ذا و ذا | بينهما يبدو الذي
و قال أقوام بذا | و قال أقوام بذا
الأشياء حقا هكذا | فهكذا فلتعرف

فالوجود كله حروف و كلمات و سور و آيات فهو القرآن الكبير الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ فهو محفوظ العين فلا يتصف بالعدم لأن العدم نفي الشيئية و الشيئية معقولة وجودا و ثبوتا و ما ثم رتبة ثالثة فإذا سمعت نفي شيئية فإنما ينفي النافي عن شيئية الثبوت شيئية الوجود خاصة فإن شيئية الثبوت لا تنفيها شيئية الوجود فقوله وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً هو شيئية الوجود لأنه جاء بلفظ تك و هي حرف وجودي فنفاه بلم و كذلك لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً و الذكر وجود فاعلم ذلك وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الخامس و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً)

فحكمها يوم فصل الحكم خسران | إذا تعدت حدود الله أكوان
غير الإله و لا يدريه ميزان | فإن تجدد حكم ليس يعرفه
عناية من إله الحق فرقان | فذاك جود إلهي أتاك به
فيه لما ظهرت في الكون أعيان | لو لا الوجود و لو لا سر حكمته
و كيف يدري الكمال الحق نقصان | هو الوجود و لكن ليس يعرفه

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس الروح الأمين

و الذي يعرفها لا يصرف | إن لله حدودا تعرف
عندها في كل حال يقف | ناظرا في حكمها متئدا

و بحق الحق لا تنحرفوا فانظروا فيها عليها و قفوا

و لذا أهل التعدي عرفوا تجدوا السر لديها علنا

و ادعوا أنهم قد كشفوا و لهذا انتهكوا حرمتها

عن مراد الله حين اعترفوا ظلموا أنفسهم فانحجبوا

من كلام الله عنه فقفوا و الترجي واقع حيث أتى

بالترجي مثل ما يتصف عند ما قلت به وا تصفوا

فلتظنوا الخير منه و لتفوا أنه عند الذي ظن به

حدود الله أحكامه في أفعال المكلفين فلا يتعدى منها حد إلا لحد آخر لغير حد إلهي لا يتعداه و نفس تعديه إليه عين تعديه فيه فيحكم في الأمور بغير حكم الله لا بد من ذلك فانظر ما أعجب هذا و أحكام الله التي هي حدوده وجوب و حظر و كراهة و ندب و إباحة فكل متصرف بحركة و سكون فلا بد أن يكون تصرفه في واجب أو محظور أو مندوب أو مكروه أو مباح لا يخلو من هذا فإن كان تصرفه في واجب عليه فعله بترك فقد تعدى حدود الله بتركه ما وجب عليه فعله فإن تركه على أنه ليس بواجب عليه فعله فقد تعدى في ذلك تعدى كفر و لا بد أن يحكم فيه بغير حكم الله و ينتقل فيه إلى حكم آخر من حكم الله لكن في غير هذا العين فأباح ترك ما أوجب الله عليه فعله و ترك ما حرم الله عليه تركه و إن قال بوجوب الترك فيما قال الشرع فيه بوجوب الفعل فهذا تعد عظيم فاحش و اتباع هوى مضل عن سبيل الله فالتعدي بالفعل و الترك معصية و التعدي بالاعتقاد كفر و من قلب أحكام الله فقد كفر و خسر و ثم تعد آخر لحدود الله و هو قلب الحقائق و يسمى المتعدي جاهلا و تعديه جهلا و هي الحدود الذاتية للأشياء و إنما أضيفت إلى الله لأن العلم بها إنما حصل لنا من جانب الله حيث أعطانا من القوة التي هي قوة العقل و النظر ما نصل بها إلى العلم بهذه الحدود و لأن الأمور التي نحدها ما هي بأمر زائد على ما ظهر في المظاهر المعقولة و المحسوسة و ما ظهر إلا الحق و ذلك الظاهر في العقل أو الحس هو الذي نحده و ليس إلا الله فهي حدود الله و قد تشترك المحدودات في أمور و تتميز بأمور فما تميزت به من الفصول فهو حدها المميز لها عن الذي شاركها و ما وقع به الاشتراك و التميز كله حد لها فمن تعدى هذه الحدود فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بظلم يسمى جهلا و قلبا للحقائق و قلب الحقائق إما أن يقلبها عينها كلها و إما أن يقلبها من حيث فصولها المقومة لها و كيف ما كان فقد تعدى حدود الله و جهل فحد الخالق بما هو حد للمخلوق فقلب الأمر في عينه كله و قد حد الإنسان بالفصل المقوم للفرس فقد غلط و جهل بعضا و علم بعضا فأولئك هم الجاهلون حقا كما هو في تعدى الأحكام أو ما جاء به الشارع إذا آمن ببعض و كفر ببعض هو الكافر حقا و غلب الكفر على الايمان فإن ذهاب الفصل المقوم من المحدود عين ذهاب ما له من نصيب الاشتراك فإن حيوانية الإنسان ما هي عين حيوانية الفرس بالنظر إلى شخصية ذلك المحدود فلهذا يذهب الكل لذهاب البعض و قد قال الله تعالى لنبيه ص فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ و

إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ و أما قوله في هذا الذكر لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً و ذلك لأنا ما عرفنا من القوي الموجودة في الإنسان إلا قدر ما أوجد فيه و ربما في علم الله عنده أو في الإمكان قوى لم يوجدها الله تعالى فينا اليوم حتى لو قيل للفرس عن القوة التي تميز بها الإنسان عنه أنكرها و في طريق الله ما يقوله أهل الطريق في إثبات المقام الذي فوق طور العقل و هي قوة يوجدها الله في بعض عباده من رسول و نبي و ولي تعطي خلاف ما أعطته قوة العقل حتى إن بعض العقلاء أنكر ذلك و الشرع أثبته و نحن نعلم أن في نشأة الآخرة قوى لا تكون في نشأة الدنيا و لا يحكم بها عقل هنا و لا تنال إلا بالذوق عند من أوجدها الله فيه و تحصل لبعض الناس هنا فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ في الجنة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فخرج عن طور العقل بتعيين أمر ما و ما خرج عن طور العقل بالإمكان إذ لا حكم للعقل فيما يعنيه الله من الأمور إلا الإمكان خاصة أوما تتحير فيه فلهذا جاءت كلمة لعل و هي كلمة ترج و كل ترج إلهي فهو واقع فلا بد منه فهذا هو الأمر الذي يحديه في النشأة و أما في الأحكام فمعلوم في العلم الرسمي إلى يوم القيامة فإن الرسول ص لما قرر حكم المجتهد لا يزال حكم الشرع ينزل من الله على قلوب المجتهدين إلى انقضاء الدنيا فقد يحكم اليوم مجتهد في أمر لم يتقدم فيه ذلك الحكم و اقتضاه له دليل هذا المجتهد من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي فهذا أمر قد حدث في الحكم إذا تعداه المجتهد أو المقلد له فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ فهذا أو أمثاله مما يعطيه هذا الذكر و هذا القدر من الإشارة في هذا الذكر كاف إن شاء الله فإن هذا الذي يعطيه هذا الذكر فيه تفصيل كثير و تمثيل نبهناك على المآخذ فيه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السادس و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً)

إن الركون إلى الأغيار حرمان — في الدين و هو ركون فيه خسران
ناط العذاب به شرع يحققه — ضعفين قلبي و إيمان و إحسان
هذا لمن قد رأى في ذاك مصلحة — فكيف من حاله زور و بهتان
الله يعلم أني لا أقول به — و لو تقطع أوصال و أركان
و الله ما كان ذاك الحكم إلا لنا — كالشك و الشرك يقضي فيه برهان
بأن قائله ذو عصمة و له — على الذي قاله في الله سلطان

أنزل الله تعالى في مثل هذا بل في هذا قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ إلى آخر السورة و هي سورة تعدل ربع القرآن إذا قسم أرباعا كما إن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن إذا قسم أثلاثا كما إن إذا زلزلت تعدل نصف القرآن إذا قسم قسمينا علم أن هذا الذكر يطلعك كشفا على أعضاء التكليف منك و هي ثمانية أعضاء القلب و السمع و البصر و اللسان و اليد و البطن و الفرج و الرجل و ما ثم تاسع و هي على عدد الجنات الثمانية فيدخل العبد في عبادته من أي أبواب الجنة شاء و إن شاء من الأبواب كلها في الزمن الواحد الفرد كأبي بكر الصديق رضي

الله عنه دخل منها كلها في يوم واحد و كما أنه في كل عضو عمل يخصه فلكل عمل نتيجة تخصه من الكون تسمى كرامة ينتجها حال ذلك العمل تناسب الكرامة العضو المكلف و حال العمل الذي يختص بذلك العضو و يقع في عمل كل عضو تفصيل و له أيضا أعني العمل نتيجة تخصه من الحق تسمى منزلا ينتجه مقام ذلك العمل يناسب ذلك المنزل عند الله العضو المكلف و تفاصيل المقام الذي يختص بذلك العضو بفصل المنازل على اختلافها و قد بينا ذلك كله في كتاب مواقع النجوم لنا و هو كتاب يقوم للطالب مقام الشيخ يأخذ بيده كلما عثر المريد و يهديه إلى المعرفة إذا هو ضل و تاه و يعرفه مراتب الأنوار من هذا الذكر المقسمة على الأعضاء التي يهتدى بها و هي نور الهلال و القمر و البدر و الكوكب و النار و الشمس و السراج و البرق و ما يكشف بنور كل واحد من هذه الأنوار من الصفات التي تحصر الأسماء الإلهية و الذات كالحياة و العلم و الإرادة و القدرة و الكلام و السمع و البصر و الذات المنعوتة بهذه الصفات فلكل صفة نور من هذه الأنوار و يعرف الموازنات بين الأشياء الموزونة و المناسبات فلا يخفى عليه شيء فإنه نور كله و هو دعاء النبي ص فقال و اجعلني نورا و تعرف من هذا الذكر أرباب القوي و هي ثمانية القوي الخمسة الحسية و القوة العاقلة و الفكرة و الخيالية و ما عدا هذه القوي فكالسدنة لهذه الثمانية كما أن هؤلاء الثمانية و إن كانوا أمهات ففيها ما منزلتها من غيرها منزلة السادن و منزلة الإقليد و ما زال التفاضل في الأنواع معلوما و كل ما ذكرناه في مواقع النجوم فإنه بعض ما يعطيه هذا الذكر ﴿وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

(الباب السابع و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الآية)

لله قوم وفوا بما له خلقوا فما مضى طبق إلا بدا طبق
فاصبر مع القوم نفسا ليس تشكرها إلا إذا رزقت مثل الذي رزقوا
من انكسار و من ذل و متربة فيها روائح مسك نشره عبق
فلا يغرنك أوصافي فإن لها مواطنا و بها لأقوام قد نطقوا

اعلم أيدنا الله و إياك بما أيدهم به من الروح القدسي أن لله عبادا كانت أحوالهم و أفعالهم ذكرا يتقرب به إلى الله و ينتج من العلم بالله ما لا يعلمه إلا من ذاقه فمن حبس نفسه مع هذا الذكر لحق بهم فإنه كل ما أمر الله به نبيه ص و نهاه عنه هو كان عين أحوالهم و أفعالهم مع كون هذه الطائفة الذي نزل فيهم هذا القرآن من أصحاب رسول الله ص فما نالوا ما نالوه إلا باتباعه و فهم ما فهموا عنه و مع هذا عاتب الله تعالى نبيه ص فيهم حتى كان رسول الله ص إذا لقي أحدا منهم أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوسا حتى يكونوا هم الذين ينصرفون و حينئذ ينصرف رسول الله ص و كان ص إذا حضروا لا تعدو عيناه عنهم و يقول إذا جاءوا إليه أو لقيهم مرحبا بمن عاتبني الله فيهم و لما عرفوا بذلك كانوا يخففون الجلوس مع رسول الله ص و الحديث لما علموا من تقييده بهم و صبره نفسه معهم فمن لزم هذا الذكر فإنه ينتج له

معرفة وجه الحق في كل شيء فلا يرى شيئًا إلا و يرى وجه الحق فيه فإنهم ما دعوا ربهم بالغداة و العشي الذي هو زمان تحصيل الرزق في المرزوقين كما قال لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا و هو الصبوح و الغبوق عند العرب فكان رزق هؤلاء بالغداة و العشي ما يحصل لهم من معرفة الوجه الذي كان مرادهم لأنه قال يُرِيدُونَ وَجْهَهُ يعني بذلك الدعاء بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ وجه الحق لما علموا أن كل شيء هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ فطلبوا ما يبقى و آثروه على ما يفنى فإذا تجلى لهم وجه الحق في الأشياء و لهذا الذاكر بهذا الذكر لم تعد عيناه عن هذا الوجه و لا يتمكن أن تعدو عيناه عنه لأنه بذاته يقيد كل ناظر إليه و إنما جاء بالنهي في هذا الذكر لأنهم ليسوا عين الوجه بل هم المشاهدون للوجه فمن كان منهم قد حصل له تجلى الوجه و بقي معه هذا الذكر فإنما يريد بقاء شهود ذلك الوجه دائما لما يعرف من حال الممكن و ما ينبغي لجلال الله من الأدب معه حيث لا يحكم عليه بشيء و لا بد و إن حكم هو بذلك على نفسه هذا هو الأدب الإلهي و من لم يبدله بعد ذلك الوجه المطلوب فيطلب بدعائه ذلك الوجه المراد له و على كل حال فلا تعد عينا رسول الله ص عنهم إلى غيرهم ما داموا حاضرين و من هنا قال رسول الله ص في صفة أولياء الله هم الذين إذا رأوا ذكر الله لما حصل لهم من نور هذا الوجه الذي هو مراد لهؤلاء فإن الذي يتجلى له هذا الوجه لا بد أن يكون فيه أثر معلوم له و لا بد فمنه جلي بحيث أن يراه الغير منه و منه خفي بحيث أن لا يراه منه إلا أهل الكشف أو لا يراه أحد و هو الأخفى إلا أنه له في نفسه جلى لأنه صاحب الشهود و حكم غير الأنبياء في مثل هذه الأمور خلاف حكم الأنبياء فإن الأنبياء و إن شاهدوا هؤلاء في حال شهودهم للوجه الذي أرادوه من الله تعالى بدعائهم و إنهم من حيث إنهم أرسلوا لمصالح العباد لا يتقيدون بهم على الإطلاق و إنما يتقيدون بالمصالح التي بعثوا بسببها فوقتا يعتبون مع كونهم في مصلحة مثل هذه الآية و مثل آية الأعمى الذي نزل فيه عَبَسَ وَ تَوَلَّى فإن رسول الله ص ما أعرض عن الأعمى الذي عتبة فيه الحق إلا حرصا و طمعا في إسلام من يسلم لإسلامه خلق كثير و من يؤيد الله به الدين و مع هذا وقع عليه العتب من حقيقة أخرى لا من هذه الجهة فمن ذلك قوله أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى فذكر الصفة و لم يذكر الشخص و الغناء صفة إلهية فما حادت عين رسول الله ص إلا إلى صفة إلهية لتحققه ص بالفقر فأراد الحق أن ينبهه على الإحاطة الإلهية فلا تقيده صفة عن صفة فليس شهوده ص لغني الحق في قوله فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ بأولى من شهوده ص لطلب الحق في قوله وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و أين مقام الغناء من هذا الطلب و قوله وَ أَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً فغار عليه سبحانه أن تقيده صفة عن صفة بل كان يظهر لأولئك من البشاشة على قدر ما يليق بهم و يظهر للأعمى من الفرح به على قدر ما تقع به المصلحة في حق أولئك الجبابرة فإن التواضع و البشاشة محبوبة بالذات من كل أحد فإنها من مكارم الأخلاق و ما زال الله يؤدب نبيه ص حتى تحقق بالأدب الإلهيفقال إن الله أدبني فأحسن أدبيفإن الله له نسبة إلى الأغنياء كما له نسبة إلى الفقراء فالعارف ينبغي له أن لا يفوته من الحق شيء في كل شيء فما أحسن تعليم الله عباده فنحن إذا فتح الله أعين بصائرنا و أفهامنا علمنا أن تعليم الله نبيه ص الآداب مع المراتب إنا أيضا مرادون بذلك التعليم و ننظره في النبي ص كالمثل السائر إياك أعني فاسمعي يا جارة و إن كان هو ص المقصود لله بالأدب فنحن أيضا المقصودون لله بالتأسي به و الاقتداء لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ فكل خطاب خاطب به نبيه ص مؤدبا له فلنا في ذلك الخطاب اشتراك لا بد من ذلك فانظر يا ولي في هذا الذكر ما ذا نتج من الخير الكثير وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَجَزٰاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهٰا فَمَنْ عَفٰا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ»

إن القبيح لأقسام مقسمة ❊ عرفية و التي التشريع بينها
فمن عفا عن مسيء نفسه أنفت ❊ عن الجزاء لأن السوء عينها
فلا تكن بمحل للقبيح لأن ❊ الله بالصفة العليا زينها

قال الله تعالى وَلِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ و إن كان له جميع الأسماء التي يفتقر كل فقير إلى مسماها و لا فقر إلا إلى الله فإنه يقول يا أَيُّهَا النّٰاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَى اللّٰهِ و مع هذا فلا يطلق عليه من الأسماء إلا ما يعطي الحسن عرفا و شرعا و لذلك نعت أسماءه بالحسنى و قال لنا فَادْعُوهُ بِهٰا ثم قال وصية لنا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمٰائِهِ أي يميلون في أسمائه إلى ما ليس بحسن و إن كان في المعنى من أسمائه لكن منع أن يطلق عليه لما ناط به عرفا أو شرعا بأنه ليس بحسن و هنا قال سَيِّئَةٌ مِثْلُهٰا فالسيئة الأولى سيئة شرعية صاحبها مأثوم عند الله و السيئة الثانية الجزائية ليست بسيئة شرعا و إنما هي سيئة من حيث إنها تسوء المجازي بها كالقصاص فيما لك أن تعفو عنه بهذا الشرط فلما رأى أهل الله أنه تعالى أطلق على ذلك اسم سيئة و قال مِثْلُهٰا و من اتصف بشيء من ذلك فيقال فيه إنه مسيء على حد ما سمي تلك سيئة سواء فأنف أهل الله أن يكونوا محلا للسوء فاختاروا العفو على الجزاء بالمثل نفاسة و تقديس نفس عن اسم لم يطلقه الله على نفسه كما أطلق الحسن و نبه على الزهد و الترك للاخذ عليها بقوله وَجَزٰاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ و لم يقل و جزاء المسيء فإن المسيء هو الذي يجازى بما أساء لا السيئة فإن السيئة قد ذهب عينها و هي لا تقبل الجزاء و لو كانت موجودة فإنها لو قبلت الجزاء لزال عينها مثال ذلك إن الجرح الحاصل في الذي تعدى عليه فجرح إذا اقتص من الذي جرحه مثل ما تعدى عليه صار الآخر المجازي مجروحا و ما بريء الأول من جرحه فلو قبلت السيئة جزاء لزال عينها منه و لا يزول فلم يبق الجزاء إلا عين المكلف فإن كانت السيئة فعل المكلف لا مفعوله فقد ذهب عين الفعل بذهاب زمانه فلا يقبل الجزاء لأنه قد انعدم فلم يبق إلا المحل المسيء فأنزل المسيء منزلة السيئة و سمي بها و أضيف الجزاء لي السيئة فللمسيء حكم لسيئة فَمَنِ اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدىٰ عَلَيْكُمْ هذا من أقوم القيل و إن كان القيل الإلهي كله قويما و لكن فيه قويم و أقوم بالنسبة إلينا لأنا قد قدمنا ما من شيء يكون فيه كثرة أمثال إلا و لا بد فيه من التفاضل حتما لأنه لا شيء فوق أسماء الله الحسنى و مع هذا تتفاضل بالإحاطة و عدم الإحاطة و ينزل اسم إلهي عن اسم إلهي و يعلو اسم إلهي على اسم إلهي فالجزاء بالأمثال أبدا و ما خرج عن الوزن و المقدار بالرجحان لا بالنقص فذلك خارج عن الجزاء و لهذا يرجع الحق عليه بعد ما كان له بخلافه في الخير و الحسن فإن الرجحان فيه فضيلة يثنى عليه بها و ما أحسنقول

رسول الله ص في صاحب التسعة فاسمع الولي و قد حكم له بالقصاص أما إنه إن قتله كان مثلهيعني قوله وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فسمي قاتلا بلا شك فتركه وعفا و هذا من السياسة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التّاسع و العشرون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ»

إن الوفاق لمن طيب الأصول لما أتابه الله مما شاءه و شرع

فمن أبى فلخبث في طبيعته يدريه من يفتح الأبواب حين قرع

له بما في غيوب الطبع من عجب من صنعه في الذي أبداه حين صنع

كمن دعاه رسول الله حين دعا فجاءه بالذي قد كان قبل جمع

و جاءه غيره بشطر ما كسبت يداه و الكل فيما في يديه طمع

و لو أكون لما قلنا بقولهما و قلت عبد دعاه ربه فسمع

و بادر الأمر لم ينظر إلى أحد و لا لمن ضر في تأخيره و نفع

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن هذا الذكر كان لنا من الله عز و جل لما دعانا الله تعالى إليه فأجبناه إلى ما دعانا إليه مدة ثم حصلت عندنا فترة و هي الفترة المعلومة في الطريق عند أهل الله التي لا بد منها لكل داخل في الطريق ثم إذا حصلت الفترة إما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأول من العبادة و الاجتهاد و هم أهل العناية الإلهية الذين اعتنى الله عز و جل بهم و إما أن تصحبه الفترة فلا يفلح أبدا فلما أدركتنا الفترة و تحكمت فينا رأينا الحق في الواقعة فتلا علينا هذه الآيات وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتّٰى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ الآية ثم قال وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ فعلمت أني المراد بهذه الآية و قلت ينبه بما تلاه علينا على التوفيق الأول الذي هدانا الله به على يد عيسى و موسى و محمد سلام الله على جميعهم فإن رجوعنا إلى هذا الطريق كان بمبشرة على يد عيسى و موسى و محمد ع بين يدي رحمته و هي العناية بنا حَتّٰى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً و هو ترادف التوفيق سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ و هو أنا فَأَحْيَيْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها و هو ما ظهر علينا من أنوار القبول و العمل الصالح و التعشق به ثم مثل فقال كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ يشير بذلك إلى خبر ورد عن النبي ص في البعث أعني حشر الأجسام من أن الله يجعل السماء تمطر مثل مني الرجالالحديث ثم قال وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ و ليس سوى الموافقة و السمع و الطاعة لطهارة المحل وَ الَّذِي خَبُثَ و هو الذي غلبت عليه نفسه و الطبع و هو معتنى به في نفس الأمر لاٰ يَخْرُجُ إِلاّٰ نَكِداً مثلقوله إن لله عبادا يقادون إلى الجنة بالسلاسلو قوله وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً فقلنا طوعا يا إلهنا و اعلم أن الله تعالى لما خلق هذه النشأة الإنسانية لعبادته و أنشأها ابتداء في ضعف و افتقار فكانت عبادتها ذاتية و ما زالت على ذلك إلى أن رزقها الله القوة و أظهر لها الأسباب الموجبة للقوة إذا استعملتها و احتجب الحق من ورائها فلم تشاهد إلا هي و غابت عن

الحق تعالى فلم تشهده فناداها سبحانه من خلف تلك الأسباب بما كلفها به من الأعمال و سمي تلك الأعمال عبادة لتتنبه بذلك على أصلها فإنها لا تنكر عبوديتها لأن العبودة لها ذاتية ذوقا و بقي لمن مع معاينتها الأسباب التي تجد عندها دفع ضروراتها فهي تقبل عليها طبعا و ترى الذي دعاها إليه غيبا فتعلم إن ثم ظاهرا و باطنا و غيبا و شهادة و تنظر في نفسها فتجدها مركبة من غيب و شهادة و أن الداعي منها إلى الحاجة غيب منها فإن تقوت عليها مناسبة الغيب على الشهادة كانت البلد الطيب الذي يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ فسارعت إلى إجابة الداعي و هي من النفوس الذين يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَهُمْ لَها سابِقُونَ لأنها رأت الأسباب مختلفة و أي سبب حضر منها أغناها عن سبب آخر فعلمت أنها مفتقرة بالذات إلى أمر ما غير معين فتعتمد عليه و هي قد شاهدت الأسباب و علمت قيام بعضها عن بعض و تستغني ببعضها عن بعض و يغيب في وقت فلا يقدر عليه و يحضر في وقت فخطر لها ما خطر لإبراهيم الخليل ع إني لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ و رأت أيضا أنها تخلق بعض أسبابها الموجبة استعمالها لدفع ضروراتها بما تتكلفه من الأعمال الموجبة لوجود ذلك السبب الذي تركن إليه فأنفت أن يتعبدها من له في وجوده افتقار إليها فأشبهها فأرادت الاستناد إلى غني لا افتقار له لعزة نفسها و شموخ أنفها و ما جعل الله في طبعها من طلب العلو في الأرض و الشفوف على الجنس فقالت أجيب هذا الداعي الغائب حتى أرى ما هو فلعله عين ما أطلبه فامتثلت أمر ما دعاها إليه و عملت عليه فأشرقت أرضها بِنُورِ رَبِّها فكانت البلد الطيب الذي يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ و نفس أخرى على النقيض منها رجحت الشهادة على الغيبو أعمتها الحاجة عن اختلاف الأسباب و قيام كل سبب عن الآخر و قالت لعل هذا الغيب الذي دعاني إليه يكون مثل الشهادة كثيرين يغني الواحد منهم عن الآخر فأبقى على حالتي و لا أتعب ذاتي في مظنون فتثبطت عن إجابة الداعي ثم إن الله بحكمته في وقت قطع عنها الأسباب كلها و اضطرها فلما لم تجد سببا تستند إليه ظاهرا جنحت إلى ذلك الغيب الذي دعاها لعل بيده فرجا يخرجها من الضيق الذي تجده فأجابته مضطرة و هو البلد الَّذِي خَبُثَ ف لا يَخْرُجُ نباته إِلَّا نَكِداً قال تعالى وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ فنبه على موضع انقطاع الأسباب ضَلَّ من تَدْعُونَ يعني الأسباب إِلَّا إِيَّاهُ فكان هو السبب الذي ينجي فلما نجاه الله و أغاثه و استقل قال هذا أيضا من جملة الأسباب التي يقوم بعضها عن بعض فيما نريده فجعله واحدا من الأسباب و هو المشرك فما خرج إلا نكدا و لهذا سارع في الرجعة إلى السبب الظاهر فتميز الفريقان و إنما كان فريقان في العالم بهذه المثابة لما حكم به الأصل فإن الأصل فيه جبر و اختيار فبالاختيار لم يزل يسقط من الخمسين صلاة عشرا عشرا حتى انتهى إلى خمسة و بعدم الاختيار أثبتها خمسة و قال ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ و كان الجبر له ما أعطاه المعلوم فلم يتعد علمه فيه و الذين يلجئون فيه إلى الله في حال الاضطرار الكلي استنادهم من حيث لا يعلمون إلى هذا الأصل في الحكم و الفريق الآخر استناده إلى حكم الاختيار في أنه تعالى فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ فأهل الضرورة في الرجعة أحق و أهل الاختيار في الرجعة أوفق و أسعد فالذي خرج نكدا له من الأحوال الإلهية قوله تعالى ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نسمة المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بد له من لقائيقول لا بد أن أميته على كره مني و هو المعلوم الذي جعلني في هذا لأني علمت منه وقوع هذا فلو لا حصول العلم عنده من الممكنات كما

هي في أنفسها عليه ما صح تردد و لا فعل ما فعله أو بعض ما فعله على كره فانظر فيما أعطاه هذا الذكر من العلم القريب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي ثلاثين و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّٰاسِ وَ لاٰ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّٰهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مٰا لاٰ يَرْضىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَ كٰانَ اللّٰهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً»

الجهل بالله عين الجهل بي و لذا ستَرت نفسي عن مثلي و أشكالي
و قد علمت بأن الله ينظرني على الذي قال لا تخطره بالبال
فما الجواب إذا قال الجليل لنا لما فعلتم فقلنا له الحكم للحال
الحال موهبة و أنت واهبها هلا حفظت وجودي حفظ أمثالي
فلا تلمني و لم من أنت تعرفه و أنت تدريه رب القيل و القال

اعلم أيدنا الله و إياك بروح منه أن الجهل بالله إنما كان من جهلك بك فإن الله ما جعل دليلا على العلم به إلا علمك بك فجعل الآية في نفسك و قال النبي ص المترجم عنه من عرف نفسه عرف ربه و ما أحسن ما قال تعالى يَسْتَخْفُونَ مِنَ النّٰاسِ فإنهم مجبولون على النسيان وَ لاٰ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّٰهِ الذي لا يضل و لا ينسى و كان الأولى لو صح عكس القضية إلا أنه لا يصح أن يستخفي شيء عن الله و السبب الموجب للاستخفاء عن الناس ما علموا منهم من الحب في ظهور التحكم فيهم بقدر الحال و الاستطاعة و بما فيهم من حب الثناء الحسن و طلب المحمدة فإذا اطلعوا على هذا الذي أشرنا إليه من العمل سقطت حرمة العامل من قلب الذي يراه و قام عليه لسان الذم منه و سبب ذلك الجنسية و مع كونه يعلم أن الله يحيط به علما لكن يرى هذا العامل أن الأسماء الإلهية تتحاور فيه في حال هذا العمل و لا سيما الاسم الحليم و الصبور و يعلم أن الاختفاء منه محال فلا بد من إتيان ما أتى به فإن كان مؤمنا أتاه على كره فأشبه قبض الحق بالموت نسمة المؤمن على كره فيجد في مثل هذا اتساعا يجول فيه حتى أنه ربما قال في سوية الحق في ذلك و لا يقول مثل هذا إلا غير أديب أ لا تراه يقول تعالى في تمام هذه الآية وَ كٰانَ اللّٰهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ينبه أن هذا العمل الذي هو فيه قد أحطت علما به من نفسي من حيث كرهت أشياء لا بد من أني أوجدها و أحببت أشياء و إنما قال ذلك لإقامة عذر عبده المؤمن فإنه ما يكره فعل ما يستخفي منه و يستخفي بسببه إلا المؤمن بأن هذا لا يجوز عمله شرعا فالإحاطة من الله بالأشياء مثالا ذوق فينا و هو أن تعلم الأشياء منك أي إنك قد اتصفت بها ذوقا و كثير بين من يكون ذلك المعلوم حاله و بين من لا يكون فإنه ما هو منه على علم صحيح و قوله من أنه مما لاٰ يَرْضىٰ مِنَ الْقَوْلِ و هو الجهر بالسوء من القول فإن الله لا يحب الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ فإن الحكم بكونه سوء ما علم لا من القول إذ لو لا لقول ما وصل علمه إلينا فالقول بالسوء بطريق التعريف إنه سوء قول خير يحب الجهر به لأنه تعليم حتى لا يجهر به عند الاستعمال إذا قضى الله على المكلف استعمال هذا فما في الكون حكم ظاهر في عمل إلا و له مستند إلهي

يستند إليه و ذلك المستند إليه إن كان خيرا زاد له في الأعطية أَضْعافاً مُضاعَفَةً و إن كان شرا شفع فيه ذلك المستند و أقام عذره عند الله فلهذا كان مال العباد المكلفين إلى الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّٰ كُنّٰا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ»

العبد في الشأن و الرحمن في الشأن و شأن ما هو فيه الحق من شأني
فينبغي لي أن أفني مدى عمري في شأنه فأجازي الشأن بالشأن
لولاه ما نظرت عيني إلى أحد لعلمنا أنه عيني و إنساني
إني لأنسي وجودي عند رؤيته و ما نسيت بل النسيان أنساني

هذا هجير لزمته سنين كثيرة حتى ما كنت اسمي إلا به مما كنت مستهترا به متحدا و رأينا له بركات لا أحصيها و هو الذي أطلعت منه على المراقبة فكنت رقيبا على نفسي نيابة عن الله حين أمرها أن تكون على وصف خاص معلوم في الشرع المطهر المنزل على لسان المعصوم ص و رقيبا على آثار ربي فيما يورده على قلبي و في جميع حركاتي و سكناتي و رقيبا أيضا على ربي بموازنة حده المشروع في عباده فكنت أقيم الوزن بين أمره و نهيه و بين إرادته لأرى مواقع الخلاف ممن خالف و الوفاق ممن وافق و ما جعلني في ذلك إلا ما شيب رسول الله ص و ما هو عندي إلا قوله فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ فإذا وافق الأمر الإرادة كانت الاستقامة كما أمر و حصل الوفاق و إذا لم يوافق الأمر الإرادة وقع ما حكمت به الإرادة و لم يكن للأمر حكم في المأمور و علمنا عند ذلك ما هو الأمر الإلهي الذي لا يعصى و من هو المخاطب و ما هو الأمر الإلهي الذي يعصى في وقت فلم نجده إلا الأمر بالواسطة و هو على الحقيقة أمر لفظي صوري فهو صيغة أمر لا حقيقة أمر و أن المأمور بالأمر الإلهي الذي لا يعصى إنما هو المخاطب عين الممكن الذي توجه من الحق عليه الإيجاد بأن يقول له كُنْ فَيَكُونُ و لا بد فهذا هو الأمر الذي لا يعصيه المخاطب أصلا و إنما الإنسان المكلف هو محل ظهور هذا المكون كما إن المكون محل التكوين فيقول للشهادة كن فتكون الشهادة و ما لها محل إلا لسان الشاهد و هو القائل فننسب الشهادة إلى من ظهرت فيه ليس له فيها تكوين و إنما التكوين فيها لله في هذا المحل الخاص و هكذا جميع أفعال المكلفين و كون ذلك الفعل طاعة أو معصية ليس عينه و إنما هو حكم الله فيه فكنت أشاهد تكوين الأشياء في ذاتي و في ذات غيري أعيانا قائمة ذاكرة لله مسبحة بحمده مع كونها ينطلق عليها اسم معصية و طاعة فطلبت من الله مسمى المعصية هل له عين وجودية أو لا عين له و هل بينه و بين مسمى الطاعة فرقان أم الحكم سواء ف إِنَّ اللهَ لاٰ يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ و ما يتكون شيء إلا عن أمره فهل للمعصية تكوين أم لا فاطلعنا على إن مسمى المعصية إنما هو ترك و الترك لا شيء و لا عين له فوجدناها مثل مسمى العدم فإنه اسم ليس تحته عين وجودية فإن الشأن محصور في أمر لا يفعل أو نهي لا يمتثل و غير ذلك ما هو ثم فإذا قيل لي أَقِمِ الصَّلاٰةَ فلم أفعل فعصيت و خالفت أمر الله فما تحت قولي لم

أفعل و خالفت إلا أمر عدمي لا وجود له و كذلك في النهي إذا قيل لي لا تفعل كذا مثل قوله تعالى لاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فلم أمتثل نهيه و مدلول لم أمتثل عدم لا عين له في الوجود لأنه نفي فاغتبت و معنى فاغتبت أي ظهر في محلي عين موجودة أوجدها الحق بالأمر التكويني و هو القول الموجود في لساني على طريق خاص يسمى الغيبة فامتثل ذلك المقول في لساني أمر سيده و موجدة بالإيجاد و ما أضيف إلي منه إلا كوني لم أمتثل نهيه فانتفى عن محلي الامتثال فما أخذ نفي الوجهين إلا بأمر عدمي و هو ترك الأمر و النهي و لا بد لي في كل نفس أن أكون في شأن و ذلك الشأن ليس لي فإن الشأن الظاهر في وجودي إنما هو لله و هو قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و فينا تظهر تلك الشئون و أعياننا أيضا من تلك الشئون و الله شهيد على ما يخلق منا و فينا و قوله إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ هو ما جعل فينا من الإرادة الاختيارية في عين الجبر فإنا محل لما يخلق فينا فالمكلف مجبور في اختياره ثم خلق فينا المعنى الذي أوجب حكمه علينا أن نكون به مفيضين في ذلك الشيء المعبر عنه بالشأن و ما عرفنا بهذا الشهود منه إلا لنعلم صورة الأمر حتى نكون من أمرنا على بينة من ربنا فإنه ما أمر نبيه ص إلا بطلب الزيادة من العلم فإن العلم بالأمور سبب الحياة المزيلة لموت الجهالة و الحياة نعيم فالعالم و الناصح نفسه من لا ينسى الله في شئونه و يكون مراقبا له تعالى عند شهوده فيرى ما يصدر عنه فيه و في غيره في السماء و الأرض و الملإ الأعلى و الأسفل ثم يرى أنه جميع ما رأى من شئونه بهوية الحق لا بصفة الحق فرأى هويته تعالى عين صفته فما رآه إلا به هذا أعطته هذه المراقبة و هذا هو حكم الدهر الذي نهينا عن سبه فإن الله هو الدهر ليس غيره

و دع الدهر يحكم ❊ خذ من الدهر ما صفا
العلي المقدم ❊ إنما الدهر ربنا
مفصح لا يعجم ❊ حاكم بالذي يرى
يكون المكلم ❊ كلما قال كن لشيء
أنا بالأمر أعلم ❊ فتأدب و لا تقل
راجع فلتسلموا ❊ فإلى الله أمرنا
و هو للأمر أحكم ❊ فهو بالأمر أعلم

فقد بان لك الأمر بارتفاع الحجب و عرفت الحجب و مسمى الوفاق و الخلاف و علمت من رأى و بمن رأيت و من أنت و ما هو من طريق الوجود فإنه سبحانه لا يقال فيه إن له ماهية و إن سئل عنه بما فالجواب بصفة التنزيه أو صفة الفعل لا غير ذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله إِنَّ الصَّلاةَ كٰانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتٰاباً مَوْقُوتاً»

إن الصلاة لها وقت تعينه ❊ شمس و آثارها فالحكم للشمس

فانظر إليها بعين القلب إن شرقت أو أشرقت لا بعين الحس و النفس
فظهرنا لزوال الشمس في فلكي و عصرنا لانضمام العقل و الحس
و مغرب لغروب الحق عن نظري و ذلكم لارتفاع الشك و اللبس
إن الأفول دليل يستدل به لكي يفرق بين العلم و الحدس
ثم العشاء إذا ما حمرة ذهبت ذهاب من أعدم الأشياء بالحس
وعند ما انفجرت أنوارها و بدت كأنها خرجت من ظلمة الرمس
و عاد مغربها شرقا بها فزهت و عاد مطلعها للعرش و الكرسي
ناجيته في شهود لا انقطاع له مؤيد بين حصر الجهر و الهمس
و هذه خمسة في العد حافظة وليس يحفظ أكواني سوى الخمس

قال الله سبحانه و تعالى حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ و ليست سوى هذه الخمس الموقتة المعينة المكتوبة و كما أن الخمسة تحفظ نفسها و غيرها الذي هو العشرون و هو ثاني عقد العشر من العشرة و العشرة أول العقود و أقل ما يكون العقد بين اثنين فكذلك الصلاة قسمها الحق نصفين نصفا له و نصفا لعبده و جعلها بين تحريم و تحليل فإذا شرع فيها العبد لم يصرف ذاته إلى غيرها من الأعمال بخلاف غيرها من الأعمال المشروعة فحفظت نفسها حتى تسمى صلاة فإن في الصلاة شغلا و حفظت غيرها و هو المصلي ليبقى عليه اسم المصلي و حكمه فلهذا شرعها الله خمسة فعين الوقت فإن قال قائل بالوتر إنه زائد على الخمسة فتكون ستا قلنا فما زاد إلا من يحفظ نفسها و هي الستة و هي أول عدد كامل فما زاد إلا بما يناسب فيالحفظ فلذا قال السائل هل على غيرها يعني الخمس قال لا إلا أن تطوع وجمع له في الصلاة بين الجهر و السر أعني في القراءة وجمع له أيضا بين القول و الفعل و الحال و إلهيات في الحركات من قيام و ركوع و سجود و جلوس و أثنى على من أتى بهن لم يضيع من حقهن شيئًا بالدوام عليها و الخشوع فيها و أعطاها الليل و النهار حتى يعم الزمان بركتها و قد بينا من أسرارها ما شاء الله في باب الصلاة من هذا الكتاب و كذلك بينا أيضا من شأنها في كتاب التنزلات الموصلية لنا ثم إن الله شرع طهارة لها مائية و ترابية فإن النشء الإنساني لم يكن إلا من تراب كآدم و ماء كبني آدم فقال خَلَقَكُمْ من تُرابٍ و من ماءٍ و من طِينٍ و هو خلط الماء بالتراب فجعل الطهارة للصلاة بما منه خلقنا فطهارتنا منا من ماء و هو الوضوء و تراب و هو التيمم فنحن نور على نور بحمد الله و ما كتب الله هذه الصلاة إلا على المؤمنين وليس المؤمن سوى المصدق بأحدية الكثرة الإلهية لما هي عليه من الأسماء الحسنى و الأحكام المختلفة من حيث إن كل اسم إلهي يدل على الذات و على معنى ما هو المعنى الآخر الذي يدل عليه الاسم الآخر فله أحدية العين فهو مؤمن أيضا بأحدية العين كما هو مؤمن بأحدية الكثرة فمن لم يكن له هذا الايمان و إلا فليس هو المؤمن الذي كتب الله عليه هذه الصلاة و إنما كتبها على المؤمن دون العالم لعموم الايمان فإن المؤمن هو عين المقلد لأنه

المصدق بالخبر لما تعطيه حقيقة الخبر من الاحتمال فأبقى الخبر على أصله فالعالم من علمه بالأمور على ما هي عليه أن لا يزيل الخبر عن احتماله بالنظر إلى ذات الخبر فهو عالم بصدق هذا الخبر المعين لأن الخبر و إن اقتضت ذاته الاحتمال فإنه لا بد أن يكون في نفسه موصوفا بأحد الاحتمالين إما صدق و إما كذب و لا يعرف ما هو عليه من هذين الوصفين إلا بدليل فهذا هو حظ العالم فقد صدق به العالم أنه صدق لا كذب أعني هذا الخبر المعين و قلده في هذا التصديق المؤمن فالمؤمن العالم قام له دليل العلم على إن المخبر صادق و أن هذا الخبر المعين صدق فهو مؤمن بلا شك و أعطى العالم نفسه الأمان أن ينقلب العلم جهلا و صدق المقلد العالم فيما أخبره به من صدق هذا الخبر فاشترك الكل في نعت الايمان فلو كتبها الله على العلماء دون المؤمنين لما وجبت على المقلدين و العلماء لهم صفة الايمان فكتب على الوصف العام و لو لا الحق تعالى ما نزل إلى عباده ما وصفهم تعالى بالعلم به و لا بالإيمان فهم أحق بالعلم به من علمه به فإن علم الخلق به علم اضطرار و افتقار ذاتي لما تعطيه ذات الممكن من الاستناد إلى المرجح فبنزوله إلينا عرفناه فهو يظهر بنا و لا يتمكن لنا أن نظهر به فيجمع سبحانه بين نعت السادات و العباد و لا يتمكن للعباد أن يكونوا أربابا في أنفسهم و إن ظهروا بنعوت سيدهم و إنما كلامنا في نفس الأمر لا فيما يجدونه في أوقات فما هو له تعالى فمعلوم من القسمة و ما هو للعبد فمعلوم و ما وقع فيه الاشتراك فما هو لله فهو لله في عين الاشتراك و ما هو للعبد فهو للعبد في عين الاشتراك فهو في نفس الأمر معين و إن وقع الاشتراك فليس إلا في الألفاظ الدالة على الاشتراك و أما في نفس الأمر فلا اشتراك بوجه من الوجوه فإن كل واحد على نصيبه المعين له و إن لم يكن الأمر كذلك اختلطت الحقائق وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى‏ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ و قليل أيضا ما هم فكل مصل أدى صلاته لوقتها و لم يطلع و لا أنتج له معرفة بسر القدر الذي قد أومأنا إليه في هذا الكتاب في مواضع كثيرة مختلفة بطرائق عجيبة فما صلى الصلاة لوقتها و ذلك أن الله ما شرع هذه العبادات لإقامة نشأة صورتها الظاهرة بل لما تدل عليه و تعطيه من جانب الحق من المعرفة به و إن لم تكن الصورة قد نفخ القائل فيها روحا تحيي به و لا ينفخ فيها روحا إلا بإذن ربه كما قال وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فقد شارك كل مصور و ما تعلق به ذم كما تعلق بالمصورين فإنه ما صوره إلا بإذن الله ثم قال فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ فزال من هيأة الطائر و عاد طائرا فكذلك عمل العبد إذا عمله بالإيمان من حيث إن الحق أمره بذلك العمل فقد أذن له في إنشاء تلك الصورة فقد شارك المنافق كما شارك المصورين من خلق من الطين كهيئة الطير فإن المنافق ما أذن الله له أن ينشئ صورة العمل على ذلك الحد و ما أمر الله بإنشاء صور الأعمال إلا للمؤمنين فلما وقع الاشتراك في ظاهر الصورة بين المؤمن و المنافق نفخ المؤمن بإيمانه فيها روحا فعادت حياة لا تشاهد سوى منشئها و هو هذا المؤمن فيجدها يوم القيامة حياة تشفع له و تأخذ بيده و المنافق يجدها ميتة فيقال له أحيها فلا يستطيع و هي حية في نفس الأمر و لكن بإحياء الحق و قد أخذ الله ببصر هذا المنافق عن إدراك حياتها كما أخذ الله بأبصارنا عن إدراك حياة المسمى جمادا و نباتا مع علمنا أنه حي في نفس الأمر إيمانا فإنه مسبح بحمد الله و لا يسبح إلا حي ناطق وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ»

هذا هو الحق الذي لا يجحد — إن الدعاء حجاب من لا يشهد
و هو الذي في كل حال يشهد — و هو القريب بعلمه و بعينه
من قبل ذا أعطاك هذا المشهد — لكنه لما دعاك دعوته
يدعو فمن تدعوه أو من تقصد — فإذا علمت بأنه عين الذي
أن الدعاء هو الحجاب الأبعد — فادعوه أمرا لا تكن ممن يرى

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الله تعالى ما أخبر نبيه ص بقربه من السائلين من عباده بالإجابة فيما يسألونه فيه إلا و قد ساوانا في العلم بالله من هذا الوجه و لو كان هذا القرب الإلهي في الإجابة قربه في المسافة التي ذكر عنها أنه أقرب إلى الإنسان من حَبْلِ الْوَرِيدِ لاكتفى و ذلك لأنه لا يلزم من هذا القرب السماع كما لا يلزم من السماع في السؤال الإجابة فحصل من الفائدة بهذا التعريف ثلاثة أمور القرب و السماع و الإجابة فلم يترك لعبده حجة عليه بل لله الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ فإذا أقيم العبد في هذا الذكر فأول ما ينتج له الزهد فيما سوى الله فلا يتوسل إليه بغيره فإن التوسل إنما هو طلب القرب منه فقد أخبرنا الله تعالى أنه قريب فلا فائدة لهذا الطلب و خبره صدق ثم أخبر أنه يجيب سؤال السائلين فهو إخبار بأن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ و أخبر بالإجابة ليتحفظ السائل و يراقب ما يسأل فيه لأنه لا بد من الإجابة فقد يسأل العبد فيما لا خير له فيه لجهله بالمصالح فهو تنبيه من الله و تحذير أن لا يسأل إلا فيما يعلم أن له فيه الخير الوافر عند الله في الدنيا و الآخرة فمن أخذ هذا الذكر على جهة التنبيه فلم يسأل الله تعالى في حاجة من حوائج الدنيا على التعيين و لكن يسأل فيما له فيه خير مما يعلمه الله مبهما لا يعين فإذا عين و لا بد فليسأل فيه الخيرة و سلامة الدين و أما تعيينه في السؤال فيما يرجع إلى أمر الدين فليعين ما شاء و لا مكر فيه و لا غائلة الإجابة لأكثر الناس فيما يسألون فيه ربهمفاعلم إن الله أخبر أنه يجيب دعوة الداع إذا دعاه و ما دعاؤه إياه إلا عين قوله حين يناديه باسم من أسمائه فيقول يا الله أو يا رب أو رب أو يا ذا المجد و الكرم و ما أشبه ذلك فالدعاء نداء و هو تأيه بالله فإجابة هذا القدر الذي هو الدعوة و بها سمي داعيا أن يلبيه الحق فيقول لبيك فهذا لا بد منه من الله في حق كل سائل ثم ما يأتي بعد هذا النداء فهو خارج عن الدعاء و قد وقعت الإجابة كما قال فيوصل بعد النداء من الحوائج ما قام في خاطره مما شاءه فلم يضمن في هذا الذكر إجابته فيما سأل فيه و دعاه من أجله فهو إن شاء قضى حاجته و إن شاء لم يفعل و لهذا ما كل مسئول فيه يقضيه الله لعبده و ذلك رحمة به فإنه قد يسأل فيما لا خير له فيه فلو ضمن الإجابة في ذلك لوقع و يكون فيه هلاكه في دينه و آخرته و ربما في دنياه من حيث لا يشعر فمن كرمه أنه ما ضمن الإجابة فيما يسأل فيه و إنما ضمن الإجابة في الدعاء خاصة كما بيناه و هذا غاية الكرم من السيد في حق عبده حيث أبقى عليهم ثم إن هذا الذكر إذا أنتج له سماع الإجابة الإلهية فإنه لا بد لصاحب هذا الذكر أن يسمع الإجابة و لكن ذوقهم في السماع مختلف فقد يكون إسماع واحد غير إسماع الآخر و لكن لا بد من علامة

يعطيها الله لهذا الذاكر يعلم بها أنه قد أجاب دعاءه و معلوم أنه أجاب دعاءه و إنما أريد أنه يعلمه أن الذي سأل فيه قد قضى و إن تأخر و أعطى بدله على طريق العوض لما له في البدل من الخير و قد يكشف له عن خواص الأحوال و الأزمنة و الأمكنة التي توجب قضاء حاجة الداعي فيما سأل فيه و إن لم يكن له فيه خير و يعود وباله عليه فيكون ممن جنى على نفسه فإذا كشف الله له مثل هذا يتحرز في الدعاء و فيما يدعو فيه و كذلك يكشف له بخاصية ما يدعو به من الأسماء و الكلمات ألا ترى ابن باعورا و كان قد آتاه الله العلم بخاصية آية من آياته فدعا بها على موسى ع و قومه فأجابه الله فيما دعا فيه و شقي هو في نفسه و سلب الله عنه علم ذلك و هو قوله تعالى وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا الآيات و جعل مثله كَمَثَلِ الْكَلْبِ فيكشف الله لصاحب هذا الذكر علم هذا عناية منه به فإن في ذلك مكرا إليها من حيث لا يشعر و لا سيما و النفس مجبولة على حب الشفوف على أبناء الجنس و إظهار قدرها عند الله و لهذا أكابر الأولياء أخفياء أبرياء لا ترى عليهم من أثر المكانة و التقريب ما تحتد من أجله أبصار الخلق إليهم بل لا فرق بينهم و بين العامة و الذين ملكتهم الأحوال لهم خرق العوائد و الظهور و لكن لا يفي ذلك بما فيه من المكر و الاستدراج فإنه في غير موطنه ظهر ممن لا يجب عليه الظهور به و هو الولي و أصعب ما في الأمر أن يذوق في ذلك طعم نفسه فإن صاحبه لا يفلح أبدا و لو صرف الكون و العالم على حكمه فإذا سألتم الله فاسألوه التوفيق و العافية و العناية في تحصيل السعادة وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإن العلم يأبى إلا السعادة فإن الله ما أمر نبيه بطلب الزيادة منه إلا و قد علم إن عين حصول العلم المطلوب هو عين السعادة ما فيه مكر و لا استدراج أصلا و ما هو إلا العلم بالله خاصة لا العلم بالحساب و الهندسة و النجوم و لو علم ذلك لكان علم دلالة على علم بالله فلم يعطه الله ذلك للوقوف عنده فهذا ذكر عظيم الفائدة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب الرابع و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)

فذاك بشارة الرب الكريم ... إذا هيئت للخلق العظيم

بآيات العناية للعليم ... أتاك بها رسول الحال يسعى

كما قام الحديث من القديم ... فقمت بها مقام الحق فيها

و كنت الوجه بالخلق العظيم ... فحق لك الثناء بكل وجه

يزل ندعوه بالبر الرحيم ... فأنت الوارث الفرد الذي لم

أتتك به مؤاخاة الكليم ... لك العلم الذي ما فيه ريب

و تدعى بالحميم و بالقسيم ... فتدعى بالخليل و بالنديم

هذه الآية تليت علينا تلاوة تنزل إلهي من أول السورة إلى قوله زَنِيمٍ عرفنا الحق في هذه التلاوة المنزلة من عند الله في المبشرة التي أبقى الله علينا من الوحي النبوي وراثة نبوية لله الحمد ورثته فيها من قوله وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ و في قوله وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِما يَقُولُونَ و

قوله فَأَعْرِضْ عَنْ من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَياةَ الدُّنْيا فشكرت الله على ما حققني به من حقائق الورث النبوي و أرجو أن أكون ممن لا ينطق عن هوى نفسه جعلنا الله منهم فإن ذلك هو عين العصمة الإلهية فإذا أراد الله بصاحب هذا الذكر خيرا ألهمهحديث عائشة في رسول الله ص لما سألت عن خلق رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآنتريد هذه الآية و كل شيء عظمه الله يتعين تعظيمه على كل مؤمن فينظر صاحب هذا الذكر في القرآن فكل نعت فيه قد مدحه الله و مدح به طائفة من عباده كانوا ما كانوا فيعلم إن ذلك صفة مدح إلهي فليعمل على الاتصاف بتلك الصفات و إذا ذكر الله في القرآن صفة ذم بها طائفة من عباده كانوا ما كانوا تعين عليه اجتنابها فيأخذ القرآن منزلا فيه كان الحق ما خاطب به غيره فإذا فعل مثل هذا كان خلقه القرآن و عظمه الحق فعظم حيث تنفع العظمة و مكارم الأخلاق معلومة عقلا و عرفا و التصرف بها و فيها معلوم شرعا فمن اتصف بها على الوجه المشروع و زاد تتميم مكارم الأخلاق و هو إلحاق سفسافها بها فتكون كلها مكارم أخلاق بالتصرف المشروع و المعقول فقد اتصف بكل ثناء إلهي و صاحب هذا الذكر يفتح له في معاني آيات السورة التي نزل فيها على أكمل الوجوه و لا يزال محسودا و بالعداوة مقصودا و ينكشف له أمر الآخرة عيانا و من هذه السورة علم رسول الله ص علم الأولين و الآخرين وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله قوله جل ثناؤه و تقدست أسماؤه الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ»

هم أهل كل فضيلة في العالم	الذاكرون بكل حال ربهم
فهم الملوك على الوجود الدائم	لا يشهدون سواه في أعيانهم
في راقد أو قاعد أو قائم	قاموا بحق الله لا بحقوقهم
هذا المقام من الآلة الحاكم	حازوا الكمال فلم يكن لسواهم
بوجودهم و وجود كل العالم	لهم التفكر في تعلق وصفه

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الأصل في الخلق حالة الرقاد حتى يكون الحق يقيمه إما لجلوس فينال نصيبا من الرحمة قال تعالى وَكُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ و إما لقيام فينال نصيبا من آية قوله تعالى أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ يقول الله تعالى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و قال الله لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ و اختلف العلماء من أصحابنا في التخلق بالقيومية هل يصح أو لا فعندنا إنه يصح التخلق بها مثل جميع الأسماء و قال الله الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ و لقيت أبا عبد الله بن جنيد لما جاء إلى زيارتنا بإشبيلية فسألته في ذلك فقال يجوز التخلق بها يعني بالاسم القيوم ثم منع من ذلك و ما أدري ما سبب منعه يقول الله تعالى الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ و كان هذا أعني أبا عبد الله بن جنيد القبرفيقي ضيعة من أعمال رندة ببلاد الأندلس فلم أزل به ألاطفه في أصحابه و أتباعه بقريته لكونه كان

معتزلي المذهب حتى انكشف له الأمر فرجع عن مذهب الاعتزال القائلين بإنفاذ الوعيد و بخلق الأفعال و عرف محل ذلك فأنزله في موضعه و لم يتعد به رتبته و شكرني على ذلك و رجع لرجوعه جميع أصحابه و أتباعه و حينئذ فارقته فهذا ذكر الأحوال لا يقف عند ذكر خاص و إنما هو بحسب الحال و من حاز هذه الأحوال الثلاثة فقد حاز الوجود فالآية التي تعم جميع الأحوال في الذكر قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ هذا هو الذكر العام الذي يعم جميع الأحوال و بقي ذكر التخصيص فذكر القائم الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ و ذكر القاعد أَ أَمِنْتُمْ من فِي السَّمٰاءِ و ذكر الجنب وَ فِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ و هذا كله فيه خلاف أعني في تأويله بين العلماء فاجمع همك على أمر واحد حتى يزول عنك التبديد فإن شئت راقبت الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ و إن شئت راقبت أَ أَمِنْتُمْ من فِي السَّمٰاءِ و كونه في السماء يقول هل من تائب هل من مستغفر هل من داعو إن شئت راقبت وَ هُوَ اللّٰهُ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ و إن كان طعامك ثريدا فراقب وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و كينونتنا تعم حسا و معنى فبالحس حيث نحن من الأرض و حيث نحن فيه من الشغل بالجوارح و معنى حيث كنا بالهم و المقاصد و الخواطر فنشهده في الشغل فاعلا و في القصد قاصدا أيضا فنعكس الأمر فنكون بحيث هو فإنا بحيث ما نحن عليه و ليس إلا هو

و كن في أكمل الحالات ترشد ❊ فكن في أحسن إلهيات تسعد
تكن في حكم من يقضي فيقصد ❊ و كن بالحال لا بالقول فيه

و هذا القدر من الإيماء نصيحة إلهية لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره وَ مَنْ كٰانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيٰا نُؤْتِهِ مِنْهٰا وَ مٰا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»

و أنت حارثه و الرزق مقسوم ❊ الحرث حرثان محمود و مذموم
فإن حرثت لها فأنت مذموم ❊ لا تحرثن لدنيا أنت تتركها
و احرث لباقيه فالأمر مفهوم ❊ لا تحرثن لما يفنى فلست له
تزول عنك فمكر الله معلوم ❊ واحذر من الركن لا تركن لفانية
فلا تثق بوجود فهو معدوم ❊ من حيث علمك يأتيك إلا له به
كمثل من هو بالخيرات موسوم ❊ و احرث لآخرة إن كنت ذا نظر

قال الله تبارك و تعالى من جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا و الحسنة حرث الآخرة في الدنيا ف من كٰانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ فنوفقه للعمل الصالح فلا يزال ينتقل من خير إلى خير في خير فمن حسنة إلى حسنة فإذا كسب الآخرة نال ما اقتضاه العمل و الزيادة ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و هو ذوق فهذه زيادة الحرث في الآخرة فينال في الآخرة جميع أغراضه كلها و زيادة ما لم يبلغه غرضه سألت بعض الشيوخ من أهل العلم ما الزيادة في قوله تعالى لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ وَ زِيٰادَةٌ فقال لي الزيادة ما لم يخطر بالبال فعلمت ما أراد فلم

أزده و حرث الدنيا ليس كذلك فإنه منزل لا يمكن في وضع مزاجه أن ينال أحد فيه جميع أغراضه يقول الله تعالى إِنَّكَ لا تَهْدِي من أَحْبَبْتَ و لقد حرص بعمه أبي طالب أن يؤمن فلم يفعل و نفذت فيه سابقة علم الله و حكمه فهذا يقتضيه حال هذه الدار كما إن الآخرة يقتضي حالها نيل جميع الأغراض من غير توقف و أعني بالآخرة الجنة و من دخلها لا أريد يوم الحشر لأن الله يقول في الأشقياء فَما تَنْفَعُهُمْ شَفاعَةُ الشّافِعِينَ و إن القيامة أحكامها مقصورة عليها علمنا ذلك كشفا و إيمانا و أعلم تعالى أن كل شيء عنده خزائنه و ما ينزله في الدنيا إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ فإذا كان في الآخرة عاد الحكم فيما تحوي عليه هذه الخزائن التي عند الله إلى العبد العارف الذي كمل الله سعادته فيدخل فيها متحكما فيخرج منها ما يشاء بغير حساب و لا قدر معلوم بل يحكم ما يختاره في الوقت و هو أن المسعود في الآخرة يعطى التكوين و يكشف له عن نفسه أنه عين الخزانة التي عند الله فإنه عند الله فكل ما خطر له تكوينه كونه فلا يزال في الآخرة خلاقا دائما فارتفع التقدير فهو يتبوأ من الجنة حيث يشاء لا حيث يمشي به فإنه في الجنة ارتفع عنه الافتقار العرضي إلى الأشياء و ما بقي عنده إلا الفقر إلى الله خاصة و إنما ارتفع عن المسعود الافتقار العرضي لما فيه من الذلة و الانكسار و الحاجة و الجنة ليس بمحل لذلك فإن محل ذلك عموما في الدنيا و محله في الآخرة النار و كذلك الذلة فإن الحق لا يتجلى لهم قط في الاسم المذل فلا يذلون أبدا و كذلك لا يتجلى لهم في الاسم العزيز من الوجه الذي لو تجلى لهم فيه لذلوا و إنما يكسوهم الله حلة العزة به على الأمور التي يكونونها لا على أهليهم و لا على من عندهم فلا سلطان لهم و لا عز إلا فيما يتكون عنهم و لا يتكون عنهم شيء إلا منهم فيشهدون الأمر قبل تكوينه فيتعلق بهم إرادة تكوين ذلك الأمر فعين التعلق عين كينونته و ما يتأخر عنه فأمره أسرع من لمح البصر فانظر في هذا المنزل ما أعطاك فيه هذا الذكر من الفوائد الجمة الإلهية و اعلم أن للدنيا أبناء و للآخرة أبناء و للمجموع أبناء و ما نبه غيرنا على أبناء المجموع فالسعيد من جمع بين البنوتين فهو الوارث المكمل و هو القريب البعيد وَ اللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(الباب السابع و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره وَ تَخْشَى النّاسَ وَ اللّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ و هذه آية عجيبة)

أدار أهل الأرض بالأرض ... رأيت في واقعتي إنني
ترفعهم عن عالم الخفض ... لأنهم ليست لهم همة
يفصل بين الأمر و العرض ... فهم حيارى ما لهم فاصل
يقام في السنة و الفرض ... لم يخش خلق الله إلا الذي

قال الله تبارك و تعالى لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْواجِ أَدْعِيائِهِمْ اعلم أن الرجل الكامل واقف مع ما تمسك عليه المروءة العرفية حتى يأتي أمر الله الحتم فإنه بحسب ما يؤمر فإن كان عرضا نظر إلى قرائن الأحوال فإن كانت قرينة الحال تعطيه حكم الأمر الحتم بادر إلى القبول مبادرته إلى الأمر الحتم الذي لا يسعه خلافه و إن كانت قرينة الحال تخيره بقي على الأمر العرفي الذي يشهد له بمكارم الأخلاق و لذلك قال ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ فهو واقف مع حكم الله و هكذا المؤمن الكامل الايمان ما هو مع

الناس و إنما هو مع ما يحكم الله به عليه على لسان رسوله ص الذي بالإيمان به ص ثبت الايمان له فإن النبي ص يقول في حق من يؤمن با لله و يؤمن بي و بما جئت به و ما بعثه الله تعالى إلا ليتمم مكارم الأخلاق فأحواله كلها مكارم أخلاق فهو مبين لها بالحال و هو أتم و أعدل و أمضى في الحكم من القول فإن الحق

و ما لنا نحوه عروج له نزول إلى عباده
يجهله العالم المريج فإنه لم يزل عليا
فلا ولوج و لا خروج من ليس في حيز تراه
يصح فيه لنا الولوج و نحن في حيز و وقت
من كل شيء زوج بهيج لاح بأرض الجسوم عنه

فنسبة المؤمن الكامل و الرسول إلى الخلق نسبة ليلة القدر إلى الليالي و ما أراد بألف شهر توقيتا بل أراد أنها خير على الإطلاق من جميع ليالي الزمان في أي وجود كان

فأنت خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ إذا بدا فيك كل أمر
يذهبها منك نور فجر في ليلة ما لها صباح
يا ليلة القدر فيك قدري ما الروح في كونها سوائي
ينزل الحق كل أمر في ليلة القدر من وجودي

فكان مما نزل وَ تَخْشَى النّاسَ وَ اللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ و ما جعله في ذلك إلا قوله ص لو كنت أنا بدل يوسف لأجبت الداعييعني داعي الملك لما دعاه إلى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ يعني العزيز الذي حبسه فَسْئَلْهُ ما بالُ النِّسْوَةِ ليثبت عنده براءته فلا تصح له المنة عليه في إخراجه من السجن بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ إذ لو بقي الاحتمال لقدح في عدالته و هو رسول من الله فلا بد من عدالته أن تثبت في قلوبهم فلذلك كانت الخشية حتى لا ترد دعوة الحق فابتلى الله نبيه ص بنكاح زوجة من تبناه و كان لو فعله عند العرب مما يقدح في مقامه و هو رسول الله فأبان الله لهم عن العلة في ذلك و هو رفع الحرج عن المؤمنين في مثل هذا الفعل ثم فصل بينه و بينهم بالرسالة و الختم فكان من الله في حق رسول الله ص ما كان من يوسف حين لم يجب الداعي فهذا من هدى الأنبياء الذي قال فيه لرسوله ص حين ذكر الأنبياء ع أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ فلو كان رسول الله ص في الحال الذي كان فيه يوسف ع ما أجاب الداعي و لقال مثل ما قال يوسف فما قال لو كنت أنا لأجبت الداعيإلا تعظيما في حق يوسف كما قال نحن أولى بالشك من إبراهيم و لم يكن في شك لا هو و لا إبراهيم من الشك الذي يزعمونه الذي نفاه رسول الله ص فإنه لو شك إبراهيم لكان محمد أولى بالشك منه فإنه مأموران يهتدي بهداهم فالرسل و المؤمنون

الكمل ما هم واقفون مع ما يعطيهم نظرهم و إنما يقفون مع ما يأتيهم من ربهم و الذي يأتيهم من الله قد يكون كما قلنا أمرا و عرضا فالأمر معمول به و لا بد و في العرض التخيير كما قررنا و أما حالهم في معرفتهم بالله فكما قلنا في قصيدة لنا

معارف الحق لا تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف الأحدا

(و كما قلنا)

فما ذاك إلا الوهم ما ذلك العلم إذا كان مشهودي هو الكيف و الكم
و هل يتجلى الحق فيما له كم بما هو عين الأمر في عين ذاته
و لكنه حق عليه بنا ختم فما هو حق في الحقيقة واضح
و هل عين لفظ قد يكون له الحكم تنزهت بي عن لم و كيف و كم و ما
فما زدت إلا ما يكونه الوهم و هل ثم موجود يصح فإن تزد
كما قد أتى للمؤمنين به الفهم بذاك أتى القرآن إن كنت ناظرا

فهذا ذكر حكيم يعطي من عوارف المعارف و الآداب ما لا يسعه كتاب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ»

من غير موت و لا يدري به أحد المستقيم الذي قامت قيامته
من الخلائق لا أهل و لا ولد و ليس يصرفه عن أمر خالقه
إلا الإله الذي إليه يستند و ما له في وجود الكون مستند
لأنه السيد المحسان و الصمد إليه يرفع من في الكون حاجته
يدري بذلك سباق و مقتصد هو المهيمن لا تحصى عوارفه

قال رسول الله ص شيبتني هود و أخواتها من كل سورة فيها ذكر الاستقامة فإنه و المؤمنين مأمور بها و الحكم للعلم لا للأمر و ما اللهُ بِظَلّامٍ لِلْعَبِيدِ فإنه ما علم تعالى إلا ما أعطته المعلومات فالعلم يتبع المعلوم و لا يظهر في الوجود إلا ما هو المعلوم عليه فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و من لم يعرف الأمر هكذا فما عنده خبر بما هو الأمر عليه فالإنسان جاهل بما يكون منه قبل كونه فإذا وقع منه ما وقع فما وقع إلا بعلم الله فيه و ما علم إلا ما كان المعلوم عليه فصح قوله وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ و الرضاء إرادة فلا تناقض بين الأمر و الإرادة و إنما النقض بين الأمر و ما أعطاه العلم التابع للمعلوم فهو فَعّالٌ لِما يُرِيدُ و ما يريد إلا ما هو عليه العلم و ما لنا من الأمر الإلهي إلا صيغة الأمر و هي من جملة المخلوقات في لفظ الداعي إلى الله تعالى فهي مرادة معلومة كائنة في فم الداعي إلى الله فتنبه و اعتبر وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فمن ازداد علما ازداد حكما فانظر فيما أمرت به

أو نهيت عنه من حيث إنك محل لوجود عين ما أمرت به أو نهيت عنه من حيث إنك محل لوجود عين ما أمرت به فمتعلق الأمر عند صاحب هذا النظر أن يهيئ محله بالانتظا ر فإذا جاء الأمر الإلهي الذي يأتي بالتكوين بلا واسطة فينظر أثره في قلبه أو لا فإن وجد الإبابة قد تكونت في قلبه فيعلم أنه مخذول و أن خذلانه منه لأنه على هذه الصورة في حضرة ثبوت عينه التي أعطت العلم لله به و إن وجد غير ذلك و هو القبول فكذلك أيضا فينظر في العضو الذي تعلق به ذلك الأمر المشروع أن يتكون فيه من أذن أو عين أو يد أو رجل أو لسان أو بطن أو فرج فإنا قد فرغنا من القلب بوجود الإبابة أو القبول فلا نزال نراقب حكم العلم فينا من الحق حتى نعلم ما كنا فيه فإنه لا يحكم فينا إلا بنا كما قلنا

أيها البدر سناء و سنا أيها العذب التجني و الجنا

فاحكم إن شئت علينا أو لنا نحن حكمناك في أنفسنا

عين ما تحكمه فينا بنا فإذا تحكم فينا إنما

و من كان هذا حاله في مراقبته و إن وقع منه خلاف ما أمر به فإنه لا يضره و لا ينقصه عند الله إفضالا من الله لا تحكما عليه عز و جل فإن المراد قد حصل الذي يعطي السعادة و هو المراقبة لله في تكوينه و هذا ذوق لا يمكن أن يعلم قدره إلا من كان حاله و هذا هو عين سر القدر لمن فهمه و كم منع الناس من كشفه لما يطرأ على النفوس الضعيفة الايمان من ذلك فليس سر القدر الذي يخفى عن العالم عينه إلا اتباع العلم المعلوم فلا شيء أبين منه و لا أقرب مع هذا البعد فمن كان هذا حاله فقد فاز بدرجة الاستقامة و بها أمر فإنه أمر بالمراقبة

فيتبع الحكم ما يكون و الصعب من ذلكم يهون

و لذلك لم يكن شيب رسول الله ص بالكثير و إنما كان شعرات معدودة لم تبلغ العشرين متفرقة و قال شيبتني فلو لا هذا الخاطر ما شاب رسول الله ص فلما تبين له الأمر كما قررناه وقف عنه الشيب و لم يقم به همو علم من أين وقع ما وقع فاستقام كما أمر فالله يهدينا صراط من أنعم عليه من النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِينَ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الثلاثون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله فَفِرُّوا إِلَى اللهِ»

كل من فر إلى الله أصاب و الذي فر من الرحمن خاب

استوى عيش الذي قربه و إليه و حلا فيه و طاب

لو ترى حال الذي أشهده عينه حين تجلى في السراب

لرأيت الري من أرجائه خارجا و الساقي من خلف الحجاب

كان ظمآنا فلما جاءه لم يزل صاحب كأس و شراب

لم يجده ماء مزن سائغا إنما كان وجود ثم غاب

و الذي خالف فيه ما أصاب ما حياة الماء إلا عينه

موسى ع لما فر من فرعون حين خاف من الله أن يسلطه عليه لأن الله فَعّالٌ لِما يُرِيدُ فوهبه الله حكما و هي الرسالة فجعله من المرسلين إلى من خاف أن يسلط عليه و هو فرعون فإذا أنتج له هذا الفرار من المخلوق خوفا على نفسه فأين أنت من المحمدي الذي أمرك أن تفر إلى الله فقيدك بحرف الغاية في القصد الأول فربط لك البداية بالنهاية فقال لنا فَفِرُّوا إِلَى اللهِ فالموسوي يفر من و المحمدي يفر إلى عن أمر الله تعالى إياه بذلك الفرار فما أكمل شرعه و ما أعلى رتبته و الحكم منقطع و الرسالة منقطعة و لذلك قال رسول الله ص إن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي فيزول الحكم المشروع بزوال الدنيا و يرجع الحكم إلى الله الذي نفر إليه بلا واسطة فالذي ينتج الفرار إليه لا يقدر قدره فإنه كشف محمدي يربي على كشف الرسل من حيث هم رسل ع فيثبتهم هذا الفار في أماكنهم و يجوز بكشفه فوق رتبة خطاب التكليف فيرى أحدية العين فيقف معها و منها يستشرف على أحدية الكثرة فيرى أيضا نفسه هناك معهم في أحدية الكثرة فيأمرها على بينة من ربه و بصيرة أن تنتظم في سلك المكلفين فتنصرف النفوس المحسوسة هنا من هؤلاء الفارين إلى الله عن أمرهم فتراهم معصومين محفوظين فالرسل منهم معصومون في خلافهم و الأولياء محفوظون في خلافهم فللرسل التشريع و للأولياء الانفعال بحسب ما يشهدونه هنالك فيكونون في خلافهم على بصيرة و لا يدعون إليه و إنما يدعون إلى الله كما تفعل الرسل ع قال الله تعالى لنبيه أن يقول أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي فما أفرد نفسه بل ذكر اتباعه معه فإنهم لا يكونون أتباعه إلا حتى يكونوا على قدمه فيشهدون ما يشهد و يرون ما يرى فخذوا من العلماء بالله الدعاة إلى الله ما يقولون و لا تنظروا إلى أفعالهم و أحوالهم فإنهم على ما عين الحق لهم غير ذلك لا يكون قال بعض الصالحين في جلسائهم من جالسهم و خالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور الايمان من قلبه فليس لجلسائهم إن يفعلوا مثل أفعالهم و إنما عليهم إنهم لا ينازعونهم فيما يظهر عليهم من علم الحقيقة فإن أحوالهم تجري عليها و لذلك قال نزع الله نور الايمان من قلبه فلا يصدقهم فيما يخبرون به عن الحق و هم بهذه المثابة من القرب من الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي أربعين و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ»

و اجنح إلى السلم لا تجنح إلى الحرب اركن إلى الله لا تركن إلى السبب
يأتيك سهلا بلا كد و لا نصب فانظر إلى كل ما في الكون من عجب
في كل حال مع الرحمن في السبب إذا اعتمدت على الرحمن فيه فكن
ما شئت من صور فيه و من سبب فكن به لا تكن فيه بكم فترى
فلا تجبه فإن العلم في النسب فإن دعاك إلى ما أنت تجهله
و لا تحارب فخيل الله في الطلب و لا تنازع و كن بالله معتصما

قال الله جل ثناؤه و تقدست أسماؤه إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ و المدار كله على شهود هذه المعية فإنه مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ فهو مع الصابرين و المتقين و المحسنين فهذا الذكر ينتج شهود المعية التي له مع الصابرين خاصة هذا و ما هو إلا صبر على الرسول حتى يخرج إليهم فكيف الصبر على الله لما كان رسول الله ص يذكر الله على كل أحيانه و الله جليس من يذكره فلم يزل رسول الله ص جليس الحق دائما فمن جاء إليه ص فإنما يخرج إليه من عند ربه إما مبشرا و إما موصيا ناصحا و لهذا قال لَكانَ خَيْراً لَهُمْ فلو كان خروجه إليهم مما يسوءهم في آخرتهم ما كان خيرا لهم و قد شهد الله بالخيرية فلا بد منها و هي على ما ذكرناه من بشارة بخير أو وصية و نصيحة و إبانة عن أمر مقرب إلى سعادتهم غير ذلك لا يكون و من صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ص فإن الله لا بد أن يخرج إليه رسوله ص في مبشرة يراها أو في كشف بما يكون له عند الله من الخير و إنما يخرج الله إليه رسوله ص لأن رسول الله ص لا يتصور على صورته غيره فمن رآه رآه لا شك فيه بخلاف رؤية الحق فإن الحق له التجلي في صور الأشياء كلها فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه و تعالى فالعارف يعلم أن كل شيء يراه ليس إلا الحق و هو معطي السعادة و الشقاء و الرسول ليس كذلك فيعتمد على رؤية الرسول و لا يغتر برؤية الحق و لهذا الذي أشرنا إليه ادعى من ادعى من البشر و الجن الألوهة و قبل منهم و عبدوا من دون الله و ما قدر أحد يدعى بأنه محمد بن عبد الله رسول الله ص و أن تنبى فما يقول إنه محمد و إنما يقول إنه رسول الله فيطالب بالدليل على دعواه فتنبه إلى عصمة هذا الاسم العلم أن يتصور عليه أحد من خلق الله في كشف و لا نوم كصورته في اليقظة سواء فمن رآه رآه فما تغير من صورته تغير حسن فذلك راجع إلى حال الرائي أو صورة الشرع في المكان الذي رآه فيه عند ولاة أمور الناس و كذلك لو كان تغير قبح كذلك فاعلم ذلك فيكون تغيره بالحسن و القبح عين إعلامه و خطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه أو في حق ولاة العصر بالموضع الذي يراه فيه و رؤية الحق ليست كذلك لأنه ما ثم شيء خارج عنه فكل شيء فيه حسن لا قبح فيه و ما قبح من الأمور إلا بالشرع و في أصحاب الأغراض بالعرض و في أصحاب المزاج بالملاءمة للطبع و في أصحاب النظر الفكري من الحكماء بالكمال و النقص و صاحب هذا الهجير كثير الصلاة على محمد ص و على هذا الذكر يحبس نفسه و يصبر حتى يخرج إليه ص و ما لقيت أحدا على هذا القدم غير رجل كبير حداد بإشبيلية كان يعرف بأللهم صل على محمد ما كان يعرف بغير هذا الاسم رأيته و دعا لي و انتفعت به لم يزل مستهترا بالصلاة على محمد ص لا يتفرغ لكلام أحد إلا قدر الحاجة إذا جاء أحد يطلبه أن يعمل له شيئا من الحديد فيشارطه على ذلك و لا يزيد و ما وقف عليه أحد من رجل و لا صبي و لا امرأة إلا و لا بد أن يصلي على محمد ذلك الواقف إلى أن ينصرف من عنده و هو مشهور بالبلد بذلك و كان من أهل الله فكل ما ينتج لصاحب هذا الذكر فإنه علم حق معصوم فإنه لا يأتيه شيء من ذلك إلا بواسطة الرسول ص هو المتجلي له و المخبر لقي رجل بعض الناس في زمان أبي يزيد البسطامي فقال له هل رأيت أبا يزيد فقال رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد فقال له الرجل لو رأيت أبا يزيد مرة كان خيرا لك من أن ترى الله ألف مرة فلما سمع ذلك منه رحل إليه فقعد مع الرجل على طريقه فعبر أبو يزيد و فروته على كتفه فقال له الرجل هذا أبو يزيد فنظر إليه فمات من ساعته فأخبر الرجل أبا يزيد بشأن الرجل

فقال أبو يزيد كان يرى الله على قدره فلما أبصرنا تجلى له الحق على قدرنا فلم يطق فمات و لما كان الأمر هكذا علمنا إن رؤيتنا الله في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية هي أتم رؤية تكون فما زلنا نحرض الناس عليها مشافهة و في كتابنا هذا وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً كَبِيراً»

نصرة الله لنفس الظالم ‌ نصرة ليس لها من خاذل
فإذا ما ظلم الغير له ‌ حكم ما شاء بحكم فاصل
و حقوق الله أولى و كذا ‌ حق نفسي بعدها للعاقل
ثم حق الغير في رتبته ‌ آخرا عند العليم الفاضل
وعذاب الظلم ذوق فاحذروا ‌ منه في العاجل أو في الآجل
و علوم الذوق ما يجهلها ‌ من يرى أحكامها في العاجل

اعلم أيدنا الله و إياك بروح القدس أن الظلم هنا هو الظلم الذي جاء في قوله تعالى اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ و ليس إلا الظلم الذي قال فيه لقمان لابنه لاٰ تُشْرِكْ بِاللّٰهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ كذا فسره رسول الله ص فمن التزم هذا الذكر بهذه الآية أقامه الحق مقامه في العالم و قلده أمر عباده و لو بلغ العبد ما عسى إن يبلغ لا يزال خلقا و من حقيقة الممكن العجز فلا بد من القصور في رتبة التصريف ذوقا فلا بد أن يحصل له من العذاب النفسي ذوق كبير لأنه ليس في قوته إن يرضي العالم فإن الله ما أرضاهم و لله الاتساع الذي لا يمكن أن يكون للعبد و لو اتسع الخليفة ما اتسع فإن ضيق الطبيعة لا بد أن يحكم عليه فيضيق عن السعة الإلهية فيتعذب بقدر ما ذاق العذاب الكبير هذا و هو وال من عند الله بأمر الله قال تعالى في حق الكامل وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمٰا يَقُولُونَ يعني في حق الله و تكذيبه فهذا هو العذاب الكبير الذي ذاقه و ظلمه المذكور في هذا الذكر إنما كان لكونه قبل الولاية عن العرض الإلهي فهو مع الأمر يضيق و لا يسمى ظالما و مع العرض يكون ظالما و يذوق العذاب الكبير إِنّٰا عَرَضْنَا الْأَمٰانَةَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبٰالِ و أي أمانة أعظم من النيابة عن الحق في عباده فلا يصرفهم إلا بالحق فلا بد من الحضور الدائم و من مراقبة التصريف فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهٰا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهٰا أي خفن أن لا يقمن بحقها فاستبرأن لأنفسهن وَ حَمَلَهَا الْإِنْسٰانُ عرضا أيضا لما وجد في نفسه من قوة الصورة التي خلق عليها إِنَّهُ كٰانَ ظَلُوماً لنفسه و هو قوله وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذٰاباً كَبِيراً فإذا ظلم نفسه بقبول النيابة المعروضة عليه أذاقه الله ما قال الله لأبي يزيد أخرج إلى عبادي بصورتي يعني خليفة فمن رآك رآني فلما خطا عنه خطوة غشي عليه فقال الحق ردوا على حبيبي فلا صبر له عني فالنيابة مع الأمر يكون فيها الحرج و ضيق الصدر فكيف بالعرض فمن زهد في الخلافة المعروضة فمن هذا الذكر زهد و تركها و لم يقبلها و أشفق منها و من قبلها من أصحاب هذا الذكر فبتأويل دخل لهم في أول الدخول في هذا الذكر و هو لفظة العذاب فإنه من العذوبة و هي التلذذ بالأمر و هو قول أبي يزيد في بعض أحواله

و كل مآربي قد نلت منها　　سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

و لم يقل بالآلام و إنما قال بالعذاب لما فيه من العذوبة و هي اللذة باللذة أي أنه يلتذ باللذة لا أنه يلتذ بالأشياء و هذا مثل ما يقوله أهل النظر في العلم إن بالعلم يعلم العلم و بالرؤية ترى الرؤية في مذهب المتكلمين و كذلك تدرك اللذة باللذة فاعلم ذلك فإنه باب غريب في الذكر وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مَنْ كٰانَ فِي هٰذِهِ أَعْمىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمىٰ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً »

إنما تعمي القلوب في الصدور　　التي تحوي عليهن الصدور

ثم هذا الحكم فيمن صدرت　　عن ورود كان منها الأمور

ليس يعمى صادر عنه به　　كيف يعمى من له عين الظهور

قال اللّٰه تعالى وَ لٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ على الوجهين الواحد من الوجهين للحصر و الثاني للرجوع فاعلم أن العماء حيرة و أعظمه الحيرة في العلم باللّٰه و العلم باللّٰه على طريقين الطريق الواحدة النظر الفكري فلا يزال صاحب هذا الطريق إذا و في النظر حقه في حيرة إلى الموت فإنه ما من دليل إلا و عليه عنده دخل و شبهة لاتساع عالم الخيال إذا لقوة المفكرة ما لها تصرف إلا في هذه الحضرة الخيالية إما بما فيها مما اكتسبته من القوي الحسيةو إما مما تصوره القوة المصورة فإذا كان صاحب هذا النظر في الدنيا أعمى أي حائرا و يموت و الإنسان إنما يموت على ما عاش عليه و هذا ما عاش إلا حائرا فيجيء في الآخرة بتلك الحيرة فإذا وقع له الكشف هناك زاد حيرة لاختلاف الصور عليه فهو أضل من كونه في الدنيا فإنه كان يترجى في الدنيا لو كشف له أن تزول عنه الحيرة و أما الطريق الثانية في العلم باللّٰه فهو العلم عن التجلي و الحق لا يتجلى في صورة مرتين فيحار صاحب هذا العلم في اللّٰه لاختلاف صور التجلي عليه كحيرة الأول في الآخرة فما كان لذلك في الآخرة هو لهذا الآخر في الدنيا و أما البصيرة التي يكون عليها الداعي و البينة فإنما ذلك فيما يدعو إليه و ليس إلا الطريق إلى السعادة لا إلى العلم فإنه إذا دعا إلى العلم أيضا إنما يدعو إلى الحيرة على بصيرة أنه ما ثم إلا الحيرة في اللّٰه لأن الأمر عظيم و المدعو إليه لا يقبل الحصر و لا ينضبط فليس في اليد منه شيء فما هو إلا ما تراه في كل تجل فالكامل من يرى اختلاف الصور في العين الواحدة فهو كالحرباء فمن لم يعرف اللّٰه معرفته بالحرباء فإنه لا يستقر له قدم في إثبات العين فأصحاب التجلي عجلت لهم معرفة الآخرة فهم في الدنيا أعمى و أضل سبيلا من أصحاب النظر لأنه ليس وراء التجلي مطلب آخر للعلم باللّٰه و لا يتضور و هذه الإشارة كافية لمن عقل وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ فإن الكلام في هذا الذاكر واسع

«الباب الثالث و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَ مٰا آتٰاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ»

عين الرسالة ما تأتي به الرسل　　فخذه لا تتوقف أيها الرجل

أنت المليك الذي جاءت رسالته　　　إليك فاعمل بها يصعد لك العمل

إليه من غير قطع في مساحته　　　فإن توهمته فذلك الزلل

و اصعد إليه تنل عين البقاء به　　　و إن قعدت أتاك الصعق و الخبل

إن الظروف لتحوي من يحل بها　　　و الأمر أنزه أن يجري له مثل

عليك بالمنزل الأعلى فحل به　　　لا تقطعنكم الأغراض و العلل

هو المنزه عن نعت و عن صفة　　　فلا يقوم به أمن و لا و جل

فأنت أنت إذا إن كنت صاحبه　　　فاعمل لنفسك ما أصحابه عملوا

و لا يقم بك فيما قد أتيت به　　　عجز و لا كسل فيه و لا ملل

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الله يعطي عباده منه إليهم و على أيدي الرسل فما جاءك على يد الرسول فخذه من غير ميزان و ما جاءك من يد الله فخذه بميزان فإن الله عين كل معط و قد نهاك أن تأخذ كل عطاء و هو قوله وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فصار أخذك من الرسول أنفع لك و أحصل لسعادتك فأخذك من الرسول على الإطلاق و من الله على التقييد فالرسول مقيد و الأخذ مطلق منه و الله مطلق عن التقييد و الأخذ منه مقيد فانظر في هذا الأمر ما أعجبه فهذا مثل الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ فظهر التقييد و الإطلاق في الجانبين و ذلك أن الرسول ص ما بعثه الله ليمكر بنا أعني بأمته و إنما بعثه ليبين لهم ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ فلهذا أطلق لنا الأخذ عن الرسول و الوقوف عند قوله من غير تقييد فإنا آمنون فيه من مكر الله و الأخذ عن الله ليس كذلك فإن لله مكرا في عباده لا يشعر به قال تعالى وَ مَكَرْنٰا مَكْراً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ و قال سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَعْلَمُونَ و قال وَ أَكِيدُ كَيْداً و قال إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ و قال وَ اللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ و لم يجعل للرسل في هذه الصفة قدما لأنهم بعثوا مبينين فبشروا و أنذروا و كله صدق و أعطى الرسول الميزان الموضوع فمن أراد السلامة من مكر الله فلا يزل الميزان المشروع من يده الذي أخذه عن الرسول و ورثه فكل ما جاءه من عند الله وضعه في ذلك الميزان فإن قبله ملكه و إن لم يقبله سلمه لله و تركه فإن تركه عمل به و لم يجعل نفسه محلا لقبوله يقول الجنيد رضي الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة و هما كفتا الميزان و معنى قوله أنه نتيجة عن العمل بالكتاب و السنة فإن عزمت على الأخذ عن الله و لا بد لحال غلب عليك فقل لا خلابة فإنك إذا قلت لا خلابة فإن كان من عند الله ثبت فأخذته و إن كان من مكر الله ذهب من بين يديك فلم تجده عند قولك لا خلابة فإن الأمر بيع و شراء و إن اللهتعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق بالذوق فإنما يشترط على الله من يجهل الله أو يدل عليه لأنه ظن به خيرا كما أمره سبحانه فإنه لو علم أن الله ما يبعثه في شغل حتى يهيئه لذلك الشغل فإنه حكيم خبير فلا تقس الله على المخلوق فإن المخلوق يجهل كثيرا منك و من نفسه و الحق ليس كذلك فلا فائدة للاشتراط يقول موسى ع حين بعثه ربه رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسٰانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً من

أَهْلِي هارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي فأعطاه ذلك كله و لم يقل محمد ص شيئا من هذا كله فالأولى أن تكون محمديا فإنه ما ذكر الله من حديث موسى ع ما ذكر إلا ليعلم أن الاشتراط على المستخلف جائز و لا حرج عليه في ذلك لو اشترط أ لا ترى موسى ع كيف قال لمحمد ص ليلة إسرائه حين فرض الله عليه الصلاة راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ثم علل و قال فإني بلوت بنى إسرائيل و ما راجع محمد ص في ذلك إلا امتثالا لأمر الله فإن الله لما ذكر الأنبياء ع قال له أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ فامتثل أمره في رجوعه فكان خيرا و هذا فائدة الشيخ المتخذ في الطريق فاعلم ذلك

فخذ منه ما أعطاك إن كنت تابعا و لا تتوقف فالتوقف يصعب

فإن كنت ذا لب و علم و فطنة فقد جاءك الأمر الذي كنت تطلب

وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»

إن الرقيب على اللسان موكل فعليه فيما تلفظون توكلوا

أنطق به إن كنت صاحب نظرة و اعمل على عين الحقيقة يا فل

و كذا جميع قواك منك فإنها هي عينه و العين ما لا تجهل

فإذا علمت نصيحتي و شهدتها عينا علمت من الرقيب المرسل

قال الله تعالى وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ كِراماً كاتِبِينَ يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ و قال رسول الله ص إن الله عند لسان كل قائل و ما خصص قائلا من قائل فأتى به نكرة فكل ذي لسان قائل فهو عند الله وَما عِنْدَ اللّٰهِ باقٍ و ما كل قائل في كل قول يكون قوله منسوبا إلى الله مثل قوله إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و المحبوب بإتيان النوافل يكون الحق لسانه فتفاضلت المراتب فالملك الحافظ الكاتب عند الإنسان كل ما لفظ كتبه الملك فلا يكتب إلا ما يلفظ به الإنسان فإذا لفظه و رمى به فبعد الرمي يتلقاه الملك فإن الله عند قوله في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذي الحق عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول يحفظه له عنده إلى يوم القيامة و إذا عمل يعلم الملك أنه عمل أمرا ما خاصة و لا يكتبه حتى يتلفظ به فالحفظة تعلم ما يفعل العبد و لكنها ما تكتب له عملا حتى يتلفظ به فإذا تلفظ كتبت فهم شهود إقرار و سبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل و لهذا ملائكة العروج بالأعمال تصعد بعمل العبد و هي تستقله فيقبل منها و يكتب في عليين و تصعد بالعمل و هي تستكثره فيقال لها اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه ما أراد به وجهي وَما أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية في الأعمال لا تكون من العبد إلا من الوجه الخاص و لهذا لا يعلمه من العامل إلا الله و العامل الذي نوى فيه ما نوى فالملك يرقب حركة العبد و يكتب منه حركة لسانه إذا تلفظ و الله

شهيد لأنه عند قول عبده على الحقيقة لا عند عبده فهذه الكينونة الإلهية هي التي تحدث بحدوث القول و سبب ذلك أنه تكوين و التكوين لا يكون أبدا إلا عن القول الإلهي في كل كائن فجميع ما يتكون في الوجود فعن القول الإلهي فما بين الحق و العبد مناسبة أتم و لا أعم من مناسبة القول و لهذا كان عند لسان كل قائل فإن القول كون مفارق قائله فإن لم يكن الله عنده ضاع القول و إنما كان الله عنده لينشئه صورة قائمة تامة الخلقة فإنه لا بد أن يكون تعالى مذكورا بها فيتم منها ما نقصه العبد مما تستحقه نشأتها من الكمال كما يقبل الصدقة ليربيها حتى تكون أعظم من الجبل العظيم فهذا من باب الغيرة و الأول من باب الكمال و ما ينبغي فالغيرة على الجناب الإلهي من الله الذي له الكمال المطلق ثم لتعلم أن النقص من كمال الوجود لا من كمال الصورة فتنبه فإنه دقيق

لو لم يكن في الوجود نقص — لزال عن رتبة الكمال
لكنه ناقص فأبدى — كماله فيه ذو الجلال
فكل صنع من كل خلق — لم يخله الله من جمال
لأنه راجع إليه — في كل عقد بكل حال
فلا كمال و لا جمال — إلا إلى الله ذي المعال
من كل شخص بكل وجه — في الفعل و الحال و المقال
يا من يراني بعين حق — لا تجعل الحكم للخيال
لأنه عقد كل هاد — بل مهتد لا عن الضلال

و إن كان كذلك فاجهد أن لا تصدر منك صورة إلا مخلقة في غاية الكمال في قول و عمل و لا يغرنك كون النقص من كمال الوجود لأن ذلك من كمال الوجود ما هو من كمال ما وجد عنك فإن جماعة من الناس زلوا في هذا الموضع لقيناهم فينتج هذا الذكر لصاحبه مشاهدة الحق عند قوله و قبوله له و من شاهد الحفظة فمن هذا المقام شهدهم و لما أشهدنيهم الحق تعالى تعذبت بشهودهم و لم أتعذب بشهود الحق فلم أزل أسأل الله في أن يحجبهم عني فلا أبصرهم و لا أكلمهم ففعل الله معي ذلك و سترهم عن عيني و إنما لم أتعذب بشهود الحق لأنه عند شهود العبد ربه تعالى يشهده شاهد أو مشهود أو شهوده الملك ليس كذلك فإنه يشهده أجنبيا عنه و لو كان الحق بصره فإنه أعظم في الأجنبية و أشد في القلق عند صاحب هذه الصفة لأن الملك لا ينبغي أن يكون رقيبا على الله و هو رقيب فلا بد أن يكون الملك في هذه الحال محجوبا عن الله تعالى لا يشهده صفة عبده إذ لو شهدها لم يتمكن له أن يكون رقيبا عليه فلا بد لهذا العبد أن يتقلق بشهود الملك فإذا غاب عن حسه انفرد بسره بربه و أملى على الملك ما شاء أن يملي عليه ف كانَ اللهُ عَلى‌ كُلِّ شَيْ‌ءٍ رَقِيباً و الملائكة حافظون من أمر الله هذا الشخص الإنساني قال تعالى لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ فهم ملائكة تسخير تكون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له و

هذا الفارق بين توكيل السلطان على الشخص فإنه تحكم الوكلاء عليه لا يتعدى الموضع الذي حجره السلطان و حفظة الحق يتبعون العبد حيث تصرف فهو مطلق التصريف في إرادته و إن حجر عليه بعض التصرف فإنه يتصرف فيما حجر عليه و لا يستطيع الملك يمنعه من ذلك لأمرين الواحد لكون الحق قد ذهب الله بسمع هذا العبد عن قوله و ببصره عن شهوده و الأمر الآخر لكون الملك الحافظ الموكل به لا يمنعه لشهوده الحق معه في تصرفه الذي أمره بحفظه فلذلك لا يحجر الملك عليه التصرف و توكيل المخلوق ليس كذلك فإن الحاكم الذي وكل الوكلاء به ليس هو عند الموكل عليه فهذا الفارق بين حكم الوكيل الحق و الوكيل المخلوق فوكلاء الخلق يحفظونه من التصرف و وكلاء الحق يحفظونه في التصرف و هذا القدر في هذا الذكر من التنبيه كاف وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»

سدل الحجاب عليك وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ لا تطع النفس التي من شأنها
و أجنح إلى النور المهيمن و اغترب لا تطمعن بها فلست من أهلها
فاعمل بما يعطي وجودك تقترب فهو الذي أعطى الوجود بجوده

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن هذا الذكر يوقف العبد على حقيقته و إذا وقف على حقيقته فقد عرف نفسه و إذا عرف نفسه عرف ربه و العبد أبدا لا يطلب بحركته إلا ربه حتى يشهده عين كل شيء و منه صدر فقد شهد صدوره و هو معه فقد شهد معيته في تصرفه فلا بد أن يطلب شهوده فيما ينتهي إليه تصرفه فهو غاية المطلب و لما كان العلو له عرفا و علما و المعية علما و شرعا لا عرفا أراد أن يرى حكمه في الغاية فإن السجود في العرف بعد عما يجب لله من العلو ألا ترى إلى ابن عطاء حين غاص رجل جمله فقال جل الله فقال الجمل جل الله و ما غاص إلا ليطلب ربه فإنه سجود قربة من ذلك العضو إلى الله فلما رأى الجمل جهل ابن عطاء بالله في طلب الرجل ربه بالغوص قال الجمل جل الله إن تحصره معرفتك فلا يكون له في عقدك إلا العلو فمن يحفظ السفل و أنا رجل ما أنا رأس فلا بد أن أطلب ربي بحقيقتي و ليس إلا السجود قال رسول الله ص لو دليتم بحبل لهبط على الله هو هذا عين ما قال الجمل فمن سجد اقترب من الله ضرورة فيشهده الساجد في علوه و لهذا شرع للعبد أن يقول في سجوده سبحان ربي الأعلى ينزهه عن تلك الصفة فالسجود إذا تحقق به العبد علم نزول الحق من العرش إلى السماء الدنيا و ذلك سجود القلب يطلب العبد في نزوله كما يطلبه العبد في سجوده و من لم يقف في هذا الذكر على الذي نبهت عليه و أمثاله فما هو صاحب هذا الهجير فاعلم ذلك وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان هجيره و منزله فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا»

بمن إليه تولى ما أجهل المتولي
من كان عنه تدلى فلو رآه رآه

عين عينه ما تولى و لو رآه ابتداء

فهو الذي قد تولى ما ثم عين سواه

منه إذا ما تولى فمن يذوق عذابا

نوله ما تولى من أعجب القول عندي

ولاكها فتولى إذا وليت أمورا

قال الله تعالى نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن التولي عن الذكر المضاف إلى الله ما أطلق الله الإعراض عنه على الانفراد بل ضم إليه قوله وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيا فبالمجموع أمر الحق تعالى نبيه ص إذا وقع بالإعراض عنه فينتج للعارف هذا الذكر خلاف المفهوم منه في العموم فإن الله له القرب المفرط من العبد سبحانه و تعالى كما قال وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ و الحياة الدنيا ليس إلا نعيم العبد بربه على غاية القرب الذي يليق بجلاله و لم يكن مراد المذكر بالذكر إلا أن يدعو الغافل عن الله فإذا جاء الذاكر و دعا بالذكر فسمعه هذا المدعو و كان معتنى به فشاهد المذكور عند الذكر في حياته الدنيا أمر الله هذا المذكر أن يعرض عن هذا المذكور لئلا يشغله بالذكر عن شهود مذكوره و النعيم به فقال الحق يخاطبه فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنا لأن الذكر لا يكون إلا مع الغيبة وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيا و هي نعيم القرب و هذا من باب الإشارة لمن هو في هذا المقام لا من باب التفسير ثم تمم و قال ذلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ذم في التفسير ثناء من باب الإشارة على هذا الشخص و تنبيها على رتبته في العلم بالله فأما ما فيه من الثناء عليه أنه في حال شهوده للحق في مقام القرب فلا يقدر لفنائه على القيام بما يطلبه به الذكر من التكليف فكان المذكر ينفخ في غير ضرم لأنه لا يجد قابلا فأمر بالإعراض عنه لما في ذلك الذكر بهذه الحالة من سوء الأدب في الظاهر مع الذكر فلو كان هذا السامع عنده من القوة أن يشهد الحق في كل شيء لشهده في الذكر فلم يكن الحق يأمر المذكر بالإعراض عنه و لا كان يتولى السامع فهذا بعض رتبته في هذه الآية و ذلك مبلغه من العلم فإذا أنتج لهذا الذاكر هذا الذكر ما ذكرناه فهو صاحبه و إن فقد هذا الذي ذكرناه و أخذه على طريق الذم فليس هو بصاحب هجير فإن الذم في هذا الذكر هو المفهوم الأول فما زال مما هم عليه عامة الناس في الفهم و لا بد أن يكون لصاحب الهجير خصوص وصف يتميز به و هو ما ذكرناه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ»

ممن يكلمه الرحمن تكليما اصدع بربك أو بأمر منه تكن

به من الحكم في الأعيان تسليما سلم إليه الذي جاءت أوامره

و في وجود و أحكاما و تحكيما يعطيك نورا يريك العين في عدم

ما نالها أحد قدوا و تعظيما و ينزلنك عند الحق منزلة

به و ترزق آدابا و تعليما　　و يمنحنك علما لست تعرفه

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الحق لا يقاوم إلا بالحق فيكون هو الذي يقاوم نفسه و هو معنى قوله ص و أعوذ بك منك فإذا اتصف العبد بصفة الجبروت و الكبرياء قصمه الحق فإنه تعالى لا يقهر إلا المنازع و لهذا العارف لا يتجلى له الحق في الاسم القاهر أبدا لأنه غير منازع فالعارف يتجلى بالاسم القاهر و لا يتجلى له الحق فيه و هذه الصفة في المخلوقين لا تكون قط عن حقيقة بل يعلمون عجزهم و قصورهم و إنما ذلك صورة ظاهرة كبرق الخلب فعلى قدر ما يظهر من هذه الصفة يتوجه القهر الإلهي و البطش الشديد و لما اختلف المحل على الصفة لذلك ظهر الأقوى على الأضعف فما وقع التفاضل إلا في المحل لا في الصفة فإذا صدع بأمر الله فالقهر بأمر الله لا له فنفذ في المصدوع لأنه ما قال له اصدع إلا و لا بد أن يكون ذلك قابلا للنفوذ فيه حتى يسمى مصدوعا فلو كان لا يقبل النفوذ لكان هذا الأمر عبثا إلا ترى إلى قوله تعالى وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فإنه لا ينفذ في المشرك إذ لو نفذ لوحد فقال له و أعرض لأنهم ليسوا بمحل فيأمر الرسول المشرك من غير صدع و الذي علم منه أنه يجيب و يقبل الأمر و لو على كره هو الذي يصدع بالأمر فإذا تحقق العبد بهذا الذكر و لم ينكشف له من يقبل أمر ربه ممن لا يقبله فما هو في بعض الوجوه ممن دعا إلى الله على بصيرة فإن الداعي على بصيرة لا بد أن يكون آمرا في حق طائفة و صادعا بالأمر في حق طائفة فيعلم من يتأثر لأمره ممن لا يتأثر ففائدة هذا الذكر تنوير البصائر و كمال الدعوة إلى الله و هي مدرجة الرسل ع و الكمل من الورثة في الدعاء فتجد كلامهم كأنه القرآن جديدا لا يبلى فيفتح للمؤمن به المعاني دائما وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثامن و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله و هجيره فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»

من يذكر الله في أحواله أبدا　　يذكره فيها فلا تنفك تذكره

فإن ذكرك ذكر الحق ليس سوى　　ما قلته و كذا في الكشف تبصره

الحق عين وجود الكون فاعتبروا　　العين تشهده و الوهم يحصره

و العقل ينفي بحكم الفكر صورته　　و الفكر يستره و الكشف يظهره

و العقل بينهما حارت خواطره　　هذا ينزهه و ذا يصوره

و ليس يدري الذي فيه يقلده　　فالله يرشده و الله ينصره

إذا رأى العقل ما قلناه فيه رأى　　أمرا عظيما و نورا فيه يبهره

و كل ذلك حد و الحدود أبت　　فليس شيء من الأشياء يحجره

قال الله تعالى جده و كبرياؤه هُوَ الَّذِي يُصَلِّي فوصف نفسه بالتأخر في الذكر عن ذكر العبد و هنا كان ذكر العبد يعطي في نفس الحق الذكر لعبده كما يعطي السائل الإجابة في الحق و من هذه الحضرة ظهر تأثير الكون في الوجود الحق فإذا كان الذاكر صحيح الذكر و هو أن يسمع

بذكره المذكور و هو صادق في أنه يذكره إذا ذكره عبده فلا بد أن يسمعه ذكره لصدقه في قوله فمن لم يسمع ذكر ربه إياه عند ذكره فيتهم نفسه في ذكره و إنه ما وفى بشرط الذكر الموجب لذكر ربه إياه و هنا سر لا يمكن كشفه من أجل الدعوى و هو أن الله قد أعلمنا بما تذكره من تكبير و تهليل و تسبيح و تقديس و تحميد و تمجيد كل ذلك معلوم مقرر و ما أعلمنا بما يذكرنا فإذا ذكره صاحب هذا الذكر و وفى الشرط من الإخلاص و الحضور فعلامته أن يسمع ما يذكره به ربه فيعلم ما يذكره به كما أعلمه على لسان الرسول ما يذكر به ربه فإذا لم يعلم ذلك فما هو ذلك الذاكر و لا صاحب هجير فليلزم ما قلناه فإنه لا علامة له على صحة ذكره إلا ما ذكرناه خاصة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب التاسع و الأربعون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله أَمّٰا مَنِ اسْتَغْنىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى»

إذا تجلت صفات الحق في أحد ... يعظم الكشف ذاك الواحد الأحدا

و لو يعاتبه فيه منزهه ... فإنه يقبل العتب الذي وردا

فإنه عالم بما به وردا ... و عالم بالذي في عتبة قصدا

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فليس يفتحها إلا الذي وجدا

لو لا الصفات التي في خلقه ظهرت ... لما عشقت بها مالا و لا ولدا

و لا اتخذت وجود الأهل لي سكنا ... و لا الملوك و لا الأسباب لي سندا

هذي المطالب قد عزت مطالبها ... و ليس يعرفها إلا الذي شهدا

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الله لما فرق بين ما يستحقه الكون من الصفات و بين ما تستحقه الذات من الصفات أو الجناب الإلهي عظم عند العارفين بذلك نعت الحق فحيثما رأوه مالوا إليه ابتداء لعزته كلما بدا لهم فإذا عوتب العارف في ذلك قبل العتب هنالك خاصة و لم يطرده فمتى تجلى له نعت إلهي مثل ذلك أيضا تصدى له و عظمه فإن عوتب كان حاله فيه مثل الحال الأول فإن طرد العتب في كل نعت من نفسه فليس هو صاحب ذوق و إنما هو صاحب قياس في الطريق فلا يتميز في عبيد الاختصاص أبدا فإنه إذا طرد ذلك عامل نعت الحق بما لا يجب و هنا زلت أقدام طائفة من المتشرعين و لم يكن ينبغي لهم ذلك فإن رسول الله ص قد نبه على ما قلناه و جعلني أن أحتج به على ما قررناه و هو قوله ص إذا أتاكم كريم قوم فأكرموهو قال عز و جل لاٰ يَنْهٰاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقٰاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْو اعلم أن الملك العزيز في قومه ما جاء إليك و لا نزل عليك إلا و قد ترك جبروته خلف ظهره أو كان جبروتك عنده أعظم من جبروته فعلى كل حال قد نزل إليك فأنزله أنت منزلته من نفسه التي يسر بها تكن حكيما و ما عاتب الله نبيه في الأعمى و الأعبد إلا بحضور الطائفتين فبالمجموع وقع العتب و به أقول لا مع الانفراد فتعظيم الملوك و الرؤساء من تعظيم ربك و تعظيم الفقراء جبر لا غير لانكسارهم في فقرهم فإن كان الفقراء من فقراء الطريق فليس ذلك بجبر عنده فإنه لا يزول عنه فقره و انكساره بتعظيمك و قبولك و إقبالك

فإن المشهود له إنما هو ربه و إنما الجبر إنما هو للفقراء من الله فالذاكر بهذا الذكر لا يزال معظما صفة الحق ظهرت على أي محل ظهرت و إن عوتب اقتصر على الشخص دون غيره فتنبه وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الموفي خمسين و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا الآية»

إذا تجلى لمن تجلى أصعقه ذلك التجلي
و إن تولى عمن تولى أهلكه ذلك التولي
و إن تدلى بمن تدلى نوره ذلك التدلي
قلت الذي قد سمعتموه بالله يا سيدي فقل لي
لما رأيت الذي تجلى أشهدني فيه عين ظلي
من لي إذا لم أكن سواه وليس عيني قل لي فمن لي
الله لا ظاهر سواه في كل ضد و كل مثل
و كل جنس و كل نوع و كل وصل و كل فصل
و كل حس و كل عقل و كل جسم و كل شكل

اعلم أيدنا الله و إياك أن الأمر في التجلي قد يكون بخلاف ترتيب الحكمة التي عهدت و ذلك إنا قد بينا استعداد القوابل و أن هناك ليس منع بل فيض دائم و عطاء غير محظور فلو لم يكن المتجلي له على استعداد أظهر له ذلك الاستعداد هذا المسمى تجليا ما صح أن يكون له هذا التجلي فكان ينبغي له أن لا يقوم به دك و لا صعق هذا قول المعترض علينا قلنا له يا هذا الذي قلناه من الاستعداد نحن على ذلك الحق متجل دائما و القابل لإدراك هذا التجلي لا يكون إلا باستعداد خاص و قد صح له ذلك الاستعداد فوقع التجلي في حقه فلا يخلو أن يكون له أيضا استعداد البقاء عند التجلي أو لا يكون له ذلك فإن كان له ذلك فلا بد أن يبقى و إن لم يكن له فكان له استعداد قبول التجلي و لم يكن له استعداد البقاء و لا يصح أن يكون له فإنه لا بد من اندكاك أو صعق أو فناء أو غيبة أو غشية فإنه لا يبقى له مع الشهود غير ما شهد فلا تطمع في غير مطمع و قد قال بعضهم شهود الحق فناء ما فيه لذة لا في الدنيا و لا في الآخرة فليس التفاضل و لا الفضل في التجلي و إنما التفاضل و الفضل فيما يعطي الله لهذا المتجلي له منا الاستعداد و عين حصول التجلي عين حصول العلم لا يعقل بينهما بون كوجه الدليل في الدليل سواء بل هذا أتم و أسرع في الحكم و أما التجلي الذي يكون معه البقاء و العقل و إلا الالتذاذ و الخطاب و القبول فذلك التجلي الصوري و من لم ير غيره ربما حكم على التجلي بذلك مطلقا من غير تقييد و الذي ذاق الأمرين فرق و لا بد و بلغني عن الشيخ المسن شهاب الدين السهروردي ابن أخي أبي النجيب أنه يقول بالجمع بين الشهود و الكلام فعلمت مقامه و ذوقه عند ذلك فما أدري هل ارتقى بعد ذلك أم لا و علمنا أنه في مرتبة

التخيل و هو المقام العام الساري في العموم و أما الخواص فيعلمونه و يزيدون بأمر ما هو ذوق العامة و هو ما أشار إليه السياري و نحن و من جرى مجرانا في التحقيق من الرجال وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الأحد و الخمسون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»

كل من يعمل ما كلف به فبه يسعد حقا فانتبه
ثم للشارع فيه نظر و يرى الله الذي قد جئت به
فيرى المنصف يسعى جاهدا و كذا كل لبيب منتبه
يسع في تحصيل زاد مبلغ من حلال لا بزاد مشتبه
إنما ينظر في أعمالنا من له الحكم الذي يحكم به

قال الله تعالى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و لكل راء عين تليق به فيدرك من المرئي بحسب ما تعطيه قوة ذلك العين فثم عين تعطي الإحاطة بالمرئي و ليس ذلك إلا الله و أما ما يراه الرسول و المؤمنون فليس إلا رؤية خاصة ليس فيها إحاطة فيراه الرسول بحسب ما أرسل به و كذلك المؤمن يراه بقدر ما علم من هذا الرسول فليست عين المؤمن تبلغ في الرتبة إدراك عين الرسول فإن المجتهد مخطئ و مصيب و الرسول حق كله فإن له التشريع و هو العين المطلوبة لطالب الدلالة فإذا قامت صورة العمل نشأة كاملة كان العمل ما كان من المكلف يراها الله من حيث أراها الرسول و المؤمنين و من حيث لا يرونها أعني تلك الصورة العملية و يراها الرسول من حيث ما يراها المؤمنون و من حيث ما يراها و يرى أيضا المؤمنون ذلك العمل من حيث يرونها لا من حيث يراها الرسول فالرسول مقرر حكم المجتهدين و المجتهدان يتنازعان و يخطئ كل واحد منهما صاحبة فلو ساوت الرؤية من كل ذي عين لما كان في العالم نزاع و إلى الله يرجع الأمر كله في ذلك فإذا حكم في الأمور بنفسه بما ذا يحكم هل بما يراه أو بما يراه الرسول أو بما يراه المؤمنون فصاحب هذا الذكر يرى مواطن في القيامة يحكم فيها تبلغ في الرتبة إدراك عين الرسول فإن المجتهد مخطئ و مصيب و الرسول حق كله فإن له التشريع و هو العين بما يراه الرسول في العمل لا بما يراه الله و مواطن يحكم فيها الله بما يراه المؤمنون لا بما يراه الرسول و مواطن يحكم فيها بالمجموع فإذا وقف هذا الذاكر على هذه الأحكام و شاهد هذه المواطن فهو صاحب ذكر له وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثاني و الخمسون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُكَ الآية»

من كان مثل أبيه في تصرفه يأتي إلى الحق مهما نفسه ظلما
و استغفر الله مما قد عصاه به و زاد قدرا على مقداره وسما
ثم اجتباه بما قد خصه و هدى من الرجوع عليه بالذي حكما

يقضي بها صاحب الحق الذي علما　　للشرع فيه موازين معدلة

منه و يخرج بالإحسان من فهما　　في حالة العدل و الإحسان يطلبها

قال الله تعالى مخبرا عن آدم ع رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا فالظالم نفسه لا الظالم لنفسه هو الذي يرجع إلى ربه فإن الظالم لنفسه ما خرج عن ربه حتى يرجع إليه فإنه من المصطفين فالظالم نفسه يجيء للحق المشروع له الذي ظهر الرسول في حياته بصورته و لذلك كان يقال له رسول الله في التعريف ما كان يقال له محمد فقط و كذلك أخبر الله في قوله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله و قال وَلكِنْ رَسُولَ الله وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ فإذا جاء الظالم إلى الحق المشروع الذي بأيدينا اليوم فإن تجسد له في الصورة المحمدية فيعلم أنه من أصحاب هذا الذكر إما في النوم أو في اليقظة كيف كان و إن لم يتجسد له فما هو ذلك الرجل فإذا تجسد له فلا يخلو أن يستغفر الله هذا الظالم نفسه أو لا يستغفر الله فإن استغفر الله و لم ير صورة الرسول تستغفر له فإنه بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فيعلم عند ذلك أنه ما استغفر الله فإن استغفاره الله في ذلك الموطن يذكر النبي ص بالاستغفار لله في حقه فيجد الله عند ذلك تَوّاباً رَحِيماً و قد ظلمت نفسي و جئت إلى قبره ص فرأيت الأمر على ما ذكرته و قضى الله حاجتي و انصرفت و لم يكن قصدي في ذلك المجيء إلى الرسول إلا هذا الهجير و هكذا تلوته عليه ص في زيارتي إياه عند قبره فكان القبول و انصرفت و ذلك في سنة إحدى و ستمائة فقد أعلمتك كيف يجيء الظالم نفسه وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الثالث و الخمسون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله وَالله من وَرائِهِمْ مُحِيطٌ»

إن الإحاطة للرحمن تحديد　　مع الوراء و يقضي فيه تجريد

فمن تجرد عن أكناف نشأته　　لم يقض في عقله لله تحديد

الله أنزه أن يقضى عليه بما　　يرده لجلال الله تحميد

كماله من وجوه الكون أجمعه　　تسبيح حمد و تهليل و تمجيد

قال الله تعالى وَإِنْ من شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ لما كان الحق عين الوجود لذلك اتصف بالإحاطة بالعالم و إنما جعل الله الإحاطة بالوراء للحفظ الإلهي و ذلك لما جعل له عينين و جعلهما في وجهه الذي هو الإمام منه و الجنبات و كل ذلك كان الواقع المسمى عادة و لم يكن للوراء سبب يقع به الحفظ لهذا المذكور فحفظه الله بذاته و لم يجعل له سببا يحفظه به سواه فحصلت نشأة الإنسان بين إمامه و إمام الحق فما قابلة كان شهادة و ما كان وراءه كان غيبا له فهو من أمامه محفوظ بنفسه و من خلفه محفوظ بربه و ليس وراء الله مرمى و لو لم يكن الحق من ورائهم محيطا لاخذ الإنسان من ورائه فآمن مما يحذره و اعتمد على حفظه بما شاهده من إمامه فحصل له الأمان من إمامه غيبا و شهادة و حصل له الأمان من ورائه إيمانا فإن أخذه الله من أي ناحية أخذه من مأمنه وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ أخذها من ورائها و أما الإحاطة العامة فهي الأخذ الكلي و هو قوله وَالله مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ من غير تقييد بجهة خاصة لكن هو أخذ بتقييد صفة و هو الكفر و ليس سوى

الستر فأشبه الوراء لأنه لا يدركه الإنسان فما رأينا أخذ الإحاطة يكون عن شهود أينما ورد فإذا أخذ الله من أخذ من أوليائه لا يأخذه إلا من ورائه لئلا يفجأه فهو يأخذه برفق حتى لا يشعر فإذا أخذ بذلك أنس لما يجد فيه من اللذة لأنه لا عن مشاهدة تفنيه و لذلك أضرب بأداة بل عن الأول فقال بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ أي جمع شريف يعني ما هو عليه من الأسماء و النعوت فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ و هو أنت إشارة و اعتبارا أو أنت لست منك في جهة و إن كانت الجهات فيك و ما ثم سواك فانتفى الوراء لهذا الإضراب و لم ينتف بوجه فإنه عينك و ما بقي في الوجود سوى عين واحدة و هو أنت فتنبه لما أومأنا إليه في هذا الإضراب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الرابع و الخمسون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا»

لا تحسبن رجالا يفرحون بما ... أتوا و ليس لهم فيما أتوا قدم

و يفرحون بحمد الخلق فيه و ما ... لهم من الفعل إلا الفقد و العدم

و ذاك هجير ختم الأولياء و من ... يكن له مثل هذا الوصف ينعدم

و هو الإمام الذي رست قواعده ... الطيب الطاهر المحسان و العلم

تعنو له أوجه الأملاك قاطبة ... و الخلق تعنو له و اللوح و القلم

اعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أني التزمت هذا الذكر أيضا سنين متعددة حتى كنت أسمي به في بلدي كما كنت أسمي أيضا بغيره من الأذكار و رأيت له بركات ظاهرة فلا بقوله أَتَوْا و لا بقوله بِما لَمْ يَفْعَلُوا فهو قوله فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ و قوله وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ فيجيء الإنسان بالفعل من كون الفعل ظهر فيه فيحب إن يحمد بما فعل فيه و الفعل ليس له فله من الالتذاذ بذلك على قدر دعواه إلا أنه التذاذ موجع لكونه يعلم الأمر على خلاف دعواه كالمتكبر الجبار الذي لا يمكن له أن ينتزح عن ضروراته و افتقاره إلى أدنى الأسباب المريحة له من ألمه فقوله فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ يقول لا تظن أنهم يلتذون بذلك إشارة لا حقيقة و يستعذبونه بل لهم فيه استعذاب إن كانوا عارفين فجمعوا في هذا الذوق بين العذاب و الألم فهم من وجه في نعيم و من وجه في ألم مؤلم كما قال بعضهم

فهل سمعتم بصب ... سليم طرف سقيم

معذب بنعيم ... منعم بعذاب

و اعلم أن كل ذكر ينتج خلاف المفهوم الأول منه فإنه يدل ما ينتجه على حال الذاكر كما شرطناه التفسير الكبير لنا إلا لكامل من الرجال فإنه يعلم جميع ما ينتجه ذلك الذكر لعدم تقييده و خروجه عن تلك الصفات و الأسماء التي تحت ولاية الاسم الله فإن الكامل من الرجال بمنزلة الاسم الله من الأسماء و إن كان له الإطلاق فلا ينطق به إلا مقيدا بالحال أو اللفظ لا بد من ذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب الخامس و الخمسون و خمسمائة في معرفة السبب الذي منعني أن أذكر فيه بقية الأقطاب من زماننا هذا إلى يوم القيامة»

أو باطن لا بد من كونه 	لكل منع سبب ظاهر

و مانع يظهر من عينه 	فمانع يظهر من غيره

و قد يكون المنع من بينه 	و قد يكون المنع من قربه

تجد وجود الحق في صونه 	فمن وجود العقل عن فكره

إدراكه الزينة في شينه 	فزينة الإنسان من نفسه

اعلم وفقنا الله و إياك أن الكتب الموضوعة لا تبرح إلى أن يرث الله الْأَرْضَ وَمن عَلَيْها و في كل زمان لا بد من وقوف أهل ذلك الزمان عليها و لا بد في كل زمان من وجود قطب عليه يكون مدار ذلك الزمان فإذا سميناه و عيناه قد يكون أهل زمانه يعرفونه بالاسم و العين و لا يعرفون رتبته فإن الولاية أخفاها الله في خلقه و ربما لا يكون عندهم في نفوسهم ذلك القطب بتلك المنزلة التي هو عليها في نفس الأمر فإذا سمعوا في كتابي هذا بذكره أداهم إلى الوقوع فيه فينزع الله نور الايمان من قلوبهم كما قال رويم و أكون أنا السبب في مقت الله إياهم فتركت ذلك شفقة مني على أمة محمد ص و ما أنا في قلوب الناس و لا في نفس الأمر و لا عند نفسي بمنزلة الرسول يجب الايمان بي عليهم و بما جئت به و لا كلفني الله إظهار مثل هذا فأكون عاصيا بتركه و لا هذه المسألة بمنزلة قوله تعالى وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمن شاءَ فَلْيَكْفُرْ و بسط الرحمة على الكافة أولى من اختصاصها في حقنا و قد فعل مثل هذا القشيري في رسالته حيث ذكر أولئك الرجال في أول الرسالة و ما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن وقع ذكره من الرجال في رسالته ثم إنه ساق عقيدته في التوحيد في صدر الرسالة ليزيل بذلك ما في نفس بعض الناس منه من سوء الطوية وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السادس و الخمسون و خمسمائة في معرفة حال قطب كان منزله تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ و هو من أشياخنا درج سنة تسع و ثمانين و خمسمائة رحمه الله»

بالكشف و الحال و المقام 	تبارك الملك و للإمام

في كل حال على الدوام 	و هو الذي لا يزال ملكا

في كونه أعين الأنام 	له الكمال الذي تراه

يزيد قدرا على التمام 	له الكمال الذي تراه

في عالم النور و الظلام 	مرتبا للأمور كشفا

عين الذي كان في المنام 	يشهد في الانتباه عينا

فجاد بالوحي في الكلام 	نسأله في الكلام وحيا

كان هذا الهجير و المقام لشيخنا أبي مدين و كان يقول أبدا سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك و هي مختصة بالإمام الواحد من الإمامين و لها الزيادة دائما في الدنيا و الآخرة فإنها مختصة بالملك و الزيادة إنما تكون من الملك فإذا تكررت تضاعف على الذاكر ما ينعم الله به على عبده و الناس على مراتب مختلفة و تكون زياداتهم على حسب مراتبهم بما هم فيه فمن كان من أهل المعاني كانت الزيادة من المعاني و من كان من أهل الحس كانت زيادته من المحسوسات قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ فلو أعطى في المزيد خلاف ما تعطيه مرتبته لم يقم به رأسا فينسب إلى سوء الأدب و إذا وافق رتبته وقع به الفرح منه و القبول و زاد في الشكر فتضاعف له المزيد و اعلم أن هذا الذاكر بهذا الذكر الخاص لا بد أن ينقدح له أن عينيه يد الحق الذي بها الملك فيرى الحق يعطي به من لا يرى أنه يده فيكون الحق مشكورا عند المنعم عليهم من جهة هذا الذاكر فيجني ثمرة نعيم كل منعم عليه فيشركهم في كل نعيم ينالونه من أي نوع كان من الإنعام و هذا لا يكون إلا لمن كمل من رجال الله وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الباب السابع و الخمسون و خمسمائة في معرفة ختم الأولياء على الإطلاق»

ألا إن ختم الأولياء رسول   و ليس له في العالمين عديل
هو الروح و ابن الروح و الأم مريم   و هذا مقام ما إليه سبيل
فينزل فينا مقسطا حكما بنا   و ما كان من حكم له فيزول
فيقتل خنزير أو يدمغ باطلا   و ليس له إلا الإله دليل
يؤيده في كل حال بآية   يراها برأي العين فهو كفيل
يقيم بإعلام الهدى شرع أحمد   يكون له منه لديه مقيل
يفيض عليه من وسيلة ملكه   و لكنه في حالتيه نزيل

اعلم وفقنا الله و إياك أن الله تعالى من كرامة محمد ص على ربه أن جعل من أمته رسلا ثم إنه اختص من الرسل من بعدت نسبته من البشر فكان نصفه بشرا و نصفه الآخر روحا مطهرة ملكا لأن جبريل وهبه لمريم بَشَراً سَوِيًّا رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ ثم ينزله وليا خاتم الأولياء في آخر الزمان يحكم بشرع محمد ص في أمته و ليس يختم إلا ولاية الرسل و الأنبياء و ختم الولاية المحمدي يختم ولاية الأولياء لتتميز المراتب بين ولاية الولي و ولاية الرسل فإذا نزل وليا فإن خاتم الأولياء يكون ختما لولاية عيسى من حيث ما هو من هذه الأمة حاكما بشرع غيره كما إن محمدا خاتم النبيين و إن نزل بعده عيسى كذلك حكم عيسى في ولايته بتقدمه بالزمان خاتم ولاية الأولياء و عيسى منهم و رتبته قد ذكرناها في كتابنا المسمى عنقاء مغرب فيه ذكره و ذكر المهدي الذي ذكره رسول الله ص فأغنى عن ذكره في هذا الكتاب و منزلته لا خفاء بها فإن عيسى كما قال رَسُولُ اللّٰهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلىٰ مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر الأحد و الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

«الباب الثامن و الخمسون و خمسمائة في معرفة الأسماء الحسنى التي لرب العزة و ما يجوز أن يطلق عليه منها لفظا و ما لا يجوز»

أرى سلم الأسماء يعلو و يسفل و تجري به ريح جنوب و شمال
فيا عجبا كيف السلامة و العما شقيق الهدى و الأمر ما ليس يفصل
أ لم تر أن الله في النار يعدل و في جنة الفردوس يسدي و يفضل
فإن قلت هذا كافر قلت عادل و إن قلت هذا مؤمن قلت مفضل
فهذا دليل أن ربي واحد يولي الذي شاء إلا له و يعزل
فأعياننا أسماؤه ليس غيرها ففي نفسه يقضي الأمور و يفصل

قال الله تعالى وَلِلَّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنىٰ و ليست سوى الحضرات الإلهية التي تطلبها و تعينها أحكام الممكنات و ليست أحكام الممكنات سوى الصور الظاهرة في الوجود الحق «فالحضرة الإلهية» اسم لذات و صفات و أفعال و إن شئت قلت صفة فعل و صفة تنزيه و هذه الأفعال تكون عن الصفات و الأفعال أسماء و لا بد لكن منها ما أطلقها على نفسه و منها ما لم يطلق لكن جاء بلفظ فعل مثل وَمَكَرَ اللّٰهُ و سَخِرَ اللّٰهُ و أَكِيدُ كَيْداً و اللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ الذي إذا بنيت من اللفظ اسم فاعل لم يمتنع و كذلك الكنايات منها مثل سَرٰابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ و هو تعالى الواقي و النائب هنا السربال و شبه ذلك و منها الضمائر من المتكلم و الغائب و المخاطب و العام مثل قول الله تعالى يا أَيُّهَا النّٰاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَى اللّٰهِ فقد تسمى في هذه الآية بكل ما يفتقر إليه فكل ما يفتقر إليه فهو اسم لله تعالى إذ لا فقر إلا إليه و إن لم يطلق عليه لفظ من ذلك فنحن إنما نعتبر المعاني التي تفيدنا العلوم و أما التحجير و رفع التحجير في الإطلاق عليه سبحانه فذلك إلى الله فما اقتصر عليه من الألفاظ في الإطلاق اقتصرنا عليه فإنا لا نسميه إلا بما سمي به نفسه و ما منع من ذلك منعناه أدبا مع الله فإنما نحن به و له فلنذكر في هذا الباب الحضرات الإلهية التي كنى الله عنها بالأسماء الحسنى حضرة حضرة و لنقتصر منها على مائة حضرة ثم نتبع ذلك بفصول مما يرجع كل فصل منها إلى هذا الباب فمن ذلك الحضرة الإلهية و هي الاسم الله

الله الله الله الذي حكمت آياته أنه في كونه الله
سبحانه جل أن يحظى به أحد من العباد فلا إله إلا هو
اختص باسم فلم يشركه من أحد فيه و ذلك قول القائل الله

و هي الحضرة الجامعة للحضرات كلها و لذلك ما عبد عابد لله إلا هي و بذا حكم تعالى في قوله وَقَضىٰ رَبُّكَ أَلاّٰ تَعْبُدُوا إِلاّٰ إِيّٰاهُ و قوله أَنْتُمُ الْفُقَرٰاءُ إِلَى اللّٰهِ

فلله ما يخفى و لله ما بدا   نعم بل هو الله الذي ليس إلا هو

و اعلم أنه لما كان في قوة الاسم الله بالوضع الأول كل اسم إلهي بل كل اسم له أثر في الكون يكون عن مسماه ناب مناب كل اسم لله تعالى فإذا قال قائل يا الله فانظر في حالة القائل التي بعثته على هذا النداء و انظر أي اسم إلهي يختص بتلك الحال فذلك الاسم الخاص هو الذي يناديه هذا الداعي بقوله يا الله لأن الاسم الله بالوضع الأول إنما مسماه ذات الحق عينها التي بيدها مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فلهذا ناب الاسم الدال عليها على الخصوص مناب كل اسم إلهي ثم إن لهذا المسمى من حيث رجوع الأمر كله إليه اسم كل مسمى يفتقر إليه من معدن و نبات و حيوان و إنسان و فلك و ملك و أمثال ذلك مما ينطلق عليه اسم مخلوق أو مبدع فهو تعالى المسمى بكل اسم لمسمى في العالم مما له أثر في الكون و ما ثم إلا من له أثر في الكون و أما تضمنه لأسماء التنزيه فمأخذ ذلك قريب جدا و إن كان كل اسم إلهي بهذه المثابة من حيث دلالتهعلى ذات الحق جل جلاله و عز في سلطانه لكن لما كان ما عدا الاسم الله من الأسماء مع دلالته على ذات الحق يدل على معنى آخر من سلب أو إثبات بما فيه من الاشتقاق لم يقو في أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن و غيره من الأسماء الإلهية الحسنى و إن كان قد ورد قوله تعالى آمرا نبيه ص قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فالضمير في له يعود على المدعو به تعالى فإن المسمى الأصلي الزائد على الاشتقاق ليس إلا عينا واحدة ثم إن الله تعالى قد عصم هذا الاسم العلم أن يسمى به أحد غير ذات الحق جل جلاله و لهذا قال الله عز و جل في معرض الحجة على من نسب الألوهة إلى غير هذا المسمى قُلْ سَمُّوهُمْ فبهت الذي قيل له ذلك فإنه لو سماه سماه بغير الاسم الله و أما ما فيها من الجمعية فإن مدلولات الأسماء الزائدة على مفهوم الذات مختلفة كثيرة و ما بأيدينا اسم مخلص علم للذات سوى هذا الاسم الله فالاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الأعلام على مسمياتها و ثم أسماء تدل على تنزيه و ثم أسماء تدل على إثبات أعيان صفات و إن لم تقبل ذات الحق قيام الأعداد و هي الأسماء التي تعطي أعيان الصفات الثبوتية الذاتية كالعالم و القادر و المريد و السميع و البصير و الحي و المجيب و الشكور و أمثال ذلك و أسماء تعطي النعوت فلا يفهم منها في الإطلاق إلا النسب و الإضافات كالأول و الآخر و الظاهر و الباطن و أمثال ذلك و أسماء تعطي الأفعال كالخالق و الرازق و البارئ و المصور و أمثال ذلك من الأسماء و انحصر الأمر و جميع الأسماء الإلهية بلغت ما بلغت لا بد أن ترجع إلى واحد من هذه الأقسام أو إلى أكثر من واحد مع ثبوت دلالة كل اسم منها على الذات لا بد من ذلك فهي حضرة تتضمن جميع الحضرات فمن عرف الله عرف كل شيء و لا يعرف الله من لا يعرف شيئا واحدا أي مسمى كان من الممكنات و حكم الواحد منها حكم الكل في الدلالة على العلم بالله من حيث ما هو إله للعالم خاصة ثم إذا وقع لك الكشف بالعمل المشروع رأيت أنك ما علمته إلا به فكان عين الدليل هو عين المدلول عليه بذلك الدليل و الدال و هذه الحضرة و إن كانت جامعة للحقائق كلها فأخص ما يختص بها من الأحوال الحيرة و العبادة و التنزيه فأما التنزيه و هو رفعته عن التشبيه بخلقه فهو يؤدي إلى الحيرة فيه و كذلك العبادة فأعطانا قوة الفكر لننظر بها فيما يعرفنا بأنفسنا و به فاقتضى حكم هذه القوة أن لا مماثلة بيننا و بينه سبحانه و تعالى من وجه من الوجوه إلا استنادنا

إليه في إيجاد أعياننا خاصة و غاية ما أعطى التنزيه إثبات النسب له بكسر النون بنا لما نطلبه من لوازم وجود أعياننا و هي المسمى بالصفات فإن قلنا إن تلك النسب أمور زائدة على ذاته و إنها وجودية و لا كمال له إلا بها و إن لم تكن كان ناقصا بالذات كاملا بالزائد الوجودي و إن قلنا ما هي هو و لا هي غيره كان خلفا من الكلام و قولا لا روح فيه يدل على نقص عقل قائله و قصوره في نظره أكثر من دلالته على تنزيهه و إن قلت ما هي هو و لا وجود لها و إنما هي نسب و النسب أمور عدمية جعلنا العدم له أثر في الوجود و تكثرت النسب لتكثر الأحكام التي أعطتها أعيان الممكنات و إن لم نقل شيئا من هذا كله عطلنا حكم هذه القوة النظرية و إن قلنا إن الأمور كلها لا حقيقة لها و إنما هي أوهام و سفسطة لا تحوي على طائل و لا ثقة لأحد بشيء منها لا من طريق حسي و لا فكري عقلي فإن كان هذا القول صحيحا فقد علم فما هذا الدليل الذي أوصلنا إليه و إن لم يكن صحيحا فبأي شيء علمنا أنه ليس بصحيح فإذا عجز العقل عن الوصول إلى العلم بشيء من هذه الفصول رجعنا إلى الشرع و لا نقبله إلا بالعقل و الشرع فرع عن أصل علمنا بالشارع و بأي صفة وصل إلينا وجود هذا الشرع و قد عجزنا عن معرفة الأصل فنحن عن الفرع و ثبوته أعجز فإن تعامينا و قبلنا قوله إيمانا لأمر ضروري في نفوسنا لا نقدر على دفعه سمعناه ينسب إلى الله أمورا تقدح فيها الأدلة النظرية و بأي شيء منها تمسكنا قابلة الآخر فإن تأولنا ما جاء به لنرده إلى النظر العقلي فنكون قد عبدنا عقولنا و حملنا وجوده تعالى على وجودنا و هو لا يدرك بالقياس فأدانا تنزيهنا إلهنا إلى الحيرة فإن الطرق كلها قد تشوشت فصارت الحيرة مركز إليها ينتهي النظر العقلي و الشرعي و أما العبادة فمن حيث هي ذاتية فليست سوى افتقار الممكن إلى المرجح و إنما أعني بالعبادة التكليف و التكليف لا يكون إلا لمن له الاقتدار على ما كلف به من الأفعال أو مسك النفس في المنهيات عن ارتكابها فمن وجه ننفي الأفعال عن المخلوق و نردها إلى المكلفو الشيء لا يكلف نفسه فلا بد من محل يقبل الخطاب ليصح و من وجه نثبت الأفعال للمخلوق بما تطلبه حكمة التكليف و النفي يقابل الإثبات فرمانا هذا النظر في الحيرة كما رمانا التنزيه و الحيرة لا تعطي شيئا فالنظر العقلي يؤدي إلى الحيرة و التجلي يؤدي إلى الحيرة فما ثم إلا حائرة و ما ثم حاكم إلا الحيرة و ما ثم إلا الله كان بعضهم إذا تقابلت عنده هذه الأحكام في سره يقول يا حيرة يا دهشة يا حرقا لا يتقرى و ما هذا الحكم لحضرة أخرى غير هذه الحضرة الإلهية

«الحضرة الربانية و هي الاسم الرب»

و الرب ثبتنا لأنه الثابت　الرب مالكنا و الرب مصلحنا
ما كنت أدري بأني الكائن الفائت　لولا وجودي و كون الحق أوجدني
به لذلك ادعى الناطق الصامت　فالحق أوجدني منه و أيدني

و لها خمسة أحكام الثبوت على التلوين و السلطان على أهل النزاع في الحق و النظر في مصالح الممكنات و العبودة التي لا تقبل العتق و ارتباط الحياة بالأسباب المعتادة فأما الثبوت على التلوين فهو في قوله كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ و قوله يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ فما من نفس في العالم إلا و فيه

حكم التقليب ألا ترى إلى الشمس التي هي علة الليل و النهار تجري لا مستقر لها ليلا و لا نهارا ألا ترى إلى الكواكب كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ما قال يستقرون في ثلاثمائة و ستين درجة كل درجة بل كل دقيقة بل كل ثانية بل كل جزء لا يتجزأ من الفلك إذا أنزل الله فيه أي كوكب كان من الكواكب يحدث الله عند نزوله في كل جوهر فرد من عالم الأركان ما لا يعرف ما هو إلا الله الذي أوجده و يحدث في الملإ الأوسط من الأرواح السماوية التي تحت مقعر فلك البروج من العلوم بما يستحقه الحق عز و جل من المحامد على ما وهبهم من المعارف الإلهية كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللهُ عَلِيمٌ بِما يَفْعَلُونَ و الذين في هذا الملإ هم أهل الجنان و في عالم الأركان و في بعض هذا الملإ هم أهل النار الذين هم أهلها و يحدث في الملإ الأعلى و هو ما فوق فلك البروج إلى معدن النفوس و العقول إلى العماء من العلوم التي تعطيها الأسماء الإلهية ما يؤديهم إلى الثناء على الله بما ينبغي له تعالى من حيث هم لا من حيث الأسماء فإن الأسماء الإلهية أعظم إحاطة مما هم عليه فإن تعلقها في تنفيذ الأحكام غير متناه و أما السلطان الذي لهذه الحضرة على أهل النزاع في الحق فهو إن المقالات اختلفت في الله اختلافا كثيرا من قوة واحدة و هي الفكر في أشخاص كثيرين مختلفي الأمزجة و الأمشاج و القوي ليس لها من يمدها إلا مزاجها الطبيعي و حظ كل شخص من الطبيعة ما يعطيه من المزاج الذي هو عليه فإذا أفرغت قوتها فيه حصل له استعداد به يقبل نفخ الروح فيه فيظهر عن النفخ و تسوية الجسم الطبيعي صورة نورية روحانية ممتزجة بين نور و ظلمة ظلمتها ظل و نورها ضوء فظلها هو الذي مده الرب فهو رباني أَلَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ و نورها ضوء لأن استنارة الجسم الطبيعي إنما كان بنور الشمس و قد ذكر الله أنه جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَ الْقَمَرَ نُوراً فلهذا جعلنا نورها ضوءا من أجل الوجه الخاص الذي لله في كل موجود أو من كون إفاضة الضوء على مرآة الجسم المسوي فظهر في الانعكاس ضوء الشمس كظهوره من القمر فلذا سمينا الروح الجزئي نورا لأن الله جعل القمر نورا فهو نور بالجعل كما كانت الشمس ضياء بالجعل و هي بالذات نور و القمر بالذات محو فللقمر الفناء و للشمس البقاء

و للشمس الإضاءة و البقاء	فللقمر الفناء بكل وجه
لنا منه البشاشة و اللقاء	و للوجه الجميل بكل حسن
كما يحمى من الشجر اللحاء	حمينا حسنه من كل عين
له العرش المحيط له العماء	نزلنا بالسماء على وجود
له حكم السنا و له السناء	له الإقبال و الإدبار فينا
و إن يعلو بنا فلنا الثناء	إذا يدنو فمجلسه رحيب
هو المختار يفعل ما يشاء	له حكم الإرادة في وجودي

ثم تبعث القوي الروحانية و الحسية لخلق هذا الروح الجزئي المنفوخ بطريق التوحيد لأنه قال وَنَفَخْتُ و أما روح عيسى فهو منفوخ بالجمع و الكثرة ففيه قوى جميع الأسماء و الأرواح فإنه قال فَنَفَخْنا بنون الجمع فإن جبريل ع وهبه لها بَشَراً سَوِيًّا فتجلى في صورة إنسان كامل فنفخ و هو نفخ الحق كما قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فلما تبعته هذه القوي كان منها القوة المفكرة أعطيت للإنسان لينظر بها في الآيات في الآفاق و في نفسه ليتبين له بذلك أنه الحق و اختلفت الأمزجة فلا بد أن يختلف القبول فلا بد أن يكون التفاضل في التفكر فلا بد أن يعطي النظر في كل عقل خلاف ما يعطي الآخر حتى يتميز في أمر و يشترك مع غيره في أمر فهذا سبب اختلاف المقالات فيحكم الرب بين أصحاب هذه المقالات بما يجيء به الشرع المنزل فتبقى العقول واقفة في أدلتها و رجع اختلاف نظرها في المواد الشرعية بعد ما كانت أولا ناظرة بالنظر العقلي و ذلك ليس إلا للمؤمنين و المؤمنات خاصة قالوا فقون مع حكم الرب في ذلك بين المتنازعين هم المؤمنون و لهم عين الفهم فاختلفوا مع الاتفاق فاختلافهم في المفهوم من هذا الذي حكم به الرب في حق الحق و هذا هو الحق الذي نصبه الشرع للعباد و بما سمي به نفسه نسميه و بما وصف به ذاته نصفه لا نزيد على ما أوصل إلينا و لا نخترع له أسماء من عندنا و أما نزاع غير المؤمنين في اختلاف عقائدهم فيكون الشارع واحدا منهم في كونه نزع في الحق منزعا لم ينزعوه لكونهم غير مؤمنين فالحاكم بينهما أعني بين الشرع و العقلاء غير المؤمنين إنما هو الله بصور التجلي به يقع الفيصل بينهما و لكن في الدار الآخرة لا هنا فإن في الدار الآخرة يظهر حكم الجبر فلا يبقى منازع هناك أصلا و يكون الملك هناك لله الواحد القهار و تذهب الدعاوي من أربابها و تبقي المؤمنون هنالك سادات الموقف على كل من في الموقف و أما النظر في مصالح الممكنات الذي لهذه الحضرة فاعلم أن الممكنات إذا نظرتها من حيث ذاتها لم يتعين لقبولها من الأطراف طرف تكون به أولى فيكون الرب ينظر بالأولوية في وجودها و عدمها و تقدمها في الوجود و تأخرها و مكانها و مكانتها و يناسب بينها و بين أزمنتها و أمكنتها و أحوالها فيعمد إلى الأصلح في حقها فيبرز ذلك الممكن فيه لأنه لا يبرزه إلا ليسبحه و يعرفه بالمعرفة التي تليق به مما في وسعه أن يقبلها ليس غير ذلك فلهذا ترى بعض الممكنات يتقدم على بعض و يتأخر و يعلو و يسفل و يتلون في أحوال و مراتب مختلفة من ولاية و عزل و صناعة و تجارة و حركة و سكون و اجتماع و افتراق و ما أشبه ذلك و هو تقليب ممكنات في ممكنات في غير ذلك ما تتقلبو أما العبودة التي لا تقبل العتق فهي العبودة لله فإن العبودة على ثلاثة أقسام عبودة لله و عبودة للخلق و عبودة للحال و هي العبودية فهو منسوب إلى نفسه و لا يقبل العتق من هذه الثلاثة إلا عبودة الخلق و هي على قسمين عبودة في حرية و هي عبوديتهم للأسباب فهم عبيد الأسباب و إن كانوا أحرارا و عبودية الملك و هي العبودية المعروفة في العموم التي يدخلها البيع و الشراء فيدخلها العتق فيخرجه عن ملك المخلوق و بقيت الحيرة في ملك الأسباب هل يخرج من استرقاق الأسباب أم لا فمن يرى أن الأسباب حاكمة عليه و لا بد و من المحال الخروج عنها إلا بالوهم لا في نفس الأمر قال ما يصح العتق من رق الأسباب و من قال بالوجه الخاص و هو الذي لا اشتراك فيه قال بالعتق من رق الأسباب و عتقه معرفته بذلك الوجه الخاص فإذا عرفه خرج عن رق الأسباب و أما عبودة الله و عبودة العبودية و هي عبودة الحال فلا يصح العتق فيها جملة واحدة و أما ارتباط الحياة بالأسباب

المعتادة فأظهر ما يكون فيما يقع به الغذاء لكل متغذ من الغذاء المعنوي و المحسوس فالغذاء المحسوس معلوم و الغذاء المعنوي ما تتغذى به العقول و كل من حياته بالعلم كان ما كان و على أي طريق كان فكم من علم يحصل للعالم به من طريق الابتلاء و ذلك لإقامة الحجة فيمن من شأنه الطلب و هو سار في جميع الموجودات و قد بينا ذلك في عضو البطن من مواقع النجوم و لو لا التطويل بينا في هذه الحضرة ما يتعلق من الأسرار بها فلا ننبه من كل حضرة إلا على طرف منها و لهذا الاسم الرب إضافات كثيرة تجتمع في الإضافة و تفترق بحسب ما يضاف إليه فثم إضافة للعالمين و لكاف الخطاب من مفرد فَوَرَبِّكَ و مثنى فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى و مجموع رَبَّكُمُ و إلى الآباء و إلى ضمير الغائب ربه و ربهم و إلى السماء و السموات و إلى الأرض و إلى المشرق و المغرب و إلى المشارق و المغارب و إلى الناس و إلى الفلق و إلى ضمير المتكلم فلا تجده أبدا إلا مضافا فعلمك به منحيث من هو مضاف إليه فافهم و الكلام في هذه التفاصيل يطول وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الرحموت الاسم الرحمن الرحيم»

لأحظي بالجلال و بالجمال إلى الرحمن حلي و ارتحالي

رءوفا يوم يدعوني نزال فإن الحق كان بنا رحيما

مبالغة في الرحمة الواجبة و الامتنانية قال تعالى وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و من أسماء الله تعالى الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ و هو من الأسماء المركبة كبعلبك و رامهرمز و إنما قبل هذا التركيب لما انقسمت رحمته بعباده إلى واجبة و امتنان فبرحمة الامتنان ظهر العالم و بها كان مال أهل الشقاء إلى النعيم في الدار التي يعمرونها و ابتداء الأعمال الموجبة لتحصيل الرحمة الواجبة و هي الرحمة التي قال الله فيها لنبيه ص على طريق الامتنان فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لَهُمْ وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّٰ رَحْمَةً لِلْعٰالَمِينَ رحمة امتنان و بها رزق العالم كله فعمت و الرحمة الواجبة لها متعلق خاص بالنعت و الصفات التي ذكرها الله في كتابه و هي رحمة داخلة في قوله رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فمنتهى علمه منتهى رحمته فيمن يقبل الرحمة و كل ما سوى الله قابل لها بلا شك و من عموم رحمته و رحموته نفس الرحمن و إزالة الغضب عنه الذي لم يغضب قبله مثله و لن يغضب بعده مثله إن غضب بشهادة المبلغين عنه الإرسال عليهم الصلاة و السلام في الصحيح من النقل و سميت هذه الحضرة باسم المبالغة لعمومها و دخول كل شيء فيها فلما كان لها من التعلق بعدد الممكنات على أفراد كل ممكن و بعدد المناسبات الموجبة التركيب و هي لا تتناهى فرحمة الله غير متناهية و منها صدرت الممكنات و منها صدر الغضب الإلهي و لما صدر عنها لم يرجع إليها لأنه صدر صدور فراق لتكون الرحمة خالصة محضة و لذلك تسابقا فما تسابقا إلا عن تميز و انفراد و جميع ما سوى الغضب الإلهي وجد من الرحمة في عين الرحمة فما خرج عنها

و كل ما عندها معد فرحمة الله لا تحد

فإنه نحوها يرد و كل من ضل عن هداها

و ما لديها من بعد بعد　　فالقرب منها هو التداني

فما لها في الوجود حد　　فلا تقل إنها تناهت

فالرب رب و العبد عبد　　بها تميزت عنه فانظر

و من علم سبب وجود العالم و وصف الحق نفسه بأنه أحب أن يعرف فخلق الخلق و تعرف إليهم فعرفوه و لهذا سبح كل شيء بحمده علم من ذلك أول متعلق تعلقت به الرحمة فالمحب مرحوم للوازم المحبة و رسومها و اعلم أن الحكم على الله أبدا بحسب الصورة التي يتجلى فيها فما يصح لتلك الصورة من الصفة التي تقبلها فإن الحق يوصف بها و يصف بها نفسه و هذا في العموم إذا رأى الحق أحد في المنام في صورة أي صورة كانت حمل عليه ما تستلزمه تلك الصورة التي رآه فيها من الصفات و هذا ما لا ينكره أحد في النوم فمن رجال الله من يدرك تلك الصورة في حال اليقظة و لكن هي في الحضرة التي يراها فيها النائم لا غيرها و هذه المرتبة يجتمع فيها الأنبياء و الأولياء رضي الله عنهم و هنا يصح كون الرحمة وسعت كل شيء و هذه الصورة الإلهية في هذه الحضرة من الأشياء فلا بد أن تسعها رحمة الله إن عقلت و الانتقام من رحمة المنتقم بنفسه في الخلق وَاللّٰهُ عَزِيزٌ عن مثل هذا ذُو انْتِقامٍ وَالْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللّٰهِ عَلَيْها إِنْ كانَ مِنَ الصّادِقِينَ وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً و إذا وفق الله عبده للتوبة فقد وفقه لما لله به فرح فإن الله يفرح بتوبة عبده في الصحيح فذلك من رحمة الله و الأخبار النبوية في ذلك أكثر من أن تحصى كثرة

«حضرة الملك و الملكوت و هو الاسم الملك»

ملكا على الأعداء حتى تملك　　إن المليك هو الشديد فكن به

فيما تريد تكن به نعم الملك　　فإذا ملكت النفس عن تصريفها

و أيضا

و له مليكا في القيامة تسعد　　إن المليك هو الشديد فكن به

يوم القيامة في السعادة تشهد　　لو لم يكن من ملكه إلا الذي

اعلم أن الملك و الملكوت لهما الاسم الظاهر و الباطن و هو عالم الغيب و عالم الشهادة و عالم الخلق و عالم الأمر و هو الملك المقهور فإن لم يكن مقهورا تحت سلطان الملك فليس بملك و من كان باختيار ملكه لا باختيار نفسه في تصرفه فيه فليس ذلك بملك و لا ملك بل منزلة من هو بهذه المثابة في ملكه منزلة المتنفل في العبادة فهو عبد اختيار لا عبد اضطرار يعزل ملكه إذا شاء و يوليه إذا شاء و الملك المجبور المضطر ليس كذلك فهو تحت سلطان الملك فإذا نفذ أمره في ظاهر ملكه و في باطنه فذلك الملكوت و إن اقتصر في النفوذ على الظاهر و ليس له على الباطن سبيل فذلك الملك و قد ظهرت هاتان الصفتان بوجود المؤمن و المنافق في اتباع الرسل صلوات الله عليهم فمنهم من اتبعه في ظاهره و

باطنه و هو المؤمن المسلم و منهم من اتبعه في ظاهره لا في باطنه و ذلك المنافق و منهم من اتبعه في باطنه لا في ظاهره فذلك المؤمن العاصي و ما جعل الله للإنسان عينين إلا ليدرك بهما هاتين الصفتين عين حس و عين عقل بصيرة و بصر لأنه لما خلق من كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ خلق لإدراكهما عينين و لما أضاف إلى نفسه الأعين بلفظ الجمع ليدل على الكثرة فكل عين حافظة مدركة لأمر ما بأي وجه كان فهي عين الحق الذي له الحفظ و الإدراك فذلك سبب الجمع فيها

فهو الحفيظ بنفسه و بخلقه و هو العليم بما له من حقه

بل وصف نفسه تعالى بالمشيئة و الاختيار أثبت بذلك عندنا شرعا لا عقلا إن له تصرفا في نفسه و هذا حكم يحيله النظر العقلي بعين البصيرة على الله و يصححه الخبر الشرعي و العين البصري في اختلاف الصور عليه التي يتجلى فيها و به ثبت يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ و إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ و لَوْ أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى ففي هذا كله وجه إلى أحدية متعلق الإرادة و وجه إلى التصرف في التعلق و التصرف في التعلق تصرف في الإرادة و الإرادة إما ذاته على مذهب نفاة الزائد و إما صفته على مذهب مثبتي الصفات زائدة و الصحيح في غير هذين القولين و هو أن الإرادة ليست بأمر زائد على الذات و لا هي عين الذات و إنما هي تعلق خاص للذات أثبته الممكن لإمكانه في القبول لأحد الأمرين على البدل لو لا معقولية هذين الأمرين و معقولية القبول من الممكن ما ثبت للإرادة و لا للاختيار حكم و لا ظهر له في العبارات اسم فمن حضر مع الحق في حضرة الملك و الملكوت و لم يعرف العالم و لا ما هو و لا عرف نسبته من الحق و لا نسبة الحق منه فما حضر في هذه الحضرة بوجه من الوجوه و لا كان له حظ في الاسم الملك

«حضرة التقديس و هو الاسم القدوس»

أعلامها فينا يكن قدوسا	من طهر النفس التي لا تنجلي
من كان في تصريفه إبليسا	و يرد ملكا طاهرا ذا عفة
لا حظي بالزكاة و بالطهور	إلى القدوس أعملت المطايا
و بالأمر العلى من الأمور	و بالعرش المحيط و ساكنيه
به أحيى له و به نشوري	فإن القدس ليس له نظير
وصدر الحق منا في الصدور	و إن الحق ليس به خفاء

سبوح قدوس مطهر من الأسماء النواقص و الأسماء النواقص هي التي لا تتم إلا بصلة و عائد فإن من أسمائه سبحانه الذي و ما في قوله الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ و في قوله الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ و أما ما في قوله تعالى وَالسَّماءِ وَما بَناها في بعض وجوه ما في هذا الموضع فإن ما قد تكون هنا مصدرية و قد تكون بمعنى الذي فتكون هنا اسما لله عز و جل فاعلم إن الله لما خلق الأسباب و جعلها

الظاهرة لعباده و فعل المسببات عندها و تخيل الناظرون أنها ما خلقت إلا بها و هذا هو الذي أضل الخلق عن طريق الهدى و العلم و حجبهم عن الوجه الخاص الذي لله في كل كائن فاعلم إن ذلك اللفظ المسمى اسما ناقصا و هو ما و من و الذي و أخوات هذه الأسماء إنما مسماها السبب الذي احتجب الله به عن خلقه في خلقه هذه المسببات فهو القدوس أي المطهر عن نسبة الأسماء النواقص إليه لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فأنت بخير النظرين إما أن يكون كشفك إن الحق هو الظاهر في مظاهر الممكنات فيكون التقديس للممكنات بوجود الحق و ظهوره في أعيانها فتقدست به عما كان ينسب إليها من الإمكان و الاحتمالات و التغييرات فليس إلا أمر واحد و أعيان كثيرة كل عين في أحديتها لا تتغير عين لعين بل يظهر بعضها لبعض و يخفى بعضها عن بعض بحسب صورة الممكن و إما أن يكون الحق عين المظهر و يكون الظاهر أحكام أعيان الممكنات الثابتة أزلا التي لا يصح لها وجود فيكون التقديس للحق لأجل ما ظهر من تغير أحكام الممكنات في عين الوجود الحق أي الحق مقدس قدوس عن تغيره في نفسه بتغير هذه الأحكام كما تقول في الزجاج المتلون بألوان شتى إذا ضرب النور فيه و انبسط نور الشعاع مختلف الألوان لأحكام أعيان التلون في الزجاج و نحن نعلم أن النور ما انصبغ بشيء من تلك الألوان مع شهود الحس لتلون النور بألوان مختلفة فتقدس ذلك النور في نفسه عن قبول التلون في ذاته بل نشهد له بالبراءة من ذلك و نعلم أنه لا يمكن أن ندركه إلا هكذا فكذلك و إن نزهنا الحق عن قيام تغيير ما أعطته أحكام أعيان الممكنات فيه عن أن يقوم به تغيير في ذاته بل هو القدوس السبوح و لكن لا يكون الأمر إلا هكذا في شهود العين لأن الأعيان الثابتة في أنفسها هذه صورتها و كذلك روح القدوس تارة يتجلى في صورة دحية و غيره و تجلى و قد سد الأفق و تجلى في صورة الدر و تنوعت عليه الصور أو تنوع في الصور و نعلم أنه من حيث إنه روح القدس مطهر عن التغيير في ذاته و لكن هكذا ندركه كما أنه إذا نزل بالآيات على من نزل من عباد الله و الآيات متنوعة فإن القرآن متنوع ينطبع عند النازل عليه في قلبه بصورة ما نزل به عليه فتغير على المنزل عليه الحال لتغيير الآيات و الكلام من حيث ما هو كلام الله واحد لا يقبل التغيير و الروح من حيث ما هو لا يقبل التغيير فالكلام قدوس و الروح قدوس و التغيير موجود فتنظر في مدلول الآيات فإذا كان مدلولها الممكنات فالتقديس للحق و إذا كان مدلول الآية الحق فما هو من حيث عينه لأنه قدوس و إنما هو من حيث اسم ما إلهي من الأسماء و هذه فائدة الدلالة

«حضرة السلام الاسم الإلهي السلام»

كان السلام له المقام الشامخ	لما تسمى بالسلام لخلقه
و العز و المجد التليد الباذخ	و الحكم فيهم بالذي قد شاءه
فينا و من أسماء نرجو السلام	إن السلام تحية من ربنا
و له التقدم و التحكم و الإمام	و لنا التأخر عن علو مقامه
حارت عقول الواصلين من الأنام	لما تسمى بالسلام لخلقه

قال الله تعالى لَهُمْ دارُ السَّلامِ وهي دار لا يَمَسُّهُمْ فِيها نَصَبٌ فهم فيها سالمون اعلم أن السلامة التي للعارف هي تنزيهه من دعوى الربوبية على الإطلاق إلا أن يظهر عليه نفحاتها عند ما يكون شهوده كون الحق جميع قواه فيكون دعوى فيكون سلامته عند ذلك من نفسه و بها سمي السلام سلاما لما أراد الصحابة رضي الله عنهم في التشهد أن يقولوا أو قالوا السلام على الله تحية فقال رسول الله ص لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلامفإذا حضر العبد و هو عبد السلام مع الحق في هذه الحضرة وكان الحق مرآة له فلينظر ما يرى فيها من الصور فإن رأى فيها صورة باطنة و معاينة مشكلة بشكل ظاهره فعلم أنه رأى نفسه و ما حصلت له درجة من يكون الحق جميع قواه و إن رأى صورة غير مشكلة بشكل جسدي مع تعقله أن ثم أمرا ما هو عينه فتلك صورة حق و إن العبد في ذلك الوقت قد تحقق بأن الحق قواه ليس هو و إن كان العبد في هذا الشهود هو عين المرآة وكان الحق هو المتجلي فيها فلينظر العبد من كونه مرآة ما تجلى فيه فإن تجلى فيه ما يقيد بشكله فالحكم للمرآة لا للحق فإن الرائي قد يتقيد بحقيقةشكل المرآة من طول و عرض و استدارة و انحناء وكبر و صغر فترد الرائي إليها و لها الحكم فيه فيعلم بالتقييد المناسب لشكل المرآة أن الذي رآه قد تحول في شكل صورته في أنواع ما تعطيه حقيقته في تلك الحال و إن رآه خارجا عن شكل ذاته فيعلم أنه الحق الذي هو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ و بأي صورة ظهر فقد سلم من تأثير الصورة الأخرى فيه لأن حضرة السلام تعطي ذلك ألا ترى الرجل الذي رأى الحق عند رؤية أبي يزيد فمات و قد كان يرى الحق قبل رؤية الحق في رؤية أبي يزيد فلا يتأثر فقد رأى الحق في غير صورة مرآته و مثاله رؤية الشخص نفسه في مرآة فيها صورة مرآة أخرى و ما في تلك المرآة الأخرى فيرى المرآة الأخرى في صورة مرآة نفسه و يرى الصورة التي في تلك المرآة الأخرى في صورة تلك المرآة الأخرى فبين الصورة و مرآة الرائي مرآة وسطي بينها و بين الصورة التي فيها و قد بينا و نبهنا على هذا و رغبنا في هذا المقام في رؤية الحق بالرؤية المحمدية في الصورة المحمدية فإنها أتم رؤية و أصدقها و هذه الحضرة لمن لم يشرك بالله شيئا و إذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً و الجاهل من أشرك بالله خفيا كان الشرك أو جليا و ذلك لأنهم يعرفون من أين خاطبهم الجاهلون و ما حضرتهم فلو أجابوهم لانتظموا معهم في سلك الجهالة فإن كل إنسان ما يكلم إنسانا بأمر ما من الأمور ابتداء أو مجيبا حتى ينصبغ بصفة ذلك الأمر الذي يكلمه به كان ذلك ما كان و كل ذلك من الحضرات الإلهية علم ذلك من علمه و جهله من جهله فلم يتمكن لهؤلاء أن يزيدوا على قولهم سلاما شيئا و لو راموا ذلك ما استطاعوا و هذه الحضرة من أعظم الحضرات منها تقول الملائكة لأهل الجنة سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ و منها شرعت التحية فينا بالسلام على التعريف و التنكير و في الصلاة و في غير الصلاة و اعلم أن الجاهل هو الذي يقول أو يعتقد ما يصوره في نفسه و ما لذلك المصور اسم مفعول صورة في عينه زائدة على ما صوره هذا القائل و المعتقد في نفسه فكل ما تطلبه في حضرة وجودية فلا تجده إلا في نفس الذي صوره أو تلقاه عمن صوره فذلك الجهل أعني تصويره و ذلك الجاهل أعني الذي صوره و من كان من أهل هذه الحضرة السلامية فإنه عالم بالحضرات الوجودية و ما تحوي عليه من الصور فإذا لم يجد فيها صورة ما خاطبه بها هذا القائل علم أنه جاهل أو مقلد لجاهل فلا يزيده على قوله سلاما شيئا و هذا مقام عزيز ما رأيت من أهله أحدا إلى الآن أعني أهل الذوق الذين لهم فيه شهود

و إن كنت رأيت من يصمت عند خطاب الجاهل فما كل من يصمت عند خطاب الجاهل يصمت من هذه الحضرة و إن علم إن القائل من الجاهلين و لكن لا يقول سلاما إلا صاحب هذه الحضرة فإن له اطلاعا على وجود تلك الصورة في نفس القائل و لا يرى لها صورة في غير محله أصلا سواء كان ذلك القائل مقلدا أو قائلا عن شبهة و كل ما لا صورة له إلا في نفس قائله فإنها تذهب من الوجود بذهاب قوله أو ذهاب تذكر ما صوره من ذلك فإنه ما ثم حضرة وجودية تضبط عليه وجوده و للحروف المنظومة الدالة عليه من المتكلم به أعني أعيانا ثابتة في حضرة الثبوت أعني في شيئية الثبوت في عين هذا القائل و في شيئية الوجود الخطابي أيضا و لكن مدلولها العدم فلا بد من ذهاب الصورة من النفس و إن بقيت لها صورة في الخطاب كائنة من حيث ما تشكلت في الهواء ملكا مسبحا يعرف أمه و هو القائل و لا يعرف له أبا في حضرة من حضرات الوجود فيبقى غريبا ما له نسب يعرفه سوى الذي تكون فيه و هو هذا الجاهل القائل و بهذا كان الصدق له الإعجاز في الكلام لأنه حق وجودي بخلاف المزور في نفسه ما ليس هو فما له شيء يستند إليه فيظهر قصوره عن غيره و لذلك نهينا أن نضرب لله الأمثال و هو يضرب الأمثال لأنه يعلم و نحن لا نعلم فهو عز و جل يضرب لنا الأمثال بما له وجود في عينه و نحن لسنا كذلك إلا بحكم المصادفة فنضرب المثل إذا ضربناه بما له وجود في عينه و بما لا وجود له إلا في تصورنا فنطلب مستندا فلا نجده فلا يبقى له عين فيزول لزواله ما ضرب له المثل لأنه لا يشبهه كما يزول نور السراج من البيت إذا ذهب السراج منه و قد رأينا جماعة من المنتمين إلى الله يتسعون في ضرب المثل من علماء الرسوم و من أهل الأذواق كما أنهم يتكلمون في ذات الحق بما يقع به التنزيه لها من كونها لو كانت كذا لزم أن تكون كذا فاذن ليست بكذا و الكلام في ذات الله عندنا محجور بقوله وَيُحَذِّرُكُمُ اللّٰهُ نَفْسَهُ من باب الإشارة و إن كان له مدخل في التفسير أيضا و لا يقع في مثل هذا إلا جاهل بالأمر و في لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ما يقع به الاستغناء لو فهموه و ما رأينا أحدا ممن يدعي فيه أنه من فحول العلماء من أي صنف كان من أصناف النظار إلا و قد تكلم في ذات الحق غير أهل الله من تحقق منهم بالله فإنهم ما تعرضوا لشيء من ذلك لأنهم رأوه عين الوجود كما أشهدهم فهم يتكلمون عن شهود فلا يسلبون و لا ينفون و لا يشبهون وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الأمان و هي للاسم المؤمن»

ما زال يدعوه الورى بالمؤمن معطي الأمان المؤمن الرب الذي
و بما له منا و ما للممكن فهو العليم بحقه و بحقنا

«و لهذا الاسم أيضا»

فقد حاز المشاهد و المواقف إذا كان الأمان لكل خائف
على كتب و أشباه المعارف و آتاه المنزه كل شيء
قصور في الهبات و في العوارف فيصبح عارفا لا يعتريه

لا ثبت الأمان لكل عارف و لو لا غيرة الرحمن فينا

يريد الستر في حق المكاشف و لكني سترت لكون ربي

و هي لعبد المؤمن فإن كل حضرة لها عبد كما لها اسم إلهي فأول حضرة تكلمنا فيها هي لعبد الله و يتلوها عبد ربه لا عبد الرب فإنه ما أتى هذا الاسم في كلام الله إلا مضافا ثم عبد الرحمن ثم عبد الملك ثم عبد القدوس ثم عبد السلام ثم عبد المؤمن و له هذه الحضرة و تحققت بهذه العبودية بعد دخولي هذا الطريق بسنة أو سنتين تحققا لم ينله في علمي أحد في زماني غيري و لا ابتلي فيه أحد ما ابتليت فيه فقطعته بحيث إنه ما فاتني منه شيء وصفا لي الجو و لم يحل بيني و بين خبر السماء و عصمني الله من التفكر في الله فلم أعرفه إلا من قوله و خبره و شهوده و بقي فكري معطلا في هذه الحضرة و شكرني فكري على ذلك و قال لي الفكر الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف و التعب فيما لا ينبغي لي أن أتصرف فيه فصرفته في الاعتبار و بايعني على أني لا أصرفه إلا في الشغل الذي خلق له متى صرفته فأجبته إلى ذلك فما قصرت في حق قواي كلها حيث ما تعديت بها ما خلقت له و حصل لها الأمان من جهتنا في ذلك فأرجو أنها تشكرني عند الله و أعني القوى الروحانية التي خلق الله فينا و اعلم أن هذه الحضرة ما لها في الكون سلطان إلا في الأخبار الإلهية و هي على قسمين عند من دخل إلى هذه الحضرة و تحقق بها القسم الواحد الخبر الإلهي الآتي من عند الله المسمى صحفا أو توراة أو إنجيلا أو قرآنا أو زبورا أو كل خبر أخبر به عن الله ملك أو رسول بشري أو كلم الله به بشرا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ هذا الذي عليه أهل الايمان و أهل الله و القسم الآخر يقول به طائفة من أهل الله أكابر في كل خبر في الكون من كل قائل و أصحاب هذا القسم يحتاجون إلى حضور دائم و علم بمواقع الأخبار و أعني بالعلم العلم بمواقع الأخبار و هو أنهم يعرفون الخطاب الوارد على لسان قائل ما ممن له نطق في الوجود أين موقعه من العالم أو من الحق فيبرزون له آذانا منهم واعية لا يسمعونه إلا بتلك الآذان فيتلقونه و يطلبون به متعلقة حتى ينزلوه عليه و لا يتعدوه به و هذا لا يقدر عليه إلا من حصر أعيان الموجودات أعني أعيان المراتب لا أعيان الأشخاص فيلحقون ذلك الخبر بمرتبته فهم في تعب و مشقة فإن المتكلم مستريح في كلامه و هذا متعوب في سماعه ذلك الكلام فإنه لا يأخذه إلا من الله فينظر من يراد به فيوصله إلى محله فيكون ممن أدى الأمانة إلى أهلها و لهذا كان بعضهم يسد أذنيه بالقطن حتى لا يسمع كلام العالم و لله رجال هان عليهم مثل هذا فبنفس ما يسمعون الخطاب من الله تقوم معهم مرتبة هذا الخطاب فينزلوه فيها من غير مشقة و الحمد لله الذي رزقنا الراحة في هذا المقام فإنه كشف لطيف و ذلك أن الخطاب الإلهي العام في السنة القائلين من جميع الموجودات مرتبة ذلك القول معه يصحبه فإنه قول إلهي في نفس الأمر و إن كان لا يعلمه إلا القليل فعند ما يسمعه الكامل من رجال الله تعالى يشهد معسماعه مرتبته فيجمع بين السماع و شهود الرتبة فيلحقه بها عن كشف من غير مشقة و لقد رأينا جماعة من أهل الله يتعبون في هذا المقام بطلب المناسبات بين الأخبار و بين المراتب حتى يعثروا عليها و حينئذ يلحقوا ذلك الخبر بأهله فتفوتهم أخبار إلهية كثيرة و أما إعطاء هذه الحضرة الأمان فليس ذلك إلا للمتحققين بالخوف فلا تزال المراتب تنظر إلى الأخبار التي ترد على ألسنة القائلين و تعلم أنها لها و

تعلم أن الآخذين بها هم السامعون و إن السامعين قد يأخذونها على غير المعنى الذي قصد بها فيلحقونها بغير مراتبها فتلك المرتبة التي ألحقوها بها تنكرها و لا تقبلها و مرتبتها تعرفها و قد حيل بينها و بينها بسوء فهم السامع فإذا علموا من السامع أنه على صحة السمع و الصدق فيه و أنه لا يتعدى بالخطاب مرتبته كانت المرتبة في أمان من جهة هذا السامع فيما هو لها فتعلم إن حقها يصل إليها فهي معه مستريحة آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل سامع بهذه المثابة فلهذا للسامع أجر الأمان و هو أجر عظيم في الإلهيات فيهزأ الإنسان في كلامه و يسخر و يكفر و يقصد به ما لم يوضع له و هذا السامع الكامل يأخذه من حيث عينه لا من حيث قصد المتكلم به فإنه ما كل متكلم من المخلوقين عالم بما تكلم به من حيث هو خطاب حق فيتكلم به من حيث قصده و يأخذه السامع الكامل من حيث رتبته في الوجود فقد أعطى هذا السامع الأمان للجانبين الجانب الواحد الحاقة برتبته و الجانب الآخر ما حصل لمن قصد به المتكلم به من الأمان من حصوله عنده من جهة هذا السامع الكامل فإنه في الزمن الواحد يكون له سامعان مثلا الواحد هذا الذي ذكرناه و الآخر على النقيض منه ما يفهم منه إلا ما قصده المتكلم المخلوق فيلحقه بهذه الرتبة في الوقت الذي يأخذه عنها السامع الكامل فهي تحت و جل من هذا السامع الناقص التابع للمتكلم و في أمان من هذا السامع الكامل فلا و الله ما يستوي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ ما قلناه أُولُوا الْأَلْبابِ الغواصون على درر الكلام

«حضرة الشهادة و هي للاسم المهيمن»

إن المهيمن يشهد الأسرارا فينا و فيه و يستر الأنوارا

عنا و عنه بنا إذا ما نوره يعمى البصائر فيه و الأبصارا

و لذاك ما اتخذ الحجاب لنفسه و الجند و الأعوان و الأنصارا

جاءت به الإرسال من عرش العما ليحير الألباب و الأفكارا

و يفوز أهل الذكر من ملكوته بالذكر حين يشاهدوا الأخبارا

صاحبها عبد المهيمن المهيمن هو الشاهد على الشيء بما هو له و عليه و لله حقوق على العباد و للعباد حقوق على الله تعالى ذاتية و وضعية و من هذه الحضرة يقول الله تعالى وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ فلا بد لصاحب هذه الحضرة من العلم بما لله عليه من الحقوق و بما له عليه من الحقوق لا بد من ذلك و افترق أهل هذا المقام بعد تحصيل هذا في الحقوق التي لهم عند الله فمن قائل بها على أنها حقوق و من قائل بها لا على أنها حقوق فيأخذونها منه على جهة الامتنان و هم القائلون بأن الله لا يجب عليه شيء لكونهم حدوا الواجب بما لا يليق أن يدخل في ذلك جناب الحق و من لم يحده بذلك الحد أدخل الحق في الوجوب كما أدخل الحق نفسه فيه فقال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى‌ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ و قال حرمت الظلم على نفسي و قال و أكره مساءته وَ لا يَرْضى‌ لِعِبادِهِ الْكُفْرَ و قال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و قال وَ ما يَفْعَلُوا من خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ فأدخل نفسه بكل

ما ذكرناه تحت حكم الأحكام التي شرعها لعباده من وجوب و حظر و ندب و كراهة و إباحة و الحق متى أقام نفسه في خطابه إيانا في صورة ما من الصور فإنا نحمل عليه أحكام تلك الصورة لأنه لذلك تجلى فيها فنشهد له على أنفسنا و نشهد عليه لأنفسنا و هذه الشهادة له و عليه لا تكون إلا في يوم الفصل و القضاء أي وقت كان فإنه ما يختص به يوم القيامة فقط بل قد يقام فيه العبد هنا في حال من الأحوال بل كل حكم يكون في الدنيا في مجلس الشرع هو من يوم الفصل و القضاء و يدخل في حكم هذه الحضرة و في غير فصل و لا قضاء لا يكون لهذه الحضرة حكم و إنما ذلك في حضرة المراقبة و سترد إن شاء الله تعالى في هذا البابو اعلم أنه من هذه الحضرة نزل هذا الكتاب المسمى قرآناً خاصة دون سائر الكتب و الصحف المنزلة و ما خلق الله من أمة من أمم نبي و رسول من هذه الحضرة إلا هذه الأمة المحمدية و هي خير أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و لهذا أنزل الله في القرآن في حق هذه الأمة لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً فنأتي يوم القيامة يقدمنا القرآن و نحن نقدم سائر أهل الموقف و يقدم القراء منا من ليس له من القرآن مثله فأكثرنا قرآناً أسبقنا في التقدم و الرقي في المعراج المظهر للفصل بين الناس يوم القيامة فإن للقراء منابر لكل منبر درج على عدد آي القرآن يصعد الناس فيه بقدر ما حفظوا منه في صدورهم و لهم منابر أخر لها درج على عدد آي القرآن يرقى فيها العاملون بما حققوه من القرآن فمن عمل بمقتضى كل آية بقدر ما تعطيه في أي شيء نزلت رقى إليها عملا و ما من آية إلا و لها عمل في كل شخص لمن تدبر القرآن و في القيامة منابر على عدد كلمات القرآن و منابر على عدد حروفه يرقون فيها العلماء بالله العاملون بما أعطاهم الله من العلم بذلك فيظهرون على معارج حروف القرآن و كلماته بسور تلك الحروف و الكلمات و الآيات و السور و الحروف الصغار منه و به يتميزون على أهل الموقف في هذه الأمة لأن أناجيلهم في صدورهم فيا فرحة القرآن بهؤلاء فإنهم محل تجليه و ظهوره فإذا تلا الحق على أهل السعادة من الخلق سورة طه تلاها عليها كلاما و تجلى لهم فيها عند تلاوته صورة فيشهدون و يسمعون فكل شخص حفظها من الأمة يتحلى بها هنالك كما تحلى بها في الدنيا بالحاء المهملة فإذا ظهروا بها في وقت تجلى الحق بها و تلاوته إياها تشابهت الصور فلم يعرف المتلو عليهم الحق من الخلق إلا بالتلاوة فإنهم صامتون منصتون لتلاوته و لا يكون في الصف الأول بين يدي الحق في مجلس التلاوة إلا هؤلاء الذين أشبهوه في الصورة القرآنية الطاهية و لا يتميزون عنه إلا بالإنصات خاصة فلا يمر على أهل النظر ساعة أعظم في اللذة منها فمن استظهر القرآن هنا بجميع رواياته حفظا و علما و عملا فقد فاز بما أنزل الله له القرآن و صحت له الإمامة و كان على الصورة الإلهية الجامعة فمن استعمله القرآن هنا استعمل القرآن هناك و من تركه هنا تركه هناك و كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَكَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى و ورد في الخبر فيمن حفظ آية ثم نسيها عذبه الله يوم القيامة عذابا لا يعذبه أحدا من العالمينو ما أحسن ما نبه النبي ص على منزلة القرآن بقوله لا يقول أحدكم نسيت آية كذا و كذا بل نسيتها فلم يجعل لتارك القرآن أثرا في النسيان احتراما لمقام القرآن و قالت عائشة في خلق النبي ص كان خلقه القرآنو ليس إلا ما ذكرناه من الاتصاف به و التحلي على حد ما ذكرناه وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة العزة و هي الاسم العزيز»

له ستر الورى فهو الرفيع ألا إن العزيز هو المنيع

و لولا الخلق ما ظهر البديع يعز وجوده فيعز ذاتا

حمى الرحمن ذلكم المنيع فقل للمنكرين صحيح قولي

الداخل فيها يدعى في الملإ الأعلى عبد العزيز لم أذق في كل ما دخلته من الحضرات ذوقا ألذ منه و لا أوقع في القلب لهذه الحضرة المنع فلها الحدود لا بل لها من الحدود ما يقع به التميز فيقف كل محدود لا بل كل شيء على عزته فيكون كل شيء عزيزا و عبوديته فيه فهو عبد نفسه فمن هنا ظهر كل من غلبت عليه نفسه و اتبع هواها و لو لا الشرع ما ذمه بالنسبة إلى طريق خاص لما ذمه أهل الله فإن الحقائق لا تعطي إلا هذا فمن اتبع الحق فما اتبعه إلا بهوى نفسه و أعني بالهوى هنا الإرادة فلو لا حكمها عليه في ذلك ما اتبع الحق و هكذا حكم من اتبع غير الحق و أعني بالحق هنا ما أمر الشارع باتباعه و غير الحق ما نهى الشرع عن اتباعه و إن كان في نفس الأمر كل حق لكن الشارع أمر و نهى كما أنا لا نشك أن الغيبة حق و لكن نهانا الشرع عنها و لنا

و حق الهوى إن الهوى سبب الهوى و لو لا الهوى في القلب ما عبد الهوى

فبالهوى يجتنب الهوى و بالهوى يعبد الهوى و لكن الشارع جعل اسم الهوى خاصا بما ذم وقوعه من العبد و الوقوف عند الشرع أولى و لهذا بينا قصدنا بالهوى الإرادة لا غير فالأمر يقضي أن لا حاكم على الشيء إلا نفسه فيما يكون منه لا فيما يحكم عليه به من خارج لكن ذلك الحكم من خارج لا يحكم عليه إلا بما تعطيه نفسه من إمضاء الحكم فيه فكل ما في العالم من حركة و سكون فحركات نفسية و سكون نفسي فإذا حصل العبد بالذوق في هذه الحضرة فعلامته أن لا يؤثر فيه غيره بما لا يريده و لا يشتهيه فيمنع ذاته من أثر الغير فيها بما لا يريده و إنما قلنا بما لا يريده لأنه ما في الوجود نفس إلا و تقبل تأثير نفس أخرى فيها يقول الحق تعالى أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذا دَعانِ و لا أعز من نفس الحق و قد قال عن نفسه إنه أجاب الداعي عند ما دعاه و لكن هو تعالى شرع لعبده أن يدعوه فقال ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ فما أجابه إلا بإرادته لذلك و لقد نادى بعض الرعايا سلطانا كبيرا بمرسية فلم يجبه السلطان فقال الداعي كلمني فإن الله تعالى كلم موسى فقال له السلطان حتى تكون أنت موسى فقال له الداعي حتى تكون أنت الله فمسك السلطان له فرسه حتى ذكر له حاجته فقضاها كان هذا السلطان صاحب شرق الأندلس يقال له محمد بن سعد بن مردنيش الذي ولدت أنا في زمانه و في دولته بمرسية و إن كانت الحقائق تعطيه فإن حمل الأسماء على ذات الحق إنما أعطى ذلك الحمل حقائق المحدثات فلو زالت لزالت الأسماء كلها حتى الغني عن العالم إذ لو لم يتوهم العالم لم يصح الغني عنه و اسم الغني لمن اتصف بالغنى عنه فما نفاه حتى أثبته فما ثم عزة مطلقة واقعة في الوجود وَ لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ فأوقع الاشتراك فيها وَ لٰكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ أن العزة للرسول و للمؤمنين و إن كان يعلم العزة و لكن تخيل أن حكمها له و لأمثاله هذا القائل فعزة الحق لذاته إذ لا إله إلا هو و عزة رسوله بالله و عزة المؤمنين بالله و برسوله و لهذا شرع له الشهادتين و لكن أولو الألباب لما سمعوا هذا الخطاب تنبهوا لما ذكر المؤمنين فالله

العزة في المؤمنين فإنه المؤمن و للرسول العزة في المؤمنين فإنه منهم فعمت عزة المؤمنين عزة الله و رسوله فدخل الحق في ضمنهم و ما دخلوا في ضمنه لأحديته و جمعهم و أحدية الرسول و جمعهم فلهم الحضرة الجامعة و لكن نسبة العزة لله غير نسبتها له تعالى من حيث دخوله بالاسم المؤمن في المؤمنين فإن الحق إذا كان سمع العبد المؤمن و بصره كانت العزة لله بما كان للعبد به في هذا المقام عزيزا ألا تراه في هذا المقام لا يمتنع عليه رؤية كل مبصر و لا مسموع و لا شيء مما تطلبه قوة من قوى هذا العبد لأن قواه هوية الحق و لله العزة و يمتنع أن يدركه من ليست له هذه القوة من المخلوقين و لهذا ما ذكر الله العزة إلا للمؤمنين ثم إن عزة الرسول بالمؤمنين إذ كانوا هم الذين يذبون عن حوزته فلا عزة إلا عزة المؤمن فبالعزة يغلب و بالعزة يمتنع فهي الحصن المنيع و هي حمى الله و حرمه و لا يعرف حمى الله و يحترمه إلا المؤمن خاصة و ليس المنع إلا في الباطن و هنالك يظهر حكم العزة و أما في الظاهر فليس يسرى حكمها عاما في المنع و لا في الغلبة فالمؤمن بالعزة يمتنع أن يؤثر فيه المخالف الذي يدعوه إلى الكفر بما هو به مؤمن و الكافر بالعزة يمتنع أن يؤثر فيه الداعي الذي يدعوه إلى الايمان و لما كان الايمان يعم و الكفر يعم تطرق إليهما الذم و الحمد فإن الله قد ذكر الذين آمنوا بالباطل و كفروا بالله فسماهم مؤمنين فهذا من حكم العزة و بقي الحكم لله في المؤاخذة بحسب ما جاء به الخبر الحق من عند الله فالحكيم إذا عرف الحقائق و إن حكم العزة و إن عم فلا يعم من كل وجه تعرض عند ذلك الوجود الأثر فيه عن إرادة منه بتأثير تكون فيه سعادته ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ لأنها علمت أنها إن لم تجب مختارة جبرت على الإتيان فجيء بها كما جيء بجهنم و ما وصفها الحق بالمجيء من ذاتها و إنما قال وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يعني يوم القيامة و إنما امتنعت من الإتيان حتى جيء بها لما علمت بما هي عليه و ما فيها من أسباب الانتقام بالعصاة من المؤمنين و ما وقعت عينها إلا على مسبح لله بحمده و فيها رحمة الله لكونها دخلت في الأشياء قال الله تعالى وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فمنعتها الرحمة القائمة بها من الإتيان و أشهدتها تسبيح الخلائق و طاعتهملله فجيء بها ليعلم من لا يدخلها ما أنعم الله عليه به بعصمته منها و يعلم من يدخلها أنه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية إليها جذب المغناطيس الحديد و هو قوله ص إنه آخذ بحجز طائفة من النار و هم يتقحمون فيها تقحم الفراش فاعلم ذلك و الضابط لهذه الحضرة الحد المقوم لذات كل شيء محدود و ما ثم إلا محدود لكنه من الحدود ما يعلم حده و منه ما لا يعلم حده فكل شيء لا يكون عين الشيء الآخر كان ما كان فذلك المانع أن يكون عينه هو المسمى عز أو عزة وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الجبروت و هي للاسم الجبار»

الجبر أصل يعم الكون أجمعه	فما ترى غير مجبور لمجبور
العلم يجبر من كنا نعظمه	و هذه نفثة من صدر مصدور
لولاه ما وجدت أعياننا و بدت	أكواننا بين مطوي و منشور

و المتخلق بهذا الاسم يسمى عبد الجبار هذه الحضرة لها الإجبار في الأعزاء و لا أثر لها إلا فيهم فحضرتها عظيمة في الفعل و لكن لا أثر لها في الأعزاء من جهة المعنى الذي وقعت للأشياء به العزة لا أثر لها في ذلك و لكن أثرها في الأعزاء لقبولهم لما لا عزة لهم فيه و من هنالك يقبلون التأثير فاعلم ذلكاعلم أن العزيز إذا نظر إلى ما هو به عزيز و إنه من المحال قبوله للتأثير فيه من ذلك الوجه و لا يعلم عند شهوده ذلك أن فيه ما يقبل التأثير من غير هذا الوجه فيدعي المنع و أنه في حمى لا ينتهك فهنا يظهر حكم الجبروت في الملكوت فإذا أحس العزيز بالجبر نظر عند ذلك من أين أتى عليه فما ظهر له إلا من جهله بذاته و إنه مركب من حقائق تقبل التأثير و حقائق لا تقبل التأثير فإن كان عاقلا بادر ليحصل له الثناء في تلك المبادرة و يبقى الامتناع في باب الاحتمال عند الأجنبي عن مشاهدة هذه الحقائق و إن تعاظم حكم الجبر عليه فيتصرف فيه في اختياره و هو أعظم الحجب و أكثفها فمن شاهد الجبر في الاختيار علم إن المختار مجبور في اختياره فليس للجبروت حكم أعظم من هذا الحكم و من دخل هذه الحضرة و كانت حاله عظم إحسانه في العالم حتى ينفعل له جميع العالم بل ينفعل له الوجود كله اختيارا من المنفعل و هو عن جبر لا يشعر به كل أحد فهو جبر الإحسان و التواضع فإنه يدعوه إلى الانقياد إليه أحد أمرين في المخلوقين بل في الموجودات و هو الطمع أو الحياء فالطامع إذا رأى الإحسان ابتداء من غير استحقاق أطمعه في الزيادة منه إذا جاء إليه بما يمكن أن يكون معه الإحسان و إنما تفعل النفس ذلك حتى يكون الإحسان جَزاءً وِفاقاً لأنها تكره المنة عليها لما خلقت و جبلت عليه النفوس من حب النفاسة و صاحب الحياء يمنعه الحياء بما غمره من الإحسان أن يعتاص على المحسن فيما يدعوه إليه فهو مجبور بالإحسان في إتيانه و قبوله لما يريده منه هذا المحسن حياء و وفاء و ليجعل ذلك أيضا جزاء لإحسانه الأول حتى يزول عن حكم المنة و هذا من دسائس النفوس فلا جبر أعظم من جبر الإحسان لمن سلك سبيله وَقَلِيلٌ ما هُمْ و أما الجبر بطريق القهر و المغالبة فهو و إن قبل في الظاهر و لم يقدر على الامتناع و المقاومة المجبور لضعفه فإنه لا يقبل الجبر بباطنه فلا أثر له إلا في الظاهر بخلاف جبر المحسن فإن له الأثر الحاكم في الظاهر و الباطن بحكم الطمع أو الحياء أو الجزاء كما قررنا و أما الجبر الذاتي فهو عن التجلي في العظمة الحاكمة على كل نفس فتذهل عن ذاتها و عزتها و تعلم عند ذلك أنها مجبورة بالذات فلا تجهل نفسها فالعارف هنا ينظر من الحاكم عليه فلا يجد إلا قيام العظمة به فيعلم أنه ما حكم عليه إلا ما قام به و ما قام به إلا محدث فيعظم عنده الجبر فيعلم عند ذلك جبروت الحق و أما جبروت العبد بمثل هذه الصفة فممقوت عند الله لأنه ليس له ذلك و لا يستحقه و إنما جبر المخلوق في المخلوق بالإحسان خاصة و ذلك هو الجبر المحمود شرعا و عقلا و كل عبد أظهر القهر في العالم بغير صفة الحق و أمره فهو جاهل في غاية الجهل و لهذه الحضرة الجبروتية حكمان أو وجهان كيف شئت قل الوجه الواحد العظمة و هو قول أبي طالب المكي و غيره ممن يقول بقوله و الوجه الآخر البرزخية فلهذا المقام الجمع بين الطرفين بما هو برزخ فيعلم نفسه و يعلم بطرفيه ما هو به برزخ بين شيئين فيكون جامعا من هذا الوجه عالي المقام و بين فضله على الطرفين فإن كل طرف لا يعلم منه إلا الوجه الذي يليه فهو عالم أعني الجبروت إن شاء تجلى في صورة برزخية و إن شاء تجلى في صورة إحدى طرفيها كيف شاء تجلى فيكون شبهه بالحق أتم و نسبة هذا الجبروت إلى الحق نسبة لطيفة لا

يشعر بها كثير من الناس و هو أن الحق بين الخلق و بين ذاته الموصوفة بالغنى عن العالمين فالألوهة في الجبروت البرزخى فتقابل الخلق بذاتها و تقابل الذات بذاتها و لهذا لها التجلي في الصور الكثيرة و التحول فيها و التبدل فلها إلى الخلق وجه به يتجلى في صور الخلق و لها إلى الذات وجه به تظهر للذات فلا يعلم المخلوق الذات إلا من وراء هذا البرزخ و هو الألوهة و لا تحكم الذات في المخلوق بالخلق إلا بهذا البرزخ و هو الألوهة و تحققناها فما وجدناها سوى ما ندعوه به من الأسماء الحسنى فليس للذات جبر في العالم إلا بهذه الأسماء الإلهية و لا يعرف العالم من الحق غير هذه الأسماء الإلهية الحسنى و هي أعيان هذه الحضرات التي في هذه الباب فهذا قد أنبأناك بالجبروت الإلهي ما هو على الاقتصار و الاختصار وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة كسب الكبرياء و هو للاسم المتكبر»

كبر فكن عبدا به متكبرا إن التكبر من يقوم بنفسه

متجردا عن كبره متبصرا يزهو و يخطر في العداء بنفسه

يمشي به بين العدا متبخترا كأبي دجانة حين أشهر سيفه

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد المتكبر و هو اسم غريب غير متعارف و إنما يعرف الناس عبد الكبير و قال الله عز و جل كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّٰارٍ لم يقل كبير فإن التكبر لا يكتسبه الكبير و إنما يكتسبه الأدنى في الرتبة فيكسب العبد الكبرياء بما هو الحق صفته فالكبرياء للّٰه لا للعبد فهو محمود مشكور في كبريائه و تكبره و يكسب الحق هذا الاسم فإنه تعالى ذكر عن نفسه أنه متكبر و ذلك لنزوله تعالى إلى عباده في خلقه آدم بيديه و غرسه شجرة طوبى بيده و كونه يمينه الحجر الأسود و في يد المبايع بالإمامة من الرسل في قوله إِنَّ الَّذِينَ يُبٰايِعُونَكَ إِنَّمٰا يُبٰايِعُونَ اللّٰهَ و نزوله في قوله جعت فلم تطعمني و ظمئت فلم تسقني و مرضت فلم تعدني و ما وصف الحق به نفسه مما هو عندنا من صفات المحدثات فلما تحقق بهذا النزول عندنا حتى ظن أكثر المؤمنين أن هذا له صفة استحقاق و تأولها آخرون من المؤمنين فمن اعتقد أن اتصاف الحق بهذا أن المفهوم منه ما هو المفهوم من اتصاف الخلق بها أعلم الحق هذه الطائفة خاصة إنه يتكبر عن هذا أي عن المفهوم الذي فهمه القاصرون من كون نسبته إليه تعالى على حد نسبته إلى المخلوق و به يقول أهل الظاهر أهل الجمود منهم القاصرة أفهامهم عن استحقاق كل مستحق حقه فقال عن نفسه تعالى إنه الجبار المتكبر عن هذا المفهوم و إن اتصف بما اتصف به فله تعالى الكبرياء من ذاته و له التكبر عن هذا المفهوم لا عن الاتصاف لأنه لو تكبر عما وصف به نفسه مما ذكرنا لكان كذبا و الكذب في خبره محال فالاتصاف بما وصف به نفسه حق يعلمه أولو الألباب و من هذه الحضرة يكون لبعض العباد ما يجدونه في قلوبهم من كبرياء الحق مما يفقده بعضهم من ذلك من العصاة و من له اجتراء على الله و من الناس الذين يتوبون عن بعض المخالفات فيتميز عنهم من غلب على قلبه كبرياء الحق فإنه تكبر في نفس هذا العبد اكتسبه بعد أن لم يكن موصوفا بهذه الصفة فعبيد المتكبر قليل و أما الذين أجرأهم على المخالفة ما وصف الحق به نفسه من العفو و المغفرة و

نهاهم عن القنوط من رحمة الله فما عندهم رائحة من نعت التكبر الإلهي الذي هو به متكبر في قلوب عباده إذ لو كبر عندهم ما اجترءوا على شيء من ذلك و لا حكمت عليهم هذه الأسماء التي أطمعتهم فإن كبرياء الحق إذ استقر في قلب العبد و هو التكبر من المحال أن تقع منه مخالفة لأمر الحق بوجه من الوجوه فإن الحكم لصاحب المحل في وقته فدل وقوع المخالفة على عدم هذا الحاكم فالحق المتكبر إنما هو في نفس هذا الموافق الطائع عبد الله على الحقيقة و هذا أعلى الوجوه لهذه الحضرة في تكسب الكبرياء حتى إن العبد المقدر عليه وقوع المحظور إذا اتفق أن يقع منه بحكم القدر المحتوم و سلب العقل عنه و ظهور سلطان الغفلة و انتزاح الايمان منه حتى يصير عليه كالظلة يأتي هذا الأمر و قلبه و جل مع هذا كله لإيمانه إنه إلى ربه راجع يعني هذا الفعل إذا نسبه من كونه فعلا إنه راجع إلى الحق و الحكم فيه إنه معصية أو مخالفة إنما هو للعبد فيبقى العبد المقدر عليه في وجل إن نسبه إلى الحق فيرى الحكم بالذم الإلهي يتبعه فيدركه الوجل كيف ينسب إلى الله ما يناط به الذم و إن نسبه إلى نفسه من كونه محكوما عليه بالذم فإن كونه عملا ينسب إلى الله حقيقة و أنه في التكوين لمن قال له كن فلا حكم للعبد في وجود هذا العمل فيدركه الوجل أن نسبه مع هذا العلم في التكوين إلى نفسه فيكون ممن أشرك بالله و قد نهي أن يشرك بالله شيئًا و سبب هذا كله كبرياء الحق الذي اكتسبه بالنظر العقلي في نفسه فما كبر الله من عصاه و لا عرف الله من لم يعصه فإنه إذا عرف الله عرف أنه ما عصى إلا صيغة الأمر لا الأمر الإلهي فإنه جاءه على لسان واحد من أبناء الجنس و رأى خطابه إياه بما خاطبه به ينقسم إلى ما تعضده الأدلة النظرية التي قد أمره الحق بها و حكم العقل باتباعها و إلى ما ترده الأدلة النظرية و إن حكمت مع الشرع باتباع ما ترده إيمانا بذلك و تصديقا و قد حكم النظر العقلي بدليله بصدق هذا المخبر و أنه لا ينطق إلا عن الله و أن الله هو القائل على لسانه لهذا السامع ما خاطبه به فإن عصاه فمن حيث هو مثل له و المثلان متقابلان فلا بد من حكم التقابل و التضاد فلا بد من المخالفة و إن أطاع و وافق فمن حيث إن المخاطب عين الحق ما هو المثل فيعظم في نفس السامع و يقبل الخطاب و ذلك هو عين كون الحق متكبرا أي في نفس هذا العبد حين عصاه من حيث نظره إلى المثل في الخطاب و أما الواقفون مع الصورة الإلهية في الخلق فإن الله إذا تسمى لهم بالمتكبر فإنه تنزيه لما هم عليه من الصورة و دواء لما يحصل لهم في نفوسهم من عظمتهم على المخلوقين و ما له دواء في نفس الخطاب إلا قوله إن الله خلق آدم على صورته فيعلم أنه و إن حاز الصورة فهو مخلوق فقد تميز فلا يتمكن له أن يتكبر في نفسه و لكن بهذا يكبر الحق عنده في قلبه بعد أن لم يكن لهذا العبد هذا النعت فإذا أضافه إلى ما تقدم ظهر حكم اسم المتكبر و المجال واسع وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الخلق و الأمر و هي للاسم الخالق»

لأحظى به و الشاهدون حضور إلى خالق الأرواح أعملت همتي
إلا إنني ظل لديه و نور فيا من يراني عاملا متخلقا
عبيد له بالعالمين خبير و إن لم يكن هذا مقالي فإنني

فإني و رب الراقصات كفور   و إن لم يكن قولي و قلت نيابة

و إني عليم بالمقال بصير   و إن كان قولي فالوجود محقق

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الخالق و الخلق خلقان خلق تقدير و هو الذي يتقدم الأمر الإلهي كما قدمه الحق و أخر الأمر عنه فقال تعالى أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ و الخلق الآخر بمعنى الإيجاد و هو الذي يساوق الأمر الإلهي و إن تقدمه الأمر الإلهي بالرتبة فالأمر الإلهي بالتكوين بين خلقين خلق تقدير و خلق إيجاد فمتعلق الأمر خلق الإيجاد و سيأتي حضرته و هي حضرة الباري و متعلق خلق التقدير تعيين الوقت لإظهار عين الممكن فيتوقف الأمر عليه و قد ورد كل شيء بقضاء و قدر حتى العجز و الكيس و الوقت أمر عدمي لأنه نسبة و النسب لا أعيان لها في الوجود و إنما الأعيان الممكنات الثابتة في حال العدم مرتبة كما وقعت و تقع في الوجود ترتيبا زمانيا و كل عين تقبل تغييرات الأحوال و الكيفيات و الأعراض و أمثال ذلك عليها فإن الأمر الذي تتغير إليه إلى جانبها متلبسة به فلهذه العين القابلة لهذا الاختلاف في الثبوت أعيان متعددة لكل أمر تتغير إليه عين ثبوتية فهي تتميز في أحوالها و تتعدد بتعدد أحوالها سواء تناهي الأمر فيها أو لا يتناهى و هكذا تعلق بها علم الباري أزلا فلا يوجدها إلا بصورة ما علمه في ثبوتها في حال عدمها حالا بعد حال و حالا في أحوال في الأحوال التي لا تتقابل فإن نسبتها إلى حال ما من الأحوال المتقابلة غير نسبتها إلى الحال التي تقابلها فلا بد أن تثبت لها عين في كل حال و إذا لم تتقابل الأحوال يكون لها عين واحدة في أحوال مختلفة و كذا توجد فالأمر الإلهي يساوق الخلق الإيجادي في الوجود فعين قول كُنْ عين قبول الكائن للتكوين فَيَكُونُ فالفاء في قوله فَيَكُونُ جواب أمره كُنْ و هي فاء التعقيب و ليس الجواب و التعقيب إلا في الرتبة كما يتوهم في الحق أنه لا يقول للشيء كن إلا إذا أراده و رأيت الموجودات يتأخر وجود بعضها عن بعض و كل موجود منها لا بد أن يكون مرادا بالوجود و لا يتكون إلا بالقول الإلهي على جهة الأمر فيتوهم الإنسان أو ذو القوة الوهمية أو أمر كثيرة لكل شيء كائن أمر إلهي لم يقله الحق إلا عند إرادته تكوين ذلك الشيء فبهذا الوهم عينه يتقدم الأمر الإيجاد أي الوجود لأن الخطاب الإلهي على لسان الرسول اقتضى ذلك فلا بد من تصوره و إن كان الدليل العقلي لا يتصوره و لا يقول به و لكن الوهم يحضره و يصوره كما يصور المحال و يتوهمه صورة وجودية و إن كانت لا تقع في الوجود الحسي أبدا و لكنها وقوع في الوهم و كذا هي مفصلة في الثبوت الإمكاني فإن قوة الخيال ما عندها محال أصلا و لا تعرفه فلها إطلاق التصرف في الواجب الوجود و المحال و كل هذا عندها قابل بالذات إمكان التصور و هذه القوة و إن كان لها هذا الحكم فيمن خلقها فهي مخلوقة و هذا الحكم لها وصف ذاتي نفسي لا يكون لها وجود عين فيمن خلقت فيه إلا و لها هذا الحكم فإنه عين نفسها و ما حازها إلا هذا النشء الإنساني و بها يرتب الإنسان الأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة و كذلك هي لأن لها وجودا متخيلا في الخيال و لذلك الوجود الخيالي يقول الحق له كن في الوجود العيني فيكون السامع هذا الأمر الإلهي وجودا عينيا يدركه الحس أي يتعلق به في الوجود المحسوس الحس كما تعلق به الخيال في الوجود الخيالي و هنا حارت الألباب هل الموصوف بالوجود المدرك بهذه الإدراكات العين الثابتة انتقلت من حال العدم إلى حال الوجود أو حكمها تعلق

تعلقا ظهوريا بعين الوجود الحق تعلق صورة المرئي في المرآة و هي في حال عدمها كما هي ثابتة منعوتة بتلك الصفة فتدرك أعيان الممكنات بعضها بعضا في عين مرآة وجود الحق و الأعيان الثابتة على ترتيبها الواقع عندنا في الإدراك هي على ما هي عليه من العدم أو يكون الحق الوجودي ظاهرا في تلك الأعيان و هي له مظاهر فيدرك بعضها بعضا عند ظهور الحق فيها فيقال قد استفادت الوجود و ليس إلا ظهور الحق و هو أقرب إلى ما هو الأمر عليه من وجه و الآخر أقرب من وجه آخر و هو أن يكون الحق محل ظهور أحكام الممكنات غير أنها في الحكمين معدومة العين ثابتة في حضرة الثبوت و يكشف المكاشف هذين الوجهين و هو الكشف الكامل و بعضهم لا يكشف من ذلك إلا الوجه الواحد كان ما كان فنطق صاحب كل كشف بحسب ما كشف و ليس هذا الحكم إلا لأهل هذا الطريق و أما غيرهم فإنهم على قسمين طائفة تقول لا عين لممكن في حال العدم و إنما يكون له عين إذا أوجده الحق و هم الأشاعرة و من قال بقولهم و طائفة تقول إن لها أعيانا ثبوتية هي التي توجد بعد أن لم تكن و ما لا يمكن وجوده كالمحال فلا عين له ثابتة و هم المعتزلة و المحققون من أهل الله يثبتون بثبوت الأشياء أعيانا ثابتة و لها أحكام ثبوتية أيضا بها يظهر كل واحد منها في الوجود على حد ما قلناه من أن تكون مظهرا أو يكون له الحكم في عين الوجود الحق فهذا يعطيه حضرة الخلق و الأمر أَلاٰ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ كما له الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الحضرة البارئية و هي للاسم البارئ»

فلذا كان على صورته ❊ برأ الله عليه خلقه
بالذي يعلم من سيرته ❊ فهو يمشي في وجودي دائما

يدعى صاحبها عبد البارئ فمن أصحابنا من قصرها على كل مخلوق من الأرض العنصري خاصة ما لها سوى ذلك من الخلق و ما عدا هذا الخلق المنسوب إلى أرض العنصر فخلق آخر ما هو عين هذا و من أصحابنا من عمم الأمر في كل مخلوق من أرض الطبيعة فدخل فيه كل صورة طبيعية من جوهر الهيولى إلى كل صورة تظهر فيه فلم يدخل اللوح و القلم و الملائكة المهيمة في هذا الخلق و جعل أولئك خلقا آخر و الكل خلق في العماء الذي هو نفس الرحمن القابل لصور كل ما سوى الله و قد ورد ذلك في خلق الحق نفسه فردته العقول كلها لعدم فهمها من ذلك و ما شعرت بأن كل صاحب مقالة في الله إنه يتصور في نفسه أمرا ما يقول فيه هو الله فيعبده و هو الله لا غيره و ما خلقه في ذلك المحل إلا الله فهذا معنى ذلك الخبر و اختلفت المقالات باختلاف نظر النظار فيه فكل صاحب نظر ما عبد و لا اعتقد إلا ما أوجده في محله و ما وجد في محله و قلبه إلا مخلوق و ليس هو إلا له الحق و في تلك الصورة أعني المقالة تتجلى له و إن كانت العين من حيث ما هي واحدة و لكن هكذا تدركه و هذا معنى قول عليم الأسود حين ضرب بيده الأسطوانة فصارت ذهبا في عين الرائي فلما بهت الرائي عند ذلك قال له عليم يا هذا إن الأعيان لا تنقلب و لكن هكذا تراها لحقيقتك بربك يشير إلى ظهور الحق في صورة كل اعتقاد لكل معتقد و هذا هو الحق المخلوق به في نفس كل ذي عقد من ملك و جان و إنسان مقلد أو صاحب نظر فجاءت الأنبياء في الحق على مقالة واحدة لا تتبدل و لا تتغير بل عين

ما أثبته الأول أثبته كل رسول بعده هو نبي إلى آخر من يخبر عن الله و ادعوا أن ذلك مما أوحى به إليهم و لو لا ذلك لاختلفوا فيه كما اختلف أهل النظر فهم أقرب إلى الحق بل ما جاءوا إلا بالحق في ذلك ليصدق الآخر الأول و الأول الآخر و هذه مقالة لا يقتضيها النظر الفكري أصلا لكن الكشف يعطيها و على كل حال فأنجى الطوائف من اعتقد في الله ما أخبر الحق به عن نفسه على ألسنة رسله فإنا نعلم أن الحق صادق القول فلو لا إن هذا الحكم عليه صحيح بوجه ما ما وجه به إرساله إلى الكافة من عباده و لو لا إن له وجها في كل معتقد ما وصف نفسه على ألسنة رسله بالتحول في صور الاعتقادات فقد برأ في نفس كل معتقد صورة حق يقول من يجدها هذا هو الحق الذي نستند إليه في وجودنا فلم ير المخلوق إلا مخلوقا فإنه لا يرى إلا معتقده و الحق وراء ذلك كله من حيث عينه القابلة في عين الرائي و العاقل لهذه الصور لا في نفسها فإن الله غني عن العالمين بالعالمين كما تقول في صاحب المال إنه غني بالمال عن المال فهو الموجب له صفة الغناء عنده و هي مسألة دقيقة لطيفة الكشف فإن الشيء لا يفتقر إلى نفسه فهو غني بنفسه عن نفسه لكونه عند نفسه يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ وَ اللهُ هُوَ الْغَنِيُّ عنكم الْحَمِيدُ الذي يرجع إليه عواقب الثناء و ما يثنى عليه إلا بنا من حيث وجودنا و أما تنزيهه عما يجوز علينا فما وقع الثناء عليه إلا بنا فهو غني عنا بنا لأن كونه غنيا إنما هو غناه عنا فلا بد منا لثبوت هذا الغناء له نعتا و من أراد أن يقرب عليه تصور هذا الأمر فلينظر إلى ما سمي به نفسه من كل اسم يطلبنا فلا بد منا فلذا لم يكن الغناء عنا إلا بنا إذ حكم الألوهية بالمألوه و الربوبية بالمربوب و القادر بالمقدور فللربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية كما إن للربوبية أيضا سرا لو ظهر لبطلت النبوة و هو ما يقتضيه النظر العقلي بأدلته في الإله إذا تجلى الحق فيه بطلت النبوة فيما أخبرت به عن الله مما لا تقبله العقول من حيث أدلتها و قد دلت على صدق المخبر فلها الرد و القبول فتقبل الخبر الوارد و ترد الفهم فيه الذي يقع به المشاركة بين الله و بين خلقه و إذا رددت المفهوم الأول فقد بطلت النبوة في حقها التي ثبتت عند السوداء و أمثالها و النبوة لا تتبعض فإذا رد شيء منها ردت كلها كما قال الله تعالى في حق من قال نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا فرجح جانب الكفر في الحكم على جانب الايمان و إنما رجح حكم الكفر لأحدية المخبر و صدقه عنده فيما أخبر به مطلقا من غير تقييد لاستحالة الكذب عليه فلا بد له من وجه صحيح فيما جاء به مما يرده العقل و لذلك المؤمن يتأول إذا كان صاحب نظر و إذا عجز علم إن له تأويلا يعجز عنه لا يعلمه إلا الله فيسلمه لله و لكن عن تأويل مجهول ما هو على مفهوم لفظه الظاهر و عند أهل الله كل الوجوه الداخلة تحت حيطة تلك الكلمة صحيحة صادقة ف هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا و قد أعد الله للمؤمنين مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً

«حضرة التصوير و هي للاسم المصور»

إذا كان من تدري مصور ذاتنا ... عليه فما في العين إلا مماثل

و إن كان هذا مثل ما قلته لكم ... و صح به حكمي فصح التماثل

فما عنده إلا الذي هو عندنا ... فإن صح هذا القول أين التفاضل

و لو إنني كفؤ لبان التقابل   بلى إنه عيني و ما أنا عينه

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد المصور و المصور من الناس من يذهب يخلق خلقا كخلق الله و ليس بخالق و هو خالق لأنه قال تَخْلُقُ من الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فسماه خالقا و ما له سوى هيأة الطائر و الهيئة صورته و كل صورة لها قبول ظهور الحياة الحسية فإن الله قد ذم و توعد المصور لها لأنه لم يكمل نشأتها إذ من كمال نشأتها ظهور الحياة فيها للحس و لا قدرة له على ذلك بخلاف تصويره لما ليس له ظهور حياة حسية من نبات و معدن و صورة فلك و أشكال مختلفة و ليست الصورة سوى عين الشكل و ليس التصوير سوى عين التشكل في الذهنو اعلم أن الله لما خلق آدم على صورته علمنا أن الصورة هنا في الضمير العائد على الله إنها صورة الاعتقاد في الله الذي يخلقه الإنسان في نفسه من نظره أو توهمه و تخيله فيقول هذا ربي فيعبده إذ جعل الله له قوة التصوير و لذلك خلقه جامعا حقائق العالم كله ففي أي صورة اعتقد ربه فعبده فما خرج عن صورته التي هو عليها من حيث هو جامع حقائق العالم فلا بد أن يتصور فيه أعني في الحق إنسانيته على الكمال أو من إنسانيته و لو نزه ما عسى إن ينزه فإن غاية المنزه التحديد و من حد خالقه فقد أقامه كنفسه في الحد و لذلك أطلق الله له على لسان رسوله ص اعبد الله كأنك تراه فأدخل على الرؤية كاف التشبيه و التمثيل و قال له إن الله في قبلة المصلي و قال فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ الله و وجه الشيء ذاته و حقيقته ففي أي صورة أقام الله عبده فهي موضع توليه ففيها وجه الله إن عقلت فقد أثبت الحق لك ما ينفيه عقلك بدليله و الحق أحق أن يتبع فالإنسان ينشئ في نفسه صورة يعبدها فهو المصور و هو مخلوق منشا أنشأه الله عبدا يعبد ما ينشئه

و ليس ينشئه إلا الذي خلقه   فليس ينشئ عبد غير خالقه
في مضغة كان ذاك النشء أو علقة   فهو الذي أنشأ الأكوان أجمعها
له الغناء و لهذا فقره طبقه   فزاد في خلقه بكون خالقه
بمثل هذا الذي قلناه قد سبقه   مع الغناء فله النعتان قد جمعا

فللعبد المؤمن إقامة نشء صور الأعمال التي كلفه الحق أن يقيم نشأتها على أتم الوجوه و أعطاه القوة على نفخ الروح في كل صورة ينشيها من عمله و هو الحضور و الإخلاص فيها و ما ذم الله عبدا يصور صورة لها روح منه ينفخه فيها بإذن ربه فتقوم عنه حية ناطقة مسبحة بحمد ربه و إنما ذم الله من يخلق صورة لها استعداد الحياة فلا يحييها إذ كان خالقها و لكن بما هي عليه من الاستعداد يحييها الحق دون هذا الذي أنشأها فبمثل هذا المصور تعلق الذم الإلهي ثم إن الحق رد كل صورة في العالم تظهر عن الأسباب المنشئة لها إلى نفسه في الخلق تعالى فقال في كل عامل وَ الله خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ فهو خالقك و خالق ما أضاف عمله إليك فأنت العامل لا العامل كما قال وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ فنفى عين ما أثبت لك و أثبته لنفسه فقال وَ لكِنَّ الله رَمى و ما رمى إلا العبد فأعطاه اسمه و سماه به و بقي الكلام في أنه هل حلاه به كما سماه به أم لا فإنا لا نشك أن العبد رمى و لا نشك أن الله تعالى قال وَ لكِنَّ الله رَمى و قد نفى الرمي عنه أولا فنفى عنه اسم العبودة و سماه باسمه إذ لا بد من

مسمى و ليس إلا وجود عين العبد لا من حيث هو عبد لكن من حيث هو عين فإن العبد لا يقبل اسم السيادة و العين كما تقبل العبودية تقبل السيادة فانتقل عنها الاسم الذي خلقت له و خلع عليها الاسم الذي يكون عنه التكوين و هو قوله تعالى وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى و الحق لا يباهت خلقه فما يقول إلا ما هو الأمر عليه في نفسه فنفى ما يستحق النفي لعينه و أثبت ما يستحق الثبوت أيضا لنفسه فظهرت الحقائق في أماكنها على منازلها ما اختل شيء منها في نفس الأمر و إن ظهر الاختلال بالنظر إلى قوم فذلك الاختلال لو لم يكن لكان في الوجود نقص لعدم حكم ذلك الاختلال فلا بد من كونه لأنه لا بد من كمال الوجود و هو قولنا في النقص إنه من كمال الوجود أن يكون فيه نقص و إن كان عينا سلبية و لكن حكمها واضح لمن عقل الأمور على ما هي عليه فحضرة التصوير هي آخر حضرة الخلق و ليس وراءها حضرة للخلق جملة واحدة فهي المنتهى و العلم أولها و الهوية هي المنعوتة بهذا كله أعني الهوية فابتدأ بقوله هو لأن الهوية لا بد منها ثم ختم بها في السلب و الثبوت و هو قوله هو الله الذي لا إله إلا هو و ابتدأ من الصفات بالعلم بالغيب و الشهادة و ختم بالمصور و لم يعين بعد ذلك اسما بعينه بل قال لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ ثم ذكر أن له يسبح ما في السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و لم يقل و ما في الأرض لأن كثيرا من الناس في الأرض لا يسبحون الله و ممن يسبح الله منهم ما يسبحه في كل حال و الأرض تسبحه في كل حال و السموات و ما فيها و هم الملائكة و الأرواح المفارقة و هي تسبحه كما قال يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لاٰ يَفْتُرُونَ فراعى هنا من يدوم تسبيحه و هو الأرض كما راعى في موطن آخر من القرآن تسبيح من في الأرض و إن كان البعض من العالم فقال عز من قائل تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰاوٰاتُ (السَّبْعُ) وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بجمع من يعقل ثم أكد ذلك بقوله وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و زاد في التأكيد بقوله وَلٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فأتى بلفظة من و لم يأت بما و أتى في الحشر بما و لم يأت بمن فإن سيبويه يقول إن اسم ما يقع على كل شيء إلا أنه لم يعم الموجودات فوجلت قلوب من بقي منها و لم يقع له ذكر في التسبيح فجبر الله كسرها و أزال وجلها بقوله عقيب هذا القول وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و زاد في الثناء عليهم بجهل الناس تسبيحهم بقوله وَلٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ فكان هذا الجبر في مقابلة ذلك الانكسار الذي نالهم فتضاعف الطرب عندهم بذلك و الفرح و ما هو تضاعف على الحقيقة و إنما هو تعمير الموضع الذي ظهر الكسر فإنه أخبر أن كل شيء يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ كما هو الأمر عليه في نفسه و سد خلل الانكسار بقوله لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ بحرف الاستدراك و هو قوله و لكن طمعا في أن ينفردوا دون من سواهم بهذا التسبيح الخاص فإن الناس إذا عرفوه سبحوا الله أيضا به فالمسبحون أبدا في إنشاء صور فهم المصورون الذين ينفخون في صورهم أرواحا و إنشاء الصور لا يتناهى دنيا و لا آخرة فالإنشاء متصل دائم و إن تناهت الدنيا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة إسبال الستور و هي للاسم الغفار و الغافر الغفور»

فإن وجود الحق للرأس مغفر ⁂ إذا كان درعي من وجودي لباسه

فإن شئت أبديه و إن شئت استر ⁂ فحقق مقالي إنه فيه بين

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الغفار و هي حضرة الغيرة و الوقاية و الحفظ و العصمة و الصون فاعلم أيدنا الله و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن الأمور كلها ستور بعضها على بعض و أعلاها ستر الاسم الظاهر الإلهي فإنه ستر على الاسم الباطن الإلهي و ما ثم وراء الله مرمى فهو ستر عليه فإذا كنت مع الاسم الباطن الإلهي في حال شهود و رؤية كان هذا الاسم الإلهي الباطن الذي أنت به في الوقت متحدا و له مشاهد سترا على الاسم الإلهي الظاهر و لا تقل انتقل حكم الظهور للاسم الإلهي الباطن و صار البطون للاسم الظاهر بل الظاهر على ما هو عليه من الحكم يعطي الصور في العالم كله و الباطن و إن كان مشهودا فهو على حاله باطن يعطي المعاني التي تسترها الصور الظاهرة فهذا أعلى الستور و أخفاها و أعلى مستور و أخفاه و دون هذا الستر كون القلب وسع الحق فهو ستر عليه فإن القلب محل الصور الإلهية التي أنشأتها الاعتقادات بنظرها و أدلتها فهي ستور عليها لذلك تبصر الشخص و لا تبصر ما اعتقده إلا أن يرفع لك الستر بستر آخر و هو العبارة عن معتقده في ربه فالعبارة و إن دلتك عليه فهي ستر بالنظر إلى عين ما تدل عليه فإن الذي تدل عليه ما ظهر لعينك و إنما حصل في قلبك مثل ما يعتقده صاحب تلك العبارة فأخبر عن مستور و هو عندك مستور أيضا فما كشفته و لكن نقلت مثاله إليك لا عينه فكل حرف جاء لمعنى فهو ستر عليه و إن جاء ليدل عليه فهذا الستر من أعظم الستور و إن كان دون الستر الأول الذي هو ستر الأسماء الإلهية و إن دلت على ذات المسمى فهي أعيان الستور عليها فإن الناظر يحار فيها لاختلاف أحكامها في هذه الذات المسماة فكل اسم له حكم فيها فهي و إن عزت و عظمت و لها الحكم الذاتي في الوجود بالإيجاد محكوم عليها بأحكام هذه الأسماء الحسنى بل أسماء الموجودات كلها أسماؤها لمن فهم عن الله ثم المرتبة الثالثة في النزول في علم الستور ستور أعيان الأسماء اللفظية الكائنة في ألسنة الناطقين و الأسماء الرقمية في أقلام الكاتبين فإنها ستور على الأسماء الإلهية من حيث إن الحق متكلم لنفسه بأسمائه فتكون هذه الأسماء اللفظية و المرقومة التي عندنا أسماء تلك الأسماء و ستورا عليها فإنا لا ندرك لتلك الأسماء كيفية و لو أدركنا كيفيتها شهودا لارتفعت الستور و هي لا ترتفع و ما لنا في أنفسنا أمثلة لها جملة واحدة بل أعظم ما عندنا تخيلها في نفوسنا و التخيل أمر تحدثه في النفوس المحسوسات فتصورها بالقوة المصورة في خيال الشخص و ليس بعد هذه الستور إلا ستور الخلق بعضه على بعض فالستور و إن كانت دلائل فهي دلائل إجمالية فالعالم بل الوجود كله ستر و مستور و ساتر فنحن في غيبه مستورون و هو ستر علينا فهو مشهود لنا إذ الستر لا بد أن يكون مشهودا لمستوره فإن الستر برزخ أبدا بين المستور و المستور عنه فهو مشهود لهما و لما جاءت الأحكام المشروعة إلى المكلفين و تعلقت بأفعالهم و فرق الحكم في أفعال المكلفين إلى طاعة و معصية و لا طاعة و لا معصية و إلى مرغب فيه و إلى حكم غير مرغب فيه فالطاعة و المعصية حظر و وجوب فعلا أو تركا و المرغب فيه و غير المرغب فيه ندب و كراهة فعلا أو تركا و لا طاعة و لا معصية و لا مرغب فيه و لا غير مرغب فيه إباحة و هو حكم مرتبة النفس بما هي لذاتها و عينها و باقي الأحكام ليست لعينها و إنما تقبله بالداعي من خارج من لمة ملك و لمة شيطان فهي لمن حكمت عليه لمتهمنهما لا لذاتها فالسعيد من النفوس المكلفة على نوعين في السعادة النوع الواحد مستور عن قيام المعصية به و غير المرغب فيه و لا لا طاعة و لا لا معصية و لا مرغبا و لا غير

مرغب فيه فهو أسعد السعداء و النوع الآخر هو المستور بعد حكم المعصية فيه عن العقوبة على ذلك و هو المغفور له و هذه الأحكام تتعلق من المكلف في ظاهره و باطنه فالسعيد التام الكامل المعصوم و دونه المحفوظ ظاهرا غير المحفوظ باطنا فأقل مستور من اسمه عبد الغافر و أكثر مستور من اسمه عبد الغفور و المتوسط بينهما عبد الغفار فالناس أعني المكلفين على ثلاثة أحوال غافر و غفار و غفور ثم إن للمكلفين بعضهم مع بعض حكم هذه الأسماء فيمن جنى عليهم أو من حموه عن وقوع الجناية منهم و لهم أحكام أسماء الله فمتى تجاوز عمن جنى عليه تجاوز الله عنه و من أنظر معسرا جنى ثمرة ذلك في الآخرة من عند الله فما يرى المكلف في الآخرة إلا أعماله ثم إن الله يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ و اعلم أن من الستور و إرخائها ما هو معلول بالبشرية و هو قوله وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ من وَراءِ حِجابٍ و هو الستر أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً و هو ستر أيضا و ليس الستر هنا سوى عين الصورة التي يتجلى فيها للعبد عند إسماعه كلام الحق في أي صوره تجلى فإن الله يقول لنبيه ص فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ و المتكلم رسول الله ص و إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده و قوله تعالى كنت سمعه و بصرها الحديث فهذه كلها صور حجابية أعطتها البشرية و ما ثم إلا بشر و روح هذه المسألة ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فنفى الوسائط عن خلق آدم و من هنا إلى ما دون ذلك حكم اسم البشر فحيث ارتفعت الوسائط ظهر حكم البشرية لمن عقل إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ فهذا حصر الستور و إرخاؤها على البدور و المكسوفات ستور فمنها ظلالية و منها أعيان ذوات مثل كسوف القمر و الشمس و سائر الكواكب الخمسة و أعظمها ستر الشمس فإنها تطمس أنوار الكواكب كلها فلا يبقى نور إلا نورها في عين الرائي و إن كانت أنوار الكواكب مندرجة فيها و لكن لا ظهور لها كما قال النابغة الجعدي في ممدحه

أ لم تر أن الله أعطاك صورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و نعلم بالقطع أن الكواكب بادية و طالعة في أعيانها و مجاريها غير إن إدراك الرائي يقصر عنها لقوة نور الشمس نور على نور البصر فيبهرهقيل لرسول الله ص أ رأيت ربك فقال نوراني أراهفكيف أن يرى به فهو حجاب عليه و لم يكن ذلك إلا لضعف الإدراك فإنه تعالى قد يتجلى فيما دون النور فيرى كما ورد أينما شاء و هو القائل لَنْ تَرانِي فرؤيته لا رؤيته فهو المستور المرئي من غير ظهور و لا إحاطة فالستر لا بد منه و هذا القدر كاف من الإيماء فإن ميدان الغفران واسع لأنه الغيب و الشهادة وَ اللهُ من وَرائِهِمْ مُحِيطٌ فأسبل الستر بالوراء على أعين السامعين فوقفوا مع ما سمعوا

فأسبل الستر بالوراء إسباله الستر بالمراء
بلا نزاع و لا خصام و لا جدال و لا مراء
فكل مجلى له حجاب يحجبه عند كل راء

وعن أمام وعن وراء   من عن يمين وعن شمال

من مخلص كان أو مراء   يعرفه كل من رآه

«حضرة القهر»

إذا ما أمرت الأمر كان لي القهر   إذا كان قهري عين أمري فإنني

فما نهينا نهي و لا أمرنا أمر   عليه فيبدو للوجود بصورتي

يدعى صاحبها عبد القهار و عبد القاهر فأكبر العلماء من لا يكون له هذا الاسم أعني عبد القهار و لا عبد القاهر و هو العارف المكمل المعتنى به بل هو المعصوم و ما تجلى لي الحق بحمد الله من نفسي في هذا الاسم و إنما رأيته منمرآة غيري لأن الله عصمني منه في حال الاختيار و الاضطرار فلم أنازع قط و كل مخالفة تبدو مني لمنازع فهي تعليم لا نزاع فإني ما ذقت في نفسي القهر الإلهي قط و لا كان له من هذه الحضرة في حكم قال تعالى وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ أي قهر عباده لما صدر منهم من النزاع وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً و هو التوكيل أعني هذا الإرسال في حق قوم و حفظا و عصمة في حق آخرين و هو قوله لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ أي من حيث إن الله أمرهم بحفظه فهم المعصومون المحفوظون و قد يحفظونه من أمر النازل به فيدفعونه كما فعل بالزاني في حين زناه أخرج عنه الايمان حتى صار عليه كالظلة يحفظه من أمر الله النازل به حيث تعرض بالمخالفة لنزول البلاء عليه فيحفظه الايمان من هذا الأمر النازل بأن يتلقاه فيرده عنه لعله يستغفر أو يتوب فإذا كان غير المعصوم يحفظ مثل هذا الحفظ فما ظنك بالمعتنى به فإنه محفوظ في الأصل و أدق ما يكون من الخلاف النزاع الإلهي بإنابة العبد فإذا زال العبد عن إنابته لم يجد القهار من يقف له فيقهره و السهم لا يمشي إلا إلى مرماه و اعلم أن الدعاء لا يقتضي المنازعة كما ذهب إليه سهل و الفضيل بن عياض حيث أرادا ما أراد الله كما جاء عنهما فإن الدعاء ذلة و افتقار و النزاع رياسة و سلطنة و لو لا النزاع القائم بنفوس الرعية الذين لو مكنوا من إرساله لوقع منهم ما أضيف إلى الرعية إنهم مقهورون تحت سلطان مليكهم و من لم يخطر له شيء من ذلك و لم ينازع فما هو مقهور و لا الملك له بقاهر بل هو به رءوف رحيم فمن قهر تخلقا من عباد الله فإنما قهر بالله من نازع أمر الله لا بنفسه و ما ثم إلا نزاع الشيطان بلمته فيما يلقيه إلى هذا العبد في قلبه منازعة لأمر الله و نهيه هذا قصده بالإلقاء و إن لم يخطر للعبد ذلك فإنه لا يخطر له مثل هذا الكون الايمان يرده و لكن يستدرجه بالمخالفة شيئا بعد شيء إلى أن يكفر فإن المعاصي بريد الكفر و لا تأتي إذا كثرت و ترادفت إلا بالكفر فلهذا يسارع بها و ينوعها الشيطان فلا يزال المؤمن يقهره بلمة الملك مساعدة للملك على نفسه لينجو فإن المؤمن من يقول لا حول و لا قوة إلا بالله و من النزاع الخفي الصبر على البلاء إذا لم يرفع إزالته إلى الله كما فعل أيوب ع و قد أثنى الله عليه بالصبر فقال مع ثبوت شكواه إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوّابٌ فذكره بكثرة الرجوع إليه في كل أمر ينزل به فمن حبس نفسه عند الضر النازل به عن الشكوى إلى الله في رفع ما نزل به و صبر مثل هذا الصبر فقد قاوم القهر الإلهي فإن الله قاهر هذا العبد و إن كان محمودا في الطريق و لكن الشكوى إلى الله أعلى

منه و أتم و لهذا قلنا إن الدعاء لا يقدح و لا يقتضي المنازعة بل هو أعلى و أثبت في العبودة من تركه و أما الرضاء و التسليم فهما نزاع خفي لا يشعر به إلا أهل الله فإن كان متعلق الرضاء المقضي به فيحتاج إلى ميزان شرعي و إن كان متعلق الرضاء القضاء فإن كان القضاء يطلب القهر و يجد الراضي ذلك من نفسه فيعلم إن فيه نزاعا خفيا فيبحث عنه حتى يزيله و إن لم ير أن ذلك القضاء يطلب القهر فيعلم أنه الرضاء الخالص الجبلي لأن الرضاء من راض يروض و منه الرياضة و رضت الدابة و هو الإذلال و لا يوصف به إلا الجموع و الجموح نزاع إنما يراض المهر الصغير لجموحه و جهله بما خلق له فإنه خلق للتسخير و الركوب و الحمل عليه و المهر يأبى ذلك فإنه ما يعلمه فيراض حتى ينقاد في أعنة الحكم الإلهي و كذلك رياضة النفوس لو لا ما فيها من الجموح لما راضها صاحبها فإذا خلقت مرتاضة بالأصالة فكان ينبغي أن لا يطلق عليها اسم راضية بل هي مرضية و إنما النفوس الإنسانية لما خلقها الله على الصورة الإلهية شمخت على جميع العالم ممن ليست له هذه الحقيقة و انحجبت عن الحقائق الإلهية التي تستند إليها حقائق العالم حقيقة حقيقة فاكتسبت الرياضة لأجل هذا الشموخ فذلت تحت سلطانه و حمدت على ذلك و كذلك التسليم لم يصح إلا مع التمكن من الجموح و كذلك التوكيل لم يصح إلا بعد الملك فهو نزاع خفي و القهر الإلهي يخفى بخفاء النزاع و يظهر بظهور النزاع و العارف لا يغفل عن نفسه طرفة عين فإنه إذا غفل عن نفسه غفل عن ربه و من غفل عن ربه نازع بباطنه ما يجده من الأثر فيه مما يخالف غرضه فيجيء القهر الإلهي فيقهره فيكون إذ أكثر منه مثل هذا يسمى عبد القهار و إذا قل منه يسمى عبد القاهر و الضابط لهذه الحضرة أن ينظر الإنسان في خفايا موافقاته و مخالفاته فيعلم من ذلك هل لهذه الحضرة حكم فيه أم لا فهذا أمر كلي قد و كلناك فيه إلى نفسك و أنت أعلم وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الوهب و هي للاسم الوهاب»

جميع العطايا منه وهب إلهي	و إن كان لا يدري الوجود الكياني
فذلك لا يخفى على كل عاقل	عن الله إن كان العيان الإلهي
فإن لم يكن فالجهل نعت لخلقه	به و بذا جاء الوجود العياني

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الوهاب و الوهب العطاء من الواهب على جهة الإنعام لا يخطر له خاطر الجزاء عليه من شكر و لا غيره فإن اقترن به طلب شكر جزاء فليس بوهب و إنما هو عطاء تجارة يطلب به الربح و الخسران فإن العطاء الإلهي على أنواع متعددة سيأتي ذكرها في هذا الباب إن شاء الله فمن هذه الحضرة يتجرد العبد عن جميع أغراضه كلها في إحسانه بهباته البدنية و المالية و معنى البدنية أن يصرف بدنه بسفر أو أي نوع كان من أنواع الحركات البدنية في حق من كان من عباد الله من إنسان أو حيوان لا يبتغي بذلك أجرا و لا يطلب عليه شكرا إلا لمجرد الإنعام على هذا الذي يتحرك من أجله مما له فيه منفعة أو دفع مضرة و كون الله عز و جل يأجره على ذلك إلى الله تعالى لا إليه بل يفعل ذلك لمجرد قيام هذه الصفة به و حكم هذا الاسم الإلهي عليه فإذا تحرك في العبادات التي لا حظ للخلق فيها كالصلاة و

الصيام و الحج و أمثال ذلك بل كل عبادة مشروعة و هو مستمد من هذه الحضرة فينوي في عبادته تلك ما كان منها لا حظ للمخلوق فيها أن ينشئها و يظهر عينها بحركاته أو مسكه عنها إذا كانت العبادة من التروك لا من الأفعال فينشئها صورة حسنة على غاية التمام في خلقها و الكمال لتقوم صورة لها روح بما فيها من الحضور مع الله بالنية الصالحة المشروعة في تلك العبادة يفعلها فرضا كانت أو نفلا من حيث ما هي مشروعة له على الحد المشروع لا يتجاوزه لتسبح الله تلك الصورة التي أنشأها المسماة عبادة و تذكر الله بحسب ما يقتضيه أمره فيها تعالى و يزيد هذا العبد الإنعام على تلك الصورة العملية المشروعة بالظهور لتتصف بالوجود فتكون من المسبحين بحمد الله إنعاما عليها و على حضرة التسبيح فيخلق في عباداته السنة مسبحة لله بحمده لم يكن لها عين في الوجود جاءت امرأة إلى مجلس شيخنا عبد الرزاق فقالت له يا سيدي رأيت البارحة في النوم رجلا من أصحابه قد صلى صلاة فانتشأت تلك الصلاة صورة فصعدت و أنا أنظر إليها حتى انتهت إلى العرش فكانت من الحافين به فقال الشيخ صلاة بروح متعجبا من ذلك ثم قال ما تكون هذه الصلاة لأحد من أصحابي إلا لعبد الرزاق يقول ذلك في نفسه فقال لها و عرفت ذلك الشخص من أصحابي قالت نعم هو هذا و أشارت إلى عبد الرزاق الذي خطر للشيخ فيه فقال لها الشيخ صدقت و أخذها مبشرة من الله أخبرني بهذه الحكاية عبد الله ابن الأستاذ المروري بمورور من بلاد الأندلس و كان ثقة صدوقا كما خلق عيسى ع كهيئة الطير من الطين فنفخ فيه فكان طائرا بإذن الله و لم يكن لهذه الصورة وجود إلا على يديه ثم نفخ فيها فكانت طائرا بإذن الله أي إن الله أمره بذلك و أذن له فيه كما أمر الله أيضا المؤمن في الشرع و أذن له في إنشاء صور عباداته التي كلفه الله عز و جل بها فإن كان عيسى ع قد نوى في خلقه ذلك الطائر الإنعام على تلك الصورة لتلحق بالموجودات و ينعم على حضرة التسبيح بزيادة المسبحين فيها كان من أهل هذه الحضرة و التحق بهم و إن كان نوى غير ذلك فهو لما نوى و ما بين صاحب هذا المقام و غيره إلا مجرد النية و مشاهدة صدور الأعمال منه صورا فإن الأمر في نفسه من إنشاء صور العبادات من المكلفين لا بد منه في كل مكلف قبيحة كانت أو حسنة و يفترقون في النيات و المقاصد و ما ثم إلا مكلف فأعظمها منزلة من يقصد بعباداته ما ذكرناه فإن عمل هذا العبد هذه العبادة لكونها أعظم صفة و منزلة في العبادات فما هو ذلك الذي ذكرناه من هذه الحضرة فإن الأمر لا يقبل الاشتراك فمثل هذا ما أقامه في نشأ صور هذه العبادات إلا كونها من أعظم الصفات و أجلها فتميز بذلك عمن لم يقمه الله في مثل هذا طلبا للأجر و المثوبة و إنما يقصد صاحب هذه الحضرة مجرد الإنعام على ظهور تلك العبادة و زيادة المسبحين لله لا يبتغي بذلك حمدا و لا ثناء و لا جزاء إلا عين ما قصده الحق في إيجاد العالم فكما قصد الله بالخلق أن يعبدوه في مثل ما نص عليه من ذلك في قوله وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و قوله وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ فنوى هذا العبد في إنشاء صور العبادات أن تعبد الله كما أراده الحق و هذا لا يبطل نية الإنعام من هذا العبد على هذه الصور بالإنشاء و الإيجاد فإن كان مشهد هذا العبد إن الله هو المنشئ هذه الصور بالعبد لا هو فليس من هذه الحضرة الوهبية الكيانية بل ذلك من الوهب الإلهي على هذه الصورة المنشأة و ليس غرضي فيما ذكرناه ما هو الأعلى و الأعظم في المنزلة و إنما غرضي تمييز المقامات بعضها من بعض حتى لا يلتبس على

القائمين بها فإنها تتداخل الأحكام فيها و لا يشعر لحد الفصل بين الأحوال و المقامات إلا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ الإلهي فإذا جازاهم الله على ما إنشاؤه إنعاما من الله تعالى عليهم كان جزاء من أشهد أن إنشاء تلك الصور لله لا للعبد المكلف و أن الإنعام لله في ذلك عليها لا إلى المكلف فإنه أعظم جزاء إلهيا من الذي لم يشهده الله ذلك عند إنشائها فقد تميز الشخصان بما وقع لهما به الشهود عند العمل المشروع و هذا عمل لم ينسج على منواله انفردنا بالتنبيه عليه على غاية الكمال من العبد و حررناه تحريرا تاما فإن أحدا من العلماء بالله و بالأشياء ما يجهلون العطاء على جهة الإنعام و لكن مثل ما ذكرناه لا يتصوره و لا يخطر ببال كل عامل إلا من تحقق بهذه الحضرة الواهبة خاصة و هو المسمى عبد الوهاب و الوهاب أوجده لا غيره من الأسماء مثل قوله في عيسى ع لمريم لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيًّا و الصور التي أوجدها الاسم الوهاب قليلة جدا تعلم ذلك إذا علمت مراتب العلماء بالأسماء الإلهية بالعلم بالأسماء الإلهية فاعلم ذلك و هذا القدر من الإيماء إلى علم هذه الحضرة كاف إن شاء الله تعالى وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و هو الهادي إلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

«حضرة الأرزاق و هي للاسم الرزاق»

الرزق رزقان محسوس و معقول ... يدري بذلك معقول و منقول
فمنه يقبل ما يعطيه من منح ... و ذلك الرزق في التحقيق مقبول
جل الإله فما تحصى عوارفه ... و في معارفها هدى و تضليل
مثل النكاح الذي يحوي على عجب ... من التلذذ تلسين و تقبيل

قال الله تعالى في قصة مريم كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يا مَرْيَمُ أَنّٰى لَكِ هٰذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ بِغَيْرِ حِسابٍ و قال وَ مَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاٰ يَحْتَسِبُ يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الرزاق قال تعالى وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلّٰا لِيَعْبُدُونِ ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ هذا في حق من أطعم من أجله حين سمعه يقول سبحانه في الخبر الصحيح جعت فلم تطعمني و ظمئت فلم تسقني فيقول العبد كيف تطعم و تشرب و أنت رب العالمين فيقول الحق إن عبدي فلانا جاع و فلانا ظمىء فلو أطعمته حين استطعمك أو سقيته حين استسقاك كذلك معنى قوله تعالى جعت فلم تطعمني و ظمئت فلم تسقني فأنزل نفسه تعالى منزلة الجائع و العاطش الظمآن من عباده فربما أدى العامل على هذا الحديث الإلهي أن يجهد في تحصيل ما يطعم به مثل هذا حتى يكون ممن أطعم الله تعالى فقال له الله وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ انتقال من مقام إلى مقام لأنه يعلم عباده العلم بالمقامات و الأحوال و المنازل في دار التكليف حتى يتنقلون فيها ثم قال إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزّٰاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ و المتانة في المعاني كالكثافة في الأجسام فجاء بالاسم المناسب للرزق لأن الرزق المحسوس به تتغذى الأجسام و تعبل و كلما عبلت زادت أجزاؤها و كثفت و أين السمن من الهزال فما أحسن تعليم الله و تأديبه و تبيانه لمن عقل عن الله و اعلم أن الرزق معنوي و حسي أي محسوس و معقول و هو كل ما بقي به وجود عين المرزوق فهو غذاؤه و رزقه و قوله

وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ و قال في الأرض وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها و هي الأرزاق و تقديرها بوجهين الوجه الواحد كمياتها و الثاني أوقاتها فالرزق الذي في الأرض ما تقوم به الأجسام و الذي في السماء ما تقوم به الأرواح و كل ذلك رزق ليصح الافتقار من كل مخلوق و ينفرد الحق بالغنى و أرفع المنازل في الأرزاق و شهودها رزق ما يظهر به عين الوجود الحق من صور أحكام الممكنات و من صور التجلي فينظر صاحب هذه المشاهدة إلى الصورة في التجلي أو لصور أحكام الممكنات في عين الوجود الحق فينظر ما تستحقه تلك الصورة من مسمى الرزق و ما تطلبه لبقائها فيكون هذا العبد يرزقها ذلك إذا كان مشهده هذه الحضرة أعني حضرة الأرزاق ثم ينزل الأمر في الكائنات الخلقية و الأمرية بحسب حقائقها فيطلب عين الكون رزقه منه و أكثفه ما تطلبه المولدات من الأركان كالمعادن و النبات و الحيوان و قد جعل الله من الماء كل شيء حي و كل شيء حي فإن كل شيء مسبح لله بحمده و لا يكون التسبيح إلا من حي فكل شيء من الماء عينه و من الهواء حتى حيوان البحر الذي يموت إذا فارق الماء ما حياته إلا بالهواء الذي في الماء لأنه مركب فيقبل الهواء بنسبة خاصة و هو أن يمتزج بالماء امتزاجا لا يسمى به هواء كما أن الهواء المركب فيه الماء و به يكون مركبا لكن امتزج الماء به امتزاجا خاصا لا يسمى به ماء فإذا كانت حياة الحيوان بهواء الماء مات عند فقده ذلك الهواء الخاص و كذلك حيوان البر إذا غرق في الماء مات لأن حياته بالهواء الذي مازجه الماء لا بالماء الذي مازجه الهواء و ثم حيوان بري بحري و هو حيوان شامل برزخي له نسبة إلى قبول الهواءين فيحيي بالهواء كما يحيي البري و يحيي في الماء كما يحيي البحري و بالهواء تكون حياته في الموضعين و الماء أصله في كونه حيا فالرزق في عالم الأركان الهواء فيما في كل مطعوم و مشروب من ركن الهواء به تكون الحياة لمن يتغذى به من كل شيء حي من نبات و معدن و حيوان و إنسان و جان و أما الملائكة المخلوقة من أنفاس العالم عند تنفسهم فلهم غذاء أيضا من الأركان لا بد من ذلك و يخرج الملك من المتنفس بحسب ما يكون في قلب ذلك المتنفس من الخواطر فإن تلفظ المتنفس خرج النفس بحسب ما تلفظ به مفصلا في الصورة تفصيله حروفا في الكلمة و بهذا القدر تكون كيفية الانفعال عن خواص الحروف لمن شهد ذلك و إن لم يتلفظ و خرج النفس من غير لفظ فإنه يخرج هيولانيا لا صورة له معينة فيتولى الله تصويره بحسب ما كان عليه العبد في باطنه عند التنفس فيركبه الله في تلك الصورة فإن تعرى المحل المتنفس عن كل شيء كتنفس النائم الذي لا رؤيا له في منام و لا هو في الحس فإن الله يصور ذلك النفس بصورة ما نام عليه عند فراقه الإحساس كان الذكر ما كان أو الخاطر في القلب ما كان فإذا أقيم العبد في هذه الحضرة التي نحن بصددها و نظر إلى ما تكون عنه أمده من الرزق ما به بقاؤه فإنه خالقه و الرزق تابع للخلق فخالق الشيء هو رازقه و لا تكون في مقام خلق الأشياء إلا إذا أشهدك الحق ما ينفعل عنك فعند ذلك تشاهد طلبة ما تكون عنك بما يحتاج إليه من الرزق فترزقها كما تسعى هنا في اقتناء الرزق الذي تطلبه منك عائلتك سواء و هذا لا يقدح في إن الله هو الرزاق و إنما كلامنا في تقرير الأسباب و إثباتها كما قررها الحق عز و جل و أثبتها و قد بينا لك في غير موضع أن الإنسان إذا تجلى له الحق في منام أو غيره في أي صورة تجلى فلينظر فيما يلزم تلك الصورة المتجلي فيها من الأحكام فيحكم على الحق بها في ذلك الموطن فإن مراد الله فيها ذلك الحكم و لا بد و لهذا تجلى فيها على الخصوص دون

غيرها و يتحول الحكم بتحول الصور فاعلم ذلك فكذلك أيضا رزق الصور يتنوع بتنوع الصور فما به غذاء صورة قد لا يكون به غذاء صورة أخرى و ليس غذاء الصور سوى رزقها فإذا تصورت المعاني كالعلم في صورة اللبن و الثبات في الدين في صورة القيد فرزق تلك الصورة ما أريدت له فإن كانت رؤيا فأصاب عابرها ما أراد الله بها بتلك الصورة فذلك رزقها فدامت حياتها و بقاؤها و صورة ذلك ما يناله الرائي و المكاشف من ذلك كما رأى النبي ص يشرب اللبن حتى خرج الري من أظافره مما تضلع منه فقيل له ما أولته يا رسول الله فقال العلميعني أن العلم ظهر في صورة اللبن و لما كان العلم لبنا وصف نفسه بالشرب منه و التضلع إلى أن خرج الري من أظافره فنال كما قال علم الأولين و الآخرين و ما خرج منه من الري هو ما خرج إلى الناس من العلم الذي أعطاه الله لا غير ثم أعطى ما فضل في الإناء عمر فكان ذلك الفضل القدر الذي وافق عمر الحق فيه من الحكم كحكمه في أسارى بدر و في الحجاب و غير ذلك ففاز به دون غيره من عند الله و هكذا كل من حصل له مثل هذا من عند الله كالمتقي إذا اتقى الله جعل له فرقانا و هو علم يفرق به بين الحق و الباطل في غوامض الأمور و مهماتها عند تفصيل المجمل و إلحاق المتشابه بالمحكم في حقه فإن الله أنزله متشابها و مجملا ثم أعطى التفصيل من شاء من عباده و هو ما فضل من اللبن في القدح و حصل لعمر لأنه من شرب من ذلك الفضل فقد عمر به محل شربه فلذلك كان عمر دون غيره من الأسماء هذا تعبير رؤياه على التمام ص و لعمر بن الخطاب في ذلك خصوص وصف لاختصاصه بالاسم و الصورة في النوم دون غيره من العمريين و من الصحابة ممن ليس له هذا الاسم فكل رازق مرزوق أما الرزق المعنوي أو الحسي على انقسام الأرزاق المعنوية و المحسوسة و من هذه الحضرة قوله تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ فحتى نعلم رزق الابتلاء أي كونه الله من الابتلاء فهو علم إقامة الحجة لتكون الحجة البالغة لله كما أخبر عن نفسه فقال فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ التي لا دخل عليها و لا تأويل فيها و إذا وصف الحق نفسه ب حَتَّى نَعْلَمَ فعم حكم الرزق جميع الصور فكل الصيد في جوف الفرا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .

«حضرة الفتح و هي للاسم الفتاح»

حضرة الفتاح للفتح و ما يعلم الشخص بما يفتح له
أن رب الخلق في الخير و في كل شر واقع قد أجمله
ربما يعرفه الشخص و ما يعرف الأمر الذي قد أنزله
ثم قد يعلمه الشخص و ما يعلم الشيء الذي كون له

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الفتاح و لها صورة و معنى و برزخ و ما حازها على الكمال إلا آدم بعلم الأسماء و محمد ص بجوامع الكلم و ما عدا هذين الشخصين فما ذكر لنا و من هذه الحضرة نزلت إِذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَ الْفَتْحُ و إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً و لقد كنت بمدينة فاس سنة إحدى و تسعين و خمسمائة و عساكر الموحدين قد عبرت إلى الأندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الإسلام فلقيت رجلا من

رجال الله و لا أزكي على الله أحدا و كان من أخص أودائی فسألني ما نقول في هذا الجيش هل يفتح له و ينصر في هذه السنة أم لا فقلت له ما عندك في ذلك فقال إن الله قد ذكر و وعد نبيه ص بهذا الفتح في هذه السنة و بشر نبيه ص بذلك في كتابه الذي أنزله عليه و هو قوله تعالى إِنّٰا فَتَحْنٰا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً فموضع البشرى فتحا مبينا من غير تكرار الألف فإنها لإطلاق الوقوف في تمام الآية فانظر أعدادها بحساب الجمل فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة إحدى و تسعين و خمسمائة ثم جزت إلى الأندلس إلا أن نصر الله جيش المسلمين و فتح الله به قلعة رباح و الأركو و كركوى و ما انضاف إلى هذه القلاع من الولايات هذا عاينته من الفتح ممن هذه صفته فأخذنا للفاء ثمانين و للتاء أربعمائة و للحاء المهملة ثمانية و للالف واحدا و للميم أربعين و للباء اثنين و للياء عشرة و للنون خمسين و الألف قد أخذنا عددها فكان المجموع إحدى و تسعين و خمسمائة كلها سنون من الهجرة إلى هذه السنة فهذا من الفتوح الإلهي لهذا الشخص و كذلك ما ذكرناه من فتح البيت المقدس فيما اجتمع بالضرب في الم غُلِبَتِ الرُّومُ مع البضع من السنين المذكور فيه بالحسابين الجمل الصغير و الكبير فظهر من ذلك فتح البيت المقدس و قد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في باب الحروف منه و هو أن البضع جعلناه ثمانية لكون فتح مكة كان سنة ثمان ثم أخذنا بالجمل الصغير الم ثمانية فأسقطنا الواحد لكون الأس يطلب طرحه لصحة العدد في أصل الضرب في الحساب الرومي و الفتح إنما كان في الروم الذين كانوا بالبيت المقدس فأضفنا ثمانية البضع إلى ما اجتمع من حروف الم بعد طرح الواحد للاس فكان خمسة عشر ثم رجعنا إلى الجمل الكبير فضربنا واحدا و سبعين في ثمانية و الكل سنون لأنه قال فِي بِضْعِ سِنِينَ فكان المجموع ثمانية و ستين و خمسمائة فجمعناها إلى الخمسة عشر التي في الجمل الصغير فكان المجموع ثلاثا و ثمانين و خمسمائة و فيها كان فتح البيت المقدس و هذا العلم من هذه الحضرة و لكن عبد السلام أبو الحكم بن برجان ما أخذه من هذا فوقع له غلط و ما شعر به الناس و قد بيناه لبعض أصحابنا حين جاءنا بكتابه فتبين له أنه غلط في ذلك و لكن قارب الأمر و سبب ذلك إنه أدخل عليه علما آخر فأفسده و هذا كله من صورة الفتح لا من معناه و لا من وسطه الذي هو الجامع للطرفين فكان لآدم إحصاء جميع اللغة الواقعة من أصحابها المتكلمين بها إلى يوم القيامة و كان لمحمد صالرسالة لي الناس كافة باللسان العربي فعم جميع كل لسان فنقل شرعه بالترجمة فعم اللغات و أما الفتح الوسط فهو فتح الأذواق و هو العلم الذي يحصل للعالم به بالتعمل في تحصيله كعلم الفرقان للمتقي فإنه حصله بتقوى الله مع ما انضاف إليه من تكفير السيئات و غفر الذنوب و هذا علم مخصوص بأهل الطريق و هم أهل الله و خاصته و هو علم الأحوال و إن كانت مواهب فإنها لا توهب إلا لمن هو على صفة خاصة و إن كانت تلك الصفة لا تنتجها في الدنيا لكل أحد و لكن لا بد أن تنتج في الآخرة فلما لم يكن من شرطها الإنتاج في الدنيا قيل في علم الأحوال أنها مواهب و هو حصولها عن الذوق و معنى عن الذوق أول التجلي فإن التوكل مثلا الذي هو الاعتماد على الله فيما يجريه أو وعد به فالذوق فيه الزائد على العلم بذلك عدم الاضطراب عند الفقد لما تركن النفس إليه فيكون ركونها في ذلك إلى الله لا إلى السبب المعين فيجد في نفسه من الثقة بالله في ذلك أعظم مما يجده من عنده السبب الموصل إلى ذلك كالجائع ليس له سبب يصل به إلى نيل ما يزيل جوعه من الغذاء و جائع آخر عنده ما يصل به إلى نيل ما

يزيل ما عنده فيكون صاحب السبب قويا لوجود المزيل عنده و هذا الآخر الذي ما عنده إلا الله يساويه في السكون و عدم الاضطراب لعلمه بأن رزقه إن كان بقي له رزق فلا بد من وصوله إليه فسمى عدم هذا الاضطراب ممن هذه صفته من فقد الأسباب ذوقا و كل عاقد يجد الفرق بين هذين الشخصين فإن العالم الذي ليس له هذا الذوق يضطرب عند فقد المزيل مع علمه بأن رزقه إن كان بقي له رزق لا بد أن يصل إليه و مع هذا العلم لا يجد سكونا نفسيا مع الله و صاحب الذوق هو الذي يجد السكون كما يجده صاحب السبب المزيل لا فرق بل ربما هو أوثق و هو قول بعض العلماء إن الإنسان لا ينال هذه الدرجة حتى يكون بربه أوثق منه بما في يده لأن الوعد الإلهي صادق لا تتطرق إليه الآفات و الذي بيده من الأسباب يمكن أن يتطرق إليه الآفات فيحال بينه و بين من هو عنده بأي وجه كان فلذلك قلنا إن المتوكل ذوقا أتم في السكون من صاحب السبب الحاصل المزيل لهذا الألم فاعلم ذلك فهذا هو الوسط من علم الفتح و صاحبه يلتذ في باطنه غاية الالتذاذ و أما المعنى من هذه الحضرة فهو ما يطالع به العبد من العلم بالله إذا كان الحق أعني هوية الحق صفات هذا العبد فما يحصل له من العلم إذا كان بهذه الصفة هو المعنى الحاصل من هذه الحضرة و ما كل أحد ينال هذا المقام من هذه الحضرة و إن كان فيها فإن الناس يتفاضلون في ذلك و من هذه الحضرة قال رسول الله ص حين ضرب بين كتفيه علمت علم الأولين و الآخرين بذلك الوضعو تلك الضربة أعطاه الله فيها ما ذكره من العلم و يعني بذلك العلم بالله فإن العلم بغير الله تضييع الوقت فإن الله ما خلق العالم إلا له و لا سيما هذا المسمى بالإنس و الجن فإنه نص عليه إنه خلقه لعبادته و ذكر عن كل شيء أنه ﴿يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ فمن علم الله بمثل هذا العلم علم إن كل نطق في العالم كان ذلك النطق ما كان مما يحمد أو يذم أنه تسبيح بوجه لله بحمده أي فيه ثناء على الله لا شك في ذلك و مثل هذا العلم بحمد الله حصل لنا من هذه الحضرة و لكن ما يعرف صورة تنزيله علما بحمد الله و الثناء عليه إلا من اختصه الله بوهب هذه الحضرة على الكمال فيسب إنسان إنسانا و هو عند هذا السامع صاحب هذا المقام تسبيح بحمد الله فيؤجر السامع و يأثم القائل و القول عينه و هذا من العلم اللطيف الذي يخفى على أكثر الناس و هو في العلوم بمنزلة أسماء الأشياء كلها إنها أسماء الله في قوله ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللّهِ﴾ خبرا صدقا مع علمنا بما نفتقر إليه من الأشياء فهذا و ذلك سواء ﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ فسمع بالله ﴿وَ هُوَ شَهِيدٌ﴾ فأبصر بالله و هذا القدر من الإيماء كاف في هذه الحضرة ﴿وَ اللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

«حضرة العلم و هي للاسم العليم و العالم و العلام»

إن العلوم هي المطلوب بالنظر ❊ فانظر و فكر فإن الفكر معتبر
لو لا العلوم التي في الكون ما ظهرت ❊ أفكار من هو في الأشياء معتبر
هو الإمام الذي يدريه خالقه ❊ و النجم يعرفه و الشمس و القمر
كيوسف حين خروا سجدا و مضت ❊ أحكامه فيهم بالله فاعتبروا

فلو ترى الشمس و الأفلاك دائرة　　في نارها و نجوم الليل تنتثر

من بعد ما طمست أنوارها و مضت　　أحكامها و بدت في العين تنكدر

ماتوا و راح الذي قد كان يجمعهم　　في دار دنياهم فالكل قد قبروا

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد العليم و العلماء في هذه الحضرة على ثلاث مراتب عالم علمه ذاته و عالم علمه موهوب و عالم علمه مكتسب و له حكم في الإلهيات و له حكم في الكون ففي الله علمه بكل شيء لذاته و عموم تعلقها بكل معلوم و قد بينا من أين تعلق علمه بالعالم و المكتسب في الله قوله حَتَّى نَعْلَمَ و الموهوب في الله ما أعطاه العبد من تصرفه في المباح فإنه لا يتعين تقييده تعين الواجب و المحظور و المندوب و المكروه فحصول العلم بالتصريف في المباح علم وهب يعلمه الحق من العبد بطريق إلهية لأنه لا يجب عليه الإتيان به كما يجب عليه اعتقاده فيه إنه مباح و الايمان به واجب و أما مراتب هذه العلوم في الكون فهينة الخطب فإن الكون قابل للعلم بالذات فالعلم الذاتي له هو ما يدركه من العلم بعين وجوده خاصة لا يفتقر في تحصيله إلى أمر آخر إلا بمجرد كونه فإذا ورد عليه ما لا يقبله إلا بكونه موجودا على مزاج خاص هو علمه الذاتي له و المكتسب ما له في تحصيله تعمل من أي نوع كان من العلوم المكتسبة و الموهوب هو ما لم يخطر بالبال و لا له فيه اكتساب كعلم الأفراد و هو علم الخضر فعلمه من لدنه علما رحمة من عند الله به حتى كان مثل موسى ع الذي كلمه ربه يستفيد منه ما لم يكن عنده و لا أحاط به خبرا يقول لم نذق له طعما فيما علمه الله من العلم باللهو اعلم أنه ما من موجود في العالم إلا و له وجه خاص إلى موجدة إذا كان من عالم الخلق و إن كان من عالم الأمر فما له سوى ذلك الوجه الخاص و إن الله يتجلى لكل موجود من ذلك الوجه الخاص فيعطيه من العلم به ما لا يعلمه منه إلا ذلك الموجود و سواء علم ذلك الموجود أو لم يعلمه أعني أن له وجها خاصا و أن له من الله علما من حيث ذلك الوجه و ما فضل أهل الله إلا بعلمهم بذلك الوجه ثم يتفاضل أهل الله في ذلك فمنهم من يعلم أن لله تجليا لذلك الموجود من هذا الوجه الخاص و منهم من لا يعلم ذلك و الذين يعلمون ذلك منهم من يعلم العلم الذي يحصل له من ذلك التجلي و منهم من لا يعلمه أعني على التعيين و ما أعني بالعلم إلا متعلق العلم هل هو كون أو هو الله من حيث أمر ما و العلم المتعلق بالله إما علم بالذات و هو سلب و تنزيه أو إثبات و تشبيه و إما علم باسم ما من الأسماء الإلهية من حيث ما سمي الحق به نفسه من كونه منعوتا بالقول و الكلام و إما علم باسم ما من أسماء الأسماء من حيث ما تقتضيها عبارات المحدثات و إما علم نسب إلهية و إما علم صفات معنوية و إما علم نعوت ثبوتية إضافية تطلب أحكاما متقابلة و إما علم ما ينبغي أن يطلق منه عليه و ما ينبغي أن لا يطلق و لكل علم أهل و أما ما يتعلق بالكون من العلم الإلهي الذي يعطيه الله من شاء من عباده من هذا الحضرة فهو إما علم يكون متعلقة نسبة العالم إلى الله و إما علم يكون متعلقه نسبة الله إلى العالم و إما علم بارتفاع النسبة بين العالم و الذات و إثباتها بين العالم و الأسماء و إما علم بإثبات النسبة بين العالم و الذات و هو علم القائلين بالعلة و المعلول و إما علم إثبات النسبة شرط لا علة و إما علم يتعلق بالصورة التي خلق الله العالم عليها كله و إما علم بالصورة التي خلق الإنسان عليها و إما علم بالبسائط و إما علم بالمركبات و إما

علم بالتركيب و إما علم بالتحليل و إما علم بالأعيان الحاملة مركبة كانت أو بسائط و إما بالأعيان المحمولة و إما علم بإلهيات و إما علم بالأوضاع و إما علم بالمقادير و إما علم بالأوقات و إما علم بالاستقرارات و إما علم بالانفعالات و إما علم بالعين المؤثرة اسم فاعل المؤثرة فيها اسم مفعول و أنواع الآثار بالتوجهات و القصد أو بالمباشرة هذا كله مما يكون للعالم به أو ببعضه من هذه الحضرة العلمية فمن دخل هذه الحضرة ذوقا فقد حاز كل علم و من دخلها بالفكر فإنه ينال منها على قدر ما هو فيه و من هذه الحضرة يحيط بعض الخلق بعلم ما لا يتناهى من أعيان أشخاص نوع نوع من الممكنات على حد ما يعلم في العامة تضاعف العدد إلى ما لا يتناهى و لا يقدر أحد على إنكاره من نفسه إنه يعلم ذلك و لا يخطئ فيه ثم لتعلم إن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص من عين تسمى عالما لهذا التعلق و هو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم فالعلم متأخر عن المعلوم لأنه تابع له هذا تحقيقه فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات و هو بين العالم و المعلوم و ليس للعلم عند المحقق أثر في المعلوم أصلا لأنه متأخر عنه فإنك تعلم المحال محالا و لا أثر لك فيه من حيث علمك به و لا لعلمك فيه أثر و المحال لنفسه أعطاك العلم به أنه محال فمن هنا تعلم أن العلم لا أثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه علماء أصحاب النظر فإيجاد أعيان الممكنات عن القول الإلهي شرعا و كشفا و عن القدرة الإلهية عقلا و شرعا لا عن العلم فيظهر الممكن في عينه فيتعلق به علم الذات العالمة بأنه ظاهر كما تعلق به أنه غير ظاهر بذلك العلم فظهور المعلوم و عدم ظهوره أعني وجوده أعطى العلم فهو حضرة المعلوم بنوع العلم من العالم بما هو عليه في ذاته أعني المعلوم هذا في كل موصوف بالعلم فالصفات المعنوية كلها على الحقيقة نسب غير أنه ثم نسبة تتقدم كالقول بالإيجاد على الموجود و نسبة تتأخر كالعلم و المعلوم فإذا فهمت ما ذكرته لك في هذه الحضرة علمت الأمر العلمي على ما هو عليه وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة القبض و هي للاسم القابض»

لا شك أن القبض معلوم	في ذاته فالأمر مفهوم
و ليس معلوما لنا سره	لكنه لله معلوم
يعلمه الخائف من خوفه	لذاك يمسي و هو مغموم
بستانه تبكيه أطياره	يعمره الغربان و البوم
منقبض عنه و عن مثله	فسره في الكون مكتوم

لها أثر في المحدث و القديم يدعى صاحبها عبد القابض بما يعطيه الممكن من أفعاله فيقبضها الحق منه كما ورد أن الله يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ من عباده فيربيها لهم وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فيقبضه بحيث إنه لا يبقى لغير الله فيه تصرف بعد القبض الإلهي إلا أن يعطيه الحق ذلك فيقبضه العبد من ربه و أول قبض قبضه الممكن من ربه وجوده فقبض الحق من الممكن علمه به و قبض الممكن من الحق وجوده و جميع ما يتصرف فيه و يضاف إليه من الأفعال فإذا وقعت يقبضها الحق من العامل فحضرة القبض بين القابض و المقبوض و المقبوض منه و قد يكون لهذه الحضرة في

القابض قبض مجهول و هو خطر جدا كما يكون لها قبض معلوم فإذا وجد العبد من هذه الحضرة قبضا في نفسه لا يعرف سببه و لا يعرف منه سوى علمه بأنه قابض لأمر مجهول فهو مقبوض الباطن للحق بذلك الأمر الذي لا يعلمه فإذا وقع له مثل هذا القبض من هذه الحضرة فليسكن على ما هو عليه و ليتحرك على الميزان المشروع و الميزان العقلي و لا يتزلزل فإنه لا بد أن ينقدح له سبب وجود ذلك القبض إما بما يسوءه أو بما يسره و لله عباد يسرهم كل شيء يقامون فيه من بسط و قبض مجهول و معلوم اعلم أن الأدب مصاحب لهذه الحضرة و لحضرة البسط فإذا قبض من الحق ما يعطيه الله فيقبضه من يده في أمور معينة و من يد الغير في أمور معينة يعين ذلك مسمى الخير و الشر فالخير كله بيد الله فيقبضه منه و لكن بأدب يليق بذلك الخير المعين و ابذل جهدك في إن لا تقبض الشر جملة واحدة فإن أعماك الحق و أصمك و استعملك في قبض الشر فمن الأدب أن لا تقبضه من يد الله و اقبضه من يد المسمى شيطانا فإن على يده يأتيك الشر فلو زال هذا البريد لم يقع في الوجود حكم شر و ما أظهر عين الشر من هذا الشيطان إلا التكليف فإذا ارتفع ارتفع هذا الحكم و لم يبق إلا الغرض و الملاءمة فنيل الغرض و الملائم خير و فقد ما تعلق به الغرض و ما لا يلائم شر

من يد الحق تسعد　فخذ الخير كله

في يد الغير ترشد　و دع الشر كله

سواء نسبتهما إلى الشرع أو إلى الغرض أو الملاءمة فمن القبض ما يكون عن وهب و منه ما يكون عن جود و كرم و عن سخاء و عن إيثار و ليس إلا قبض الشر يكون و هو عن إيثار لجناب الحق حيث أضفته إلى نفسك و لم تضفه إلى الله أدبا مع الله حيث لم ينسبه إلى نفسه فإن رسول الله ص المترجم عن الله تعالى يقول و الشر ليس إليك و قال وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ فكل ما يسوءك فهو شر في حقك فلو لم يطلق عليه اسم شر لم تضفه إليك و لا أضافه الحق إليك أ لا تراه إذا نظرته فعلا من غير حكم عليه كيف يقول كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ ظهر فقف مع الحكم الإلهي في الأشياء و على الأشياء تكن أديبا معصوما فإنه لا يحفظ الله هذا المقام إلا على من عصم الله و اعتنى به و من هذه الحضرة تقرض الله ما طلب منك من القرض و تعلم أنه ما طلبه منك إلا ليعود به و بأضعافه عليك من جهة من تعطيه إياه من المخلوقين فمن أقرض أحدا من خلق الله فإنما أقرض الله و ليس الحسن في القرض إلا أن ترى يد الله هي القابضة لذلك القرض لا غير فتعلم عند ذلك في يد من جعلت ذلك و هو الحفيظ الكريم و أما قبضه ما يقبضه للدلالة عليه كقبض الظل إليه ليعرفك بك و بنفسه لأنه ما خرج الظل إلا منك و لو لا أنت لم يكن ظل و لو لا الشمس أو النور لم يكن ظل و كلما كثف الشخص تحققت أعيان الظلال فالأمر بينك و بينه كما قررنا في الوجود بين الاقتدار الإلهي و بين القبول من الممكن مهما ارتفع واحد منهما ارتفع الوجود الحادث كذلك إذا ارتفع العين المشرق و الجسم الكثيف الحائل عن نفوذ هذا الإشراق فيه حدث الظل فالظل من أثر نور و ظلمة و لهذا لا يثبت الظل عند مشاهدة النور كما لا تثبت الظلمة لأنه ابنها فإن للظلمة ولادة على الظل بنكاح النور فما قابل النور من الجسم الكثيف أشرق فذلك الإشراق هو نكاح النور له و بنفس ما يقع النكاح تكون ولادته للظل

فنفس النكاح نفس الحمل نفس الولادة في زمان واحد كما قلنا في زمان وجود البرق انصباغ الهواء و ظهور المحسوسات و إدراك الأبصار لها و الزمان واحد و التقدم و التأخر معقول و هكذا الظل فافهم و من هذه الحضرة سماع ما يقبضك و رؤية ما يقبضك فلو لم يقبض المسموع الذي قبضك ما كنت مقبوضا و كذلك الرؤية فأنت القابض المقبوض فما أتى عليك إلا منك فلو أزلت الغرض عند السماع أو الرؤية لكنت قابضا و لم تكن مقبوضا غير إن هذه الحقيقة لا ترتفع من العالم لأن الاستناد قوى بقوله اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللهَ و ليس إلا القبض فإذا أخبر الحق بوجود الأثر في ذلك الجناب فأين يخرج العبد من حكمه لذلك قال في نعيم الجنان وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ و ليس إلا نيل الأغراض فتحقق حكم هذه الحضرة و ما تعطيه في الإنسان وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة البسط و هي للاسم الباسط»

إلا إذا بشره الله لا يفرح العاقل في بسطة
و متهم يعلمه الله على لسان صادق منجد
له إذا يحشره الجاه فإنه الصادق في قوله
لكونها أعلمها الله لا تمتري في صدق إرساله
يقول إذ قيل له ما هو فلا تقولوا مثل ما قال من
فافرح فإن الواحد الله ماهية ما ثم مجهولة

يدعى صاحبها عبد الباسط لها حكم و أثر قديما و حديثا فمن أرضى الله فقد منع غضبه و بسط رحمته وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ

و لي الحكم جله فله الحكم كله
و أنا العبد ظله فهو الحق أصلنا
فإنا منه ظله فإذا دام عيشه
بل لي الأمر كله ما لي أمر يخصني
إن يشأ ذاك فصله إن أسأنا فعدله
و أنا منه فضله كل جنس يعمنا
أنا منه فشكله أي فصل مقوم
عين فيضي أو مثله شكل ذاتي و فيضه

فله الحكم في عباده من هاتين الحضرتين غير أن المحال تختلف فيختلف البسط لاختلافها و الأحوال تختلف فيختلف البسط لاختلافها فأما في محل الدنيا ف لَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ فأنزل بِقَدَرٍ ما يَشاءُ و أطلق له في الجنة البسط لكونها ليست بمحل تعن و لا تعد فإن الله قد نزع الغل من صدورهم فالعبد باتباع الرسول و أعني به الشرع الإلهي و الوقوف عند حدوده و مراسمه بالأدب الذي ينبغي له أن يستعمله في ذلك الاتباع يؤثر في الجناب الأقدس المحبة في هذا المتبع فيحبه الله و إذا أحبه انبسط له فحال العبد في الدنيا عند انبساط الحق إليه أن يقف مع الأدب في الانبساط و هو قبض يسير أثره بسط الحق فالعبد ينقبض لقبض الحق و لبسطه و إن اختلف حكم القبض فيه أعني في الدنيا لأجل التكليف فمن المحال كمال البسط في الدنيا للأدب و محال كمال القبض في الدنيا للقنوط غير إن حكم القبض أعم في الدنيا من البسط فمن الناس من وفقهم الله لوجود أفراح العباد على أيديهم أول درجة من ذلك من يضحك الناس بما يرضى الله أو بما لا رضاء فيه و لا سخط و هو المباح فإن ذلك نعت إلهي لا يشعر به بل الجاهل يهزأ به و لا يقوم عنده هذا الذي يضحك الناس وزن و هو المسمى في العرف مسخرة و أين هو هذا الجاهل بقدر هذا الشخص من قوله تعالى وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكى و لا سيما و قد قيدناه بما يرضى الله أو بما لا رضاء فيه و لا سخط فعبد الله المراقب أحواله و آثار الحق في الوجود يعظم في عينه هذا المسمى مسخرة و كان لرسول الله ص نعيمان يضحكه ليشاهد هذا الوصف الإلهي في مادة فكان أعلم بما يرى و لم يكن رسول الله ص ممن يسخر به و لا يعتقد فيه السخرية و حاشاه من ذلك ص بل كان يشهده مجلى إلهيا يعلم ذلك منه العلماء بالله و من هذه الحضرة كان رسول الله ص يمازح العجوز و الصغير يباسطهم بذلك و يفرحهما ألا ترى إلى أكابر الملوك كيف يضاحكون أولادهم بما ينزلون إليهم في حركاتهم حتى يضحك الصغير و لم أر من الملوك من تحقق بهذا المقام في دسته بحضور أمرائه و الرسل عنده مثل الملك العادل أبي بكر بن أيوب مع صغار أولاده و أنا حاضر عنده يمايا فارقين بحضور هذه الجماعة فلقد رأيت ملوكا كثيرا و لم أر منهم مثل ما رأيته من الملك العادل في هذا الباب و كنت أرى ذلك من جملة فضائله و يعظم به في عيني و شكرته على ذلك و رأيت من رفقه بالحريم و تفقد أحوالهن و سؤاله إياهن ما لم أر لغيره من الملوك و أرجو أن الله ينفعه بذلك و اعلم أن الفرق بين الحضرتين أن القبض لا يكون أبدا إلا عن بسط و البسط قد يكون عن قبض و قد يكون ابتداء فالابتداء سبق الرحمة الإلهية الغضب الإلهي و الرحمة بسط و الغضب قبض و البسط الذي يكون بعد قبض كالرحمة التي يرحم الله بها عباده بعد وقوع العذاب بهم فهذا بسط بعد قبض و هذا البسط الثاني محال أن يكون بعده ما يوجب قبضا يؤلم العبد فالبسط عام المنفعة و قد يكون فيه في الدنيا مكر خفي و هو إرداف النعم على المخالف فيطيل لهم ليزدادوا إثما و هو قوله وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ و الإملاء بسط في العمر و الدنيا فيتصرفون فيهما بما يكون فيه شقاؤهم و من البسط ما يكون أيضا مجهولا و معلوما أعني مجهول السبب فيجد الإنسان في نفسه بسطا و فرحا و لا يعرف سببه فالعاقل من لا يتصرف في بسطة المجهول بما يحكم عليه البسط فإنه لا يعرف بما يسفر له في عاقبته هل بما يقبضه و يندم فيه أو بما يزيده فرحا و بسطا فالمكر الخفي فيه إنما هو لكونه مجهول السبب و قوة سلطانه فيمن قام به و الدار

الدنيا تحكم على العاقل بالوقوف عند الجهل بالأسباب الموجبة لبعض الأحوال فيتوقف عندها حتى ينقدح له أمرها فإذا علم تصرف في ذلك على علم فإما له و إما عليه بحسب ما يوفقه الله و ينصره أو يخذله فمن الله نسأل العصمة من الزلل في القول و العمل و من هذه الحضرة يدعو إلى الله من يدعو على بصيرة فيدعو من باب البسط من يعلم أن البسط يعين على الإجابة من المدعو و يدعو من باب القبض من يعلم أن القبض يعين على إجابة المدعو فهذا الداعي و إن كان في مقام مباسطة الحق فإنه يدعو بالقبض و البسط فإنه يراعي المصلحة و يدفع بالتي هي أحسن في حق المدفوع عنه و في حق نفسه و الأدب أعظم ما ينبغي أن يستعمل في هذه الحضرة فإن البسط مطلب النفوس فليحذر غوائلها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الخفض»

إن التواضع حكم ليس يعرفه	إلا العلي الذي لله يخفضه
تنزل الحق إكراما إلى درج	به يجزئه به يبعضه
يقسم الخلق في تعيين رتبته	قسم يحببه و قسم يبغضه
إن الذي خفض الأكوان أجمعها	عن المقام الذي بما يخفضه
رفعت همته نحو العلى عسى	يوما على غلط يكون تنهضه
أبرمت أمرا و في الإبرام حاجته	فجاء في الحال للحرمان ينقضه
إني جعلت له في قلب ذي أدب	حبا و جاء سفير الحال يبغضه
صفر اليدين أتاك اليوم يسألكم	قرضا يضاعفه من أنت تقرضه
و قلت يا منتهى الآمال أجمعها	عساك يوما على خير تحرضه
عرفته بالذي يأتيه من كثب	عساه يوما يراه الحق يرفضه

فيدعي صاحبها في الملإ الأعلى عبد الخافضفاعلم إن الوجود قد انقسم في ذاته إلى ما له أول و هو الحادث و إلى ما لا أول له و هو القديم فالقديم منه هو الذي له التقدم و من له التقدم له الرفعة و الحدوث له التأخر و من تأخر فله الانخفاض عن الرفعة التي يستحقها القديم لتقدمه فإن المتقدم له التصرف في الحضرات كلها لأنه لا منازع له يقابله و لا يزاحمه و يرى المراتب فيأخذ الرفيع منها و الحادث ليس له ذلك التصرف في المراتب فإنه يرى القديم قد تقدمه في الوجود و تصرف و حاز مقام الرفعة و ما نزل عنه فهو خفض فلم يكن له تصرف إلا في حضرة الخفض فإذا أراد الحق أن يتصرف فيها تصرف المحدث ينزل إليها فإذا نزل إليها حكم عليه بأحكامها فإذا ارتفع عنها بعد هذا النزول هو المسمى بهذا الارتفاع الخاص متكبرا فقوله الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ بالرفعة الأولى المتكبر بالرفعة بعد النزول فحضرة الخفض سلطانها في المحدث كان المحدث ما

كان و إنما قلنا كان المحدث ما كان من أجل صور التجلي فإنها محدثة و من أجل إتيان الذكر الذي هو القرآن كلام الله فإنه محدث الإتيان قال تعالى ما يَأْتِيهِمْ من ذِكْرٍ من رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ و ليس إلا القرآن و قد حدث عندهم بإتيانه فلذلك قلنا كان الحادث ما كان فمن هذه الحضرة يكون حكم الخافض و المخفوض ألا ترى إلى حروف الخفض هي الخافضة و الحرف في أدنى الدرجات و مع ذلك فلها أثر الخفض في الأسماء مع علو درجة الأسماء فتقول أعوذ بالله فالباء خافضة و معمولها الهاء من كلمة الله فهي التي خفضت الهاء من الكلمة فأثرت في الكلمة بحقيقتها و إن كانت الأسماء أعلى في الرتبة منها فالعالم و إن كان في مقام الخفض و رتبته رتبة الخفض فإنه بعضه لبعضه كأداة الخفض في اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة إلا بها كذلك ما لا يفعله الحق من الأشياء إلا بوساطة الأشياء و لا يمكن غير ذلك فلا بد من حقيقته هذا أن ينزل إلى رتبة الخفض ليتصرف في أدوات الخفض بحسب ما هي عليه تلك الأدوات من الأحكام و هي كثيرة كأداة الباء على اختلاف مراتبها و هي في كل ذلك لا تعطي إلا الخفض فلها رتبة القسم و رتبة الاستعانة و رتبة التبعيض و التأكيد و النيابة مناب الغير و كذلك من و إلى و في و جميع أدوات الخفض لها صور في التجلي فتظهر بحكم واحد و عين واحدة في مراتب كثيرة فمن على كل حال حكمها الخفض و ذاتها معلومة فهي لا تتغير في الحكم و لا في العين و هي لابتداء الغاية خرجت من الدار و تكون للتبعيض أكلت من الرغيف و تكون للتبيين شربت من الماء فما تغير لها عين و لا حكم في الخفض ثم إنه إذا دخل بعضها على بعض صير المدخول عليه فيها اسما و زال عنه حكم الحرفية فيرجع خفضه بالإضافة كسائر الأسماء المضافة و أبقى عليه بناءه حتى لا يتغير عن صورته قال لشاعر من عن يمين الحبيا نظرة قبل أراد جهة اليمين فدخلت من على عن فصيرتها بمعنى الجهة و أخرجتها عن الحرفية فمعقول من عين عن و اليمين كما قلنا مضافة إلى عن و لم يظهر في عن عمل الخفض في الظاهر لأنها بالأصالة خافضة و الخافض لا يكون مخفوضا فهي هنا مخفوضة المعنى غير مخفوضة الصورة لما هي عليه من البناء مثل لِلَّهِ الْأَمْرُ من قَبْلُ وَ من بَعْدُ و كذلك قول الشاعر و هو كثير في اللسان و هذا العمل في هذا الطريق إذا أثر المحدث في المحدث لم يزله أثره فيه عن أن يكون محدثا و الحدوث له بمنزلة البناء للحرف و الأثر فيه للمؤثر و لا مؤثر إلا الله فهذا خلق ظهر بصورة حق فانفعل المنفعل لصورة الحق لا للخلق فقد تلبس في الفعل الخلق بالحق في الإيجاد و تلبس الحق بالخلق في الصورة التي ظهر عنها الأثر في الشاهد كما ظهر عقلا عن الحق هُنَّ لباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لباسٌ لَهُنَّ و الإشارة إلى الأسماء الإلهية هنا و إن كان المراد الزوجات تفسيرا

و إن قلت هذا الخلق أخفيته فيه فإن قلت هذا الحق أظهرت غائبا

و لو لا وجود الخلق ما كنت تخفيه فلو لا وجود الحق ما بان كائن

فمن حضرة الخفض ظهر الحق في صورة الخلقفقال كنت سمعه و بصرهالحديث و قال تعالى فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ الله و قال من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ الله كما قال فيه وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ فلو لا حكم النسب و تحقيق النسب ما كان للأسباب عين و لا ظهر عندها أثر و أنت تعلم أن استناد أكثر العالم إلى الأسباب فلو لا إن الله عندها ما استند مخلوق إليها فإنا لم نشاهد أثرا

إلا منها و لا عقلناه إلا عندها فمن الناس من قال بها و لا بد و من الناس من قال عندها و لا بد و نحن و من شاهد ما شاهدنا نقول بالأمرين معا عندها عقلا و بها شهودا و حسا كما قدمنا في الاقتدار و القبول فذلك هو الأصل الذي يرجع إليه الأمر كله فاعبده و توكل عليه فهل طلب منك ما ليس لك فيه تعمل وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ فلا بد من حقيقة هنا تعطي الإضافة في العمل إليك مع كونه خلقا لله تعالى كما قال وَ اللّهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ أي و خلق ما تعملون و أهل الإشارة جعلوا هنا ما نافية فالعمل لك و الخلق لله فما أضاف إليه تعالى عين ما أضافه إليك إلا لتعلم إن الأمر الواحد له وجوه فمن حيث ما هو عمل أضافه إليك و يجازيك عليه و من حيث ما هو خلق هو لله تعالى و بين الخلق و العمل فرقان في المعنى و اللفظ فلا تحجب عن معرفة هذا فإنه لطيف خفي وَ اللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الرفعة»

يرفع المؤمن المهيمن قوما آمنوا فوق غيرهم درجات
فتراهم بهم نفوسا سكارى داخلات في حكمه خارجات
و رأينا لديه فتيان صدق عاملوه بالصدق في فتيات
طاهرات من الخنا معلنات بشهادات حقه مؤمنات

يدعى صاحبها عبد الرفيع قال اللّه تعالى رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ فالرفعة له سبحانه بالذات و هي للعبد بالعرض و إنها على النقيض من حضرة الخفض في الحكم فإن الخفض للعبد بالأصالة و الرفعة للحق و اعلم أيدنا اللّه و إياك بِرُوحٍ مِنْهُ أن هذه الحضرة من حضرات السواء التي لها موقف السواء في المواقف التي بين كل مقامين يوقف في كل موقف منها العبد ليعرف بآداب المقام الذي ينتقل إليه و يشكر على ما كان منه من الآداب في المقام الذي انتقل عنه و إنما سمي موقف السواء أو حضرة السواء لقوله تعالى عن نفسه إنه رَفِيعُ الدَّرَجاتِ فجعل له درجات ظهر فيها لعباده و قال في عباده العلماء به يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ يظهر فيها العلماء باللّه ليراهم المؤمنون ثم إنه من حكم هذه الحضرة السوائية في رفع الدرجات التسخير بحسب الدرجة التي يكون فيها العبد أو الكائن فيها كان من كان فيقتضي له أي للكائن فيها إن يسخر له من هو في غيرها و يسخره أيضا من هو في درجة أخرى و قد تكون درجة المسخر اسم مفعول أعلى من درجة المسخر اسم فاعل و لكن في حال تسخير الأرفع بما سخره فيه شفاعة المحسن في المسيء إذا سأل المسيء الشفاعة فيه و في حديث النزول في الثلث الباقي من الليل غنية و كفاية وَ شِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ لمن عقل و لما كانت الدرجة حاكمة اقتضى أن يكون الأرفع مسخرا اسم مفعول و تكون أبدا تلك الدرجة أنزل من درجة المسخر اسم فاعل و الحكم للأحوال كدرجة الملك في ذبه عن رعيته و قتاله عنهم و قيامه بمصالحهم و الدرجة تقتضي له ذلك و التسخير يعطيه النزول في الدرجة عن درجة المسخر له اسم مفعول قال اللّه عز و جل وَ رَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا فافهم ثم إنه أمر عباده و نهاهم كما أمر عباده أيضا أن يامروه و ينهوه فقال لهم قولوا اغفر لنا و

ارحمنا في مثل الأمر و يسمى دعاء و رغبة و في مثل النهي لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنا لا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً لا تُحَمِّلْنا ما لا طاقَةَ لَنا به و أمر الله أن نقول أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ و النهي لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها لا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ و أمثال ذلك فنظرنا في السبب الذي أوجب هذا من الله أن يكون مأمورا منهيا على عزتهو جبروته و من العبد على ذله و افتقا ره فوجدناه حكم الدرجات بما تقتضيه و الدرجة أيضا هي التي جعلت هذا الأمر و النهي في حق الله يسمى أمرا و نهيا و في حق العبد يسمى دعاء و رغبة فأقام الحق نفسه بصورة ما أقام فيه عباده بعضهم مع بعض و قوله رَفِيعُ الدَّرَجاتِ إنما ذلك على خلقه ثم أنزل نفسه معهم في القيام بمصالحهم و بما كسبوا قال تعالى أَ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ كما قال تعالى الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ لأنهن عائلته و قد ورد عن رسول الله ص أن الخلق عيال اللهفيقوم بهم لأن الخلق إلى الله يميلون و لهذا كانوا عائلة له فلما أنزل نفسه في هذه المنزلة فضلا منه و حقيقة فإنه لا يكون الأمر إلا هكذا نبه أنه منا و فينا كنحن منا و فينا

مثلنا منا و فينا إنه منا و فينا

هكذا جاء يقينا و بنا عرفت ربي

قال الله تعالى وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ و علل بقوله لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا و من سأله فقد اتخذه موضعا لسؤالك فيما سألته فيه و قد أخبر عن نفسه بالإجابة فيما سأله لمن سأله على الشرط الذي قرره كما نجيبه نحن فيما سألنا أيضا على الشرط الذي تقضي به مراتبنا ثم إنه عز و جل لما كان عين أسمائه في مرتبة كون الاسم هو عين المسمى و من يقول في صفات الحق إنها لا هي هو و لا هي غيره و قد علمنا رفعة الدرجات في الأسماء بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ كانت ما كانت ليتخذ بعضهم بعضا بحسب مرتبته فنعلم إن درجة الحي أعظم الدرجات في الأسماء لأنه الشرط المصحح لوجود الأسماء و إن العلم من العالم أعم تعلقا و أعظم إحاطة من القادر و المريد لأن لمثل هؤلاء خصوص تعلق من متعلقات العالم فهم للعالم كالسدنة و لما كان العلم يتبع المعلوم علمنا إن العالم تحت تسخير المعلوم يتقلب بتقليبه و لا يظهر له عين في التعلق به إلا ما يعطيه المعلوم فرتبة المعلوم إذا حققتها علمت علو درجتها على سائر الدرجات أعني المعلومات و من المعلومات للحق نفس الحق و عينه و ما يجب له و يستحيل عليه و ما يجب لكل معلوم سوى الحق و ما يستحيل على ذلك المعلوم و ما يجوز عليه فلا يقوم فيه الحق إلا بما يعطيه المعلوم من ذاته و كذلك درجة السميع و البصير و الشكور و سائر الأسماء في التعلق الخاص و الرءوف و الرحيم و سائر الأسماء كلها تنزل عن الاسم العليم في الدرجة إلا المحيط فإنه ينزل عن العليم بدرجة واحدة فإنه لا يحيط إلا بمسمى الشيء و المحال معلوم و ليس بشيء إلا في وجود الخيال فهنالك له شيئية اقتضتها تلك الحضرة فهو محيط بالمحال إذا تخيله الوهم شيئا كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً و لكن في المرتبة الخارجة عن الخيال لا إحاطة له بالمحال مع كون المحال معلوما للعالم غير موصوف بالإحاطة و كذلك الحي لما كانت له درجة الشرطية كان له السببية في ظهور أعيان الأسماء الإلهية و آثارها و كذلك كل علة لا بد أن يكون لها حكم

الحياة و حينئذ يكون عنها الأثر الوجودي و لا يشعر بذلك كل أحد من نظار العلماء من أولي الباب إلا أرباب الكشف الذين يعاينون سريان الحياة في جميع الموجودات كلها جوهرها و عرضها و يرون قيام المعنى بالمعنى حتى يقال فيه سواد مشرق و سواد كدر و من لا علم له يجعل الإشراق للمحل لا للسواد و ما عنده خبر فكذلك قيام الحياة بجميع الأعراض قيامها بأعيان الجواهر فما من شيء من عرض و جوهر و حامل و محمول إلا و هو يسبح بحمد الله و لا يسبح الله إلا حي عالم بمن يسبح و بما يسبح فيفصل بعلمه بين من ينبغي له التسبيح و بين من ينبغي له التشبيه في العين الواحدة من وجوه مختلفة و هو سبحانه يثني على نفسه و يسبح نفسه بنفسه كما قال فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ و قال وَ أَقْرِضُوا اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً و كل ذلك في معرض الثناء على نفسه لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ و من لم يعرف الله تعالى و العالم بمثل هذه المعرفة فما عنده علم بالله و لا بالعالم و لو لا ما هو الأمر كما قررناه ما قال رسول الله ص من عرف نفسه عرف ربه و أتى بالعامل الذي يتعدى إلى مفعول واحد و لم يقل علم و ذلك ليرفع الإشكال في الأحدية فقد بان لك يا وليي بما فصلناه و أومأنا إليه ما تقتضيه هذه الحضرة حضرة الرفع و التي قبلها حضرة الميزان الذي به يخفض الله و يرفع و لما كانت للحق الدرجة العليا قال إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ فإن الكلمة إذا خرجت تجسدت في صورة ما هي عليه من طيب و خبيث فالخبيث يبقى فيما تجسد فيه ما لهمن صعود و الطيب من الكلم إذا ظهرت صورته و تشكلت فإن كانت الكلمة الطيبة تقتضي عملا و عمل صاحبها ذلك العمل أنشأ الله من عمله براقا أي مركوبا لهذه الكلمة فيصعد به هذا العمل إلى الله صعود رفعة يتميز بها عن الكلم الخبيث كل ذلك يشهده أهل الله عيانا أو إيمانا فالخلق في كل نفس في تكوين فهم كل يوم في شأن لأنهم في نفس و هو هيولى صور التكوين فالحق في وجود الأنفاس شئونه و التصوير لما هو العبد عليه من الحال في وقت تنفسه فيعطيه الحق النفس الداخل هيولائي الذات فإذا استقر في القلب و أعطى أمانته من التبريد الذي جاء له تشكل و انفتحت في ذات ذلك النفس صورة ما في القلب من الخواطر فيزعجه السحر بعد فتح الصورة فيه على مدرجته خروج انزعاج لدخول غيره لأن السحر و هو الرئة له حفظ هذه النشأة فهو كالروبان بل هو كالحاجب الذي بيده الباب فإذا خرج فلا يخلو إما أن يتلفظ صاحب ذلك النفس بكلام أو لا يتلفظ فإن تلفظ تشكل ذلك الهواء بصورة ما تلفظ به من الحروف فيزيد في صورة ما اكتسبه من القلب و إن لم يتلفظ خرج بالصورة التي قبلها في القلب من الخاطر هكذا الأمر دائما دنيا و آخرة ففي الدنيا يتصور في خبيث و طيب و في الآخرة لا يتصور إلا طيبا لأن حضرة الآخرة تقتضي له الطيب فلا يزال يوجد طيبا بعد طيب حتى يكثر الطيبون فيغلبون على الخبيثين الذين أوردوا صاحبهم الشقاء فإذا كثروا عليهم غلبوهم فأزالوا حكمهم فيه فهو المعبر عنه بما لهم إلى الرحمة في جهنم و إن كانوا من أهلها فمن حيث إنهم عمار لا غير فإن رحمة الله سبقت غضبه و الحكم لله و ما سوى الله فمجعول و آله العقائد مجعول فما عبد الله قط من حيث ما هو عليه و إنما عبد من حيث ما هو مجعول في نفس العابد فتفطن لهذا السر فإنه لطيف جدا به أقام الله عذر عباده في حق من قال فيهم وَ ما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ فاشترك الكل المنزه و غير المنزه في الجعل فكل صاحب عقد في الله فهو صاحب جعل فمن هنا تعرف من عبد و من عبد وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الإعزاز»

كما أعز الذي في الله صاحبه إن المعز الذي أعز جانبه

في الحين أكرمه في الوقت عاتبه إذا أتى مستجير نحو حضرته

يدعى صاحبها عبد المعز و هذه الحضرة تجعل العبد منيع الحمى و تعطيه الغلبة و القهر على من ناواه في مقامه بالدعوى الكاذبة التي لا صورة لها في الحق و هو الذي يعتز بإعزاز المخلوق فهو كالقياس في الأحكام المشروعة يضعف الحكم فيه عن حكم المنصوص عليه و لهذا أثبتته طائفة و نفته أخرى أعني القياس في الأحكام المشروعة و إنما جعله من جعله أصلا في الحكم لما قال الله تعالى وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ فما تفطنوا لذكر الله العزة لهؤلاء الموصوفين بالرسالة المضافة إليه تعالى و الايمان فما قال الناس فهؤلاء المذكورون لهم الإعزاز الإلهي و قد قلنا به و الذين أثبتوا القياس نظروا إلى أن الله ما أعز دينه إلا بهؤلاء فما عزوا إلا بالدين و لا أعز الله الدين إلا بهم فقد حصل للدين إعزاز بإعزاز مخلوق و هو الرسول و المؤمنون الذين لهم العزة بإعزاز الله فثبت للفرع ما ثبت للأصل فثبت القياس في الحكم فمن هذه الحضرة كان القياس أصلا رابعا و لما كان مثبوتا بالكتاب و السنة فبقيت الأصول في الأصل ثلاثة فصح التربيع في الأصول بوجه و التثليث بوجه كالمقدمتين اللتين ركبت كل مقدمة منهما من مفردين و هذه المفردات ثلاثة في التحقيق فصح التربيع و التثليث على الوجه الخاص و شرطه فكان الإنتاج و ليس إلا ظهور الحكم و ثبوته في العين فهذا أعطاه الاجتهاد و لو كان خطأ فإن الله قد أقر حكمه على لسان رسوله و ما كلف الله نفسه إلا ما آتاها و ما آتاها إلا إثبات القياس أعني في بعض النفوس و الإعزاز من السلطان لحاشيته مقيس على إعزاز الله من أعزه من عباده و أما صورة الاعتزاز بالله فهو إن يظهر العبد بصورة الحق بأي وجه كان مما يعطي سعادة أو شقاوة لأن العزة إنما هي لله ففي أي صورة ظهرت كان لها المنع فظهورها في الشقي مثل قوله ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أي المنيع الحمى في وقتك الكريم على أهلك و في قومك فما هي سخرية به فإنه كذلك كان و هي سخرية به لأنه خاطبه بذلك في حالة ذله و إباحة حماه و انتهاك حرمته فما ظهر معتز في العالم إلا بصورة الحق أي بصفته إلا إن الله ذمها في موطن و حمدها في موطن و ذلك الموطن المحمود أن يكون هو الذي يعطي ذلك على علم من العبد فهو صاحب اعتزاز في ذلك و من ليس له هذا المقام فهو ذو اعتزاز في غير ذل و إن أحس بالذل في نفسه لأنه مجبول على الذلة و الافتقار و الحاجة بالأصالة لا يقدر أن ينكر هذا من نفسه و لذلك قال الله بأنه يطبع عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ فلا يدخله الكبرياء و الجبروت و إن ظهر بهما فإنه يعرف في قلبه أنه لا فرق بالأصالة بينه و بين من تكبر عليهم و تجبر و أعظم الاعتزاز من حمى نفسه من أن يقوم به وصف رباني و ليس إلا العبد المحض فإن ظهر بأمر الله فأمر الله أظهره فإعزاز الله عبده أن لا يقوم به من نعوت الحق في العموم نعت أصلا فهو منيع الحي من صفات ربه و إنما قلنا في العموم لأن صفات الحق في العموم ليست إلا ما يقتضي التنزيه خاصة المعبر عنها بالأسماء الحسنى و التي في الخصوص إن جميع الصفات كلها لله التي يقال إنها في العبد بحكم الأصالة و إن اتصف الحق بها و الأسماء الحسنى في الحق بحكم الأصالة و إن اتصف العبد بها و عند الخصوص كلها لله و

إن اتصف العبد بها و متى لم يعتز العبد في حماه عن قيام الصفات الربانية به في العموم فما اعتز قط لأنه ما امتنع عنها و ذلك إذا حكمت فيه عن غير أمر الله كفرعون و كل جبار و من له هذه الصفة الحجابية و إن أخذها عن أمر الله و لكنه لما قام بها في الخلق و ظهر بها اعتز في نفسه على أمثاله فلحق بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا و هم ملوك الإسلام و سلاطينهم و أمراؤهم فيفتخرون بالرياسة على المرءوسين جهلا منهم و لذلك لا يكون أحد أذل منهم في نفوسهم و عند الناس إذا عزلوا عن هذه المرتبة و من كان في ولايته حاله مع الخلق حاله دون هذه الولاية ثم عزل لم يجد في نفسه أمرا لم يكن عليه فبقي مشكورا عند الله و عند نفسه و عند المرءوسين الذين كانوا تحت حكم رياسته و هذا هو المعتز بالله بل العزيز الذي منع حماه أن يتصف بما ليس له إلا بحكم الجعل‏ثم إن الله قد جعل في الوجود موطنا يكون فيه العبد المحقق القائم به صفة الحق في الخلافة معزا ربه إذا رأى اهتضام جانب الحق من القوم الذين قال الله فيهم وَ ما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ فيعزه العبد بحسن التعليم و التنزل باللفظ المحرر الرافع للشبه في قلوبهم حتى يعز الحق عندهم فيكون هذا العبد معزا للحق الذي في قلوب هؤلاء الذين ما قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ قبل ذلك فانتزحوا عن ذلك و عبدوا إلها له العزة و الكبرياء و التنزيه عما كانوا يصفونه به قبل هذا فهذا نصيبه و حظه من الاسم المعز فإنه حمى قلوب هؤلاء عن أن يتحكم فيهم ما لا يليق بالحق من سوء الاعتقاد و القول و قد ورد في القرآن من ذلك لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِينَ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيٰاءُ و قولهم يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ و أمثال هذه الصفات

إلا الذي جل عن كيف و تشبيه ‏ هو المعز و لكن ليس يدريه

على تنزهه عن كل تنزيه ‏ إن المعز الذي دلت دلائله

بما يقول به في كل تنبيه ‏ من العباد فإن الحق يكذبه

وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الإذلال»

عند الدخول به و عند خروجه ‏ إن المذل هو المعز بعينه

أكوانه عينا بعيد عروجه ‏ فإذا أذل حبيبه أدناه من

يدعى صاحبها عبد المذل و هو الذليل و من هذه الحضرة خلق الله الخلق إلا أنه تعالى لما خلق الإنسان من جملة خلقه خلقه إماما و أعطاه الأسماء و أسجد له الملائكة و جعل له تعليم الملائكة ما جهلوه و لم يزل في شهود خالقه فلم تقم به عزة بل بقي على أصله من الذلة و الافتقار و لما حمل الأمانة عرضا و جرى ما جرى قال هو و زوجه إذ كانت جزءا منه رَبَّنٰا ظَلَمْنٰا أَنْفُسَنٰا بما حملاه من الأمانة ثم إن بنيه اعتزوا لمكانة أبيهم من الله لما اجْتَبٰاهُ رَبُّهُ . . . وَ هَدىٰ به من هدى و رجع عليه بالصفة التي كان يعامله بها ابتداء من التقريب و الاعتناء الذي جعله خليفة عنه في خلقه و كمل به و فيه وجود العالم و حصل الصورتين ففاز بالسورتين أعني المنزلتين منزلة العزة بالسجود له و منزلة الذلة بعلمه بنفسه و

جهل من جهل من بنيهما كان عليه أبوه من تحصيل المنزلتين و الظهور بالصفتين فراضهم الاسم المذل من حضرة الإذلال فأخرجهم عن الإدلال بالدال اليابسة و ذلك لمن اعتنى الله به من بنيه فأشهدهم عبوديتهم فتقربوا إليه بها و لا يصح أن يتقرب إلى الله إلا بها فإنها لهم ليس لله منها شيء كأبي يزيد و غيره إذ قال له ربه تقرب إلي بما ليس لي الذلة و الافتقار و قال في طرح العزة عنه و قد قال له يا رب كيف أتقرب إليك أو منك فقال له ربه يا أبا يزيد أترك نفسك و تعالى و النفس هنا ما هو عليه من العزة التي حصلت له من رتبة أبيه من خلقه على الصورة و لو علم من يجهل هذا أنه ما من شيء في العالم إلا و له حظ من الصورة الإلهية و العالم كله على الصورة الإلهية و ما فاز الإنسان الكامل إلا بالمجموع لا بكونه جزءا من العالم و منفعلا عن السموات و الأرض من حيث نشأته و مع هذا فهو على الصورة الإلهية كما أخبر رسول الله ص أن الله خلق آدم على صورته و اختلف في ضميرها من صورته على من يعود و في رواية و إن ضعفت على صورة الرحمن و ما كملت الصورة من العالم إلا بوجود الإنسان فامتاز الإنسان الكامل عن العالم مع كونه من كمال الصورة للعالم الكبير بكونه على الصورة بانفراده من غير حاجة إلى العالم فلما امتاز سرى العز في أبنائه أي في بعض بنيه فراضهم الله بما شرع لهم فقال لهم إن كنتم اعتززتم بسجود الملائكة لأبيكم فقد أمرتكم بالسجود للكعبة فالكعبة أعز منكم إن كان عزكم للسجود فإنكم في أنفسكم أشرف من الملائكة التي سجدت لكم أي لأبيكم و أنتم مع دعواكم في هذا الشرف تسجدون للكعبة الجمادية و من عصى منكم عن السجود لها التحق بإبليس الذي عصى بترك سجوده لأبيكم فلم يثبت لكم العز بالسجود مع سجودكم للكعبة و تقبيلكم الحجر الأسود على أنه يمين الله محل البيعة الإلهية كما أخبرتكم و إن كنتم اعتززتم بالعلم لكون أبيكم علم الملائكة الأسماء كلها فإن جبريل ع من الملائكة و هو معلم أكابركم و هم الرسل صلوات الله عليهم و سلامه و النبي محمد ص يقول حين تدلى إليه ليلة إسرائه رفرف الدر و الياقوت فسجد جبريل ع عند ذلك و لم يسجد النبي ص و قال فعلمت فضل جبريل علي في العلم عند ذلكثم إنكم عن لمة الملك تتصرفون في مرضاة الله فهم الذين يدلونكم على طرق سعادتكم و التقرب فبأي شيء تعتزون على الملائكة فكونوا مثل أبيكم تسعدوا و ما ثم فضل إلا بالسجود و العلم و قد خرج من أيديكم و الذين لهم العزة من النبيين ليس إلا الرسل و المؤمنون فمن ارتاض برياضة الله فقد أفلح و سعد و اعلم أنا قد ذكرنا في غير موضع من هذا الكتاب أنه ما من حكم في العالم إلا و له مستند إلهي و نعت رباني فمنه ما يطلق و يقال و منه ما لا يجوز أن يقال و لا يطلق و إن تحقق و قد خلق الافتقار و الذلة في خلقه فمن أي حقيقة إلهية صدر و قد قال لأبي يزيد إنه ليس له الذلة و الافتقار و قد نبهتك على المستند الإلهي في ذلك بكون العلم تابعا للمعلوم و العلم صفة كمال و لا يحصل إلا من المعلوم فلو لم يكن إلا هذا القدر كما أنه ما ثم إلا هذا القدر لكفى ثم إني أزيدك بيانا مما تعطيه حقائق الأسماء الإلهية التي بها تعددت و كانت الكثرة فلو رفعت العالم من الذهن لارتفعت أسماء الإضافة التي تقتضي التنزيه و غيره بارتفاع العالم فما ثبت لها حكم إلا بالعالم فهي متوقفة عليه و من توقف عليه ظهور حكم من أحكامه فلا بد له أن يطلبه و لا يطلب إلا ما ليس بحاصل ثم إن التنزيه إذا غلب على العارف في هذه المسألة رأى إنه ما من جزء من العالم إلا و هو مرتبط باسم إلهي مع تقدم بعضه على بعض فما توقف اسم ما من الأسماء

الإلهية في حكمه إلا على اسم ما إلهي من الأسماء يظهر في ذلك حكمه بالإيجاد أو بالزوال فما توقفت الأسماء الإلهية إلا على الأسماء الإلهية و ليست الأسماء إلا عين المسمى فمنه إليه كان الأمر هذا عقد المنزه و أما العالم فالذي ذكرناه من ارتفاع حكم الأسماء بارتفاع العالم ذهنا أو وجودا فقد علمت مستند الذلة و الافتقار و الإذلال فإنه لا يوجد الموجد إلا ما هو عليه ألا ترى إلى الحكماء قد قالوا لا يوجد عن الواحد إلا واحد و العالم كثير فلا يوجد إلا عن كثير و ليست الكثرة إلا الأسماء الإلهية فهو واحد أحدية الكثرة الأحدية التي يطلبها العالم بذاته ثم إن الحكماء مع قولهم في الواحد الصادر عن الواحد لما رأوا منه صدور الكثرة عنه و قد قالوا فيه إنه واحد في صدوره اضطرهم إلى أن يعتبروا في هذا الواحد وجوها متعددة عنه بهذه الوجوه صدرت الكثرة فنسبة الوجوه لهذا الواحد الصادر نسبة الأسماء الإلهية إلى الله فليصدر عنه تعالى الكثرة كما صدر فينفس الأمر فكما أنه للكثرة أحدية تسمى أحدية الكثرة كذلك للواحد كثرة تسمى كثرة الواحد و هي ما ذكرناه فهو الواحد الكثير و الكثير الواحد و هذا أوضح ما يذكر في هذه المسألة وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة السمع»

إنه سامع عليم بذاكا أسمع الحق يا أخي نداكا

لم تجده يوما له قد جفاك لو جفوت الجناب يوما بأمر

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد السميع لأنه مسموع فيتضمن الكلام لأنه مسموع و كذا الأصوات فهذه الحضرة تتعلق بحضرة النفس و هو العماء و قد تقدم له باب يخصه كبير مبسوط إلا أني أومي إلى نبذ من هذه الحضرة مما لم نذكره في باب النفس يطلب السمع في حضرته و ليس إلا تلاوة الكتب الإلهية تلاها من تلاها على جهة التوصيل فلا بد لحكم هذه الحضرة فيها و ليس إلا السمع لَقَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّذِينَ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيٰاءُ و قال إِنَّمٰا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ و قال كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمٰا لاٰ يَسْمَعُ إِلاّٰ دُعٰاءً وَ نِدٰاءً و قال وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ هُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ من هذه الحضرة سمع كل سامع غير إن الموصوفين بأنهم يسمعون مختلفون في القبول فمنهم سامع يكون على استعداد يكون معه الفهم عند سماعه بما أريد له ذلك المسموع و لا يكون ذلك إلا لمن كان الحق سمعه خاصة و هو الذي أوتي جميع الأسماء و جوامع الكلم و كل من ادعى هذا المقام من العطاء أعني الأسماء و جوامع الكلم و سمع و لم يكن عين سمعه عين فهمه فدعواه لا تصح و هو الذي له نصيب في قوله تعالى وَ لاٰ تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَ هُمْ لاٰ يَسْمَعُونَ و السماع المطلق الذي لكل سامع إنما هو للذي لاٰ يَسْمَعُ إِلاّٰ دُعٰاءً وَ نِدٰاءً و قد لا يعلم من نودي فذلك هو الأصم لأن لكل صورة روحا و روح السماع الفهم الذي جاء له المسموع قال تعالى صُمٌّ و إن كانوا يسمعون بُكْمٌ و إن كانوا يتكلمون عُمْيٌ و إن كانوا يبصرون فَهُمْ لاٰ يَرْجِعُونَ لما سمعوا و لا يرجعون في الاعتبار إلى ما أبصروا و لا في الكلام إلى الميزان الذي به خوطبوا مثل قوله تعالى أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مٰا لاٰ تَعْلَمُونَ و أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ و تَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ و أصحاب هذه الصفات أيضا كما لا يرجعون فإن الحق قد أخبر عنهم في منزلة واحدة إنهم لا يعقلون من العقال أي لا

يتقيدون بما أريد له ذلك المسموع و لا المبصر و لا المتكلم به من الذي تكلم فإن الله عند لسان كل قائل يعني سميعا يقيده بما سمع منه فلا يتخيل قائل إن الله أهمله و إن أمهله ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ يحصي عليه ألفاظه التي يرمي بها لا يترك منها شيئا حتى يوقفه عليها إما في الدنيا إن كان من أهل طريقنا و إما في الآخرة في الموقف العام الذي لا بد منه و كل صوت و كلام من كل متكلم و صامت إذا أسمعه الحق تعالى من أسمعه فإنما أسمعه ليفهمه فيكون بحيث ما قيل له و نودي به و أقله النداء و أقل ما يتعلق بالنداء الإجابة و هو أن يقول لبيك فيهيئ محله لفهم ما يقال له أو يدعى إليه بعد النداء كان ما كان فإذا كان الحق السميع نداء العبد نادى العبد من نادى أما الحق و أما كونا من الأكوان فإن الله يسمع ذلك كله لأنه ما يَكُونُ من نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى من ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ يسمع ما يتناجون به و لذلك قال لهم فَلا تَتَناجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ و تَناجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ اتَّقُوا الله فإنه مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فيما تتناجون به فإنكم إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ و إن كان معهم فكنى بالحشر إذا فتح الله بإزالة الغطاء عن أعينهم فيرون عند ذلك من هو معهم فيما يتناجون به فيما بينهم فعبر عنه بالحشر للسؤال عما كانوا فيه و أما ذكره تعالى بأنه يشفع فرديتهم و يثني أحديتهم في قوله وَ لا أَدْنى من ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ فهل يريد به أيضا أفراد شفعيتهم كما شفع وتريتهم أو لا يكون أبدا إلا مشفعا فرديتهم خاصة كما نص عليهفاعلم وفقك الله أن الله ما خلق شيئا إلا في مقام أحديته التي بها يتميز عن غيره فبالشفعية التي في كل شيء يقع الاشتراك بين الأشياء و بأحدية كل شيء يتميز كل شيء عن شيئية غيره و ليس المعتبر في كل شيء إلا ما يتميز به و حينئذ يسمى شيئا فلو أراد الشفعية لما كان شيئا و إنما يكون شيئين و هو إنما قال إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ و لم يقل لشيئين فإذا كان الأمر على ما قررناه ثم جاء الحق لكل شيء بصورته التي خلقه الله عليها فقد شفع ذلك الشيء كما يشفع الرئي صورته برؤيتهفي المرآة نفسه فيحكم بالصورتين صورته و صورة ما شفعها فلذلك ما أتى الحق في الإخبار عن كينونته معنا إلا مشفعا لفرديتنا فجعل نفسه رابعا و سادسا و أدنى من ذلك و هو أن يكون ثانيا و أكثر و هو ما فوق الستة من العدد الزوج أعلاما منه تعالى أنه على صورة العالم أو العالم على صورته و ما ذكر في هذه الكينونة إلا كونه سميعا من كون من هو معهم يتناجون لا من كونهم غير متناجين فإذا سمعت الحق يقول أمرا ما فما يريد الأعيان و إنما يريد ما هم فيه من الأحوال إما قولا و إما غير قول من بقية الأعمال إذ لا فائدة في قصد الأعيان لعينهم و إنما الفائدة إحصاء ما يكون من هذه الأعيان من الأحوال فعنها يسألون و بها يطلبون فيقال له ما أردت بهذه الكلمة و لذلك ورد في الخبر الصحيح أن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب بها في عليين و إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما لا يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب بها في سجين فاعلم عباده أن للمتكلم مراتب يعلمها السامع إذا رمى بها العبد من فمه لم تقع إلا في مرتبتها و إن المتلفظ بها يتبعها في عاقبة الأمر ليقرأ كتابه حيث كان ذلك الكتاب فعبد السميع هو الذي يتحفظ في نطقه لعلمه بمن يسمعه و علمه بمراتب القول فإن من القول ما هو هجر و منه ما هو حسن و إذا كان هو السامع فينظر في خطاب الحق إياه أما في الخطاب العام و هو كل كلام يدركه سمعه من كل متكلم في العالم فيجعل نفسه المخاطب بذلك الكلام و يبرز له سمعا من ذاته يسمعه به فيعمل بمقتضاه و هذا من صفات الكمل من الرجال و دون هذه

المرتبة من لا يسمع كلام الحق إلا من خبر إلهي على لسان الرسول أو من كتاب منزل و صحيفة أو من رؤيا يرى الحق فيها يخاطبه فأي الرجلين كان فلا بد أن يهيئ ذاته للعمل بمقتضى ما سمع من الحق كما فعل الحق معه فيما يتكلم به العبد في نجواه نفسه أو غيره فإن الإنسان قد يحدث نفسه كما قال أو ما حدثت به أنفسها و هو تنبيه إن المتكلم إذا لم يكن ثم من يسمعه لا يلزم من ذلك أنه لا يتكلم فأخبر إن نفسه تسمع و هو متكلم فيحدث نفسه فيما هو متكلم يقول و بما هو ذو سمع يسمع ما يقول فعلمنا إن الحق و لا عالم يكلم نفسه و كل من كلم غيره فقد كلم نفسه و ليس في كلام الشيء نفسه صمم أصلا فإنه لا يكلم نفسه إلا بما يفهمه منها بخلاف كلام الغير إياه فلا يقال فيمن يكلم نفسه أنه ما يفهم كلامه كيف لا يفهمه و هو مقصود له دون قول آخر فما عينه حتى علمه و ما له تعيين كلام غيره و كذلك قد يكون ذا صمم عنه إذا لم يفهمه لأنه لا فرق بين الصمم الذي لا يسمع كلام المخاطب و بين من يسمع و لا يفهم أو لا يجيب إذا اقتضى الإجابة و لهذا قال الله فيهم إنهم صُمٌّ ف لا يَعْقِلُونَ و من عقل فالمطلوب منه فيما أسمعه أن يرجع فلا يرجع فمن تحقق بهذه الحضرة و علم إن كلامه من عمله و إن الله عند لسانه في قوله قل كلامه حتى في نفسه به وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة البصر»

إن البصير الذي يراكا	علما و عينا إذا تراه
فكن به لا تكن بكون	و لا تشاهد فيه سواه
فإنه قوله مجيبا	بنا يرانا به نراه

يدعى صاحبها عبد البصير و من هذه الحضرة الرؤية و المشاهدة فلا بد من مبصر و مشهود و مرئي قال الله تعالى لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ و قال أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى و قال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ و قال ص ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر و كما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب يريد بذلك ارتفاع الشك في أنه هو المرئي تعالى لا غيره فيلزم عبد البصير الحياء من الله في جميع حركاته و إنما لزمه الحياء لوجود التكليف فعبد البصير لا يبرح ميزان الشرع من يده يزن به الحركات قبل وقوعها فإن كانت مرضية عند الله و دخلت في ميزان الرضي اتصف بها هذا الشخص و إن لم تدخل له في ميزان الرضي و حكم عليها الميزان بأنها حركة بعد عن محل السعادة و إنها سوء أدب مع الله حمى نفسه عبد البصير أن يظهر منه هذه الحركة فعبد البصير يخفض الميزان و يرفعه صفة حق فإن الله ما وضع الميزان إلا ليوزن به و هو مما بين السماء و الأرض فما خلقه باطلا و لا عبثا و لا يستعمله إلا عبد السميع و عبد البصير بل له دخول في كل اسم إلهي لكل عبد مضاف إلى ذلك الاسم مثل عبد الرءوف فإنه يرأف بعباد الله و جاء الميزان في إقامة الحدود فأزال حكم الرأفة من المؤمن فإن رأف في إقامة الحد فليس بمؤمن و لا استعمل الميزان و كان من الذين يخسرون الميزان فيتوجه عليه بهذه الرأفة اللوم حيث عدل بها عن ميزانها فإن الله يقول وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ و هو الرءوف تعالى و مع علمنا بأنه الرءوف شرع الحدود و أمر بإقامتها و عذب قوما بأنواع العذاب الأدنى و

الأكبر فعلمنا إن للرأفة موطنا لا تتعداه و أن الله يحكم بها حيث يكون وزنها فإن الله ينزل كل شيء منزلته و لا يتعدى به حقيقته كما هو في نفسه فإن الذي يتعدى حدود الله هو المتعدي لا الحدود فإن الحدود لا تتعدى محدودها فيتجاوزها هذا المخذول و يقف عندها العبد المعتنى به المنصور على عدوه فعبد البصير إما أن يعبد الله كأنه يراه و هذه عبادة المشبهة و إما أن يعبد الله لعلمه بأن الله يراه فهذه عبادة المنزهة و إما أن يعبد الله بالله فهذه عبادة العلماء بالله فيقولون بالتنزيه و يشهدون التشبيه لا يؤمنون به فإنه ليس عندهم ذلك خبرا و إنما هو عيان و الايمان بابه الخبر فالمحجوب يؤمن بقول المخبر و صاحب الشهود يرى صدق المخبر فكثير ما بين يرى و يؤمن فإن صاحب الرؤية لا يرجع بالنسخ إلا رجوع الناسخ و صاحب الايمان يرجع بالنسخ و يعتقد في المرجوع عنه أنه كفر بعد الرجوع عنه و إن كان مؤمنا به و لكن يؤمن به إنه كان لا يؤمن به إنه كائن لأنه منسوخ فإذا علم الله من العبد أنه يعلم أنه يراه يمهله فيما يجب بفعله المؤاخذة لأنه علم أنه يعلم أنه يراه فيتربص به ليرجع لأنه تحت سلطان علمه و إن انحجب عن استعماله في الوقت لجريان القدر عليه بالمقدور الذي لا كينونة له إلا فيه و إن الله يستحيي من عبده فيما لا يستحيي العبد فيه و ذلك إذا علم من العبد أنه يعلم ممن الله أن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فيقول الحق ما أعلمته بذلك و رزقته الايمان به إن كان من المؤمنين أو أشهدته ذلك إن كان من أهل الشهود إلا ليكون له ذلك مستندا يستند إليه في إقامة الحجة فكون العبد قد أشهد ذلك أو آمن به و لم يحتج به فما منعه من ذلك إلا الحياء فيما لم يستحيي فيه فإن الله يستحيي منه أن يؤاخذه بعلمه الذي ما استحيى منه فيه و اعلم أن هذه الحضرة أعطت أن يكون للعبد عينان و للحق أعين فقيل في المخلوق أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ و قال تعالى عن نفسه تَجْرِي بِأَعْيُنِنا فمن عينيه كان ذا بصر و بصيرة و من أعينه كانت أعين الخلق عينه فهم لا يبصرون إلا به و إن لم يعلموا ذلك و العالمون الذين يعلمون ذلك يعطيهم الأدب أن يغضوا أبصارهم فيتصفوا بالنقص فإن الغض نقص من الإدراك و قوله أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى إرسال مطلق في الرؤية لا غض فيه فإن لم يغضوا مع علمهم فيعلم عند ذلك أنهم مع شهود المقدور الذي لا بد من كونه فهم يرونه كما يراه الله من حيث وقوعه لا من حيث الحكم عليه بأنه كذا هكذا يراه العلماء بالله فيأتون به على بصيرة و بينة في وقته و على صورته و يرتفع عنهم الحكم فيه فإنه من الشهود الأخروي الذي فوق الميزان و لذلك لا يقدح فيهم لأنه خارج عن الوزن في هذا الموطن و هو قوله في حق رسول الله ص عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ و لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ فهو سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لأن العفو تقدمه و قوله حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ إنما هو استفهام مثل قوله أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ كأنه يقول أ فعلت ذلك حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فهو عند ذلك إما أن يقول نعم أو لا فإن العفو و لا سيما إذا تقدم و التوبيخ لا يجتمعان لأنه من وبخ فما عفا مطلقا فإن التوبيخ مؤاخذة و هو قد عفا و لما كان هذا اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ لهذا جاء بالعفو ابتداء ليتنبه العالم بالله أنه ما أراد التوبيخ الذي يظنه من لا علم له بالحقائق و قال في هذه المرتبة في حق المؤمن العالم اعمل ما شئت فقد غفرت لك أي أزلت عنك خطاب التحجير يا محمد فاسترسل مطلقا فإن الله لا يبيح الفحشاء و هي محكوم عليها فحشاء تلك الأعمال فزال الحكم و بقي عين العمل فما هو ذنب يستر عن عقوبته و إنما الستر الواقع إنما هو بين هذا العمل و بين الحكم عليه بأنه محجور خاصة هذا معنى قد غفرت لك لا

ما يفهمه من لا علم له فيمشي هذا الشخص في الدنيا و لا خطيئة عليه بل قد عجل الله له جنته في الدنيا فهو في حياته الدنيا كالمقتول في سبيل اللهنسمته تعلق من ثمر الجنة كذلك هذا الشخص و إن أقيمت عليه الحدود فلجهل الحاكم هذا المقام الذي هو فيه فإقامة الحدود على من هذا مقامه ما هي حدود و إنما هي من جملة الابتلاءات التي يبتلي الله بها عبده في هذه الدار الدنيا كالأمراض و ما لا يشتهي أن تصيبه في عرضه و ماله و بدنه فيصيبه و هو مأجور في ذلك لأنه ما ثم ذنب فيكفر و إنما هو تضعيف أجور فما هي حدود في نفس الأمر و إن كانت عند الحاكم حدود أو تظهر رائحة من هذا في علماء الرسوم المجتهدين فإن الحاكم إذا كان شافعيا و جيء إليه بحنفي قد شرب النبيذ الذي يقول بأنه حلال فإن الحاكم من حيث ما هو حاكم و حكم بالتحريم في النبيذ يقيم عليه الحد و من حيث إن ذلك الشارب حنفي و قد شرب ما هو حلال له شربه في علمه لا تسقط عدالته فلم يؤثر في عدالته و أما أنا لو كنت حاكما ما حددت حنفيا على شرب النبيذ ما لم يسكر فإن سكر حددته لكونه سكران من النبيذ فالحنفي مأجور ما عليه إثم في شربه النبيذ و في ضرب الحاكم له و ما هو في حقه إقامة حد عليه و إنما هو أمر ابتلاه الله به على يد هذا الحاكم الذي هو الشافعي كالذي غصب ماله غير إن الحاكم هنا أيضا غير مأثوم لأنه فعل ما أوجبه عليه دليله أن يفعله فكلاهما غير مأثوم عند الله و هذا عين ما ذكرناه في إقامة الحدود على الذين أبيح لهم فعل ما أقيم عليه فيه الحد و هو حد في نفس الأمر بالنظر إلى من أقامه فاعلم ذلك و هذه الحضرة واسعة الميدان يتسع فيها المجال فاكتفينا بهذا القدر من التنبيه وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و هو حسبي عز و جل وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

«حضرة الحكم»

فاجعل إلهك فيما بينكم حكما　إذا تنازعكم نفس لتقهركم

فإنه لكما بما به حكما　احذر من العدل منه أن يعادله

يدعى صاحبها عبد الحكم قال تعالى فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِها و قال ص في عيسى ع إنه ينزل فينا حكما مقسطا الحديث كما ورد فالحكم هو القاضي في الأمور إما بحسب أوضاعها و إما بحسب أعيانها فيحكم على الأشياء بحدودها فهي الحكم على نفسها لأنه ما حكم عليها إلا بها و لو حكم بغير ما هي عليه لكان حكم جور و كان قاسطا لا مقسطا و الحكم هو القضاء المحكوم به على المحكوم عليه بما هو المحكوم فيه و أعجب ما في هذه الحضرة نصب الحكمين في النازلة الواحدة و هما من وجه كالكتاب و السنة فقد يتفقان في الحكم و قد يختلفان فإن علم التأريخ كان نسخا و إن جهل التأريخ ما أن يسقطا معا و أما أن يعمل بهما على التخيير فأي شيء عمل من ذلك كان كالمسح في الوضوء للرجلين و كالغسل فأي الأمرين وقع فقد أدى المكلف واجبا على إن في المسألة الخلاف المشهور و لكن عدلنا إلى مذهبنا فيه خاصة فذكرناه و مرتبة الحكم أن يحكم للشيء و على الشيء و هذه حضرة القضاء من وقف على حقيقتها شهودا علم سر القدر و هو أنه ما حكم على الأشياء إلا بالأشياء فما جاءها شيء من خارج و قد ورد أعمالكم ترد عليكم و في الحدود الذاتية برهان ما نبهنا عليه في

هذه الحضرة الحكمية اعلم أن حقيقة هذه الحضرة من أعجب ما يكون من المعلومات فإنها مماثلة لحضرة العلم و ذلك أنها عين المحكوم به الذي هو ما هو المحكوم عليه أو له فالحكم ما أعطى أمرا من عنده لمن حكم له أو عليه إذا كان عدلا مقسطا و أما إذا كان جائرا قاسطا و إن كان حكما فما هو من هذه الحضرة و هو منها بالاشتراك اللفظي و إمضاء ما حكم به و أما قول الله مخبرا و آمرا قالَ و قل كلاهما رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ هو الحكم الذي لا يكون حقا إلا بك و متى لم يكن الحكم بالمحكوم له أو عليه فليس حقا فالمخلوق أو المحكوم عليه جعل الحاكم حكما كما إن المعلوم جعل العالم عالما أو ذا علم لأنه تبع له و ليس القادر كذلك و لا المريد فإن الأثر للقادر في المقدور و لا أثر للعلم في المعلوم و لا للحكم في المحكوم عليه و الحكم أخو العليم فإنه حاكم على كل معلوم بما هو ذلك المعلوم عليه في ذاته و قوله في جزاء الصيد يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ فيه رائحة إن الجائر في الحكم يسمى حكما شرعا إلا إن الحاكم لما شرع له أن يحكم بغلبة ظنه و ليس علما فقد يصادف الحق في الحكم و قد لا يصادف و ليس بمذموم شرعا و يسمى حكما و إن لم يصادف الحق و يمضي حكمه عند الله و في المحكوم عليه و له فهنا ينفصل من العليم و يتميز لأنه ليس هنا تابعا للمحكوم عليه مع كونه حكما و لا هو جائر فإنه حكم بما شرع له من إقامة الشهود أو الإقرار الذي ليس بحق فكان اللفظ من الشاهد و اللفظ بالإقرار من المقر أوجب له الحكم و إن كان قول زور أو شهادة زور و إنما قلنا فيه إنه أخو العليم لكونه في نفس الأمر ما يكون حكما حقيقة إلا بجعل المحكوم له أو عليه هذا هو التحقيق و الأخوة هنا قد تكون أخوة الشقائق و قد تكون أخوة الصفة كأخوة الايمان و غير الايمان و قد تكون أخوة من الأب الواحد دون الآخر و قد تكون من الرضاعة فلذلك قلنا إنه أخو العليم و ما بينا مراتب الأخوة فأحقها أخوة الايمان فإن بها يقع التوارث و هي أخوة الصفة كذلك الحكم ما حكم الحاكم على المحكوم عليه إلا لصفة لا لعينه و من شرط الحكم أن يكون عالما بالحكم لا بالمحكوم عليه و له و إنما شرطه العلم بصفة ما يظهر من حال المحكوم عليه و له بما ذكرناه من شهود صدقوا أو كذبوا أو من إقرار صدق أو كذب فهو تابع أبدا فيكون عالما بالحكم لا بد من ذلك الذي يوجبه و بعينه ما قررناه و الحق فيه مصادفة و هو موضع الإجماع مع كونه بهذه المثابة و الخلاف في حكم الحاكم بعلمه دون إقرار و لا شهادة هل يجوز أو لا يجوز و قد بينا مذهبنا في هذه المسألة في هذا الكتاب في حكم الحاكم بعلمه أين ينبغي أن يحكم و أين ينبغي أن لا يحكم بعلمه فإنها من أشكل المسائل و على كل حال فهي حضرة مبهمة حكم حكمها الأشاعرة في الصفات الإلهية بقولهم لا هي هو و لا هي غيره مع قولهم بأنها زائدة بالعين على الذات وجودية لا نسبية و غير الأشعري لا يقول بهذا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة العدل»

العدل لا يصلح إلا لمن يفصل في الخلق إذا يعدل
فإن أبي أكوانه عدله فإنه بحقه يفضل
ينعم بالفضل على خلقه و يستر الستر إذا يسبل

يدعى صاحبها عبد العدل و هو ميل إلى أحد الجانبين الذي يطلبه الحكم الصحيح التابع للمحكوم عليه و له أو للإقرار أو الشهود و غير ذلك لا يكون عدلا في الحكم و من هذه الحضرة العجيبة خلق الله العالم على صورته و من هنا كان عدلا لأنه تعالى عدل من حضرة الوجوب الذاتي إلى الوجوب بالغير أو إلى حضرة الإمكان كيف شئت فقل و عدل أيضا بالممكنات من حضرة ثبوتها إلى وجودها فأوجدهم بعد أن لم يكونوا بكونه جعلهم مظاهر و بكونه كان مجلى لظهور أحكامهم و من هذه الحضرة عدوله من شأن يجوزه العقل في حق الممكن إلى شأن آخر يجوزه أيضا العقل و العدول لا بد منه فلا يعقل في الوجود إلا العدل فإنه ما ظهر الوجود إلا بالميل و هو العدل فما في الكون إلا عدل حيث فرضته و بالعدل ظهرت الأمثال و سمي المثل عدلا قال الله تعالى أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً و الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ و هنا له وجوه في العدل منها عدولهم إلى القول بأن له أمثالا و لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و منها إنهم بربهم عدلوا لأنه لا حول و لا قوة إلا بالله و منها أن الباء هنا بمعنى اللام فلربهم عدلوا لكون من عدلوا إليه إنما عدلوا إليه لكونه عندهم إلها فما عدلوا إلا لله كقوله ما خَلَقْناهُما إِلَّا بِالْحَقِّ أي للحق كذلك بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ و لما قال الله عز و جل في هذه الآية الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ جعلوا له أمثالا فخاطب المانية الذين يقولون إن الإله الذي خلق الظلمة ما هو الإله الذي خلق النور فعدلوا بالواحد آخر و كذلك الذين يقولون بخلق السموات و الأرض إنها معلولة لعلة ليست علته الإله أي ليست العلة الأولى لأن تلك العلة عندهم إنما صدر عنها أمر واحد لحقيقة أحديتها و ليس إلا العقل الأول فهؤلاء أيضا ممن قيل فيهم إنهم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ و سماهم كفارا لأنهم إما ستروا أو منهم من ستر عقله عن التصرف فيما ينبغي له بالنظر الصحيح في إثبات الحق و الأمر في نفسه على ما هو عليه فاقتصر على ما بدا له و لم يوف الأمر حقه في النظر و أما إن علم و جحد فستر عن الغير ما هو الأمر عليه في نفسه لمنفعة تحصل له من رياسة أو مال فلهذا قيل فيهم إنهم كفروا أي ستروا فإن الله حكيم يضع الخطاب موضعه و العدل هو الرب تعالى و الرب عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ و العدل الميل فالميل عين الاستقامة فيما لا تكون استقامته إلا عين الميل فإن الحكم العدل لا يحكم إلا بين اثنين فلا بد أن يميل بالحكم مع صاحب الحق و إذا مال إلى واحد مال عن الآخر ضرورة فليست الاستقامة ما يتوهمه الناس فأغصان الأشجار و إن تداخل بعضها على بعض فهي كلها مستقيمة في عين ذلك العدول و الميل لأنها مشت بحكم المادة على مجراها الطبيعي و كذلك الأسماء الإلهية يدخل بعضها على بعض بالمنع و العطاء و الإعزاز و الإذلال و الإضلال و الهداية فهو المانع المعطي المعز المذل المضل الهادي فمن يهد الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و كلها نسب حقيقية ما ترى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً

يعطي العبيد إذا افتقر إن الإله بجوده

ما ثم إلا ما ذكر ما شاءه مما له

منه على سر القدر لما وقفت تحققا

سمع الحبيب مع البصر   و شهدته فرأيته
و له نهي و له أمر   فيه بدت أحكامه
و يقال هذا قد كفر   و يقال هذا مؤمن
و لنا التحكم و الأثر   فلنا الحقائق كلها
ما الأمر ما يعطي النظر   ما الأمر إلا هكذا
في كل ما تعطي الصور   الحكم ليس لغيرنا
في الكون من خير و شر   و الأمر فيه فيصل
أكواننا و كذا ظهر   لم تستفد منه سوى
بعقلك في شئونك و اعتبر   و انظر بربك لا
لمن تحقق و ادكر   هذا هو الحق الصراح
لا حكمه فاعدل و سر   الحكم حكم ذواتنا
تعثر على الأمر الخطر   عنه إليه بما لنا
فإليك منك المستقر   لا تأتلي لا تأتني
عنا فنستر ما ستر   إن الغني صفة له
إليه ما جاء الخبر   لو لا افتقار المحدثات
يوم القيامة قد نشر   هذا هو الميت الذي

أن هذا هو السر الذي أخفاه الله عمن شاء من عباده قد ظهر في حكم افتقارنا في غناه فأظهره الله لمن شاء أيضا فتأمل هذا الغني و هذا الفقر و انظر بنور بصيرتك في هذا الوجود و الفقد و قل لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ

و حضرة الجور في بلوى و في تعب   فحضرة العدل ما تنفك في نصب
بالاستراحة في لهوي و في لعبي   لو كان ثم مريح كان يحكم لي
على أسمائه الحسنى مع النسب   أنا جنيت على نفسي فبي حكمت
لربنا نسب ينجي من العطب   فإن لي نسبا فيه الهلاك كما
مكرا خفيا بأهل الوعد و النسب   هو التقى فاتق الرحمن أن له

واضمم إليك جناحيك من الرهب   و احذر غوائله في كل مكرمة

يقول رسول الله ص يقول الله تبارك و تعالى اليوم يعني يوم القيامة أضع نسبكم و أرفع نسبي أين المتقون

قال الله تعالى مخبرا عباده إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ و يقول الله تعالى فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة اللطف»

ليس في اللطف ظهور   إنما اللطف خفاء

و به تجري الأمور   و به أبرز كوني

هو بالأمر خبير   كن عبيدا للطيف

و هو بالهوى عسير   إن دين الله يسر

إنه الخير الكثير   لا تخالف لا توافق

هو بالأمر بصير   و الذي يفهم قولي

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد اللطيف و ما لطفه و أخفاه عن الإدراك إلا شدة ظهوره فلما لم تقع عين إلا عليه و لا نظرت إلا به فإنه البصر لكل عين تبصر فما الفائدة إلا لمن يشهد ذلك و يعرفه ذوقا و مشاهدة فإن التقليد في ذلك ما يقع موقع الشهود فإنه ما ثم إلا هو لم يتميز عن غير لأنه لم يكن غير فيمتاز عنه فعمن خفي و ما ثم غير

إلا إذا كنت ثمة   فليس للطف حكم

من ذا يعين حكمه   و لست ثم فقل لي

إذا تفكرت غمه   و إن في القلب منه

على القلوب و ظلمه   تجيء منه سحاب

يا عبيدي ضاع قدري   جاءت الحيرة تجري

أين نهيي أين أمري   أين أسمائي و حكمي

في خفايا الكون أسرى   ارقبوني تجدوني

فلذا أمرك أمري   إنه لا بد مني

من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهفانظر إلى سريان هذا اللطف الإلهي ما أعجبه و حكمه الظاهر في هذه الكثافة كيف أبان أن طاعة رسوله ص طاعته إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ و الحجر الأسود يمين الله للبيعة و جعله في الحجر حتى لا يقع في ذلك دعوى فهي بيعة خالصة مخلصة فمن بايعه بايع الله فانظر إلى ما يشهده البصر و انظر إلى ما يشهده الايمان فمن نظر بعين الايمان رأى قوة نفوذه في الكثيف حتى سرى إلى اللطيف الخبير فيحصل له المعرفة بالأمر على ما هو عليه فاذن عين اللطيف الذي سار إليه عين الكثيف الذي سار منه يبين ذلك في الحدود مثاله الجوهر قائم بنفسه ظاهر شخصه من أعيان غير ظاهرة هي مجموعة و ليست سوى عينه و ما لها وجودا لا عينه فمن الجوهر و من الصفات النفيسة له فالأمر هكذا في هذه الحضرة فهو حق و عين ما هو حق إذا ظهر كان خلقا و لا يصح حكم لحضرة اللطف إلا بوجود الخلق البخار يصعد لا يدركه البصر للطفه و رقته فينضم بعضه إلى بعضه و يتراكم فيظهر غماما أنشأه الحق فظهر و هو من شيء لا يظهر فأعطاه هذا المزاج الخاص حكما لم يكن له قبل ذلك و أعطاه اسما و ظهر عنه أثر في الجو لم يكن له شيء من هذا كله قبل ذلك فأمطر و أحيى و أضحك الأرض بالنبات و أروى و هو ما عمل شيئًا إلا بذلك السر اللطيف الذي نشأت منه صورته و في قبض الظل و مده من اللطف ما إذا فكر فيه الإنسان رأى عظيم أمر و لهذا نصبه الله دليلا على معرفته فقال أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ فلا يدرك البصر عين امتداده حالا بعد حال فإنه لا يشهد له حركة مع شهود انتقاله فهو عنده متحرك لا متحرك و كذلك في فيئه و هو قوله ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً فمنه خرج فإنه لا ينقبض إلا إلى ما منه خرج كذلك تشهده العين و قد قال تعالى و هو الصادق إنه قبضه إليه فعلمنا إن عين ما خرج منه هو الحق ظهر بصورة خلق فيه ظل يبرزه إذا شاء و يقبضه إذا شاء لكن جعل الشمس عليه دليلا و لم يتعرض لتمام الدلالة و هو كثافة الجسم الخارج الممتد عنه الظل فبالمجموع كان امتداد الظل فهذا شمس و هذا جدار و هذا ظل و هذا حكم امتداد و قبض بفيء و رجوع إلى ما منه بدأ فإليه عاد و العين واحدة فهل يكون شيء ألطف من هذا فالأبصار و إن لم تدركه فما أدركت إلا هو فإنه ما أحالنا إلا على مشهود بقوله أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ و ما مده إلا بشمس و ذات كثيفة تحجب وصول نور الشمس إلى ما امتد عليه ظل هذه الذات و جهة خاصة ثم قبضه كذلك فهذه كيفية ما خاطبنا بها أن ننظر إليها و ما قال فيها فكنا نصرف النظر تألقا إلى الفكر و لكن بأداة إلى أراد شهود البصر و إن كانت الأدوات يدخل بعضها في مكان بعض و لكن لا يعرف ذلك إلا بقرائن الأحوال و هيإذا استحال أن يكون حكم هذه الأداة بالوضع في هذا الموضع علمنا أنها بدل و عوض من أداة ما يستحقه ذلك الوضع و هذا معلوم في اللسان و بهذا اللسان أنزل القرآن كما قال ص إنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين

و قال تعالى وَ ما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فلا بد أن يجري به على ما تواطئوا عليه في لحنهم فاعلم ذلك فتأمل فيما أوردناه في نظمنا هذا الذي أذكره

و عين اللطف في عين الكثافة 　 فلا يدري اللطيف سوى لطيف

فقف بين الكثافة و اللطافة　　فهذا عين هذا يا خليلي

كما قد حازه أهل العيافة　　تحز قصب السباق بكل وجه

تنل ما ناله أهل القيافة　　وكن عبد عبد اللطيف بكل وجه

نقي الثوب من أهل النظافة　　من إدخال السرور على رسول

و هذه حضرة نلت منها في خلقي الحظ الوافر بحيث إني لم أجد أحدا فيمن رأيت وضع قدمه فيها حيث وضعت لا إن كان و ما رأيته لكني أقول أو أكاد أقول إنه إن كان ثم فغايته أن يكون معي في درجتي فيها و أما أن يكون أتم فما أظن و لا أقطع على الله تعالى فإسراره لا تحد و عطاياه لا تعد و قد بينا في الأحوال من هذا الكتاب في باب اللطيفة ما يقتضيه هذا الاسم الإلهي في أهل الله و ما يطلبه بالوضع في اللسان وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الخبرة و الاختبار و هي حضرة الابتلاء بالنعم و النقم»

إن الخبير هو المبلى إذا نظرت　　عيناك نعمة من يبلي بها البشرا

و إن يكن نقمة منه حباك بها　　إن السعيد الذي ما زال مفتقرا

يدعى صاحبها عبد الخبير قال تعالى فاسأل به خبيرا و هو كل علم حصل بعد الابتلاء قال تعالى وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّٰى نَعْلَمَ و قال وَ نَبْلُوَا أَخْبٰارَكُمْ و قال لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً بخلقه الموت و الحياة و هذا لإقامة الحجة فإنه يعلم ما يكون قبل كونه لأنه علمه في ثبوته أزلا و أنه لا يقع في الكون إلا كما ثبت في العين و ما كل أحد في العلم الإلهي له هذا الذوق فتعلق علم الخبرة تعلق خاص و أصل الابتلاء الدعوى كانت ممن كانت فمن لا دعوى له لا يبتلى و ما ثم إلا من له دعوى و التكليف ابتلاء فأصله عن دعوى و قد عم من يدعي و من لا يدعي أي من لا دعوى له عامة فلا يبالي من لا دعوى له فإنه يحشر مع من لا دعوى له أصلا و ما هو ثم أعني في الوجود و لا تكليف عليه كالمغصوب على نفسه يجازى بنيته لا بما ظهر منه كالجيش الذي يخسف به بين مكة و المدينة و فيه من غصب على نفسه في المجيء فقالت عائشة في ذلك لرسول الله ص فقال يحشرون على نياتهم و إن عمهم الخسف كما قال وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خٰاصَّةً بل تعم المحق و الظالم و تختلف أحوالهم في القيامة فيحشر المحق سعيد أو الظالم شقيا فحيث كانت الدعوى كان الاختبار و من وصف نفسه بأمر توجه عليه الاختبار و قد قال الله تعالى يا عِبٰادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و الايمان يقطع بصدق هذا القول و لكن لا يظهر حكمه مشاهدة عين إلا في المسرفين و هم المذنبون فكأنه قال لهم اعصوا حتى تعرفوا ذوقا صدق قولي في مغفرتي إذا كان أمير المؤمنين المأمون يقول لو علم الناس حبي في العفو لتقربوا إلي بالجرائم و هو مخلوق فما ظنك بالكريم المطلق الكرم فلا يختبر إلا بإتيان الذنوب و قد قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون و يتوبون فيغفر الله لهم و هذا القول من النبي ص في الحقيقة فيه تقديم و تأخير إلا أنه ستره ليبين

فضل العالم بأ ول الأمور على غير العالم فهو بقوللو لم تذنبوا لجاء الله بقوم مذنبون فيغفر لهمكما جاء في نص القرآن ثم يقول بعد قوله فيغفر لهم فيتوبون أي يرجعون إلى الله في قوله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لأنه لا غافر إلا هو و أما إذا تاب قبل المغفرة فالحكم للتوبة لا للكرم الإلهي و إنما يكون الكرم عند ذلك كونه أعطاه التوبة و التوبة محاءة و القرآن ما ذكر توبة و الرسول ص لا يخالف القرآن و لكن ثم قوم يغفر لهم من غير توبة و ثم قوم يعطيهم الله التوبة فالتوبة قد جعلها الله تتضمن المغفرة فكأنها للتائببشرى معجلة في هذه الدا ر فأدخل الحق نفسه في الدعوى ليمشي حكمها في الخلق ثم طلب بالابتلاء صدق الدعوى ليبين للعباد صدق دعواه فإذا ادعيت فليكن دعواك بحق و انتظر البلاء و إن لم تدع فهو أولى بك و لكن كن محلا لجريان الأقدا ر عليك و كن على علم أنه لا يجري عليك إلا ما كنت عليه حتى تعلم أن الحجة البالغة لله فإنه يقول كذا علمتك و ما علمتك إلا منك و لو كان كما يتخيله بعض الناس و من لا علم له بسر القد ر يقول لو مكنني الله من الاحتجاج لقلت أنت فعلت كما قال أبو يزيد و لكن قال لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ فسد الباب هذا القول ما يقع إلا من جاهل بالأمر بل فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ في قوله لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ فإنه ما فعل من نفسه ابتداء و إنما فعل بك في وجودك ما كنت عليه في ثبوتك و لهذا قال وَ هُمْ يُسْئَلُونَ و قد أطلعهم الله عند ذلك على ما كانوا عليه و إن علمه ما تعلق بهم إلا بحسب ما هم عليه فيعرفون إذا سألوا أنه تعالى ما حكم فيهم إلا بما كانوا عليه و إذا سألوا و هم يشهدون اعترفوا فيصدق قوله فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ و لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ فيأخذها الناس إيمانا و نحن و أمثالنا نأخذها عيانا فنعلم موقعها و من أين جاء بها الحق لا إله إلا هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الحلم»

إن الحليم الذي تجني فيمهلكم	ليس الحليم الذي تجني فيهملكم
في شأن حال يرى منكم تململكم	فضلا عليكم و إحسانا لعلكم
شكرا على حال أعطاه تفضلكم	فإن رآه على قول فإن له
لديه في حقه منكم يبدلكم	عليكم لا عليه حين يشكركم

يدعى صاحبها عبد الحليم و هي حضرة الإمهال من القادر على الأخذ فيؤخر الأمر و يمهل العبد و لا يهمله و إنما يؤخره لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ و لا يمحوه لأنه يبدله بالحسنى فيكسوه حلة الحسن و هو هو بعينه ليظهر فضل الله و كرمه على عبيده و لهذا وصف الذنوب بالمغفرة و هي الستر و ما وصفها بذهاب العين و إنما يسترها بثوب الحسن الذي يكسوها به لأنه تعالى لا يرد ما أوجده إلى عدم بل هو يوجد على الدوام و لا يعدم فالقدرة فعالة دائما و لهذا يكسو الأعراض التي لا تقوم بنفسها صور القائمين بأنفسهم و يجعل ذلك خلعا عليها و قد جاء وزن الأعمال و شبهها بمثاقيل الذر و يؤتى بالموت و هو نسبة و النسب أخفى من الأعراض في صورة كبش أملح فقد خلع على هذه النسبة صورة كبش أبيض فما أعدم النسبة بعد تحققها بنعت من نعوت الوجود بما لها من الحكم في الموجودات فلم يردها إلى حكم العدم فأحرى ما هو موصوف

بالوجود العيني فلهذا وصف نفسه بالغفار و الحليم و هو الإمهال فما أهمل حين أمهل و لا أعدم حين حكم فإنه ما شأنه إلا الإيجاد و لهذا قال إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و الذهاب انتقالكم من الحال التي أنتم فيها إلى حال تكونون فيها و يكسو الخلق الجديد عين هذه الأحوال التي كانت لكم لو شاء لكنه ما شاء فليس الأمر إلا كما هو فإنه لا يشاء إلا ما هي الأمور عليه لأن الإرادة لا تخالف العلم و العلم لا يخالف المعلوم و المعلوم ما ظهر و وقع ف لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ فإنها على ما هو عليه و من شأن هذه الحضرة إثبات الاقتدار فإن صاحب العجز عن إنفاذ اقتداره لا يكون حليما و لا يكون ذلك حلما فلا حليم إلا أن يكون ذا اقتدار و لما كانت المخالفة تقتضي المؤاخذة فأفسد الحلم حكمها في بعض المذاهب و لذلك يقال حلم الأديم إذا فسد و تشقق و كذلك حلم النوم أفسد المعنى عن صورته لأنه ألحقه بالحس و ليس بمحسوس حتى يراه من لا علم له بأصله فيحكم عليه بما رآه من الصورة التي رآه عليها و يجيء العارف بذلك فيعبر تلك الصورة إلى المعنى الذي جاءت له و ظهر بها فيردها إلى أصلها كما أفسد الحلم العلم فأظهره في صورة اللبن و ليس بلبن فرده رسول الله ص بتأويل رؤياه إلى أصله و هو العلم فجرد عنه تلك الصورة و في تلك الصورة يكون حكم الحلم فلذلك نقول إنه أفسد صورة العلم فرده رسول الله ص و العابر المصيب كان من كان إلى أصله و أزال عنه ما أفسده الحلم و من هنا تعرف ما للحق من رتبة الأحلام جاء رجل إلى ابن سيرين و كان إماما في التعبير للرؤيا فقال له إني رأيت أرد الزيت في الزيتون فقال أمك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فإذا به قد تزوج أمه و ما عنده و لا عندها خبر بذلك و أين صورة نكاح الرجل أمه من صب الزيت في الزيتون و إذا رأى صاحب الرؤيا الأمر كما هو عليه في نفسه فليس بحلم و إنما ذلك كشف لا حلم سواء كان في نوم أو يقظة كما إن الحلم قد يكون في اليقظة كما هو في النوم كصورة دحية التي ظهر بها جبريل ع في اليقظة فدخلها التأويل و لا يدخل التأويل النصوص و أما قول إبراهيم لابنه و قد رأى أنه يذبح ابنه فأخذ بالظاهر على إن الأمر كما رآه و ما كان إلا الكبش و هو الذبح العظيم ظهر في صورة ابنه فرأى أنه يذبح ابنه فذبح الكبش فهو تأويل رؤياه على غير علم منه وَفَدَيْناهُ يعني تلك الصورة و هي ابنه التي رآها إبراهيم ع بِذِبْحٍ عَظِيمٍ و هو الكبش فما ذبح لا كبشا في صورة ولده فأفسد الحلم صورة الكبش في المنام فَانْظُرْ ما ذا تَرى و كيف ترى و أين ترى و كن على علم في أحوالك كلها وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة العظمة»

إن العظيم الذي تعظمه أفعاله ليس من يقول أنا

و من يقل إنما تعظمه أحسابه لا أرى له ثمنا

فلا تعظمه أنه رجل يحشر يوم الحساب في الجبنا

يدعى صاحبها عبد العظيم و حال هذا العبد الاحتقار التام مع كونه محلا للعظمة فيفنيه عند نفسه و ما رأيت أحدا يحكم هذا المقام إلا شخصا واحدا من حديثه الموصل و أخبرني شيخي أبو العباس العريبي من أهل العليا من غرب الأندلس أنه رأى واحدا أيضا من أهل هذه

الحضرة و قد تلبس كالحلاج فيعظم جسمه في أعين الناظرين بالأبصار و أما حكمها في النفوس فكثير الوقوع فإنه تقع أمور كثيرة يعظم في النفوس قدرها بحيث لا تتسع النفس لغيرها و لا سيما في الأمور الهائلة التي تؤثر الخوف في النفوس وَمن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها من تَقْوَى الْقُلُوبِ و من يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّه و إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ و لكن في نفس الموحد يشاهد عظمته في نفس المشرك لا في نفسه فيشاهده ظلمة عظيمة إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ فيها لَمْ يَكَدْ يَراها و اعلم أن العظمة حال المعظم اسم فاعل لا حال المعظم اسم مفعول إلا أن يكون الشيء يعظم عنده ذاته فعند ذلك تكون العظمة حال المعظم لأن المعظم اسم فاعل ما عظمت عنده إلا نفسه فهو من كونه معظما نفسه كانت الحال صفته و ما عظم سوى نفسه فالعظمة حال نفسه و هذه الحالة توجب إلهية و الإجلال و الخوف فيمن قامت بنفسه قال بعضهم

كأنما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم و لكن خوف إجلال

لما في قلوبهم من هيبته و عظمته و قال الآخر

أطرقت من إجلاله أشتاقه فإذا بدا

و صيانة لجماله لا خيفة بل هيبة

و هذه الأسباب كلها موجبات لحصول العظمة في نفس هذا المعظم إلا أن عظمة الحق في القلوب لا توجبها إلا المعرفة في قلوب المؤمنين و هي من آثار الأسماء الإلهية فإن الأمر يعظم بقدر ما ينسب إلى هذه الذات المعظمة من نفوذ الاقتدار و كونها نفعل ما تريد و راد لحكمها و لا يقف شيء لأمرها فبالضرورة تعظم في قلب العارف بهذه الأمور و هي العظمة الأولى الحاصلة لمن حصلت عنده من الايمان و المرتبة الثانية من العظمة هي ما يعطيه التجلي في قلوب أهل الشهود و الوجود من غير إن يخطر لهم شيء من تأثير الأسماء و لا من الأحكام الإلهية بل بمجرد التجلي تحصل العظمة في نفس من يشاهده و هذه العظمة الذاتية و لا تحصل إلا لمن شاهده به لا بنفسه و هو الذي يكون الحق بصره و لا أعظم من الحق عند نفسه فلا أعظم من الحق عند من يشهده في تجليه ببصر الحق لا ببصره فإن بصر كل إنسان و كل مشاهد بحسب عقده و ما أعطاه دليله في الله و هذا الصنف من أهل العظمة خارج عما ارتبطت عليه أفئدة العارفين من العقائد فيرونه من غير تقييد فذلك هو الحق المشهود فلا يلحق عظمتهم عظمة معظم أصلا و ما أحسن ما جاء هذا الاسم حيث جاء في كلام الله ببنية فعيل فقال عظيم و هي بنية لها وجه إلى الفاعل و وجه إلى المفعول و لما كان الحق عظيما عند نفسه كان هو المعظم و المعظم فأتى بلفظ يجمع الوجهين كالعليم سواء و قد يرد هذا البناء و يراد به الوجه الواحد من الوجهينكالاسم الحليم هذا لسان الظاهر و علم الرسم و أما علم الحقيقة المعتمد عليه عند العارفين فكل فعيل في أسماء الحق و صفاته و نعوته كالحليم و العليم و الكريم فلا فرق بين هذه الأسماء و بين العظيم في دلالتها على الوجهين و ذلك لكونه هو الظاهر في مظاهر أعيان الممكنات فما حلم إلا عنه و لا تكرم إلا عليه أ لا ترى حكم إيجاد المرجح لا يكون إيجاده عند المتكلمين إلا بالقدرة أو القادرية عند بعضهم أو بكونه قادرا عند طائفة فهو القادر و لا يترجح الممكن إلا بالإرادة كما قلنا في القدرة على

ذلك الترتيب و المساق فهو المريد فالمريد إذا أراد ترجيح الوجود على العدم في المخلوق إن لم يكن هو القادر على ذلك و إلا فعدم الإرادة أو وجودها على السواء فيحتاج المريد إلى القادر بلا شك و العين واحدة ما ثم عين زائدة مع اختلاف الحكم فلهذا قلنا في هذا البناء في حق الحق بطلب الوجهين و لا يقدر أحد من الطوائف من العلماء بالله على مثل هذا العلم الإلهي إلا العلماء الراسخون من أهل الله الذين هوية الحق علمهم كما هي سمعهم و بصرهم فاعلم ذلك وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الشكر»

كما قد جاء في نص الكتاب   شكور من أتى الكرم المسمى
جياعا في جفان كالجوابي   ليطعم من قدور راسيات
من إطعام إلى يوم الحساب   و لا يبغي على ما كان منه
و لا نوعا من أنواع الثواب   ثناء لا و لا حمدا و ذكرا

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الشكور و عبد الشاكر و هي لصفة الكلام المنسوب إلى الحق قال تعالى اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً وَ قَلِيلٌ من عِبادِيَ الشَّكُورُ يعني المبالغة في الشكر و هو أن يشكر الله حق الشكر و ذلك بأن يرى النعمة منه ذكر ابن ماجة في سننه حديثا و هو أن الله سبحانه و تعالى أوحى إلى موسى اشكرني حق الشكر فقال موسى ع و من يقدر على ذلك يا رب فقال له إذا رأيت النعمة مني فقد شكرتني فمن لا يرى النعمة إلا منه فقد شكره حق الشكر لا تراها من الأسباب التي سد لها بينك و بينه عند إرداف النعم فإن النعم أشياء لا تكون إلا عنه من الوجه الخاص الذي لكل كائن و قال من هذه الحضرة لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ و وصف نفسه بشكره عباده طلبا للزيادة منهم مما شكرهم عليه مقابلة نسخة بنسخة لأنه على صورته و هو يريد أن يوقفك على صحة هذه النسخة فإنه ما كل نسخة تكون صحيحة و لا بد قد تختل منها أمور فلذلك شرعت المعارضة بين النسختين فما أخرج الناسخ منها أثبت بالمعارضة لتصح النسخة و من الأمر الواقع في المنتسخ منه أنه شاكر و شكور عبادة ثم طالبهم بالشكر ليظهروا بصفته من كونهم على صورته ثم عرفهم إن الشكر يقتضي لذاته الزيادة من المشكور مما شكر من أجله و هو المعروف الذي سد له و أسداه إلى عباده فإذا علم ذلك علم إن الحق تعالى يطلب الزيادة من عباده في دار التكليف مما كلفهم فيها من الأعمال و جعل استيفاء حقه أن يرى العبد النعمة منه عز و جل فكان تنبيها من الله لعبده في تفسير حق الشكر إن الحق يرى النعمة من العبد حيث أعطاه العلم به كما قلنا إن العلم يتبع المعلوم فهو يجعل التعلق به في نفس العالم فيتصف العالم بالعلم فيشكره الحق على ذلك فيزيده العبد بتنوع أحواله تعلقات لم يكن عليها تسمى علوما و هذا الذي أشرنا إليه من أصعب العلوم علينا لشدة غوصها و هي سريعة التفلت و من علم هذا علم قوله تعالى حَتَّى نَعْلَمَ فما قال حتى نعلم حتى كلف و ابتلي ليعلم ما يكون منه فيما أتاه به و قد علم منه ما يكون في حال ثبوته إلا أن الممكن إذا تغيرت عليه الأحوال يعلم أنه كان في عينه في حال ثبوته بهذه الصفة و لا علم له بنفسه فإن الإنسان قد

يغفل عن أشياء كان علمها من نفسه ثم يذكرها و هو قوله وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبابِ و قوله وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ و لب الشيء سره و قلبه و ما حجبه إلا صورته الظاهرة فإنها له كالقشر على اللب صورة حجابية عليه لعينه الظاهرة فهو ناس لما هو به عالم و أخفى منه في التشبيه الزهرة مع الثمرة هي الدليل عليها و الحجاب و الحال الإلهي كالحال الكوني لأنه عينه ليس غيره فما شكر إلا نفسه لأنه ما أنعم إلا هو و لا قبل الإنعام و لا أخذه إلا هو فالله المعطي و الآخذ كما قال إن الصدقة تقع بيد الرحمن فإنه يَأْخُذُ الصَّدَقاتِ و يد السائل صورة حجابية على يد الرحمن فتقع الصدقة في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل و إن شئت قلت إن يد السائل هي يد المعطي فيشكر الحق عبده على ذلك الإنعام ليزيده منه يقول الله عز و جل جعت فلم تطعمني فطالبه الحال بالتفسير فقال له و كيف تطعم و أنت رب العالمين قال تعالى أما إن فلانا جاع فاستطعمك فلم تطعمه أما أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي و كذا جاء في المرض و السقي أي أنا كنت أقبله لا هو و الحديث في صحيح مسلم و عند هذا القول كان الحق صورة حجابية على العبد و عند الأخذ و العطاء كان العبد صورة حجابية على الحق فإذا شهدت فاعلم كيف تشهد و لمن تشهد و بمن تشهد و على من تشهد فلتشكر على حد شهودك و لتقبل الزيادة و لتعط أيضا الزيادة على شهود و تحقيق وجود و موجب الشكر الإنعام و النعم و أعظم نعمة تكون النكاح لما فيه من إيجاد أعيان الأمثال فإن في ذلك إيجاد النعم الموجدة للشكر و لذلك حبب الله إليه النساء و قواه على النكاح أعني لرسول الله ص و أثنى على التبعل و ذم التبتل فحبب النساء إليه لأنهن محل الانفعال لتكوين أتم الصور و هي الصورة الإنسانية التي لا صورة أكمل منها فما كل محل انفعال له هذا الكمال الخاص فلذلك كان حب النساء مما امتن الله به على رسوله ص حيث حببهن إليه مع قلة أولاده ص فلم يكن المراد إلا عين النكاح مثل نكاح أهل الجنة لمجرد اللذة لا للإنتاج فإن ذلك راجع إلى إبراز ما حوى عليه ص من ذلك و هذا أمر خارج عن مقتضى حب المحل المنفعل فيه التكوين أ لا ترى الحق إن فهمت معاني القرآن كيف جعل الأرض فراشا و كيف خلق آدم منها و جعله محل الانفعال و نطق رسوله ص بقوله الولد للفراش يريد المرأة أي لصاحب الفراش كما كان آدم ع حيث جعله خليفة فيمن خلق فيها ليكون أيضا صاحب فراش لأنه على صورة من أوجده فأعطاه قوة الفعل كما أعطاه قوة الانفعال فكان وطاء و غطاء فالحق هو الشاكر المشكور

وفي الشكر أسرار يراها ذوو الحجى … يفوز بها عبد الشكور إذا شكر

و من أجل ذا سمي الإله لعبده … على لغة الأعراب الفرج بالشكر

لما فيه من الزيادة على الالتذاذ بالنكاح و هي ما يتولد فيه عن النكاح من الولد الروحاني و الجسماني دنيا جسما و آخرة روحا و قد ذكرنا ذلك في توالد الأرواح من هذا الكتاب و بينا ذلك أيضا في القصيدة الطويلة الرائية التي أولها

اعترضت عقبة … وسط الطريق في السفر

و هذا القدر من الإيماء كاف في معرفة هذه الحضرة الإلهية وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة العلو»

له التنزيه منا و العلو   تواضع فالإله هو العلي

و قل ما شئته فالأمر تو   فقل إن شئت فرد لا يداني

إله ما له إلا السمو   فليس سوى الذي قد قام عندي

عبيد ما له إلا الدنو   و ليس سوى الذي قد قام عندي

فإن الدين يفسده الغلو   فلا تغلو فديتك يا خليلي

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد العلي قال الله عز و جل الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى و كان شيخنا العريبي يقف في هذه الآية على العرش و يبتدئ استوى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما وَ ما تَحْتَ الثَّرى أي ثبت له و كل ما سوى الله عرش له علو قدر و مكانه في قلوب العارفين به من علماء النظر و غيرهم من العلماء فعلوه تعالى بهذا التفسير مطلق و بقي علو المكان الذي أثبته الايمان بالخبر الصدق و دل عليه عند العلماء بالله من طريق الشهود صور التجلي فهو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ لاستوائه و لما كان أعلى الموجودات و أعظمها من وجب له الوجود لنفسه استقلالا و كان له الغني صفة ذاتية لم يفتقر إلى غيره كان بالاسم العلي أولى و أحق و كان من كان وجوده بغيره مستوي لهذا العلي و ليس إلا الله فمن هذه الحضرة ظهر العلو فيمن علا في الأرض كفرعون الذي قال الله تعالى فيه إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ و جعل العلو في الإرادة في بعض الناس و ذمهم بذلك فقال تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ و نعني بالدار الآخرة هنا الجنة خاصة دون النار نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ و سواء حصل لهم ذلك المراد أو لم يحصل فقد أرادوه و حصل في نفوسهم و ما بقي إلا أن يحصل في نفوس الغير الذي كني عنها بالأرض و العلماء بالله لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ لأنه علو مكتسب و لا يريدون ما يقع عليه اسم الكسب و إنما يريدون ما تقتضيه ذواتهم من حيث ما يشهدون من افتقروا إليه في وجودهم خاصة فما لهم نظر إلا إليه لا فيه لأنه ممنوع لنفسه أعني النظر فيه الذي هو الفكر في ذاته فالذي يعطي العلو هذه الحضرة إنما هو السعادة لا التكبر فالعلو الذي تعطي هذه الحضرة لأجل السعادة إنما هو علمهم بذواتهم ليعلموا أن الحادث في مقام الانحطاط عما يجب لله من العلو و يكفيهم من العناية الإلهية إن حصلوا مع الحق في باب الإضافة

و به كانوا سفالا   أي بهم كان عليا

غير ما قلنا مثالا   لم أجد لله فينا

عند ما كنا نعالا   فهو التاج علينا

عند ما كان هلالا   و هو البدر المسمى

لرحى الكون ثقالا   صير الإله ذاتي

جل قدرا و تعالى   فله التعظيم منا

لشيوخنا محالا   جعل الإله فينا

كان جعلهم محالا   فإذا لم يستقلوا

لم أجد عنهم زوالا   و إذا هم استقلوا

كنت حرما و حلالا   فبذاتي و بربي

صير الضعف محالا   و بربي لا بكوني

طيبا عذبا زلالا   و سقاني كأس حظي

لم أجد منه خبالا   فلصحوي عند شربي

كنت في نفسي خيالا   و لسكري منه أيضا

للذي شاء انتقالا   لم يكن فيه سوائي

عنه في نفسي كلالا   لم أجد عند انتقالي

عند ما قلت و لا لا   فنعم لم أر فيه

عند قولي و استحالا   ثم لم يكن سكوت

و لذا ذقت وبالا   فلذا قد حرت فيه

و جنوبا و شمالا   جبت غربا ثم شرقا

من عطاياه ثقالا   ثم أنشأنا سحابا

في وجودكم منالا   ثم نودينا وجدتم

و ما حصل التشريف للممكنات إلا بإضافتها إلى الله و هذا التشريف في حقنا هو أعظم تشريف إمكاني فعلو الإنسان عبودته لأن فيها عينه و عين سيده و المتلبس بصفة سيده لابس ثوب زور ليس عليه منه شيء و لا تقبله ذاته و هو يعلم ذلك من نفسه و إن جهله غيره و اعترف له بالعلو عليه فمن وجه ما لا من جميع الوجوه فإنه يعلمه أنه هو فهوية ما سوى الحق معلومة لا تجهل و لو لا معقولية المكانة ما اعترف مخلوق بعلو مخلوق فلهذا لا يعظم أحد في عين أحد لذاته إلا المحبوب خاصة فإنه يعظم في عين محبه لذاته فكل شيء يكون منه يتلقاه المحب الصادق الحب بالقبول و الرضي و ما كل محب محب لأن طلب الغرض من المحب لا يصح في الحب الصادق الذي استفرغ قواه و إنما ذلك لمن بقيت فيه فضلة يعقل بها أنه محب و إن محبوبه غير له و لما وصف الحق نفسه بالنزول كان هذا النزول عين الدليل على نسبة العلو لأنه لو وقف مع قوله عَلَى

الْعَرْشِ اسْتَوى و اكتفى و لم يذكر النزول و كل جزء من الكون عرشا له لأنه ملكه فما تحقق له العلو إلا با تصافه بالنزول إلى السماء الدنيا فأثبت له علو المكان و أثبت الاستواء على العرش المكانة و القد ر فبالاستواء هو في السَّماءِ إِلٰهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلٰهٌ و هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ و بالنزول ظهر الحد و المقدا ر فعلمنا بالنزول في أي صورة تجلى و لمن نزل و تدلى لَهُ الْحَمْدُ أي عاقبة الثناء ترجع إليه فِي الْأُولى و هو الاستواء وَ الْآخِرَةِ و هو النزول فعم علوه و تحقق دنوه فطوبى للتائبين و الداعين و المستغفرين فيا ليت شعري هل يسمعون قوله تعالى ذلك نعم العا رفون يسمعونه و أهل الحضور مع إيمانهم بهذا الخبر يسمعونه و ما عدا هذين الصنفين فلا يسمعه و ما عرفنا الله تعالى بأنه كلم مُوسى تَكْلِيماً إلا لنتعرض إلى هذه النفحة الإلهية و الجود لعل نسيما يهب علينا منها فيأخذ الناس هذا التعريف بأن الله كلم موسى ثناء على موسى ع خاصة نعم هو ثناء و لكن ما أثنى الله بشيء على أحد من المخلوقين إلا و فيه تنبيه لمن لم يحصل له ذلك الأمر أن يتعرض لتحصيله جهد الاستطاعة فإن الباب مفتوح و الجود ما فيه بخل و ما بقي العجز إلا من جهة الطالب و لهذا يقول من يدعني فاستجيب له و من نكرة فما وقع العجز إلا منا و هنا الحيرة لأنا ما ندعوه لا بتوفيقه و توفيقه إيانا لذلك من عطائه و جوده و استعداد كنا عليه به قبلناه فتأهلنا لدعائه و إجابته إيانا فيما دعوناه به على ما يرى الإجابة فيه فهو أعلم بالمصالح منا فإنه تعالى لا ينظر لجهل الجاهل فيعامله بجهله و إنما الشخص يدعو و الحق يجيب فإنه اقتضت المصلحة البطء أبطأ عنه الجواب فإن المؤمن لا يتهم جانب الحق و إن اقتضت المصلحة السرعة أسرع في الجواب و إن اقتضت المصلحة الإجابة فيما عينه في دعائه أعطاه ذلك سواء أسرع به أو أبطأ و إن اقتضت المصلحة أن يعدل مما عينه الداعي إلى أمر آخر أعطاه أمر آخر لا ما عينه فما جاز الله لمؤمن في شيء إلا كان له فيه خير فإياك إن تتهم جانب الحق فتكون من الجاهلين و أنت من الجاهلين و لو أعطيت علم اللوح المحفوظ و القلم الأعلى و الملائكة العلى و أما العالون من عباد الله الذين قال الله في توبيخه لإبليس حين أبي عن السجود لآدم أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ فهم الأرواح المهيمة في جلال الله فأعلاهم الحق أن يكون شيء من الخلق لهم مشهودا و لا نفوسهم و هم عبيد اختصهم لذاته فالتجلي لهم دائم و هم فيه هائمون لا يعلمون ما هم فيه فعلوهم بين الاسم العلي و بيننا فهم لا يشهدون علو الحق لأنه لا يشهد علو الحق إلا من شهد نفسه و هم في أنفسهم غائبون فهم عن علو الحق و مكانته أشد غيبة و العلو نسبة فالأعلى من سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى إنما هو نعت أحدية من ادعى العلو أو أراد العلو فإذا زال كان عليا لأعلى وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الكبرياء الإلهي»

كبير القد ر ليس له نظير كبير في النفوس و في العقول
له في أنفس عندي قبول و ليس لذاته بي من قبول

يدعى صاحبها عبد الكبير و هو عين العبد لأن الكبرياء رداء الحق و ليس سواك فإن الحق تردى بك إذ كنت صورته فإن الرداء بصورة المرتدي و لهذا ما يتجلى لك إلا بك و قال من عرف نفسه عرف ربه فمن عرف الرداء عرف المرتدي ما يتوقف معرفة الرداء على معرفة

المرتدي و في هذا غلط عظيم عند العلماء و ما تفطنوا لمراد الحق في التعريف بنفسه فما وصف نفسه إلا بما نعرفه و نتحققه على حد ما نعرفه و نتحققه فإنه بلساني خاطبني لنعقل عنه فلو أحالنا عليه ابتداء لما عرفناه فلما أنزل كبرياءه منزلة الرداء المعروف عندنا علمنا ما الكبرياء ثم زاد رسول الله ص في تجليه يوم القيامة في الزور الأعظم على كثيب المشاهدة في جنة عدن و ذلك اليوم الكبير إنه تعالى يتجلى لعباده و رداء الكبرياء على وجهه و وجه الشيء ذاته فحال الحجاب بينك و بينه فلم تصل إليه الرؤية فصدق لَنْ تَرانِي و صدقت المعتزلة فما وصلت الأعين إلا إلى الرداء و هو الكبرياء و ما تجلى لك إلا بنا فما وصلت الرؤية إلا إلينا و لا تعلقت إلا بنا فنحن عين الكبرياء على ذاته قال وسعني قلب عبدي فإذا قلبت الإنسان الكامل رأيت الحق و الإنسان لا ينقلب فلا يرجع الرداء مرتديا لمن هو له رداء فهذا معنى الكبير فإنه كبير لذاته و الكبرياء نحن فمن نازعه منا فينا قصمه الحق لأنه جهل فإنه له ما رأيناه قط و لا نراه من حيث هو و نحن لنا فما نرى قط سوانا فلا يزال الكبرياء على وجهه في الدنيا و الآخرة لأنا ما نزال و هذا عين افتقارنا و احتقارنا و وقارنا

لله يوم كبير لا يمتري فيه مؤمن   له التحكم فينا بالاسم منه المهيمن

قال الله تعالى لمحمد ص و لكل رسول أن يقول لنا فَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ و لا خوف علينا إلا منا فإن أعمالنا ترد علينا فنحن اليوم الكبير إِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً يعني مرجع اليوم و نعته بالكبرياء و الشيء لا ينازع في نفسه و لا فيما هو له فمن نازع الحق في كبريائه فما نازع إلا نفسه فعذابه عين جهله به و من هنا تعرف أن الإحاطة لنا و ليس سوى ما حزناه من صورته فإن الرداء يحيط بالمرتدي

فظاهر الحق خلق   و باطن الخلق حق

و من ذلك

فنحن له بمنزلة الوعاء   إذا حزنا مقام الكبرياء

فكنا منه عين الكبرياء   فلم ير غيرنا لما شهدنا

و لما كنا عين كبرياء الحق على وجهه و الحجاب يشهد المحجوب فأثبت إنا نراه كما وسعناه فصدق الأشعري و صدق قوله ترون ربكم كما صدق لَنْ تَرانِي و للرداء ظاهر و باطن فيراه الرداء بباطنه فيصدق ترون ربكم و يصدق مثبت الرؤية و لا يراه ظاهر الرداء فيصدق المعتزلي و يصدق لَنْ تَرانِي و الرداء عين واحدة و كان الفضل لهذه النشأة الإنسانية على جميع العالم فإن العالم كله دون الإنسان منحاز عن الإنسان متميز عنه فلا يشهد العالم سوى الإنسان الذي هو الرداء و الرداء من حيث ظاهره يشهد من يشهده و هو العالم فيرى الحق ظاهر الرداء بما هو الحق العالم و هي رؤية دون رؤية باطن الرداء فالعالم له الإحاطة لأنه لا يتقيد بجهة خاصة فالحق وجه كله و الرداء وجه كله فهو الظاهر تعالى للعبد من حيث العالم و هو الباطن لنفسه عن العالم من حيث ما له صورة في العالم و من حيث إن الرداء بينه و بين العالم فإن الصورة التي للحق في عين العالم الحق لها باطن من حيث إن الرداء حائل بينه و بين الحق الذي العالم به فهو باطن لنفسه و للعالم و لا يصح أن يكون باطنا لباطن الرداء لكن

لظاهره فالإنسان الكامل يشهده تعالى في الظاهر بما هو في العالم و في الباطن بما هو مرتد فتختلف الرؤية على الإنسان الكامل و العين واحدة و لهذا ينكره بعض الناس في القيامة إذا تجلى و الكامل لا ينكره فإنه ما كل إنسان له الكمال فما ينكره إلا الإنسان الحيوان لأنه جزء من العالم فإذا تجلى له في العلامة و تحول فيها عرفه لأنه ما يعرفه إلا مقيدا فالإمام تابع للمأموم في الأحوال و المأموم يتبع الإمام في الأفعال و في بعض الأقوال فلو لا الكبرياء ما عرف الكبير

و بان لذي عينين من كبرياؤه	فقد بان عين الحق في عين نفسه
و هذا صباح قد تلاه مساؤه	و هذا وجود الجود ما ثم غيره
و ما ولي الوسمي فهو انتهاؤه	فإن كان وسمي فذاك ابتداؤه
بما جاد من جود عليه عطاؤه	فتبدو ثغور الروض ضاحكة به
و ما كان من غيم فذاك غطاؤه	فما كان من روض فذاك وطاؤه
و ما كان من شرب فذاك وعاؤه	و ما كان من مزن فعين نكاحه
بحيث يرى أبناؤه و ابتناؤه	فلاح لنا في قابل عند صيب

وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَ حَسْبُنَا اللّٰهُ في كل موطن وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ

«حضرة الحفظ»

و ما سواه فإن العقل قد لفظه	إن الحفيظ عليم بالذي حفظه
مع الذي عين الكتاب و الحفظة	فمن يقول به يليقه في خلدي
في نفسه طالبا بما به لفظه	إذا تلفظ شخص باسمه تره

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الحفيظ قال تعالى وَ لاٰ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمٰا و قال تعالى إِنَّنِي مَعَكُمٰا أَسْمَعُ وَ أَرىٰ يخاطب موسى و هارون ع و قال في سفينة نوح ع تَجْرِي بِأَعْيُنِنٰا يشير إلى أنه يحفظها لأن المحفوظ لا يختفي عنه و من الناس من يحفظه الحفظ لأنه يريد أن يخلو بهواه و الحفظ الإلهي يمنع من ذلك و يحول بينه و بين هواه أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرىٰ فمن عصى الله و اتبع هواه فما عصى إلا مجاهرة و لكن بعد عمى القلب حتى لا يجتمع النظرتان إذ لو اجتمعتا لاحترق الكون فإن بصر الحق إذا اجتمع به بصر العبد احترق العبد من فوره و معلوم أن الله يدركه ببصره الآن في حق العبد فإن الحق ليس في الآن لكن ما اجتمع بصر العبد معه فيعلم بالمقدمتين ما ينتج بينهما فإن باجتماع البصرين وقع الحرق فما انحفظ العالم لا بكون البصرين ما اجتمعا على رؤية الكون و لذلك وصف نفسه إذا تجلى أن يكون رداء الكبرياء على وجهه فلا يرتفع أبدا فإذا رأينا الحق متى رأيناه بأبصارنا نراه من حيث لا يرانا كما يرانا من حيث لا نراه فإنه يرانا عبيدا و نراه إلها و نراه به و يرانا بنا و مهما رآنا به فلا نراه به

بل و هي الرؤية العامة و رؤية الخواص أن يروه به و يراه بهم فهو الذي يحفظ عليهم جودهم ليفيدهم و يستفيد من يستفيد منهم حتى نعلم إلى من هو دونه فهو الحفيظ المحفظ و لما سرى الحفظ في العالم فقال إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظِينَ و قال وَ الْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحافِظاتِ و عم فقال وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ فحدودهم كان كل عين في العالم من حيث ما هي حافظة أمرا ما عين الحق و لهذا وصف نفسه بالأعين فقال تَجْرِي بِأَعْيُنِنا فإن مدبر السفينة يحفظها و المقدم يحفظها و صاحب الرجل يحفظها و كل من له تدبير في السفينة يحفظها بل يحفظ ما يخصه من التدبير فقال تعالى فيها إنها تجري بأعين الحق و ما ثم إلا هؤلاء و هم الذين وكلهم اللّٰه بحفظها فالحق مجموع الخلق في الحفظ و في كل ما يطلب الجمع و لهذا المقام في صنعة العربية بدل الاشتمال نقول أعجبني الجارية حسنها للاشتمال الذي هنا و أعجبني زيد علمه فالعلم بدل من زيد و الحسن بدل من الجارية و لكن بدل اشتمال كما يكون في موضع آخر بدل الشيء من الشيء و هما لعين واحدة كقولهم رأيت أخاك زيدا فزيد أخوك و أخوك زيد فهكذا قوله كنت سمعه و بصره و قوله وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ رَمىٰ إذ رميت فهذا بدل الشيء من الشيء و إن كان في هذا البدل رائحة من بدل البعض من الكل فقال أكلت الرغيف ثلثيه و ليس في أنواع البدل بدل أحق بالحضرة الإلهية من بدل الغلط و هو الذي فيه الناس كلهم يظنون أنهم هم و ما هم هم و يظنون أن ما هم هم و هم هم و لهذا لا يوجد بدل الغلط في كلام فصيح مثاله رأيت رجلا أسدا أردت أن تقول رأيت أسدا فغلطت فقلت رأيت رجلا ثم تذكرت إنك غلطت فقلت أسدا فأبدلت الأسد منه فالعارف يلزمه الأدب أن يضيف إلى اللّٰه كل محمود عرفا و شرعا و لا يضيف إليه ما هو مذموم عرفا و شرعا إلا إن جمع مثل قوله قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ و كل يقتضي العموم و الإحاطة و قوله فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها فالكشف و الدليل يضيف إليه كل محمود مذموم فإن الذم لا يتعلق إلا بالفعل و لا فعل إلا للّٰه لا لغيره فالعارف في بدل الغلط فإن عقله يخالف قوله فقوله في المذموم ما هو له و يقول في عقده و قلبه هو له عند قوله بلسانه ما هو له و من لا يعلم أنه غلط يصمم على ما قاله أو على ما اعتقده فاللّٰه الحفيظ و هو بدل من الحفظة و الحافظين و أعيننا فالحفظ يطلب الرؤية و لا بد و الرؤية لا تطلب الحفظ و لا بد و لكن قد تجيء للحفظ

لكل حفيظ في الوجود حفيظ ⁂ و في كل باب رحمة و كظيظ
فكن عبد لين في دعائك عبده ⁂ إلى اللّٰه لا فظ عليه غليظ
فكم بين محفوظ عليه وجوده ⁂ و بين حفيظ ما عليه حفيظ

فكما إن ربك عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ فهو بكل شيء محفوظ لأنه بالأشياء معلوم فالأشياء تحفظ العلم به عند العلماء به و العلم صفته و العلم المعلوم و المعلوم أعطاه العلم بنفسه فالمعلوم يحفظ عليه العلم و يزيل عنه العلم فهو يتقلب لتقلبه فحفظ اللّٰه علمه من حيث ما هو معلوم له

فحفظ الحق موسوم ⁂ وحفظ الخلق معلوم
و ما أربى على هذا ⁂ فمدخول و موهوم

لأن المعلومات تحفظ على العالم بها علمه بها و لا عالم إلا الله على الحقيقة و الحق يحفظ على العالم نسبة الوجود إليه فهو يحفظ عليه وجوده و إنما قلنا المعلومات لأن الحق معلوم لنفسه و الخلق معلومون لله و الحق ليس بمعلوم للخلق فقد علمنا ما يحفظ الحق و ما يحفظ الخلق فإن زدت و قلت إن العالم يحفظ المعلوم فمدخول هذا القول و هو وهم من قائله لأن التابع بأمر المتبوع و العلم يتبع المعلوم فتفطن لهذا الأمر فإنه حسن يجعلك تنزل الأشياء منازلها و تحفظ عليها حدودها فتكون حفيظا وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و إنما ألحقنا الحفظية بالحفظ لما وصف الحق بها نفسه في كتابه و على لسان رسوله فلما كان لها حكم في الوجود الحق و سعى الانتقام و العفو في إزالتها خفنا أن يعتقد إزالة عينها و ما زالت إلا إضافتها فجعل محلها جهنم فهي غضب الله الدائم فهي تنتقم دائما في زعمها و لا تشعر بما يجد الساكن فيها و كذلك حياتها و عقاربها في لدغها و نهشها تلدغ انتقاما و تنهش غضبا لله و ما عندها علم بما يجده الملدوغ إذا عمتها الرحمة من الالتذاذ إذ بذلك اللدغ فإنه بمنزلة الجرب بالحك أنت تدميه و هو يجد اللذة بذلك الإدماء و كلما قوى الحق عليه تضاعفت اللذة حتى أنه يبادر إلى حك نفسه بيده لما يجد في ذلك من الالتذاذ به مع سيلان دمه في ذلك الحك فجهنم دار الغضب الإلهي و حاملته و المتصفة به و كذلك من فيها من وزعة الغضب و المغضوب عليه بما يجده لا بما في نفوس هؤلاء و لكن لا يحصل لهم هذا إلا بعد استيفاء الحدود و الإحساس بالآلام عند نضج الجلود فتبدل لذوق العذاب كما تبدلت الأحوال عليهم في الدنيا بأنواع المخالفات فلكل نوع عذاب و لهم جلد خاص يحس بالألم كما كان هنا دائما في تجديد خلق و الناس في هذا التجديد في لبس فإذا انتهى زمان المخالفة المعينة انتهى نضج الجلد فإن شرع عند انتهاء المخالفة في مخالفة أخرى أعقب النضج تبديلا بجلد آخر ليذوق العذاب كما ذاق اللذة بالمخالفة و إن تصرف بين المخالفتين بمكارم خلق استراح بين النضج و التبديل بقدر ذلك فهم على طبقات في العذاب في جهنم و من أوصل المخالفات و مذام الأخلاق بعضها ببعض فهم الذين لا يفتر عنهم العذاب فلما انتهى بهم العمر إلى الأجل المسمى انتهت المخالفة فتنتهي العقوبة فيهم إلى ذلك الحد و تكتنفهم الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و لا تشعر بذلك جهنم و لا وزعتها أعني ما فيها من الحيوانات المضرة لا ملائكة العذاب فتبقى أحوال جهنم على ما هي عليه و الرحمة قد أوجدت لهم نعيما لهم في تلك الصورة بحكمها فإن الرحمة هي السلطانة الماضية الحكم على الدوام فافهم ما أومأنا إليه فإنه من لباب الحفظ الإلهي حفظ المراتب وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة المقيت»

هو المقيت الذي لعبده شرعه ⁂ إن الذي قدر الأقوات أجمعها

رزقا و خلقا و مصنوعا كما صنعه ⁂ و هو الذي قدر الأوقات جملتها

عبد المقيت هو أخ شقيق لعبد الرزاق فإن الرزق قوت المرزوق و هو على مقدار خاص لا يزيد و لا ينقص في كل شهوة في الجنان و في كل دفع ألم و شهوة في الدنيا لأنها دار امتزاج و نشأة أمشاج فمن هذه الحضرة يكون القوت لكل من لا يقوم له بقاء صورة في الوجود إلا به و من هذه

الحضرة يكون تعيين أوقات الأقوات و موازينها كما قال تعالى في خلق الأرض وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها أي أعطى مقادير أوقات الأقوات و موازينها و هذه الأقوات عين الوحي الذي في السماء فالقوت في الأرض كالأمر في السماء و تقدير القوت في الأرض كالوحي في السماء و هو عينه لا غيره فأوحى في السماء أمرها و هو تقدير أقواتها و قدر في الأرض أقواتها

بروج السماء لها قوة بها يبعث الله أمواتها
و حكمتها في الثرى سيرها ليجمع بالسير أشتاتها
فإن الإله بناها لنا و عين بالسير أوقاتها
فكان غذاء لها وقتها و قدر في الأرض أقواتها

و هو وحي أمرها و اختلفت الأسماء لاختلاف المحال و الصور و عم بالسماء و الأرض ما علا من العالم و ما سفل و ما في الوجود إلا عال و سافل و من أسمائه العلى و رفيع الدرجات فأمر الأسماء و أقواتها أعيان آثارها في الممكنات فبالآثار تعقل أعيانها فلها البقاء بآثارها فقوت الاسم أثره و تقديره مدة حكمه في الممكن أي ممكن كان و من هذه الحضرة وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ و الخزائن عند الله تعلو و تسفل فأعلاها كرسيه و هو علمه و علمه ذاته و أدنى الخزائن ما خزنته الأفكار في البشر و ما بين هذين خزائن محسوسة و معقولة و كلها عند الله فإنه عين الوجود فهي حضرة جامعة للاعيان و النسب و الحدوث و القدم فالخلق و الخالق و المقدور و القادر و الملك و المالك كل واحد لصاحبه أمر و قوت فأمره في سمائه و هو علوه و قوته في أرضه و هو دنوه فإنا من أهل الأرض و نحن المخاطبون بهذا الخطاب ليس غيرنا و لهذا كان القرآن منزلا و النزول لا يكون إلا من علو كما العروج لا يكون إلا إلى علو

فمن سفل إلى علو عروج و من علو إلى سفل نزول
و كل جاء في التنزيل فينا فمهما قلت فانظر ما تقول

و لما لم يكن في الكون إلا علة و معلول علمنا إن الأقوات العلوية و السفلية أدوية لإزالة أمراض و لا مرض إلا الافتقار فكل من في السماوات و من في الأرض آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً و السماء و الأرض أتيا إلى الرحمن طائعين و كل عبد فقير لسيده و خادم القوم سيدهم لقيامه بمصالحهم و العبد هو من يقوم في خدمة سيده لبقاء حقيقة العبودة عليه و السيد يقوم بمصالح عبيده لبقاء اسم السيادة عليه فلو فنى الملك فنى اسم المالك من حيث ما هو مالك و إن بقيت العين فتبقى مسلوبة الحكم لأنه لا فائدة للأشياء لا بأحكامها لا بأعيانها و لا تكون أحكامها إلا بأعيانها فأعيانها مفتقرة إلى أحكامها و أحكامها مفتقرة إلى أعيانها و أعيان من تحكم فيهم فما ثم إلا حكم و عين فما ثم إلا مفتقر و مفتقر إليه فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ ما تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ فأتى بكل و هي حرف شمول فشملت كل نفس فما تركت شيئا في هذا الوضع وَ سَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ الذي ستر

عنه هذا العلم في الحياة الدنيا لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ في الدار الآخرة حيث ينكشف الغطاء عن الأعين فيعلم من كان يجهل و يفضل عليه من علمه هنا في الحياة الدنيا و هم أهل البشرى و كل من تحقق أمرا كان بحسب ما تحققه

و القوت ما اختص بحال الورى من قدر القوت فقد قدرا

و نفسه فانظر ترى ما ترى بل حكمه سار فقد عمنا

وجوده حقا بغير افترا كل تغذى فيه قام في

فقوت القوت الذي يتقوت به هو استعماله فالمستعمل قوت له لأنه ما يصح أن يكون قوتا إلا إذا تقوت به فاعلم من قوتك و من أنت قوته روينا عن عالم هذا الشأن و هو سهل بن عبد الله التستري أنه رضي الله عنه سئل عن القوت فقال الله فقيل له عن الغذاء نسألك فقال الله لغلبة الحال عليه فإن الأحوال هي ألسنة الطائفة و هي الأذواق فنبهه السائل على ما قدر ما أعطاه حاله في ذلك الوقت فقال يا سهل إنما أسألك عن قوت الأجسام أو الأشباح فعلم سهل أن السائل جهل ما أراده سهل فنزل إليه في الجواب بنفس آخر غير النفس الأول و علم أنه رضي الله عنه جهل حال السائل كما جهل السائل جوابه فقال له سهل ما لك و لها يعني الأشباح دع الديار إلى بانيها إن شاء خربها و إن شاء عمرها فما زال سهل عن جوابه الأول لكن في صورة أخرى و عمارة الدار بساكنها فالقوت لله كما قال أول مرة إلا أن السائل قنع بالجواب الثاني لنزوله من النص إلى الظاهر و هكذا أكثر أجوبة العارفين إذا كانوا في الحال أجابوا بالنصوص و إذا كانوا في المقام أجابوا بالظواهر فهم بحسب أوقاتهم و هذا القدر من التنبيه على شرف هذه الحضرة كاف إن شاء الله وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

(حضرة الاكتفاء)

و بما له فالكل في الحسبان إن الحسيب هو العليم بما لنا

فيه و في الأكوان و الإنسان لو تعلمون بما أقول و صدقنا

عين تنطقني سوى الحسان إني نطقت به و عنه و ليس لي

يدعى صاحبها عبد الحسيب و أدخلها القائلون بحصر الأسماء في الصفات السبعة في صفة العلم و قد جاء في مدلول هذه الحضرة الأمران الواحد مثاله وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً و أمثاله و الثاني وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ أي به تقع له الكفاية فلا يفتقر إلى أحد سواه و عند الكشف يعلم المحجوب إن أحدا ما افتقر إلا إلى الله لكن لم يعرفه لتحليه في صور الأسباب التي حجبت الخلائق عن الله تعالى مع كونهم ما شاهدوا إلا الله و لهذا نبههم لو تنبهوا بقوله تعالى و هو الصادق يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللهِ لعلمه بفقرهم إليه فلم يتنبه لهذا القول إلا من فتح الله عين فهمه في القرآن و علم أنه الصدق و الحق الذي لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ فكلام الحق لا يعلمه إلا من سمعه بالحق فإنه

كلام ما له فينا انطباع   كلام لا يكفيه سماع

بنظم لا يداخله انصداع   فنسمعه و نتلوه حروفا

فقول الله هذا القول الساري القديم الطارئ من سمعه تكلم به و من لم يسمعه ما سمع إلا هو و لم يتكلم به و ما تكلم إلا به فصاحب الحجاب لا يعلم ذلك إلا بالخبر مثل قول الله فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الله و مثل المصلي إذا قال سمع الله لمن حمده و كلمصل إذا كان فذا أو اماما يقول سمع الله لمن حمده هذا محل الإجماع و ما كل قائل هذا يعلم أن الله هو القائل إلا إذا سمع هذا الخبر فهذا هو المحجوب و أما أهل الكشف و الوجود فما يحتاجون إلى خبر بل يعلمون من هو السامع و القائل فهم غرقى في بحره لا يرجون موتا و لا حياة و لا نشورا

حتى أفوز بالثبج   إني أكابد اللجج

في موج هذه اللجج   و إنما العلم به

عينا فدع عنك الحجج   و السيف لا أرى له

فيها النفوس و المهج   يا حضرة قد تلفت

الأبيض في عين السبج   إن الفتى كل الفتى

يلقاه فيه من حرج   و ما عليه في الذي

من قد نجا و ما خرج   من كل ما يكرهه

من مات فيه فدرج   و ما نجا منه سوى

من ذات دل و دعج   و كل ما تحذره

نفسك في ثاني درج   فلا تخف فإنها

و قد كثر الله في خطابه من قوله وَلا تَحْسَبَنَّ و لا يَحْسَبَنَّ و عدد أمورا كثيرة هي مذكورة في القرآن يطول إيرادها و ما منها آية فيها وَلا تَحْسَبَنَّ أو يَحْسَبُ إلا و فيها قوة الاكتفاء لمن فهم وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ من هذه الحضرة يحسب على المتنفس أنفاسه لأنها أنفاس معدودة محصاة عليه إلى أجل مسمى فلا بد أن يكون كما قلنا و لكن لا بما هي أنفاس و إنما بما تجري فيه إلى أمد معين و تلك حضرة بين العلم و الجهل فهي حضرة التخمين و الحدس و الظن الذي لم يبلغ مبلغ العلم و لهذا جاء وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ و كانت الفتنة فما كان ما حسبوا و قال في طائفة وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً و ما أحسنوا صنعا فهي شبهات في صور أدلة تظهر و ليست أدلة في نفس الأمر فالكيس من يقف عندها و لا يحكم فيها بشيء فإن لها شبها بالطرفين و من هذه الحضرة نزلت الآيات المتشابهات التي نهينا عن الخوض فيها و نسبنا إلى الزيغ في اتباعها فإن الزيغ ميل إلى أحد الشبهين و إذا أولت إلى أحد الشبهين فقد صيرتها محكمة و هي متشابهات فعدلت بها عن حقيقتها و كل من

عدل بشيء عن حقيقته فما أعطاه حقه كما أعطاه الله خلقه و الإنسان مأمور بأن يوفي كل ذي حق حقه و من هذه الحضرة ظهرت الأعداد في أعيان المعدودات فلما تركب العدد في المعدود تخيل منه ما ليس له حكم في وجود عيني فهذه الحضرة أعطت كثرة الأسماء لله و هي كلها أسماء حسني تتضمن المجد و الشرف بل هي نص في المجد و الشرف فلهذا قيل فيه إنه تعالى حسيب و الحسيب ذو الحسب الكريم و النسب الشريف و لا نسب أتم و لا أكمل في الشرف من شرف الشيء بذاته لذاته و لهذا لما قيل لمحمد ص انسب لنا ربك ما نسب الحق نفسه فيما أوحى إليه به إلا لنفسه و تبرأ أن يكون له نسب من غيره فأنزل عليه سورة الإخلاص قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ فعدد و مجد فكانت له عواقب الثناء بما له من التحميد ثم أبان أن له الأسماء الحسنى و عين لنا منها ما شاء و أمرنا أن ندعوه بها مع أن له أسماء كل شيء في العالم فكل اسم في العالم فهو حسن بهذه النسبة و من هنا قالوا أفعال الله كلها حسنة و لا فاعل إلا الله هكذا حكم الأسماء التي تسمى بها العالم كله و لا سيما إن قلنا بقول من يقول إن الاسم هو المسمى و قد بينا أنه ما ثم وجود إلا الله و كذلك لو قلنا إن الاسم ليس المسمى لكان مدلول الاسم وجود الحق أيضا فعلى كل وجه ليس إلا الحق فما ثم وضيع فالكل ذو حسب صميم و مجد و شرف عميم و إنما الحسبان الذي رمى الله به روضة أحد الرجلين من السماء فأصبحت صَعِيداً زَلَقاً و أصبح ماؤها غورا فكونها أصبحت صعيدا زلقا أورثها الشرف و بما نعتها به من الزلق أورثها التنزيه و الرفعة في الدرجة بما جعلها صعيد أو أزال عنها أنواع المخالفة بما أزال عنها من الشجر فإن الحسبان كان من السماء فأعطى مرتبة السمو لمن كان موصوفا بالأرض و هي الساترة من فيها و لهذا سميت جنة فما أبرز ما برز منها إلا جود السماء و هو المطر وجودها بحرارة الشمس فمن السماء ظهرت زينتها فالسماء كستها بحسبانها و السماء جردتها من زينتها بحسبانها فمن زينتها كثرت أسماؤها بما فيها من صنوف الثمر و الأشجار و الأزاهر و من تجريدها و تنزيهها توحد اسمها و ذهبت أسماؤها لذهاب زينها إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها و ليس الأرض في الاعتبار سوى المسمى خلقا و ليس زينتها سوى المسمى حقا فبالحق تزينت و بالحق تنزهت و تجردت عن ملابس العدد و ظهرت بصفة الأحد و هذا كله من هذه الحضرة حضرة الاكتفاء و هو الاسم الإلهي الحسيب وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ و هو قوله وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ

«حضرة الجلال»

إن الجليل له الجلال الأعظم	و الجود و الكرم العميم الأفخم
فإذا تخلق عبده بجلاله	تعنو الوجوه له و منه يعظم
و هو الذي سبق الجمال نفاسة	فله التقدم و المقام الأقدم
و له التنزه في المعارج كلها	و له التكرم و الصراط الأقوم
يبدو فيظهره جمال وجوده	يعلو فيحجبه الجلال المعلم

بحقيقة حوت الحقائق كلها	ما قد علمت به و ما لا يعلم

فانهض بها إن كنت تعرف قدرها	ذوقا و لا تك في القيامة تندم

لا تفز عن لها فأنت من أهلها	و أرحل إلى طلب المعالي تعصم

إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إنهم	ليبايعون الحق حقا فاعلموا

و أفشوا الذي جئنا به في حقه	لا تكتموه فإنه لا يكتم

و انظر إليه من وراء حجابه	تحظى به إن كنت ممن يفهم

إن كنت من أصحابه في غيبه	فأنعم به إن كنت ممن ينعم

مهما بنيت الصرح أنت خليفة	فاحذر إذا قام البناء يتهدم

إن البناء إذا تقوم بأمره	لا يعتريه تقوض و تهدم

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الجليل قال تعالى و جل وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ و في السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ

جعل الرزق و البناء جميعا	في سماء و ما لها من فروج

ثم لا بد للعبيد إليها	حين يدعون نحوها من عروج

إنما الخلق إن نظرتم إليهم	تجدوهم في كل أمر مريج

دون علم فهم حيارى سكارى	في خروج إن كان أو في ولوج

فمن نسبة الجلال إليه له الاسم و من حضرة الجلال ظهرت الألوهة و عجز الخلق عن المعرفة بها و من هذا الاسم يعلم سركم في الأرض لما فيكم من نسبة الباطن و جهركم لما فيكم من نسبة الظاهر لارتفاعكم عن تأثير الأركان فكل عظيم فهو جليل و كل حقير فهو جليل فهو من الأضداد و قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله فقال بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ يعني من عين واحدة و في عين واحدة ثم نرجع و نقول و لا أحقر ممن يسأل أن يطعم لإقامة نشأته و إبقاء الحياة الحيوانية عليه و على قدر الاحتقار يكون الافتقار و أي افتقار أعظم ممن لا يكون له ما يريد إلا بغيره لا بنفسه و لو لا القوابل ما ظهر مجد القادر لو لا جوع العبد ما ادعى فيه السيد و لو لا عين العبد ما كان للجوع حكم و لما أراد السيد أن يظهر بحكم لا يقوم إلا بعبده فلا بد أن يتعين وجود العبد و هو الذليل فالمفتقر إليه أشد في الحكم و أولى بالاسم فما كمل الوجود إلا بهذا الاسم فما من شيء إلا و له و عليه حكم فثبت الافتقار للحكم سواء حكمت له أو عليه و ما حكم على شيء و لا لشيء إلا عينه فما جاءه شيء من خارج فما ثم إلا هو فهو الحاكم و الحكم و المحكوم عليه أو له فتوحدت العين و اختلفت النسب كبدل الشيء من الشيء و هما لعين واحدة و أما عظمة الجليل فمن تأثيره كما إن حقارته من كونه مؤثرا فيه اسم مفعول و ما من شيء إلا مؤثر

و مؤثر فيه لا بد من ذلك فاسم الجليل له حقيقة فيقول العظيم الذي له التأثير للمؤثر فيه الحقير يا جليل و يقول الحقير الذي تأثر و ظهر الأثر فيه للذي له الأثر و التأثير يا جليل بالوجهين من كل قائل و مسم و واصفو ناعت فما رأينا أشبه شيء منه بالصدى فإنه ما يرد عليك إلا ما تكلمت به فوضعه الحق لهذا المقام و أمثاله مثالا مضروبا فإن الله ما خلق الخلق لعين الخلق و إنما خلقه ضرب مثال له سبحانه و تعالى علوا كبيرا و لهذا أوجده على صورته فهو عظيم بهذا القصد و حقير بكونه موضوعا و لا بد من عارف و معروف فلا بد من خلق و حق و ليس كمال الوجود إلا بهما فظهر كمال الوجود في الدنيا ثم ينتقل الأمر إلى الأخرى على أتم الوجوه و أكملها عموما في الظاهر كما عمت في الدنيا في الباطن فهي في الآخرة في الظاهر و الباطن فلا بد أن تكون الآخرة تطلب حشر الأجساد و ظهورها و لا بد من إمضاء حكم التكوين فيهما فهي في الدنيا في العموم تقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ في تصورها و تخيلها لأن موطن الدنيا ينقص في بعض الأمزجة عن إمضاء عين التكوين في العين في الظاهر و في الآخرة تقول ذلك بعينه لما يريد أن يكون كُنْ فَيَكُونُ في عينه من خارج كوجود الأكوان هنا عن كن الإلهية عند أسبابها فكانت الآخرة أعظم كمالا من هذا الوجه لتعميم الكلمة الحضرتين الخيال و الحس

فللأولى هو السر و للآخر الجهر
فمن آمن بالكل فقد بان له الأمر

و ما ثم حضرة في الحضرات الإلهية من يكون عنها النقيضان في العين الواحدة إلا هذه الحضرة فهي العامة الجامعة التي تضمنت الأسماء كلها حسنها و سيئها و الجلال من صفات الوجه فله البقاء دائما و هو من أدل دليل على إن كل ما في الدنيا في الآخرة بلا شك و مما في الدنيا ما لا خفاء به و هي الأجسام الطبيعية التي من شأنها أن تأكل و تشرب و تستحيل مأكلها و مشروبها بحسب أمزجتها ففي الجنة يستحيل ما يأكله أهلها عرقا يخرج من أعراضها أطيب من ريح المسك قال تعالى وَيَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ فقال قائل بأي نسبة يكون له هذا البقاء فقال ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ فرفع بنعت الوجه فلو خفض نعت الرب و كان النعت بالجلال و له النقيضان فيبقى الوجه الذي له النقيضان و لا يفنى و إنما يفنى ما كان على هذه الأرض فناء انتقال في الجوهر و فناء عدم في الصورة فيظهر مثل الصورة لا عينها في الجوهر الباقي الذي هو عجب الذنب الذي تقوم عليه نشأة الآخرة فيبقى حكم الوجه المنعوت بالجلال و يتبعه اسمه حيث كان فللاسم البقاء كما كان البقاء للمسمى به وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة الكرم»

إن الكريم الذي يعطي إذا سألا و لو تراه فقيرا للذي ألا
و ليس يبرح من إذلال نشأته بما يعز و لو محبوبه وصلا
و لا أحاشي من الأعيان من أحد إلا الغني الذي يعطي إذا سألا

فإنه مانع و لا تقل بخلا   و ذاك للأدب المعتاد أنسبه
علم الخلائق عينا حل أو رحلا   سبحانه و تعالى أن يحيط به
و إن أقام أراه فيه مرتحلا   فإن يحل ففي قلبي منازله
إلا إذا قيل شهر الله قد كملا   و ليس ينقصه مما يحيط به
آباره تقتضي الأزمان و الأزلا   إن القرآن لفي آياته عجب

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الكريم و هو يتبع الجليل و يلازمه قال تعالى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ و قال تعالى تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ و إنما تبعه من حيث ما يعطيه وضع الجلال و لما كان يعطي النقيضين جاء بالإكرام على الوجهين فإن السامع إذا أخذ الجلال على العظمة أدركه القنوط لعدم الوصول إلى من له العظمة لما يرى نفسه عليه من الاحتقار و البعد عن التفات ما يعطيه مقام العظمة إليه فأزال الله عن وهمه ذلك الذي تخيله بقوله وَالْإِكْرَامِ أي و إن كانت له العظمة فإنه يكرم خلقه و ينظر إليهم بجوده و كرمه نزولا منه من هذه العظمة فلما سمع القانط ذلك عظم في نفسه أكثر مما كان عنده أو لا من عظمته و ذلك لأن عظمته الأولى التي كان يعظم بها الحقكانت لعين الحق عن انكسار من العبد و ذلة فلما وصف الحق نفسه بأنه يكرم عباده بنزوله إليهم حصل في نفس المخلوق إن الله ما اعتنى به هذه العناية إلا و للمخلوق في نفس هذا العظيم ذي الجلال تعظيم فرأى نفسه معظما فلذلك زاد في تعظيم الحق في نفسه إيثارا لجنابه لاعتناء الحق به على عظمته فزاد الحق بالكرم تعظيما في نفس هذا العبد أعظم من العظمة الأولى هذا إذا أخذ الجلال و حمله على العظمة فإن أخذه السامع و حمله على نقيض العظمة فإنه يحصل أيضا في نفسه القنوط لأنه حقير و قد استند إلى مثله فمن أين يأتيه من تكون له منه رفعة و الذي استند إليه جليل فيقول له لسان الصفة و مع هذا فإنه ذو إكرام و الدليل على أنه ذو إكرام امتنانه عليك بوجودك و لم تكن شيئا موجودا و لا مذكورا فلولا كرمه لبقيت في العدم فكرامته بك في إعطائه الوجود إياك أعز من كرامته بك بعد وجودك بما يمنحك به من نيل أغراضك فيتنبه هذا الناظر في هذا الاسم و حمله على نقيض العظمة و يقول صحيح ما قال من أكرمني بالوجود الخير و حال بيني و بين الشر المحض و هو العدم لا بد أن يكون قادرا على إيجاد ما يسرني و دعه يكون في نفسه ما كان إنما الغرض أن يكون له الاقتدار على تكوين ما أريده منه و ما جعل عنده هذا إلا قوله وَالْإِكْرَامِ و انظر إلىقول النبي ص و ما أعجبه في نهيه أن يقال عن العنب الكرمو غيرته ص على هذا الاسمثم قال فإن الكرم قلب المؤمن فإن قلبت المؤمن وجدت الحق في قلبك إياهفإن الله يقول وسعني قلب عبدي المؤمنو الحق باطن المؤمن و هو قلب الظاهر و الحق هنا هو الكريم لأن القلب هو الكرم فهو محل الكرم و جاء بالاسم الكريم على هذه البنية لكونها تقتضي الفاعل و المفعول فهو تعالى كريم بما وهب و أعطى و جاد و امتن به من جزيل الهبات و المنح و هو مكرم و متكرم عليه بما طلب من القرض فأقرض العبد ربه عن أمره و بما عبده خلقه لأنه ما خلقهم إلا ليعبدوه و جعل لهم الاختيار فلما جعل لهم الاختيار ربما أداهم ذلك إلى البعد عما خلقوا له من العبادة و لما علم الحق

ذلك ظهر في صورة كل شيء و أخبر عباده بذلك فقال فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ و لا بد لكل مخلوق من التولي إلى أمر ما و قال الحق تعالى في ذلك الذي توليت إليه وجهي و ما أعلمهم بذلك إلا ليتصفوا بصفة الكرم على الله بتوليهم لأنهم لو لم يعلموا ذلك بإعلامه مع وجود الاختيا ر الذي يعطي التفرق في الأشياء لتخيلوا أنهم قد خرجوا عن حكم ما خلقوا له من التكرم على ربهم بعبادتهم إياه فربما كانوا يجدون في نفوسهم من ذلك حرجا حيث خالفوا ما خلقوا له مع كرمه بهم بإيجادهم فأزال الله عنهم ذلك الحرج كرما منه و اعتناء بهم بقوله فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ فانطلقوا في اختيارهم إذا علموا أنهم حيث تولوا ما ثم إلا وجه الله فوقفوا على علم ما خلقوا له و قد كان قبل هذا يتخيلون أنهم يتبعون أهواءهم و الآن قد علموا إن أهواءهم فيها وجه الحق و لهذا جاء بالاسم الله لأنه الجامع لكل اسم فقال فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ و ذلك الأين يعين بحقيقته اسما خاصا من أسماء الله فلله الإحاطة بالأينيات بأحكام مختلفة لأسماء إلهية مختلفة تجمعها عين واحدة فمن كرمه قبول كرم عباده فقبل عطاياهم قرضا و صدقة فوصف نفسه بالجوع و الظماء و المرض ليتكرم عليه في صورة ذلك الكون الذي الحق وجهه بالعيادة و الإطعام و السقي و الكرم على الحاجة أعظم وقوعا في نفس المتكرم عليه من الكرم على غير حاجة لأنه مع الحاجة ينظره إحسانا مجردا يثمر له الشكر و لا بد و الشكر يثمر الزيادة من العطاء و الكرم على غير الحاجة من المتكرم عليه يظهر له الحال الذي هو عليه وجوها من التأويل قد يخرجه من نظره إنه أحسن إليه فربما يتخيل فيه أمرا يرد به فلهذا أنزل الحق إلى عباده في طلب الكرم منهم إلى الظهور بصفة الحاجة ليعلمهم أنه ما ينظر في أعطياتهم إلا الإحسان مجردا فهي بشرى من الله جاءت منه إلى عباده من قوله لَهُمُ الْبُشْرى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا و هذه منها فهذا اسم الكريم من حضرة الكرم فبكرمه تكرمت عليه كما قررنا وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة المراقبة»

إن الرقيب لزيم حيثما كان لذاك يحفظ أعيانا و أكوانا
وقتا يكون على ذات مصرفة عن أمره كان ذاك الأمر ما كانا
و ليس يخفى عليه من مراقبة شيء و إن جل ذاك الأمر أوهانا

يدعى صاحبها عبد الرقيب و ليس في الحضرات من يعطي التنبيه على إن الحق معنا بذاته في قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ إلا هذا الاسم الرقيب و هذه الحضرة لأنه على الحقيقة من الرقبى و الرقبى إن تملك رقبة الشيء بخلاف العمري فإذا ملكت رقبة الشيء تبعته صفاته كلها و ما ينسب إليه بخلاف الصفة لأنك إذا ملكت صفة ما لا يلزم أن تملك جميع الصفات و إذا ملكت الموصوف فبالضرورة تملك جميع الصفات لأنها لا تقوم بأنفسها و إنما تطلب الموصوف و لا تجده إلا عندك فتملكها عند ذلك فهي كالحبالة للصائد فأما ملكه إياك فمعلوم بما تعطيه حقيقتك و أما ملكك إياه فبقوله فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ و وجه الشيء ذاته و حقيقته و الرقيب اسم فاعل على كل شيء و هو المرقب عليه فإنه المشهود لكل شيء فيرقب العبد في جميع حركاته و سكناته و يرقبه العبد في جميع آثاره في قلبه و خواطره و حركاته و حركات ما خرج

عنه من العالم فلا يزال صاحب هذه الحضرة في مزيد علم إلهي أبدا علم ذات ينجر معه علم صفات و نعوت و أسماء و نسب و أحكام و لا بد لهذا الاسم من حكم الإحاطة حتى يصح شمول المراقبة و لما كانت المراقبة تقتضي الاستفادة و الحفظ حذرا من الوقائع فالعلم قوله حتى نعلم فإذا ابتلاه راقبه حتى يرى ما يفعل فيما ابتلاه به لأنه ما ابتلاه ابتداء و إنما ابتلاه لدعواه لأنه قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فقالوا بَلىٰ فادعوا فابتلاهم ليرى صدق دعواهم و لقد رحم الله عباده حين أَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ بما قبضهم و قررهم عليه من كونه ربهم و ما أشهد هم على توحيده و يصدق المقر بالملك لمن له فيه شقص فجعل لهم الانفساح من أجل ما علم من يشرك من عباده الشرك المحمود و المذموم فغير المذموم شرك الأسباب فإن القائلين بها أكثر العباد مع كونهم لا يعتقدون فيها إلا أنها موضوعة من عند الله و المذموم من الشرك أن يجعل المشرك مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ من واحد فما زاد و لذلك قال من قال من المشركين أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وٰاحِداً إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عُجٰابٌ فقوله إن هذا لشيء عجاب عندنا هو قول الله و قوله أَ جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً وٰاحِداً حكاية الله لنا عن المشرك أنه قال هكذا إما لفظا و إما معنى فقال الله عند قولهم ذلك إِنَّ هٰذٰا لَشَيْءٌ عُجٰابٌ حيث جعلوا الإله الواحد آلهة و خصوص و صفة إنه إله و به يتميز فلا يتكثر بما به يتميز و يشهد لهذا النظر قولهم فيما حكى الله عنهم مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ فعصم الله هذا الاسم الله أن يقع فيه اشتراك فهم يعلمون أنهم نصبوهم آلهة و لهذا وقع الذم عليهم بقوله أَ تَعْبُدُونَ مٰا تَنْحِتُونَ و الإله من لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ من قَبْلُ وَ من بَعْدُ و أما لطفه بهم في هذا الإشهاد فهو القبض و القبض يقتضي القهر فما أقروا به إلا مع القهر فالمشرك منهم أقر على كره فلما تخيلوا أنهم قد خرجوا من القبضة لجهلهم بما هو الأمر عليه قالوا بالشركة فإذا قيل لهم في ذلك احتجوا بما كانوا عليه من القبض فيعذرون في دعواهم أنهم ما أدعو ذلك إلا جبرا لا اختيارا و الحكم في الأشياء للأحوال فمن راقب أحواله علم من أين صدر فلا يخلو هذا المراقب إما أن يكون ميزان الشريعة بيده فإنه يرى بعين إيمانه إن كان من أهل الايمان أو بعين شهوده إن كان من أهل الشهود و من لم يكن له إحدى هذين العينين فهو أعمى فيرى الحق و الميزان بيده يخفض و يرفع فيقتدي بربه و يتأسى و ما عنده إلا ميزان ما شرع له لا يلتفت مع الايمان إلى ميزان عقله فيزن ما يرد عليه من الأحوال من جانب ربه فيخفض و يرفع و يزيد في الناقص و ينقص من الزائد فيأخذ من عباده بالعدل و يعطي بالفضل فلا يزال ما دام هذا الميزان بيده معصوما في مراقبته و يصح عنده إنه عند الاسم الرقيب لأنه قد تحقق بنعته بسيده فأسعد العبيد من يراقب سيده مراقبة سيده إياه فيراقب الحق مراقبة عبده لمن يراقب فيكون معه بحيث يرى منه و من ملك المراقبة كان له التصريف كيف شاء في المراقب فإن الله مع عبده حيث كان

واحفظ السر و ازدجر هكذا الأمر فاعتبر

قلته فيه فافتكر. إنما الأمر مثل ما

فالعبد و إن كان مقيدا بالشرع فإن الشرع قد جعله مسرح العين في تصرفه و يحمده الميزان و يذمه و المراقب معه أينما كان من محمود و مذموم فإذا كان العبد هو المراقب و لا يرى الحق مجردا عن الخلق تجريد تنزيه و تقديس أبدا لأنه لا تصح هناك مراقبة فلا بد أن يراه في الخلق في حضرة

الأفعال فيكون المراقب و هو العبد حيث كان الحق منخلقه لأنه في الخلق يشهده فينظر ما يقتضيه ذلك الأثر في ذلك الخلق المعين فيزنه بالميزان الموضوع و يكون معه بحسب ما يعطيه ميزان الحق فينظر أي اسم إلهي يكون له الحكم في ذلك الأمر الموزون فيتوجه إليه باسم إلهي يكون عليه هذا المراقب الذي هو العبد كان ما كان من الأسماء الإلهية فإن كان يقتضي ما لا يوافق غرضه و لا يلائم مزاجه و لا يحمده شرعه سأل رفع ذلك الحكم منه إن كان نظره شرعا بالتوبة و المغفرة و إن كان ذا غرض سأل الموافقة و إن كان ممن يقول بالملاءمة سأل الأصلح و الأولى طبعا فهو بحسب ما يكون عليه في حاله

فمن ملك الرقبى فقد ملك الكلاء ... و من ملك الكل يصح له الجزء
فلا تعم عن إدراك كل مراقب ... فقد بانت الأسرار إذ أخرج الخبء
فإن الرقيب الحق في كل حالة ... لديه قبول الحال إن شاء و الدرء
فمن راقب الحق الرقيب بعينه ... فذاك الرقيب الحق و المثل و الكفء
فللخلق أحكام إذا هي حققت ... يكون له منها الإعادة و البدء
و يظهر في الحق الذي قلت مثل ما ... يضاف إلى المخلوق في كونه النشء
دليلي حدوث الصور في كل ناظر ... إليه و ما في كل ما قلته هزء

«حضرة الإجابة»

كن مجيبا إذا الإله دعاكا ... و سميعا لما دعاك مطيعا
و احفظ السر لا تكن يا وليي ... للذي حصكم بذاك مذيعا
فإذا ما دعاك في حق شخص ... كن مجيبا لما دعاك سميعا
لا تكن كالذي أتاه حريصا ... فإذا ما استفاد كان مضيعا
كل من ضاعت الأمور لديه ... إنه قد أتى حديثا شنيعا

يدعى صاحبها عبد المجيب و تسمى حضرة الانفعال فإن صاحب هذه الحضرة أبدا لا يزال منفعلا و هو قولهم في المقولات أن ينفعل و هذا حكم ما يثبت عقلا و إنما يثبت شرعا فلا يقبل إلا بصفة الايمان و بنوره يظهر و بعينه يدرك قال تعالى وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ يعني منكم و لا أقرب من نسبة الانفعال فإن الخلق منفعل بالذات و الحق منفعل هنا عن منفعل فإنه مجيب عن سؤال و دعاء أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ و هو الموجب للاجابة إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي إذا دعوتهم و ما دعاهم إليه إلا بلسان الشرع فما دعاهم إلا بهم فإنه تلبس بالرسول فقال من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ فقرر أنه ما جاء منه إلا به فما فارقه و لا شاهد الخلق المبعوث إليهم إلا الرسول فظاهره خلق و باطنه حق كما قال

في البيعة إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ و ما في الكون إلا فاعل و منفعل فالفاعل حق و هو قوله وَ اللهُ خَلَقَكُمْ وَ ما تَعْمَلُونَ و الفاعل خلق و هو قوله فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ و اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و المنفعل خلق و هو معلوم و خلق في حق و هو الإجابة و حق في خلق و هو ما انطوت عليه العقائد في الله من أنه كذا و كذا و خلق في خلق و هو ما تفعله الهمم في المخلوقات من حركات و سكون و اجتماع و افتراقثم اعلم أن الإجابة على نوعين إجابة امتثال و هي إجابة الخلق لما دعاه إليه الحق و إجابة امتنان و هي إجابة الحق لما دعاه إليه الخلق فإجابة الخلق معقولة و إجابة الحق منقولة لكونه تعالى أخبر بها عن نفسه و أما اتصافه بالقرب في الإجابة فهو اتصافه بأنه أقرب إلى الإنسان من حَبْلِ الْوَرِيدِ فشبه قربه من عبده قرب الإنسان من نفسه إذا دعا نفسه لأمر ما تفعله فتفعله فما بين الدعاء و الإجابة الذي هو السماع زمان بل زمان الدعاء زمان الإجابة فقرب الحق من إجابة عبده قرب العبد من إجابة نفسه إذا دعاها ثم ما يدعوها إليه يشبه في الحال ما يدعو العبد ربه إليه في حاجة مخصوصة فقد يفعل له ذلك و قد لا يفعل كذلك دعاء العبد نفسه إلى أمر ما قد تفعل ذلك الأمر الذي دعاها إليه و قد لا تفعل لأمر عارض يعرض له و إنما وقع هذا الشبه لكونه مخلوقا على الصورة و هو أنه وصف نفسه في أشياء بالتردد و هذا معنى التوقف في الإجابة فيما دعا الحق نفسه إليه فيما يفعله في هذا العبد و قد ثبت هذا في قبضه نسمة المؤمن فإن المؤمن يكره الموت و الله يكره مساءة المؤمنفقال عن نفسه سبحانه ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي فأثبت لنفسه التردد في أشياء ثم جعل المفاضلة في التردد الإلهي فقال تعالى ترددي في قبض نسمة المؤمن الحديث فهذا مثل من يدعو نفسه لأمر ما ثم يتردد فيه حتى يكون منه أحد ما يتردد فيه و الدعاء على نوعين دعاء بلسان نطق و قول و دعاء بلسان حال فدعاء القول يكون من الحق و من الخلق و دعاء الحال يكون من الخلق و لا يكون من الحق إلا بوجه بعيد و الإجابة للدعاء بلسان الحال على نوعين إجابة امتنان على الداعي و إجابة امتنان على المدعو فأما امتنانه على الداعي فقضاء حاجته التي دعاه فيها و امتنانه على المدعو فإنه بها يظهر سلطانه بقضاء حاجته فيما دعاه إليه و للمخلوق في قبوله ما يظهر فيه الاقتدار الإلهي رائحة امتنان و لهذه القوة الموجودة من من على رسول الله ص بالإسلام فقال تعالى تأنيسا له يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ثم أمره أن يقول لهم فقال يا محمد قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ فتلك المنة الواقعة منهم إنما هي على الله لا على رسوله ص فإنهم ما انقادوا إلا إلى الله لأن الرسول ما دعاهم إلى نفسه و إنما دعاهم إلى الله فقوله لهم إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ يعني في إيمانكم بما جئت به فإنه مما جئت به إن الهداية بيد الله يَهْدِي به من يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لا بيد المخلوق ثم إن النبي ص أبان عما ذكرناه من أن لهم رائحة في الامتنان أما و الله لو شئتم أن تقولوا لقلتم و ذكر نصرة الأنصار و كونهم أووه حين طرده قومه و أطاعوه حين عصوه قومه فأشبهوا فيما كان منهم بما قرره رسول الله ص من ذلك قوله تعالى لنبيه أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدى وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى و لما كانت النعم محبوبة لذاتها و كان الغالب حب المنعم حتى قالت طائفة إن شكر المنعم واجب عقلا جعل الله التحدث بالنعم شكرا فإذا سمع المحتاج ذكر المنعم مال إليه بالطبع و أحبه فأمره أن يتحدث بنعم الله عليه فقال وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ حتى يبلغ القاصي و الداني و قال في الإنسان فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَ أَمَّا السَّائِلَ يعني في

العلم فَلَا تَنْهَرْ و من هذا الأمر ذكر أهل الله ما أنعم الله به عليهم من المعارف و العلم به و الكرامات فإن النعم ظاهرة و باطنة و قد أسبغها على عباده كما قال وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً فهذا بعض ما يعطيه هذه الحضرة من الانفعال وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«حضرة السعة»

وسع الكل خلقه إنما الواسع الذي
نازع الحق خلقه فإذا ما خلا بنا
من سنا الشمس أفقه و زها بالذي بدا
و أنا فيه حقه فهي فينا بنورها

يدعى صاحبها عبد الواسع قالت الملائكة رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْماً فقدمت الرحمة على العلم لأنه أحب أن يعرف و المحب يطلب الرحمة به فكان مقام المحب الإلهي أول مرحوم فخلق الخلق و هو نفس الرحمن و قال وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فعم بكل كل مرحوم و ما ثم إلا مرحوم و من كان علمه بالشيء ذوقا و كان حاله فإنه يعلم ما فيه و ما يقتضيه من الحكم و قد قال الترجمان ص إن المؤمن لا يكمل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسهو قد علمنا إن له الكمال و أنه المؤمن و أن العالم على صورته فقد ثبتت الأخوة بالصورة و الايمان لأنه ما ثم إلا قائل به مؤمن مصدق بوجوده فإنه ما من شَيْءٍ إِلّاٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و ما من شيء إلا وسعته رحمته كما وسعه تسبيحه و حمده فهو الواسع لكل شيء و لهذا الاتساع هو لا يكرر شيئا في الوجود فإن الممكنات لا نهاية لها فأمثال توجد دنيا و آخرة على الدوام و أحوال تظهر و قد وَسِعَ كُرْسِيُّهُ و هو علمه السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ و وسعت رحمته علمه و السموات و الأرض و ما ثم الا سماء و أرض فإنه ما ثم إلا أعلى و أسفل سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فلا أعلى بعده و لو دليتم بحبل لهبط على الله فلا أنزل منه و ما بينهما فينزل إلى العلو الأدنى و هو السماء الأولى من جهتنا فإنها السماء الدنيا أي القريبة إلينا و ما نزل ليعذب و يشقى بليقول هل من داع فاستجيب له هل من سائل فأعطيهو ما يخلو شيء من سؤال بخير في حق نفسههل من تائب فأتوب عليهو ما من شيء إلا و يرجع في ضرورته إذا انقطعت به الأسباب إليههل من مستغفر فاغفر لهو ما من شيء إلا و هو مستغفر في أكثر أوقاته لمن هو إله و لم يقل إنه ينزل ليعذب عباده الذين نزل في حقهم و من كان هذا نعته و عذب فعذابه رحمة بالمعذب و تطهير كعذاب الدواء للعليلفيعذبه الطبيب رحمة به لا للتشفي ثم اتساع العطاء فإنه أعطى الوجود أولا و هو الخير الخالص ثم لم يزل يعطي ما يستحقه الموجود مما به قوامه و صلاحه كان ما كان فهو صلاح في حقه و لهذا أضاف العارف به المترجم عنه كلمة الحضرة و لسان المقام الإلهيرسوله ص الخير إليه فقال و الخير كله في يديك و نفي الشر أن يضاف إليه فقال و الشر ليس إليكو قد بينا أنه ما ثم معط إلا الله فما ثم إلا الخير سواء سر أم ساء فالسرور هو المطلوب و قد لا يجيء إلا بعد إساءة لما يقتضيه مزاج التركيب و قبول المحل لعوارض تعرض في الوجود و كل عارض زائل و لهذا يسمى بالمعطي و المانع و الضار و النافع فعطاؤه كله نفع غير إن المحل في وقت يجد الألم لبعض الأعطيات فلا

يدرك لذة العطاء فيتضرر بذلك العطاء و لا يعلم ما فيه من النفع الإلهي فيسميه ضارا من أجل ذلك لعطاء و ما علم إن ذلك من مزاج القابل لا من العطاء أ لا ترى الأشياء النافعة لأمزجة ما كيف تضر بأمزجة غيرها قال الله في العسل إنه شِفاءٌ لِلنّاسِ فجاء رجل لرسول الله ص فقال له إن أخي استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه عسلا فزاد استطلاقه فرجع فأخبره فقال اسقه عسلا فزاد استطلاقه و ما علم هذا الرجل ما علمه رسول الله ص من ذلك فإنه كان في المحل فضلات مضرة لا يمكن إخراجها إلا بشرب العسل فإذا زالت عنه أعقبته العافية و الشفاء فلما رجع إليه قال له يا رسول الله سقيته عسلا فزاد استطلاقه فقال صدق الله و كذب بطن أخيك اسقه عسلا في الثالثة فسقاه فبرئ فإنه استوفى خروج الفضلات المضرة و كالذي يغلب على العضو الحامل للطعم المرة الصفراء فيجد العسل مرا فيقول العسل مر فكذب المحل في إضافة المرارة إلى العسل لأنه جهل إن المرة الصفراء هي المباشرة لعضو الطعم فأدرك المرارة فهو صادق في الذوق و الوجدان كاذب في الإضافة فألقوا بل أبدا هي التي لها الحكم فما من الله إلا الخير المحض كله فمن اتساع رحمته إنها وسعت الضرر فلا بد من حكمه في المضرور فالضرر في الرحمة ما هو ضرر و إنما هو أمر خير بدليل أنه بعينه إذا قام بالمزاج الموافق له التذ به و تنعم و هو هو ليس غيره فالأشياء إلى الله إنما تضاف إليه من حيث إنها أعيان موجودة عنه ثم حكم الالتذاذ بها أو غير الالتذاذ إنما هو راجع إلى القابل و لو علم الناس نسبة الغضب إلى الله لعلموا أن الرحمة تسع الكل فإن القادر على إزالة الألم عن نفسه لا يتركه فقامت الأحوال من الخلق و المواطن للحق مقام المزاج للحيوان فيقال في الحق إنه يغضب إذا أغضبه العبد و يرضى إذا أرضاه العبد فحال العبد و الموطن يرضى الحق و يغضبه كالمزاج للحيوان يلتذ بالأمر الذي كان بالمزاج الآخر يتألم به فهو بحسب المزاج كما هو الحق بحسب الحال و المواطن أ لا ترى في نزوله إلى السماء الدنيا ما يقول فإنه نزول رحمة يقتضيها الموطن و إذا جاء يوم القيامة يقتضي المواطن أنه يجيء للفصل و القضاء بين العباد لأنه موطن يجمع الظالم و المظلوم و موطن الحكم و الخصومات فالحكم للمواطن و الأحوال في الحق و الحكم في التألم و الالتذاذ و التلذذ للمزاج إن ربك واسع المغفرة أي واسع الستر فما من شيء إلا و هو مستور بوجوده و هو الستر العام فإنه لو لم يكن ستر لم يقل عن الله هو و لا قال أنت فإنه ما ثم إلا عين واحدة فأين المخاطب أو الغائب فلهذا قلنا في الوجود إنه الستر العام ثم الستر الآخر بالملائم و عدم الملائم فهو واسِعُ الْمَغْفِرَةِ و هي حضرة إسبال الستور و قد تقدم الكلام عليها في هذا الباب ثم قال هو أعلم بمن اتقى و الستر وقاية و الغفران هو الستر فالعبد يتقي بالستر ألم البرد و الحر إذا علم من مزاجه قبول ألم الحر و البرد فإن الحر و البرد ما جاء إلا لمصالح العالم ليغذي النبات الذي هو رزق العالم فيبرزه لينتفع به فيكون جسم الحيوان على استعداد يتضرر به فيقول إني تأذيت بالحر و البرد و إذا رجع مع نفسه لما قصد بهما بحسب ما يعطيه الفصول علم أنه ما جاء إلا لنفعه فتضرر بما به ينتفع و الغفلة أو الجهل سبب هذا كله وَ اللّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الحكيم حضرة الحكمة»

إن الحكيم الذي ميزانه أبدا ... بالرفع و الخفض منعوت و موصوف

علما و فيه إذا فكرت تعريف	يرتب الأمر ترتيبا يريك به
في ملكه و له في الخلق تصريف	بأنه الله فرد لا شريك له
و لا يقوم به في الوزن تطفيف	ميزانه الحق لا خسران يلحقه

يدعى صاحبها عبد الحكيم قال الله تعالى وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً و ما كثره الله لا تدخله قلة كما إن ما عظم الله ما يدخله احتقار و امتن على داود بأن آتاه الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ و هو من الحكمة فإنه لفصل الخطاب موطن يعطي الحكمة لصاحبها أن لا يظهر منه في ذلك الموطن إلا فصل الخطاب و هو الإيجاز في البيان في موطنه لسامع خاص لذي حال خاص و الإسهاب في البيان في موطنه لسامع خاص ذي حال خاص و مراعاة الأدنى أولى من مراعاة الأعلى فإن ذلك من الحكمة فإن الخطاب للافهام فإذا كرر المتكلم الكلام ثلاث مرات حتى يفهم عنه كما كان كلام رسول الله ص فيما يبلغه عن الله للناس يراعي الأدنى ما يراعي من فهم من أول مرة فيزيد صاحب الفهم في التكرار أمورا لم تكن عنده أفادها إياه التكرار و الأدنى الذي لم يفهم فهم الأول فهم بالتكرار ما فهمه الأول بالقول الأول أ لا ترى العالم الفهم المراقب أحواله يتلو المحفوظ عنده من القرآن فيجد في كل تلاوة معنى لم يجده في التلاوة الأولى و الحروف المتلوة هي بعينها ما زاد فيها شيء و لا نقص و إنما الموطن و الحال تجدد و لا بد من تجدده فإن زمان التلاوة الأولى ما هو زمان التلاوة الثانية فافهم فتعطي هذه الحضرة علم الترتيب و إعطاء كل شيء حقه و إنزاله منزلته فيعلم العبد المراقب أن الله هو واضع الأشياء و هو الحكيم فما وضع شيئا إلا في موضعه و لا أنزله إلا منزلته فلا تعترض على الله فيما رتبه من الكائنات في العالم في كل وقت و لا يرجح نظره و فكره على حكمة ربه فيقول لو كان كذا في هذا الوقت لكان أحسن في النظم من الترتيب فما أخطأ إلا في قوله في هذا الوقت لا في قوله لو كان كذا لكان أحسن فلما غابت عنه حكمة الوقت تخيل أن ذلك الذي هو أحسن إن هذا الوقت يقتضيه و هذا نظر عقلي فإن الأزمنة لكل ممكن على نسبة واحدة فليس زمان لشيء بأولى من زمان آخر و لكن أين فائدة المرجح إلا علمه بالزمان و ما يقتضيه لأنه خالق الزمان و ما هذا الناظر خالق الزمان فهو يعلم ما خلق فما رتب فيه إلا ما استحقه بخلقه فإنه أعطى كل شيء خلقه فالحكيم من حكمته الحكمة فصرفته لا من حكم الحكمة فإنه من حكم الحكمة له المشيئة فيها و من حكمته الحكمة فهي المصرفة له و إذا قامت الصفة بالموصوف أعطته حكمها عطاء واجبا قال تعالى ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ فالحكم للقول و ذلك ليس إلا لله أو لرجل متحقق بالله قد طالع القول الإلهي و من هنا تعلم ما هو النسخ فإن مفهوم النسخ في القائلين به رفع الحكم بحكم آخر كان ما كان من أحكام الشرع فإن السكوت من الشارع في أمر ما حكم على ذلك المسكوت عنه فما ثم إلا حكم فهو تبديل و قد قال تعالى ما يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ فما ثم نسخ على هذا القول و لو كان ثم نسخ لكان من الحكمة و صورته إن الزمان إذا اختلف اختلف الحكم بلا شك فالنسخ ثابت أبدا لأن الاختلاف واقع أبدا فالحكمة تثبت النسخ و الحكمة ترفع النسخ و لكن في مواطن معينة تطلبها لذاتها فيوفيها الحكيم ما تستحقه من ذلك فالحكيم من قامت به الحكمة فكان الحكم لها به كما كان الحكم له بها فهو عينها و هي عينه فالحكمة عين

الحاكم عين المحكوم به عين المحكوم عليه فالحكمة علم خاص و إن عمت و الفرق بينها و بين العلم أن الحكمة لها الجعل و العلم ليس كذلك لأن العلم يتبع المعلوم و الحكمة تحكم في الأمر أن يكون هكذا فيثبت الترتيب في أعيان الممكنات في حال ثبوتها بحكمة الحكيم لأنه ما من ممكن يضاف إلى ممكن إلا و يمكن إضافته إلى ممكن آخر لنفسه لكن الحكمة اقتضت بحكمها أن ترتبه كما هو بزمانه و حاله في حال ثبوته و هذا هو العلم الذي انفرد به الحق تعالى و جهل منه و ظهر به الحكم في ترتيب أعيان الممكنات في حال ثبوتها قبل وجودها فتعلق بها العلم الإلهي بحسب ما رتبها الحكيم عليه فالحكمة أفادت الممكن ما هو عليه من الترتيب الذي يجوز خلافه و الترتيب أعطى العالم العلم بأن الأمر كذا هو فلا يوجد إلا بحسب ما هو عليه في الثبوت الذي هو ترتيب الحكيم عن حكم الحكمة فقد بان لك الفرقان بين العلم و الحكمة فما يبدل القول لديه فإنه ما يقولإلا ما رتبته الحكمة كما أنه ما علم إلا ما رتبته الحكمة فيقول للشيء كُنْ فَيَكُونُ بالحال الذي هو عليه كان ما كان فمن هذه القوة يقول الناظر في الأمر لو كان كذا لجوازه عنده فإذا علم حكمة الله يقول بأنه يجهل حكمة الله في هذا الوضع الذي يقتضي في نظري لو كان خلافه لكان أحسن لكن لله فيه علم لا أعرفه و صدق و من الناس من يفتح له في سر ذلك الترتيب و من الناس من لا يعلم ذلك إلا بعد ما يقع حكمه في الوجودفيعلم عند ذلك حكمة ذلك الأمر و يعلم جهله بالمصالح و هذا كثيرا اتفاقه في العالم يكون الشخص يتسخط بالأمر الذي لا يوافق غرضه و لا نظره و ينسب مثلا الحاكم به إلى الجور فإذا ظهرت منفعة ذلك الحكم الذي تسخطت به عاد المتسخط يحمد الله و يشكر ذلك الحكم و الحاكم على ما فعل حيث دفع الله به ذلك الشر العظيم الذي لو لم يكن هذا الحكم لوقع بالمحكوم عليه ذلك الشر و هذا يجري كثيرا فغاية العارفين إنهم يعلمون بالجملة أن الظاهر في الوجود و الواقع إنما هو في قبضه الحكمة الإلهية فيزول عنه التسخط و الضجر و يقوم به التسليم و التفويض إلى الله في جميع الأمور كما جاء وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ هذا هو حكم الحكمة لمن عقل عن الله و مثل هذا الشخص قد استعجل النعيم فإنه يتفرح و إذا كان هذا حاله فإن الله في أغلب الأحوال يطلعه في سره على حكمه الواقع في الحال الذي لا يرضى به العباد فإنه كل ما وقع به الرضي فقد علمت حكمته فإنه يراها الراضي موافقة لغرضه و إنما يقع النزاع و الجهل فيما لا يوافق الغرض و لا الترتيب الوهمي فإن العقل لا يعطي صاحبه في الواقع إلا الوقوف فإنه يدري من صدر و إنما الوهم الذي هو على صورة العقل له ذلك النظر المرجح و حاشا العقل أن يرجح على الله ما لم يرجحه الله و ما رجح الله إلا الواقع فأوقع ما أوقع حكمة منه و أمسك ما أمسك حكمة منه و هو الحكيم العليم فالعارف عنده الحكيم بتقدم العليم و العامي يقدم العليم ثم الحكيم و قد ورد الأمران معا فالحكيم خصوص و العليم عموم و لذلك ما كل عليم حكيم و كل حكيم عليم فالحكمة الخير الكثير

وهي البدر المنير   فهي الخير الكثير

هكذا قال الخبير   تختفي وقتا و تبدو

و بها كان الظهور   فبها خفت علينا

وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ انتهى السفر الثاني و الثلاثون بانتهاء حضرة الحكمة لعبد الحكيم و الحمد لله وحده

«الوداد حضرة الود»

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على محمد و على آله و سلم

إلا إن الوداد هو الثبات على حال يزعزعه الشتات
و يجمعنا و إياه مقام إذا تبدو على الوجه السمات
بواد لا أنيس به و أرض تزينها الأزاهر و النبات
أزاهره البنون إذا تراهم على كرسيه و كذا البنات
إذا خافوا يؤمنهم صباح و ليس يخيفهم إلا البيات

يدعى صاحبها عبد الودود قال الله تعالى في أصحاب هذه الحضرة يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ و قال فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهو في الحديث الصحيح إذا أحب الله عبده كان سمعه و بصره و يده و رجله و قواه ثابتة له لا تزول و إن كان أعمى أخرس فالصفة موجودة خلف حجاب العمي و الخرس و الطرش فهو ثابت المحبة من كونها ودا فإن هذه الصفة لها أربعة أحوال لكل حال اسم تعرف به و هي الهوى و الود و الحب و العشق فأول سقوطه في القلب و حصوله يسمى هوى من هوى النجم إذا سقط ثم الود و هو ثباته ثم الحب و هو صفاؤه و خلاصه من إرادته فهو مع إرادة محبوبه ثم العشق و هو التفافه بالقلب مأخوذ من العشقة اللبلابة المشوكة التي تلتف على شجرة العنبة و أمثالها فهو يلتف بقلب المحب حتى يعميه عن النظر إلى غير محبوبه تنبيه و كيف لا يحب الصانع صنعته و نحن مصنوعاته بلا شك فإنه خالقنا و خالق أرزاقنا و مصالحنا أوحى الله إلى بعض أنبيائه يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك و خلقك من أجلي فلا تهتك ما خلقت من أجلي فيما خلقت من أجلك يا ابن آدم أني و حقي لك محب فبحقي عليك كن لي محبا و الصنعة مظهرة علم الصانع لها بالذات و اقتداره و جماله و عظمته و كبرياءه فإن لم يكن فعلى من و فيمن و بمن فلا بد منا و لا بد من حبه فينا فهو بنا و نحن به كما قال ص في ثنائه على ربه فإنما نحن به و له و هذه حضرة العطف و الديمومة

فلو لا الحب ما عرف الوداد و لو لا الفقر ما عبد الجواد
فنحن به و نحن له جميعا فمن ودي عليه الاعتماد
إذا شاء الإله وجود عين بها قد شاءها فمضى العناد
فكنا عند كن من غير بطء و نعت الكون ذاك المستفاد
فعين الحب عين الكون منه و عينه و أظهره الوداد

فلم يزل يحب فلم يزل ودودا فهو يوجد دائما في حقنا فهو كل يوم في الشأن و لا معنى للوداد إلا هذا فنحن بلسان الحال و المقال لا نزال نقول له افعل كذا افعل كذا و لا يزال هو تعالى يفعل و من فعله فينا نقول له افعل أ ترى هذا فعل مكره و لا مكره له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل هذا حكم الاسم الودود منه فإنه الغفور الودود منه فإنه الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ الذي استوى عليه بالاسم الرحمن فإنه ما رحم إلا صبابة المحب و هي رقة الشوق إلى لقاء المحبوب و لا يلقاه إلا بصفته و صفته الوجود فأعطاه الوجود و لو كان عنده أكمل من ذلك ما بخل به عليه كما قال الإمام أبو حامد في هذا المقام و لو كان و ادخره لكان بخلا ينافي الجود و عجزا يناقض القدرة فأخبر تعالى أنه الْغَفُورُ الْوَدُودُ أي الثابت المحبة في غيبه فإنه عز و جل يرانا فيرى محبوبه فله الابتهاج به و العالم كله إنسان واحد هو المحبوب و أشخاص العالم أعضاء ذلك الإنسان و ما وصف المحبوب بمحبة محبه و إنما جعله محبوبا لا غير ثم إن من رزقه أن يحبه كحبه إياه أعطاه الشهود و نعمه بشهوده في صور الأشياء فالمحبون له من العالم بمنزلة إنسان العين من العين فالإنسان و إن كان ذا أعضاء كثيرة فما يشهد و يرى منه إلا العينان خاصة فالعين بمنزلة المحبين من العالم فأعطى الشهود لمحبيه لما علم حبهم فيه و هو عنده علم ذوق ففعل مع محبيه فعله مع نفسه و ليس إلا الشهود في حال الوجود الذي هو محبوب للمحبوب فما خلق الجن و الإنس إلا ليعبدوه فما خلقهم من بين الخلق إلا لمحبته فإنه ما يعبده و يتذلل إليه إلا محب و ما عدا الإنسان فهو مسبح بحمده لأنه ما شهده فيحبه فما تجلى لأحد من خلقه في اسمه الجميل إلا للإنسان و في الإنسان في علمي فلذا ما فنى و هام في حبه بكليته إلا في ربه أو فيمن كان مجلى ربه فأعين العالم المحبون منه كان المحبوب ما كان فإن جميع المخلوقين منصات تجلى الحق فودادهم ثابت فهم الأوداء و هو الودود و الأمر مستور بين الحق و الخلق بالخلق و الحق و لهذا أتى مع الودود الاسم الغفور لأجل الستر فقيل قيس أحب ليلى فليلي عن المجلى و كذلك بشر أحب هندا و كثير أحب عزة و ابن الذريح أحب لبنى و توبة أحب الإخيلية و جميل أحب بثينة و هؤلاء كلهم منصات تجلى الحق لهم عليها و إن جهلوا من أحبوه بالأسماء فإن الإنسان قد يرى شخصا فيحبه و لا يعرف من هو و لا يعرف اسمه و لا إلى من ينتسب و لا منزله و يعطيه الحب بذاته أن يبحث عن اسمه و منزله حتى يلازمه و يعرفه في حال غيبته باسمه و نسبه فيسأل عنه إذا فقد مشاهدته و هكذا حبنا الله تعالى نحبه في مجاليه و في هذا الاسم الخاص الذي هو ليلى و لبنى أو من كان و لا نعرف أنه عين الحق فهنا نحب الاسم و لا نعرف أنه عين الحق فهنا نحب الاسم و لا نعرف العين و في المخلوق تعرف العين و تحب و قد لا يعرف الاسم أ يأبى الحب إلا التعريف به أي بالمحبوب فمنا من يعرفه في الدنيا و منا من لا يعرفه حتى يموت محبا في أمر ما فينقدح له عند كشف الغطاء أنه ما أحب إلا الله و حجبه اسم المخلوق كما عبد المخلوق هنا من عبده و ما عبد إلا الله من حيث لا يدري و يسمى معبوده بمناة و العزى و اللات فإذا مات و انكشف الغطاء علم أنه ما عبد إلا الله فالله يقول وَ قَضى رَبُّكَ أي حكم أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و كذلك كان عابد الوثن لو لا ما اعتقد فيه الولهة بوجه ما عبده إلا أنه بالستر المسدل في قوله تعالى الْغَفُورُ الْوَدُودُ لم يعرفه و ليس إلا الأسماء و لذلك قال المعبود الحقيقي في نفس الأمر لما

أضافوا عبادتهم إلى المجالي و المنصات قُلْ سَمُّوهُمْ فإذا سموهم عرفوهم و إذا عرفوهم عرفوا الفرق بين الله و بين من سموه كما تعرف المنصة من المتجلي فيها فتقول هذه مجلى هذا فيفرق

فإن تكن فيه كنت أنتا فهكذا الأمر إن عقلنا
فأنت ما أنت حين أنتا منصة الحق أنت حقا
و قد علمت الذي عبدنا فقد ملكت الذي أردنا
سوى الذي أنت قد علمتا فليس ليلى و ليس لبنى
تشهده منك أنت أنتا إن كنت في حبه بصيرا
سواه فالكل أنت أنتا فما أحب المحب غيرا

فما أعجب القرآن في مناسبة الأسماء بالأحوال ف هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ فهو المحب و هو فعال لما يريد فهو المحبوب لأن المحبوب فعال لما يريد بمحبوبه و المحب سامع مطيع مهياً لما يريد به محبوبه لأنه المحب الودود أي الثابت على لوازم المحبة و شروطها و العين واحدة فإن الودود هنا هو الفعال لما يريد فانظر في هذا التنبيه الإلهي ما أعجبه وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«المجد حضرة المجد»

يدعى صاحبها عبد المجيد و القرآن المجيد و هو كلامه تعالى فهو عينه حضرة المجد و الشرف حضرة الزهو و الصلف

بحرها الكل يغترف فذوو مجدنا فمن
عينه قام ينصرف فإذا ما تمجدت
خادم العز قد وقف لقصور له بها
وهبته حكم النصف فتحلى بحلية
و به قام فالتحف و هبته نصيفها
في عيننا صدف نحن للجوهر المكون

إذا قال المصلي ملك يوم الدين يقول الحق مجدني عبدي أي جعل لي الشرف عليه كما هو الأمر في نفسه فانظر إلى هذا الاعتراف و هو الحق الذي له المجد بالأصالة و الكلام كلامه بلا خلاف فإنه القرآن و قال عن نفسه إنه يقول عند مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ مجدني عبدي و هو تنبيه إلهي من الله

على إن الأمر إضافي فإنه إذا لم يكن هناك من يشرف عليه كونا ثابتا أو عينا كائنة فعلى من يشرف و يتمجد فما أعطاه المجد إلا وجود العبد فما قال الحق في قوله مجدني عبدي إلا حقا

فتمجيدي له المجد التليد فلو زلنا لزال المجد عنه
كذا قال الإله لي المجيد تولد عن وجود القول مني
فجاء لشكرنا منه المزيد و قلناه بعلم و اعتقاد
كما قد كان في الأصل المريد فكان هو المراد بعين قولي
هو الفعال فينا ما يريد له حكم التحكم في وجودي
وجود له فحقق ما أريد و ليس يريد إلا كل ما لا
فكون الكائنات هو الوجود فليس يريد عيني حال كوني
بأن مراده أبدا فقيد فقد شهدت إرادته عليه

فلما قال مجدني عبدي عند قول المصلي ملك يوم الدين علمنا أنه قال أعطاني عبدي المجد و الشرف على العالم في الدنيا و الآخرة لأني جازيت العالم على أعمالهم في الدنيا و الآخرة فيوم الدين هو يوم الجزاء فإن الحدود ما شرعت في الشرائع الأجزاء و ما أصابت المصائب من أصابته الأجزاء بما كسبت يده مع كونه يعفو عن كثير قال تعالى وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ و كذلك ما ظهر من الفتن و الخراب و الحروب و الطاعون فهو كله جزاء بأعمال عملوها استحقوا بذلك ما ظهر من الفساد في البر من خسف و غير ذلك و قحط و وباء و قتل و أسر و كذلك في البحر مثل هذا مع غرق و تجرع غصص لزعزع ريح متلفة قال تعالى ظَهَرَ الْفَسادُ و هو ما ذكرناه و من جنس ما قررناه فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ أي بما عملوا لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا و هذا عين الجزاء و هو في الدنيا هو فيوم الدنيا يوم الجزاء و يوم الآخرة هو يوم الجزاء غير أنه في الآخرة أشد و أعظم لأنه لا ينتج أجرا لمن أصيب و قد ينتج في الدنيا أجرا لمن أصيب و قد لا ينتج فهذا هو الفرقان بين يوم الدنيا و يوم الآخرة و قد تعقب المصيبة لمن قامت به توبة مقبولة و قد يكون في الدنيا حكم يوم الآخرة في عدم قبول التوبة و هو قوله في طلوع الشمس من مغربها إنه لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً فلا ينفع عمل العامل مع كونه في الدنيا فأشبه الآخرة و كذلك أيضا المصاب في الدنيا تكفر عنه مصيبته من الخطايا ما يعلم الله و مصيبة الآخرة لا تكفر و قد يكون هذا الحكم في يوم الدنيا فأشبه الآخرة أيضا و هو قوله في حق المحاربين الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ من قتلهم و صلبهم و قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و نفيهم من مواطنهم و ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ على تلك المحاربة و الفساد جزاء لهم فما كفر عنهم ما أصابهم في الدنيا من البلاء فانظر ما أحكم القرآن و ما فيه من العلوم لمن رزق الفهم فيه فكل ما هم فيه العلماء بالله ما هو إلا فهمهم في القرآن

خاصة فإنه الوحي المعصوم المقطوع بصدقه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه فتصدقه الكتب المنزلة قبله و لا من خلفه و لا ينزل بعده ما يكذبه و يبطله فهو حق ثابت و كل تنزل سواه في هذه الأمة و قبلها في الأمم فيمكن أن يأتيه الباطل من بين يديه فيعثر صاحبه على آية أو خبر صحيح يبطل له ما كان يعتمد عليه من تنزيله و هو قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة أن يشهدا له بذلك بأنه حق من عند الله و يأتيه من خلفه أي لا يعلم في الوقت بطلانه لكن قد يعلمه فيما بعد فهو نظير قوله في القرآن لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ فأي مجد أعظم من هذا المجد الذي اعترف به العبد لربه بأن شهد له بأنه الملك في يوم الدين و الخلق ملكه الذي تظهر فيه أحكامه ثم إنه قد علمنا بالخبر الصدق أن أعمال العباد ترجع عليهم فلا بد أن يرجع عليهم هذا المجد الذي مجدوا الحق به فيكون لهم في الآخرة المجد الطريف و التليد فرجوع أعمالهم عليهم اقتضته حقيقة قوله وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ بعد ما كانت الدعاوي الكيانية قد أخذته و أضافته إلى الخلق فمن رجوع الأمر كله إليه رجعت أعمال العباد عليهم فالعبد بحسب ما عمل فهو المقدس إن كان عمله تقديس الحق و هو المنزه بتنزيهه و المعظم بتعظيمه و لما لحظ من لحظ من أهل الكشف هذه الرجعة عليه قال سبحاني فأعاد التنزيه عليه لفظا كما عاد عليه حكما و كما قال الآخر في مثل هذا أنا الله فإنه ما عبد إلا ما اعتقده و ما اعتقد إلا ما أوجده في نفسه فما عبد إلا مجعولا مثله فقال عند ما رأى هذه الحقيقة من الاشتراك في الخلق قال أنا لله فأعذره الحق و لم يؤاخذه فإنه ما قال إلا علي كما قال من أخذه الله تعالى نَكالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولى‏ و أما من قالها بحق أي من قال ذلك و الحق لسانه و سمعه و بصره فذلك دون صاحب هذا المقام فمقام الذي قال أنا الله من حيث اعتقاده أتم ممن قالها بحق فإنه ما قالها إلا بعد استشرافه على ذلك فعلم من عبد و الفضل في العلم يكون و الله يقول الحق و هو يهدي السبيل

«الحياء حضرة الحياء»

إن الحياء لباب الله مفتاح	و إن سرى لذاك الفتح فتاح
فإن فتحت ترى نورا يضيء به	وجه جميل علاه النور وضاح
كأنه في ظلام الليل إن نظرت	عيناك صورته صبح و مصباح

يدعى صاحبها عبد الحي أو عبد المستحيي ورد في الخبر أن الله حيي لكن للحياء موطن خاص فإن الله قد قال في الموطن الذي لا حكم للحياء فيه إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً أي لا يترك ضرب المثل بالأدنى و الأحقر عند الجاهل فإنه ما هو حقير عند الله و كيف يكون حقيرا من هو عين الدلالة على الله فيعظم الدليل بعظمة مدلوله ثم إن رسول الله ص نطق من هذه الحضرة بقوله الحياء من الايمان و الايمان نصف صبر و نصف شكر و الله هو الصبور الشكور و من هذه الحضرة من اسمه المؤمن شكر عباده على ما أنعموا به على الأسماء الإلهية بقبولهم لآثارها فيهم و صبر على أذى من جهله من عباده فنسب إليه ما لا يليق به و نسبوا إليه عدوا بغير علم كما أخبرنا عنهم فصبر على ذلك و لا شخص أصبر على أذى من الله لاقتداره على الأخذ فهو المؤمن الكامل في إيمانه بكمال صبره و شكره و من أعجب شكره أنه

شكر عباده على ما هو منه ثم إنه تعالى من حيائه إنه يؤتى بشيخ يوم القيامة فيسأله و يقرره على هناته و زلاته فينكرها كلها فيصدقه و يأمر به إلى الجنة فإذا قيل له سبحانه في ذلك يقول إني استحييت أن أكذب شيبته فأما تصديقه من كون الحياء من الايمان و هو المؤمن فإنه صدق من قبوله لما خلق الله فيه من المعاصي و الذنوب و كل ما خلق الله فيه لو لا قبوله ما نفذ الاقتدار فيه و أما قوله ص و هو الحياء لا يأتي إلا بخير و الله حيي فأتاه من حيائه بخير و أي خير أعظم من أن يستر عليه و لم يفضحه و غفر له و تجاوز عنه و إن العبد إذا قامت به هذه الصفات الإلهية فمن هذه الحضرة تأتيه و منها يقبلها فإنه لكونه على الصورة الإلهية يقبل من كل حضرة إلهية ما تعطيه لأن لها وجها إلى الحق و وجها إلى العبد و كذلك كل حضرة تضاف إلى العبد مما يقول العلماء فيها تضاف إلى العبد بطريق الاستحقاق و الأصالة و إن كنا لا نقول بذلك فإن لكل حضرة منها أيضا وجهين وجها إلى الحق و وجها إلى العبد فانتظم الأمر بين الله و بين خلقه و اشتبه فظهر في ذلك الحق بصفة الخلق و ظهر الخلق بصفة الحق و وافق شن طبقة فضمه و اعتنقه و الله غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ فظهر في ذلك التعانق و التوافق لام الألف فكان ذلك العقد و الرباط و أخذ العهود و العقود بين الله و بين عباده فقال تعالى وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«السخي حضرة السخاء»

إن السخي هو الذي يعطي على	قدر الذي يحتاجه المخلوق
لا زائد فيه و لا نقص لذا	قد عينت فيه عليه حقوق
ليس السخي الذي يعطي مجازفة	إن السخي الذي يعطي على قدر
و ليس نعت الذي كان الوجود به	لكنه من نعوت الخلق و البشر
و إنما سقته لله حين أتت	به النصوص التي جاءتك في الخبر
فكن به عالما فمن حقيقته	أن لا يقوم به شيء من الغير
فإن صورته في طي صورتنا	و إن سورته تربى على السور

يدعى صاحبها عبد السخي و هي من حضرات العطاء و السخاء العطاء بقدر ما يحتاج إليه المعطي إياه فلا يكون إلا عن سؤال إما بلسان حال أو بلسان مقال و إذا كان بلسان المقال فلا بد من لسان الحال و إلا فليس بمحتاج و حضرات العطاء كثيرة منها الوهب و الجود و الكرم و السخاء و الإيثار و هو عطاء الفتوة و قد بيناه في هذا الكتاب في باب الفتوة و في كتاب مواقع النجوم في عضو اليد الذي ألفناه بالمرية من بلاد الأندلس سنة خمس و تسعين و خمسمائة عن أمر إلهي و هو كتاب شريف يغني عن الشيخ في تربية المريد ثم ترجع فنقول الوهب في العطاء هو لمجرد الإنعام و هو الذي لا يقترن به طلب معارضة إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً فهو موصل أمانة كانت بيده و الكرم عطاء بعد سؤال و الجود عطاء قبل السؤال و السخاء عطاء بقدر الحاجة و الإيثار عطاؤك ما أنت محتاج إليه في الحال و هو الأفضل و في

الاستقبال و هو دون المعطي في الحال و لكل عطاء اسم إلهي إلا الإيثار فالله تعالى وهاب كريم جواد سخي و لا يقال فيه عز و جل مؤثر و قد قررنا أنه عالم بكل شيء فكيف يكون السخاء عطاء عن سؤال بلسان الحال و هو القائل عز و جل أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ فما ترك لمخلوق ما يحتاج إليه من حيث ما هو مخلوق تامفاعلم إن ثم تماما و كمالا فالتمام إعطاء كل شيء خلقه و هذا لا سؤال فيه و لا يلزم إعطاء الكمال و يتصور السؤال و الطلب في حصول الكمال فإنها مرتبة و المرتبة إذا أوجدها الحق في العبد أعطاها خلقها و ما هي من تمام المعطي إياه و لكنها من كماله و كل إنسان و طالب محتاج إلى كمال أي إلى مرتبة و لكن لا يتعين فإنه مؤهل بالذات لمراتب مختلفة و لا بد أن يكون على مرتبة ما من المراتب فيقوم في نفسه أن يسأل الله في أن يعطيه غير المرتبة لما هو عليه من الأهلية لها فيتصور السؤالفي الكمال و هو مما يحتاج إليه السائل في نيل غرضه فإنه من تمام خلق الغرض أن يوجد له متعلقة الذي يكون به كماله فإن تمامه تعلقه بمتعلق ما و قد وجد فإن أعطاه الله ما سأله بالغرض فقد أعطاه ما يحتاج إليه الغرض و ذلك هو السخاء فإن السخاء عطاء على قدر الحاجة و قد يعطيه الله ابتداء من غير سؤال نطق لكن وجود الأهلية في المعطي إياه سؤال بالحال كما تقول إن كل إنسان مستعد لقبول استعداد ما يكون به نبيا و رسولا و خليفة و وليا و مؤمنا لكنه سوقة و عدو و كافر و هذه كلها مراتب يكون فيها كمال العبد و نقصهقال ص كمل من الرجال كثيرون و لم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران و آسية امرأة فرعونو كل شخص ما عدا هؤلاء مستعد بإنسانيته لقبول ما يكون له به هذا الكمال فبالأهلية هو محتاج إليه و للحرمان وجد السؤال بالحال فحضرة السخاء فيها روائح من حضرة الحكمة فإن الله عز و جل ما منع إلا لحكمة و لا أعطى إلا لحكمة وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ في المنع و العطاء وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الطيب حضرة الطيب»

طابت بطيب الطيب الأشياء و لذا له الأوصاف و الأسماء
أسماؤه الحسنى التي قد عينت ما عندها سوء و لا أسواء
ما طيب الطيب إلا كون خالقنا سميته طيبا و فيه إجمال
من ذاقه ذاق طعم الشهد فيه كما من لم يذق ما له علم و لا حال
إن قال ما هو هذا العلم قلت له إن الشيوخ بهذا القول قد قالوا
و لا ترد الذي قالوه إن له وجها صحيحا إليه القوم قد مالوا
ما طيب الذكر إلا طيب نشأتنا في صورة الحق و الأعمال أموال

يدعى صاحبها عبد الطيب فالطيب من يميز الخبيث من الطيب فيجعل الطيبين للطيبات و الطيبات للطيبين من كونه طيبا و يجعل الخبيثين للخبيثات و الخبيثات للخبيثين من كونه حكيما فإنه هو الجاعل للأشياء و المميز بين الأشياء و الأحكام ف يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلىٰ بَعْضٍ

فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ فلا تزال أمه هاوية دائما و عليون للطيبين فلا يزال يعلو دائما و كل عال و كل هاو و إنما يطلب ربه فالهاوي عارف بربه في جهة خاصة تلقا من الرسول لما سمعهيقول لو دليتم بحبل لهبط على اللهو هنا سر لو بحثت عليه ظفرت به فاقتضى مزاج الخبيث و استعداده أنه لا يطلب ربه إلا من هذه الجهة و هو الخبيث و جهنم البعيدة القعر فهويهوى فيها يطلب ما ذكرناه و الطيب الصاعد عارف بربه في جهة خاصة تلقاها من الرسول لما سمعه يقول عن الله سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فاقتضى مزاج الطيب و استعداده أنه لا يطلب ربه إلا من هذه الجهة و هو الطيب و العلو لا نهاية له إلا الله كما الهوى لا نهاية له إلا الله و الذي لا يتقيد بصفة كأبي يزيد يطلبه في الإحاطة بجميع الجهات الست لأنه بكل شيء محيط فيطلبه في العلو و الهوى و اليمين و الشمال و الخلف و الأمام و كل هذا الجهات فهي عين الإنسان ما ظهرت إلا به و فيه فهو الذي حد ربه بالإحاطة فأكمل الأناسي من لم يحكم عليه جهة دون جهة و دونه من حكمت عليه جهة خاصة فالكامل له الظهور في كل صورة و غير الكامل هو بما تقيد به بها فقوله لا صفة له يعني لا تقييد له بأمر خاص بل له العموم بالظهور فإنه ما يمكن أن يخلو معلوم عن حد في نفسه و أعلى الحدود الإطلاق و هو تقييد فإنه قد تميز بإطلاقه عن المقيد كما تميز مقيد عن مقيد فالخلق و إن كان له السريان في الحق فهو محدود بالسريان و الحق و إن كان له السريان في الخلق فهو محدود بالسريان و هذا كان مذهب أبي مدين رحمه الله و كان ينبه على هذا المقام بقوله الأمي العامي سر الحياة سرى في الموجودات كلها فتجمدت به الجمادات و نبتت به النباتات و حييت به الحيوانات فكل نطق في تسبيحه بحمده لسر سريان الحياة فيه فهو و إن كان رحمه الله ناقص العبارة لكونه لم يعط فتوح العبارة فإنه قارب الأمر ففهم عنه مقصوده و إن كان ما وفاه ما يستحقه المقام من الترجمة عنه فهذا معنى الطيب و إنه من أسماء التقييد وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«المحسان حضرة الإحسان»

حضرة المحسان إحسان و هو في التحقيق إنسان
و لذا من الشهور له ما يقال فيه نيسان
إذا رأيت الذي بالفعل تعبده فأنت صاحب إحسان وإيمان
و إن جهلت و لم تعلم برؤيتكم إياه فاعمل على إحسانه الثاني
و إنما جمع الرحمن بينهما لكي يقابل إحسانا بإحسان
و الكل من عنده إن كنت تعرفه و لست أعرفه إلا إن أغناني
طال انتظاري لما يأتيه من قبلي قولا و فعلا و هذا الأمر أعياني

يدعى صاحبها عبد المحسن و إن شئت عبد المحسانقال جبريل ع لرسول الله ص ما الإحسان فقال رسول الله ص الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لا تراه فإنه يراكو في رواية فإن لم تكن تراه فإنه يراكفأمره أن يخيله و يحضره في خياله على قدر علمه به فيكون محصورا له و

قال تعالى هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ فمن علمقوله إن الله خلق آدم على صورته هو علمقوله ع من عرف نفسه عرف ربه هو علم قوله تعالى وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ و قوله سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ علم بالضرورة أنه إذا رأى نفسه هذه الرؤية فقد رأى ربه بجزاء الإحسان و هو أن تعبد الله كأنك تراه إلا الإحسان و هو أنك تراه حقيقة كما أريته نفسك فالصورة الأولى الإلهية في العبادة مجعولة للعبد من جعله فهو الذي أقامها نشأة يعبدها عن أمره عز و جل له بذلك الإنشاء فجزاؤه أن يراه حقيقة جزاء وفاقا في الصورة التي يقتضيها موطن ذلك الشهود كما اقتضى تجليه في الصورة الإلهية المجعولة من العبد في موطن العبادة و التكليف فإن الصور تتنوع بتنوع المواطن و الأحوال و الاعتقادات من المواطن فلكل عبد حال و لكل حال موطن فبحاله يقول في ربه ما يجده في عقده و بموطن ذلك الحال يتجلى له الحق في صورة اعتقاده و الحق كل ذلك و الحق وراء ذلك فينكر و يعرف و ينزه و يوصف و عن كل ما ينسب إليه يتوقف فحضرة الإحسان رؤية و شهود وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الدهر حضرة الدهر»

و ما لديه امان الدهر عين الزمان
فليس إلا العيان فإن يكن عين قلبي
قديم و ما دهري يحد بأزمان إذا كان دهري عين ربي فإنه
ذليل فقير ذو جفاء و نقصان و ما سبه إلا جهول بقدره
لجوزي بما جوزي به نجل عدنان و لو كان علا ما به و بفعله
يراه عيانا ذا بيان و تبيان وكان لذاك العلم صاحب مشهد
و نعمه منه لهيب ببركان فسبحان من أحياه بعد مماته

يدعى صاحبها عبد الدهر و قال رسول الله ص لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر فجعل الدهر هوية الله فصدق القائلون في قولهم وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ فإنه ما يهلكهم إلا الله فإنهم جهلوا في قولهم ما هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا نَمُوتُ وَ نَحْيا أي نحيي فيها ثم نموت و صدقوا في قولهم بعد ذلك وَ ما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ فصدقوا فإن الدهر هو الله و جهلوا في اعتقادهم فإنهم ما أرادوا إلا الزمان بقولهم الدهر فأصابوا في إطلاق الاسم و أخطئوا في المعنى و هم ما أرادوا إلا المهلك فأصابوا في المعنى و وافقوا الاسم المشروع توفيقا من الله و لم يقولوا الزمان أو ربما لو قالوا الزمان لسمى الله نفسه بالزمان كما سمي نفسه بالدهر و الدهر عبارة عما لا يتناهى وجوده عند مطلقي هذا الاسم أطلقوه على ما أطلقوه فالدهر حقيقة معقولة لكل داهر و هو المعبر عنه بحضرة الدهر و هو قولهم لا أفعل ذلك دهر الداهرين و هو عين أبد الآبدين فللدهر الأزل و الأبد أي له هذان الحكمان لكن معقولية حكمه عند الأكثر في الأبد فإنهم اتبعوه الأبد فلذلك يقول القائل منهم دهر الداهرين و قد يقول بدله أبد الآبدين

فلا يعرفونه إلا بطرف الأبد لا بطرف الأزل و من جعلها لله فله حكم الأزل و الأبد فاعلم ذلكو من هذه الحضرة ثبت حكم الأزل و الأبد لمن وصف به و إن عين العالم لم يزل في الأزل الذي هو الدهر الأول بالنسبة إلى ما نذكره ثابت العين و لما أفاده الحق الوجود ما طرأ عليه الإحالة الوجود لا لأمر آخر فظهر في الوجود بالحقيقة التي كان عليها في حال العدم فتعين بمجال وجود العالم الطرف الأول المعبر عنه بالأزل و ليس إلا الدهر و تعين حال وجود العالم بنفسه و هو زمان الحال و هو الدهر عينه ثم استمر له الوجود إلى غير نهاية فتعين الطرف الآخر و هو الأبد و ليس إلا الدهر فمن راعى هذه النسب جعله دهور أو هو دهر واحد و ليس إلا عين الوجود الحق بأحكام أعيان الممكنات أو ظهور الحق في صور الممكنات فتعين إن الدهر هو الله تعالى كما أخبر عن نفسه على ما أوصله إلينا رسوله صفقال لنا لما سمع من يسب الدهر لكونه لم يعطه أغراضه فقال لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر لأنه المانع وجود ما لكم في وجوده غرض و لهذا سمي بالمانع و له حضرة في هذا الباب في هذا الكتاب مذكورة فتوليد العالم إنما هو للزمان و هو الدهر يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ فيتناكحان فيلد النهار جميع ما يظهر فيه من الأعيان القائمة بأنفسها و غير القائمة بأنفسها من الأجسام و الجسمانيات و الأرواح و الروحانيات و الأحوال فيظهر كل روحاني و جسماني من كل اسم رباني و يظهر كل جسم و روح من الاسم الرب لا من الاسم الرباني وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ فيتناكحان فيلد الليل مثل ما ولد النهار سواء على حد ما مضى و هذا المعبر عنه بالليل و النهار سدنة الدهر و الإيلاج و التكوير و الغشيان و هو قوله يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ من كور العمامة و يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ فهذه مقاليد الدهر الذي لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ و هو الناكح و الأرض و هو المنكوح فمن علا من هذين الزوجين فله الذكورية و هو السماء و من سفل من هذين الزوجين فله الأنوثة و هو الأرض و نكاحهما المقلاد و الإقليد الذي به يكون الفتح فيظهر ما في خزائن الجود و هو الدهر فهكذا وجد العالم عن نكاح دهري زماني ليلي و نهاري فإن علا ماء الناكح ماء المنكوح أذكر فظهرت الأرواح الفاعلة و إن علا ماء المنكوح ماء الناكح أنثى فظهرت الجثث الطبيعية القابلة للانفعال المنفعلة

فهكذا كانت الأمور … و أظهرت حكمها الدهور
فكل أمر يخصه اسم … كان له الكون و الصدور
ثم إلى الله بعد هذا … تصير في سيرها الأمور
فكل جسم له ظلام … و كل روح لديه نور
إذا انطوى ظله و يخفى … في ذاته ذلك النفور
لم يعدم الله عين شيء … أبداه لكنه يبور
فخلقه لم يزل جديدا … في كل أوقاته يثور
لو لا وجود النكاح فيه … ما كان للعالم الظهور

و لا لأعيانها نشور   و لا لأسمائه احتكام

و أنجم عنده تغور   فأنجم منه طالعات

و طالب الثأر ما يجور   كأنها طالبات ثار

على الذي قلته دور   فالكون في ليل أو نهار

«الصاحب حضرة الصحبة»

و لو تحكم في بريء و أوجاعي   الصاحب الحق ليس الصاحب الداعي

و يدعي أنه مني ي كأسماعي   و إن صاحبها يبغي مصاحبتي

فأصحب الرحمن لا تصحب سواه   صحبة الرحمن فيها أدب

إن يراه فيرى فيه مناه   يتمناه الذي يصحبه

ما لعبد فيه إلا ما نواه   عجبا فيه و في رؤيته

و أبي ذلك في الحق عماه   بذل المجهود كي يبصره

إنه حقا على هذا بناه   لو دري الإنسان من غيرته

يدعى صاحبها عبد الصاحب قال رسول الله ص في دعائه ربه أنت الصاحب في السفر و قال تعالى مصدقا له فيما سماه به من الصاحب وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فهو الصاحب على كل حال مع العبد في أينيته

و في الأرض يحكم   فهو الله في السماء

فاحذروا منه واعلموا   و إذا كان هكذا

عادل ليس يظلم   أنه عالم بكم

و ذلك أن الله تعالى حد حدود العبادة عقلية و شرعية معللة و غير معللة فما عقلت علته منها سميناها عقلية و ما لم تعقل علته سميناها تعبد أو عبادة شرعية فهو مع عباده المكلفين يحفظ عليهم أنفاسهم في حدوده و هو مع من ليس بمكلف ينظر ما يفعل معه المكلفون بأن لا يتعدوا حدوده فهو مع كل شيء بهذه المثابة في الدنيا و أما في الآخرة فما هو معهم إلا لحفظ أنفاسهم و لما يوجده فيهم فإنهم محل الانفعال لما يريد إيجاده فلا يزال يوجد له تعالى و لهم فله من حيث ما يسبحه الموجود بحمده في شيئية وجوده فإنها النعمة الكبرى فتسبيحه الحمد لله المنعم المفضل و أما كونه يوجد لهم فلما يحصل لهم من المنفعة بسبب ذلك الموجود و ما يليق به فيعود نفعه عليهم و يعود تسبيحه عليه تعالى هكذا دائما ثم إن العالم لا يزال مسافرا أبدا فالله صاحبه أبدا فهو بعينه يسافر من حال إلى حال و من مقام إلى مقام و الحق معه صاحبه و للحق

الشئون كما قال تعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فالحق أيضا له من شأن إلى شأن فشئون الحق هي أحوال المسافرين يجدد خلقها لهم في كل يوم زمان فرد فلا يتمكن للعالم استقرار على حال واحدة و شأن واحد لأنها أعراض و الأعراض لا تبقى زمانين مطلقا فلا وجود لها إلا زمان وجودها خاصة ثم يعقبها في الزمان الذي يلي زمان وجودها الأمثال أو الأضداد فأعيان الجواهر على هذا لا تخلو عن أحوال و لا خالق لها إلا الله فالحق في شئون أبدا فإنه لكل عين حال فللحق شئون و لنا أحوال فالصحبة دائمة غير منقطعة و شئون حاكمة إلى غير نهاية و لا بلوغ غاية و ذلك من المرتبة التي صح لنا فيها أولية الظهور ثم استمر السير و تمادى السفر و الانتقال من بلد إلى بلد و من مكان إلى مكان و من مكانة إلى مكانة لكل موجود من العالم فلنعين من ذلك ما يختص بهذا النوع الإنساني فأوجده بكله ظاهر صورته و باطنها أجزاء العالم فظهر بعينه في كونه بعد أن كان يدور في أطوار العالم من عالم الأفلاك و الأركان و لكن مختلف الأحوال مفترق الأجزاء غير معين بهذا الشيء الخاص فالتأمت أجزاؤه و الحق صاحبه في كل حال من أحوال تنقلاته و كيف لا يصحبه و هو خالق تلك الأحوال التي ينقله فيها و الأطوار فأظهر عينه مجموعا لم يبق منه شيئا في غير ذاته ثم جعل ما جعل فيه يستحيل من صورة إلى صورة و هو أيضا سفر و يمده بمثل ما زال عنه و سافر أو بضده لتبقى عين جمعيته فصار الإنسان منزلا من منازل الوجود يسافر منه و يسافر إليه و ليس لكل مسافر إليه إذا وصل و نزل به سوى جائزته ليلة واحدة و هي الزمن الفرد و يرحل و لا يرد عليه حال من الأحوال إلا و الحق صاحب لذلك الوارد فيتعين على هذا المحل الذي هو الإنسان في كل نفس عند ورود كل حال كرامتان كرامة و ضيافة لذلك الوارد بحسب مكانته من ربه و ما تعطيه حقيقته و الإنسان قادر على إجازته و القيام بحرمته و كرامته و ضيافته و لسرعة ارتحاله تكون المسارعة إلى أداء جائزته و الكرامة الأخرى المتعينة عليه كرامة صاحبه الواصل معه و هو الله الصاحب في السفر فينظر بأي اسم إلهي وصل فذلك الاسم الإلهي هو صاحبه فينظر ما يستحقه ذلك الاسم الإلهي من الجلال و التعظيم و التمجيد و التحميد فيكرمه و يضيفه بها فتلك كرامته و يبادر إلى ذلك في الزمان الواحد لأن الإنسان مجموع و الرحلة سريعة فيعين لكل واحد أعني للحال الوارد و للصاحب معه و هو الاسم الإلهي الذي يحفظه من نفسه ما يستحق أن يقوم بما يتعين للحق عليه من الكرامة و يعين من نفسه أيضا حقيقة أخرى مناسبة للوارد تقوم بخدمته إلى أن يرحل عنه فالإنسان منزل و مناخ للمسافرين من الأحوال و هو في نفسه مسافر أيضا فله مع الله صحبة دائمة لسفره و له تلقى كل وارد عليه من الله مع صاحبه من الأسماء الإلهية فيتعين عليه في كل نفس خمسة حقوق يطالب بالقيام بها حق الوارد عليه و حق صاحبه و حق المسافر عنه في تسفيره و حق صاحبه و الحق الخامس حق الله تعالى و هو صاحبه الملازم له في سفره فإنه الصاحب في السفر كما هو الخليفة في الأهل فما خلق الله أتعب خاطر و لا قلب من أهل الكشف و الحضور العارفين بالله من أهل الله أهل الشهود لهذه الأمور فيتخيل من لا معرفة له بالأمور أن العارف في راحة لا و الله بل هو أشد عذابا من كل أحد فإنه لا يزال في كل نفس يطلب نفسه مطلوبا من أجل ما أشهده الله ما أشهده بأداء هذه الخمسة الحقوق و لولا أن الله يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ برحمته التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و إن من رحمة الله أعطى الله هذا العبد من الاتساع و كثرة الوزعة و الخدام ما يستعين بهم على

أداء هذه الحقوق ما قدر الإنسان على أداء شيء منها و لا يطالب بهذه الحقوق كلها إلا من أشهده الله عين ما ذكرناه كما قال إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ كما يعين في الإنسان الواحد في إنزال القرآن أنه بلاغ من وجه و انذار من وجه و إعلام بتوحيد من وجه و تذكرة لما نسيه من وجه و المخاطب بهذا كله واحد العين و هو الإنسان قال تعالى هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ فهو بلاغ له من كونه من الناس وَلِيُنْذَرُوا به من كونه على قدم غرور و خطر فيحذروا وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ أي يفعل ما يريد ما ثم آخر يرده عن إرادته فيك و يصده وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ بما أشهدهم به على نفسه أنه ربه ليقوم بما يجب على المملوك من حق سيده الذي أقر له بالملك و لهذا العبد إذا اشتراه الإنسان من غيره فمن شرطه أن يقر العبد لبايعه بالملك و لا يسمع مجرد دعواه في أنه مالك له و لا يقوم على العبد حجة بقول سيده ما لم يعترف هو بالملك له و يغفل عن هذا القدر كثير من الناس فإن الأصل الحرية و استصحاب الأصل مرعي و بعد الاعتراف بالملك صار الاسترقاق في هذه الرقبة أصلا يستصحب حتى يثبت الحرية إن ادعاها هكذا هو الأمر قال تعالى وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلىٰ فثبت الاسترقاق لله عليهم فطولبوا بالوفاء بحق العبودية لهذا الإقرار فهو قوله وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ فإن التذكر لا يكون إلا عن علم متقدم منسي فيذكره من يعلم ذلك فالله مع الخلق هو الصاحب المجهول لغيبتهم عن شهود هذه الصحبة فلا يطالبون بحق ما يختص به و الذي يشهده إيمانا أو عيانا يطالب بذلك فالعالم المحجوب للغيبة يخاف من المعاصي و العارف للشهود يخاف من الكفر و هو الستر يقول سدل الحجاب بعد الكشف نسأل الله عصمة واقية و هي الشهود الدائم فإنه مباح له جميع ما يتصرف فيه من هذا حاله فإنه إذا كان العبد المذنب في عقب ذنبه يعلم أن له ربا يغفر الذنب و يأخذ بالذنب علم إيمان و قد أبيح له و رفع الحجر عنه في تصرفه فما ظنك بصاحب الشهود الذي يرى من يفعل به و فيه و ما ينفعل و صدور الأعيان من حضرة من تصدر فافهم و تأمل ترشد وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فإني ما ترجمت لك إلا عن شرع مستقر و دين كالصباح الأبلج لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الخليفة حضرة الخلافة»

لذا تحملت ما فيها من الضرر	إن الخلافة سر الله في البشر
فلا أخاف و لا أخشى من الغير	أنا الخليفة ما عندي سوى نفسي
بصورة الحق ملكا كان أو بشرا	خليفة الحق في الأكوان من ظهرا
ابنا وجدا و هذا كله ذكرا	فكان من قد أتى نص الكتاب به
و كان حقا و لم يلحق به غيرا	و كان يجهل في الأعيان رتبته
لذاته سجدا لقلت ذا سحرا	فلو تراه و قد خرت ملائكة
و لم يزل خاسئا مثل الذي كفرا	و من أبي نزلت في الحال رتبته

يدعى صاحبها عبد الخليفة قال رسول الله ص في دعائه ربه في سفره أنت الصاحب في السفر و قد مضى فيه القول و الخليفة في الأهل فسماه خليفة لما استخلفه أي بين أنه الخليفة أي الذي يخلف المسافر في أهلة فهو خليفةبالنظر إلى المفارق أهله بسفره و هو صاحب للمقيمين أهل هذا المسافر فنحن نتكلم فيه من حيث إنه خليفة فهو القائم فهو القائم عَلى كُلِّ نَفْسٍ فإن الرجال قَوّٰامُونَ عَلَى النِّساءِ فسافروا عن أهليهم فاستخلفوا الحق فيهم ليقوم عليهم بما كان يقوم به عليهم صاحبهم و أوفى فمن هذه الحضرة أيضا جعل الله الخلفاء في الأرض واحدا بعد واحد لا يصح ولاية اثنين في زمان واحد قال ص إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما و لا نشك أن النبي ص أخبرنا أن الله هو خليفة المسافر في أهله بجعله لا بجعل المسافر بخلاف الوكالة و سترد حضرة الوكالة إن شاء الله فما جعل الحق نفسه خليفة في أهل المسافر إلا و له حكم ما هو عين الحكم الذي له فيهم من كونه إلها لهم و خالقا و ربا و رازقا و كونهم مألوهين له و مخلوقين و مرزوقين و مربوبين فما عين الله للرجل أو القائم في أصله من الحقوق التي لهم عليه فإن الله يتكفل لهم بذلك ما دام مسافرا غائبا عن أهله و ما يفعله معهم من الإنعام و غير ذلك مما لا يجب على الرجل لأهله عليه فهو من حضرة أخرى لا من حضرة الخلافة بل من حضرة الوهب أو الكرم أو الجود أو غير ذلك و مما يجب للأهل على القائم بهم مما هو خارج عن مئونتهم حفظ الأهل و صيانته و الغيرة عليه فمن خلف غائبا بسوء في أهله فقد أتى بابا من أبواب الكبائر فإنه انتهك حرمة الخليفة في الأهل و غره حلمه و إمهاله و ما علم سر الله في ذلك من خير يعود على الغائب فإنه مؤمن و ما يقضي الله لمؤمن بقضاء إلا و له فيه خير و كذلك هذا المنتهك من حيث إنه انتهك حرمة الغائب فله فيه خير التبديل لكونه مؤمنا و من حيث إنه منتهك حرمة الخليفة فأمره إلى الله لا أحكم عليه بشيء إلا أنه في محل الرجاء و الخوف من غير ترجيح أ لا ترى إلى موسى ع كيف قال بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي من بَعْدِي و هذا خطاب خارج عمن استخلفه في قومه و هو هارون فسماهم خلفاء و ما استخلفهم لكنه لما تركهم خلفه و سار إلى ربه سماهم بهذا الاسم فاجعل بالك لما تقتضيه هذه الحضرة بما نبهتك عليه و الله الموفق لا رب غيره

«الجميل حضرة الجمال»

إن الجميل الذي الإحسان شيمته هو الذي تعرف الأكوان قيمته

إذا يراه الذي فينا يحببه يرى الوجود فيبدي فيه حكمته

يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الجميلقال رسول الله ص للرجل الذي قال له يا رسول الله إني أحب أن يكون نعلي حسنا و ثوبي حسنا فقال له ص إن الله جميل يحب الجمال خرجه مسلم في صحيحه في كتاب الايمانو

في حديث عنه ص الله أولى من تجمل لهو من هذه الحضرة أضاف الله الزينة إلى الله و أمرنا أن تتزين له فقال خُذُوا زِينَتَكُمْ و هي زينة الله عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ يريد وقت مناجاته و هي قرة عين محمد ص و كل مؤمن لما فيها من الشهود فإن الله في قبلة المصلي و قد قال اعبد الله كأنك تراهو لا شك أن الجمال محبوب لذاته فإذا انضاف إليه جمال الزينة فهو جمال على جمال كنور على نور فتكون محبة على محبة فمن أحب الله لجماله

و ليس جماله إلا ما يشهده من جمال العالم فإنه أوجده على صورته فمن أحب العالم لجماله فإنما أحب الله و ليس للحق منزه و لا مجلى إلا العالم و هنا سر نبوي إلهي خصصت به من حضرة النبوة مع كوني لست بنبي و إني لوارث

إلا أنا و الذي في الشرع نتبعه إني خصصت بسر ليس يعلمه
لله نتبعه فيما يشرعه ذاك النبي رسول الله خير فتى

فأوجد الله العالم في غاية الجمال و الكمال خلقا و إبداعا فإنه تعالى يحب الجمال و ما ثم جميل إلا هو فأحب نفسه ثم أحب أن يرى نفسه في غيره فخلق العالم على صورة جماله و نظر إليه فأحبه حب من قيده النظر ثم جعل عز و جل في الجمال المطلق الساري في العالم جمالا عرضيا مقيدا يفضل آحاد العالم فيه بعضه على بعض بين جميل و أجمل و راعى الحق ذلك على ما أخبر نبيه ص فقال المؤمن لرسول الله ص الحديث الذي ذكرناه في هذا الباب الذي خرجه مسلم في صحيحهإن الله جميلفهو أولى أن تحبه إذ و قد أخبرت عن نفسك إنك تحب الجمال و أن الله يحب الجمال فإذا تجملت لربك أحبك و ما تتجمل له إلا باتباعي فاتباعي زينتك هذا قوله ص قال الله تعالى قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهأي تزينوا بزينتي يحببكم الله فإن الله يحب الجمال فأعذر الله المحبين بهذا الخبر لأن المحب لا يرى محبوبه إلا أجمل العالم في عينه فما أحب إلا ما هو جمال عنده لا بد من حكم ذلك ألا ترى إلى قوله أَ فَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فما رأى سوء العمل حسنا و إنما رأى الزينة التي زين له بها فإذا كان يوم القيامة و رأى قبح العمل فر منه فيقال له هذا الذي كنت تحبه و تتعشق به و تهواه فيقول المؤمن لم يكن حين أحببته بهذه الصورة و لا بهذه الحلية أين الزينة التي كانت عليه و حببته إلي ترد عليه فإني ما تعلقت إلا بالزينة لا به لكن لما كان محلها كان حبي له بحكم التبع فيقول الله لهم صدق عبدي لو لا الزينة ما استحسنه فردوا عليه زينته فيبدل الله سوءه حسنا فيرجع حبه فيه إليه و يتعلق به فما قال الحق هذا القول أعني زين له سوء عمله إلا ليلقن عبده الحجة إذا كان فطنا فلا ينبغي للمؤمن الكيس أن يهمل شيئا من كلام الله و لا كلام المبلغ عن الله فإن الله تعالى يقول فيه وَمٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰو قد ذم قوما اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً و هم في هذا الزمان أصحاب السماع أهل الدف و المزمار نعوذ بالله من الخذلان

لكنما الدين بالقرآن و الأدب ما الدين بالدف و المزمار و اللعب
ذاك السماع و أدناني من الحجب لما سمعت كتاب الله حركني
إلا الذي شاهد الأنوار في الكتب حتى شهدت الذي لا عين تبصره
يوم الخميس بلا كد و لا نصب هو الذي أنزل القرآن في خلدي
إلى فؤادي فنادتني على كثب إلا عناية ربي حين أرسلها
في المذنبين و أنت السر في النصب أنت الإمام الذي ترجى شفاعته

و لا أتوا ما أتوا به من القرب　　لولاك ما عبدوا نجما و لا شجرا

فإن كلام المبلغ عن الله ما جاء به إلا رحمة بالسامع و هو إن كان فطنا كان له و إن كان حمارا كان عليه و لما كان الجمال يهاب لذاته و الحق لا يهاب شيئا و قد وصفه العالم ص بأنه جميل و الهيبة تجعل صاحبها أن يترك أمورا كان في نفسه في وقت حديث النفس أن يفعلها مع محبوبه عند الاجتماع به و اللقاء فتمنعه هيبة الجمال مما حدثته به نفسه و قد وصف الله نفسه بالحياء من عبده إذا لقيه فقام الحياء لله مقام الهيبة في المخلوق فما اقتضى من حال العبد أن يؤاخذه به الله و لما لقيه استحيى منه فترك مؤاخذته و لذلك قال فيمن أخذ منهم إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ فأرسل الحجاب بينهم و بينه فلم يروه فلو كانت الرؤية لكان الحياء القائم بالحق مقام الجمال في الخلق فالحكم واحد و العلة تختلف فحقق هذه الحضرة و تزين و تجمل تارة بنعتك من ذلة و افتقار و خشوع و خضوع و سجود و ركوع و تارة بنعته عز و جل من كرم و لطف و رأفة و تجاوز و عفو و صفح و مغفرة و غير ذلك مما هو لله و من زينة الله التي ما حرمها الله على عباده فإذا كنت بهذه المثابة أحبك الله لما جملك به من هذه النعوت و هو الحب الذي ما فيه منة لأن الجمال استدعاه كالمغفرة للتائب و المغفرة لغير التائب فالمغفرة للتائب ما فيها منة فإن التوبة من العبد استدعت المغفرة من الله و المغفرة لغير التائب منة محضة قال تعالى في مغفرته الواجبة فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ و غير المتقي و التائب يطلب رحمة الله و مغفرته من عين المنة فتجمل إن أردت أن ترتفع عنك منة الله من هذا الوجه الخاص و يكفيك حكم الامتنان بما وفقت إليه من التجمل بزينة الله فإن ذلك إنما كان برحمة الله كما قال فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لَهُمْ وَ الله يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«المسعر حضرة التسعير»

إن المسعر رتب الأقواتا　　ليبين الأحوال و الأوقاتا

فيميت أحياء يشاهد فعله　　فينا و يحيي جوده أمواتا

و يردنا بعد اجتماع نفوسنا　　عند الصدور لما نرى أشتاتا

و الله أنبتنا بأرض وجوده　　من جوده في كوننا إنباتا

يدعى صاحبها عبد المسعر و هي تحكم على حضرة الأرزاق التي تتملك و يدخلها البيع و الشراء فتعين هذه الحضرة مقادير أثمانها التي هي عوض منها و لا يعلم قدر ذلك إلا الله فإنها من باب حضرة ضرب الأمثال لله و قد نهينا عن ذلك فقال فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثالَ و هو يضرب الأمثال إِنَّ الله يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ قيل لرسول الله ص سعر لنا فقال ص إن الله هو المسعر و أرجو أن ألقى الله و ليس لأحد منكم على طلبة فإن الوزن بين الشيئين بالقيمة مجهول لا يتحقق فما بقي إلا المراضاة بين البائع و المشتري ما لم يجهل أمر السوق بالوقت و الزمان و أحوال الناس في ذلك فإن الأحكام و الأسعار تختلف باختلاف الأوقات لما يختلف من الأحوال بسلطان الأوقات

فكل وقت له حال يعينه و كل حال له حكم و ترتيب

و ليس يعرفه إلا موقته و ليس ينفع في التسعير تهذيب

و لما قال رسول الله ص إن الله هو المسعر علمنا أنه

فهو المسعر حكمه ما يقرر يغلي و يرخص سوقه متبذل

من مثل هذا فالمقام يحير و هو الكبير فكونه متكبرا

و بحكمنا هذا ألا تتبصروا لو لم يكن هذا لكان بحكمنا

هذا الذي جئنا به فتفكروا ما حكمة تعنو الوجوه لعينها

فأخبر أنه السنة العالم في أثمان الأشياء التي تدخل في حكم البيع و الشراء فمن سام فليعرف من يسم و لا تسم على سوم أخيك و لا تبع على بيعه كما نهيت أن تخطب على خطبته لأن الخطبة من باب الشراء و البيع لأنها شرا استمتاع بعضو و بيعه فلهذا لا بد من الصداق و هو القيمة و الثمن و العوض فالبيع و الشراء معاوضة

فله البيع و الشراء جميعا و به ينطقان لو عقلوه

حكم الكشف و الدليل بهذا و إلينا عن رسله عقلوه

إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوٰالَهُمْ فوقع البيع بين الله و بين المؤمن من كونه ذا نفس حيوانية و هي البائعة فباعت النفس الناطقة من الله و ما كان لها مما لها به نعيم من ما لها بعوض و هو الجنة و السوق المعترك فاستشهدت فأخذها المشتري إلى منزله و أبقى عليها حياتها حتى يقبض ثمنها الذي هو الجنة فلهذا قال في الشهداء إنهم أَحْيٰاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ ببيعهم لما رأوا فيه من الربح حيث انتقلوا إلى الآخرة من غير موت و قبض الحق النفس الناطقة إليه و شغلها بشهوده و ما يصرفها فيه من أحكام وجوده فالإنسان المؤمن يتنعم من حيث نفسه الحيوانية بما تعطي الجنة من النعيم و يتنعم بما يرى مما صارت إليه من النعيم نفسه الناطقة التي باعها بمشاهدة سيدها فحصل للمؤمن النعيمان فإن الذي باع كان محبوبا له و ما باعه إلا ليصل إلى هذا الخبر الذي الذي وصل إليه و كانت له الحظوة عند الله حيث باعه هذا النفس الناطقة العاقلة و سبب شرائه إياها إنها كانت له بحكم الأصل بقوله و نفخت فيه من روحي فطرأت الفتن و البلايا و ادعى المؤمن فيها فتكرم الحق و تقدس و لم يجعل نفسه خصما لهذا المؤمن فإن المؤمنين إخوة فتلطف له في إن يبيعها منه و أراه العوض و لا علم له بلذة المشاهدة لأنها ليست له فأجاب إلى البيع فاشتراها الله تعالى منه فلما حصلت بيد المشتري و حصل الثمن تصدق الحق بها عليه امتنانا لكونه حصل في منزل لا يقتضي له الدعوى فيما لا يملك و هو الآخرة للكشف الذي يصحبها و قد مثل هذا الذي قلناه رسول الله ص حين اشترى من جابر بن عبد الله بعيره في السفر بثمن معلوم و اشترط عليه البائع جابر بن عبد الله ظهره إلى المدينة فقبل الشرط المشتري فلما وصل إلى المدينة وزن له

الثمن فلما قبضه و حصل عنده و أراد الانصراف أعطاه بعيره و الثمن جميعا فهذا بيع و شرط و هكذا فعل الله سواء اشترى من المؤمن نفسه بثمن معلوم و هو الجنة و اشترط عليه ظهره إلى المدينة و هو خروجه إلى الجهاد فلما حصل هناك و استشهد قبضه الثمن و رد عليه نفسه ليكون المؤمن بجميعه متنعما بما تقبله النفس الناطقةمن نعيم العلوم و المعارف و بما تعمله الحيوانية من المأكل و المشرب و الملبس و المنكح و المركب و كل نعيم محسوس ففرحت بالمكانة و المكان و المنزلة و المنزل فهذا هو المال الرابح و التجارة المنجية التي لا تبور جعلنا الله و إياكم ممن حصل له رتبة الشهداء في عافية و سلامة و مات موت السعداء ففاز بالأجر و النور و الالتذاذ بالنعيمين في دار المقامة و السرور فإنها تجارة لَنْ تَبُورَ وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«القريب الأقرب حضرة القربة و القرب و القرب»

عبده إن كنت تدري	أقرب الخلق إليه
مثل ما يعلم جهري	أنه يعلم سري
و لتقم في الله عذري	لا تقل إنك أني
من وجودي مثل سحري	إنني عبد قريب
كربة من ضيق صدري	إنه نفس عني
و هي بالذات لأهل الفترات	حضرة الأقرب أعلى الحضرات
قيل فيه إنه ذو عثرات	فهي قرب فيه بعد للذي

يدعى صاحبها عبد الأقرب و عبد القريب فإنه عز و جل أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ و قال تعالى فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّٰاعِ و قال إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ فهو القريب بنزوله من العرش إلى السماء الدنيا كما أخبر صو هو أقرب فإنه معنا أينما كنا فهو المسمى بالقريب الأقرب فهو أقرب إلينا منا لأن حبل الوريد منا و الحبل الوصل فهو أوصل فإنه ما كان الوصل إلا به فبه نسمع و نبصر و نقوم و نقعد و نشاء و نحكم و هذه الأحكام ليست لحبل الوريد فهو أقرب إلينا من حَبْلِ الْوَرِيدِ فإن غاية حبل الوريد منا الذي جاء له ما للعروق من الحكم في أنها مجرى الحياة و سكك الدماء ثم إنه تعالى شرع القرب فينا لكوننا مخلوقين على صورته فأنزلنا منزلة الأمثال و المثلان ضدان و الضد في غاية البعد ممن يضاده مع كونه في غاية القرب للاشتراك في الصفات الذاتية النفسية فلما تحقق العبد بالتعريف الإلهي هذا البعد عن الله شرع له تعالى طرق القربة إليه إلى أن كان مع هذا البعد سمعه و بصره و جميع قواه بفعله ما شرع له أن يفعل فهو لذله و افتقاره ضد و هو بالصورة لكونه مثلا ضد فصح بالذلة و الافتقار إضافة الفعل إليه فيما شرع له فتقرب إليه بما نسب إليه من الفعل فقرب القرب الذي أخبر الحق أنه جميع قواه و أعضائه بهويته و أقرب من هذا فلا يكون فإنه أثبت عين العبد بإعادة الضمير عليه من قوله سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و أثبت أنه ما هو هو فإنه ليس

هو هو إلا بقواه فإنها من حده الذاتي كما قال وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فالصورة و المعنى معا له تعالى فملك الكل إذ كان عين الكل فما في الكون إلا هو سبحانه و تعالى عنه في منازل أسمائه الحسنى لأنه ما ثم عمن تسبحه و تنزهه إلا عنه

و له الجثة و القلب   فله القربة و القرب
فله الظاهر و القلب   و له ما نحن فيه
حالة الراحة و الكرب   يقلب الأمر إليه
و بها السرور فأعجب   غضب الحق كروبي
سورة العبد المقرب   فاجتهد إن كنت تبغي
و إلى ربك فارغب   فإذا فرغت فانصب
حكمه بي يتقلب   هذه آية من في
واحد ما فيه مذهب   فإذا زلنا فأمر
و به نلهو و نلعب   فبه يحيي وجودي
و به و الله نشرب   و به نأكل خبزي
عينه فمن تقرب   فرحا بكون عيني
و هو عين كل مطلب   و إلى من كان قربى
فإليه لا تشغب   فإذا ما جئت منه
و أنا فلست أكذب   فهو الطالب حقا
في الذي عندي من أشعب   إنني أطمع فاعلم

و لما شرع الله القرب ما شرعها إلا من هذه الحضرة و سبب وجود الشرع الدعوى فعمت الشريعة المدعي و غير المدعي و كل واحد يحشر يوم القيامة على نيته و يختص بنحلته و ملته و القرب كلها عند العاقل العالم تعب لا راحة فيها نعم إلا من رزقه الله شهود العامل و لا بد من تعب القابل الحامل فهو و إن كانت الأمور ترجع إلى الله تعالى فإن العبد و لا بد محل ظهورها و هو الذي ترجع إليه آلامها فهو المحس لها

حضرة كلها نصب   حضرة القرب و القرب
إن تأملتها نشب   فأمور الورى بها
قال لا تفعل انتصب   كلما قلت قد كفى

قلته فيه لم تصب أنت أخطأت في الذي
يقتضيه حكم النسب هكذا الأمر دائما
فلا بد من سبب فاهجر إن شئت أو فصله
إذ عن الشوق لم تغب فعن الكد لا تني
قد قرأنا من الكتب هكذا جاء في الذي

«المعطي حضرة العطاء و الإعطاء»

و في الغطاء عين الهبات عين العطاء كشف الغطاء
عن أن تجيء بالمحدثات فإنها تعالت و جلت
و ما صفاتي غير سماتي فما حديثي غير حدوثي
عني فذاك عين سباتي فإن تكن تريد انتقالي
و في مسيري عين التفاتي و في مقامي عين قصوري
لم يزل يمدني بثباتي فالحمد لله الذي
في ذاته و في الكلمات حتى يكون فردا وحيدا
من بعد فرقتي و شتاتي فإنه إليه رجوعي
فذاك من أجل ثقاتي فمن يرد كوني إليه
فذاك من أجل عداتي و من يرد كوني إلينا
فالعيش كله في مماتي وإن تشأ عكست مقالي
و فيه رغبتي و حياتي و إنه مرادي و قولي
فإنما يريد وفاتي فمن يكون من أصدقائي
و بالذي له من عدات فإن فيه جمعي بربي
وهو الصديق لي والموات و هو المحب سرا و جهرا

يدعى صاحبها عبد المعطي و العبد آخذ و العبد معطي الصدقة و هي تقع بيد الرحمن في حال العطاء فالله آخذ فهو الآخذ كما هو المعطي و ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها لأنها أعطته بحقيقتها و قبولها التمكن من الأخذ بناصيتها إذلالا لأنه عبد و كل من أخذ بناصيته فإنه ذليل و الكل عبيد الله تعالى فالكل أذلاء بالذات و هو العزيز الحكيم

و السخاء الذي يعم   فله الجود و الكرم

للذي تطلب الهمم   و له الوهب منعما

إنما حكمه نعم   ليس يدري ما حكم لا

عندنا كله نعم   و الوجود الذي له

في الذي قاله فتم   إن بلعام عبرة

و انظروا في الذي حكم   فانظروا في الذي بدا

ليس يدري لمن فهم   هو قولي في حكم لا

و أنا لو رأيت ثم   فخذوه مبينا

أنه جار أو ظلم   لا تقل عند ما ترى

فاكتم الأمر ينكتم   جل عن مثل ذا و ذا

و العطاء منه واجب و منه امتنان فإعطاء الحق العالم الوجود امتنان و إعطاء كل موجود من العالم خلقه واجب و هو قوله أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ يعني في نفس الأمر ثُمَّ هَدىٰ يبين بالتعريف أنه أعطى كل شيء خلقه و الجود و الإنعام و الكرم الذاتي أوجب هذا العطاء عليه لما قال كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ فأوجبها للعالم على نفسه و لكن لا كل العالم بل لعالم مخصوص و هو المنعوت في قوله تعالى أَنَّهُ من عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهٰالَةٍ ثُمَّ تٰابَ من بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ و في قوله فَسَأَكْتُبُهٰا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكٰاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيٰاتِنٰا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ و ما عدا هؤلاء المنعوتين فإن الله يرحمهم برحمة الامتنان من غير وجود نعت و هي الرحمة التي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ و فيها يطمع إبليس مع كونه يعلم أنه من أهل النار الذين هم أهلها فلا يخرج منها بل الله يرحمها و يرحم من فيها بوجه دقيق لا يشعر به إلا جهنم و من فيها بإنعام يليق بذلك الموطن و مزاج يكون أهله عليه بحيث إنهم لو عرضت عليهم الجنة تألموا بالنظر إليها تألم أهل الجنة لو عرض عليهم دخول النار و تحققوا ذلك أعوذ بالله من النار و مما يقرب إليها

لهم رحمة فيها نعيم و لذات   فكل مكان فيه أهل يخصه

لمزج لهم فيه سرور و جنات   و إن كان مكروها يعود محبا

فجنة أهل النار بالنار عينها و بالقر إعطاء قد أعطتهم الذات

فإن اسمه الرحمن في عرشه استوى فرحمته عمت و بالخلق تقتات

فمن هذه الحضرة أوجد العالم و أنزل الشرائع لما تتضمنه من المصالح فهي الخير المحض بما فيها من الأمور المؤلمة المنازعة لما تتعلق به الأغراض النفسية التي خلقها الله بالرحمة خلق الأدوية الكريهة للعلل البغيضة للمزاج الخاص فالرحمة التي بالقوة في زمان استعمال الدواء و بالفعل في زمان وجود العافية مما كان يألم منه فاقدها و هذا كله عطاء إلهي كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ أصحاب الجنة وَهَؤُلاءِ أصحاب النار من عَطاءِ رَبِّكَ فعم الجميع مع اختلاف الذوق وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً أي ممنوعا فعم العطاء الكل فعلمنا إن عطاءه عين الرحمة التي سبقت فوسعت كل شيء من مكروه و غيره و غضب و غيره فما في العالم عين قائمة و لا حال إلا و رحمة الله تشمله و تحيط به و هي محل له و لا ظهور له إلا فيها فبالرحمن استوى على عرشه و ما انقسمت الكلمة إلا من دون العرش من الكرسي فما تحته فإنه موضع القدمين و ليس سوى انقسام الكلمة فظهر الأمر و الخلق و النهي و الأمر و الطاعة و المعصية و الجنة و النار كل ذلك عن أصل واحد و هي الرحمة التي هي صفة الرحمن

فما استوى علينا إلا برحمته و ما لنا نعيم إلا بنعمته

ميداننا عريض في حصر قبضته نجول فيه حتى نحظى بحظوته

و لما كانت اليد لها العطاء و لها القبض فباليد قبض علينا فنحن في قبضته و اليد محل العطاء و الجود فنحن في محل العطاء لأنا في قبضته

فلولا الحصر ما وجد النعيم و لا كان الجنان و لا الجحيم

و في الدارين إنعام لرحمي بأهلهما يقوم بهم مقيم

و قول الله أصدق كل قيل يعرف أنه البر الرحيم

فالتكوين دائم فالعطاء دائم فهي حضرة لا يحصرها عدد و لا أمد يقطعها تجري إلى غير أجل من حيث ذاتها و إن كان فيها آجال معينة فما تخرج منها فآجالها فيها وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الشافي حضرة الشفاء»

إن الشفاء إزالة الآلام تعنو له الأرواح و الأجسام

هذا هو الحق الذي قلنا به دلت عليه السادة الأعلام

و الشرع يعضده لذا جئنا به و كذلك الألباب و الأحلام

إني عليل و لا شخص يخبرني عنه تعالى بنا بأنه الشافي

إني سعيت و عين الحق تحفظني و لست أدري بها في عين إتلافي

و ما يعرفني بأنه الوافي إني وفيت له بعهده زمنا

حبا و يظهر لي في صورة النافي الحق يثبتني في كل طائفة

و سورتي عند ما أتلو لإيلاف لكل شخص من القرآن سورته

يدعى صاحبها عبد الشافي يقول الله عن خليله إبراهيم ع إنه قال وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ فالشافي مزيل الأمراض و معطي الأغراض فإن الأمراض إنما تظهر أعيانها لعدم ما تطلبه الأغراض فلو زال الغرض لزال الطلب فكان يزول المرض فحضرة الشفاء هي التي تنيل أصحاب الأغراض أغراضهم و لا بد من الغرض فإن حيل بين من قام به الغرض و ما تعلق به كان المرض فإن نال ما تعلق به فهو الشفاء له من ذلك المرض و المنيل هو الشافي و كثيرا رأينا ممن يطلب آلاما أي أمورا مؤلمة ليزيل بها آلاما هي عنده أكبر منها و أشد فتهون عليه ما هو دونها و تلك الآلام المطلوبة له هي في حقه شفاء و عافية لإزالة هذه الآلام الشديدة فما طلب هذه الآلام لكونها آلاما فإن الألم غير مطلوب لنفسه و إنما طلبه لإزالة ما هو أشد منه في توهمه و مهما وجد الألم المؤلم و لو كان قرصة برغوث لكان الحكم له في وقت وجوده و يريد المبتلى به إزالته بلا شك فما طلبه إذا طلبه إلا بالتوهم المتعلق بإزالة هذا الأشد فإذا حصل و ذهب الأشد كان ذلك الألم المطلوب شديدا في حقه يطلب زواله بعافية أو مزيل لا ألم فيه و ورد في الخبر أذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك و ما ثم شفاء إلا شفاؤه فإن الكل خلقه و لهذا قال الخليل فَهُوَ يَشْفِينِ فأمرنا الله أن نصلي على محمد ص كما نصلي على إبراهيم لأنه جاء بأمر محتمل أزال هذا الاحتمال إبراهيم ع و قد أمر أن يبين للناس ما نزل إليهم لأن الله ما أنزل ما أنزله إلا هدى أي بيانا و رحمة بما يحصل لهم من العلم من ذلك البيان فقال الخليل فَهُوَ يَشْفِينِ فنص على الشافي و ما ذكر شفاء لغيره و قال النبي ص في دعائه لا شفاء إلا شفاؤك فدخل الاحتمال لما جعل الله في الأدوية من الشفاء و إزالة الأمراض فيحتمل أن يريد محمد ص أن كل مزيل لمرض إنما هو شفاء الله الذي أودعه في ذلك المزيل فأثبت الأسباب و ردها كلها إلى الله و هذا كان غرض رسول الله ص مع تقرير الأسباب لأن العالم ما يعرفون شفاء الله من غير سبب مع اعتقادهم أن الشافي هو الله و يحتمل لفظ النبي ص إثبات أشفية لكن لا تقوم في الفعل قيام شفاء الله فقال لا شفاء إلا شفاؤك و الأول في التأويل أولى بمنصب رسول الله ص فلما دخل الاحتمال كان البيان من هذا الوجه في خبر إبراهيم الخليل عفقيل لنا قولوا في الصلاة على محمد كما صليت على إبراهيمو الصلاة من الله الرحمة و الشفاء من الرحمة و قد اقتضى مقام النبي ص أن يبين أن الأشفية التي تكون عند استعمال أسبابها أنها شفاء الله إذ لا يتمكن رفع الأسباب من العالم عادة و قد ورد أن الله ما خلق داء إلا و خلق له دواء فأراد الله أن يعطي محمدا ص ما أعطاه إبراهيم خليله مع ما عنده مما ليس عند غيره هذا أبو بكر رضي الله عنه و هو حسنة من حسنات رسول الله ص يقول الطبيب أمرضني و الخليل يقول وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ فانظر ما بين القولين تجد قول أبي بكر أحق و أنظر ما بين الأدبين تجد الخليل ع أكثر أدبا فإن آداب النبوة لا يبلغها أدب كما قال معلم موسى ع فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها و فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما فهذا لسان إبراهيم عليه الصلاة و السلام

و كل وقت له حال ينطقه و كل حال له معنى يحققه

فقول إبراهيم الخليل وَإِذا مَرِضْتُ نهاية و قوله يَشْفِينِ بداية و قول النبي ص لا شفاء إلا شفاؤك نهاية النهاية فهي أتم و الإتيان بالأمرين أولى و أعم فجمع الله الأمرين لمحمد ص في الصلاة عليه كما صليت على إبراهيم الذي أمرنا الله أن نتبع ملته لتقدمه فيها لا لأنه أحق بها من محمد ص فللزمان حكم في التقدم لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله ص الذي كان من حكمة الله تعالى أنه أعطاها أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليا بحسب أعمارهم و كل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله و لا بد من ولاية كل واحد منهم و خلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى يلي من لا بد له عند الله في سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للأعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق في كل واحد من متقدم و متأخر و ما علم الصحابة ذلك إلا بالموت و مع هذا البيان الإلهي فبقي أهل الأهواء في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ مع إبانة الصبح لذي عينين بلسان و شفتين نسأل الله العصمة من الأهواء و هذه كلها أشفية إلهية تزيل من المستعمل لها أمراض التعصب و حمية الجاهلية وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الفرد الوتر الأحد حضرة الإفراد»

و إني بتثليثها مفرد تفردت بالفرد في نشأتي

و إني إلى غايتي أوحد و ما لي سبيل إلى غايتي

يورثني المجد و السؤدد ورثت من أشياخنا كل ما

و إني أنا ذلك الأوحد و إني إذا كنته لم أكن

عن الله سبحانه أسند و هذا الذي قلته إنه

يدعى صاحبها عبد الفرد و عبد الوتر و عبد الأحد و أمثال ذلك قال رسول الله ص إن الله وتر يحب الوتر و

أوتر رسول الله ص بواحدة و بثلاث و بالخمس و بالسبع و بالتسع و بإحدى عشرة و كل فرد وتر بالغا ما بلغ و كل مشفع وترا أحد و كل موتر شفعا وتر و فرد و أحد و يسمى وترا لأنه طالب ثار من الأحد الذي شفع فرديته فإن الحكم للأحد في شفع الفرد ليس للفرد و لا للوتر فلما انفرد به الأحد طلب الفرد ثاره من الأحد بالوتر فإن الوتر في اللسان بلحنهم هو الدخل و هو طلب الثأر و هو قوله ص في الذي تفوته صلاة العصر في الجماعة كأنما وتر أهله و ماله كان صلاة الجماعة في العصر طلبت ثارها من المصلي فذا مع تمكنه من الجماعة و إذا أوتر بواحدة سميت البتيراء لأن من شأن الوتر على حكم الأصل أن يتقدمه الشفع فإذا أوتر بواحدة لم يتقدمها شفع فكانت بتيرا على التصغير و الأبتر هو الذي لا عقب له و هذه البتيراء ما هي بتيرا لكونها لا عقب لها و إنما هي بتيرا لكونها ليست منتجة و لا نتجت فلها منزلة لم يلد و لم يولد فإذا تقدمها الشفع لم تكن بتيرا لأنها ما ظهرت إلا عن شفع و لهذا كان رسول الله ص لا يسلم من شفعه إلا في وتر ذلك الشفع فيصله بالشفع ليعلم أنه منه هذا كله ليتميز من الأحد فإن الأحد لا يدخله اشتراك و لا يكون نتيجة عن شفع أصلا و إن كان عن شفع فليس بواحد و إنما هو ثلاثة أو

خمسة فما فوق ذلك و تقول في سادس الخمسة إنه واحد لأنه ليس بسادس ستة فقد تميز عن الشفع بما هو منفصل و ليس إلا الأحد بخلاف الفرد و الوتر و قال رسول الله ص إن لله تعالى تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة فإن الله وتر يحب الوتر فأوتر التسعين بالتسعة و استثنى الواحد من المائة و لم يقل مائة إلا وترا أو فردا لأن الاشتراك في الفردية و الوترية و ليس في الأحدية اشتراك و لو قالها هنا لعلم بذكر المائة و ذكر التسعة و التسعين أنه أراد الواحد فلو لا قرائن الأحوال ما كان يعرف أنه أراد الواحد للاشتراك الذي في الأفراد و الأوتار فأبان بالواحد بعين اسمه فقوة الأحد ليست لسواه واحدية الكثرة أبدا إنما هي فرد أو وتر لا يصح أن تكون واحدا و سواء كانت الكثرة شفعا أو وترا و إنما أحب الله الوتر لأنه طلب الثأر و الله يقول إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ و الحق سبحانه قد نوزع في أحديته بالألوهية فلما نوزع في ألوهيته جاء بالوتر أي بطالب الثأر ليفني المنازع و ينفرد الحق بالأحدية أحدية الذات لا أحدية الكثرة التي هي أحدية الأسماء فإن أحدية الأسماء شفع الواحد لأن الله كان من حيث ذاته و لا شيء معه فما شفع أحديته إلا أحدية الخلق فظهر الشفع

فما في الكون إلا الشفع فانظر ... فإن الرب بالمربوب كانا
فمن فهم الذي قد قلت فيه ... أهان شريكه و الشرك هانا
لهذا الحق بعد الأخذ فيه ... يورثه برحمته جنانا
بدار النار لم يخرجه منها ... و أعطاه بها النعمى امتنانا
فكن فردا و كن وترا تكنه ... و لا تك واحدا فيه عيانا
تحز بالوتر إن فكرت فيه ... و بالفرد المكانة و المكانا
و لا تنظر إلى الأحد المعلى ... فما في الكون من عين سوانا
إذا قال الإله لكل شيء ... يريد وجوده إن كن فكانا
و ما كان الذي قد كان منه ... سواه فمن رآه فقد رآنا

«الرفيق حضرة الرفق و المرافقة»

إن الرفيق هو الذي يسترفق ... و هو الإمام العالم المتحقق
فإذا نطقت عن الإله مترجما ... ألقى على الأسماء ما يتحقق
إذا كان الرفيق هو الرفيق ... فلا تجنح إلى غير الرفيق
تفز بالسبق و التحقيق فيه ... يبينه له معنى الطريق
لقد دقت إشارات المعاني ... إلى قلبي بمعناها الدقيق

لأن مجيئها لمع البروق و جلت أن تنال بكل فكر

سأشهد حالها عند الشروق و قلت لصاحبي مهلا فإني

يدعى صاحبها عبد الرفيق و هو أخو الصاحب في الدلالة و لما خبر ص عند الموت ما قال و لا سمع منه إلا الرفيق الأعلى فإنه تعالى كان مرافقه في الدنيا و علم منه تعالى أنه يريد بطلوع الفجر الرجوع إلى عرشه من السماء الدنيا التي نزل إليها في ليل نشأته الطبيعية فلم يرد ص مفارقة رفيقه فانتقل لانتقاله و رحل لرحلته و لذلك قال ص الرفيق و لم يقل غير ذلك لأن الإنسان خلق في محل الحاجة و العجز فهو يطلب من يرتفق به فلما وجد الحق نعم الرفيق و علم إن الارتفاق به على الحقيقة هو الارتفاق الموجود في العالم و إن أضيف إلى غيره فلجهل الذي أضافه فطلب الرفيق الذي بيده جميع الإرفاق فلم يطلب أثرا بعد عين و هكذا حال كل من أحب لقاء الله إذا لم تكن له درجة مشاهدة الرفيق و هو في قوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ فهو رفيقنا تعالى في كل وجهة نكون فيها غير إنا حجبنا فسمي انفصالنا عن هذا الوجود الحسي بالموت لقاء الله و ما هو لقاء و إنما هو شهود الرفيق الذي أخذ الله بأبصارنا عنه فقال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

و البشر و بالرضى فنلقاه بالكرامة

عن وسعه الفضاء و بأهل و مرحب ضاق

فلم يعرفه المحجوب رفيقا حتى لقيه فإذا لقيه عرفه و هو قوله و هو قوله وَ بَدا لَهُمْ من الله ما لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ فاستحيوا منه المؤمنون لما عاملوه به من المخالفة لأوامره تعالى و خاف منه المجرمون فلقوه على كره فكره الله لقائهم و مع هذه الكراهة فلا بد من اللقاء للجزاء كان الجزاء ما كان و لما كان الأنس و الرحمة و أخواتهما في الرفيق و المرافقة لذلك اختصت البنوية باسم الرفيق فتقول فلان رفيق فلان لأنه يغضب لرفيقه و ينصره و لا يخذله و ينصر الحق و لا يخذله فإنه من شرط البنوة أنه لا يكذب فيعتضد بالنبوي الحق في إظها ر الصدق و ليس ذلك لغير هذه الطائفة و إذا لم يكن على مكارم هذه الأخلاق خلع عنه قميص البنوة و هو قميص نقي سابغ فمن دنسه أو قلصه عاد ذلك عليه و خلع عنه قميصها فلا يلبسه إلا أهلها

«الباعث حضرة البعث»

فلها الصدق و هو من أحوالي حضرة البعث حضرة الإرسال

منه يبغي دون الأنام سؤالي كلما قلت قد أتاني رسول

أنت و الله إن خطرت ببالي تهت عجبا به و قلت أنيسي

بما أتيت به من صادق الخبر إني بعثت إلى المحبوب في السحر

من شاهد الحب فلتنهض على أثري و قلت إن كنت تدري ما أفوه به

لا فرق عندي بين الستر و النظر لما شهدتك يا من لا شبيه له

بما يشاهده في الشمس و القمر فالكشف ينبئ عن أسرار موجدة

عما يشاهد رب الكشف بالبصر إن البصائر أغنتني حقائقها

يدعى صاحبها عبد الباعث قال تعالى هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ و قال وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ من فِي الْقُبُورِ و قال وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا و قال يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فمن هذه الحضرة بعث الرسل و أنزل الكتب و حشر الناس بعد أن أنشرهم ثم بعث بهم من هذه الحضرة إلى منازلهم يعمرونها من جنة و نار كل بشاكلة عمله فيبعثهم و يبعث إليهم فالبعث لا ينقطع في الدنيا و الآخرة و البرزخ غير أن الرسل عرفاء لا تمشي إلا بين الملوك لا بين الرعايا و إنما تخاطب الرؤساء و العرفاء فالإرسال من الله إنما أرسلهم من كونه ملكا إلى النفوس الناطقة من عباده لكونهم مدبرين مدائن هياكلهم و رعاياهم جوارحهم الظاهرة و قواهم الباطنة فما تجيء رسالة من الملك إلا بلسان من أرسل إليهم قال تعالى وَما أَرْسَلْنا من رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فيبعث الله رسله إلى هذه النفوس الناطقة و هي التي تنفذ في الجوارح ما تنفذ من طاعة و مخالفته و لها قبول الرسالة و الإقبال على الرسول و التحفي به أو الإهانة و قد يكون الرد بحسب ما أعطاها الله من الاستعداد من توفيق أو خذلان فجعل النفوس ملوكا على أبدانها و أتاها ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً من الْعالَمِينَ و هو طاعة رعاياها لها فالجوارح و القوي لا تعصى لها أمرا بوجه من الوجوه و سائر الملوك الذين رعاياهم غير متصلين بهم قد يعصون أوامر ملوكهم كما إن من هؤلاء الملوك قد يعصى ما أمره به الملك الحق سبحانه و تعالى على لسان رسوله إليهم و قد يطيع فتوجيه الرسل و بعث الله إليهم أثبت لهم كونهم ملوكا فلما أنزلهم منزلته في الملك علمنا أنه لولا ما ثم مناسبة تقتضيه ما كان هذا فإذ المناسبة في أصل الخلقة و هي قوله تعالى وَنَفَخْتُ فِيهِ من رُوحِي فهو ولاة و ملكه و جعله خليفة عنه فمنهم من خرج عليه كفرعون و أمثاله و منهم من لم يخرج عليه فما كانت الرسل إلا إلى ولاته ثم إن هؤلاء الملوك النواب وجهوا أيضا منهم إليه تعالى إرسالهم يطلبون منه ما يؤيدهم به في تدبير ما ولاهم عليه فصار الملك ملك الملك لهذا السبب فمنه إليهم و منهم إليه فما وجه و لا بعث إرساله إلا إليه و ما قبل الإرسال إلا منه فإنهم من روحه وجدوا و من عين كونه كانوا و هنا أمور و أسرار أعني في خروجهم عليه كما يخرج الولد على والده و العبد على سيده إذا ملكه يسعى في هلاكه مع إحسانه إليه و بايع على قتله لينفرد هو بالملك و هذا واقع في رد الأفعال إليهم و ليست إلا إلى الله تعالى و غاية الموفق منهم الاشتراك في الأمر و هو الشرك الخفي فشرع لهم سبحانه قول لا حول و لا قوة إلا بالله رحمة بهم و قوله وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و قنع منه بذلك من كونه حكيما و لما علم إن مثل هذا الشرك يقع منهم و الدعوى أمرهم بالاستعانة بالله تقريرا لدعواهم حتى يكون ذلك عن أمره فأمثالنا يقول مثل هذا كله تعبدا و يثابر عليه بخلاف من لا يعلم و ما قرر الحق لعباده هذا إلا غيرة فيتخذون ذلك عبادة و يقولون إذا رجعوا إليه و كان الملك لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ في موطن الجمع و سألوا عن مثل هذا الشرك الخفي يقولون أنت أمرتنا بالاستعانة بك فأنت قررت لنا أن لنا قوة تنفرد بها و إن كان أصلها منك و لكن ما لها النفوذ لا بمعونتك فطلبنا القوة منك فإنك ذو القوة

المتين فيصدقهم الله في كونهم جعلوا القوة منه التي فيهم و إنهم رأوا فيها القصور لخاصية المحل فما لها نفوذ الاقتدار الإلهي إلا بمساعدة الاقتدار الإلهي فإن العجز و الجبن و البخل في الخلق ذاتي لازم في جبلته و أصل خلقه إِنَّ الْإِنسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً فإذا تكرم و تشجع فنصرته من المكانة و الاكتساب و التخلق بأخلاق الله حيث كان في ذاته روحا منه فأثرت البقعة كما تؤثر البقعة في الماء بما يوجد من الملوحة و المرارة و غير ذلك من المطاعم و الماء من حيث هويته على صفة واحدة من الطيب و الطعم فانظر إلى ما أثرت فيه البقعة كذلك هي الأرواح المنفوخة في الأجسام من أصل مقدس نقي فإن كان المحل طيب المزاج زاد الروح طيبا و إن كان غير طيب خبثه و صيره بحكم مزاجه فرسل الله الذين هم خلفاؤه أطهر الناس محلا فهم المعصومون فما زادوا الطيب إلا طيبا و ما عداهم من الخلفاء منهم من يلحق بهم و هم الورثة في الحال و الفعل و القول و منهم من يخل بعض اختلال و هم العصاة و منهم من يكثر منه ذلك الاختلال و هم المنافقون و منهم المنازع و المحارب و هم الكفار و المشركون فيبعث الله إليهم الرسل ليعذروا من نفوسهم إذا عاقبهم بخروجهم عليه و استنادهم إلى غيره الذي أقاموه إلها فيهم من أنفسهم و كذبوا عليهم في جعلهم إياهم آلهة و الإله لا يكون بالجعل و لكن ما حملهم على ذلك إلا أصل صحيح و هو أنهم رأوا اختلاف المقالات في الله مع الاجتماع على أحديته و أنه واحد لا إله إلا هو ثم اختلفوا فيما هو هذا الإله فقال كل صاحب نظر بما أداه إليه نظره فتقرر عنده أن الإله هو الذي له هذا الحكم و ما علم أن ذلك عين جعله فما عبد إلا إلها خلقه في نفسه و اعتقده سماه اعتقادا و اختلفوا في ذلك اختلافا كثيرا و الشيء الواحد لا يختلف في نفسه فلا بد أن يكون هو في نفسه على إحدى هذه المقالات أو خارجا عنها كلها و لما كان الأمر بهذه المثابة أثر و هان عليهم اتخاذ الأحجار و الأشجار و الكواكب و الحيوانات و أمثال ذلك من المخلوقات آلهة كل طائفة بما غلب عليها كما فعل أهل المقالات في الله سواء فمن هذا الأصل كان المدد لهم و هم لا يشعرون فما ترى أحدا يعبد إلها غير مجعول فيخلق الإنسان في نفسه ما يعبده و ما يحكم عليه و الله هو الحاكم لا ينضبط للعقل و لا يتحكم له بل له الأمر في خلقه من قبل و من بعد لا إله إلا هو إله كل شيء و مليكه و هذا كله من الاسم الباعث فهو الذي بعث إلى بواطنهم رسل الأفكار بما نطقوا به و اعتقدوه في الله كما أنه بعث إلى ظاهرهم الرسل المعروفين بالأنبياء و النبوة و الرسالة فالعاقل من ترك ما عنده في الله تعالى لما جاءوا به من عبد الله في الله فإن وافقوا ما جاءت به رسل الأفكار إلى بواطنهم كان و شكروا الله على الموافقة و إن ظهر الخلاف فعليك باتباع رسول الظاهر و إياك و غائلة رسل الباطن تسعد إن شاء الله و هذا نصيحة مني إلى كل قابل ذي عقل سليم وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«الحق حضرة الاسم الحق»

فالحق ما بين إعدام و إثبات الحق بالحق أفنيه و أثبته

ما كان يعبد في العزى و في اللات لولا الوجود و لولا سر حكمته

بها يسر حتى في الحال و الآتي   إن الأمور التي بها يقيدني
لما لديه من أمراض و آفات   إن الذي قد مضى إلى مرجعه
ما كنت أفرح بالفاني إذا يأتي   و الله لو علمت نفسي بمن كلفت

يدعى صاحبها عبد الحق قال تعالى فَما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ و ليس إلا الخلق و الضلال الحيرة و بالخلق ظهر حكم الضلال

فعين وجود الحق نور محقق   و عين وجود الخلق ظل له تبع

فالحق عين الوجود و الخلق قيده بالإطلاق فالخلق قيد مقيد فلا حكم الإله و به و الحق الحاكم و لا يحكم إلا بالحق فحق الحق عين الخلق فإني تصرفون و الأمر كما قلناه و ما سمي خلقا إلا بما يخلق منه فالخلق جديد و فيه حقيقة الاختلاق لأنك تنظر إليه من وجه فتقول هو حق و تنظر إليه من وجه فتقول هو خلق و هو في نفسه لا حق و لا غير حق فإطلاق الحق عليه و الخلق كأنه اختلاق فغلب عليه هذا الحكم فسمي خلقا و انفرد الحق باسم الحق إذ كان له وجوب الوجود بنفسه و كان للخلق وجوب الوجود به لا أقول بغيره فإن الغير ما له عين و إن كان له حكم كالنسب لا عين لها و لها الحكم فبالحق خلق السماء و الأرض و بالحق أنزل القرآن وَبِالْحَقِّ نَزَلَ و للحق نزل ففي الخلق أتاه الخلق لأنه ليل سلخ منه النهار فَإِذا هُمْ مُظْلِمُونَ حيارى تايهون ما لهم نور يهتدون به كما جعل الله النجوم لمن يهتدي بها فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ و هو نظر العامة و الخواص في ظُلُماتٍ لا يُبْصِرُونَ . . . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ تارة يقولون نحن نحن و هو هو و تارة يقولون هو نحن و نحن هو و تارة يقولون لا نحن نحن مخلصون و لا هو هو مخلص ثم صدق الله هؤلاء الخواص في حيرتهم بقوله لأخص خلقه علما و معرفة وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللهَ رَمى فنفى عين ما أثبت فما أثبت و ما نفى فأين العامة من هذا الخطاب فالعلم بالله حيرة و العلم بالخلق حيرة و قد حجر النظر في ذاته و أطلقه في خلقه فالهداة في النظر في الخلق لأنه الهادي و قد هدى و العمي في النظر في الحق فإنه قد حجر و جعله سبيل الردي و هذا خطاب خاطب به العقلاء ما خاطب به أهل الجمع و الوجود فما نظر قط أهل الخصوص في اكتساب علم به و لا بمعلوم و إنما جعل لهم أن يهيئوا محالهم و يطهروا قلوبهم حتى يأتي الله بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ بالفتح فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ لأنهم عاينوا ما وصلوا إليه بالفتح الإلهي و الأمر عين ما انفصلوا عنه ف ما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً بالحيرة وَتَسْلِيماً لحكمها و من هذه الحضرة أثبت أن الباطل شيء قذف بالحق عليه فدمغه فإذا الباطل زاهق و لا يزهق إلا ما له عين أو ما تخيل أن له عينا فلا بد له من رتبة وجودية خيالا كانت أو غير خيال قد اعتنى بها على كل حال ثم إنه من أعظم الحيرة في الحق إن الحق له الوجود الصرف فله الثبوت و صور التجلي حق بلا شك

و ما لها ثبوت و ما لها بقاء   لكن لها اللقاء فما لها شقاء

ما من صورة ينجلي فيها إلا إذا ذهبت ما لها رجوع و لا تكرار و ليس الزهوق سوى عين الذاهب فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ فهل في الحق باطل أو ما هو الباطل و ما اذهب الصورة إلا قذف الصورة الأخرى و هي تذهب ذهاب أختها فهي من حيث ورودها حق و من حيث زهوقها باطل

فهي الدامغة المدموغة فصدق من نفي رؤية الحق فإن الحق لا يذهب فإنه إن كانت الصور صورنا فما رأينا إلا أنفسنا و نحن ليس بباطل و قد زهقنا بنا فنحن الحق لأن الله بنا قذف علينا فما أتى علينا إلا منا فالله بالحق قاذف و العبد للحكم الإلهي واقف

لها البقاء و الثبوت فالعين مني و منه
أو من هو منه يميت من ذا الذي منه يحيى
أو منه مني يموت و منه مني يحيي
فنحن خرس صموت قد حرت فيه و فينا
فإنه ما يفوت لا تدعى فيه دعوى
و إنه لي قوت أصبحت لله قوتا
علمي به ما بقيت فالأمر دور و هذا

فلا تعتمد على من له الزهوق فإنه ما يحصل بيدك منه شيء و لا تعتمد إلا عليك فإن مرجعك إليك و إلى الله ترجعون كما تُرْجَعُ الْأُمُورُ فمن هنا قال من قال من رجال الله أنا الله فأعذروه فإن الإنسان بحكم ما تجلى له ما هو بحكم عينه و ما تجلى له غير عينه فسلم و استسلم فالأمر كما شرحته وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ . . . وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ

«الوكيل حضرة الوكالة»

و يدري إنني عنه أقول وكيلي من يقول أنا الوكيل
لما كان الطلوع و لا الأفول و لو أني أشاهده بقلبي
لذا وقع التحير و الذهول و لكني أشاهده بعيني

يدعى صاحبها عبد الوكيل بهذا الاسم الإلهي ثبت الملك و الملك للخلق فإنا ما وكلناه إلا في التصرف في أمورنا فيما هو لنا لعلمنا بكمال علمه فينا فإنه يعلم منا ما لا نعلمه من نفوسنا و ما أعطاه العلم بنا سوانا في حال ثبوتنا فنحن العلماء الجاهلون و هو العليم الذي لا يجهل و لهذا هو الحليم الذي لا يعجل فيمهل و لا يهمل و نحن نعجل و هو يعلم منا أنا نعجل و ما نعجل و إنما هو انتهاء مدة الأجل فالأجل منه قصير المدة و منه طويلها فكل يجري إلى أجل مسمى إلى ما لا يتناهى جريانا دائما لا ينقضي فالحق كل يوم في شأن و نحن في خلق جديد بين وجود و انقضاء فأحوال تتجدد على عين لا نبعد بأحكام لا تنفد و هي كلمات الله و خلقه و لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ و لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ و إنما التبديل لله فنحن كلماته و خلقه فهذا الوكيل الحق قد أعلمنا بتصرفه فينا أنه ما زاد شيئًا على ما أعطيناه منا لأن الوكيل بحكم موكله فلا

يتصرف إلا فيما أذن له فللوكيل الحجة البالغة فإنه لا يزيد على الحد المفوض إليه و ما ثم ما يقبل الزيادة فإن قلت للوكيل لم فعلت كذا كشف لكعنك فرأيت أنك جعلته أن يفعل ما أنكرت عليه فعله وكشف لك عن إنكا رك فلا بد لك من الإنكا ر عليه فعذ رك و عذ رته

و لم موكله فلا تلم وكيلا

به و نحن له فإنما وجودي

فالعين مجملة ولا تلمه أيضا

فالكون فصله وكلما بدا لي

على فضله يعلم ذا إلهي

من يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ لأن الله وكله على عباده فأمر و نهى و تصرف بما أراه الله الذي وكله و نحن وكلناه تعالى عن أمره و تحضيضه فأمره قوله فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً و تحضيضه أَلَّا تَتَّخِذُوا من دُونِي وَكِيلاً فالرسول وكيل الوكيل و هو من جملة من وكل الحق عن أمره تعالى فهو منا و هو الوكيل من الوكيل علينا فوجب على الموكل طاعة الوكيل لأنه ما أطاع إلا نفسه فإنه ما تصرف فيه إلا به كما قررناه فرتبة الوكالة رتبة إلهية سرت في الكون سريان الحياة فكما أنه ما في الكون إلا حي فما في الكون إلا وكيل موكل فمن لم يوكل الحق بلفظه وكله الحال منه و تقوم الحجة عليه و إن وكله بلفظه فالحجة أيضا عليه لأن الوكيل ما تصرف في غير ما فوض إلى موكله و جعل له أن يوكل من شاء فوكل الرسل في التبليغ عنه إلى الموكلين إنه من المصالح التي رأينا لكم أن تفعلوا كذا و تنتهوا عن كذا فإن ذلكم لكم فيه السعادة و الفوز من العطب فمن تصرف من الموكلين عن أمر وكيل الوكيل فقد سعد و نجا و حاز الخير بكلتا يديه و ملأهما خيرا يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ فلا تتهموا وكيلا و لا تتخذوا إلى تجريحه سبيلا و قفوا عند حده و أوفوا له بعهده و هذه حضرة التسليم و التفويض و أنت الجناح المهيض فإنه خلقك على صورته ثم كسرك بما شرع لك فصرت مأمورا منهيا ثم جبرك من هذا الكسر بما سلب عنك بقوله وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ ثم كسرك بالجزاء لأنه ما عمل معك إلا ما علم و ما علم إلا منك و ليس المهيض سوى هذا فإنه المكسور بعد جبر و الجبر لا يرد إلا على كسر فالأصل عدم الكسر و هو الصحة و ليست إلا الصورة فاعلم ما نبهتك عليه فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً فلا علم إلا عن ذوق

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

و هذا القدر من هذه الحضرة كاف لمن استعمله وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«القوي حضرة القوة»

فلست أبالي من ضعف يكون إذا كان القوي يشد ركني

فمن تيسيره أبدا تهون إذا عسرت على أمور كوني

إذا ما شئته و أنا المكين أنا العبد المطاع بكل وجه

و إني عنده الروح الأمين و إني واحد فرد تربه

مشائي و التي لي ما تبين أبانت لي مشيئته تعالى

هذه الحضرة ممتزجة يدعى صاحبها عبد القوي وصف نفسه تعالى بأنه ذو القوة و هذا فيه إجمال فإنه اسم حميري أي صاحب القوة أي قوة القوة التي فينا و نجدها من نفوسنا كما نجد الضعف و هي قوة مجعولة لأنه قال خَلَقَكُمْ من ضَعْفٍ و ما خلقنا إلا عليه كما سخر لنا ما في السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ فما أنشأ العالم إلا منه و عليه إن فهمت ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً لما نقلنا من حال الطفولة إلى حال الشباب ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً رجوعا إلى الأصل فسمي هرما و الشيب للشيخوخة فهل هو الضعف الأول الذي خلقنا منه و أين القوة هناك فالمدبر الأول هو المدبر الآخر و هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ و الوسط محل الدعوى الواقعة منه في الظاهر و الباطن إلا من وفقه الله للنظر في أول نشأته و رجوعه إليها و ما وجدنا للقوة ذكرا في الأول و لا في الآخر فرأينا أن ننظر في معنى هذا الضعف الذي خلقنا منه فوجدنا عدم الاستقلال بالإيجاد إن لم تكن منا الإعانة بالقبول لأجل الإمكان فإن المحال غير قابل للتكوين و لما كانت الإعانة بالقبول و الاستعداد علمنا إن الاقتدار غير مستبد و ليس الضعف هنا سوى عدم هذا الاستبداد فشرع لنا ما هو شرع له أن نستعين به في الاقتدار كما استعان بنا في القبول منا لنعلم أن الضعف ليس إلا هذا ثم جعل لنا قوة غير مستقلة فالقوة على الحقيقة ما يظهر لها عين إلا بالمجموع فهو ذو القوة لأنه الواجب الوجود لنفسه و نحن الواجبون به لا بأنفسنا فهو و إن خلقنا من ضعف فإنه جعل فينا قوة لولاها ما كلفنا بالعمل و الترك لأن الترك منع النفس من التصرف في هواها و بهذا عمت القوة العمل و الترك

بلا افتراء و لا مراء فنحن فيها على السواء

و ما له فيه من بقاء لكنه الأصل في وجودي

فهو على منهج الفناء لأنه بالشئون يفنى

و لما جعل الله الشيب نورا بالقوة هنا و بالفعل في الآخرة و قرن الشيبة بالضعف الذي رجعنا إليه ليرينا بذلك النور الشيبي إن ذلك الضعف ما هو ضعف ثان من أجل ما نكره كما قال فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ثم إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً يعني يسرا آخر فرجعنا إلى الضعف الأول على عين الطريق الذي منه خرجنا أ لا تراه سبحانه يقول أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً و قال وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ فوصفنا بأنا نرد و هو الرجوع إلى الضعف الأول إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ و أرذل العمر ما لا يحصل لنا فيه علم فقال لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً فأما أن يكون منع الزيادة و إما أن يكون اتصف بعدم العلم في حال الهرم لشغله بما هو عليه من الضعف المفرط فإن الدنيا بالإنسان حامل و الهرم شهر ولادتها فتقذفه من بطنها إلى البرزخ و هو المنزل الأول من منازل الآخرة فيتربى فيه كما يتربى المولود إلى يوم البعث و هو حد الأربعين حد الزمان الذي تبعث فيه الرسل

الذين هم أكمل العالم علما بالأمور الإلهية فيحوزون القوة في دار الكرامة التي لا ضعف يعقبها فيتكون عنهم حسا ما يتكون هنا في خيالهم معنى و قد يكون في متعلق خاص حسا قدرة عليه كمن يريد أن يقوم فيقوم و يريد أن يكتب فيكتب و أما ما لا قدرة له و لا قوة له عليه إن يكون منه في الحس عليه فإنه يقوى على إيجاده خيالا في نفسه فذلك عينه يكون له في الآخرة حسا محسوسا و إن كان في قضية العقل محالا فما استحال وجوده في الخيال كذلك لا يستحيل وقوعه حسا لأن الخيال على الحقيقة إنما هو حضرة من حضرات الحس و لهذا يلحق المعاني بالمحسوسات في الصورة فيتخيل المحال محسوسا فيكون في الآخرة أو حيث أراد الله محسوسا و لهذا كان في الآخرة لا في الأولى فإن الخيال في الدرجة الاخيرة من الحس فإنه عن الحس يأخذ ما يكسوه من الصور للمحال و غيره فلهذا حيث كان لا يكون إلا في الآخرة فتنبه و أي قوى أعظم قوة ممن يلحق المحال الوجود بالوجود المحسوس حتى تراه الأبصار كوجود الجسم في مكانين فكما نتخيله هنا كذلك يقع في الآخرة حسا سواء و ما عندنا في العلم أهون من إلحاق المحال بالممكن في الوجود و لا أصعب من إلحاق الممكن بالمحال و هو عدم وقوع خلاف المعلوم مع إمكانه في نفسه فهذا إلحاق الممكن بالمحال فنقول في الذي كنا نقول فيه ممكن عقلا محال عقلا فتداخلت الرتب فلحق المحال بالممكن أي برتبته و لحق الممكن برتبة المحال و سبب ذلك تداخل الخلق في الحق و الحق في الخلق بالتجلي و الأسماء الإلهية و الكونية فالأمر حق بوجه خلق بوجه كل كون كون منه فالحضرة الإلهية جامعة لحكم الحق في الخلق و الخلق في الحق و لو لا ذلك ما اتصف الحق بأن العبد يغضبه و يسخطه فيغضب الحق و يسخط و يرضيه فيرضى و أما كون الحق يسخط العبد و يغضبه و يرضيه فالعامة تعرف هذا و هذا من علم التوالج و التداخل فلو لا وجود حكم القوة ما كان هذا فإن الضعف مانع قوى فانظر حكم القوة كيف سرى في الضعف حتى تقول في الضعيف إذا قوى عليه الضعف بحيث لا يستطيع الحركة فتنسب القوة للضعف فوصفته بضده فمن هنا تعرف قول أبي سعيد الخراز لما قيل له بما ذا عرفت الله قال بجمعه بين الضدين ثم تلا هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ فبالقوة تقوى الضعف و بالأقوى ضعفت القوة و هذا الفرق بين الأقوى و القوي كالأقرب و القريب فكل أقرب قريب و ما كل قريب أقرب و كل أقوى قوي و ما كل قوي أقوى و قد ذكرنا في هذه الحضرة ما فيه غنية و كفاية وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«المتين حضرة المتانة»

أنا القوي المتين إن قلت قولا صحيحا
أنا الضعيف المهين أو كان غير صحيح

و أيضا

إلا الذي هام وجدا في معانيها إن المتانة حال ليس يدريها
و قوة الله أبدتها لناظرنا و حكمها أبدا فيمن يعانيها

أولى و إن كان عيني فهو ثانيها إذا أشد بها ركني تكون لنا

للناظرين إليها في مبانيها إن المطالع قد لاحت أهلتها

يدعى صاحبها عبد المتين قال تعالى إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ فرفع على الصفة لقوله ذو و هو و المتين هو الذي لا يتزلزل عما يجب له الثبوت فيه لتمكنه و ثقله فنبه على العين أنها بهذه الصفة من المتانة لئلا يتخيل متخيل أو يقول قائل إن الصور لما تبدلت في التجلي و اختلفت و الأسماء الإلهية لما كثرت و تنوعت و دل كل اسم على معنى لا يكون لغيره و أعطت كل صورة أمرا لم تعطه الصورة الأخرى إن العين و المسمى تبدل لهذا التبدل فأخبر أنه من المتانة بحيث أن الأمر على ما قرر و شوهد من التحول و التبدل و العين ثابتة في مكانتها لا تقبل التغيير و أعظم ما يظهر حكم هذا في العقائد في الله لأن الإله الذي اعتقد بالدليل النظري إذا جاءت الشبهة لصاحب هذا الاعتقاد النظري إزالته فلو كانت المتانة من صفات الإله الذي جعله المعتقد في نفسه ما أثرت فيه الشبهة الواردة فأخلت المحل عنه و عاد يبحث على إله آخر يجعله فيه فليست المتانة إلا للاله القوي الحق الذي يجد في نفسه هذا الطالب الاستناد إليه و لا يدري ما هو و لمتانته لا يقوى الناظر أن ينقله إلى محل اعتقاده فمتانته حجابه فلا يعرف و الحق الذي وسعه قلب العبد هو الذي يقبل آثار الشبه فيه فقد علمت لما ذا تسمى بالمتين و هو علم غريب فبالمتانة كان الاستناد فاستند إليه كل ممكن يطلب الترجيح و العلم بهذا المستند عين نفي العلم به على علم بأنه لا يعلم لا بد من ذلك كما قال الصديق العجز عن درك الإدراك إدراك و هذا أعلى ما يوصل إليه في العلم بالله المتين فإن للمتانة درجات فقصدنا أتمها و أعلاها وَ اللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«النصير حضرة النصر»

للذي قد بغي عليه حضرة النصر حضرة

ما له غير ما لديه فهو لله وحده

و أيضا

عبد تولاه رب حين ولاة إن الولي الذي إذا تولاه

من لفظه فاعل إذا تولاه إن الولي اسم مفعول يكون له

و لا رست رغبة لولاه لولاه لولاه ما ثبتت فينا قواعده

على مسامع كوني حين أملاه أملي على الذي يتلوه من سور

به بلاني إلهي حين أبلاه بالقلب سطره ربي لنحفظه

يدعى صاحبها عبد الولي و الولي الناصر و إن شئت قلت عبد الناصر قال تعالى اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ و هو نور العيان و هو عين اليقين و أقام تعالى عذرا لما نبه بقوله في تمام الآية وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ و ما أفرد الطاغوت لأن الأهواء مختلفة و أفرد نفسه لأنه واحد يخرجونهم من النور إلى الظلمات فنصر هؤلاء الأولياء لهم حيث لا يتركونهم يدخلون الجنة لما لهم فيها من الضرر لأنهم على مزاج يتضرر بالاعتدال كما تضر رياح الورد بالجعل فهم ينصرون أصحابهم و ليس إلا أهل النار الذين هم أهلها أخبر ص فقال إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لأن فيه اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا و هو من المؤمنين وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ و لهذا القطع كان الصلاح مطلوبا لكل نبي مكمل و شهد الله به لمن شاء من عباده على التعيين تشريفا له بذلك كعيسى يحيى ع و أما قوله تعالى وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ و ليس المؤمن إلا من لم يدخل إيمانه بأمر ما خلل يقدح في إيمانه و المؤمنون في كلام الله نوعان و هم الكافرون فنوع آمن بالله و كفر بالطاغوت و هو الباطل فهم أهل الجنة المعبر عنهم بالسعداء و النوع الآخر آمن بالباطل و كفر بالله و هو الحق فهم أهل النار المعبر عنهم بالأشقياء فقال عز و جل في حق السعداء فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى و هؤلاء هم الذين حق على الله نصرهم و الألف و اللام للعهد و التعريف و قال تعالى في حق الأشقياء وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . . . فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ فإذا جعلت الألف و اللام في نصر المؤمنين للجنس فمن اتصف بالإيمان فهو منصور و من هنا يظهر المؤمنون بالباطل في أوقات على الكافرين بالطاغوت فيجعلون ذلك الظهور نصرا لأن النصر عبارة عمن ظهر على خصمه فمن جعل الألف و اللام للجنس جعل إيمان أهل الباطل بالباطل أقوى من إيمان أهل الحق بالحق فالمؤمن من لا يولي الدبر و يتقدم و يثبت حتى يظفر أو يقتل و لهذا ما انهزم نبي قط لقوة إيمانه بالحق و قد توعد الله المؤمن إذا ولى دبره في القتال لغير قتال أو انحياز إلى فئة تعضده فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ فخاطب أهل الايمان و بقرائن الأحوال علمنا أنه تعالى أراد المؤمنين بالحق و أرسل الآية في اللفظ دون تقييد بمن وقع الايمان به لكن قرائن الأحوال تخصص و تعطي العلم بالمقصود من ذلك غير أن الحق ما أرسلها مطلقة لا ليقيم الحجة على الذين آمنوا بالباطل إذا هزمهم الكافرون بالطاغوت لما دخلهم من الخلل في إيمانهم بالباطل فهو عندنا ليس بنصر ذلك الظهور الذي للمؤمنين بالباطل على الكافرين بالطاغوت و إنما المؤمنون بالحق لما تراءى الجمعان كان في إيمانهم خلل فأثر فيه الجبن الطبيعي فزلزل أقدامهم فانهزموا في حال حجاب عن إيمانهم بالحق و لا شك أن الخصم إذا رأى خصمه انهزم أمامه و فر و أخلى له مكانه لا بد أن يظهر عليه و يتبعه فإن شئت سميت ذلك نصرا من الله لهم فما انتصروا على المؤمنين بالحق و إنما انتصروا على وجه الخلل الذي دخل في إيمانهم و استتر عنهم بالخوف الطبيعي فكانوا كفارا من ذلك الوجه فكان نصرهم نصر الكفار بعضهم على بعض و هم المؤمنون بالباطل لأن هؤلاء المؤمنين بالحق آمنوا بما خوفهم به الطبع من القتل و هو باطل فآمنوا بالباطل لخوفهم من الموت و الشهيد ليس بميت فإنه حي يرزق فلما آمنوا به أنه موت آمنوا بالباطل فهزم أهل الباطل أهل الباطل و هذا يسمى ظهورا لا نصرا إلا إذا جعلت الألف و اللام للجنس فتشمل كل مؤمن

بأمر ما من غير تعيين فهذه حكمة تسمية الله أهل الباطل مؤمنين و أهل الحق كافرين فلا تغفل يا ولي عن هذه الدقيقة فإنها حقيقة و هي المؤثرة في أهل النار الذين هم أهلها في المال إلى الرحمة لأن المشرك آمن بوجود الحق لا بتوحيده و وجود الحق حق فهو بوجه ممن آمن بالحق فما تخلص له الايمان بالباطل إذ آمن بالشريك فتقسم إيمانه فلم يقو قوة إيمان المؤمن بالحق من حيث أحديته في ألوهته قال تعالى وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ و لم يقل بتوحيد الله إِلاّٰ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ لكنه جلي و خفي فالمؤمن بتوحيد الله مؤمن بوجود الله و ما كل مؤمن بوجود الله يكون مؤمنا بتوحيد الله فينقص عن درجته في قوة الايمان فإن استناد الايمان من المؤمن بالباطل إلى عدم و لهذا يرجع عنه عند الكشف و المؤمن بتوحيد الحق يرجع إلى أمر وجودي يستند إليه فيعضده فلا يرجع عنه فالمؤمن بالباطل أعان على نفسه المؤمن بالحق من حيث الأحدية و هو قوله تعالى كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً و قوله لَوْ أَنَّ لنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنّٰا فقد تبرءوا في موطن ما فيه تكليف بالبراءة أنها نافعة صاحبها و الكافر لا مولى له و لهذا انهزم أمام خصمه فإنه استترت عنه حياة الشهيد في سبيل الله فآمن بالموت و هو الباطل و كفر بالحياة و هي الحق و في هذا تذكرة لأولي الألباب وَ اللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ

«انتهى النصف الأول من الجزء الرابع من الفتوحات المكية و يليه النصف الثاني أوله «الحميد حضرة الحمد»